

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصايرها في جميع فروع المعرفة الإنسانية

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الاول	تونس - في ذي القعدة ١٣٥٧ - جانفي ١٩٣٩	المجلد الثالث
-------------	---------------------------------------	---------------

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي القاسبي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

رئيس قلم تحريرها .

محمد المنحار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

فهرس القيد

المجلد الثالث

الجزء الاول

الصحيفة	المقابل	صاحبه
٢	فاتحة المجلد الثالث	الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس التحرير
٧	من تفسير سورة البقرة	لفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الاسلام المالكى
١١	حديث اذا رايتم الهلال فصوموا واذا رايتموه فافطروا	المنعم المبرور الشيخ الشاذلي ابن القاضي
٢٠	التشريع الاسلامي	لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ سيدي عبد العزيز جعيط الملقى المالكى
٢٣	حكمة الصوم والحج	لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد الحجوي مندوب المعارف بالحكومة الشريفة
٢٦	وزراء تونس قبل الحماية وبعدها.	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية
٣٢	المعروف
٣٣	الشرف الحسيني والحسيني	العالم المؤرخ الشيخ محمد طراد
٣٤	مثال العمود الذي على قبر الحسين
٣٤	الفتاوى	العالم المدرس الشيخ علي النيفر
٣٥	حكم خلقية
٣٧	تزكية النفس	العالم الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة
٣٩	عمر بن الخطاب كما يصفه صعصعة بن صوحان
٤٠	حول ولاية الشيخ محمد المختار بن محمود خطة الافتاء
٤٢	خطاب بين يدي الحضرة العلية	الشيخ محمد المختار بن محمود
٤٣	تهنئة بخطة الافتاء (قصيدة)	العالم المدرس الشيخ الطاهر القصار مدير المجلة السابق
٤٥	النهضة العربية في العصر الحاضر	الامير شكيب ارسلان



صورة الهيئة المؤسسة للمجلة الزيتونية

وهم من اليمين : المشايخ محمد الهادي ابن القاضي - الطاهر القصار - صاحب الفضيلة
المختار بن محمود - محمد الشاذلي ابن القاضي - الحطاب بوشناق - محمود بن الطاهر

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصايرها المبادئ من قدام سوي جنتها مع الزيتون في الزيتون

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الاول	آونس - في ذي القعدة ١٣٥٧ - آاني ١٩٣٩	المجلد الثالث
-------------	--------------------------------------	---------------

ساحب المجلة ومديرها:

بجمل الشاذلي القاصبي

المدرس من الطبقة الاولى بآامع الزيتونة
والخطيب الثاني بآامع حمودة باشا

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ آونس - آليفون ٤٩-٢٦

رئيس قلم آحزيرها

آحمد المنآار بن آحمود

المآتي الحنفبي
بالآيار آونسية

المراسلات:

آرد باسم مدير المجلة بمآل الادارة

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمك اللهم تفتح الاعمال . ومنك نستمد الهداية في الحال والمآل ؛ وبتوفيقك يحفظ القلم من الزبغ والزلزل . ويشرح الصدر لصالح العدل ؛ ونعي مقررات الشريعة الاسلامية ، لمقوم باعباء دينك الذي ارتضيت لنا وذلك غاية الامنية ، ونصلي ونسلم على رسول الرحمة ، وحلي الظلمة ، من أرسلته بنور الايمان ، وأدبته بأداب القرآن ؛ واقمت به الحجة على من عاند وكفر ؛ فظهر به الحق واستقر وعلى آله الغر الميامين . وأصحابه مصابيح الظلام بين العالمين ، الذين نشروا الاسلام وكانوا له نعم الحافظ الامين ، وكل من اقتفى أثرهم ، وسلك مسلكهم المستبين ؛ وبذل وسعه لاعلاء كلمة الحق والدين

اما بعد فما نحن نشق الطريق لقطع المرحلة الثالثة بالمجلة بعد ان قطعت مرحلتها الاولى والثانية بعزم صادق وايمان قوي ، مثابرة على الخطة التي برزت متحالية بها ؛ لم تحد عن المبادي التي أنشئت من أجلها . فخور بما رزق الله من التوفيق للقيام بمهمتها على قدر ما سمحت به الظروف ، ثابتة بما أمدا الله به من قوة امام العواصف التي تعترض كل ناشئ في اوليات خطاه ، متمادية في سيرها على نحو سيرتها الاولى من حيث المبدأ ، متطلعة الى الرقي شأن كل جاد في عمله

فقد قامت المجلة في بحر هاتين السنتين بمهمات جمة وأدت خدمات للمجتمع الاسلامي نحمد الله الذي رزقنا التوفيق للقيام باعبائها

فكان لها - رغما على قرب العهد بانشائها - فضل عظيم لا ينكر بما نشرته من المباحث المختلفة والتحقيقات النفيسة والمواضيع المتنوعة التي شارك في تحريرها اعيان العلماء سواء في بلادنا التونسية او في غيرها من الاقطار الاسلامية فكانت محالا للافكار الصائبة والتجارب المفيدة وكانت مطمح انظار الخاصة فضلا عن العامة وكانت من جهة اخرى واسطة بين اعيان علماء جامع الزيتونة ونبغاء المفكرين في بلادنا وبين بقية العلماء والمفكرين في سائر الاقطار الشرقية اذ لا يخفى ان للمجلات في هذا الزمان فضلا عظيما في تعريف الناس ببعضهم والابانة عما في كل قطر من الاسرار والفضائل التي لولا النشر لما ظهرت ولما اطلع عليها الناس .

ولا يخفى ان بلادنا التونسية من احوج البلدان الى الدعاية والاشهار لانها رغما عما فيها من كبار العلماء الذين يعدون من مفاخر علماء الاسلام سواء في هذه الايام او في الازمنة السابقة ورغما عن وجود جامعة علمية كبرى فيها تخدم اللغة العربية والشريعة الاسلامية وهي الجامعة الزيتونية ادام الله عمرها ورغما عن كون البلاد التونسية من اشهر البلدان واعظمها في التاريخ القديم وكان لها صيت عظيم وكانت مطمح انظار عدة دول كبرى في الزمان السالف فانها تكاد تكون اليوم محبولة عند كثير من الامم الشرقية ولا اريد انهم يجهلون اسمها وانما هم يجهلون مزاياها وخصائصها .

ويكفي الدلالة على ذلك ان اقص لقرائنا القصة الآتية :

عند ما كنت في باريس في شهر رجب سنة ١٣٥٦ تهيأت لي الفرصة للاجتماع بكثير من المشاركة فكانوا يسألوني عن تونس سؤال من يجهل عنها كل شيء فاذا حدثهم عما في البلاد التونسية من الخصاص والمزايا تعجبوا من ذلك وقالوا ما كنا نظن ان البلاد التونسية على ما وصفته لنا ولا على اقل منه .

واعجب شيء وقع لي اثناء هذه الاجتماعات اني تلاقت برجل من العراق يتظاهر بانه مثقف نبيه فلما علم في من تونس قال لي : هل هناك من يتكلم اللغة العربية في تونس ؟ فتعجبت من سؤاله واحبته بشيء من الشدة والاعتزاز بالنفس فقلت له : ان البلاد التونسية تعتبر في العصر الحاضر من اشد الاقطار الاسلامية اعتناء باللغة العربية واعتزازا بالاسلام وكيفيك ان تعلم ان بتونس جامعة هي الجامعة الزيتونة ليس لها من عمل الا خدمة اللغة العربية والشرعية الاسلامية يهرع الناس اليها ليلتقي العلوم ولها الفضل لا على البلاد التونسية فقط بل حتى على الجزائر وطرابلس فهي تعتبر جامعة الشمال الافريقي - فقال لي : كنت اجهل هذا كله واشكرك على ما افدتي به . فقلت له : واسفاه على الرابطة الشرقية كيف انحلت حتى صار المسلمون يجهلون بعضهم الى هذا الحد .

ونحن اذا رجعنا الى السبب الحقيقي في هذا الجهل نجده يرجع الى عدم وجود الدعاية الكافية للبلاد التونسية . والدعاية انما تكون بظهور العلماء والمفكرين وتسابقهم في ميادين التحارير العلمية حتى يعلم الناس فضلهم ومزاياهم وقد كانت هذه المجلة المتواضعة احسن وسيلة لظهور مالماء تونس من القيمة العلمية ونحن نؤمل ان يكون عملها في المستقبل من هذه الناحية اكثر افادة واجدى نفعاً . هذا ورغماً عما قامت به هذه المجلة من الاعمال التي نرجو ان تكون مفيدة بحول الله . فان امامنا برامج متسعة لترقيتها . والارتفاع بها الى مصاف المجلات العلمية الكبرى في العالم وما ذلك على الله بعزيز . وذلك يتوقف تحقيقه على امور اهمها انتظام ميزانية المجلة من الناحية المالية وههنا يجب علينا ان نصرح لقرائنا الذين يهمهم هذا المشروع ويعز عليهم بقاؤه ومن الواجب ان لا يكون بيننا وبينهم حجاب : ان ما نلاقيه منهم من التشجيع الادبي وان كان بعيدا في حد ذاته لكنه لا يغني في ترقية المجلة واطراد حياتها لان هذه المشاريع انما تبقى وتتمو باعتمادها على ميزانية واسعة يصرفها القائمون على تلك المشاريع في سبيل تحسينها والرقى بها ونحن رغماً عن كون مقصدنا من تاسيس هاته المجلة هو مقصد ادبي علمي محض لا نرمي من ورائه الى اي ربح يحصل لنا لكن على كل حال لا بد لنا من مال نعتمد عليه لبقاء هاته المجلة والاستمرار عليها اذ ليس من الانصاف ان نتحمل بجميع المشاق الادبية التي لا تخفى على احد ثم نتحمل مع ذلك المشاق المالية كما وقع لنا في العام الماضي والذي قبله فقد صرفنا من مالنا الخاص مبلغاً عظيماً من المال وقد صرفناه بصدر

رحب احتفاظا على مشروعا العزيز من ان تتطرقه يد الاعمال او الفناء ولكننا نعلم وقرأونا يعلمون ايضا ان هذا امر لا يمكن ان يدوم لان الانسان مهما قويت عزيمته وصح يقينه فلا بد له من الاعانة المادية ليستمر على عمله والا فسيأتيه يوم لا محالة يبوء فيه بالفشل ويفقد عزيمته وصبره وهذا موضوع وان كنا لا نود ان نطيل القول فيه لكن تلده بعض المشتركين في العام الماضي واتعابهم لنا اوجب علينا ان نصرح به هنا حتى يكون قراؤنا على علم وحتى يكون لهم راي معنا في تلافي هذا المشكل الذي وان لم يفض الى تعطيل المجلة - والحمد لله - لكنه افضى الى اختلال مواعيد صدورها .

هذا وان المجلة قد احرزت على رضى قرائها الافاضل الذين ما انفكوا يشجعونا برسائلهم الحافلة المفصحة عن ابتهاجهم بما نشرته المجلة من الابحاث العلمية والمقالات الرائعة واعرابهم عن الاغتياب بها وحسن مسلكها وجودة رونقها وبهذا يصح لنا ان نقول ان المجلة قد اعتبرت الاوساط العلمية المنهل العذب الذي يردده الظمآن فيجد فيه شرابا سائغا شها عذبا قراحا ، وشجرة مباركة يستمد من ظلها روادها الراحة والسعادة . ويؤكد هذا اقبال الطبقة المستتيرة على مطالعتها وحرصهم على اقتنائها ورغبتهم المتزايدة في نشرها بين سائر الطبقات ، وسؤالهم عنها اذ تأخر صدورها بضعة ايام كل هذا يزيدنا ايمانا بسمو هذا المشروع الجليل الذي عقدنا العزم من اول نشأته على السير به نحو الكمال معونه تعالى وحسن توفيقه وادخال الاصلاحات التي تملينا علينا الرغبة في رقي المجلة المطرد وما يقدمه لنا السادة الاكرام قراء المجلة من الملاحظات الحسنة فنحن عند ظنهم بنا في ادخال التحسينات الفينة عقب الفينة وكلها سمحت لنا الظروف والمقادير بذلك ، وقبل ان نختم كلمتنا هذه نوجه تمنياتنا الحارة ودعواتنا الخالصة للسادة العلماء الاعلام الذين شجعونا في مشروعا الجليل وأمدونا باعانتهم في التحرير او النصح او غير ذلك مما عاد على المشروع بالحسنى

كما انا نعتذر عما اعترى المجلة في عامها الثاني من الصدمات التي ثبتت امامها بكل قوة وعزيمة راسخة ولم تؤثر فيها الاعاصير

هذا وتقدم على كاهل الاجلال والاحترام دعواتنا الخالصة للسادة الشائخة العلية امير البلاد وملاذ الشعب ابي الحيرات الباشا احمد الثاني ، بلغه الله الاماني . وانار به العدل واعز به الشرع وحفظه في آل بيته الاعلام ووزرائه الفخام انه تعالى سميع قريب وبالاجابة جدير

القرآن الكريم

—*—

تفسير سورة البقرة

(هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)

من تفسير العلامة الهمام الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

الهدى اسم مصدر الهدي ليس لوزنه نظير الاسرى وتقى وبكى ولغى مصدر لغى في لغة قليلة وفعله يتعدى الى المفعول الثاني بالى وربما تعدى اليه بنفسه على طريقة الحذف المتوسع فيه كما تقدم في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وتفصيل انواع الهداية تقدم هنالك والمتقي من اتصف بالاتقاء وهو طلب الوقاية والوقاية الصيانة والحفظ من الاذى والمكروه والمراد من الهدى ومن المتقين في الآية معناهما اللغوي فالمراد أن القراءان من شأنه الايصال الى المطالب الخيرية وان المستعدين للوصول به اليها هم المتقون والمراد بالمتقين المؤمنون الذين ءامنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وتلقوا القراءان بعزم على العمل به فالقراءان هدى في زمن الحال لان الوصف بالمصدر في قوة الوصف باسم الفاعل اي هو هاد في حال النطق بهذا الكلام والمتقون هم المتقون في الحال ايضا لان اسم الفاعل حقيقة في الحال اي ان جميع من نزه نفسه واعدها لقبول الكمالات يهديه هذا الكتاب ثم ان القراءان لم يزل هدى للمتقين فان جميع انواع هدايته نفعت المتقين في سائر مراتب التقوى على حسب حرصهم ومبالغ عليهم واختلاف مطالبهم فمن منتفع بهديه في الدين ومن منتفع به في السياسة وتدير الدولة ومن منتفع به في الاخلاق والفضائل ومن منتفع به في التشريع والتفقه في الدين وكل اولئك من المتقين وانتفاعهم به على حسب مبالغ تقواهم . فان قصر باحد حظه عن كمال الانتفاع به فانما ذلك لنقص فيه لا في الهداية ولا تزال المناجاة بين اهل العلم في مقدار الاهتداء بمعاني القراءان . وما يعد من المتشابه انما هو معان كبرت على الافهام وقد كشف بعض معانيها مرور الايام على انفسا يعلمها الراسخون في العلم على التحقيق في معنى قوله تعالى واخر متشابهات

(الذين يؤمنون بالغيب) يتعين ان يكون كلاما متصلا بقوله للمتقين على معنى الصفة وجسور

صاحب الكشف كونه مستافا مبتدا وكون اولئك على هدى خبره وعندي انه تجوز لما لا يليق
بالبلاغة اذ الاستيناف يقتضي الانتقال من غرض الى اخر وهو المسمى بالاقتضاب وانما يحسن في
مقام البلاغة اذا اشبع الغرض الاول وافيض فيه حتى اوعب او حتى خيف سائمة السامع وذلك موقع
اما بعد او كلية هذا او نحوهما والا كان تقصيرا من المتكلم لا سيما واسلوب الكتاب اوسع من
اسلوب الخطابة لان الاطالة في اغراضه امكن وكأن هذا هو الذي عناه قس بن ساعدة بقوله

لقد علم الحي اليمانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها

اي اعلمها بالخطابة وبموقع اما بعد من الخطبة ، والغيب مصدر بمعنى الغيبة قال تعالى ذلك ليعلم
اني لم أخنه بالغيب ، ليعلم الله من يخافه بالغيب ، وربما قالوا بظهر الغيب قال الخطيب
كيف الهجاء وما تنقل صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتيني

وفي الحديث دعوة المؤمن لآخيه بظهر الغيب مستجابة ، وقد اطلق الغيب في لسان الشارع على
ما غاب عن الحس ومشاهدة الناس كالجنة والنار والملائكة وقد جاء الغيب بهذا المعنى في القرءان في
قوله تعالى : وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو . فاذا اريد من الغيب هنا المصدر بمعنى الغيبة جعلت الباء
للهابسة ظرفا مستقرا فالوصف تعريض بالمنافقين وان اريد بالغيب الاسم وهو ما غاب عن الحس من
العوالم وما وراء المادة كانت الباء صلة ليؤمنون فالمعنى حيثئذ الذين يؤمنون بما اخبر به الرسول من
غير عالم الشهادة كالملائكة والبعث والروح ونحو ذلك وكان الوصف تعريضا بالمشركين الذين
انكروا ما وراء المادة (وقالوا هل ندلكم على رجل يبئكم اذا مزقتم كل فمزق انكم لفي خلق
جديد) ونحو ذلك

وانما اختير لبيان القوى هذه الصفات دون غيرها لانهما أول ما شرع من الاسلام فكانت شعار
المسلمين ولان هذه الصفات هي دلائل اخلاص الايمان لان الايمان في حال الغيبة عن المؤمنين حال
خويزة النفس ادل على اليقين والاخلاص حين ينتفي الخوف والطمع ان كان المراد بالغيب ما غاب او
لان الايمان بما لا يصل اليه الحس ادل دليل على قوة اليقين حتى انه يتلقى من الشارع ما لا قبل للرأي
فيه وشأن النفوس أن تنبوا عن الايمان به لانهما تميل الى المحسوس فالايमान به على علته دليل قوة
الثقة بالمخبر وهو الرسول ان كان المراد من الغيب ما قابل الشهادة ومعنى يؤمنون يصدقون وفعله
ءامن وهو مزيد امن وهمزته المزيده دلت على التعدية فأصل ءامن تعدية آمن ضد خاف اي صيره
ءامنا ثم اطلقوا ءامن على معنى صدق ووثق حكى ابو زيد عن العرب ما ءامنت ان اجد صحابة يقوله
المسافر اذا تأخر عن السفر كانه ءامن نفسه وازال خوفها من عدم صحبة الحفيظ فافاد مبالغة في أمن
كأقدم على الشيء بمعنى تقدم اليه وعمد اليه فصار فعلا قاصرا بمعنى حصل له الامن اي من الشك
واضطراب النفس واطمأن لذلك لان معنى الامن والاطمئنان متقارب ثم انهم يضمون آمن معنى

اقر فيقولون ءامن بكذا اي اقر به ويضمنونه معنى اطمأن فيقولون ءامن له (اقطععون ان يؤمنوا لكم) (١) (وقيمون الصلاة) الاقامة مصدر أقام وهو معدى من قام بالهمزة الدالة على الجعل والتصيير ومعنى الاقامة هنا جعلها قائمة مأخوذاً من قامت السوق اذا نفقت وتداول الناس فيها السلع والبيع والشراء فيجيء من ذلك أقام بمعنى جعلها قائمة وقيد دل على هذا الاعتبار في يقيمون تصريح بعض اهل اللسان به قال ايمن بن خريم (٢)

اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقيين حولاً قميطاً

فانه لو شاء لقال اقامت غزالة الضراب وكان اوجز وأحسن كما جاء في هذه الاية واصل القيام في اللغة هو الانتصاب المضاد للجلوس والاضطجاع ونحوهما وانما يقوم القائم لقصده عمل صعب لا يتأتى من تعود فيقوم الخطيب ويقوم العامل ويقوم الصانع ويقوم الماشي فكان للقيام لوازم عرفية مأخوذة من عوارضه اللازمة ولذلك اطلق على النشاط في قولهم قام بالامر وعلى الاستواء في قولهم استقام وقوام الانسان وقامته وعلى التحرك والتداول في قولهم قامت السوق وقامت الحرب وقالوا في ضده ركبت ونامت وفي الحديث الفتنة نائمة فإطلاق القيام على هذه المعاني من قبيل المجاز المرسل وقد شاع هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة ولذلك صح بناء المجاز والاستعارة على هذه المعاني فاقامة الصلاة في الاية استعارة تبعه شئت المواظبة على الصلوات والعناية بها بجعل السوق نافقة راجعة وهذا اظهر الوجوه فان الشاء على المصلين اريد به الشاء على شدة عنايتهم بها ومواظبتهم عليها ولهم في الاية وجوه اخرى كلها بعيدة وقد عبر هنا بالمضارع كما وقع في قوله يؤمنون ليصلح ذلك للذين أقاموا الصلاة فيما مضى وهم الذين ءامنوا من قبل نزول الآية والذين هم بصدد اقامة الصلاة وهم الذين يؤمنون عند نزول الآية والذين سيبتدون الى ذلك وهم الذين جاءوا من بعدهم اذ المضارع صالح لذلك كله لان من فعل الصلاة في الماضي فهو يفعلها الآن وغدا ومن لم يفعلها فهو اما يفعلها الآن او غدا وجميع اقسام هذا النوع جعل القراءان هدى لهم . ولما كان المضارع مراداً به ما ذكرنا وكان حينئذ بمعزل عن افادة التجدد أي تكرر الحصول اشتق من الاقامة المقتضية للتجدد والتكرار فلم يقل ويصلون

(١) التضمين هو ان يقصد بلفظ فعل او نحوه معناه ويلاحظ معه معنى فعل ءاخر يناسبه محذوف يدل عليه بذكر شيء من متعلقاته بحيث لا يصلح ذلك المتعلق ان يكون متعلقاً بالفعل المذكور وهو من ايجاز كلام العرب لانه استغناء بذكر المتعلق بالكسر عن ذكر المتعلق بالفتح كما استغنى بذكر الفعل المذكور عن ان يؤتى له بمتعلق بالكسر

(٢) ايمن بن خريم بالحاء المعجمة والراء شاعر قال قصيدة يحرض أهل العراق على قتال الخوارج ويذكر غزالة زوجة شيب الخارجي كانت تولت قيادة الخوارج بعد قتل زوجها وحاربت الحجاج عاماً كاملاً ثم قتلت وأول القصيدة

ابى الجبناء من أهل العرا ق على الله والناس الاسقوطا

لئلا يفوت معنى المواظبة اذ المضارع وحده غير صالح في هذا المقام للتكرير فلا تغفلوا عن هذه النكتة من نكت الاعجاز

والصلاة اسم مصدر صلى وهي بوزن فعلة محرك العين ولاما واو لما ياتي فلذلك قلبت الفالما تحركت بعد فتحة وقد استغنوا باسم المصدر عن المصدر وهو التصلية فاهملوا المصدر لالتباسه بتصلية النار قال بعض اهل اللغة هي حقيقة في الدعاء وجعلوا اطلاقا على العبادة المخصوصة تقلا شرعيا ، وقال بعضهم هي العبادة بكيفية مخصوصة واستشهدوا بقول الاعشى

يرأوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا حؤارا

وجعلوا اطلاقا على العبادة المخصوصة في الاسلام تخصيصا للفظ ببعض مدلولاته مثل الغلبة وعندي ان هذا هو القول الوحيد لان العرب قد عرفوا في الجاهلية الصلاة بمعنى العبادة وعرفوا الركوع والسجود لاجل العبادة وقد اخبر الله تعالى عن ابراهيم بقوله « ربنا ليقيموا الصلاة » وكانت اليهود معاشرين للعرب وهم اهل صلاة وكذلك كان من العرب النصارى وهم يصلون وقد قال النابغة في رثاء النعمان بن الحارث الغساني وذكر دفنه في موضع يقال له الجولان

قناب مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

اراد المصلين عليه من القسيسين اذ كان النعمان متنصرا وقال النابغة ايضا

او درة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

واما اطلاقها على الدعاء فهو فرع عن هذا والصلاة مشتقة من الصلا وهو عرق غليظ في وسط الظهر يفترق عند عجب الذنب فيكتشفه فيصير صلوين اشتقت الصلاة منه لان المصلي اذا ركع وسجد تحرك ذلك العرق حركة شديدة وانما اطلقت على الدعاء ايضا لان الداعي ينحني ويطأطأ ،

ولاجل مراعاة هذا الاشتقاق كتبوها في المصحف بالواو اذ لو لم يكن هذا قصدهم لما كان وجه لكتابتها بالواو بخلاف الزكاة ، وقد قيل انها كتبت في المصحف بالواو اشارة الى لغة تفخيم اللام في الصلاة لان اللام المفخمة مع الفتح تقارب مخرج الضم وهو بعيد

وصية الفاروق رضى الله عنه

من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن ، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئى مسلم شرا وانت تجد لها من الخير مخرجا ، ولا تهاون في الحلف بالله فيهلك . واعتزل عدوك ، واحذر صديقك الا الامين ، والامين من خشى الله تعالى ، ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ؛ ولا تستعن على حاجتك من لا يحب نجاحها لك ، وشاور في امرك الذين يخافون الله

الحديث الشريف

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم

إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا *

وقال طه عن عمار : من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم

روى البخاري عن عبد الله بن مسleme عن مالك عن نافع عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فأقعدوا له . حدثنا عبد الله ابن مسleme حدثنا مالك عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين . حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن جبلة بن سحيم قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا وهكذا وخس الايام في المرة الثالثة . حدثنا ادم حدثنا شعبة حدثنا محمد بن زياد قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم او قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم : صوموا الرؤيته وافطروا الرؤيته فان غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين

البيان

قد تقرر في الاصول ان تكاليف الشريعة المطهرة انما وضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل ، وانها راجعة الى حفظ مقاصدها في الخلق ، وانها انما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي اهوائهم حتى يكونوا عبادا لله قال جل ذكره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابو اسحاق الشاطبي في المسئلة الثامنة من كتاب المقاصد من الموافقات : المصالح المجتنب شرعا والمفاسد المستدفة انما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الاخرى لا من حيث هوى النفوس في جلب مصالحها ومفاسدها العادية قال وهذا المعنى اذا ثبت لا يجتمع مع فرض وضع الشريعة على وفق اهواء النفوس

* الحتم الذي القاه المقدس المبرور الشيخ الشاذلي ابن القاضي بجامع حمودة باشا في رمضان

وطلب منافعها العاجلة كيف كانت وقد قال عزت كلمته ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن اه . ثم من جملة التكاليف الشرعية صوم رمضان قال عز من قائل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . شرعه سبحانه وتعالى لمصالح عظيمة وفوائد جسيمة منها كسر النفس وقهر الشيطان وذلك لأن الشبع نهر في النفس يردده الشيطان والجوع نهر في الروح تردده الملائكة . ومنها معرفة الغني مقدار نعمة الله عليه بأقداره على ما منع منه كثير من الفقراء من فضول الطعام والشراب فانه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق فيوجب له شكر نعمة الله عليه بالغنى واليسار ويدعوه ذلك الى رحمة أخيه الفقير المحتاج ومواساته بما يمكن مما أعطاه الله وقد وعد سبحانه عليه بالثواب العظيم في دار النعيم ففي الحديث القدسي الصوم لي وأنا أجزي به . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي سأله عن افضل الاعمال : عليك بالصوم فانه لا مثل له يقول الله تعالى يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها . ومن المعلوم أن الكريم اذا تولى الاعطاء بنفسه كان في ذلك اشارة الى تعظيم ذلك العطاء وتقديره وفيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب ثم ان الشارع اوجب صيام رمضان معلقا برؤية هلاله على ما هو صريح الاحاديث المذكورة في هذا الباب الا الحديث الاول منها فالجمهور على انه بمعنى الحديثين الاخيرين حتى كانا مفسرين له ولذلك اخرهما البخاري رحمه الله وذهب الحنابلة الى ان معنى فاقدروا له قدره تحت الحساب . وذهب غيرهم الى ان معناه قدره بحسب المنازل وقد ذكر الامام الزاهدي في القنية اقوالا ثلاثة للحنفية في العمل بالحساب فنقل اولها عن القاضي عبد الجبار وصاحب جمع العلوم أنه لا بأس بالاعتماد على قول الفلكيين وليس بواجب ونقل عن ابن مقاتل أنه كان يسألهم ويعتمد على قولهم اذا اتفق عليه جماعة منهم واستبعدوا الامام السرخسي ونقل عن محمد الائمة الترمذي أنه اتفق اصحاب ابي حنيفة الا النادر والشافعي انه لا اعتماد على قولهم اه وقد حكي في المعراج الاجماع على عدم اعتبار اقوال المنجمين وانه لا يجوز للمنجم ان يعمل بالحساب المخالف للرؤية لنفسه اه وما ذهب اليه الامام السبكي من الشافعية من الاعتماد على قولهم بناء على ان الحساب قطعي قد رده المتأخرون من اهل مذهبه بان الشارع اعتبر الشهادة لانه نزلها منزلة اليقين فلا عبرة بغيرها اذا خالفها بل قد الغى الشارع غيرها بالكليّة لقوله : نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثاني والمائة من الفروق في العمل بالحساب قولان عندنا وعند الشافعية والمشهور في المذهبين عدم اعتبار الحساب فاذا دل حساب تسيير الكواكب على خروج الهلال عن شعاع الشمس من جهة علم البيئة لا يجب الصوم فلو كان الامام يرى الحساب فائتت الهلال به لم يتبع لاجتماع السلف على خلافه مع ان حساب الاهلة والكسوفات والخسوفات

قطعي فان الله تعالى أجرى عادته بان حركات الافلاك وانتقالات الكواكب السبعة السيارة على نظام واحد طول الدهر بتقدير العزيز العليم فلا يتخرم ذلك ابدا والعوائد اذا استمرت افادت القطع بالحساب ينبغي ان يعتمد عليه كاقوات الصلوات فانه لا غاية بعد حصول القطع لكن قد فرق بينهما الجمهور وعليه السلف والخلف بان الله تعالى نصب زوال الشمس سببا لوجوب الظهر وكذلك بقية الاوقات لقوله جل ذكره أقم الصلاة لدلوك الشمس أي لاجله والدلوك اما زوال الشمس أو غروبها كما قاله صاحب الكشف وكذلك قوله سبحانه وتعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ، قال المفسرون هذا الكلام خبر ومعناه الامر بالصلوات الخمس في هذه الاوقات فحين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الصبح وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر ، والصلوة تسمى سبحة ومنه سبحة الضحى اي صلاتها فالآية امر بإيقاع هذه الصلوات في هذه الاوقات وقد دل غير ذلك من الكتاب والسنة على أن نفس الوقت سبب للوجوب فمن علم السبب بأي طريق كان العلم لزمه حكمه المترتب عليه شرعا فلذلك اعتبر الحساب المفيد للقطع في اوقات الصلوات واما الاهلة فلم ينصب صاحب الشرع خروجها عن الشعاع سببا للصوم حتى يكون مجرد الخروج سببا لوجوب الصوم بل اعتبر رؤية الهلال خارجا عن شعاع الشمس هو السبب فاذا لم تحصل الرؤية لم يحصل السبب الشرعي فلا يثبت الحكم الذي هو الوجوب ويدل على ان صاحب الشرع لم ينصب نفس خروج الهلال عن شعاع الشمس سببا للصوم قوله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ولم يقل لخروجه عن شعاع الشمس كما قال تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس ثم قال عليه الصلاة والسلام فان غم عليكم فاقدروا له اي خفيت عليكم رؤيته فاقدروا له اي قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما اي انظروا في اول الشهر واحسبوا ثلاثين يوما وفي الرواية الاخرى فأكملوا العدة ثلاثين فنصب رؤية الهلال او اكمال العدة ثلاثين ولم يتعرض لخروج الهلال عن الشعاع واما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلا دلالة فيه على المطلوب قال ابو علي لان شهد لها ثلاث معان بمعنى حضر ومنه شهدنا صلاة العيد وشهد بدرا وشهد بمعنى أخبر ومنه شهد عند الحاكم اي أخبره بما يعلمه وشهد بمعنى علم ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد أي عليم وهو في الآية بمعنى حضر ومعنى الآية فمن حضر منكم في الشهر فليصمه اي حرام مقيما احترازا من المسافر فانه لا يلزمه الصوم واذا كان شهد بمعنى حضر لا بمعنى شاهد ورأى لم يكن فيه دلالة على المطلوب وهو اعتبار الرؤية ولا على اعتبار الحساب ايضا فان الحضور في الشهر اعم من كونه ثبت بالرؤية او بالحساب فلاجل هذا الفرق قال الفقهاء ان كان الحساب غير منضبط فلا عبرة به وان كان منضبطا لم يجب به الصوم لان الشارع لم ينصب سببا له قلت ما ذهب اليه الشهاب من أن شهد بمعنى حضر هو ما رجحه صاحب الكشف حيث قال اي فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما في الشهر فليصمه

فيه ولا يكون مقعولا به كقولك شهدت الجمعة لانب المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر اه قال
 الفاضل السيلكوتي في حواشي البضاوي شهد على الوجه الثاني بمعنى رأى على ما قلناه ما وجد في
 الكتب المتداولة الشهود بمعنى الرؤية نعم جاءت المشاهدة بمعنى الرؤية اه وتعام الكلام في تفسير
 القاضي وحواشيه . وههنا بحثان الاول في اوقات الصلوات وذلك انه جرت عادة المؤذنين وأرباب
 المواقيت بتسيير درج الفلك فاذا شاهدوا من درج الفلك ما يقتضي ان درجة الشمس قربت من
 الافق قريبا يقتضي ان الفجر طلع امروا الناس بالصلاة والصوم مع ان الافق يكون صاحبيا لا يخفى
 فيه طلوع الفجر لو طلع ومع ذلك فلا يجد الانسان للفجر اثرا البتة وهذا لا يجوز فان الله تعالى
 انما نصب سبب وجوب الصلاة ظهور الفجر فوق الافق ولم يظهر فلا تجوز الصلاة حينئذ فانه يقع
 للصلاة قبل وقتها وبدون سببها وكذلك القول في بقية الصلوات قال الشهاب فان قلت هذا جنوح
 منك الى انه لا بد من الرؤية وانت قد فرقت بين البابين وميزت بين القاعدتين بالرؤية وعدمها وقلت
 السبب في الاهلة الرؤية وفي اوقات الصلوات تحقيق الوقت دون رؤيته فحيث اشترطت الرؤية فقد
 بطلت ما ذكرته من الفرق قلت الجواب عنه اني لم اشترط الرؤية في اوقات الصلوات لكنني جعلت
 عدم اطلاع الحس على الفجر دليلا على عدمه وانه في نفسه لم يتحقق لان الرؤية هي السبب ونظيره
 في الاهلة لو كانت السماء مصحبة والجمع كثير ولم ير الهلال جعلت ذلك دليلا على عدم خلوص
 الهلال عن شعاع الشمس وكذلك لو رايت الظل مائلا عند الزوال لجهة المغرب ولم اراه مائلا الى
 جهة المشرق بل متوسطا بين الجهتين جعلت ذلك دليلا على عدم دخول الوقت وعدم السبب ففرق
 بين كون الحس سببا وبين كونه دالا على عدم السبب فاني في الفجر جعلته دليلا على عدم السبب لا
 أنني اشترطت الرؤية ولذلك لم استشكل ذلك الا والسماء مصحبة والحس لا يجد شيئا من الفجر اما لو
 كان حسابه يظهر معه الفجر مع الصحو طالعا من الافق ويخفى مع الغيم لم استشكله وقلت انما يخفى
 لاجل الغيم لا لاجل عدمه في نفسه لكن لما رايت حسابه في الصحو لا يظهر معه الفجر علمت ان حسابه
 يقارن عدم السبب فان الحس كما يدل على وجود الفجر يدل أيضا على عدمه باتساق الظلمة وعدم الضياء اه
 كلام الشهاب وانا اقول في جواب هذا الاشكال ان الفجر يطلع شيئا فشيئا على القطر ففي أول طلوعه
 يكون الضياء ضعيفا جدا بحيث لا يدركه البصر لضعف البصر كما صرح به في المواقف الا ترى أنه
 بعد اعتبار وقت طلوعه بزمان قريب يظهر منتشرا لكل بصر سليم في ذلك القطر وما كان ذلك الا
 لكونه ينتشر شيئا فشيئا اذ من المعلوم ان سير الشمس تدريجي ~~ك~~كثيره من الافلاك البطيئة
 فقله ان الحس كما يدل على وجود الفجر يدل ايضا على عدمه ممنوع اذ عدم ادراك الحس لضياء
 الفجر لا يدل على عدم الفجر في الواقع حسبا علمت ان طلوعه على القطر يكون جزئيا شيئا
 فشيئا وان البصر مع ضعفه لا يدرك اول طلوعه مع اتساع الافق مع ما وقع له تسليمه من ان

الحساب قطعي الا ان الشارع لم يعتبره في الصوم فقط وعلى هذا فلا يلزم ما ذكره من لزوم ايقاع الصلاة قبل وقتها ولا وجوب الامساك قبل وقته المقدر فيه شرعا. نعم لو كنا نقطع بان البصر يدرك الفجر في أول طلوعه لثم البحث وما ذكره الشهاب فيه موافقة الى ما قاله ابن دقيق العيد حسبما نقله عنه الشهاب الرملي الشافعي في فتاواه اذ قال ما نصه قال ابن دقيق العيد الحساب لا يجوز الاعتماد عليه في الصلاة اه. لكنه مخالف لما عليه السلف والخلف فان الجمهور على اعتبار ذلك في اوقات الصلوات كما سبق تقريره من كلام الشهاب. نعم كون الحساب قطعيا ليس بمجمع عليه فقد نقل العالم الامام الابي في شرح صحيح مسلم عن بعض المالكية ان الحساب حدس وتخمين ولا يجوز الاعتماد عليه الا في القبلة واوقات الصلوات اه. ولعله انما اعتبر على هذا القول لانه غاية ما يمكن في التوصل الى معرفة القبلة ومعرفة دخول اوقات الصلوات فيرجع الامر فيه الى غلبة الظن وهي منزلة منزلة اليقين شرعا كما صرح به بعض الفقهاء في غير ما موضع من كتب الشريعة بخلاف الهلال كما سيأتي تقريره حيث اناط الشارع وجوب الصوم بالرؤية لا بمجرد طلوع الهلال على القطر وخروجه عن شعاع الشمس وان لم يكن بحيث يراه البصر السليم .

البحث الثاني ان المالكية جعلوا رؤية الهلال في بلد من البلاد سببا لوجوب الصوم على جميع اقطار الارض ووافقهم الحنابلة على ذلك وقالت الشافعية لكل قوم رؤيتهم واتفق الجميع على ان لكل قوم فجرهم وزوالهم وعصرهم ومغربهم وعشاءهم فان الفجر اذا طلع على قوم يكون عند اخرين نصف الليل وعند اخرين نصف النهار وعند اخرين غروب الشمس الى غير ذلك من الاوقات وما من درجة تطلع من الفلك او تتوسط او تغرب الا وفيها جميع الاوقات بحسب آفاق مختلفة واقطار متباينة فاذا طلعت الشمس في اقصى المشرق كان نصف الليل عند البلاد المغربية منهم او اقل من ذلك او اكثر على حسب البعد من ذلك الافق فاذا غربت في اقصى المغرب كان نصف الليل عند البلاد المشرقية او اقل او اكثر بحسب قرب ذلك القطر من القطر الذي غربت فيه الشمس وكذلك بقية الاوقات تختلف هذا الاختلاف ولذلك وقع في الفتاوى الفقهية مسألة اشكلت على جماعة من الفقهاء في اخوين مائتا عند الزوال احدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أيهما يرث صاحبه فافق الفاضلاء من الفقهاء بان المغربي يرث المشرقي لان زوال المشرق قبل زوال المغرب فالمشرقي ماب اولاً فيرثه المتأخر لبقائه حيا متأخر الحياة فيرث المغربي المشرقي

اذا تقرر الاتفاق على ان اوقات الصلوات تختلف باختلاف الافاق وان لكل قوم فجرهم وزوالهم وغير ذلك من الاوقات فيلزم ذلك في الاهلة بسبب ان البلاد المشرقية اذا كان الهلال فيها في الشعاع وبقيت الشمس تتحرك مع القمر الى الجهة الغربية فما تصل الشمس الى افق المغرب الا وقد خرج الهلال من الشعاع فيراه اهل المغرب ولا يراه اهل المشرق واذا كان الهلال يختلف باختلاف الافاق وجب ان يكون

لكل قوم رؤيتهم في الاهلة كما ان لكل قوم فجرهم وغير ذلك من اوقات الصلوات وهذا حق ظاهر وصواب متعين، لما وجوب الصوم على جميع الاقاليم برؤية الهلال بقطر منها فبعد عن القواعد والادلة لم تقتض ذلك اهـ. كلام الشهاب وانا اقول في الجواب من حجة المالكية والحناابلة وكذلك الحنفية على ما هو ظاهر المذهب عندهم وهو الذي عليه الفتوى كما نقله زين ابن نجيم في البحر عن الخلاصة ان الخطاب تعلق عاما في الصوم بمطلق الرؤية في حديث صوموا لرؤيته فان الظاهر منه مطلق الرؤية اذ لم يعلقه الشارع برؤية اهل القطر بخصوصه حتى يجب اعتبار رؤية اهل القطر لا رؤية غيرهم من أهل الارض وحيث تعلق عاما على ما هو الظاهر فيجب صوم اهل الارض برؤية اهل قطر منهم نعم قد ذكر العالم الامام الابي في شرح صحيح مسلم ان الحديث محتمل قال ما نصه الحديث يحتمل الامرين لان قوله صوموا لرؤيته يحتمل ان يريد اي رؤية كانت ويحتمل ان يريد لرؤيتكم انتم اهـ. وهذا الاحتمال الثاني هو الذي جنح اليه الامام فخر الدين ابو محمد عثمان الزيلعي في التبيين وايداه ملاحضرو في الدرر بان كل قوم مخاطبون بما عندهم في اوقات الصلوات وبعد وجوب العشاء والوتر على فاقد وقتها اهـ. فبحث الشهاب مسبوق به للحنفية وغيرهم ولما كان امر العبادات مبنيا على الاحتياط مع كون الاسلوب ورد بكيفية عامة على ما هو الظاهر وجب اعتباره وترك الاحتمال الآخر حتى يقوم عليه دليل خاص في المقام واعتبار القياس على الصلاة لا يفيد مع قيام النص الظاهر منه اعتبار الرؤية مطلقا مع كون الاحتياط خلافه ولهذا قال الشيخ كال الدين ابن الهمام في فتح القدير الاخذ بظاهر الرواية احوط اهـ. كلامه رحمه الله فقول الشهاب ان الادلة لم تقتض ذلك ممنوع

بقي ها هنا بحث آخر وهو انه قد سألني بعض من احبابنا الفضلاء وهو انه اذا رأى الهلال شخص واحد في حال النعيم أو أكثر منه في حال الصحو وكانت الرؤية بواسطة المرأة المسماة المرأة الهند وكان بحيث لو لا المرأة لم ير الهلال فهل تكون هاته الرؤية معتبرة شرعا حتى يلزم الناس الصوم بتلك الرؤية او لا تكون معتبرة شرعا حتى لا يلزم الناس الصوم بتلك الرؤية ! واقول في الجواب عنه اما اولاً ان هذه الصورة التي صورها السائل غير معقولة وذلك لان الهلال اذا لم يخرج من شعاع الشمس لا يمكن رؤيته لا بالمرأة ولا بغيرها من البصر السليم وذلك لان المرأة لا تنزل شعاع الشمس الذي هو نور ذاتي لها كما صرح به صاحب المواقف وغيره عن الهلال حتى تمكن رؤيته لان المرأة المذكورة غاية ما تفيد انها يرى بها الصغير كبيرا مع بعد المسافة واما ازالة النور عن المرءي بحيث يرى بها لا بغيرها فكلاهما، وايضا اذا لم يخرج الهلال عن شعاع الشمس لم يكن موجودا اصلا لانه لا وجود لنوره الا بمقابلة الشمس وهذا ظاهر لا شك فيه اذا تقرر هذا فاذا رئي الهلال بالمرأة المذكورة كان بحيث يرى بالبصر السليم وحيث فلا تتحقق الصورة التي صورها السائل واما ثانيا فاقول على فرض تسليم معقولة هذه الصورة ان الرؤية بالمرأة معتبرة شرعا فيلزم الناس الصوم على مقتضى فروع المذهب

المذكورة في غير هذا الباب الدالة على اعتبار الرؤية بالمرءة رؤية حقيقية شرعا وان لم ار نصا في المستلة في هذا الباب فمن الفروع ما ذكره اصحابنا كصاحب البحر والفتح والتوير وغيرهم في فصل المحرمات من كتاب النكاح من انه يحرم على الرجل اصول المرأة وفروعها المنظور الى فرجها الداخل من زجاج او ماء هي فيه ولا يحرم اصول المرأة المنظور الى فرجها الداخل من مرءة او ماء هي خارجة عنه قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام في فتح القدير لان المرءي في المستلة الاولى عنه وفي المستلة الثانية مثاله لا هو لان البصر في المستلة الاولى ينفذ فيرى نفس ما فيه وان كان لا يراه على الوجه الذي هو عليه ومنها ما صرحوا به في باب اليمين في الاكل والشرب من كتاب الايمان اذا حلف لا ينظر الى وجه فلان فراءه خلف الزجاج وتبين الوجه يحدث لا من المرءة كما في البرازية قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام في فتح القدير والعلّة في هذا هو ما ذكرناه سابقا من ان المرءي خلف الزجاج عنه ومن المرءة مثاله، ومنها ما ذكره اصحابنا في باب خيار الرؤية من كتاب البيع انه اذا اشترى سمكة رءاها في الماء كان له خيار الرؤية قال الكمال ابن الهمام في فتح القدير لانه وان كان مرءيا حقيقة لكن لا يراه على الوجه الذي هو عليه فلذا كان له الخيار لان المطلوب في هذا الباب الرؤية حقيقة على ما هو عليه وفي المستلة خلاف قال في البحر نقلا عن التحفة لو نظر في المرء فرأى المبيع قالوا لا يسقط خياره لانه ما رأى عينه بل مثاله ولو اشترى سمكة في ماء يمكن اخذه بلا اصطيداء فراءها فيه قيل يسقط خياره لانه رأى عين المبيع وقيل لا يسقط لانه لا يرى في الماء على حاله بل يرى اكبر مما كان بهذه الرؤية لا تعرف المبيع اهـ. فلامه فانظر كيف اتفقوا على ان الرؤية وقعت على عينه وانما قال اصحاب القول الثاني بعدم السقوط لانه يرى اكبر مما كان لا لانه لم ير حقيقة . اذا تقرر هذا فاذا رأى الهلال شخص واحد في الغيم او اكثر في الصحو فان تلك الرؤية صحيحة شرعا فيلزم الناس الصوم لانهم رأوا الهلال بحقيقة برؤية عينه ويصدق عليه الحديث فيجب الصوم على الناس بهذه الرؤية ولا مانع يمنع من اعتبارها شرعا على مقتضى اعتبار الرؤية بالمرءة شرعا رؤية حقيقية غاية ما في الباب انه يرى الهلال اكبر مما كان وهذا لا يضر في تحقق الرؤية نعم عدم التكلف للرؤية بالمرءة ليس شرطا في الرؤية وفرق بين اشتراط عدم الشيء وعدم اشتراطه والمستلة من القسم الثاني قطعاً اذ الشارع لم يشترط في الرؤية التكلف بالآلات كالمرءات ونحوها لكن اذا وقع في الخارج ورأوا الهلال بالمرءات فلا جرم تكون الرؤية المذكورة معتبرة شرعا حيث كانت الرؤية واقعة بالعين على عين المرءي نعم لو رأى الهلال من المرءة بالانعكاس حتى كان المرءي مثاله لا عينه فهذه الرؤية غير معتبرة شرعا فلا يلزم الناس الصوم بهذه الرؤية قطعاً وانما يلزمهم بالاولى فقط لكن اعتبار الرؤية شرعا في هذا الباب ليس على إطلاقه بل السببية فيه مشروطة بشرط وهو خروج الهلال عن شعاع الشمس فتكون الرؤية سببا لوجوب الصوم على الناس بشرط ان يخرج عن شعاع الشمس

وهو شرط للوجوب ويدل على هذا ما ذكره شهاب الدين القرافي في الفرق الثاني والمائة من الفروق اذ قال ما نصه وأما الاهلة فلم ينصب صاحب الشرع خروجها عن شعاع الشمس سببا للصوم حتى يكون مجرد الخروج سببا لوجوب الصوم بل اعتبر رؤية الهلال خارجا عن شعاع الشمس هو السبب اه وعلى هذا فلا يجب الصوم على الناس بمجرد الرؤية المذكورة على فرض تحققها وماخذ الشرطية من جعل خارجا حال ومن المقرر في الاصول ان الاحوال شروط كما هو مذكور في كتب الشريعة هذا الذي تحرر لي في المسئلة والعلم امانة في عنق العلماء كما قاله ابن نجيم في البحر

وقوله صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا وهكذا الخ قال الامام الابي في شرح صحيح مسلم في هذا الحديث الارشاد الى تقريب الاشياء بالتمثيل وهذا الذي قصده صلى الله عليه وسلم ولم يمنع ذلك لاجل ما وصفهم به من الامية لا يحسبون ولا يكتبون لانهم لا يجهلون الثلاثين والتسع والعشرين مع ان التعبير عنها باللفظ اخف من الاشارة المصكرة

وأما وصفهم بذلك سدا لباب الاعتداد بحساب المنجمين الذي تعتمد العجم في صومها وفطرها وفصولها وفي هذا الحديث اعتبار الاشارة في الاحكام وانها بمنزلة النطق في الطلاق والبيع والوصايا وغير ذلك، وفيه صحة طلاق الالبكم واقراءه وشهادته وحده للقذف اذا فهم منه القذف نص على جميع ذلك في المدونة اه اقول مذهب اصحابنا الحنفية في الاشارة فيها تفصيل اما الاخرس وهو الالبكم فقد قال ابن نجيم في الاشياء الاشارة من الاخرس معتبرة وقائمة مقام العبارة في كل شيء من بيع وهبة ورهن ونكاح وطلاق وعتاق وابراء واقراء وقصاص الا في الحدود ولو حد قذف فلا تثبت بالاشارة وكذلك الشهادة فانها لا تقبل وما يمينه في الدعاوي ففي ايمان خزائن الفتاوي وتحليف الاخرس ان يقال له عليك عهد الله وميثاقه ان كان كذا فيشير بنعم قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام والمراد باشارته التي يقع بها طلاقه الاشارة المقرونة بتصويت منه لان العادة منه ذلك فكانت بيانا لما اجمله ثم انهم اختلفوا في ان عدم القدرة على الكتابة شرط للعمل بالاشارة والمعتمد عدم الاشتراط نعم لا بد في اشارة الاخرس من ان تكون معهودة منه والالم تعتبرها هنا فروع لم ارها الا في الاول اشارة الاخرس بالقراءة وهو جنب ينبغي ان تحرم عليه اخذا من قولهم ان الاخرس يجب عليه تحريك لسانه بها فجعلوا التحريك قراءة، الثاني علق الطلاق بمشية اخرس فاشار بالمشية بنفي الوقوع اوجود الشرط الثالث لو علق بمشية رجل ناطق فخرس فاشار بالمشية بنفي الوقوع ه وبحث الفاضل الحموي في الفرع الاول بقوله في الاخذ من ذلك نظر لان جعلهم التحريك قراءة تكليف بالقراءة بحسب الامكان في باب العبادات ولذا قالوا الاقرع يجري الموصى على راسه وان لم يكن بها شعر في باب الحج تكليف بالخلق بقدر الامكان في باب العبادات ولم يعهد مثل ذلك في باب المحرمات اه يعني ومثلتنا من باب المحرمات لا من باب العبادات وأما غير الاخرس فان كان معتقلا

اللسان ففيه اختلاف والفتوى على انه ان دامت العقلة الى وقت الموت يجوز اقراره بالاشارة والاشهاد عليه ومنهم من قدر الامتداد بسنة وهو ضعيف وان لم يكن معتقل اللسان لم تعتبر اشارته مطلقا لا في الحدود ولا في غيرها الا في اربع - الكفر والاسلام والنسب والافتاء. كما تنقيح الحامدية ويزاد اخذا من مسئلة الافتاء بالراس اشارة الشيخ في رواية الحديث واما الكافر والطلاق اذا كان تفسيرا لمبهم كما لو قال انت طالق هكذا واثار ثلاث وخص الثلاث اما لو قال انت طالق واثار ثلاث لم يقع الا واحدة واما لو قال انت هكذا مشيرا باصابعه ولم يقل طالق فقال في الاشياء لم ار فيه نصا قال الفاضل الحموي في حواشيه قال بعض الفضلاء يجب ان لا يقع شيء ولو نوى الطلاق لان اللفظ لا يشعر به والنية لا تؤثر بدون اللفظ اه وانما لم يقع الا واحدة في قوله انت طالق واثار ثلاث لفقد التشبيه بالعدد قال الفاضل القهستاني في شرح النقاية لانه كما لا يتحقق الطلاق بدون اللفظ لا يتحقق عدده بدونه ايضا اه واما ما نقله الحموي عن بعض الفضلاء وهو خير الدين الرملي فقد بحث فيه في رد المحتار اذ قال ورأيت به خط السامحاني مقتضى ما في الحاشية من قوله ولو قال لامرأته انت ثلاث قال ابن الفضل اذا نوى يقع انه يقع في مسائلنا اذا نوى قال الفاضل الرحمتي لان الظاهر ان هكذا مثل قوله ثلاث قال في رد المحتار لان كلا منهما مرتبط بلفظ طالق مقدر وقول خير الدين الرملي ان اللفظ لا يشعر به ممنوع وتماه فيه. ثم على مقتضى ما ذكره الابي في شرح صحيح مسلم من ان الحديث فيه الارشاد الى اعتبار الاشارة كالنطق يرد على اصحابنا الحنفية الاشكال بانكم قد خالفتم ما دل عليه الحديث من عدم اعتبار اشارة الناطق مطلقا الا في المسائل المستثناة فما وجه ذلك وما وجه استثناء تلك المسائل وما وجه عدم اعتبار اشارة الاخرس في الحدود ولو حد القذف ؟ فالجواب عنه اما عن المخالفة فبالمنع وذلك لان الحديث ورد مورد التشريع والتعليم فهو من قبيل الفتوى وقد علمت استثناءها فلا يدخل فيه ما كان من غير ذلك القليل حتى يكون مرشدا الى اعتبار الاكتفاء بالاشارة في غيره. واما عن استثناء تلك المسائل فاما عن الكفر والاسلام فللحديث الذي رواه في شرح الشافعية ان جارية اريد اعتاقها في كفارة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها اين الله فاشارت الى السماء فقال اعتقها فانها مسلمة نقله الفاضل الحموي في حواشي الاشياء. واما عن الافتاء فقد قال في مجمع الفتاوى انما اعتبرت الاشارة فيه لان جواب المفتي ليس بحكم متعلق باللفظ انما اللفظ طريق معرفة الجواب عند المفتي واذا حصل هذا المقصود استغنى المفتي عن اللفظ كما لو حصل الجواب بالكتابة بخلاف الشهادة والوصاية فانهما يتعلفان باللفظ. والاشارة انما تقوم مقام اللفظ عند العجز عنه اه وأما عن النسب فلان الاشارة يفهم منها المقصود في الجملة وانه يحتاط في اثباته ولذا اثبتوا نسب ولد المشرقي من المغربية ومثله امان الكافر فانه يحتاط فيه ايضا فكان اعتبار الاشارة فيهما الاحتياط. واما عن الطلاق فلانا قلنا باعتبار الاشارة حيث وقعت تفسيرا للفهم لا وحدها قال الامام الزيلعي في التبيين ان الاشارة بالاصابع تفيد العلم بالعدد عرفا وشرعا اذا اقترنت بالاسم المبهم. واما عن عدم اعتبار اشارة الاخرس في الحدود مع ان اشارته صحيحة شرعا فلان الاشارة لا تخلو عن احتمال وهو شبهة والحدود تدرأ بالشبهات صرح به ارباب كتب المذهب في ابواب الحدود لقوله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ما استطعتم وهذا الدرء كان رحمة من المولى الكريم انزله على لسان رسوله الرؤف الرحيم عليه منا افضل الصلاة وأزكى التسليم .

التشريع الاسلامي

معنى دين الاسلام وشريعته - ما نتمايز به الاديان - المقصد من الارسال
حكمة التدريج في التشريع - الاحكام الشرعية اهي مؤبدا ام موقته

بقلم العلامة الكبير فضيلة الشيخ محمد العزيز
جعيط الملقى المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

دين الاسلام وشريعته

قد تواطأت كلمة المسلمين على اختلاف طوائفهم وتباين منازعهم تواطأ هجم على ربات الجبال في قصورهن وبلغ الرعاة في شغف الجبال ان دين الاسلام وشريعته جملة اعتقادات وءاداب وطاعات واحكام متلقاة من المرشد الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فما دعا اليه عليه الصلاة والسلام من لا اعتقادات التي يظاهرها الاحلام الراجحة وينصرها التدبر الصادق مما يفضي الى معرفة الله عز وجل او يكشف عما هو متوار بحجاب الاستتار من احوال الآخرة وما جاء به عليه الصلاة والسلام من الاداب القيمة المزكية للنفوس والصادقة عن الانغماس في حمأة الرذيلة وما امر به من الطاعات سواء في ذلك ما تجلت حكمته وما دق امره وما شرعه من الاحكام اللاحقة باحوال الحياة كل ذلك امسمى دين الاسلام وشريعته ويشهد لكون الاحكام من الدين قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فجعل اقامة الحد من دين الله وقوله صلى الله عليه وسلم (في حديث الصحيحين في بيان الايمان والاسلام والاحسان) فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم فسمى الجميع ديناً وما معنى الايمان بالرسول والتصديقهم في الارسال وفيما جاءوا به ومن جملة ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام الاحكام اللاحقة باحوال الحياة

ما نتمايز به الاديان

الاديان والشرائع وان تعددت واختلفت بتعدد الارسال الا انها مرتضعة افلويق الوفاق فما يتطلع الى الاعتقادات المتعلقة بالربوبية واحوال الآخرة والى الاخلاق الفاضلة وانظر الى دعوهم لعبادة الله كيف اتحدت وفي القرآن من ذلك انموذج عظيم ولتواطئهم في الاعتقادات على شيء واحد امر الله نبيه بالاقتداء بهداهم فقال بعد ان ذكر جماعة من المرسلين اولئك الذين هدى الله فهداهم اقتده

اما الاحكام وكيفية العبادات فهي التي ربما تختلف فيها كما يرشد اليه كتاب الله فيما قصه علينا في حق عيسى عليه السلام فقال جل ثناؤه (ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) ويفصح به قول الله تعالى في وصف النبي الامي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) اي يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم ويضع عنهم الثقل والشدائد التي كانت عليهم كقتل النفس في التوبة وقطع اثر النجاسة وقال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

المقصد من الارسال

المقصد الاسمي من الارسال والفائدة له نفخ روح الاعتقادات الطاهرة في ارجاء الصدور والتجميل بصيغة الاخلاق الفاضلة والتلقين لما يقرب الى الله تعالى زلفى من الطاعات وتقرير الاحكام المتعلقة باحوال الحياة يشهد لذلك قوله تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقد علمت مسمى الدين فيما سلف وقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) اي القرءان والسنة ومن جملة ما تضمنه العقائد والاخلاق والقواعد العامة والاحكام الجزئية ولو لم يكن من مقاصد الارسال ما وقع الامتنان به ومثل ذلك قوله تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة الآية ولهذا اخذ النبي صلى الله عليه وسلم العهد على الوفاء في الاعتقادات والاحكام والاداب فقال (كما في صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه) يايعوفي على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا بهتان فتقرونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف فبايعوه على ذلك

حكمة التدريج في التشريع

الارسال وان تضمن فوائد حجة للعباد بيد ان المرسل به ورد في الاكثر على سبيل التدريج وبحسبك نزول القرءان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول ما بعثه الله بمكة وهو ابن اربعين سنة الى ان توفاه اليه بالمدينة فكانت مدة نزوله عليه عشرين سنة او ثلاثا وعشرين على حسب الاختلاف في سنه عليه الصلاة والسلام والحكمة في ذلك التيسير على الناس وتيسرهم لقبول ما يرد عليهم فان النفوس اذا صقلت مرءاتها بالاعتقادات الطاهرة وتشبعت من الاخلاق الفاضلة وارتاضت بالطاعات لربها مرت على الاتمار لاوامر مرشدها والاتباء عن نواهيها وفي ورؤد ذلك دفعة واحدة خرج الفصل عن المألوف جملة والتباعد عن المعتاد بفترة فكان من اللطف بالعباد والرحمة لهم ان تلقوا ذلك في ازمة متعددة لم يشعروا فيها بثقل التكليف ووقر الاحكام وعلى هذا السنن وردت

الشرعية السمحة فكانت مנהلها عذبة سائغة للشاربين وما خرج صلى الله عليه وسلم من الحياة الدنيا حتى ضرب الدين بعطن وكملت احكامه قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا

والتدريج في الشريعة من الله تعالى كما رايت اما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرض عن التبليغ وما كان ليصده عن الضرب به بين ظهرانيهم توقع الاعراض ولا خيفة النفور من العباد وقوفا عند امر الله تعالى القائل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس والقائل فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

الاحكام محمولة على التاييد

الاحكام الموحى بها الى النبي صلى الله عليه وسلم محمولة على الدوام اعتبارا بالظاهر منها ولا يرفع ذلك الا ورود ما ينسخها بوحى من الله تعالى وقد انعقد على ذلك اجماع الكافة واشتهر اشتهاها استوى في العلم به خاصة الناس وعامتهم حتى حكى القاضي عياض في الشفا الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديث مجمع على ثقله مقطوع به مجمع على حمله على ظاهره اهـ. ومق مست الاحكام يد التغيير بغير طريق الشرع لم تنسب الاحكام الجديدة للشرعة وانما تنسب لمغيرها كحالة القوانين الوضعية ومما يزيد ذلك اوضاحا ويترك الشبه تضائل حوله افتضاحا ان الشرائع ما تعددت الا باعتبار تغير الاحكام فالشرعة الموسوية مثالا لم تنسب لموسى عليه السلام الا باعتبار الاحكام المتغيرة عن حالتها في الشرائع التي بين يديها اذ لا اختلاف بين الشرائع في غير الاحكام والطاعات كما علمت ولهذا كان الانبياء المبعوثون لتعليم شريعة سالفة وحيائها لا تنسب اليهم تلك الشريعة وانما تنسب لمن شرعها اولا بامر ربه كانباء بني اسرائيل المبعوثين بشريعة موسى عليه وعليهم السلام فتغير الاحكام يوجب ان يكون ذلك شريعة اخرى غير الشريعة المتقدمة على ان الاحكام لو كانت مشروعة اعتبارا بما يناسب الاحوال الحاصلة وقت ورودها حتى يلزم تغيرها بتغير تلك الاحوال لنبه على ذلك الشارع رفعا للبس وحماية من الوقوع في مهاوي الضلال كما بين ان النهي عن ادخار لحوم الاضاحي لحالة عرضت وهي الدابة التي نزلت المدينة واذ ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عن بيان هذا صفحا فمن انبانا ان مشروعية تلك الاحكام باعتبار الاحوال العارضة حتى تحدثنا انفسنا بامكان تغييرها شرعا وانظر انكار الصحابة على مروان بن الحكم لما قدم الخطبة في العيدين على الصلاة في خلافة معاوية رضي الله عنه ولم يصغ الى ما تعلل به من تغير الاحوال

ولو كانت الاحكام تتغير بتغير الاحوال ما صح الوعد بالجنة لمن قرأ القرآن واحل حلاله وحرم حرامه ولا امر الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولا نهيه عن المحدثات مع ان الاحاديث في ذلك كثيرة اخرجه الترمذي وابن ماجه وابو داود والطبراني وغيرهم

حكمة الصوم والحج

بقلم العلامة الكبير مفخرة المغرب الشيخ محمد
الحجوي مندوب المعارف بالحكومة الشريفة

ان الله شرع للمسلمين شرائع عالية تهذيباً لهم وتدريباً ، ورياضة على الاخلاق العالية كالصوم
والحج والزكاة وغيرها

ان الصوم شرعه الله والنبي صلى الله عليه وسلم بعث في جزيرة العرب القاحلة الكالحة بشمسها
وغليان رمالها ففرض عليهم صوم نصف سدس السنة قبلوا وامتلوا وضحوا بنصف سدس عمرهم
لا يتمتعون فيه بحرية في اكل ولا شرب ولا نوم ، هجروا ملذاتهم على ضلالة الملذات ونزرة نعيم الحياة الدنيا
في تلك الارض الجرداء العطشى ، تدريباً لهم ان يتأبوا للاسفار الشاقة كي يصبروا على لاوائها ويزهدوا
في ملذاتهم لينالوا الشرف الاعظم وليتدقوا ما يقاسيه الجائع من فقر او غربة ليواسوه ولا يتركوه
عرضة الهلاك ولذلك اوجب عليهم الزكاة والكفارات ليجدوا صندوق احتياط لديهم يواسوه منه ، ويستل
من البخل رغم انه . لذلك كان عثمان بن عفان الخليفة الثالث يخطب الناس في رمضان يامرهم
بإخراج زكواتهم مواساة للفقراء والضعفاء وذوي الاستحقاق

كما ان للصوم فوائد اخرى ادية صحية يتفقع بها الجسم لا سيما ذوو الثراء والتعم وذلك معلوم
من قواعد الصحة مشهور لدى غير المسلمين فاحرى عند المسلمين ولذلك كان الصوم موجوداً عند كل
الامم او جلها غير المسلمين وقبل الاسلام كما قال تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
الآية غير انه لم يكن مدة شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن

ان المسلمين فرطوا في اكثر الشرائع التي اكرموا بها ولم يعرفوا لها قيمة في متأخر الازمان
كما هو مشاهد الا الصوم والحج

لاي شيء تحافظوا عليهما . . . ؟

تحافظوا عليهما لما يعلمون انهما رياضة على التضحية بل على اعلى انواعها وهي التضحية النفسية
في الصوم يضحي الانسان بما به قوام حياته الخاصة وملذاته الشهوانية من تمتع باكل وشرب
وراحة ونوم ونكاح ومقدماته بل حتى بالتفكير في مقدماته فهم يروضون انفسهم على هذه العبادة الشاقة
نعم المتناهية في ذلك في كل الفصول سواء برد الشتاء وزمهرير الثلج او قبط الصيف وضيق النفس
من لاوائه او نعيم الربيع وازهارة والخريف وثماره

ولقد بقي المسلمون محافظين على هذه الشريعة باعتبار المجموع واغلب كل امة مند ثلاثة عشر

قرنا ونصف لم يفعلوا فعل الامم قبلهم التي ادخلت على صيامها انواعا من التغييرات حتى انعدم عندهم تقريبا الا ماشد وهكذا تحافظوا على هذه الشريعة العظيمة الفعل في التهذيب حتى من لم يكن يصلي ولا يفعل شيئا من شعائر الاسلام تجده محافظا كل المحافظة على الصيام، لم تستهوه المدنية العصرية وما يرونه عند الامم الاخرى من الاستهتار في اتباع الشهوات والتفنن في الملبذات واختراع الفتاوي والبهت في الدعاوي وتقنين قوانين سفسطائية يسقطون بها هيئة الديانات والتمسك بشرع السموات مع ما يظهر كل حين من بهرجة الحياة والرقي في انواع البذخ واستجلاب اصناف الراحة كل ذلك لم يؤثر على افكار مجموع الامة الاسلامية والله الحمد، فترى الجمهور يستقبل هذا الشهر العظيم شهر الرياضة والشفقة والرقي الروحي بابتسام حقيقي وفرح جدي لا تصنع فيه ولا تفاق باتم فرح واكمل سرور فيهجرون فيه كل حرية نفسية ويمتلئون الاوامر القدسية وبعبدون الله وهم فرحون مسرورون مع انهم في الحقيقة متالمون لكن لا يحسون بالم ولا يتوجعون او يتفجعون بل بالعكس يتنعمون لانهم يعلمون انه تدريب لهم على التضحية كالتدريب على الخدمة العسكرية عند المتمدنين، لذلك كان اعظم غزاة ظهر فيها الاسلام وقعت في اول رمضان شرع فيه الصيام في السنة الثانية، ان المسلمين يعلمون انهم بالتدريب على الصيام امكن لسلفهم في مدة اثنتي عشرة سنة ان يبلغوا من المدينة المنورة الى الحدود الهندية والصينية شرقا والى طرابلس الغرب غربا والى سواحل البحر المتوسط والبحر الاسود والى السودان المصري فهذه هي الخريطة الاسلامية التي تركها لهم عمر بن الخطاب وبلغها بعد نبينا عليه السلام هو والخليفة قبله في مدة نحو اثنتي عشرة سنة بدون طيارة ولا مدفع ولا دباب ولا غواص ولا اسطول ولا سكة حديد ولا سيارة ولا سلك ولا لاسلكي وانما هو الايمان مع الارتياض على التضحية، وتحمل كل رزية، كان العربي يركب فرسه ويحمل شيئا من دقيق الشعير المقلل وجرة ماء يقطع الفيافي ويحارب الشمس والمطر والثلج والوعر والوحش بالصبر والرياضة والايمان وهكذا هو الحج ايضا رياضة على السفر الى مسافات شاسعة ثم عند الوصول لمكة المشرفة يروض نفسه على ان يتساوى مع الناس كلهم في الشارة واللباس سواء الملوك والسوقة وفي المجالس ويتخالط المسلم مع اخيه سواء كان اسود او احمر او اضر او ابيض ليكمل كل واحد ما يراة من النقص في الجنس الآخر بالارشاد والامداد ويعرف احوال العالم الاسلامي كله ويتنازل عن انانيته ان كان عظيما فينزل الى التسوية والى الديموقراطية الحقيقية

ويتنازل عن حريته فلا يقف في عرفاء او مزدلفة الا في محل كذا ويرمي الاحجار في محل كذا بالخصوص متساويا مع غيره ويروض نفسه على ان يفخها ويتادب فيسميها حجرا مثلا وهكذا افعال الحج والعمرة لها حكم يضيق الوقت عن استقصائها، ولعل في هذا التنبيه بيانا لياقها ٣

وبهذا يتبين وجه المحافظة على ابقاء الحج بالشهر العربي. والصوم كذلك لتكون رياضتهما متاتية في الفصول كلها

حتى ان يوم اول رمضان واول شوال واول ذي الحجة ابقاء المسلمين على حاله كما كان في زمن النبوة يعتمد فيه رؤية الهلال ولا تقلد منجما ارشادا لنا الى الديموقراطية العجيبة يتساوى فيها طبقات الامة المنجم وغير المنجم وكل واحد يمكنه ان يشاهد الهلال ولا يقلد فيه ولا يجعل المنجم أريستوقراطية (اومسولينية) ومن يضمن لنا عدم غلط المنجم وفي ذلك تدريب للامة على التفكير والنقد واعطاء السراي والاحتماد وبذل المجهود واطهار الاعتناء بهذه الشعائر الهامة ولنضرب مثلا

اذا اجتمع مغربي وتونسي تجدهما يتذاكران بتمام الحرية والصفاء ويتدربان على تبادل الاراء بانصاف عقب رمضان

المغربي مثلا يقول لاخيه التونسي عجب كيف تتقدمون قبلنا كل سنة (١) بيومين كاملين في خصوص شعبان ورمضان وشوال دون بقية الشهور لاي شيء يا اخي نختلف ونحن امة واحدة وجنس واحد ولغة واحدة ودين واحد ومذهب واحد (لان الهلال الامر فيه بتونس للمالكية) وثقافة واحدة ووجهة واحدة وان التفاوت في خصوص الشهرين بيومين كاملين لا يخلو من مغزى دقيق تريدون ان تتقدموا علينا في كل شيء . ام تظنون ان بيننا من البعد ما يوجب هذا الفرق ؟ كلا فليس هناك ما يوجب . نعم لو كان يوم واحد لاحتمل ولكان في السنة كلها . لكنه يومان وفي شهرين فقط وفي الغالب تتقدمون على الشرق والغرب معا ولا يعضدكم الفلكيون فما اتم في هذين الشهرين تكونون اميريكين ثم يقع التدرج في الشهور شيئا فشيئا حتى يرجع الامر الى اتفاق . يا اخي اظن ان لكم حسبا يتقاضاه الشهود ان سبقونا فان لم يسبقونا حرموا . ان كان هذا فالواجب ابطال هذا الحبس لانه حبس يؤدي الى حرام . التونسي يجب اخاه في هدو ومجاملة كما هي سجيته المباركة . ويقول والله يا اخي لا يوجد هذا ولا ذاك ولا ذاك وانما الديموقراطية قد يبلغ فيها حتى تؤول الى اريستوقراطية . والشئ اذا جاوز حده استحال الى ضده . ان الشريعة جعلت للشهود حرية مالت الى ديكتاتورية . ياتينا الشهود فيقولون راينا الهلال فكيف نكذبهم ؟ فبقضى الامر بما يقولون ؟ فنسأل الله ان يمد قضاتنا بروح نقد نزيه يقدرون به على القبول والرد . وكل امة انعم منها النقد وقف رقيها بل صار الى وراء

المغربي : والله اني لانا لم اذا سمعت النقد من الاجانب في مثل هذه المسالة البسيطة التي صعب علينا ان نتفق فيها فكيف تفعل لو كانت عندنا مشا كل غيرنا الصعبة الحل

التاريخ

وزراء تونس قبل الحماية وبعدها

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

قبل التعريف بخطة الوزراء والقاهم في نظام الدولة التونسية على عهد الحماية الفرنسية وقبلها يستحب التعريف اولا بمعنى الوزارة في اصطلاح اهل النظر قديما وحديثا، فالوزارة معتبرة عندهم كجزء متمم للامارة لان الامير لا يقدر على مباشرة شئون الامة وتدير مصالحها بافراة فكان من المتعين ان يتخذ له وزيرا يستتبعه في التدبير ويشاركه في انفاذ أوامره ونواهي وكانت الوزارة في البدء وزارة تفويض ووزارة تنفيذ لاثالث لها قال في الاحكام السلطانية: وكانوا يشترطون في الوزارة ان يكون صاحبها من اهل الكفاءة فيما وكل اليه من أمري الحرب والخراج له خبرة بهما ومعرفة بتفصيلها، وحكي ان الخليفة المامون كتب في اختيار وزير فقال اني التمت لاموري رجلا جامعاً لحصال الميز ذاعقة في خلائقه واستقامته في طرائقه قد هذبته الاداب واحكمته التجارب ان اوتمن على الاسرار قام بها

التونسي : وانا كذلك اتالم من هذا النقد بالخصوص، واتالم جد التالم من وجود شيء ينينا يعبر عنه في قواميسنا بالخلاف ولا نجد عبارة اخرى تلتطف على اذاتنا فتجنب بها لفظ الخلاف لكننا امة افريقية وبلا لاسف اشتقت من الفرقة بلا خلاف وهي تشعر بالخلاف، ليتنا نجد مرادفا للفظ افريقية لا يدل على الفرقة وينعدم ينينا الخلاف

المغربي : نعم يا اخي الانصاف انك احببت الجواب القاضي على نقدي فان الشاهد هو الذي يقضي على القاضي، ولكن القاضي يجب عليه ان يعلم ان زرقاء اليمامة لم تترك ولدا واني اعلم ان المغاربة ليس عندهم الصحو الذي في اديم الحو التونسي الجميل الصقيل وليس عندهم ما عند التونسيين من الاعتناء بامر الالهة، ولم نسمع قط انه كان عندهم قاضي الالهة

ولكن هذا كله لا يعدو ان يكون الفرق يوما واحدا، اما فرق يومين في رجب وشعبان فذلك من البعد بمكان ولو عمل بهذا الاستعداد لكذب شهود رجب ثم شعبان وتفق في اول رمضان واني اسأل الله ان يؤلف القلوب ويقرب الافكار

وان قلد مهمات الامور نهض فيها يسكته الحلم وينطقه العلم وتكفيه اللحظة وتغنيه اللوحة له صولة الامراء واناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان احسن اليه شكر وان ابتلي بالاساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غدة يسترق قلوب الرجال بخلاصة لسانه وحسن بيانه اه. قال الامام الماوردي : اذا كملت هذه الاوصاف في الزعيم المدبر وقل ما تكمل فلصلاح بنظره عام وما ينط برأيه وتديره تام وان اختلت فالصلاح بحسبها يختل والتدبير على قدرها يعتل اه. هذا وقد جرى عمل امراء تونس منذ القديم باتخاذ وزراء لهم قياسا على غيرهم من ملوك الاسلام في الشرق والغرب فمن مشاهير وزراء الدولة الاغلبية نصر بن الصمصامة حاجب الامير ابراهيم بن الاغلب الثاني واشتهر في الدولة الحفصية الوزير البربري احمد بن تفرحين في المائة الثامنة وكان من أدهى أهل زمانه. وفي عهد حكم الاتراك اشتهر الوزير الحاج علي ثابت في ايام يوسف داي. كاشتهار الوزير يوسف خوجه صاحب الطابع في دولة الباي حمودة باشا الحسيني والوزير خير الدين في عهد المشير محمد الصادق باي ثم اعلم ان للدولة التونسية في الزمن الحاضر ثلاثة وزراء من التونسيين وثلاثة وزراء من الفرنسيين وهؤلاء الثلاثة يتولون خطة الوزارة بطريق الاصل وهم المقيم العام بصفة وزير للخارجية والجنرال القائد الاعلى للجيش الفرنسي بصفة وزير للبحرية والاميرال الوالي البحري ببنزرت بصفة وزير للبحرية وقبل التعريف بخطة وزراء كلا الشقين تتكلم على اصل خطة الوزارة بالبلاط الحسيني ومتى كان ظهورها بين الناس. فالبايات الاولون لم يكن لديهم في البداية متوظفون بلقب الوزراء بل كان لكل واحد من اصحاب الوظائف العالية بالبلاط المملوكي لقب خاص به. فكان المأمور الاسمي على رأس طائفة المأمورين السامين بالدولة هو صاحب الطابع يليه الباش كاتب الخزانة والباش مملوك. وقد اتفق لهم الجمع بين خططي صاحب الطابع والخزانة في شخص واحد كما كان الحال في زمن الوزير شاكر فقد كان قابضا على تينك الخطتين بيد من حديد وقد حفظ له التاريخ ذكرا خالدا في مقام الاقتصاد والاحتفاظ بمداخل الدولة رغم دسائس اعدائه ومكائد اضداده وهو أول من وضع ميزانية قارة للدخل والخرج تضمنت جباية ملكية للمولى حسين باشا باي قدرها خمسة الاف ريال في الشهر واليه ترجع مزية دفع الدين الذي ترتب يومئذ على الدولة بسبب سوء تصرف الوزير حسين خوجه باش مملوك وقدره ثلاثة ملايين الامر الذي اال بهذا الوزير للسجن وبيع مكاسبه لفائدة الدولة ومن ذلك خزانة كتبه المشهورة التي صارت بالتالي وقفا على طلبة العلم بجامع الزيتونة فأرباب الوظائف العالية التي ذكرناها كانوا في الحقيقة هم الوزراء لان البايات لقرب عهدهم بحكم الدايات ونظام حكومتهم هو الديوان المركب من الباشا والبناي والداي والآغ والكاهية كانوا يتحاشون عن اتخاذ أعوان لهم بعنوان وزراء بالعنوان الرسمي في اواسط القرن الماضي لسياسة لهم في ذلك نحو سلاطين آل عثمان ولما تأتى لهم اتخاذ الوزراء بالعنوان الرسمي في اواسط القرن

الماضي كانوا لا يتجاهرون بذلك في مخاطبتهم مع الباب العالي وأول من خلع هذا القيد هو المشير محمد الصادق باي عند توحيه للوزير خير الدين في طلب فرمان الولاية اثر صعوده على العرش الحسيني في سنة ١٢٧٦ قال المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف عند ذكر هذا الحادث : قال لي (الباي) نقصت من مقام خير الدين حيث لم تصفه بوزير البحر فقلت له هذه عادتنا في مكاتب الدولة العلية فقال لي انه لم يتقدم ارسال وزير فقلت اني سلكت طريق الادب مع الحضرة السلطانية لان السلطنة تخاطب سيادتكم بالوزير وانى للوزير ان يكون له وزير وفي مجاري العرف ان الوزير من خواص سلطة الاستقلال فقال لي لم نحقر انفسنا ونحن في عين الناس عظماء وان قصل الفرنسيين يسلم لي الاستقلال الى ان قال وأمرني باعادة المكاتب فاعدتها بزيادة لفظ الوزير اه .

واعلم ان أول وزير سمي رسميا بهذا اللقب هو وزير العمالة مصطفى خزندار في عهد المشير أحمد باي الاول ولكن المؤرخين ومن هذا حذوهم من الكتاب وخاصة اهل الدولة واهل العلم كانوا يطلقون لقب الوزير على رجال البلاط وينعتونهم بذلك لان الوظائف المباشرين لها كانت مطابقة لحطة الوزارة في العرف بين الناس وممن اشتهر بذلك اللقب في اوائل العصر الحسيني على عهد المولى محمد الرشيد باي وأخيه المولى علي باي الوزير اسماعيل كاهية والوزير رجب خزندار والوزير مصطفى حفصه كاشتهار الوزير يوسف خوجه صاحب الطابع في ايام الباي حمودة باشا والوزير العربي زروق والوزير حسين باش مملوك والوزير شاكير صاحب الطابع والوزير سليمان كاهية والوزيرين الاخوين محمد ومحمد ابني محمد الاصرم في دولة الباي حسين باشا بن محمود باي واهل تلك الطبقة من الوزراء بالصفة التي قررناها الوزير مصطفى صاحب الطابع صهر الباشا مصطفى باي . فلما آلت الدولة لثوبة المشير أحمد باي وهو من علمت في حب الظهور والتعالي والتدرج في الحكم المنطلق مع التعالي والطموح في مجارة الدول ذات الرسوخ في المدنية وذلك رغم فقر هذه البلاد وعجزها في زمنه عن مذاهب الاسراف والتبذير الامر الذي آال بها الى الافلاس في اواخر ايامه رتب خطط الوزراء التي دخل عليها وازاد لها وزراء اخرين منهم وزير العمالة الذي تقدم ذكره وهذه الحطة تقابلها خطة وزير الداخلية في الاصطلاح الاروباي ووزير البحر وكان يلقب قبل ذلك بامين الترسخانة ووزير الحرب وكان هو صاحب الزغاية ووزير الخارجية وكان هو ترجمانه والواسطة بينه وبين القناصل المنتصين بتونس ومن هذه الحطة تولدت خطة مدير التشريعات في الدولة الصادقية ولكن بعنوان اخر قاصر على الترجمة وترتيب اساليب القبول في بعض المواكب ثم عزز طائفة الوزراء بالوزراء الاكبر وابقاه على وزارة العمالة والحق بهم الدولاتلي وهو نفسه الداي ولقبه بوزير التنفيذ فكان اصحاب الخطط الويزيرية في دولة المشير احمد باي هم :

الوزير الأكبر - وزير العمالة - الخزندار - الباش كاتب - وزير الحرب - وزير البحر
وزير الخارجية - وزير التنفيذ

واتسعت من يومئذ الصبغة الوزارية من خطة صاحب الطابع ومن خطة الباش مملوك
واعلم ان اولئك الوزراء كانوا كلهم من طبقة المماليك حاشا الباش كاتب فانه كان من أهل العلم
ومن أبناء البيوت التونسية (١)

(١) كانوا ينتخبون صاحب هذه الخطة في الدور القديم من بين أهل العلم وكان الباش كاتب هو
الواسطة بين العلماء وبين الدولة وهذه الخطة عريقة في الدولة الحسينية وكانت موجودة ايضا في الدول
التي تقدمتها ولكنها تختلف عنها في التسمية فقط فكان الباش كاتب في عهد الدولة الحفصية هو رئيس
ديوان الانشاء وهذا اللقب كانوا ينعنون به في الدولة المرادية وفي اوائل الدولة الحسينية ايضا وكان من
وظائفه الرقابة على ضبط المجاني وحسابات الدولة وهذا هو الاصل في اقامته نائب عن وزير القلم في
هذا الزمان بادارة المال لتعقب حسابات العمال . اما الفضلاء الذين تولوا هذه الخطة في الدولة الحسينية
من أولها الى هذا الزمان فقد يسر الله لي جمع اسمائهم بعد عناء البحث الطويل واليك البيان :
ففي دولة المولى حسين بن علي تركي كان رئيس ديوان الانشاء والكتابة هو الشيخ الحاج
بلحسن السهيلي

وفي دولة الباشا علي باي الاول تولى تلك الخطة الشيخ عبد اللطيف السهيلي وقتل فتولاها بعده
الشيخ عبد الرحمن البقلوطي

وفي دولة المولى محمد الرشيد باي تولاه الشيخ احمد بن محمد الاصرم
وفي دولة اخيه المولى علي باي الثاني عاد لها الشيخ عبد الرحمن البقلوطي
وفي دولة ابنه الباي حمودة باشا باشرها الشيخ عبد الرحمن المذكور وخلفه في الخطة الشيخ
الحاج حمودة بن عبد العزيز فالشيخ محمد بن حسين الدرناوي فالشيخ محمد بن محمد الاصرم واستمر
على مباشرتها الى ان تولى مكانه اخوه الشيخ محمود الاصرم فكان هو الباش كاتب في دولة المولى
حسين باي الثاني

وفي دولة اخيه المولى مصطفى باي كان صاحب خطة الباش كاتب هو الشيخ محمد بن محمد الاصرم
وباشرها ايضا في اوائل دولة ابنه المشير الاول احمد باي وبقي على خطته مع الاقطاع عن مباشرتها
في بقية الدولة المذكورة وكذلك في مدة المشير الثاني محمد باي وتوفي في صدر دولة المشير الثالث
محمد الصادق باي سنة ١٢٧٧ وهذا الفاضل جمع بين عزة النفس وبين فصاحة القلم ورقة الادب ومن
شعره قصيدة فريدة تضمنت كثيرا من الرموز والاشارات لاحوال دولة متبوعه المشير احمد باي وهي
احدى خرائده الكثيرة التي نسجت عليها عناكب النسيان لانها لم تخرج من بطون الدواوين لعالم
النشر فقتطف منها ما به الحاجة هنا نقلا عن كناش للكاتب الاديب المرحوم الشيخ حمودة تاج ومطلعها :

الصبر مفتاح لكل ايساس فاصبر ولا تك للنصيحة ناسي
ومنها :

لهفي على ترشيش حتى قيل لي
ما في وقوفك ساعة من باس
فانقض صبري والتجلد مطمعي
فانجاب جنح الليل عن صبح الهدى
احيي السرور وزال وجه الباس
وان الضنين بها وبالاناس
تقضي زمام الاربع الادراس
جريا على حال بغير قياس
عن وجه احمد طيب الانفاس
وغدا الهناء لكل نادكاسي

وزیر الخارجية الذي كان من أبناء الجنس الطلياني ولكنه كان في حكم المماليك (١) ومن ذلك العهد اخذت تلك الخطط في التدرج نحو الصيغة الوزارية الحقيقية تبع لناموس التطور الطبيعي المستمد من التمدن الاوروبوي الذي كان يزداد يوما فيوما بهذه الديار من وقت استيلاء فرنسا على الجزائر في سنة ١٢٤٦ فكانت الدولة التونسية في عهد المشير محمد الصادق باي قائمة على أركان مئنة لها شبه من قريب بالوزارات في الدول المتقدمة حيث اقاموا الجانب كل وزير مستشارا يعضده في المباشرة ورتبوا اقسام الخدمة واحداثوا خطة وزير القلم في سنة ١٢٨١ اضيفت

وتسوجت ترشيشنا بمليكيها وازدات الدنيا بحسن لباس
واسود وجه عدوها حسداها وايض وجه صديقها الوئاس

الى ان قال :

يا احمد الميعون في حركاته يا ابن المكارم يا ابا العباس
العدل اس للدوام مصيرة والظلم بنيان بغير أساس
والنفس تأبى أن تضام جبلة فاكئل لها ما كتته للناس
والبيت لا يرسو بغير عمادة فاجمع اذا اوتاده بقياس
لا تصلح الدنيا ولا احوالها ما لم تكن أنت الطيب الاسي
واحذر مكائد كل من صاحبه واعمل بما قد قيل في الخناس
اني سبرت الخلق طرا اصبحوا فوضى بلا كيل ولا مقياس

ولما التحق الشيخ محمد الاصرم بالدار الآخرة في سنة ١٢٧٧ كما سلف ذكره بقيت خطة الباش كاتب بحال شغور الى سنة ١٢٨١ وفيها تقدم للخطة عن جدارة واستحقاق العلامة الشيخ محمد العزيز بوغفور من خريجي جامع الزيتونة ومن بيوت المجد وهو اول من تولى خطة وزير القلم في السنة المذكورة أحدتها لاجله المشير محمد الصادق باي لجعله في منزلة واحدة مع بقية وزرائه لان خطة الباش كاتب ادركها يومئذ الوهن والضعف بسبب ابتعاد صاحبها عن ساحة الدولة مدة تقرب من عشرين سنة فاصدر له الباي امرا بولايته باش كاتب وامراء اخر بولايته وزيرا للقلم ثم اضاف له وزارة المال ولقبه بعد ذلك بوزير الاستشارة ويعتقد كثير من اهل هذا العصر ان الشيخ احمد بن ابي الضياف تولى خطة الباش كاتب ووزارة القلم والحقيقة انه لم يتول الواحدة ولا الاخرى . نعم انه ترجع له مزية تهذيب اساليب ديوان الانشاء بالدولة لانه اول من امتلك بتونس كتاب نفح الطيب قالوا انه ابتاعه يومئذ بالف ريال ومائة ريال واستفاد منه وافاد وكان لقبه الرسمي كاتب سر الدولة واتفق له مباشرة خطة الباش كاتب بالنيابة في كامل المدة التي احتجب فيها صاحبها الشيخ محمد الاصرم لما كان عليه من حدة الطبع الامر الذي دعى سمو الباي للاعراض عنه ولكن المشير محمد الصادق باي تفضل عليه بلقب وزير وهذا اللقب بقي اسمه مقرونا به الى هذا الزمان . واما الاعيان الذين تقدموا لخطة الباش كاتب ووزارة القلم بعد الشيخ محمد العزيز بوغفور فقد ذكرنا اسماءهم بقائمة الوزراء في عصر الحماية

(١) هو أمير الامراء الكونت جوزاين رافو من بيوت المجد الطلياني التحق بالبلاط الحسيني في عهد المولى مصطفى باي وتدرج في المناصب العالية وقام بالمأموريات الهامة في دولة المشير احمد باي فكان وزيره للخارجية توفي بباريس في ٢ أكتوبر ١٨٦٢ ونقل جثمانه ودفن بتونس وخلفه في خطة الترجمة ابنه امير الامراء الكونت فيليكس رافو وتوفي في ١٩ اشتبر ١٨٧٢

الباش كاتب ليكون في صعيد واحد مع وزراء الدولة فهما خطتان اثنتان لا خطة واحدة جمعها سمو الباي محمد الصادق لأول مرة في شخص كاتب سره الشيخ محمد العزيز بوعتور واذاف له في سنة ١٢٩٠ لقب وزير الاستشارة وفيما بين ذلك قلده خطة وزير المالية في سنة ١٢٨٣ فكان وزيرا للمال بلا مال لان صناديق الدولة كانت يومئذ أفرغ من فؤاد أم موسى كما تفضل بلقب الوزير على كاتب سر الدولة الشيخ أحمد بن أبي الضياف ومات هذا اللقب مع صاحبه في سنة ١٢٩١ وأحدثوا تبعا لذلك خطة كاتب سر الوزير الأكبر (١) نيطت بعهدة امير الامراء الشيخ محمد البكوش وفي سنة ١٢٨٦ أحدث الباي خطة الوزير المباشر وهي خطة لها شبه من قريب بخطة الكاتب العام في عهد الحماية وسنعود للكلام عليها قريبا ثم أحدث الباي لقب وزير الشورى بعنوان الوزير محمد خزندار وأضاف لقب وزير استشارة لمستشار المعارف حسين المملوك وكلفه مع ذلك بالنافعة وهي الاشغال العامة وجعل للوزير المباشر المتقدم ذكره وهو المرحوم خير الدين حق النظر على كافة الوزارات واليك نص الامر العلي (٢) الصادر في تسميته مع بيان سلطته ووظائفه :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعالى اعماله وبلغه من ثمرات النجاح ءاماله الى من يقف على امرنا هذا من أبناءنا امراء الامراء اعيان الوزراء وأمراء الالوية وأمراء الالايات وقائمي المقامات وأمناء الالايات والبناشية وكافة الجنود العسكرية والقواد والمخازنية وسائر أولي الولايات فيما لنا من الجهات أصلح الله أحوال جميعهم وأجرى على نهج السداد جميع صنيعهم . اما بعد فاننا بمقتضى أمرنا المؤرخ بيوم التاريخ المتضمن ما ظهر لنا من المصلحة وهي جعل الوزارة الكبرى مركبة من وزارة العمالة والخارجية والمال والنظارة على وزارتي الحرب والبحر اولينا الهمام المفخم نخبة الاعيان وعمدة أهل المجد والشان أمير الامراء الوزير ابننا خير الدين بباشا خدمة الوزارة الكبرى تحت رئاسة جناب وزيرنا الأكبر ويلقب في خطابه ومحاطباته بالوزير المباشر فليقم بخطة علما بمقدارها متصفا بما يحمد من جميل اثارها وعلى سائر رجال دولتنا اعانة ابننا المذكور على خدمته وتيسير أسباب نجاحها والله ولي اعاته وتوفيقه الى نهج النجاح وطريقه . وكتب في ١٥ شواك المبارك سنة ١٢٨٦ اه

(١) خطة كاتب سر الوزير الأكبر في الدور القديم وقع الفاؤها عند ما نقض الوزير مصطفى خزندار يده من الوزارة الكبرى لان خلفه في الخطة الوزير خير الدين اعاد ترتيب الوزارات على قواعد جديدة في سنة ١٢٩٢ وجعل كتابة السر من مشمولات خطة رئيس القسم الاول وهكذا استرسل الامر في مدة الوزراء الاولين في عهد الحماية الى ان تولى الوزارة الكبرى المرحوم ابو النخبة مصطفى دقزلي فاحيا تلك الخطة واسندها لكاهية رئيس القسم الاول وهو السيد مصطفى صفر شيخ المدينة الحالي .

(٢) احتوت مكتبتنا ضمن ما لدينا من الوثائق التاريخية على عين المرسوم الملوكي الصادر بولاية الوزير خير الدين خطة الوزير المباشر

فكان للدولة التونسية في سنة ١٢٨٦ ثماني وزارات منوطة بمن يأتي ذكرهم
 الوزير الاكبر - الوزير المباشر - وزير العمالة - وزير الخارجية - وزير القلم وباش
 كاتب - وزير المال - وزير الحرب - وزير البحر
 ويستفاد من كتاب صفوة الاعتبار ان اربعة من هذه الوزارات كانت يومئذ بيد الوزير مصطفى
 خزندار قال في صفحة ٢٣ من الجزء الثاني عند التعرض لذكر مرتبات هذا الوزير

مرتبه على الوزارة الكبرى	١٤٠.٠٠٠
مرتبه على وزارة العمالة	٦٠.٠٠٠
مرتبه على وزارة الخارجية	٦٠.٠٠٠
مرتبه على وزارة المال	٦٠.٠٠٠
مرتبه على نيشان ءال البيت الحسيني الذي هو حامل له	٦٠.٠٠٠
الجملة ريات	٣٨٠.٠٠٠

وهذا المقدار يساوي نحو المليونين ونصف من الفرنكات بصرف هذا الزمان، ثم الغيت خطة
 الوزير المباشر بدسائس من كادهم امره بالبلاط الصاقي
 هذا ما يتعلق بنظام الوزراء قبل الحماية، وستحدث في العدد الاقي ان شاء الله عن نظام الوزراء
 من عهد الحماية الى اليوم.
 محمد بن الحوجة

المعروف

المعروف هو الصفة التي رغب فيها رسول رب العالمين قال عليه الصلاة والسلام كل معروف
 صدقة وانما يختار له محله الذي هو اهل له . قال خالد بن صفوان : لا تضمن المعروف الى ثلاثة :
 الفاحش والثلثم واللاحق فاما الفاحش فيقول : انما صنع هذا (٣) اتقاء لفحشي ، واما اللاحق فلا
 يعرف المعروف فيشكره ، واما الثلثم فكالارض السبخة لا تنمر ولا تنمي . فاذا (٤) رايت السري
 فدع المعروف (٥) عنده واستحصد الشكر ، وانا لك الضامن .

الشرف الحسيني والحسيني

وجد بالقيروان من أواسط الدور الاغلي

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد
احد اعيان العدول بمدينة القيروان

يوجد الى اليوم بمقبرة قرش المعروفة سابقا بالمقابر الغربية والآن بالحناح الاخضر قبران متلاصقان يعرفان الى اليوم بقبري الحسين عليهما عمود من الصخر الايض مكتوب عليه (١) بالخط الكوفي المحفورة حروفه الدال على انها كتبت في أواسط وأواخر الدور الاغلي غير انه لا يوجد به تاريخ وفاة احد الاخيرين ومع ذلك فهو ادل دليل على ان وفاتهما كانت في اواخر المائة الثانية للهجرة وبكل تقدير لا يمكن ان تكون بعد المائتين والخمسين لانهم لم يستعمل عندهم في ذلك العصر ذكر تاريخ الوفاة على القبور ولو لمشاهير الرجال مع شهرة تلك القبور وامكنتها وزيارة الناس لها الى اليوم وها هي قبور اشهر مشاهير الرجال موجودة الى اليوم ولا كتابة عليها كقبر ابراهيم بن الاغلب بن سالم التميمي اول ولاة بني الاغلب لبني العباس ولاة الرشيد العباسي اماراة افريقية سنة ١٨٤ ووفاته سنة ١٩٩ وقبرة بمقبرة باب نافع معروف الى اليوم مشهور عند جميع الناس حتى الصبيان وكذا يقال في قبر سحنون الذي لم يوضع عليه الى اليوم ما يشعر بوفاته عام ٢٤٠ مع شهرته النادرة المثال واعتناء الناس بزيارته الى اليوم وكذا يقال في قبر ابنه محمد وحفيده الذين اقام سؤدد العلم بدواهم مائة ونيفا وعشرين سنة الى غير ذلك من مشاهير العلماء والتابعين

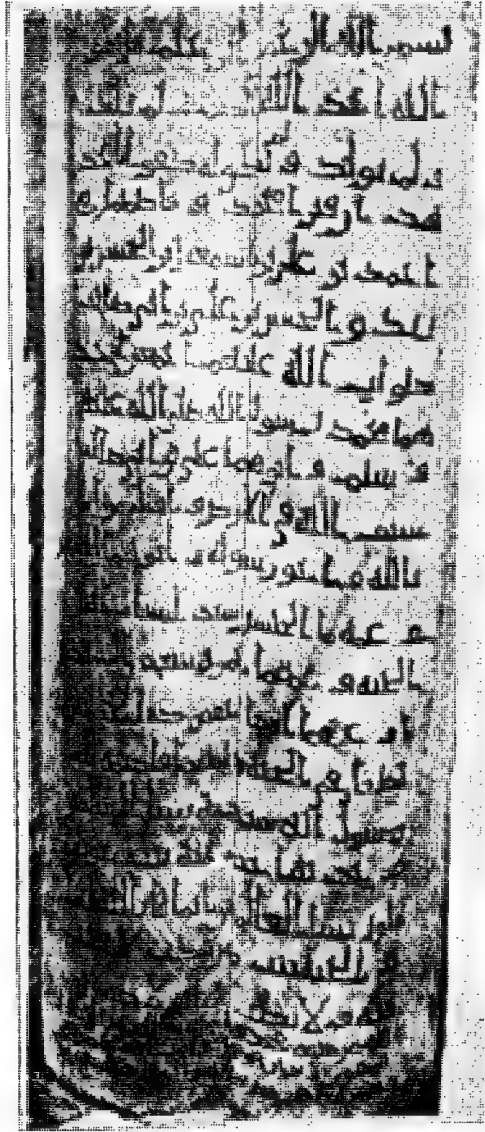
وانما حب الناس عموما في آل البيت دعا الناس لتشهير هذين الحسين الصميمين فجعلوا هذا العمود على قبريهما والتويه بآل النبي صلى الله عليه وسلم الا كرمين وذكر خصائصهم الواردة في السنة ولا حاجة تدعوهم لذكر تاريخ الوفاة

وهذا لا يحملنا على اهمال معرفة وفاتهما ولو على سبيل التقريب والقياس وذلك بعدة طرق منها انا اذا عملنا بالقاعدة المعمول بها من كثير في مثل هذا الشأن - ونسبت لابن خلدون - وهي ان القرن اعني المائة سنة بثلاثة احيال ، وعددنا الابهاء بين هذين الحفيدين وجدهما سيدنا الحسن السبط رضي الله عنهم نجدهم من والدهما احمد لجدهما الحسن السبط ستة ابناء فيكونان موجودين في اواخر المائة الثانية من وفاة جدهما الحسن السبط رضي الله عنهم

وهناك طريق آخر وهو طريق القياس وربما جاء مؤيدا ومدعما لما تقدم وهو ان التاريخ حكى لنا ان من الملوك الادريسيين بمراكش محمد (١) بن ادريس (٢) الاصغر بن ادريس (٣) الاكبر بن عبد الله (٤) بن الحسن (٥) المثنى بن الحسن (٦) السبط ولي عام وفاته والده ٢١٣ وتوفي عام ٢٢١ ومثله الشريف الحسيني المشهور بابن طباطبا وهو محمد (١) بن ابراهيم (٢) بن اسماعيل (٣) ابن ابراهيم (٤) بن الحسن (٥) بن الحسين (٦) بن علي بن ابي طالب الذي قدم على المهدي العباسي فاجازة باربعين الف دينار وباعه الناس وقتل بمكة سنة ١٦٩

فاقتضت هاته الاقيسة وهذا التقدير ان هذين الحسينين توفيا قبل عام ٢٥٠ للهجرة واما الشرف الحسيني بالقيروان والكلام على السادة آل عوانة فسيبتع هذا بحوله تعالى

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم قل هو
- ٢ - الله احد الله الصمد لم يلد
- ٣ - ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد
- ٤ - هذان قبراً محمد وفاطمة ابني
- ٥ - احمد بن علي بن اسمعيل بن الحسن بن
- ٦ - ابي بكر بن الحسن بن علي بن ابي طالب
- ٧ - صلوات الله عليهم اجمعين جد
- ٨ - هما محمد رسول الله صلى الله عليه
- ٩ - وسلم وابوهما علي بن ابي طالب
- ١٠ - سيف الله في الارض واول من امن
- ١١ - بالله واخو رسوله وابوهما الحسن
- ١٢ - وعمهما الحسين سيدا شباب اهل
- ١٣ - الجنة وعمهما حمزة سيد الشهداء
- ١٤ - وعمهما ايضا جعفر ذا الجناحين
- ١٥ - الطيار في الجنة وامهما فاطمة بنت
- ١٦ - رسول الله سيدة نساء العالمين
- ١٧ - وجدتهما خديجة بنت خويلد
- ١٨ - اول نساء العالمين ايماناً بالله لها
- ١٩ - في الجنة بيت من قصب لا صخب
- ٢٠ - فيه ولا نصب هولاء صفوة
- ٢١ - الله من خلقه محمد فاهل بيته الطيبون
- الاخير
- ٢٢ - المتقون الابرار الذين اذهب الله عنهم الر
- ٢٣ - جس وطهرهم تطهير ارضي الله عنهم اجمعين



(٧) ذكر الصلاة هنا عوض قوله رضي الله عنهم دلنا على ان الكتابة في هذا العمود تاريخاً متأخراً عن تاريخ وفاة هذين الأخوين وذلك لان الصلاة على علي وماله انما حدثت من عهد العبيديين ويشعر هذا انه لما اتى ابو العباس الصنعاني اخو عبيد الله الميمني بجيشه لقتل يزيد بن ابي سفيان قائد ملوك بني الاغلب سنة ٣٩٦ وقر منة الاخير وحل بقصر ابراهيم بن احمد بن الاغلب بن قادة وجاءه اهل القيروان مسلمين عليه ولم يكن من بين علمائهم ابو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن احمد المولود بالقيروان سنة ٢١٩ والمتوفى بها سنة ٣٠٢ ارسل اليه ابو العباس ولما جاءه ناظره في عدة مجالس قال له في اولها انتم تبغضون علياً يا اهل المدينة (يعني الماكينة) فقال ابو عثمان علي مبغض علي لعلة الله والملائكة والناس اجمعين وكيف ابغض علياً وقد سمعت سحنون بن سعيد (شبهه الذي اخذ عنه) وهو امام اهل المدينة بالمغرب يقول علي بن ابي طالب امامي في ديني اهتدي بهديه واستن بسنته رحمة الله عليه فقال ابو العباس بل صلوات الله عليه قال ابو عثمان فرفعت صوتي وقلت ان الصلاة في كلام العرب الدماء وقتلت قال الاعشى تقول بنيتي وقد قربت مني تحلاً عليك مثلي الذي صليت فافتنمي

قال ابو عثمان ثم قلت نعم فصي الله على علي بن ابي طالب واحسن واحسن واكمل طاعة الله اجمعين من اهل السماوات والارضين الخ ما ذكره ابو العرب في طبقات علماء افر يقية

الفتاوى والأحكام

ورد على ادارة المجلة الاسئلة الآتية وقد اجاب عنها العالم الفاضل الشيخ علي النيفر المدرس المالكي من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة :

س (١) - ما قولكم في امام جمعة تأخر عن الحضور بالجامع يوم الجمعة حتى ايس من حضوره الجماعة وقرب وقت العصر فقدموا من بينهم من صلى بهم الظهر لعدم من يحسن الخطبة منهم وبفراغهم من الصلاة جاء الامام فهل يؤدون معه صلاة الجمعة ام لا ؟

(الجواب) ان هؤلاء الجماعة معذورون في تركهم الجمعة وادائهم لها ظهرا حيث كاد يخرج وقت الجمعة الاختياري ولم يكن فيهم من يحسن الخطبة اذ من المعلوم ان الخطبتين شرط صحة في صلاة الجمعة قال خليل عاطفا على شروط صحة صلاة الجمعة ما نصه - وبخطبتين قبل الصلاة مع تسميه العرب خطبة اه - وحيث زال عندهم بحضور من يحسن الخطبة وهو امامهم الراتب وجب عليهم اداء الجمعة معه ولو كان ذلك في وقتها الضروري الممتد الى الغروب لان وقت صلاة الجمعة هو وقت صلاة الظهر قال خليل ما نصه - او زال عنده - قال عبد الباقي في شرح هذه العبارة على طريقة المزج حسب عاداته ما نصه - (او زال) عمن صلى الظهر لعذر (عنده) ويدرك مع الامام ركعة فانها تجب عليه - اه

س (٢) - ما قولكم في واقعة حال صورتها ان هناك قرية لا تقام بها الجمعة يصلي اهلها الجمعة بقرية اخرى تبعد عنها نحو الاربعة اميال مات بعض اهل القرية الاولى يوم جمعة فرأى اهل قريته ان الاولى الاشتغال بمؤون تجهيزه ودفنه وان كان ذلك مؤديا بهم الى ترك صلاة الجمعة لانهم اذا أخروا ذلك الى ما بعد صلاة الجمعة تأخر امر الجنائز الى ما بعد العصر وربما لم يفرغوا منه الا مع الغروب واراد امام قرية الجمعة تأخير امر الجنائز الى ما بعد صلاة الجمعة ليتسنى الجمع بين الفضيلتين وتنازع الفريقان في ذلك فما وجه الصواب في هذه القضية

(الجواب) ان ما رآه اهل القرية من المبادرة بتجهيز الميت المؤدي الى تركهم صلاة الجمعة هو الحق سواء خيف على الميت التغير بسبب التأخير ام لم يخف عليه ذلك اما في الصورة الاولى فلقول حافظ المذهب ابن رشد - ومما يسح التخلف (اي عن صلاة الجمعة) الاشتغال بجنائز ميت ينظر في امرة اذالم يجد من يكفنه وخشي عليه التغير ان اخره لصلاة الجمعة اه - اما في الصورة الثانية فلقول الامام ابن الحاج في المدخل (ويصلح ان يكون دليلا للصورة الاولى ايضا) ما نصه قدوردت

السنة ان من إكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه وكان بعض العلماء يحافظ على السنة اذا جاءوا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر اهله ان يخرجوا الى دفنه ويعلمهم ان الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبه على البدعة اه. قال العلامة الاجهوري ما نصه - ظاهر المدخل ان السنة ما ذكر حيث دخلوا به وقت الخطبة وان لم يخش تغيرة ولا خشي عليه الضياع اه فاذا كان تاخير دفن الميت بمقدار صلاة الجمعة بدعة يتحاشى عنها فتاخيرها الى الغروب اشد ابتداء خصوصا اذا اضفنا الى ذلك كله عدم وجوب صلاة الجمعة على اهل قرية الميت حيث كان بين قريتهم وقرية الجمعة مسافة لا يجب عليهم بها السعي لصلاة الجمعة س (٣) ما قولكم في حادثة تشبه الحادثة قبل هذه غير ان قرية الميت تقام بها الجمعة والخطيب هو الغاسل والوقت عند الزوال ايها اولى للامام تقديم الجنازة وتاخير صلاة الجمعة الى وقت اصفرار الشمس ام تقديم صلاة الجمعة وتاخير الجنازة الى الاصفرار

(الجواب) ان السنة في الجنازة ان لا تاخر كما تقدم عن ابن الحاج في المدخل والامام يصلي الجمعة بالناس ويتولى غسل الميت غيره الا اذا لم يوجد من يحسنه سواه فهنا يبادر بغسل الميت وجوبا ان خشي على الميت التغير واستحب ان لا يخش تغيرة ويؤم غيره في صلاة الجمعة الا اذا كان اهل القرية كلهم امين فيصلونها ظهرا في اخر وقتها الاختياري ويعيدونها جمعة ان لم تغرب الشمس فان قدم الامام صلاة الجمعة على غسل الميت في هذه الصورة الاخيرة فليصل على الميت قبل الاصفرار او بعد الغروب لكرامة الصلاة على الميت بعد الاصفرار وحرمتها وقت الغروب والله اعلم علي النيفر

حكم اخلاقية

قال ابو الحسن علي بن محمد الصفاني :

الحزم اسد الاراء . والغفلة اضر الاعداء . ومن قعد عن حليلته اقامته الشدائد . ومن نام عن عدوه انتهت المكائد . ومن سالم الناس سلم . ومن قدم الحزم غنم . ومن لزم الحلم لم يعنم السلم . ومن ضعف رايه قوي ضده . ومن ساء تدييره اهلكه جده . والغرة ثمرة الجهل . والتجربة مرآة العقل والصبر على النغصه يؤدي الى الفرصة . ومن استرشد غويا ظل . ومن استنجد ضعيفا ذل . ومن ضل مشيرة قل نصيره . والاناة حسن . والتودد يمن . ومن نام عن نصرة وليه . اتبه بوطاة عدوه . ومن دام كسله خاب امله . والعجول مخطيء . وان ملك . والمتشد مصيب . وان هلك . ومن بان عجزه . زال عزه . ومن استبد برايه خفت وطأته على اعدائه . والرفق مفتاح الرزق . ومن نظر في العواقب . سلم من النوائب .

الوعظ والذكر

تزكية النفس

خطبة منبرية للعالم الفاضل الشيخ الحلياني
حمزة الامام مجامع مصطفى بالمهدية

الحمد لله الذي جعل قواعد الاسلام كلها وسائل لتزكية النفوس من الشرك والفساد، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له امرنا بتزكية نفوسنا لان في ذلك الفلاح والساداد. واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله كان يحب الخير لجميع العباد، اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه السادة الامجاد، وسلم تسليما كثيرا. ايها الاخوان ان اعمال الخير اثر الايمان ولا يكون المرء مؤمنا الا اذا كان لاعتقاده الباطن اثر في عمله الظاهر اما من اكتفى من الاسلام باسمه، ومن الشرع برسمه، ثم لا يكون لذلك اثر في تزكية نفسه، فهو من المنافقين، وان صلى وصام وزعم انه من المسلمين، لان مخالفة الظاهر للباطن اية النفاق والمنافقون في الدرك الاسفل من النار، ولهم في الآخرة الحزني والعار. اني اعجب يا عباد الله اشد العجب لمن يعتني بتنظيف نعله وثوبه ولا يعتني بتنظيف قلبه وهو يعلم ان وسخ النعل والثوب لا يورثان في الآخرة عذابا، ولا يشددان على النفس حسابا، وان وسخ القلب بالحقد والحسد والبغض يجعل القلب في خراب ويسود الصحيفة والكتاب ويجعل بين صاحبه وبين الله كثيف الحجاب. اني احب للمسلم ان يعتني بتنظيف جسمه وثوبه لان النظافة من الايمان والوسخ من الشيطان لكني لا احب للمسلم ان يوجه معظم عنايته لنظافة ظاهرة واهمال باطنه لئلا يكون غاشا والغشاش ليس من المسلمين. ولا من اتباع النبي الناحين. ان من الناس من ترى بضاعته كلاما في كلام، ظاهرة سلام وباطنه خضام، يحسب ان شهادة لسانه وحركات جسمه بالصلاة وتحريك شفثيه بالتسبيح هي كل شيء في الاسلام او هي كافية ليحسب في عداد المتقين ونسي ان قواعد الاسلام كلها وسائل تؤدي الى غاية مثلى هي تطهير النفوس من النفاق. والتجمل بمكارم الاخلاق. تاملوا عباد الله في قول الله عز وجل (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقول النبي صلى الله عليه وسلم من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا تروا ان العبادة البدنية لا تقع موقعها من رضاء الله تعالى الملك الديان الا اذا ادت الى تزكية النفس من جميع

الموبقات والادران . لما لها من الاثر البين والنفع الظاهر في مصالح البشر والدنو من مواطن الخير والبعد عن مواطن الشر لذلك قال بعض علمائنا المتقدمين (ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس) وكما قلنا في الصلاة فكذلك في الزكاة فان المال شقيق الروح فمن جاد بماله على الفقير ابتغاء مرضاة ربه عظمت في عينه الحياة الباقية وصغرت الفانية واستثار قلبه بنور الايمان واقام البرهان على صدق نسبته الى الاسلام واتباعه لاوامر الملك الديان وكذلك الحج فهو الدواء الاجتماعي لمرض الفرقة بين الامم، ولتذكر يوم القيامة والعرض على محيي الرمم، الذي بالاعادة للحياة حكم، وبالجملة فانكم لا تجدون قاعدة من قواعد الدين الا كانت غايتها تزكية النفس وجعلها تقية طيبة لان الجنة طيبة لا يدخلها الا طيب ولهذا تقول لهم الملائكة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة) فكل هذه الآيات والاحاديث الشريفة صريحة في انه لا سبيل الى تزكية النفس الا سلوك طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو الموصل الى طريق الله قال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) فطريق الله منهج المؤمنين الصادقين والحسن الحسين للخائفين ، فمن سلك غيرة اخطأ مرادة ولاقى يوم الجزاء كل الهوان والبلاء المين ، فما بالك يا المسلمون لا تسبهون وقد كوتكم الحوادث بنيرانها كيا ما بالك لا تحرصون على ان تكونوا عاملين صادقين مستقيمين كما امركم رب العالمين ما بالكم اعرضتم عن تعاليم الدين واتبعتم الشيطان اللعين فمن اكبر افات الامم يا عباد الله ان يتهاون اهلها في امور دينهم فيبوءوا بالنكال والحسرة المين وفي التنزيل من النذر ما لو قرع الاسماع الواعية لصد القلوب الجامعة عن غوايتها ولرد النفوس النافرة الى هدايتها ، من ذلك قول الله عز وجل « أفأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في قلوبهم فمأهم بمعجزين او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم » ان الاسف يملا افئدتنا يا عباد الله في هذه السنين لانهار صرح الدين والاسى يفتت الاكباد لازدياد الفساد فاننا لا نعلم زمانا اجترأ فيه الناس على الباطل كهذا العصر الذي يسمونه عصر العلم والحضارة والنور وما هو في الحقيقة العصر الفسق والكذب والغش والزور والبهتان والتعلق والحياة والتضليل وجميع انواع الفجور ، كأن الاختلاق وقض العهد من خلال الخير التي يتنافس فيها المتنافسون . ويسارع اليها المؤمنون ، والله لو لا ايماننا وبقيننا بان الله جل وعلا رفع البلاء العام والاستشغال التام لكنا اول المنتظرين للطوفان الذي لا عاصم منه او للطير الابايل التي ترمي الناس بحجارة من سجيل ذلك اننا نرى المسلم كل يوم ضاربا بسيف الاعتداء في رقاب اخوانه المسلمين لا يألو جهدا في الاضرار بهم والنيل منهم ويزعم مع ذلك انه من المصلين وهو في الحقيقة من اكبر المنافقين بل ان ابليس خير من هؤلاء الكذابين الدجالين لان ابليس كان عاقلا وصادقا في قوله حين قال « رب بما

اغويتني لازين لهم في الارض ولا غوينهم اجمعين الاعدادك منهم المخلصين » فقد صرح بانه يزين للعباد ويغويهم ولم ينافق ولم يخادع ولم يكذب واعلم انه يستثني منهم المخلصين ، فالله الله عباد الله اتقوا الله وطهروا قلوبكم من جميع الاحقاد والاضغان وتذكروا هول الموقف وزفرات النيران واستعدوا ليوم تشيب فيه الولدان فاللكيس الحكيم هو الذي يشمر عن ساعد الجدة ويعد العدة لمواصلة السير والعدة هي الزاد في السفر ، فالمسافر بالزاد يبلغ مراده ويحصل ما أمله من وطر واليكم عباد الله عدة السفر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر

اولا - الاحسان في جميع الاعمال ومعنى الاحسان ان تراقب الله في جميع شؤونك كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن راقب الله استحي ان يراه حيث نهاه او يفقده حيث امره ودعا فان زلت قدمه استعفر لذنبه ومن يغفر الذنوب الا الله ثم عاد الى المراقبة فلا ياتيه الموت الا وقد اعد نفسه للرحيل زادة التقوى في هذه الدار فاذا مات دخل الجنة مع الابرار - ثانيا - الاخذ بالحلال وترك الحرام فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب له - فمن اكبر الدواعي الى تزكية النفس الاخذ بالحلال في جميع الاحوال - ثالثا - ذكر الله (قال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال) ولا تكن من الغافلين ففي الذكر حياة للقلوب وتزكية للنفوس وهو نعم الرفيق في وقت الضيق ، وفي القبر عند فقد الاهل والصدیق ، فمن ذكر الله ذكر ومن هجرة هجر

اسأل الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ان يعيننا على طاعته ويغسل قلوبنا من جميع الاوساخ والادران ويحفظنا من معصيته وكيد الشيطان حتى نكون من الصالحين انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير الا ان احسن ما تششف به اذان المؤمنين كلام مولانا رب العالمين

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ونفس وما سواها فالهيم فجورها وتقواها قد افلح من زكها وقد خاب من دساها

عمر ابن الخطاب

كما يصفه صمصعة بن صوحان رضي الله عنهما .

قال معاوية بن ابي سفيان لصمصعة : صف لي عمر بن الخطاب ؟ فقال : كان عالما برعيته ، عادلا في قضيته عاريا من الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحررا للصواب ، رفيقا بالضعيف غير محارب للقریب ، ولا خاف للغيرب

كلمة حول

ولاية الشيخ محمد المختار بن محمود

مفتيا حنفيا بالديار التونسية

بعد ظهر يوم الخميس السابع عشر من شهر رمضان الماضي شرف الجنب العالي صاحب المملكة التونسية الحاضرة في موكب الفخيم وبعد جلوسه على عرش الامارة بسراية المملكة مثل بين يديه العالم الجليل المدرس الشيخ محمد المختار بن محمود الذي ابلقه شيخ المدينة امير الامراء سيدي مصطفى صفر في اليوم قبله استدعاء الملك الجليل بالحضور على الساعة الثانية بعد الزوال (كما هي السنة الجارية عند ارادة اسناد ولاية شرعية) وبعد ان قدم الشيخ فروض التحية والاحلال للحضرة الشاحنة العلية دام لها العز والتأييد . تقدم صاحب المعالي امير الامراء سيدي عبد الجليل الزاوش وزير العدلية نحو الشيخ وسار به الى غرفة خاصة حيث خلع عليه شعار الخطبة

وتقدم بالشيخ امام الامير فاستوى الامير الجليل قائما مستقبلا فضيلة الشيخ وبعد تقديم فروض الطاعة واستواء الامير على كرسي المملكة اعلم صاحب الدولة المولى الوزير الاكبر امير الامراء سيدي الهادي الاخوة ان سيدنا ومولانا قلد الشيخ محمد المختار بن محمود خطة الفتيا على المذهب الحنفي يتولاها على بركة الله وتوفيقه متحليا بفضائلها ناهجا فيها منهج العلماء الاتقياء الازكيا امثاله فتقدم فضيلة الشيخ والقى بين يدي الملك خطابا بليغا مؤثرا (١) :

وعلى اثر الولاية وقع تنصيب فضيلة الشيخ بالمنحكمة الشرعية حيث ذهب اليها يصاحبه جناب شيخ المدينة فتلقاه اصحاب الفضيلة شيوخ المجلس الشرعي بقاعة المجلس فابلق جناب شيخ المدينة الى فضيلة مولانا شيخ الاسلام سيدي محمد بن يوسف الولاية الصادرة من الملك فتلقاها فضيلته بكل جهور واجلس الشيخ في منصبه الشريف كمفتي خامس في الدائرة الحنفية . وقدم لفضيلته شيوخ المجلس اجل تانيهم وتمنياتهم مبتهجين هذه الولاية المباركة التي اسندت لمن هو جدير بها والشيخ بن محمود عرفه قراء المجلة من يوم تأسيسها رئيسا لتحريرها وعرفوه بابحاثه القيمة ومقالاته التي ديجتها يراعه السيلة . فلاقت من نفوسهم كل اكبار وتقدير ، الامر الذي ترك القراء يقدمون الى الادارة كل ثناء وتشجيع .

ولا غرو فان نفسا مثل نفس فضيلته انطبع فيها حب الخير العام الى اقصى حد . وهو لا يألو جهدا في الاصلاح كلها وجد اليه سبيلا ، فهو حفظه الله منذ نومة اظفاره اشربت نفسه الى الاصلاح

تجده باحثاً ومجدداً في سيرة عظماء الاسلام المصلحين حتى يسير على خطاهم ويقتدي بسيرتهم المثلى في الارتقاء بالمجتمع العلمي الخاص وبالمجتمع العام حسب المستطاع وكلها تهيأت الاسباب وساعدت الظروف فشارك في المؤسسات العامة والخاصة والجمعيات على اختلاف مشاربها . وتجاربه القيمة في المجالات والصحف السيارة ذات صبغة خاصة بما تفيض عليها نفسه الطاهرة الطموحة فهي المنهل العذب الذي يستقي منه الضمآن

ولقد عرف الناس الشيخ ابن محمود خطيباً ومحاضراً كما عرفوه محرراً ومدرساً وحاكماً في المجلس المختلط ، فما من جمعية علمية او اديبة الا ورغبت منه ان يساهم في انتاجها العلمي والادبي فاعتلى منابرهما وحاضر الجمهور في اغراض هامة . وما صدى محاضراته التي القاها على منبر جمعية قدماء الصادقية عن (المرأة المسلمة) التي لاقت كل اعجاب من الحاضرين وقدرها الخاصة ايما تقدير عنا بعيد فالشيخ مشهود له من الكفاة بالباع الطويل والعبقريّة النادرة وحسن التوفيق والايمان الكامل لا تاخذة في الحق لومة لائم يجاهر بآرائه وينصاع للحق . يخاف الله ويخشاه . تقي نقي ذو مجدائيل وعلو همة لا يعبأ بسفاسف الامور طموح الى المعالي ، منقطع للادب والعلم يدافع عن كرامة العلم والعلماء ، بلغ به اخلاصه لجامع الزيتونة والزيتونيين الى ابلغ مدى ولا جرم فان الشيخ ولد في مهد زيتوني علمي ونشأ تحتضنه الفضيلة ، وترعاه المروءة ولما شب وانا ر صدره القراء ان الذي حفظه عن ظهر قلب انخرط في سلك تلامذة المعهد الزيتوني سنة ١٣٣٤

وتدرج في سلم مراتبه الى ان نال اعجاب شيوخه الحلة قبل ان ينال شهادة المعهد الثانوية سنة ١٣٤١ ولما ارتقى الى مزاولة علوم التعليم العالي اقبل عليها بنفس النشاط الذي كان عليه قبل بل ابلغ فاخذ التفسير عن شيخ الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف وشيخ الاسلام المالكي سيدي محمد الطاهر بن عاشور ادام الله النفع بهما . وحضر دروس المحلي على فضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط والمنعم الشيخ محمد بن القاضي ودلائل الاعجاز والمطول على فضيلة شيخ الاسلام المالكي وفضيلة الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي . والدرر على الامام الشيخ محمد يريم المفتي الحنفي والعلامة المنعم الشيخ عثمان بن الحوجه والحديث على الشيخ محمد العزيز جعيط والشيخ بلحسن النجار .

وفي سنة ١٣٤٤ ارتقى الى خطة التدريس من الرتبة الثانية وفي سنة ١٣٥١ ارتقى الى خطة التدريس من الرتبة الاولى وفي سنة ١٣٤٥ اسندت اليه خطة حاكم نائب بالمجلس المختلط العقاري وفي سنة ١٣٤٩ عين حاكماً رسمياً به ثم عين مدرسا بالمدرسة الصادقية .

ولقد زان كل المناصب التي تولاهما بجدارة واخلاص الامر الذي دعى الملك الاميل لانتخابه لخطة الافتاء ذات المقام الاسمي لما يتوسم في حضرته من عظيم الجدارة ليقوم بعبائها احسن قيام ويشد عضد رجال المجلس الشرعي العلي انا ر الله بهم الحق ، واعز بهم الدين . وحمى شريعة رسوله على ممر الدهور والسنين . وقد تواردت على الشيخ قصائد التهاني من امر الادباء ثبت منها القصيدة العصماء التي هنأ بها العالم الفاضل الشيخ الطاهر القصار

هذا وان هيئة المجلة تقدم الى رئيس تحريرها مجددة له التهاني مقبلة بهذه الولاية المباركة التي سبىء للشيخ اسبابا عديدة للاصلاح الذي وطد نفسه عليه . وستزيده نشاطا ايضا على القيام بالمهمة العظيمة في رئاسة تحرير المجلة ادام الله النفع به .

خطبة فضيلة الشيخ المفتي

حمدا لمن أيد الشريعة المحمدية بالاتباع من العلماء الاعلام ، وأبد الملة الحنيفة فلا يتطرقها خلل مدى الليالي والايام . فلم تزل بحفظ الله يستضاء بانوارها الساطعة . ويبتدى بنجومها اللامعة . ويستقى بغيوثها الهامعة . وهي لخيري الدنيا والآخرة جامعة .

ويزيدها من الليالي جدة وتقدم الايام حسن شباب . والصلاة والسلام الاتمان على سيدنا محمد نخبه ولد عدنان . افصح من نطق بالضاد . وافضل من هدى الى طريق الحق والرشاد . الحاث على تبليغ شريعته حث الواجب . حيث قال ليبلغ الشاهد منكم الغائب . وعلى الآل والصحابة الاكرمين الذين شادوا الدين . واطهروا الحق اليقين . والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين)

اما بعد فان العدل اساس العمران . وبه تنتظم حياة البشر ويقضى على الظلم والعدوان . ولئلا ينزع الى الغداية نازع . جعل الله شريعة الاسلام خاتمة الشرائع . فكانت كفيلة بحفظ الحقوق البشرية وموضحة لوظيفة كل احد من الراعي والرعية .

وان اول شيء يشترط لتحقيق هاته المزية . وحفظ الحقوق المرعية . ان يمن الله تعالى على المملكة بان يكون اميرها جامعا بين التدين والاستقامة . وخوف الله وصون الكرامة . وهذا ما تحقق في هذا العصر السعيد على يدي جلالة ملكنا المؤيد بالنصر والتأييد . فقد كان هذا الملك الهمام . معجزة في سلسلة الملوك العظام . جمع الله له خصالا يندر اجتماعها في سواه . واحي على يديه من المكارم ما يكاد يندثر لولاه . ولو لم يكن له الامزية الاهتمام بالجانب العلمي حتى ائمت ثماره . وتفتيات قطوفه وتفتحت ازهاره . لكفاه شرفا وفخرا . ومثوبة عند الله وذخرا . وهذا واني ليعجز لساني في هذا الموقف الرهيب . عن توفية حق الشكر لهذا الملك المعظم الذي لم يات له الزمان بطريب . على ما حفني به من عناية . واولاني من رعاية . باسناده الى خطة لها من بين المناصب العلمية شان واي شان وهي الافتاء على مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه . ولعمري انها لحطة شريفة وحلية منيفه . تولاهما من قبلي علماء اعلام وائمة بررة كرام . فزانوها بالعلم الغزير . والتوفيق الذي يسهل معه كل امر عسير . وارجو من الله تعالى ان يوفقني للسير على سننهم القديم . والاهتداء الى صراطهم المستقيم . حتى اكون محققا لما يعلق علي من امل . وجامعا في التوفيق بين القول والعمل . ومن المصادقات التي اراها من بشائر الخير وهي جديرة بالذكر ان وافقت ولايتي يوم غزوة بدر التي هي اول غزوة وقعت في الاسلام . ومن بعدها توالى الغزوات واستمرت الفتوحات لنينا عليه الصلاة والسلام . ففرحنا بالشرك حتى رد خاسئا محسورا . واستمر لواء الاسلام ظافرا منصورا . والشيء قد يكتسب الشرف بالجوار . والله يفعل ما يشاء ويختار .

تهنئة

بخطه الافتاء

للعالم المدرس الشيخ الطاهر
القصار المدير السابق للمجلة

لکم بوظيفة الفتيا الهناء	تشيد به الصداقة والاخاء
وتنظمه يد الاشعار عقدا	فزائده المودة والوفاء
وينشره فم الاخلاص مسكا	يؤرجح من نواسمه الفضاء
ويلفه لسان الود عهدا	ونعم العهد يكفه الصفاء
وداد شيد الالباء منه	بناء لا يطاوله بناء
مصانعه بها الاخلاص افق	وظاهرة الوفاء به ذكاء
تطل قبابه السماء حبا	له في كل صالحة بناء
كذلك الود ان ما فاء اصل	الم به من الفرع الرعاء
اخي يا حافظا عهدي وودي	بعصر عز فيه الاوفياء
تقبل خطة الفتيا عروسا	ترنحها الملاحة والبهاء
تهادي في الرياش قطاة واد	زهاها حوله حب وماء
ولاقت فوق صفته اليفاء	فجلها لهجته الحياء
اليف قد زكا خلقا ونفسا	سجيته الحصافة والذكاء

اللهم يا من امرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاجابة وامرتنا بالاخلاص في العمل وان تكونك اليك
الانابة امنن علينا ببقاء ملكنا الهام وبهجة الليالي وزينة الايام . وأجر الخير على يديه . واجعل السداد
والصلاح في كل ما يقررره ويرثيه . حتى تكون بلادنا التونسية مضرب الامثال في التقدم والازهار
ما بين الممالك الاسلامية . وايدة اللهم بال بيت الكرام . الغطارقة الصناديد من نسل حسين المقدم
حتى يكون شمسا وهم من حواله بدور . يرثون المجد كابرًا عن كابر ما تعاقبت الدهور . واجعل
له من وزرائه الحلة الكرام . سواعد متينة لتسيير الامور على غاية ما يرام . لا سيما وزيره الاكبر
الصادق قولاً وفعلاً . والكريم حسبا ونبلا . الذي له في تحقيق اغراض ملكنا المؤيد بالله انواع من
الاخلاص قلما حفظها الزمان لسواه . واحتم بالصالحات اعمالنا وحقق بفضلك ءامالنا . حتى تتحقق
الاغراض وتجز الاماني . بحرمة القرءان العظيم والسبع المثاني .

محمد المختار ابن محمود

اذا مسك اليراعة ضاق ذرعا	كمي الحرب والبيض اللوء
وان خطب الجموع سمعت حقا	له في كل مشكلة مضاء
اديب بارع الآداب تعنو	لمورده المرافف والدلاء
بديع اللفظ خلاب المعاني	ولكن كلها دال وراء
انيس لايمل له حديث	جليس لا يمل له ثواء
احيل الراي ثبت ليس يلقى	له في ساحة الحق النواء
ولوع بالمفاخر والمعالي	عدواه الحماقة والرياء
مليء بالمعارف ليس ينبو	له سهم ولا يخبو ضياء
تازر بالتقى طفلا وكهلا	وهل يلد العصاة الاتقياء
ومن ورث المفاخر عن اصول	بذكر خلاهم يسمو الثناء
سمايت ابن محمود بقطر	تعطر ماء وصفاء الهواء
هو الخضرا معالمها رياض	واهلوها كرام ازكيا
مباركة منازلها نوام	تأجها واسحبها سخاء
وراعيا ابو العباس ملك	لرفعة شأنه ينمى العلاء
قطب يا ايها المختار نفسا	بعيش لاعدائك به الهناء
وطل في مذهب النعمان صرحا	يفغشى امة الحق النساء
وخذها درة عصماء عزز	عن الشعرا وصين لها الهاء
ولم تكشف محاسنها لغيري	ومثلي من يزاح له الغطاء
وان كان الهنا في الختم حسنا	فلي من ذلك الغرض ابتداء

وصايا ثمينة

اربع لا يزول معها ملك : حفظ الدين واستكفاء الامين . وتقدير الحزم . وامضاء العزم
واربعة تدل على صحة الرأي : طول الفكر . وحفظ السر . وفرط الاجتهاد . وترك
الاستبداد

واربعة تولد المحبة : حسن البشر وبذل البر . وقصد الوفاق . وترك النفاق
واربعة من علامات الكرم : بذل الندى . وكف الاذى . وتعجيل الثوبة . وتأخير العقوبة
واربعة توصل الى اربعة : الصبر الى المحبوب . والجهد الى المطلوب . والزهد الى التقى .
والقناعة الى الفنى

النهضة العربية

في العصر الحاضر (☆)

بقلم امير البيان شكيب ارسلان

تمهيد

لقد تكلمنا منذ ايام في النادي العربي عن نهضة العرب السياسية وسيرهم في طريق الاتحاد فيما بينهم اقتداء بغيرهم من الامم اللاتني كن مفككات مبشرات فما زان يسعين في الانضمام الى ان اصبحن كلمة واحدة : ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التي هي في الواقع أساس النهضة السياسية مختارين لهذه المحاضرة مكان المجمع العلمي الذي هو المنبر الطبيعي للباحث العلمية . كما اخترنا النادي العربي منبرا للكلام عن الوحدة العربية التي هي من مباحثه . وانما كان الفرق بين الباحثين ان الواحد منهما سياسي صرف لا يجوز الخوض فيه الا بالمقدار الذي تسمح به المصلحة وان الآخر علمي بحث يقدر ان يستقصي فيه الباحث ما شاء دون ان يتعرض لمحدود او يعرض امته لضرر وبهذه المناسبة اعلن اني آسف بل جد آسف من ان ارى بعض اخواننا معتقدين ان الانسان اذا حضر في باب السياسة وجب عليه ان يفرغ جميعته من اولها الى آخرها وان يجهر بكل ما يدور في خلدك كما لو حضر في باب العلم فهذا لا شك مذهب من يسميه الانرج « بالولد الهائل » ومن ليس في الواقع جديرا بأن يطرق باب السياسة اصلا بل بين هذا والسياسة ما بين المشرق والمغرب فنحن لا نرضى ان نكون من الاطفال الهائلين ولا من الذين لا يعرفون الى اين يذهب الكلام بل نحن والله الحمد من امة اشتهرت بالمرونة والدهاء وسرعة اللحظ وقد جاء في امثالها : اللبيب من الاشارة يفهم ولقد كان هاديا اعظم صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها . ومنا الذي يقول :

ومن لم يصانه في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

وقائل هذا البيت هو الذي قال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه انه اشعر العرب لقوله ومن ومن . ثم ابدأ بالكلام عن نهضة العرب العلمية فاقول : منذ عشر سنوات (اي سنة ١٩٢٧) اقترح علي الطيب الذكر الاستاذ يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف التي انتهت اليها رئاسة المجالات العلمية ان اكتب الى المقتطف شيئا في موضوع النهضة الشرقية في هذه الخمسين سنة الاخيرة فكتبت يومئذ فصلا ظهر في اجزاء المقتطف من تلك السنة وراق العلامة المشار اليه كثيرا وقد بدأته بما يلي :

لا حاجة بنا الى القول بأن اجلي مجاري هذه النهضة كان في العلم والتعليم . وعندي انه لا نهضة

(*) هذه المحاضرة التي القاها عطوفة امير البيان شكيب ارسلان في شهر اكتوبر سنة ١٩٣٧

بدار المجمع العلمي العربي بدمشق اهداها برسم المجلة الزيتونية صدقتنا الاستاذ محمد تيسير ضيان الكيلاني صاحب جريدة الجزيرة الفيحاء فبادرنا بنشرها افادة لقرائنا الكرام

للأمم سوى النهضة العلمية فإذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية الخ . اخذا بعضها برقاب بعض فاذا قلنا ان الشرق الادنى نهض نهضة علمية كفيها تعداد سائر مظاهر نهوضه ومعارج رقيه لان العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول الى داخل البناء وكل نهضة لا يكون ظهرها العلم فما هي الا ساعة وتضمحل وقد يقال ان نهضة شرقنا هذه ضئيلة لا تستحق ان تذكر بالقياس الى معالي الامم الراقية واننا لا نبرح متخلفين بمساوف شاسعة عن امد اوربا واميركا والبيان فلياذنا نشغل أنفسنا بما لا يشغل حيزا في التاريخ العام وعلى هذا نجواب انه ليس العلم متعلقا بالكم ل وحده ولا البحث موقوفا دائما على ما بهر النهى وبلغ سدة المنتهى وانما العلم هو ما تناول الدرجات كلها الدنيا منها والقصى والبحث هو الذي به توزن مقادير الاشياء وتحدد نسبة بعضها الى بعض ونسبها الى الوقت . ثم اننا اذا تحرينا الحقيقة وجدنا الشرق العربي قد اجتاز في هذه الخمسين سنة في طريق العلم والحضارة الحديثة ما لم يتهيا لأوربا ان تجتازه قبلا في اطول جدا من هذا الرده من الدهر . وذلك انه من الطبيعي ان يسهل على المتأخر ما لا يسهل على المتقدم لان المتقدم قد يضطر ان يعمد الطريق ويسير واما المتأخر فما عليه الا ان يلحقه ويسير على طريق مذل امامه .

محمد علي الكبير مؤسس النهضة

فالنهضة الشرقية العربية - نسميها بالعربية اخراجا لما سواها من نهضات الشرق كنهضة اليابان والصين في الشرق الاقصى ونهضة فارس والافغان والهند في الشرق الاوسط ونهضة الترك في الشرق الادنى بحدائنا - قد بدأت في الواقع منذ اكثر من مائة سنة لعهد محمد علي عزيز مصر فهو اول من لحظ الخطر الحائق بالشرق من جراء جموده على اساليب العمران القديمة وجعل نصب عينيه مجارات الغرب في اساليبه الجديدة

محمد علي هو المؤسس الحقيقي لهذه النهضة الشرقية العربية ليس بوادي النيل فحسب بل في البلاد التي تجاور هذا الوادي المبارك وفي مقدمتها سورية واول ما استنشقت السوربون ريح الحضارة الحديثة انما كان في زمن محمد علي وفي زمن غزاة ولده ابراهيم باشا للشام ثم انكفأ ابراهيم باشا الى مصر سنة ١٨٤٠ وبقيت في سورية آثار الانتباه ونزعة التجدد وجد السوربون لا سيما اهل الساحل منهم يشدون اسباب المدينة الغربية لما رأوا فيها من القوة والرفاهية . وانس المرسلون والاميركيون هذا الاستعداد في اهل سورية فأسسوا في بيروت كليتهم الشهيرة التي كانت النبراس الاول التي استضاءت به سورية ولا يزال هذا النبراس يزهر في افاق الشرق الى يومنا هذا . ورأى امم اخرى (كالفرنسيين والالمان والاطليان والروس) ان ارض سورية قابلة جدا لبذور المعارف فبنوا فيها المدارس والكتاتيب

وكل ذلك كان يبدأ في بيروت ثغر الشام البسام . ففي بيروت والحق يقال ابتزغ زرع العلم المصري واخرج شطاه ثم انبث في جميع الشامات ثم فيما جاورها واستغلض واستوى على سوقه يعجب حتى الزراع الاوروبيين انفسهم واضطرت الدولة العثمانية ان تفتح المكاتب الرشدية والاعدادية في سورية وان تقبل كثيرين من شبانها في مكاتبها العالية في القسطنطينية فتخرج فيها الوف من الناشئة منهم من تقلدوا مناصب ملكية او عدلية ومنهم من تعاطوا مهنة المحاماة ومنهم اطباء وصيادلة ومنهم ضباط نبغوا في الفنون العسكرية وامتازوا بين الاقران من ضباط العرب في العراق والسورية واليمن كلهم ممن تخرج في مكتب باغالدي في الاستانة وقد يزيدون على ثلاثة آلاف فيما يقال مع ان النهضة العلمية في مصر لم يكن الاصل فيها لا الكلية الاميركية ولا الكلية السيوحية في بيروت ولا مكاتب الدولة في الاستانة لا ينكر ان مصر كانت ميدانا لحياة القرائح السورية وان انبغ الذين تخرجوا في بيروت انما ظهروا واشتهروا وتعلقت قناديلهم بمصر هذا كما ان لمصر على الشام فضل تخريج عدد لا يحصى من ابناء هذه في العلوم اللغوية والشرعية بالجامع الازهر وتخريج عدد كبير من اطباء سورية بالقصر العيني فما زال كل من القطرين المصري والشامي يشد الواحد منهما الآخر في كل ضرب من ضروب الرقي العقلي وقلما جذ في احدهما شيء الا سمعت رجع صداها في الآخر على ان النهضة الشرقية العربية وان كان قد زر قرنها منذ قرن فاكتر لم تسر هذا السير الحثيث الا في الخمسين سنة الاخيرة التي شهدها كاتب هذه الاحرف بجميع صفحاتها . وذلك لاني بدأت بالكتابة في الصحف وبمرافقة الحركة العلمية في سيرها منذ ٥٢ سنة متوالية في الحق اذا بان ادعي معرفة تاريخ هذه النهضة وما دخلت فيه من التطورات على قدر ما يستطيع خادم امين للعلم زاول عمله في مكافحة الجهل طوال مدة خمسين سنة دون ان يتخلف يوما واحدا

الصحافة

لا نزاع في ان الصحافة العربية قد كانت من اقوى عوامل هذه النهضة بما اثارته من الحركة الفكرية ونقلت من اخبار الغرب الناهض الى اهل الشرق النائم وقد كان بحسب معلوماتي وربما اكون مضطئا في بعضها - اول جريدة عربية صدرت في الشرق جريدة الوقائع المصرية بهد محمد علي ولكن بقيت سورية مدة طويلة لا تصدر فيها جريدة ويقال ان اول جريدة صدرت في بلادنا هي جريدة (حديقة الاخبار) انشأها خليل افندي الحوري من شعراء لبنان في وقته وذلك سنة ١٧٦٠ ثم اصدر المعلم بطرس البستاني الشهير نشرات وطنية في بيروت لذلك العهد . ولم يلبث ان نشر جريدة اسبوعية باسم اللجنة ثم جريدة يومية باسم اللجنة ثم مجلة شهرية باسم البستان وقد التزم هذه المادة في التسمية لمناسبتها مع اسمه « البستاني » وكذا اليسوعيون قد اصدروا في بيروت جريدة باسم البشير تغلب عليها المباحث الدينية الكاتولوكية ثم اصدر القس لويس الصابونجي جريدة النحلة . واصدب

غيرة جريدة اسمها النجاح ، واصر الاميركيون جريدة اسمها النشرة الاسبوعية ، ثم تحرك المسلمون فاصدروا جريدة سموها ثمرات الفنون وكانت تصدر بادارة الشيخ عبد القادر القباني وقد تسولى تحريرها في البداية العلامة الشيخ يوسف الاسير ثم خلفه عليها العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي وهذا كله كان بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اي في مدة عشرين سنة فوجدت في بيروت في ذلك العهد عدة مطابع وصارت تطبع الكتب العربية بعد ان كان طبع الكتب العربية منحصرا في مطبعة بولاق المصرية وغيرها من مطابع مصر وكانت قد صدرت في الاساتنة في اثناء حرب القريم سنة ١٨٥٥ جريدة مرآة الاحوال وذلك بامر الدولة وتولى تحريرها رزق الله حسون الكاتب الشهير وقد وقعت الي عدة نسخ كانت باقية عندنا من تلك الجريدة فيها اخبار حرب القريم وغيرها من الاخبار ومما انذكره انه كان عند ذكر خديوي مصر يلقبه سعادة عزيز مصر واطن ان جريدة مرآة الاحوال هذه هي الجريدة العربية الثانية بعد تقويم الوقائع المصرية وقد بقيت تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية عدة سنوات الى ان فر رزق الله حسون من الاساتنة الى اروبا على اثر حادثة جرت معه وقيل فيها انه اختلس مالا للدولة فلاد بالفرار وكان احمد فارس الشدياق في باريس فقدم الى الاساتنة وانشأ جريدة (الجوائب) المشهورة فكانت في وقتها اشهر جريدة عربية في العالم وكان لها مشتركون في جميع الاقطار الاسلامية ، نظرا لبراعة كاتبها احمد فارس الممدود من اكبر كتاب القرون الاخيرة وامام رزق الله حسون فبعد ان فر الى اروبا نشر كتابا تحت عنوان « النفثات » نال فيه من الدولة العثمانية ومن صاحب الجوائب فاشار هذا الى كتاب النفثات بقوله : « كان حسون اصا وله سرقات انقلب لصا وله نفثات » واطنني غير محطىء اذا قلت انه لذلك العهد او بعده بقليل ظهرت جريدة في تونس اسمها « الرائد التونسي » وظهرت جريدة اخرى في مصر باسم وادي النيل ، وربما يكون قد صدر في مصر جرائد اخرى لم اسمع بها ولست محاولا في هاته العجالة الاحاطة باسماء جميع الجرائد العربية التي صدرت وتوازيخ صدورها وانما اذكر اليوم اشهرها على سبيل التمثيل واقول انه لما انتشرت جريدة الجوائب بمكان احمد فارس من علم اللغة وبراعة الانشاء وسعة المدارك كانت عاملا قويا من عوامل النهضة العربية الادبية وصار صاحبها يطبع في الاساتنة من نفائس الكتب العربية التي كانت محمولة والتي اطلع عليها في خزائن الكتب القسطنطينية ما اعجب به العالم العربي كله لا سيما انه نشرها بالطبع الجليل وربما كانت خدمته للثقافة العربية بهذه المطبوعات في الدرجة الثانية من خدمة مطبعة بولاق واني قد ادركت وانا ابن ثلاث عشرة سنة او اربع عشرة سنة عهد احمد فارس في اواخر عمره وكان لا يزال وقد بلغ من الكبر عتيا يخدم هذه اللغة الشريفة التي كان من اعلامها ومن شاء ان يعلم مدى براعة احمد فارس ومبلغ بلائه في سبيل اللغة العربية والوطن العربي فليراجع مجموعة كنز الرغائب في منتخبات الجوائب فهي كتاب يحتوي على سبعة مجلدات لا يمكن ان يستغني عنه من اراد الاطلاع على الحركة العلمية العربية والحركة السياسية العالمية بين ١٧٦٠ و ١٨٨٠ (يتبع)

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للتلازمة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
ممضاة من امين المال

في الحادي عشر من القاضى

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

ثمان الجزء فرنكات ٣

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصلاهاها المبعث من بلاد تونس مع الزيتون بركة المبعث
شهرية وستنها عشرة أشهر

ثمن النسخة ٣ فرنك

الجزء الثاني | تونس - في ذى الحجة الحرام ١٣٥٧ - فيفري ١٩٣٩ | المجلد الثالث

المطبعة التونسية - نهج سوق البلاط عدد ٥٧ - تونس

فهرس العدد

الجزء الثاني

المجلد الثالث

الصحيفة	الموضوع	صاحبه
٤٩	تفسير آيات من سورة البقرة	بقلم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي سيدي محمد الطاهر ابن عاشور
٥٣	الحديث - اليوم اكملت لكم دينكم	» صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي
٥٩	لا عزاء بعد ثلاث	» شيخ الإسلام المالكي
٦٢	التعاقد المتين	» الوزير الشيخ سيدي محمد الحجوي
٦٧	الوزراء التونسيون قبل الحماية وبعدها ...	» امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه
٧٢	جامع الزيتونة يؤدي رسالة الدين الاسلامي	تصريح لامير اللواء سيدي حسن عبد الوهاب
٧٦	الحنال في الادب العربي	» الاديب الاستاذ احمد الوزير
٨٠	ايطاليا في طرابلس برقة	» الغيور احمد رازم الطرابلسي
٨٣	تهنئة بالعيد (قصيدة)	» شيخ الادباء العالم سيدي العربي الكبادي
٨٥	مؤتمر جمعية الحرمين الشريفين	» التحرير
٨٧	الفهرس العام للمجلد الثاني	
٩٢	وزيران بتونس	» »

مجلة علمية أدبية اخلاقيه
تصايرها المكيه من فضل سي جلاله مع التيقن من ان المكيه

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

من تفسير الامام الحجة الشيخ سيدي محمد
الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(ومما رزقناهم ينفقون) صلة ثالثة في وصف المتقين مما يحقق معنى التقوى وصدق الايمان وهو بذل أعز الاشياء على النفس أعني المال في مرضاة الله تعالى لان الايمان لما كان مقرة القلب ومترجحه للسان كان محتاجا الى دلائل صدق صاحبه وهي عظام الاعمال فمن ذلك التزامه في الحضرة والقبية الدال عليه - الذين يؤمنون بالغيب - ومن ذلك ملازمة اداء الصلوات لانها دليل على تذكر المؤمن جانب من آمن به ومن ذلك السخاء ببذل المال للفقراء الذين هم عباد من آمن به

والرزق ما يناله الانسان من موجودات هذا العالم التي يدفع بها ضرورته وحاجته وينال بها ملائمه سواء كانت من الاعيان أم من القيم وأشهر استعماله أو حقيقته بحسب ما رأيت من كلام العرب وموارد القرآن أنه حقيقة فيما يحصل من ذلك للانسان خاصة واما اطلاقه على ما يتناوله الحيوان من المرعى والماء فهو على المجاز كما في قوله تعالى: وما من دابة في الارض الا على الله رزقها، فهو بمنزلة المجاز في قوله تعالى: وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم، والرزق شرعا عند اهل السنة كالرزق لغة اذ الاصل عدم النقل الا لدليل فيصدق اسم الرزق على الحلال والحرام لان صفة الحل والحرمه غير ملتفت اليها في مقام طلب الاتفاق وهي تختلف باختلاف احوال التشريع فقد يكون بعض الرزق حلالا في وقت ثم يصير حراما بعده مثل ثمن الحمر قبل تحريم التجارة فيه ومثل بعض صور الربا فالمقصود في الآية انهم ينفقون مما في أيديهم وحال المؤمن لا تحمل الا على الموافق شرعا. وخالف المعتزلة في ذلك في جملة فروع مسألة خلق المفسد والشرور وتقديرهما. وهذه المسألة أي مسألة الرزق من المسائل التي فرضت فيها المناظرة بين الاشاعرة والمعتزلة كمسألة الآجال ومسألة السعر. وتمسك المعتزلة في مسألة الرزق بادلة لا تتج المطلوب، والاتفاق في اللغة اعطاء الرزق فيما يعود بالمنفعة على النفس وعلى الاهل والعيال من طعام ولباس وفي نفع النفس كالصدقة واريده هنا بثه في نفع الفقراء وأهل الحاجة وتسديد نوائب المسلمين بقرينة المدح واقراره بالايمان والصلاة فلا شك أنه هنا خصلة من خصال الايمان الكامل وما هي الا الاتفاق في سبيل الخير والمصالح العامة دون الاتفاق على النفس والعيال اذ لا يمدح أحد بانفاقه على نفسه وعياله لان ذلك مما تدعو اليه الجلبة فلا تحرض عليه الشريعة ومن المفسرين من أدخل الاتفاق على النفس والعيال في ذلك ولا وجه له .

وتقديم المجرور على عامله وهو ينفقون لمجرد الاهتمام بالرزق عند الناس فيكون في التقديم ايدان بانهم ينفقون مع ما للرزق من المعزة على النفس فهو كقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه . وفي الاتيان بمن التي هي للتبويض ايماء الى كون الاتفاق المطلوب شرعا اتفاق بعض المال لان الشريعة لم تكلف الناس حرجا وهذا البعض يقل ويتوفر بحسب احوال المنفقين فالواجب منه ما قدره الشريعة نصبه ومقاديرة وما زاد على الواجب لا ينضبط . وفي التعبير بالمضارع في ينفقون اشارة الى تكرار ذلك منهم وان ذلك دائم وعادتهم .

(والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) عطف على الذين يؤمنون بالغيب فانه بعد أن اخبر أن القرءان هدى للمتقين المبينين بانهم الذين يؤمنون بالغيب ذكر فريقا اخر من المتقين وهم الذين آمنوا بما أنزل من الكتب قبل النبي صلى الله عليه وسلم ثم آمنوا به وهؤلاء هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وهم قد دخلوا في جملة الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة الخ

الا ان لهم خصلة اخرى اوجبت تخصيصهم بالذكر والتنويه بشأنهم تلك الخصلة هي انهم لم يسبق لهم كفر فكانوا ممن آمن من مرتين ولما كان قصد تخصيصهم بالذكر يستلزم عطفهم وكان العطف بدون تنبيه على انهم فريق آخر قد يوهم ان القراء ان لا يهدي الا الذين يؤمنون بما انزل من قبله لان هذه خاتمة الصلوات فلا بد من تحققها مع الصلوات المتقدمة فلا يكون للذين آمنوا بعد الشرك حظ في هذا الثناء وكيف وفيهم خيرة المؤمنين من الصحابة دفع هذا الابهام باعادة الموصول ليؤذن بأن هؤلاء فريق آخر غير الفريق الذي اجريت عليهم الصفات الثلاث الاول وبذلك يتبين ان المراد بالموصول وصلاته الثلاث الماضية هم الذين آمنوا من المشركين من العرب لوجود المقابلة ويكون الموصولان للعهد وعلم ان الذين يؤمنون بما أنزل من قبلهم ايضا يؤمنون بالغيب وبقيمون الصلاة وينفقون عليها حاصلًا بدلالة تشبه فحوى الخطاب لانهم اجدر بذلك . والانزال جعل الشيء نازلا والنزول هو الانتقال من علو الى سفلى وهو حقيقة في انتقال الذات وقد يطلق على انتقال الاوصاف تبعًا للذات التي تنصف بها فهو محاز عقلي ويطلق الانزال ومدة اشتقاقه بوجه المجاز على معان راجعة الى تشبيه فعل النزول لاعتبار شرف ورفعة معنوية قال تعالى : يا بني ادم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سوءاتكم . وقال وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج . لان ذلك الخلق والتقدير لما كان من فعل الله جعل كأنه نازل من علو وشرف . وانزال الوحي الى الانبياء يكون على احد هذين المجازين لانه اما نازل تبعًا لنزول الملك ان كان بواسطة الملك فهو نزول معنى تبعًا لنزول الذات الحاملة له وما تنزل الا بامر ربك وان كان وحيا بلا واسطة الملك او كلاما من وراء حجاب فهو نزول معنوي لكونه بتكوين الله تعالى بوجه خاص فكان منتسبا لجانب رفيع الشأن .

واقول ان المراد بما أنزل قبل النبي عليه السلام وما أنزل اليه هما الشرائع التي سبق نزولها والمقدار الذي تحقق نزوله من شريعة الاسلام قبل نزول هذه الآية فان الثناء على المهتدين انما يكون بانهم حصل منهم ايمان بما نزل لا توقع ايمانهم بما سينزل لان ذلك لا يحتاج الى الذكر اذ من المعلوم ان الذي يؤمن بما أنزل يستمر ايمانه بكل ما ينزل على الرسول لان العناد وعدم الاطمئنان انما يكون في اول الامر فاذا زال بالايمان آمنوا من الارتداد وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب فالايان بما سينزل في المستقبل حاصل بفحوى الخطاب وهي الدلالة الاحرورية فلا حاجة الى دعوة تغليب الماضي على المستقبل في قوله تعالى أنزل على طريقة صاحب الكشاف وعندي ان فائدة اناطة الايمان بالشيء المنزل من الله دون ان يقال والذين يؤمنون بك من اهل الكتاب الاشارة الى ان هؤلاء هم الذين لا يؤمنون بامور موهومة تصدهم عن اتباع الاسلام كقولهم ان التوراة لا تقبل النسخ وانه يجيء في اخر الزمان من عقب اسرائيل من يخلص بني اسرائيل من الاسر والعبودية ونحو ذلك من كل ما لم ينزل في الكتب السابقة ولكنه من الموضوعات او من فاسد

التأويلات فيه تعرض بغلاة اليهود والنصارى الذين صدهم غلوهم في دينهم وقولهم على الله غير الحق عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

(وبالآخرة هم يوقنون) السواو للعطف لذكر صلة مدح ثانية للذين يؤمنون بما أنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم وبما أنزل من قبله وهي ايمانهم بالآخرة اي اعتقادهم بحياة ثانية بعد هذه الحياة وانما خص هذا الايمان بالذكر عند الثناء عليهم من بين بقية اوصافهم لانه ملاك التقوى والحشية التي جعلوا من موصوفها لان هذه الاوصاف كلها جارية على ما أحمله الوصف بالمتقين على اختلاف مراتب التقوى فان اليقين بدار الثواب والعقاب هو الذي يوجب الحذر والفكرة فيما ينجسي النفس من العقاب وينعمها بالثواب وذلك الذي ساقهم الى الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ولان هذا الايمان بالآخرة من مزايا اهل الكتاب . والايقان حصول اليقين في النفس واليقين هو العلم بالشيء . عن نظر واستدلال او بعد شك سابق ولا يكون شك الا في امر ذي نظر . وقيل هو العلم الذي لا يقبل الاحتمال وقد يطلق على الظن القوي اطلاقا عرفيا حيث لا يخطر بالبال انه ظن ويشته بالعلم الجازم . وفي قوله تعالى بالآخرة هم يوقنون تقديم للمجرور الذي هو معمول يوقنون على عامله وهو تقديم لمجرد الاهتمام بالآخرة على ما اختاره العصام رحمه الله في حاشية تفسير البضاوي وانا اختار ما ذهب اليه وارى ان في هذا التقديم تعريضا بالثناء على هؤلاء الموقنين بانهم ايقنوا باهم ما يوقن به المؤمن فليس التقديم مفيدا للاختصاص والحصر اذ لا يستقيم معنى الحصر هنا بان يكون المعنى انهم يوقنون بالآخرة دون غيرها وقد تكلف العلامة صاحب الكشف وشارحوه لافادة الحصر من هذا التقديم بما ليس مناسباً للثناء على الذين اتبعوا الاسلام من اهل الكتاب بيان ضلال كانوا فيه . وقوله هم يوقنون جاء بصيغة الجملة الاسمية التي خبرها فعل لقصد افادة قصر الافراد لان تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي يفيد القصر غالبا وهذا القصر للرد على المشركين الذين يدعون انهم يوقنون بالآخرة فقد كان المشركون فريقين فريق لا يؤمن بالآخرة وهم الدهريون الوارد فيهم قوله تعالى : وقال الذين كفروا اهل نذلكم على رجل يئبكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد أفتري على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد . وغيره من آيات القرآن وفريق ءامنوا بالبعث والحشر مثل زهير في قوله يخاطب عبسا وذيان

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينقم

وكان كثير من العرب يجسسون راحلة الميت الكريم عند قبره حتى تموت جوعا ويقولون انه يحشر راكبا عليها والا يحشر راجلا فقصد بيان ان يقين هؤلاء بالآخرة هو مساو لانكار البعث في عدم ترتب فائدة التقوى والانعاط به لانه ايقنوا بالآخرة ايقانا بمحلا لم يكسبهم تقوى واما المتبعون للحنيئية في ظنهم مثل أمية بن ابي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل فلم يلتفت اليهم لقله عددهم او لانهم ملحقون باهل الكتاب لاخذهم عنهم كثيرا من شرائعهم المنسوبة الى ابراهيم عليه السلام وفي كلا التقديمين تعريض بالمشركون الدهريين ونداء على انحطاط عقيدتهم .

الحديث الشريف

اليوم اكملت لكم دينكم

قال البخاري حدثني محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن قيس عن طارق بن شهاب قالت اليهود لعمر انكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر اني لاعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت يوم عرفة وانا والله بعرفة قال سفيان واشك كان يوم الجمعة ام لا اليوم اكملت لكم دينكم

قد تقرر ان هذه الشريعة المباركة معصومة محفوظة من التحريف والتبديل لا تتغير احكامها باختلاف الزمان ولا بتعاقب الاحوال قال تعالى: لا تبديل لكلمات الله. وقال صلى الله عليه وسلم الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة قال ابو اسحق الشاطبي من خواص هذه الشريعة الثبوت من غير زوال فلا تجد فيها بعد كمالها نسخاً ولا رفعاً لحكم من احكامها لا بحسب عموم المكلفين ولا خصوص بعضهم ولا بحسب زمان دون زمان ولا حال دون حال بل ما كان سبباً فهو سبب ابد لا يرتفع وما كان شرطاً فهو ابد شرط وما كان واجباً فهو واجب ابد او مندوباً فمندوب وهكذا جميع الاحكام فلا زوال لها ولا تبديل ولو فرض بقاء التكليف الى غير نهاية لكانت احكامها كذلك

ولما بايع الناس عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ليس بعد نبيكم نبي ولا بعد كتابكم كتاب ولا بعد سنتكم سنة ولا بعد امتكم امة الا وان الحلال ما احل الله في كتابه على لسان نبيه حلال الى يوم القيامة الا وان الحرام ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه حرام الى يوم القيامة ومن كلامه الذي عني به العلماء وكان يعجب ما لكا جدا قوله: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الامر بعدة سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها من عمل بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاية الله ما تولى واصلا جهنم وساءت مصيراً. والمراد بسنة ولاية الامر سنة الخلفاء الراشدين كما جاء مفسراً في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه مرفوعاً للنبي صلى الله عليه

هذا درس ختم الحديث الشريف الذي القاها صاحب الفضيلة العلم الهام شيخ الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف ابقاه الله يوم ١٧ رمضان عام ١٣٥٧ بجامع حمودة باشا المرادي وقد حضره الامير الجليل سيدنا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ورجال دولته الفخام حسب عادته السنوية

وسلم عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور . وإنما قرن سنتهم بسنته لأنهم رضي الله عنهم فيما سنوه أما متبعون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأما لما فهموه من سنه صلى الله عليه وسلم وإن كان على وجه يخفى على غيرهم لا ثالث لهما لذين الاحتمالين وبالجملة فاحكام هذه الشريعة بعد كمالها ابدية مستمرة في جميع الاحوال والاطوار وإن زاعم التبديل أو التجديد منحرف عن الحجة الى بنيات الطريق

ولقد تملأت الادلّة على عصمة هذه الشريعة وحفظها نصريحا وتلويحا منها قوله تعالى : انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . نزلت هذه الآية ردا على قول المشركين يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون استهزاء وانكارا للوحي صريحا ولحفظه استلزاما فرد الله عليهم بان المنزل للذكر تحقيا على القطع والبنات هو الله تعالى وانه هو المتولي حفظه . لذلك ترى كلاما من طريقي أو جلتي الرد مقترنا أو مقترنة بأداة التوكيد المزدوج استقصاء في الرد عليهم من جهتي الصراحة والاستلزام وقطعا لما خامر أو هاهم الفاسدة من الطمع في عدم الحفظ وطرو التغيير . والسنة وإن لم تذكر قهرا هي الاوحي يوحى وهي مع ذلك مينة للكتاب ودائرة حوله فهي منه واليه ترجع في مواردها ومعانيها كما قال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم . والتبيين أما بالنص على المقصود أو بما يرشد الى ما يدل عليه بطريق الاجتهاد

وقد قبض الله تعالى لعموم الكتاب والسنة رجالا احكموا اصولها وحرروا معاهدها وفصولها وسادة يناضلون عن الدين بما أوتوا من الحكمة والعلم بموارد الشريعة ومداركها فمهما عارض في الدين من اهل الزيغ والاهواء معارض أو جادل بالشبه خصم مناهض غبروا في وجهه بالادلة القاطعة وذلك كله من حفظ الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ومن اللطائف القراءانية ما حكاه الشاطبي في الموافقات عن ابي عمرو الداني في طبقات القراء عن ابي الحسن المتأثر قال كنت يوما عند القاضي ابي اسحق اسماعيل بن اسحق فقيلا له لم جاز التبديل على اهل التوراة ولم يجز على اهل القرآن فقال القاضي قال الله عز وجل في اهل التوراة بما استحفظوا من كتاب الله فوكل الحفظ اليهم فجاز التبديل عليهم وقال في القرآن انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فلم يجز التبديل فمضيت الى ابي عبد الله المحاسبي فذكرت له الحكاية فقال ما سمعت كلاما احسن من هذا اه .

وبمثل ذلك صرح صاحب الكشف في تأويل الآية فقال وهو حافظه في كل وقت بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكمل القرآن الى غير حفظه اه .

قلت وصاحب الكشف وإن كان متأخرا لكن التنبيه الى هذه اللطيفة الشريفة من الفريقين كيفما

كان على وجه الاستباق او توارد الخواطر فان المرجع في استمداها قوله تعالى فالله خير حفظا كما لا يخفى .

ومنها قوله تعالى: آزر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . احكمت آياته اي نظمت نظما رصينا محكما لا اخلال فيه لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ثم فصلت آياته فصولا سورة سورة او آية آية او فصلت بدلائل التوحيد وفوائد المواعظ والاخبار تشبيها لها بالعقد المفصل بفرائد الدثالي على طريق الاستعارة وثم للتراخي في الرتبة لان التفصيل بعد الاحكام او للتراخي في الاخبار اعتبارا ان اقضاء اللفظ الاول ينزله منزلة المتباعد على وزان الاشارة للمقتضي بصيغة البعد كما في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله من لدن حكيم خبير تقرير لاحكام الآيات وتفصيلها على اكمل ما ينبغي كما تشعر به صيغة المبالغة وهو صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر وفي الكشف اوصلة لاحكمت وفصلت لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير قال وفيه طباق حسن اي لف ونشر مرتب مبني كما ترى على تعلق الطرفين بالفعلين معا على التوزيع لا على طريق التنازع وهو تاويل وجيه للغاية يعرفنا ان منع توارد العاملين على معمول واحد اغلبي او مخصوص بما لم يكن على التوزيع لتنزيل التوزيع معنى منزلة التفريق لفظا واتصال كل من القيدتين بعامله المتعلق به على ان تعليل المنع باجتماع مؤثرين ربما لا يسلم في الاحكام اللفظية والاعتبارات الاصطلاحية بل يحقق لنا قولهم في المثل اضعف من حجة نحوي ولا غرو فيما توخاه صاحب الكشف هنا فقد صرح في غير هذه الآية بان ذلك من باب الميل الى جانب المعنى وان العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا سينا وان كان على خلاف ظواهر الالفاظ

وليس المراد بالطباق المطابقة وهي المقابلة بين الاوصاف المتنافية كالحفة والثقل في حديث الكلمتين الحبيبتين الى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم ثم ان وصف الكتاب بكون آياته احكمها حكيم وفصلها خبير يشعر اشعارا جليا بحفظه وعدم تغييره

ومنها قوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما نفى عن الكتاب العوج باخلال في اللفظ وتنافي في المعنى او بانحراف عن الدعوة الى الحق واثبت كونه قوما اي مستقيما معتدلا لا إفراط فيه ولا تهريط او قيما بمصالح العباد وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال ولا شك أن وصف الكتاب بما يقتضي الكمال والتكميل يدل دلالة ظاهرة على الحفظ وعدم الزيادة والنقص كوصف الدين بالاكمال في آية الباب وهي قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً

والمراد بالاكمال إكمال الاحكام أصولا وفروعا بالنصوص عليه وكليات التشريع الراجعة الى ذلك الاصل العظيم الذي يعبر عنه علماء مصر والاندلس وشمال افريقيا بالمصلحة والمفسدة وعلماء

الشام والعراقين بالحسن والقبح لا بالمعنى المختلف فيه بل باحد المعنيين العقليين بالاتفاق أعني كون الفعل ملائماً او غير ملائم أو كونه صفة كمال أو نقص وذلك مساو لكونه مصلحة او مفسدة كما لا يخفى وتلك الكليات المستفادة من موارد الشريعة ومصادرها تتجلى أحكام غير المنصوص من الحوادث المتجددة بواسطة الاجتهاد المانون فيه بالكتاب والسنة فالمنصوص وكال الكليات وقواعد الاجتهاد حصل كمال احكام الدين كليه وجزئيه واندفع ما عسى ان يختلج ببعض الازهان وهو ان من الوقائع ما لم يكن منصوفاً عليه في الكتاب والسنة بل ما من حادثة الا ولها في الشريعة حكم اما منصوص او مقيس على المنصوص لا سائبة في الاسلام

والمراد باليوم الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كلفظ الآن وقيل يوم نزول الآية وهما مقاربان وربما استشكل تقييد الاكال باليوم على المعنيين لانه يقتضي نقصان الدين الذي كان عليه المسلمون قبل ذلك اليوم والمفسرين في الاحتراز عن هذا الاستشكل وجوه المختار منها ما ذكره القفال وحاصله بايضاح ان الدين المكلف به لم يكن ناقصاً البتة بل هو كامل في كل وقت من مبدا البعثة الى يوم نزول الآية غير أن كاله المذكور في الآية كمال حقيقي اذ لم ينزل بعد هذه الآية شيء من أحكام الحلال والحرام وفي اثناء البعثة كمال نسي بحسب الزمان لوقوع التدرج في المشروعية على حسب الحوادث حكمة من الله عليها فمجموع الاحكام في كل وقت هو الدين كله في ذلك الوقت الى وقت نزول الآية فيه تمت الاحكام التي اراد الله بقاءها ما دامت السماوات والارض وفي التنصيص على إكمال الدين مع مساق الامتنان تعريض بأن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أمر بتبليغه ولم يكتم شيئاً مما أمر بتبليغه وقالت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها من زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فقد أعظم الفرية على الله والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاتي والله يعصمك من الناس . أي بلغ جميع ما أنزل اليك غير مراقب في تبليغه احداً ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل اي وان لم تبلغ ما أنزل اليك فما بلغت ما ارسلت به . وظاهر اللفظ ان الجزء هو الشرط اي وان لم تبلغ لم تبلغ وهما متحدان معنى كاتحاد المبتدأ والخبر في قول ابي النجم : انا ابو النجم وشعري شعري والتحقيق أن مضمون الشرط هو نفي تبليغ البعض ومضمون الجزء هو نفي أصل التبليغ وهما متغايران في المعنى أي وان لم تبلغ بعض ما أنت مأمور بتبليغه ولو كلمة واحدة فما بلغت حيثئذ الرسالة ولا ادبت شيئاً منها وهذا التحقيق وان حصلت به المغايرة بين الشرط والجزء لم يزل محل نظر وموضع تأمل من جهة انعقاد الجزء وهو نفي أصل التبليغ بالشرط الذي هو عدم تبليغ البعض وترتبه عليه مع ان السلب الجزعي لا يستلزم السلب الكلي وبعبارة من ترك البعض لا يقال انه ترك الكل وفي ذلك نظر ان النظر الاول ان ترتب نفي أصل التبليغ على عدم تبليغ البعض حقيقي باعتبار

ان مجموع الرسالة شيء واحد فكتمان البعض في المستقبل يضيع ما أدى منها في الماضي كالصلاة اذا ترك بعض أركانها أو تخلف شرط من شروطها فانها تبطل من أصلها ولا يعتد بشيء مما أدى منها النظر الثاني أن الترتب مجازي على وجه المبالغة بابرار الكلام في معرض التسوية بين كتمان البعض وكتمان الكل في عدم الاداء او المؤاخذة تهويلا لشغل كتمان البعض على شاكلة فكأنما قتل الناس جميعا هكذا ينبغي تقرير كلام المفسرين في هذه الآية

وحكى القاضي ابو عبد الله المقرئ في الجزء الذي الفه في ترجمة شيوخه ومن اجتمع به في رحلته انه لما نزل بظاهر قسطنطينة تلقاه رجل من الطلبة فسأله عن هذه الآية وان لم تفعل فما بلغت رسالته فان ظاهرها ان الجزاء هو الشرط وذلك غير مفيد واجابه بان المعنى وان لم تبلغ في المستقبل لم ينفك تبليغك في الماضي لارتباط اول الرسالة بآخرها كالصلاة ونحوها فعبّر بانتفاء ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه وهو تبليغ الجميع قال ثم اجتمعت بابن عبد السلام بجامع بوقير بتونس فسألته عن ذلك فلم يزد على أن قال هذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله وقد علمتم ما قال الشيخ تقي الدين قال المقرئ وكلام تقي الدين لا يعطي الجواب عن الآية اي لان ما قاله تقي الدين هو حصول المغايرة بتقدير قيد في كل من جملتي الشرط والجزاء أي فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا ولا شك ان هذا التقدير غير ميسور في الآية لذلك قال المقرئ ان كلام تقي الدين لا يعطي الجواب عن الآية. ولعل ابن عبد السلام لم يرد خصوص التقدير الذي في الحديث بل اراد مجرد التنبيه على تقدير قيد مناسب تحصل به المغايرة ايضا

وفي الحديث وجوه آخر منها أن التغاير في المعنى لا بتقدير قيد في جملة الجزاء بل بالاحالة على الوصف المفهوم من السياق والمعهود الذي استقر في النفوس اشعارا بان ذلك الوصف الذي به التغاير من اللوازم الغنية عن التفسير اي فهجرته هي الهجرة المطلوبة او المعتد بها شرعا مثلا وشعري المعهود الذي اشتهرت بلاغته اشتهارا لا خفاء فيه ومنها ان الجزاء المذكور جار على اقامة السبب مقام المسبب الذي هو الجزاء في الحقيقة والمعنى فهجرته مقبولة او مشروعة لانها لله ورسوله وكل من الوجهين يمكن اجراؤه في الآية على ضعف لا يخفى على الناقد البصير

وتأمل ايها الباحث عن محاسن البيان ولطائف الاسلوب الحكيم لترى كيف ذكر الشرط في الآية بغير عنوان الجزاء فقليل وان لم تفعل بدل وان لم تبلغ اشعارا بالمغايرة في المعنى على ضرب من التاويل هذا وقد أخرج البخاري هنا في كتاب التفسير الاثر المروي عن عمر رضي الله عنه بلفظ قالت اليهود لعمر انكم تقرأون آية الخ وفي المغازي ان ناسا من اليهود وهاتان الروايتان متساويتان وفي كتاب الايمان ان رجلا من اليهود قال لعمر رضي الله عنه آية في كتابكم تقرأونها لو علينا نزل

لاتخذنا ذلك اليوم عيداً أي لعظمتنا وجعلناه عيداً في كل سنة قال اي اية قال : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً. قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة

وهذا الرجل كما في كثير من الروايات هو كعب الاحبار واطلق عليه الوصف المذكور اما لان سؤاله كان قبل اسلامه فإنه أسلم في خلافة عمر أو على طريق المجاز باعتبار ما مضى والجمع بين رواية كون السائل واحداً ورواية كونه جماعة هو أن السائل في الواقع جماعة وتكلم كعب بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن غيره

ولا خلاف بين المحدثين في أن الوارد في الاثر ان يوم نزولها هو يوم عرفة أي في حجة الوداع سنة عشر وجمهور المحدثين على أنه يوم الجمعة وهو الصحيح الذي عليه غالب الروايات لا يقال ان الجواب بمعرفة الوقت والمكان لا يطابق السؤال عن جعل اليوم عيداً لانا نقول قد وقع التصريح في كثير من الروايات بان يوم نزولها يوم عيد وفي رواية وكلاهما بحمد الله لنا عيد وفي رواية بلفظ وهما لنا عيدان وفي رواية اخرى في يوم عيدين يوم الجمعة ويوم عرفة ولا يخفى ان الجواب بذلك ارقى مما يتطلبه السائل لتضمنه انها نزلت في يوم عيدين لا بجعل العباد بل بالوضع الشرعي وذلك من زيادة التفضيل لهذه الامة

وفي كلام بعضهم ان يوم عرفة يسمى عيداً باعتبار انه يعقبه عيد الاضحى واستروح له بما في الصحيح شهراً عيداً لا ينقصان رمضان وذو الحجة حيث سمي رمضان عيداً لانه يعقبه عيد الفطر وحينئذ ففي يوم نزول الآية ثلاثة اعياد كما قال الشاعر

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعه وجه الحبيب (ونحن نقول) وجه الامير ويوم العيد والجمعة وانما كان يوم الجمعة عيداً لاختصاصه باحكام ومزايا تنبئ عن تفضيله على سائر ايام الاسبوع اجلها الساعة التي يستجاب فيها الدعاء وفي تعيينها اقوال اصحها او من اصحها ما بين ان يجلس الامام على المنبر إلى ان تقضي الصلاة كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعاً وفي حديث آخر صححه الحاكم وغيره انها اخر ساعة من يوم الجمعة والظاهر انها ساعة لطيفة يختلف وقتها بالنسبة الى كل بلد وكل خطيب فان الشمس لا تتحرك في درجة الا وهي تطلع على قوم وتغيب عن اخرين

وفي الحديث الحث في الدعاء على تحري مظان الاجابة من الاوقات الفاضلة والاحوال الشريفة كيوم عرفه ويوم الجمعة وشهر رمضان واثار الصلوات المكتوبة ونحو ذلك قال تعالى وبالسحار هم يستغفرون وفي الحديث ان الدعاء بين الآذان والاقامة لا يرد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما تاخير يدخر له وفي الحديث اذا سأل احدكم ربه فتعرب الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،

لا عزاء بعد ثلاث

بقلم مولانا شيخ الاسلام المالكي ابقاه الله

تسير على اللسان أقوال تصادف هوى من الناس فتدفعهم الشهوة الى قبولها، ويتلقونها تلقى النفس للمحجوب غير مصفية الى عذولها، ثم تتسع بين العامة قديدا، ولا يتطلعون لها سندا، ولربما كانت من قبل ان تتعلق بها الاهواء، عاكفة في حجر الانزواء، وكذلك تراها اذا انصرفت عنها الاهواء، تذهب كما يذهب الغناء، ولقد يبلغ الغلو في بعض الاحوال فيكسو هذا القبول حلية مشدورة، اذ يجعل تلك الافوال من السنة الماثورة، وبهذه العلة كثرت الاحاديث المشتهرة، التي نسبتها الى الرسول الكريم مستكثرة وفي عداد هذه الاقوال التي راجت كلمة « لا عزاء بعد ثلاث » تناقلها الناس وظنوها من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وفرعوا على هذه النسبة تقاريع واحكاما، ووقتوا المئات اوقاتا واياما وليس هذا القول من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد الغلط في نسبته اليه واضحة سندا ومعنى، اما من جهة السند فهذا كلام لم ينسبه الى رسول الله ولا الى اصحابه احد اذ لا يوجد له ذكر فيما علمنا من كتب الحديث المعدة لاجراخ الحديث الضعيف والتبنيه على الاحاديث الموضوعة بله كتب الصحيح والحسن

واما من جهة المعنى فهو غير مستقيم لان العزاء لغة هو الصبر فيصير المعنى لا صبر بعد ثلاث أي ليال وهذا معنى باطل لان الصبر بعد مضي ثلاث ليال اقرب الى الحصول منه عند حلول المصيبة او في اليوم الاول وهكذا ما زادت الايام كان الصبر امكنا واقرب وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الصبر عند الصدمة الاولى » يعني الصبر الكمال والافالصبر مامور به ومثاب عليه في كل وقت بقدر ما يحمد المصائب نفسه على دفع الجزع والحزن وبقدر ما له من جزع وحزن مدفوعين، فان قيل لعل المراد بقوله لا عزاء بعد ثلاث اي لا ثواب على الصبر بعد ثلاث قلنا هذا لا يستقيم لانه يصير الكلام اغراء بالدوام على الحزن والجزع اذا فانت ثلاث الليالي قبل ان يحصل الصبر او بعضه مع ان الحزن يعاود الحزين ولو بعد مدة طويلة ولا يملك له دفعا الا بمعودة الصبر وقد عاود الحزن يعقوب عليه السلام بعد مدة طويلة كما حكى الله عنه بقوله وايضت عيناه من الحزن فهو كظيم - الى قوله - قال انما اشكو بشي وحزني الى الله، مع انه قد صبر عند الصدمة الاولى اذ قال حين اخبره اولاده بهلاك يوسف : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، وقال حين اخبروه باسر بنيامين فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا، فثبت ان المعنى المفسد من كلمة لا عزاء بعد ثلاث معنى باطل .

ولا يصح ان يكون النفي في قولهم لا عزاء بعد ثلاث مراداً به النهي مثل لا وتران في ليلة أي لا تعزوا ولي الميت بعد ثلاث أي النهي عن تذكيره بواجب الصبر وترغيه فيه بعد مرور ثلاث ليال على موت ميتة كما يتوهمه الناس فيسوقون هذا الكلام في هذا الغرض لانه لو كان ذلك المراد منه لقليل « لا تعزية بعد ثلاث » لان الفعل الذي يدل على هذا المعنى هو عزى المشدد يقال عزاه أي جعله ذا عزاء أي صبر مثل سلى فيكون مصدره التعزية مثل التسلية ولم يسمع في كلام العرب اطلاق لفظ العزاء على معنى التعزية وبذلك يجزم بان لا تصح نسبة هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان فساد المعنى من علامات الوضع فلو كان هذا الكلام قد روي حديثاً لعلمنا أنه موضوع فكيف وهو لم يروه أحد وأما ما سرى هذا الكلام الى الاوهام فهو سوء النقل وقلة التمييز فان اصل هذا القول هو كلام مأثور عن الوزير يحيى بن خالد البرمكي انه قال « التعزية بعد ثلاث تجديد للصيبة والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة » وهو كلام نفيس مغزاه وجوب المبادرة بالتعزية والتهنئة لان في إيقاعهما بعد ذلك ادخال ضرر على أصحاب المصيبة أو ايداناً بقله الاتهام بحصول النعمة لمن حصلت له وليس المراد ترك الامرين بعد ثلاث لان ذلك أشد جفاء فجاء بعض الضعفاء في الادب فحرف لفظ التعزية الى لفظ العزاء وقلب معنى التنبيه على الجفاء فصيره نهيًا ثم عبر عنه بصيغة نفي الجنس التي تستعمل في النهي يظن نفسه قد نصى به منحى إيجاز الامثال وماءاة الاخبار الا رواها . وقد توهم كثير من الناس في تونس بسبب هذا أن اقامة المآتم لليت ثلاثة أيام هو أمر من السنة أخذاً بمفهوم العدد في مقالة « لا عزاء بعد ثلاث » فجعلوه شاهداً شرعياً لبعض عوائدهم اقامة مأتم يوم الدفن والمآتم المسمى بالفرق الاول وهونالك يوم ليوم الدفن وابطلوا ما يسمى بالفرق الثاني الذي هو سادس يوم الدفن وما يسمى بالزيارة الذي هو نهاية الاسبوع الثاني ليوم الوفاة ومآتم الاربعين ومآتم غلق العام مع ان هذه العوائد مفعولها ومتروكها لاحظ لها في السنة وما هي الا من العوائد المبتدعة الجارية على احكام البدعة الخمسة وهم وان احسنوا فيما ابطلوه منها فانهم لم يصيبوا في اعتقاد ان ما استبقوه هو من السنة

هذا ولاكمال الفائدة في هذا الغرض نلم بالمقصد الشرعي في باب التعزية فان من مقاصد الشريعة ابطال ما كان عليه اهل الجاهلية من اظهار الحزن والجزع عند المصيبة ومن التظاهر به والمبالغة فيه والاعانة عليه ولذلك ورد الوعيد الشديد على النياحة وشق الجيوب ولطم الحدود وحنو التراب وراثاة الحال . وحكمة هذا التشريع الجليل الذي انفرد به الاسلام أن حلول المصائب بالانسان من نوااميس هذا العالم وهي من مكاره الدنيا فمن شأها ان تنعم النفس وتفسد المزاج فينشأ عن أعراضها ادواء كثيرة مضرتها على صحة البدن محققة ولذلك كان الجزاء عليها بالثواب الجزيل لان ما يصيب المؤمن من الرزايا يناله عليه الثواب حتى الشوكة يشاكها كما وود في الصحيح فاذا راض المؤمن نفسه على الصبر

وتلقي المصيبة بالجلد خف معمولها في صحته ومزاجه وإذا بالغ في الحزن وعادة قوي معمول المصيبة فاشتدت الاعراض المنهكة للبدن والمسلم مأمور بحفظ بدنه، على أن الجزع لا يخفف الرزية فكانت مضرّة الحزن خالصة غير مشوبة بمصلحة فلذلك لم يكن في تربيته عذر وكانت مفسدته الخالصة قاتية بحكم التحريم ولم يرخص الا في المذر الجلي منه كدمع العين وصعداء النفس وحرم غير الجبلي منه تحريماً شديداً كالنياحة والقول وهو دعوى الجاهلية، وفي الحديث الصحيح ليس منا من شق الحيوب ولطم الحدود ودعا بدعوى الجاهلية ولذلك كانت اثم من يجدد الحزن لاهل الميت شديداً مثل اللاء يسفن نساء الميت بالنياحة وبذكر محاسنه وتعظيم رزيته وبكس ذلك من خفف عن أهل الميت مصيبتهم، ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعاً من عزى مصابله مثل أجبره (وهذا الحديث غريب تفرد به علي بن عاصم عن محمد بن سوقة قال الترمذي وقد قم على علي بن عاصم وتكلم فيه لاجل هذا الحديث) وفي سنن ابن ماجه والترمذي عن محمد بن عمرو بن حزم مرفوعاً « ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » وفي هذا التشريع حكمة أخرى عائدة الى الخلق وهي الارتياض على تلقي المكاره برباطة جاش وجلادة حتى لا تذهب حلول المصائب بلب المسلم ولا تملك سائر قلبه فلا يهتدي للخلاص منها سيلاً فذلك من سمو الاخلاق ولما كان الغالب في الجاهلية ظهور الحزن في النساء خص النساء بالنهي عن ذلك في أحاديث كثيرة لا رخصة في شيء منها شيء من مظاهر الحزن المتعلقة بالذات من فعل وقول سوى البكاء بلا صوت وفيها رخصة قليلة لما يتعلق باللباس في حديث النهي عن أضعف هذه الاحوال وهو لبس السواد وترك الزينة وهو ما روي في الموطأ وغيره لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشراً أي اذا كانت عدتها بالاشهر وأما الحامل فتحد مدة الحمل لان عدتها وضع حملها وذلك سدلنريعة التزويج في العدة حفظاً لحق الميت في اثبات نسبه ورخص النبي صلى الله عليه وسلم في البكاء بلا صوت مدة ثلاثة ايام ففي كتاب ابي داود عن عبد الله بن جعفر ان رسول الله اهلء آل جعفر بن ابي طالب ثلاثاً ان ياتيهم ثم أتاهم فقال « لا تبكوا على أخي بعد اليوم » . وروي ان الحسناء جاءت المدينة حاجة فدخلت على عائشة رضي الله عنها وعلى الحسناء صدار من شعر أسود وهي حليقة الرأس فقالت لها عائشة اخناس قالت ليك يا اماء قالت اتلبسين الصدار وقد نهي عنه في الاسلام فقالت لم اعلم بنهي . وبهذا يعلم ان جميع ما يفعله بعض الناس من تجديد ذكر الاحزان على الاموات والتجمع للبكاء في الاعياد ونحوها من المحرمات شرعاً وكذلك الحزن الذي يزعمه العامة في يوم عاشوراء وما يليه حدادا على الحسين بن علي رضي الله عنهما

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريف

٨

لبنة التمام

تقدم في السؤال صدر هذا الكتاب ان في الشريعة الاسلامية اصولا وفروعا يظهر منها انها مبنية على ان الدين فوق العقل واخرى يظهر منها العكس . فقد يقول قائل انك لم تستوف الجواب ما دمت لم تبين ذلك فاقول

لم اقف في الشريعة الاسلامية على اصل ولا فرع بنى على الاصل الاول ولا الثاني نعم المسيحيون يزعمون ان الدين فوق العقل وذلك انهم قالوا بالتثليث والحلول والاتحاد واثبات البنوة والابوة للالة تعالى وتقدس . ومنعوا الناس ان يفكروا ان الارض كرية الشكل او تدور حول الشمس . وغير ذلك من عقائد واحكام لاتوافق والعقل ولا العلم زعما منهم ان الكتاب المقدس نص عليها فمن لم يقل بها كفروا وحرقوا . ولما رأوا قيام البراهين القاطعة على وحدانيته تعالى وانه كان ولا يزال قائما بنفسه قيوما بخلقه مستغنيا عن كل ما سواه قبل المسيح وبعدهما ووقتهما وان كرية الارض امر محسوس الى غير ذلك من ادلة قامت ضدهم عقلا وحسا التجأوا الى القول بان الدين فوق العقل ظنا منهم ان مشكلات الدين المسيحي تنحل بدوس براهين العقل وتزييفا او بالاكل عدم الاعتراف بها . وهيئات ان حيش العقل مضمون له النصر فلا يهزم ولا يزيغ والعالم منذ كان لاطاقة له على مقاومته ولا الثورة عليه بل هو خاضع له اتم الخضوع . ولا سيما بعد نضوج العقل وتوطيد اركان الفلسفة في انحاء المعمورة . فأفكار العالم مهما تكثفت بالاوهام وصدئت بالخرافات : فانها بادنى تنبيه تسارع الى التشتبث بالعقل وتنجذب اليه بقوة مغناطيسية وتطأ على الراس لقوته القاهرة للوجود وللوجدان . اما المسلمون فانهم في حل من هذه الانتقال المسيحية كلها

لان الدين هو الذي حرره فكرهم من حملها والدين متعاضد مع العقل والعلم اتم تعاضد لذلك لا يقولون بفوقية الدين على العقل ولا فوقية العقل على الدين لان دينهم لم يكلفهم ان يعتقدوا ما لا يسله العقل الصحيح ولم يرض لهم التقليد ولنذكر بعض ما توهمه السائل من تلك الاصول والفروع فاقول :

١- يوهوم ان الشرع مبني على ان الدين فوق العقل

اولا - لم اقف على ما يوهوم ذلك من الاصول الا قول العلماء ان العقل لا يصل الى كنه الدات العلية وصفاتها السنية

والحقيقة ان الذات العلية وصفاتها السنية فوق (١) مستوى العقول . فليس للعقل سبيل الى كشف حقيقتها ، وحسبه الاعتراف بالمعجز لكونه في عالم الكثافة . وهو نفسه خلق ضعيف معترف بعجزه عن الوصول الى ما هو فوق مستواه . والعقل لم يصل الى كل شيء بل لايزال عاجزا عن اشياء من عالمه نفسه . بل ما جعله منه اعظم مما وصل اليه بمراحل شاسعة . فقد عجز عن حقيقة الروح وحقيقة نفسه . ومن عجز عن حقيقة نفسه فكيف يصل الى حقيقة خلقه . بل هناك اشياء من عالمه هو يراها ويحسها او يشعر بها ولا يدري حقيقتها كالكهرباء فكيف يتطلع الى ما لا مطمع له فيه وليس من عالمه . وفي الحقيقة لا يتوصل لمعرفة حقيقة الله الا بالمعجز عنها كما قال ابو بكر الصديق المعجز عن الادراك ادراك

وليس في قواعد العقل ما يحيل عجز العقل عن معرفة حقيقة الله وصفاته لكونه محجوبا عن ذلك كما انه محجوب عن كنه حقيقة السماء وما في النجوم وامور علوية بل امور سفلية في العالم الذي هو في مستواه ومن جنسه

ولكن العقل ايضا لا يحيل الوصول الى ذلك وبالجملة ليس هناك شيء اثبته العقل ونفاه الدين او نفاه الدين واثبته العقل فتعارضنا فقدما الدين على العقل كما هو موضوع المقام بل هناك شيء لم يصل العقل اليه ووقف عنده حائرا وعذره الدين في حيرته ولم يكلفه الوصول اليه

ثانيا - ومن الفروع قول علي كرم الله وجهه لو كان الدين بالعقل لكان اسفل الخف اولى بالمسح من اعلاه وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه

وجوابه ان ليس هناك دليل عقلي او علمي يوجب علينا مسح اسفل الخف فجاء الدين بمسح اعلاه وانما سيدنا علي يرشدنا الى ان الفروع الفقهية لا يتمسك فيها بالقياس مع وجود النص فالقياس حينئذ فاسد الوضع ؛ ذلك ان القياس على الموضوع اقتضى مسح اسفل الخف واعلاه والنص جاء باباحة الاقتصار على اعلاه فقدما مقتضى النص على مقتضى القياس وكل منهما دليل شرعي غير ان القياس مركب من نقل وعقل .

ثالثا - قول ابي حنيفة لو قلت بالرأي لا وجبت الغسل من خروج البول المتفق على نجاسته

دون المني المختلف فيه ولعلقت فيه بالوضوء فقط ولاعطيت الذكر نصف ما يجب للأنثى في الارث لانها اضعف منه (٢)

وجوابه انه من نوع ما قبله ايضا وذلك انه قياس على منصوص عارضه نص فعمل بالنص والغني القياس .

ونجيب ابا حنيفة بان المني روعي فيه اللذة التي تعم البدن فوجب تعميم غسل البدن بخلاف البول ائذي يتكرر في اليوم مرات .

وان الاشئ اعطيت النصف ارثا لمناسبة وظيفتها في المجتمع وهي الاموة اذ ليست مكلفة بالحرب ولا ان تقوم بنفقة الزوج ولا اولادها بل بالعكس كلف غيرها بنفقتها وذلك اقوى من اعتبار ضعفها .

رابعا - اعترض بعض المتفرجين على حديث اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه ثم لبتزه فان في احدى جناحيه داء وفي الاخرى شفاء فرد الحديث مع كونه في الصحيح بان الذباب يسقط على النجاسة فينقل ما فيها من جراثيم الامراض فكيف يغمس في الماء ثم يشرب مع ان الواجب طبا التحرز منه كليا .

وجوابه ان هذه فكرة طبية لم تتضح وان وجوب التحرز كليا لم يصل لحد ان يكون يقينيا بل الامتحان العلمي دل على ان في الذباب مادة سامة - يسميها الاطباء - بعد البكتريا - تقتل كثيرا من جراثيم الامراض فلا يبقى لها تاثير في جسم الانسان فاذا سقط الذباب في شراب او طعام والقي الجراثيم من اطرافه فاقرب - ببعد لتلك الجراثيم هو مبعد البكتريا الذي يحمله في جوفه قريبا من احد جناحيه ؛ فاذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه بغمسه كله ثم طرحه فذلك كاف لدفع ضرره هكذا قرر بعض الاطباء المصريين في محاضرة القاها بجمعية الهداية بمصر ونقلتها مجلة الاسلام في عدد ١٨ جمادى الاولى عام ١٣٥٥

واقول ايضا ان الحديث لم يوجب غمس الذباب مع الشرب . بل او طرح الشراب كليا لما كان هناك وزر ؛ وانما هو سرف في ماء قد لا تكون له قيمة ؛ وانما الشارع براعي حال قلعة الماء في السفر والصحراء فارشدنا الى المران على الاقتصاد ودفع ما عسى ان يضطر اليه ؛ فالامر للارشاد ؛ بدليل علة الحكم المدلول عليها بقاء السببية فالعلة ليست تبعية تقتضي الوجوب . وانما هي ارشاد لمن شاء الاقتصاد ودفع الداء بالدواء .

خامسا - ينبغي ان تنبه هنا الى ان ابن خلدون امام التاريخ والفلسفة قال في المقدمة في مواضع : اذا وجد من الوحي ما يتصادم مع العقل يلزم اتهام العقل والايمان بالوحي ه .

فاقول هذا من الامام تجويز عقلي واحتمال فكري ؛ ولم يات بمشال يتحقق فيه ذلك ؛ ولو فرض وجوده فاما ان نجد الوحي احاديا غير متواتر او متواترا ولكن دلالة غير قطعية ، فهذا اذا صادم امرا عقليا يقينا دل الامتناع العقلي على يمينته هو الذي حكم فيه السلف بالوقف او التفويض وحكم فيه بالتاويل المعتزلة واكثر الاشاعرة ؛ ولذلك اولوا ايات التشبيه واحاديث الصفات ،

والسلف مع تفويضهم او وقفهم لا يردون ما دل عليه صريح العقل القطعي فهم مفوضون لا مقوضون ، والدليل العقلي القطعي واجب التسليم عند الجميع غير متهم ؛ ولا اظن ابن خلدون يخالف هذا ؛ وانما يحمل كلامه عندي على الدليل العقلي الذي لم يصل لحد القطع ولم يرقم اختبار حسي على يقينيته وهذا في مصاف الظنون بل هو ملغى لا اعتبار به امام النصوص الشرعية القطعية بل والظنية فلا يوهنها وهو متهم ساقط امامها ،

اما تصادم قاطعين احدهما عقلي والآخر شرعي فهذا ما لا تجده اصلا كما سبق ولا يصح حمل كلام ابن خلدون عليه وان كان ظاهرة لانه مستحيل الوجود ،

ما يوهم ان الشرع مبني على ان العقل فوق الدين

ان المعتزلة القائلين بالتحسين والتفبيح العقليين وكثيرا من الاشعرية مصرح بتقديم العقل على النقل اذا كانا قطعيين معا ، وممن صرح بذلك (١) ابو البقاء في اخر كتاباته قائلا يعتبر النقل من قبيل التشابه وينسب مثل هذا لامام الحرمين (٢) في الارشاد والغزالي وتلميذه ابن العربي المعافري والامام الرازي واتباعهم ، واحتجوا لذلك بان الادلة العقلية قطعية وان النصوص النقلية لا تفيد (٣) اليقين وتقدم لنا البحث في هذه المسالة والرد عليهم بما يكفي .

(١) فهو عكس ابن خلدون

(٢) قد شاع على هؤلاء الامام احمد ابن تيمية في كتابه موافقة صريح المقول لصحيح المنقول المطبوع بمصر بهامش كتابه منهاج السنة ، ولقد سلف مني صدر هذا التحرير اني لم اقف على من صنف في مسالة تعاضد العقل والعلم والدين ولقد اقامت ابحاث عم من صنف في ذلك نحو السنتين بعد ما نشرت جريدة السعادة المغربية اصل كتابي هذا ثم وقفت على نص كتاب ابن تيمية المذكور الاول في المكتبة الناصرية بسلا في ربيع النبوي عام ١٣٥٦ ولقد وجدته مجموعا واسعا في مجلدات ، ولكنه نجا غير المنحى الذي انتجته اذ تتبع ادلة علماء الكلام في العقائد ينقضها بناء منه على انها تناقض الكتاب او السنة مع انه لم يظهر وجه التناقض الحقيقي بمعنى الفنى وقد توافقنا والحمد لله في المبدأ الذي هو موافقة المقول للمنقول غير انه سلك طريق ابن خلدون في تقديم المنقول بل زاد - هو ولوطنيا فكانه نقض مبرمه وتنبيي مراجعة كتابه ومقابلته مع هذه الرسالة قرب ساقية انفع من بحر ومقرض كتابه بقرئك السلام

(٣) هذه الحجة يتبين منها ان النقل عندهم عن قبيل المظنون والقطعي يقدم على الظني باتفاق فيمكن ان نقول انهم لا يقدمون العقلي على النقل فالحلاف بيننا وبينهم في حال لانهم يرون ان حال العقلي هو الظن فقط ونحن نرى انه قد يكون قطعيا فتأمل ذلك

كما اخلاستهم طريقة المعتزلة في التحسين والتفويض العقليين . وهي مسألة طولية اشبع الاصوليون القول فيها بحثا وقتلوا نقدا واوسعوهم تشنعا بانهم تحكموا على الله في دينه واحكامه ولكن كثير من الاشعرية وقعوا فيها وهم لا يشعرون .

كما وقع المعتزلة في معضلة اعظم وهي انهم مهما توهموا معارضة ما برهن نص شرعي ولو قطعيا وبين شبهة عقلية وقع في وهمهم انها قطعية نص على قطعيتها حكيم يواني او هندي مثلاً . من غير اختبار ولا امتحان علي مدقق الا وقدوده فقالوا بقطعيتها ونبدوا النص بالتاويل ولو بعيدا ان كان متواترا او بتجاهله وانكاره ان كان احاداً ولو في اصح الصحيح ووهنوا النصوص حيث زعموا انها لا تفيد يقينا بحال كما سبق وما كان ينبغي ذلك .

لذلك قالوا ان الله لا يرى حتى في الآخرة معتمدين على قول بعض الفلاسفة ان القديم لا يراه الا القديم ، ولا يسمع كلام القديم الا القديم ، وان الرؤية شرطها اللون والجسمية والقرب الحسي وغير ذلك مما هو محال في حقه تعالى وهو معتاد في المراتب الحادثة . لكننا نقول لهم الى الآن لم تقيموا دليلاً قطعياً على ان القديم لا يراه الا القديم ولا يسمعه الا القديم . بربكم بينوا لنا من الذي سمع الشرائع والامور والنواهي . وماذا تعملون في قوله تعالى « انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » فمقالكم هذا هادم للنبوات والاخبار عن الله وشرائعه اذا لم تكن مسموعة متلقاة منه تعالى اذ تصبرونها محل ارباب ، كما ان ما شرطتموه في الرؤية لم تاتوا عليه ببرهان ، وليس في العقل ما يمنع رؤية الباري او من لم تتوفر فيه شروطكم ، وجريان العادة بها في الحادث لا يوجب القطع باشتراطها في القديم ولا في الحادث اذ كثيراً ما نرى تخلف العادة ،

وقياس القديم على الحادث فاسد وما انصفك من احالك على غائب .

وقالوا ايضا بنفي صفات المعاني كالقدرة والارادة والعلم والكلام والسمع والبصر اعتماداً منهم على ان القديم لا يتعدد وهي قاعدة اخذوها عن اهل الفلسفة زادوها تعميماً فقالوا ولو موصوفا وصفة . وما كان ينبغي لهم زيادة نغمة في ظنور الفلاسفة .

اذ دليل نفي تعدد موصوف وصفة لا يصح ان يسمى دليلاً فضلاً عن ان يكون قطعياً والقرءان العظيم اثبت لله بعض صفات المعاني صريحاً فقال : انزله بعلمه . وقال : اني اصطفيك على الناس برسالتي وبكلامي . واثبت بعضها كناية وهي ابلغ نحو قوله تعالى « يا ايت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر » وقوله « الم تر انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً » يتبع

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الوزراء التونسيون

قبل الحماية وبعدها

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة (٢)

تكلمنا في العدد السابق على نظام الوزراء قبل الحماية واما الوزراء يوم انتصاب الحماية في ١٢ ماي ١٨٨١ (١٣ جمادى الآخرة ١٢٩٨) فهم :

الوزير الاكبر ووزير الخارجية ورئيس الكمسيون المالي	أمير الامراء مصطفى بن اسماعيل
وزير الشورى	أمير الامراء محمد خزندار
وزير القلم وباش كاتب ووزير الاستشارة	أمير الامراء الشيخ عبد العزيز بوعتور
وزير الحرب	أمير الامراء سليم
وزير البحر	أمير الامراء أحمد زروق
وزير الاستشارة ومستشار المعارف والنافعة	أمير الامراء حسين
كاهية الباش كاتب (١)	الشيخ محمود بوخرص

ثم ظهرت في تلك الاثناء أحوال أوجبت اغفاء الوزير حسين من خطة وزير الاستشارة ومن مستشار قسم العلوم والمعارف ومن المأمورية المنوطة بعهدته بإيطاليا وهي محاسبة ورثة القايد نسيم شمامة عن تصرف مورثهم في مالية الدولة التونسية (٢) بصفة قابض عام وكان ذلك في ٢١ رمضان ١٢٩٨ وزيد في النكابة به بعد ذلك فجر دوة عن رتبة أمير الامراء في ٢٩ صفر ١٢٩٩ ولكن التونسيين من الخاصة والكفاة ما زالوا ينعون بالوزير في محراتهم ومحادثاتهم وبعضهم يجهل وقوع فصله عن خططه وامتيازاته بالدولة. وكان حسين هذا من الممالك القليدين الذين كانت لهم بضاعة في العلم (٣)

- (١) هذه الخطة احدثت لاجله ولم تمنح لغيره قبله وبعده قالوا انه وقم احداثها لاجل باب المطامع في وجه من كان يتوقع منه المزاحمة للباش كاتب وتوفي الشيخ محمود بوخرص في سنة ١٣٠١
- (٢) يستفاد من عبارة مفكرات الوزير خير الدين التي قامت بتشرها في هذه الانشاء مجلة مشيخة قرطبنة ان المال للمتخذ بذمة القائد نسيم للدولة التونسية يبلغ العشرين مليوناً
- (٣) لملدنا بعض وثائق تاريخية من انشائه ويخط يده تشهد برسوخ قدمه في الكتابة والخط

اكتسبها من مزاولته لعلوم العربية بمدرسة الهندسة احرية بباردو ثم بملازمة استاذة وصاحبه الشيخ محمود قابادو وبمجالسة العلماء من اصدقائه كالمرحوم الشيخ احمد بن الخوجة والمرحوم الشيخ سالم بوحاجب. وقد تضمن أحد كناشات اول هذين الشيخين قصيدة من انشائه في امتداح الوزير حسين عند رجوعه والوزير خير الدين من الاستانة مع الخلعة السلطانية المهداة لسمو الباي اثر ولايته الملك في سنة ١٢٧٦ ومما جاء فيها قوله :

علم تجمل بالديانة والتقوى وسداد رأيي باهر برهانا
يسقي السلافة في كؤوس يانه سحبان منها لم يزل نشوانا
ما تونس الخضراء الا روضة قد كان منها الروح والريحانا

وفي مستهل الدولة العلوية وقع ترتيب الخطط الوزارية على اسلوب جديد موافق لقاعدة الاحتساب والرقابة من السلطة العليا الفرنسية في تصرفات الوزراء التونسيين بالدولة فالغيت خطة وزير الشورى كما الغيت وزارة الحرب ووزارة البحر القديمتين وأبقيت خطة الوزير الاكبر وخطة الباش كاتب وزير القلم والاستشارة وأسندت الوزارة الخارجية للوزير المقيم وفقا لنص معاهدة باردو وتقلد الجنرال قائد الجيوش الفرنسية بالعمالة خطة وزير للبحرية بالدولة التونسية وفي مدة الوزير المقيم م. فلاندان اعطي لقب وزير البحر بالدولة التونسية للاميرال السوالي البحري بنزرت. ثم في سنة ١٣٣٨ وقع احداث خطة وزير العدلية التونسية بمساعي الوزير المقيم م. لوسيان سان دبر ذلك سياسة منه على وجه الترضية للفكر العام التونسي الذي كان متطلبا للتفريق بين السلط فكان الوزراء التونسيين من يومئذ ثلاثة : الوزير الاكبر - وزير العدلية - الباش كاتب وزير القلم والاستشارة - وبالتالي وجد للمرة الاولى في التاريخ التونسي لقب الوزير بالعنوان الشرفي فكان أمير الامراء السيد الطيب الحلولي وزيرا أكبر شرفيا عند استقائه من الوزارة الكبرى في سنة ١٣٤٠. وتكرر هذا اللقب بامناحه لغيره من الوزراء الحاليين على التقاعد في هذه السنين القريضة وبديهي أن للوزير الاكبر حق الرئاسة على زميله التونسيين مع الامتياز بحمل نيشان البيت الحسيني وليس لغيره من ابناء البلاد ان يطعم في مد عنقه لذلك النيشان الرفيع الشان وشذامان غيره من الوزراء التونسيين نيشان العهد المرصع وهذه القاعدة لم تتخلف في عصر الحماية الا مرتين مرة في مدة المولى علي باي ومرة في سنة ١٣٤٥ على عهد المولى محمد الحبيب باي فقد تفضل به على صاحبنا المرحوم امير الامراء السيد الطاهر خير الدين في السنة المذكورة وبعد ان صار هذا الوزير الفقيد وزيرا شرفيا احسنت له الدولة الفرنسية بالصف الاول من (اللجيون دونور) وكان من القدر المقدور أن وصول هذا الوسام العالي لتونس وافق يوم التحاق صاحبه بالدار الآخرة

هذا وللوزراء التونسيين على السواء حق العضوية بمجالس الوزراء وهذا المجلس ليس له قانون

صدر بتأسيسه وانما وجوده مستفاد من أمر ترتيب الميزانية التونسية الاولى في عهد الحماية جمعه الوزير المقيم م. كمبون براءسته لاول مرة في سنة ١٣٠٠ ولم يكن للدولة التونسية مجلس وزراء في عهد الدور القديم وغاية ما هنالك أن سمو الباي كان يجمع مجلسا من أهل شورته في الامور الهامة وربما أضاف لهم بعض أهل العلم فقد أتيح للشيخ أحمد بن الخوجه وللشيخ مصطفى رضوان الحضور في مناسبات كثيرة بمجلس مشورة المشير محمد الصادق باي وكان المشير محمد باي لا يت امر عظيم في الشئون الخاصة بأهل العلم وما التحق بها الا بعد مراجعة صهره الشيخ محمد يرم الرابع وهو الذي أشار عليه بجعل نظام المحاكم الشرعية ومنشور ترتيبها المعلق بديوان دار الشريعة من انشائه وبديهي ان اهل مشورة سمو الباي هم الوزراء ولكن الوزير الاكبر هو لسان صاحب العرش الحسيني وهو الوساطة بين سموه وبين الدولة وهو الذي بعده عرض الاوراق الرسمية على الطابع السعيد وقراءتها من حقوق الباش كاتب واليك اسماء الذوات الذين باشروا الوزارة الكبرى ووزارة العدلية ووزارة القلم في عصر الحماية من البداية الى هذا اليوم :

الوزارة الكبرى	سنة الولاية	وزارة العدلية	سنة الولاية	وزارة القلم	سنة الولاية
السادة		السادة		السادة	
محمد خزندار	١٢٩٨	الطاهر خير الدين	١٣٣٨	محمد العزيز بوعتور	١٢٨١
محمد العزيز بوعتور	١٣٠٠	علي السقاط	١٣٥٣	محمد الجلولي (١)	١٣٠٠
محمد الجلولي	١٣٢٥	سالم الصنادلي	١٣٥٤	يوسف جعيط	١٣٢٥
يوسف جعيط	١٣٢٦	عبد الجليل الزاوش	١٣٥٥	الطيب الجلولي	١٣٢٦
الطيب الجلولي	١٣٣٣			مصطفى دقنزي (٢)	١٣٣٣
مصطفى دقنزي	١٣٤٠			خليل بو حجاب	١٣٤٠
خليل بو حجاب	١٣٤٥			الهادي الاخوة	١٣٤٥
الهادي الاخوة	١٣٥٠			يونس حجوج	١٣٥٠
				علي السقاط	١٣٥٤
				عبد الجليل الزاوش ٣	١٣٥٤
				احمد بن الرايس	١٣٥٥

(١) هو او لمن تولى خطة الباش كاتب من غير اهل الطبقة العلية وقع اختياره من طبقة كبار العمال لانه ابل البلاء الحسن بالاغاثة على تمهيد الراحة بجهة صفاقس اثناء احتلال عساكر فرنسا لتونس ومن مزاياه السعي والحصول على تخفيض الغرامة الحربية المضروبة على صفاقس من عشرة الى ستة ملايين وعلى قياسه استمر في هذا الزمان انتخاب وزير القلم من طبقة كبار اصحاب الوظائف المخزنية

(٢) محرز على شهادة العالمية في اللغة الفرنسية

(٣) محرز على شهادة الليسانسية في الحقوق

واعلم ان الاعيان الذين تقدموا لخدمة الوزارة ابتداء من سنة ١٣٢٦ كلهم من خريجي المدارس العصرية وأغلبهم من قدماء تلامذة المدرسة الصادقية. ولقد صرح الوزير المقيم م. الابيت عند حضور السيد مصطفى دقزلي لأول مرة بمجلس الوزراء أن معرفة اللغة الفرنسية ستكون في المستقبل هي القاعدة عند تسمية الوزراء التونسيين وهذا القيد هو الذي منع بعض كبار الموظفين ممن لا يحسنون الفرنسية من التقدم لخدمة الوزارة وكان يسير لما خلق له

ثم اعلم ان الوزير محمد خزندار الذي هو أول من تولى الوزارة الكبرى بعد نصب الحماية لم يتقلب أحد أكثر منه في الوزارات بالدولة الحسينية منذ بدايتها الى هذا اليوم فقد باشر كل الوزارات عدا وزارة القلم فكان في أوقات مختلفة وزيرا أكبر ووزيرا للعمالة ووزيرا للخارجية ووزيرا للبحرية ووزيرا للبحرية ووزيرا للشورى وسفيرا في مأموريات جليلة لدى الباب العالي وبعض الدول الأوروبية وباشر مع ذلك رئاسة كمسيون المالية واشتهر بين أهل عصره بلقب قائد سوسة لما أبقى ببلاد الساحل من الذكر الجميل أثناء ولايته عليها بعد الايام المظلمة التي عرفها أهل الساحل أثناء نزول محلة احمد زروق بدارهم وأما لقب الخزندار المضاف لاسمه فانه انجر له من متبوعه الوزير شاكير صاحب الطابع المباشر اذ كان لخدمة خزندار فغلب عليه لقب سيدة شاكير ولقد داخله الحسد ضد تابعه وهو من صنائه فحاول الفتك به لولا تأخير أجله وذلك هو سبب سقوط احدي رجليه وكان محبا في آل البيت الاطهار وتشرف بمصاهرتهم وخدم من الملوك المولى حسين باي الثاني والمولى مصطفى باي والمشير أحمد باي والمشير محمد باي والمشير محمد الصادق باي والمولى علي باي ومات في سنة ١٣٠٦ من دون عقب بعد أن أطل على التسعين ودفن بمقابر الاشراف بوصاية منه ولولا ذلك لكان متواذلا بالتربة الملكية كأسلافه السابقين واللاحقين ولما تخلى عن الوزارة الكبرى في سنة ١٢٩٥ بعد ولايته الاولى (١) منحه سمو الباي جارية عمرية قدرها ستون الف ريال في العام

(١) تنقل هنا نص الظهير الصادر بولايته الوزارة الكبرى وهذا النص بعينه هو المعمول به نحو كل من يتولى الصدارة بتونس :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله أعماله وبلغه من غاية الخير ءاماله أما بعد فانا أصدرنا هذا الظهير والخطاب الذي هو بكل مكرمة أثير الى الخاصة والجمهور ليعلموا ان الصدر الهمام عضد دولتنا ويمين مملكتنا امير الامراء ابننا محمد لما تحققنا بالعيان من أمانته واصابته الغيتين عن البرهان ونصيحته المعقدة بها في هذا الشأن قدمناه على بركة الله تعالى واولينا لوزيرنا اكبر بدولتنا التونسية يباشر سائر شئونها المعتادة وامورها على العادة وعلى من يقف على هذا الظهير الجليل من اهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمدية وابنائنا امراء الامراء اعيان الكبراء وامراء الالوية وامراء الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والينباشية وكافة الجنود العسكرية والقواد والمخازنية ان يعلموا ما لابننا المذكور من المفاخر التي هو بها حقيق والمعالي التي هو نبيلها خليق ونستوهب له من الله كمال الاعانة والتوفيق الى مناهج الرشاد ومحاسن كل طريق وكتب بسرماية حلق الوادي في ١١ رجب ١٢٩٤ هـ

ولم يعط سلفه الوزير خير الدين أكثر من خمسين ألف ريال في السنة كانت جارية له الى حضور
أجله بالاستانة في سنة ١٣٠٧ (١)

واما طريقة تعيين من يدعو حسن الحظ لخطه الوزارة فان ذلك يقع باتفاق بين سمو الباي
المعظم وبين دولة الحماية واختيارهما في ذلك يكون رهين الظروف والاحوال ولقد اتفق مرة
تكرر المراجعة اياها عند اختيار بعض الوزراء في عهد المولى محمد الناصر باي فتدخل مسيو روا
كاتب الدولة العام وحصل الوفاق واتفق بعضهم مداعقهم للوزارة واطلوا عليها من نافذة السياسة فخابت
امالهم وذهبت مساعيم ادراج الرياح وءآخرون سمووا لنوالها وتهافتوا وطاروا حول فانوسها كالفراراش
فاحترقت اجنحتهم ووقعوا في الخضيض ولله در الشاعر حيث قال

على قدر الكساء امد رجلي وإن طال الكساء امد اخرى

وبديهي أن خطة الوزير التونسي في عصر الحماية لا شبه لها بخطة سادته في زمن الدور القديم فوزراء
الدور الماضي كانوا خاضعين للحكم المطلق وكان اكثرهم مفقود الترية العلية ووزراء هذا العصر
أكثرهم من أهل الثقافة العصرية ونشأوا تحت جناح الحكم القانوني في دائرة العدالة والنظام والذي
رسم لهم خط السير هو الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور صاحب الواهب النادرة والرأي الحصيف
فقد بقي متربعا على منصة الوزارة الكبرى مدة ربع قرن وكان مع ذلك محرزا على صفتين حميدتين
قل ان يجتمعا في رأس واحد وهما ذكاء اياس وصبر أيوب قال م. ماز من أعضاء مجلس الشيوخ
في خطاب تاريخي القا بتونس سنة ١٨٩٠ : « ان هذا الوزير جدير بالترأس على اية وزارة اوروبية »
باهيك انه قضى خمسة وعشرين عاما في الصدارة كان اثناءها من انصار أهل العلم ومثال الفضل والمروءة
والحذق والاستقامة وكان آخر عهده بالدنيا شهادة اخلاص منه لصاحب العرش الحسيني خطها بيده
الفانية قبل وفاته بساعتين في غرة المحرم ١٣٢٥ وبعث بها للمولى محمد الناصر باي وكان مع ذلك صادق
الولاء للحماية لعله أن من معانيها طاعة متبوعه المعظم مع الاخلاص والرسوخ فيه لسدته العلية وللدولة
الفرنساوية ومن عرف قدر الناس عرف الناس قدره

محمد بن الخوجة

(١) عند ارتقائه لمسند الصدارة العظمى بالدولة العثمانية وجه تلغرافا لسمو الباي في الاعلام
بذلك وفي طلب ابقاء جريته العمرية ونص التلغراف : قد شملتني عواطف الحضرة السلطانية باحالة
رتبة الصدارة الى هذا العبد العاجز ويتوفيقه تعلى وقعت المباشرة لاجراء امورها التي نحن موكلون
عليها ونرجو من الله تعالى الاعانة في الامور كلها كما نطلب من مكارم اخلاقكم ابقاء توحيداتكم السنية
حيث اني نعددها من أهم الامور وعلى كل حال النظر لسيدي وكتب في ١٠ حجة ١٢٩٥ هـ. قلت ان
من اهم الاسباب في ولايته الصدارة العظمى كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لان السلطان
عبد الحميد خان لما وقف عليه أعجب به أيما اعجاب

جامع الزيتونة

يؤدي رسالة الدين الاسلامي منذ ١٢٤٣ عاماً

طرائف من حديث شائق لامير اللواء حسن حسني عبد الوهاب ممثل الشمال
الافريقي في جمع اللغة العربية الملكي قد كان افضى بالمحرر جريدة الجهاد الغراء

لا خلاف اتنا في مصر - وبخاصة منا اولئك الذين يصلون انفسهم بالدراسات الازهرية عن طريق التعليم في الازهر ، او التحصيل فيه او الكتابة عنه - حقيقيون ان تتأثر خطوات - الزيتونيين - الذين يقومون في الجانب الغربي من الشمال الافريقي على ما يقوم عليه الازهريون هنا من تعريف ثقافة الاسلام ، ومن قيادة الشعب قيادة دينية موقفة .

وما أحسب القراء اذ يستوعبون هذا الفصل بمنصرفين عنه وفي اطوائهم قليل او كثير من الاسف ، لانهم سينصرفون الى جمهرة من الطرائف التي تستطيع وحدها ان تبيء لهم ساعة ممتعة سارة يدركون فيها حقائق ما اعتقد انهم - كلهم - قد الموا بها من قبل ، لانها - فيما يخيّل لي - اول ما يذاع من نوعه في صحيفة في مصر

مفسر تونس

والواقع انه يطيب لي ان اعترف الآن بمصدر هذه الحقائق ، او هذه الطرائف ، فاقول انها بعض ما كان من احاديث تلقفتها من صاحب السعادة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا امير اللواء وحاكم الاقليم الجنوبي في تونس ، وممثل الشمال الافريقي في جمع اللغة العربية الملكي في القاهرة والحق ان عبد الوهاب باشا يؤدي مهمة السفير التونسي مرحلة اقامته على ضفاف النيل ، لانه يدعو لوطنه دعاية تصفي على المصريين اثواب التطلع اليه ، والتأمل فيه ، والرجل على هذا كله قد تخصص في التاريخ فهو يتحدث عن مراحل وطنه بلسانه الدرب وكأنه يطلق عقابها من كتاب منشور فهو اذن مصدر هذا الفصل الشائق الممتع .

قبل ان نعرف الازهر

اتنا في مصر تنهياً لاستقبال العيدا . ففي الازهر بعد اعوام ، وما يضيره في قليل او كثير ان يكون في العالم الاسلامي مسجد اخر سبق الازهر الى ما اصبح على الزمن محض اختصاصه ، فاذا شاء المؤرخون للازهر ان يذكروا العوامل التي دفعت الفاطميين الى تشييد - الجامع الازهر - الى تزويده فيما بعد ذلك بالمجاورين يطلبون العلم ، فلا تريب عليهم ان يذكروا - جامع الزيتونة - وان يقولوا عنه انه كان اقوى تلك العوامل واجزلها تأثيراً على الفاطميين . ، ذلك ان - جامع الزيتونة - في تونس كان معروفاً قبل ان يستقيم على اديم القاهرة ظل الازهر الشريف

ففي عام ١١٤ هجرية - وكان العالم الاسلامي الا قليلا من شعوبه يخضع لحكم الامويين - ولي الامر على افريقيا - وهي مجموعة الدول القائمة في الشمال الافريقي - عبد الله بن الحبحاب بعد ان كان واليا على مصر باسم الامويين ايضا . . .

وكان - ابن الحبحاب - من اولئك الولاة الذين يعنون بالعلم عنايتهم بتوضيح الطابع العمراني على البلد الذي تنتهي مقاليد الحكم فيه اليهم . ومن هنا اخذ يخضع العاصمة الافريقية لمزاجه فزودها بكثير من اثار إنتاجه . وكان - جامع الزيتونة - اكثرها روعة وأجزاها خلودا على مذهب مالك

وأخذ التونسيون المستشفون الى علوم الدين ينفذون الى جامع الزيتونة من بابہ المتأنيق الى مقصوراته ذات العمدة القائمة تحت سقفه شواهد على دقة الفن بمد أن تأخذهم روعة مآذنته السامقة أخذوا يقتعدون اديم الجامع مستمعين الى دروس الفقه في مذهب مالك الذي بقي حتى الآن على عهده مذهب جمهور الشعب . وان كان المذهب الحنفي هو الذي يسعى في ظله عظمة الباي وكان العالم الثبت - علي بن زياد التونسي - هو أول من عرف التونسيين بمذهب - الامام مالك - في الفقه لانه كان معاصرا له ولانه كان اعرف اهل حيله بكتاب - الموطأ - الذي يعتبر بحق اخضب ما انتجه الامام مالك العظيم . ولقد أقرأ ابن زياد كتاب الموطأ في الزيتونة (١)

اعلام نابون

والحق ان جامع الزيتونة في مقدوره ان يزهو بعديد من الاسماء الكبار الضخام التي بقيت حتى الآن موضع اجلال الفاقهين علوم الدين واللغة والاجتماع والمنطق . فاذا نحن تركنا - ابن زياد - لناخذ طريقا الى من اعقبوه لكان من المتحتم علينا ان نذكر العالم الفقيه - محمد بن عبد السلام - صاحب الاثر الرائع في فقه مالك ، والامام محمد بن عرفة صاحب الاقوال الدائعة في هذا المذهب لانه أول من وضع حدود الفقه ، والعالم النحوي الجليل - ابن عصفور - الذي يطلق النجاة عليه - سيويه الاصغر - وابي داود سليمان الحربي الذي تعتبر كتبه في المنطق حجة يركن المناطق اليها مطمئنين ابن خلدون

ومن حق - الزيتونة - ولا ريب ان تفاخر بانها الجامعة التي استطاعت ان تتجلب للعالم الاسلامي علما مؤرخا اجتماعيا رحالة ذائع الصيت في هذا كله ، ونعني به العلامة - ابن خلدون - ولقد حرص - الزيتونين - على ذكره حرص الضنين فأنشأوا قبالة الجامع مدرسة اطلقوا عليها اسم - المدرسة الخلدونية - وجعلوا منها مظهرا جديدا من مظاهر التطور الدراسي الذي انتهت جامعة الزيتونة اليه مكتبتان

بقيت مظاهر الحياة الاولى على جامع الزيتونة . نتحدث عنها تلك النقوش الكوفية التي تتنظم

القمة القائمة على رأس المحراب وهي نقوش خطية تحدث المتطلع اليها عن اثار الاغلبة في طليعة القرن الثالث الهجري ، واذا كان اجمع قد خضع لطبيعة التجديد حيلابا بعد حيل ، فان هذا التجديد قد اصابه مزودا بمكتبتين رائعتين ، احدهما وقد انشأت منذ قرن . وتدعى المكتبة الاحمدية . تألف من الوف الكتب التي وقفها عليها المقدس احمد باشا الاول ، وتغلب الكتب الخطية على هذه المكتبة ، وهي من القدرة الى حد لا يهين لها في غيرها نظائر واشباه وهذا عني القائمون على الزيتونة بامر المكتبة الاحمدية فيأولها حشدا من الخزان القائمة داخل الجامع واما المكتبة الثانية فانها تدعى المكتبة العبدلية . وهي في تسميتها تنسب الى مؤسسها . ابي عبد الله محمد الحفصي . احد امراء تونس من بني حفص وقد هبى لها مستقرها في واحد من اوراق الزيتونة . حيث يقبل المتأدبون والطلاب اليها ليطالعوا فيها ما يحلو لهم من الكتب ، ، التي لا تعار !

قلب المدينة

يتوسط جامع الزيتونة مدينة تونس . وهو من المساجد المتأقنة المزهوة بما امتد على اديمها من البسط وما ثر على ذوائب عمدتها من ثريات الكهرباء . ويرى التونسيون من الحيل الاسلامي الاول حتى الآن في الزيتونة . ما يراه المصريون في الازهر فهم يقدرونه حق قدره فيحيون فيه ليالي رمضان وما اليها من مواسم واعياد . وانهم لينزلون راضين عن كثير من المال الذي تنتج عقارات حبسوها عليه ووقفوها على القائمين بشعائره ومن هذه الاوقاف واليا سخاء الحكومة المطرد يؤدي جامع الزيتونة رسالته اداء لا خلاف على انه يغبط الذين يعنون باللغة والدين

سيدات نافعات

والى جانب « الزيتونة » تقوم طائفة من البنايات الحديثة المزودة بالماء والكهرباء ليتخذها الطلاب « المجاورون » بيوت لهم وهي بنايات اقامها في شتى العهود جماعة السراة في تونس ، وانه لمن مفاخر التونسيين حقا ان يكون منهم سيدات نافعات حريصات على البذل في سبيل العلم فقد شيدت احدهن - وهي من فضليات بني حمزة في مدينة المهدية - دارا جميلة جعلت منها مسكنا لعدد من طلاب الزيتونة

٣٧٠٠ طالبا

ينتسب الآن الى جامع الزيتونة سبعمائة وثلاثة الاف طالب وهذا الجيش من الطلاب موزع على « الجامع » وعلى « المدرسة الخلدونية » وعلى طائفة من المساجد في تونس وفي « القيروان » وفي غيرهما من المدن وهذا التوزيع صورة من صور المعاهد الاقليمية التي تتبع الجامع الازهر في مصر والدراسة في الجامع تقوم على الاسلوب الازهري القديم ولكنها في الخلدونية - تتخذ لها اسلوب الازهر الحديث ومرآة هذه الدراسة سبعة اعوام في الزيتونة وثلاثة او اربعة اعوام في مساجد الاقاليم والشهادات التي تعطى من الزيتونة هي (التطويع) وهذه تعادل لكفاءة (و) (التميز) وهي تعادل البكالوريا^(١)

باسم الطلاب

وطلاب الزيتونة هم الذين تعود اليهم الكلمة فيما يتصل بتعديل مناهج الدراسة، في ثلاثين عاما انشئت المدرسة الحلدونية لان الطلاب اخذوا يتطلعون الى عمل حاسم يوفر عليهم السعي في ظل منطق العصر الذي يعيشون فيه، ولما رأوا ان - الجامع - لن يكون مكانا لائقا للخرط الجغرافية او اللوحات الموضحة لعدد من العلوم الحديثة اخذوا يهتفون بانشاء مكان يدرسون فيه تلك العلوم واستجابت الحكومة التونسية النداء فانشأت هذه المدرسة لهم واثرت كل خمسة اعوام تعضي يعمد الطلاب الى حركة عملية يوضحون فيها آرائهم في المناهج، وما اليها مما يتصل بمصائرهم بعد ان يظفروا من دراستهم بما يريدون

حقوقهم

وعلى ان الحكومة التونسية تعترف بشهادات « الزيتونة » وتقر اصحابها على عديد من وظائف الدولة كالتدريس والقضاء فانها تمهد للبتخرجين في الزيتونة ما لم تمهد مثله حكومة مصر لعالم ازهري ذلك ان المتخرج في الزيتونة يستطيع ان ينظم نفسه في سلك الطلاب بمدرسة الحقوق

وزراء الدولة

واذا كان غير قليل من المصريين المتفوقين قد استهلوا مرحلتهم الدراسية الاولى في الازهر فان عديدا من الذين اصبحوا فيما بعد وزراء تونسيين قد استهلوا هم الآخرون عهدهم الدراسي في الزيتونة، بل انه يوجد من الذين اتموا تحصيلهم العلمي في - الزيتونة - رهط من قادة الشعب التونسي يحضرنا منهم الآن الشيخ ابراهيم الرياحي والشيخ احمد بن الحوجة والشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد بن يوسف .

شيخ الزيتونة

وللزيتونة شيخ يقوم بمثل ما يقوم به شيخ الازهر في مصر، وله اعضاء من العلماء يعينونه على عمله الشاق ومكاته في بيته الحكم وفي بيئات الشعب هي مكانة الصدارة وشيخ الزيتونة الآن هو - الشيخ صالح المالقي -

الاجانب والمساجد

اما بعد فانه يطيب لنا اء اخر الامر ان نسجل هنا ظاهرة لعل التونسيين هم الذين يتفردون بها وهي ان مساجدهم لا تفتح ابوابها للسائحين، فليس في مقدور أي اجني - غير مسلم - ان ينفذ اليها مهما يكن قدره وخطره . . (١)

اما في القاهرة فاسألوا حيوش الاجانب الذين يعج بهم الازهر وملء ايديهم مصوراتهم يلتقطون بها ما يحلو لهم من الصور، ثم يجعلونها في مواطنهم موضع تندر، او زراية او ما يطيب لك ان تقول . مندوب (الجهاد)

(١) ولم يشذ عن ذلك الا مساجد القيروان فهي تفتح للسواح وعلى الاخص جامع عقبة الذي له المقام الاسمي في نفوس المسلمين وعسى ان نرى الحكومة لا ترخص للاجانب ذلك في المستقبل

الخيال في الادب العربي

بقلم احمد المختار الوزير

١

تمهيد

نصدر هذه الحلقة الدراسية الثانية باستعراض جملة قصيرة جامعة تقتبسها تحصيلاً لحدسنا السالف في الحلقة الاولى التي خصصناها لدرس العاطفة في الادب العربي (١) فقد سبق ان قلنا ان العاطفة هي العنصر الاصيل لهذا الانتاج الذي نسميه الادب . بل هي اخطر عنصر يحتويه النص الادبي . اذ كلما قرأنا قطعة ادبية شعرية كانت ام نثرية . نشعر في دخيلة نفوسنا بثورة وجدانية . وتموج عاطفي . قد يكون طاغيا عنيفا وحادا قويا وقد يكون هينا ضعيفا سريع الركود والزوال . تلك حالنا في قراءة النصوص الادبية ودرسها . وانا لحال عجيبة تجعل لزاما علينا ونحن نعالج هذه البحوث النقدية . ان نسأل هذه الاسئلة كيف استطاع الاديب الشاعر والنائر ان يحرك في نفوسنا هذه الهزات العاطفية . السارة والمؤلمة ؟ وايضا ما الذي ساعده ومكنه من ذلك ؟

وقد يكون من حقنا ان تنمادى في القاء هذا السؤال على كل صاحب فن من هذه الفنون المتنوعة بالجمال والطرافة . وبالظرف والابتكار . من حقنا ان نسأل المصور الماهر في صناعته كيف استأثر اعجابنا واستمالتنا الى النظر والتلهي بما عرضه على انظارنا فوق لوحه الحافل بالاصباغ والالوان المتجسمة الظل والضياء المظهرة حذقه البارع في محاكاة مظاهر الطبيعة ومشاهدها الماثلة امام بصره النافذ الى اعماق سرها العجيب ؟ وان نسأل الموسيقار المبدع في تأليف نغماته والحنانه . من تلككم التراجيع والاصداء . الصادرة الناطقة نطقا بليغ التعبير في كل همساته الضعيفة الخافتة وصرخاته العنيفة الحادة ؟ وقل مثل ذلك في النحت والعمارة . السنا نشعر دون شك ونحن في مقام النظر الى طرف من هذه الفنون نظرا فاحصا بشيء قليل أو كثير من اللذة المريحة والسرور الطافح بالبشر والرضا . او بالالم الممض والكآبة والنفور ؟ وهذا الشعور المختلف انما هو أثر من اثار ذلكم الاتفعال العاطفي الذي أيقظته في نفوسنا بواعث الفن ومثيراته وفواعله

فالسؤال الذي تتلقى به الانتاج الادبي من الشعر والنثر هو نفسه الذي تتلقى به كل انتاج فني مؤثر يملك الحس والشعور بقوة تأثيره . وتلاحق بواعثه . ومحرضاته المغرية الفاتنة . وهكذا نسأل من جديد كيف أثار الاديب . والموسيقار . والمصور . والنحات . مكنون المشاعر والعواطف في نفوس القراء والسامعين والنظار على اختلاف اهوائهم وتباين نزعاتهم وميولهم ورغائبهم .

ولو شئنا اختيار وضع آخر لهذا السؤال لكان لنا ان نقول : ان ميزة الفن العظمى وغايته السامية انما هي الالهام. والتأثير. ولكن ما مصدر ذلكم الالهام اللافت الناطق وما سبب ذلكم التأثير السحري العجيب. الذي يغني قلوبنا ببريق الوانه الخاطفة. وانوار المشرقة. وتستبد تيارات فواعله المكتظة المتلاحقة بما في قرارة نفوسنا من المشاعر والعواطف ؟ نسأل هذا السؤال ولو أن الذاكرة. تعيد للذهن في غير حرج او عناء بعضا من تلكم الاجابات الكثيرة المنوعة. التي جادت بها قرائح من كانوا يبذلون مدخر الجهد في اختيار أوضح تفسير وتأويل لحل ما في هذه القضية من الغموض. لابتعدنا كثيرا عن القصد. وانصرفنا انصرافا عن موضوعنا الذي توفرنا لدرسه وتحصيله

وخير لنا من كل ذلكم ان نكتفي بهذا الجواب الذي يقوم على أساس وطيد من قواعد علم النفس ارتاح اليه النقاد المحدثون. وليس ينكره النقاد المتقدمون. ولا من يسلكون سبيلهم في الدرس والنقد. وفي التعليل والتوجيه. وجوابنا هذا ربما كان ادعى الى ثقة الاعتقاد وسكينة الاطمئنان من كل جواب غيره. ولكن لا بد لنا قبل البدء في الاخذ بتأصيله وتفصيله. ان نهيئ له بذكر كلمة وحيزة عن الفارق بين العلم والفن. تدنينا من القصد وتسهل علينا الاستفادة والنفع

العلم والفن

وايسر الفروق الظاهرة بين العلم والفن. هي هذه الفروق التي نعرض عليها في فصول تعريف العلم. وفي مصطلح تعريف الفن

العلم

فالعلم ظاهرة عقلية تنشأ عن دوام البحث والتقيب. وعن النظر الفاحص. والاستقصاء الشامل وعن التجربة والاختبار. واطراد الاسباب والعلل مع حدوث النتائج. الصادقة الثبوت. وغاية العلم فكرية تعليمية. ترمي الى تحديد المعاني. وكشف الحقائق الثابتة التي لا يختلف الناس في فهمها. والانتفاع بها. والتي تزود العقل البشري بما يزيل الجهالة وينفي الغباوة. ويشجع ويعين على استقبال الحوادث. وممارسة الحياة في غير ما فزع او اضطراب. ولغة العلم تعتمد دقة التصوير. وبساطة التعبير. ولها بقدر اتساع دائرة العلم اوضاع اصطلاحية خاصة. تنحصر دلالتها في حدود المعنى المراد. والحقيقة الواقعة.

الفن

اما الفن : فهو نقل الاثر الذي يحدثه التأمل العميق. في مظاهر الطبيعة والحياة. وختاها ما في هذا الوجود. من غيب النفوس واسرار القلوب. واظهاره في شكل مبتكر طريف فالفن كما ترون ظاهرة شعورية. تنشأ عن قوة الحس. واتشاء الخاطر. ووفرة الشعور ودقة للملاحظة.

وغايته الالهام التهديبي من طريق اثاره الوجدان . وبعث الشعور السامي . والاحساس النبيل . والوسيلة الى ذلكم تختلف باختلاف الفنون . وان كانت في جملتها ترجع الى سبب واحد هو هذا السبب الذي نحاول درسه وشرحه معتمدين في بحثنا على احداث نظريات علم النفس . وارهاء اعلام النقد الادبي من المحدثين الذين ما زلنا نتلقى عنهم انفع الدروس واصح البحوث . وما زلنا نستهدي برشاد هديهم فيما نحن بسبيله من درس هذه الاداب العربية التي نحاول مخلصين ان نبليغ بها المقام المحمود . وأن نصل بها الى أبعد غاية في الرفعة والكمال .

تحصيل نظرية علم النفس

اما نظرية علم النفس في بيان الوسيلة التي يثير بها الفن هزات الشعور السارة . او المؤلمة . فنلخص ذكرها فيما يلي . ثم تبهما بما يوضحها ويفسرهما من الامثلة والشواهد التي تؤكد لنا صدق النظرية من جهة . وتجدد نشاطنا ورغبتنا في الاستمتاع بلذة الفن من جهة أخرى . وأمثل طريقة لتحصيل هذه النظرية أن نعرض بالدرس لطبيعة هؤلاء الذين نسميهم بحق عباقرة الفن . وعشاق الطبيعة المعاميد . من كل شاعر . وكاتب . وموسيقار ومصور . وناحت . فانا اذا ما تعرفنا بوجه صحيح بعض ما امتازوا به من الخصائص النفسية . والفكرية . أمكننا أن ندرك من خلال ذلكم الوسيلة التي يعتمدونها في التبليغ والالهام . وأثاره الحزن أو السرور وهكذا نلم بعض الشيء بمعاني النبوغ . وما فيه من جهد وغناء .

الموسيقار

فالموسيقار كلف بهذه الاصوات الهاتفة والهمسات الناطقة . والصرخات الراغبة . يطيل السمع وتلطف ذاكرته الصوتية كل هذه النغمات الشاردة في فضاء الطبيعة ويعي ما يسمع من زقزقة العصفور . ونوح الحمام . ودمدمة النحل . وحفيف الاوراق وتغريد البلابل . وخزير الجداول . يسمع جلجلة الرعود القاصفة ورجيفها . ولولة الرياح العاصفة وترنيمها . يسمع عجيح البحار الطاغية وضجيجها . وهينة الانفاس وكل أنه وحنة وزفرة . يسمع هذه الاصوات وغيرها من النغمات الشجية التي توقعا الطبيعة على أوتار خفية . ثم هو ما يزال يستذكرها . ويستعيدتها . ما يزال مشغولا بها ينقلها ويقلدها ويحاكيها . ولكنه يضيف اليها ويهذبها . ويلائم بينها ثم لا يلبث أن يهتف بها صادحا مغنيا . فتخرج للناس معبرة عما في نفسه وقلبه وعقله .

المصور

كذلك المصور الحاذق يعنى عناية كاملة بهذه الاشباح والاطياف والهياكل . والاودية المترامية السهول والوهاد . والجبال الساهرة في الفضاء الى أعالي السماء . يحب المروج والحقول والجنات البانعات ويهوى الضحاري والبراري والغابات . وينظر بعينه وقلبه نظرة فاحصة منقبة عميقة متأثرة الى كل

هذه الالوان المتشاكلة، وغير المتشاكلة، والمتشابهة وغير المتشابهة، المرسومة على اجنحة الطيور ولفائف الزهور، وعلى سفوح الجبال حيث الجنادل والصخور، وعلى حاشية الافق المجلوة حيث يمتد الشفق الزاهي، وحيث تقيم الطبيعة محرابها القدسي من قوس قزح فتبدو للناظرين هالاته موشحة بالرائع الجميل من الالوان والاصباغ الحاطقة اللامعة، يصعد بصره الى قلب هذه القبة الزرقاء فيرى ما يتهدى في مسراها من نور النجوم السارية، والكواكب الساهرة، ويرى البدر في ليلاله الحافلة بما يرسله على الكون الساكن تحت اجنحة الليل من شعاعه الباهر وضياءه الحائر، ثم لا يلبث ان يصبو نظره الى هذه البحيرة الساحية الساكنة، فيرى ما يرف على صفحاتها اللامعة من الاطراف والاشباح المترقصة مع الظل في خفة ونشاط.

كذلكم يستجلى المصور كل هذه الالوان وقلما يراها ولا تتجسم معانيها وخيالاتها في فضاء روحه، وصفاء خاطره، ولمعان ذهنه، ففي البياض الباهت معاني الطهر، والصدق، والمحبة، والاخلاص وفي زرقة البنفسج معاني الذهول والرحمة والترفق الحادب، والعطف الشديد، وفي الاحمر المشبوب لمحات القوة والعذاب، وفي الاسود الطامس ذكريات الاتراح والكتابة والحزن والياس الثقيل، ومن خاطره الحافل بخيالات هذه المظاهر والمعاني الواضحة، يستمد أشكال الصور، ويدع ما شاء وشاء له الفن في تأليفها، وتنسيقها كل الابداع، وقلما يتقصه شيء، ثم لا يجد له من مادة خياله الحبيب ما يكمله به على خير وجه بداعة، وانسجاما، وفتنة وجمالا، وليس يرضى المصور الماهر أن يختار الجميل الذي يستحليه، والحسن الذي يرتضيه، من مناظر الطبيعة ومشاهدها ثم ينقله فوق لوحه، ولا يزيد اذ ان هبة الفن تسمو به وتنزه عمله عن أن يكون نسخا قاصرا، وقلما مجردا، وتدعوه ملحة الى الخلق والابداع والابتكار، (وربما نقل الجبال عن الطبيعة فلا يلبث أن ينسفها نسفا ويدكها تبديلا وتغيرا في سبيل الاتقان والاجادة) .

فالمصور يلتقط بعينه من رسوم الطبيعة كل حسن وجميل، ثم يتصور « الجمال » في خياله، ويفتن في تكميله، ثم يتناول الريشة واللوح، ويبدل ما يبذله من الجهود في محاسن ما يستحضره في مسارح خياله، وما يتجلى بخاطره من تكلم المعاني القدسية البالغة نهاية الكمال في الفتنة والجمال، ولو كنت في مقام أطلال فيه، بالبرهان واستحضار الدليل على صدق هذه القضايا، لاخترت حديث « جيدو » ذلكم المصور الذي ملأ حديثه الدنيا وطبقت شهرته الافاق، اذ قال عن نفسه وكان يرسم الرسوم في كنيسة الراهب ميخائيل في رومة « وددت لو كان لي جناحا ملاك اطير بهما الى السماء، لارى رئيس الملائكة، واعود فأرسمه كما هو، واذ تعذر علي الصعود، والفيت البحث عن نظيره في هذه الدنيا من باب العبث الباطل، رجعت الى مخيلتي ومثال الجمال المتجلي فيها ورسمت ما رسمت، ولم يتقصني شيء... » (للبحث بقية) احمد المختار الوزير

ايطاليا في طرابلس برقة

الى الامة العربية والعالم الاسلامي بصفة عامة والى رجال الدين والعلماء
والخطباء منها خاصة ايطاليا تنتهك حرمة بيوت الله فتطرد
المصلين منها . وترغم الهيئة الشرعية على اعتناق الجنسية الايطالية

كان يوم الخميس الواقع في ١٨ فيفري الحالي يوم حزن في طرابلس اذ انتهكت فيه حرمة
المساجد . اذ عمدت حكومة الطليان الى جلب عدد من الالمانين السواح في طرابلس يصحبهم جماعة
من الطليان ويصحب الجميع سليمان باشا قره ملى الى الفرجة على جامع الباشا وصادف ذلك فريضة
صلاة المغرب وكان المسلمون اذ ذاك متهيئون للصلاة فاطردهم الحاكم الايطالي وامرهم بان يصلوا
خارج الجامع وقد وقع ذلك بصفة لا يمكن لاحد ان يعارض فيها وذهب المصلون اشتاتا ودخل
الضيوف للجامع !! انظروا ايها المسلمون الى اي حد بلغ استهتار الطليان واستخفافهم بالاسلام والمسلمين
انظروا واسمعوا ايها العلماء ورجال الدين عواقب سكو تكتم وحبانية تكاسلكم على الاسلام

ان بقية أهالي طرابلس المسلمين المهاجرين سيعيشون بمعشرين في مختلف الاقطار وسيعيش
الفريق الباقي منهم داخل طرابلس في أرضها لكن سيعتق الديانة المسيحية ويتمذهب بالفكرة الفاشيستي
لان الظروف والوسائل التي فقدت في الاندلس كمحاكم التفتيش وغيرها هاهي تنفذ اليوم في اخوانكم
الطرابلسيين بل بصفة اشد وامر وان اختلفت الاسماء ففي الاندلس كان اذ ذاك في امكانهم الفرار
والهجرة اما في طرابلس اليوم فهذا مستحيل لا على طريقة قانونية ولا على طريقة لصوصية لما اتخذته
ايطاليا من الاحتياطات وفي الاندلس نصبت محاكم تفتيش يمكن معها التفكير سرا . اما في طرابلس
فقد جعل الطليان ضروريات الحياة للمسلم بعد سلبه من كل شيء غير ممكنة الا بالتجنيس والا فلا
رزق ولا معيشة ولا احترام على أن المسلم المتظاهر بالتدين في طرابلس أصبح كالكرة تتلاقها ازجل
السيارات بارادة سائقها من الطليان بدون ان يهتم الفاعل بفريسته ولا تحجيره جنائته الشيعة وكأنه
داس خنفساء لم يقع عليها نظرة بل يرى أنه داس عقربا مؤذية ، لمن نشكوا هذا يا رب قد ببح الصوت
وققد النصير وعظمت البلوى واشتد الكرب . انا لله وانا اليه راجعون .

وا محمداه دينك أخذ في التقهقر واتباعك تخاذلوا وتكاسلوا فاوطانهم اغتصبت وأملاكم نهبت
وارواحهم زهقت واشلائهم تبعثرت ولغتهم احتقرت ولا يلبي بعضهم بعضا ولا ينجد أحدهم الآخر
انها حالة اسيفة ومصير محزن وتخاذل مشين

لما رآته حكومة الفاشيست من تمسك المسلمين بدينهم رغم ما اتخذته ايطاليا من التدابير عمدت

اخيرا الى الهيئة الشرعية تطالبها باتخاذ الجنسية الإيطالية كما استدعت جميع العلما والاعيان وطالبتهم بذلك وقد بلغنا ان بعض اعضاء المجلس الشرعي استقالوا من مناصبهم ولم يقبل احد بذلك الا ان الحكومة هددتهم تهديدا مرعبا ان لم يمثلوا ويقال ان شخصية اقدمت على هذا الامر تحت عوائل التهديد والوعيد والانذار الصارم

ان قضية طرابلس برقة اليوم أصبحت قضية دينية بحثة لانها قد اجتازت حدود السياسة وجميع الحقوق المدنية . أتعلون ايها المسلمون ما هو قصدنا الذي نطالب به . هو أننا نريد البقاء ضمن الامة العربية ولنا ذاتية وميزات والمحافظة على ديننا ولغتنا . والايطاليون يريدون محو ديننا من قلوبنا ومحقق لغتنا وصبغ ارضنا بالصبغة الإيطالية الفاشستية . فنحن جاهدون لاجل ذلك ونجاهد بجميع الوسائل الى ان تلقى الله تعالى . وهم آخذون في تنفيذ اغراضهم فمحو كل ما يقال له عربيا . وها هم الآن اجهزوا على الدين واللغة لمحوهما من قلوب اهلها . وسيوصلون الى ذلك ما لم يجدوا من الاسلام قوة ترجعهم عن غيهم ان كان توجد للاسلام قوة في هذا الوقت والا فلي طرابلس وأهلها السلام وعلى بقية الشمال الافريقي انتظار دوره .

يا رجال الاسلام يا من تتغنون بالوحدة العربية والجامعة الاسلامية . فان لكم ارضا يقال لها طرابلس برقة هي من افريقيا في الوسط ومن العروبة في الصميم ومن الاسلام في الذروة قد سلبت من ايديكم واخذت ترسل لها إيطاليا افواج الجائعين ليملؤا بطونهم الخاوية من خيراتها ويكسوا اجسامهم العارية من رزقها وليشتتوا العرب الذين هم اهلها ولكم فيها دين اسلامي اصبح محتقرا مهانا فهو الآن في طريقه راجعا الى المدينة المنورة حيث قبر صاحبه صلى الله عليه وسلم فان لم تسرعوا الى تطمينه واثباته فهو راحل لا محالة . واتم المؤمنون عليه فاتقوا الله في واجبيكم . ولكم لغة عربية في طرابلس سيقضى عليها وتصبح في خبر كان .

(فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون) واحسرتاه على الاسلام والمسلمين تلقت طرابلس برقة ثلاث صدمات في ثلاثة اشهر متواليات - اعلان الحاقها بإيطاليا رسميا وفرض التجنس الفردي توطئة لازالة الاسلام من قلوب اهلها وبعث عشرات الالاف من زعانف الطليان لاحتلالهم محل المسلمين توطئة لاقرار خمسة ملايين منهم في ارضها حتى لا يمكن للعرب والمسلمين في المستقبل ان يقولوا بلادنا . يقع كل هذا في طرابلس برقة وفي تونس التي هي الهدف الاول لإيطاليا بعد طرابلس في يوم من الايام هذه الداهية الدهماء والكارثة الكبرى وفي تونس ايمت بعضون المسلمين في المساجد وتجمع حولهم العامة والخاصة فلم يخطر ببال احد منهم ان يلقي على مستمعيه كلمة في هذا السبيل يشرح لهم بها ما اصاب دينهم ووطنهم واخوانهم في طرابلس اسوة بزملائهم في الاقطار الشرقية وها انني اضع هنا نبذة من مقال نشره الاستاذ مصطفى حسني السباعي في مجلة الفتح . في موقف سوريا من كارثة فلسطين التي لا تقاس على كارثة طرابلس فيما اظن يقول الاستاذ مصطفى : وقصارى القول ان السوريين وقفوا من فلسطين موقفا مشرفا وهم يعطفون على جهادها عطفًا قويا عمليا ويتبعون اخبار الفطائح بألم عميق والفضل الاكبر في هذا الاهتمام يعود الى العلما والخطباء اولًا وإلى الصحافة ثانياً . فلا تخلوا صحيفة من ذكر فلسطين والحث على تأييدها

بحرارة وإخلاص كما لا تخلو خطبة ولا درس في مسجد من الهاب الشعور الديني في نفوس العامة حتى صار ذكر فلسطين على لسان الخطيب أو المدرس كافيا لاستدرا العبرات وإثارة الشعور (ذكرنا هاته الكلمة لورود ذكر العلماء والخطباء فيها أما في تونس والمغرب كله فإذا استثنينا المجلة الزيتونية والصحافة التونسية وصحيفة واحدة جزائرية هي البصائر ، التي قامت بقسط لا بأس به من واجباتها فليس هناك حركة شعبية في الشعور العام فيها اننا نكتب اليهم النداءات وننشر اليهم ما يقع فلم يتجاسر احد من رجال الدين والعلم على رفع قلبه ليقول ليكم ليكم مع ان ساداتنا العلماء هم اعرف الناس بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين ءاؤوا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض) ويقول (وان استصروكم في الدين فعليكم النصر) وقوله جل شأنه (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاؤوا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) .

أترضون باستيلاء اعداء العرب والاسلام بصفة خاصة واعداء الانسانية بصفة عامة ان يستولوا على قطعة من ارضكم ويمحقوا فريقا من جنسكم ويعثوا بتقاليدكم ودينكم وانتم تنظرون ولا تتحركون وتسمعون فلا تجيئون وتتادون فلا تلبون وتعلمون فلا تعملون . ألم تعلموا ما وقع في طرابلس برقة وما هو واقع في اخوانكم هناك من الضغط والارهاق والاذلال والاحتقار . اين انتم يا رؤساء الشريعة السمحة يا خطباء المساجد الفصحاء يا مدرسي العلوم يا ابا الابهاء الروحانيون لآلاف من الشيعة الاسلامية ما هي حجبتكم امام الله وما هو جوابكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يسألكم عما فرطتم فيما امركم به . أ تقولون له اننا خشيتم سطوة الاعداء . الجواب : فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين . ويقول لكم صلى الله عليه وسلم اني قلت لكم : (ما ترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب) ان ربكم الذي جعلكم خلفاء في الارض واختار لكم الاسلام دينا يريد منكم ان تكونوا عمليين مدافعين عن هذا الدين الحنيف وهو يناديكم لذلك بصريح العبارة في قوله جل وعلا « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » « وجاهدوا في الله حق جهاده » . يا ورثة الانبياء ما كان في يوم من الايام الانبياء الذين انتم ورتبتم ينظرون الى الدين بهان واللغة تطرد من ربوعها واتباعهم ترغم على الردة كرها وهم ساكتون لا يتحركون بل كانوا دائما فاتحين مبشرين . فما اننا نناديكم ونستصرخكم ايها المسلمون فتعاونوا معنا وانجدون وقوموا بما فرضه الله عليكم ولا تبخلوا باموالكم وانفسكم وابذلوا كل نفس ونفيس في سبيل المحافظة على دينكم وارضكم وقوميتكم بكل ما اوتيتم من قوة وتستجدون عند الله الجزاء الحسن لانه لا يضع اجر المحسنين

اننا حقاً والله اليوم اصبحنا في الحالة التي وصفنا بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (يوشك أن تنداعى عليكم الامم كما تنداعى الاكلة على قصعتها . فقال قائل أمن قلة نحن يومئذ قال صلى الله عليه وسلم لا بل انتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل الحديث) . وها نحن في هاته الحالة لم نستطع حتى دفع الاعتداءات المتوالية علينا في ديارنا ونستنجد ببعضنا فلا نجد وننادي بعضنا فلا يلبى احدنا اخاه ولا للاسف مع ان مولانا الاعظم يقول المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . وقول من فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . وقال : المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص

يشد بعضه بعضا

احمد زارم الطرابلسي

رابع عيد الاضحى

الفريدة العصماء التي القاها شاعر البلاط الملوكي شيخ الادباء الاستاذ العربي الكبادي
بين يدي الحضرة العلية في موكب رابع عيد الاضحى تهنئة للامير بالعيد السعيد

أعد ذكر سلع والخطيم وزمزم
وان جزت بالبيت العتيق فقل له
فتأسيس ابراهيم يكفيه أنه
رعى الله ذبائك المقام ومن به
منازل وحي شرف الله ارضها
الى مثلها شد المطي أخو الحجا
رأى طاعة الرحمن اربح متجر
فلم تعتق أجفانه طيب الكرى
اذا فاتها ما نال كل مشمر
الا ليت شعري والحوادث شأنها
أأبلغ هاتيك البقاع واجتلى
وادعو الى المولى الذي فيض كفه
فقد أصبحت في عهدة جنة الدنيا
يحن لها من زارها وهو ان نأى
وما ذاك الا العدل قد صان ربها
فبالعدل تسييج الممالك كلها
لذلك ترى العمران قد عم تونس
وفاض بها العرفان في كل بلدة
بفضل الذي ساس الامور بحكمة
ملك جباه الله محمدا مؤثلا
وقد أخلص التقوى الى الله ربه
تخصض بالفعل الجميل وعمما

وشنف به أذن المشوق المقيم
الا انعم صباحا أيها البيت واسلم
زيارته فرض على كل مسلم
اقام واقصاه على كل محرم
وقرر في أرجائها خير موسم
ولم يله حب الرباب وتنعم
وزورة بيت الله أكبر مغنم
ولم تكتحل بالغمض خوف التندم
من القرب والقربى ومحو التائم
معاكسة الآمال من كل مغرم
محاسنها قبل الحمام المحتمم
اعاد الى الخضراء عهد التنعم
ونالت به الآمال من غير مغرم
يفارقها كرها فراق مقيم
فباتت ولا تخشى اغارة ملجم
ومفخرها الاسنى ونيل التقدم
وصير ذكرها كما الشهد في الفم
ولو لاله لم تذكر ولم تكلم
سياسة شهم للتدابير محكم
وخص علاه بالمقام المفخم
فلم يتصف يوما بظلم ومأثم
بفضل جزيل فات حد التوهم

فلذ بحماه ان جفا الدهر واعتدى
مناقب لو نبال النجوم ضياؤها
وهل كابي العباس في الناس من له
سمعنا بمعن في السماحة والندى
فادهشنا ما حدث الناس عنهم
فلما اتى هذا الامير تيقنت
وما ذكروا من فضلهم بعض ما نرى
تجد فوق ما ترجوه من خير مكرم
لما كان من ليل على الناس مظلم
مع الملك أخلاق لها الحلم يتعي
كذا بابن قيس في ضروب التحلم
وقد اقساموا عن صدقهم كل مقسم
نفوس الورى صدق الحديث المنعم
لدى ملك ساد الورى بالتكرم

أأحمد هذا العيد قد يم الحمى
اتى بعد عيد الفطر يخال ناشرا
يصاحبه مستانسا هامر الحيا
تلفع في أيامه جو ارضنا
ترى الشمس تبدو تارة ثم تختفي
وقد لمع البرق الخفوق كانه
فطابت به اصالنا وغدونا
وغنت على غصن السرور طيوره
ليلثم كفا اتقنت كلد معدم
برود التهاني والسرور المعمم
فيشفي فؤاد الخائف المتألم
شوب من السحب الثقيلة أسحم
كحسناه بين الانجلا والتكتم
فؤاد جبان او كجذبة لهزم
وفزنا بحظ لم يكن بالمرجم
فجادت على اسماعنا بالترنم

أمولاي هذا الوفد قد جاء مثلا
لتقيل كف دابها كفها الاذى
واظهار ما تخفي القلوب من الولا
فانتم مصابيح تنير لقاصد
وانك بحر يقذف الدر موجه
ومن قال ان القطر يحكيك لم يصب
فذلك يعطي عابسا ونوالكم
لقد زاد عيد النحر حسنا وبهجة
فما راعنا ما راع بالفطر قبله
لذلك اولته الولاء نفوسنا
قدم سالما للملك تكسوة عزه
لك الدهر مطواع بما انت راغب
تعود سعيها للجناب المعظم
عن البائس العاني حليف التبرم
يجو من الاخلاص والود مقعم
سبيل الهدى والحق دون تجمجم
لراج توخاه وليس بمرزم
ودعوا له لم تنظر بغير التجهم
يقارنه للطف عذب التبسم
على الفطر في ظرف به الانس يحتمي
بما نال من علياكم من تألم
ولم يك فينا بالشقيل المذمم
باحجام ذي عقل واقدام ضيغم
لسدتكم يرنو بالمحاط معظم

مؤتمر جمعية الحرمين الشريفين

ان جمعية الحرمين الشريفين التي تعقد في كل عام جلسة عامة في احدى عواصم الشمال الافريقي . الثلاث - تونس والجزائر والمغرب الاقصى - قد عقدت اجتماعها في هذا العام ببليلاد التونسية . وبهذه المناسبة فقد احتفلت بلادنا احتفالا عظيماً بمناسبة قدوم الوفدين المغربي والجزائري اللذين اشتمل كل واحد منهما على نخبة من اعيان العلماء والفضلاء بالقطرين الشقيقين . وقد كان عدد القادمين في هذا العام اكثر من المعتاد . وكان الوفد المغربي تحت رئاسة فضيلة العلامة الجليل الشيخ سيدي محمد الحجوي وزير المعارف بالمغرب الاقصى ومعه اعيان من فقهاء المغرب الاجلاء . منهم الشيخ محمد العربي الناصري والشيخ احمد سكيرج (الشاعر المكثار) - وكان الوفد الجزائري تحت رئاسة الفاضل الماجد السيد بو عزيز بن قانه شيخ العرب بالقطر الجزائري ومعه نخبة من قضاة الجزائر وعلمائها ووجهائها . منهم الشيخ محمد بن ساسي قاضي قسنطينة والشيخ المولود بن الموهوب مفتيها (الذي بلغ الاسماع بواسطة المذيع) وكان بصحبة الجميع حضرة السيد قدور بن غبريط رئيس الجمعية وقد عقدت الجمعية جلستها الرسمية على الساعة العاشرة من صبيحة يوم الاثنين في ١٢ شوال وفي هـ ديسمبر الفارطين في دار الباي في بيت الوزير الاكبر . تحت رئاسة صاحب الدولة جناب المولى الوزير الاكبر للدولة التونسية سيدي الهادي الاخوة . وبمحضرة الوفدين المغربي والجزائري وجميع الاعضاء التونسيين وفي مقدمتهم اصحاب الفضيلة مشايخ المجلس الشرعي وهم شيخا الاسلام سيدي محمد بن يوسف وسيدي محمد الطاهر ابن عاشور والمشايع المقتين سيدي محمد العزيز جعيط وسيدي بلحسن النجار وسيدي علي بن الحوجة وسيدي محمد المختار بن محمود والقاضي الحنفي سيدي محمد دامر جي والقاضي المالكي سيدي الطيب سياله .

وقد افتتح الجلسة جناب المولى الوزير الاكبر بخطاب بليغ رحب فيه بالضيوف الكرام . وتعرض لبعض اعمال الجمعية واثني على رئيسها الفاضل وختم خطابه بالدعاء لصاحبي الجلالة ملك تونس سيدنا احمد باشا باي وسلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف . وبعد انتهائه وقف رئيس الجمعية جناب الوزير المفوض السيد قدور بن غبريط واعتذر عن القائه خطابه بنفسه واناب عنه الشيخ جعفر الناصري فلقى بالنيابة خطبة الرئيس وقد اشتملت على بيان تاريخ تأسيس هاته الجمعية والادوار التي قامت بها . ثم تعرض لتحديد موضوع الجمعية . فذكر انها لا دخل لها في اجباس الحرمين الموجودة بالاقطار الثلاثة . وانها لا تصرف في شيء من اموال الاوقاف المذكورة . وانما سميت جمعية اجباس الحرمين لانها تملك عقارا في مكة موقوفاعلى الحجاج وتتوي ان تملك عقارا مثله في المدينة

وبعد الانتهاء من الخطاب المذكور عرض الرئيس ميزانية الجمعية قبضا وصرفا ، فكانت خلاصة ذلك - ان المداخيل (الصواير) فرنكاب ٤٠٩٠٠٠٠٠ وان جملة المصاريف فرنكات ٤٨٣٤٠٠٠٠٠ وان جملة ما يصرف على جامع باريس من ارزاق للائمة والمؤذنين وما يتبع ذلك فرنكات ١٠٩٠٠٠٠٠٠

ثم تعرض لبيان الاعمال التي يقوم بها جامع باريس لفائدة عموم المسلمين فهو زيادة على كونه يجمع شمل المسلمين عند اداء الصلوات لا سيما في يوم الجمعة - فانه يكفل الاموات ويتولى حفظهم وغسلهم واصلهم الى مقرهم الاخير في المقبرة الاسلامية الكائنة في ضواحي باريس في جهة (بونيبي) وان جملة الاموات الذين تولى امرهم الجامع اثناء عام ١٩٣٨ عددهم ١٨٠ منهم ١٤٠ من الجزائر و ٢٠ من المغاربة و ٢ من تونس و ٥ من مصر و ٣ من ايران و ٣ من السنغال و ٢ من العراق و ٣ من التوتقان و ١ من تركيا و ١ من اذربيجان ثم تعرض للدروس التي تلقى بجامع باريس - وللإعانة التي قررتها الجمعية لتنشيط حركة التأليف بالاقطار الثلاثة - الى غير ذلك من الاعمال التي قامت بها الجمعية والتي تسعى لتوسيع نطاقها عندما تتسع ميزانيتها .

وبعد الانتهاء من ذلك الفت الشيخ محمد المختار بن محمود نظر الجمعية ورئيسها بالخصوص الى مسألة تنظيم باخرة الحجاج ووجوب الاعتناء بها حتى يكون الحجاج في راحة تامة اثناء سفرهم لبيت الله الحرام . وذلك لان الحجاج قد تشبكوا في العام الماضي من المعاملة السيئة التي وقعت لهم على ظهر الباخرة سينايا . ومن الاتعاب الشديدة التي قاسوها . وايدة في ذلك الشيخ محمد الحجوي والشيخ المولود ابن الموهوب وغيرهم من الحاضرين . فاجاب الرئيس عن ذلك بان الحلل الذي وقع في العام الماضي سيقع تداركه في هذا العام بحول الله وسيقع بذل الجهد في السهر على حفظ راحة الحجاج . وسيقع التقاهم مع ملتزم الباخرة في تطبيق ذلك . لا سيما والجمعية سترسل نائبا عنها مع الباخرة تكون وظيفته مراقبة معاملة الحجاج وابعاد الاذى عنهم . ووعد بان يحضر بنفسه عند خروج الحجاج من تونس وائر ذلك دخل الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتاني واهدى للضيوف نسخا من سفره الازرق المسمى (النفحة الندية في الرحلة الاحمدية) والقي قصيدة في تحية المؤتمر . ثم انفض الاجتماع . واخذت صورة للحاضرين في صحن دار الباي .

وقد وقعت عدة اقتبالات للضيوف الاجلاء من طرف اعيان التونسيين نخض بالذكر منها المائدة التي اعدتها جناب المولى الوزير الاكبر بنزل (دار زروق) بسيدي ابي سعيد والمائدة التي اعدتها فضيلة مولانا شيخ الاسلام المالكي سيدي محمد الطاهر ابن عاشور بسيانته في المرسى . والمائدة التي اعدتها جناب المقيم العام في السفارة الفرنسية والمائدة التي اعدتها سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية ومؤرخ المجلة الزيتونية في نزل (تونيزيا بلاص) والمائدة التي اعدتها امير الامراء سيدي محمد سعد الله مدير الاوقاف بمطعم بغداد

وقد لاحظنا ان فقهاء تونس لم يشاركوا في هاته الاحتفالات التي اقيمت للضيوف الا الحفلة التي وقعت في دار شيخ الاسلام حيث استدعى لها بعضهم (لا كلهم) - واذ كان السبب في ذلك ظاهرا بالنسبة للحفلات التي اقيمت في الفنادق فما هو السبب بالنسبة للاحتفالات التي اقيمت في المحلات الخاصة ؟ وقد قضى الزائرون الكرام بعد ذلك اياما سافروا فيها لبعض الجهات بداخل المملكة . وتاملوا في معالمها . واقتنوا بعباهجها . ثم رجعوا بسلامة الله الى اوطانهم .

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي بن القايني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

رئيس قلم تحريرها :

محمد المنحاز بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الاشتراك

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
ممضاة من امين المال

محمد سعيد بن القايني

والخبايرات المالية لا تكون الا معه

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب

الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للسلامة

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلد الثاني من مؤلفات

مجلد علمية أدبية اخلاقية

تصنيفها لمؤلفها محمد بن الشاذلي بن القاضي

المدير : محمد الشاذلي بن القاضي

عدد ممتاز

خاص بالهجرة الشريفة

لعام ١٣٥٨

فهرس العدد

الجزء الثالث

المجلد الثالث

الصفيقة	المقال	صاحب
٨٨	ذكرى الهجرة	الشيخ محمد المختار بن محمود
٩١	الاحتفال بعيد الهجرة	مدير المجلة
٩٣	المحاضرات الاسلامية (كتاب)
٩٤	المقصد العظيم من الهجرة	صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن
٩٨	هجرة الصحابة الى الحبشة	عاشور شيخ الاسلام المالكي
١٠٤	بلاء وحله صلى الله عليه وسلم	العلامة الشيخ ابراهيم النيفر المدرس بجامع الزيتونة
١٠٥	ابتلاء الرسول سنة الله في المرسلين ...	صاحب المجلة
١١٠	وصف الهجرة	الامام محمد بن اسماعيل البخاري
١١٤	هلال له يمن (قصيدة)	للعالم الاديب الشيخ محمد الناصر الصدام المدرس بجامع الزيتونة
١١٨	الهجرة النبوية مبدأ التاريخ الاسلامي ..	العلامة اخليل الشيخ سيدي محمد الحجوي وزير المعارف بالحكومة المغربية
١٢٣	التاريخ بالهجرة الشريفة	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الحوجه مستشار الحكومة التونسية
١٣٠	ذكرى الهجرة (قصيدة)	العالم المدرس الشيخ علي النيفر
١٣٢	الآيات الالهية عند الهجرة	العلامة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة
١٣٦	عمارة البيت الحرام	امير الامراء سيدي محمد بن الحوجه
١٤٢	التاريخ المدرسي (كتاب)
١٤٣	تهلل بالبشرى (قصيدة)	شيخ الادباء الاستاذ العربي اكبادي
١٤٥	المدينة دار الهجرة	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي
١٥٥	ولاية عهد المملكة
١٥٦	الهجرة (خطبة منبرية)	الخطيب الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة
١٥٨	النوع التونسي

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدايقها لم يفتقر من قبل ربي جنتها مع الزيتونين في الزيتونين
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الثالث	تونس - في محرم الحرام ١٣٥٨ - مارس ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ذكرى الهجرة

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

بقلم رئيس التحرير

ان من أهم الحوادث التاريخية التي كان لها أثر عظيم في شان الاسلام وانتشاره في مشارق الارض ومغاربها ؛ وتغلغله في الاقطار قاصبها ودانيها، واشراقه اشراق الشمس التي لا يصددها شيء عن الوصول الى كل مكان، حادث الهجرة ؛ هجرة الرسول الاعظم خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان أول ظهور الاسلام في مكة أين مقر البيت الحرام ، ذلك البيت الذي شيده ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأسس على التقوى من أول يوم ، فكان مثابة للناس وأمانا ؛ فقد اليه الامم من جميع اقطار الارض ، وتتقرب فيه الى الله على حسب ادبائها ومبادئها ، فكان مقر أديان متناقضة ، وعوائد متباينة ، كما كان مقر عصبية مختلفة ، وقبائل متنوعة ، تعز كل واحدة بدينها ، وتباهى بقوتها وكثرة عددها

فاحتار الله تعالى ان يكون مظهر الاسلام في ذلك الموضع الذي تطاحت فيه الاديان ، وتنوعت فيه المبادي ، وتشتت فيه الاغراض ؛ اذ ظهور الاسلام في مجتمع على هاته الحالة دليل واضح على ما للاسلام من قوة وما له من سلطان بحيث لا يبالي بتلك المظاهر المتنوعة لانه بقوته سيقضي عليها بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فمكث زمنا يسيرا يبيء الاسباب لاطهار دعوته والاصداح بكلمة الله ، ثم اذن له ، فصده بالامر ، وجاهر بالدعوة ، فثالب الناس عليه ، واعدوا العدة لمقاومته ، لما علوه من ان هذا الدين الجديد الذي جاء به اليهم سيكون قضاء مبرما على ما القوه من العقائد الضالة ، وهكذا الشان في كل من يضل عن سبيل الله ، فتأخذ العزة بالائتم ، ولا تجد الهداية الى قلبه من سبيل

ولم يقتصروا في مقاومته على الطرق المعقولة ؛ من المفاهمة والاحتجاج والمحاورة ، بل قاوموه صلى الله عليه وسلم بالفعل ، فترصدوا له في غدوة ورواحه ، واغروا به سفاههم والفناء منهم ، وادفوه بانواع من الاذيات لا يتح لها الا امثاله صلى الله عليه وسلم من اولي العزم ، فكان يقاوم ذلك بالحلم والصبر والجلد ، ويستعز على بث الدعوة التي كلفه الله بها ؛ مستخفا باعمالهم ، واتقا من نفسه ، علما بان النصر سيكون بجانبه ، وهكذا شان المرسلين عليهم الصلاة والسلام ؛ في التجلد وقوة العزيمة ، وتحمل الشدائد واقتحام الاخطار ،. (وكاين من نبي قتل معه زيون كثير فما وهنوا

لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدارنا وانصرنا على القوم الكافرين)

ثم لما مضت أعوام على هاته الحالة ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن بقاءه بمكة والمشركون على ما هم عليه من الكفر والعناد والمقاومة لا يمكن معه الوصول الى الغاية التي يسعى لتحقيقها ، فاستاذن من ربه سبحانه وتعالى في أمر الهجرة ، فهاجر الى المدينة ، ومعه اتباعه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ، فوجد فيها انصارا اعزوه واعتزوا به ، وأكرموا من هاجر معه فطاب له فيها المقام وتهيأت الاسباب لنشر كلمة الاسلام ، وقرت عينه عليه الصلاة والسلام وعند ذلك دخل الاسلام في طور جديد ، وتهيأت أسباب الدعوة ، وتفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم الى العمل العظيم الذي كلف به ، فتوالى الغزوات ، واستمرت الفتوحات ، ودكت معالم الشرك فارتجت ارتجاجا ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ونفذت كلمة الله الى سائر الاسماع ، وانتشرت في جميع البقاع ، فذلك هو حادث الهجرة وتلك هي آثارها

ثم استمر الاسلام على النبو والانتشار ، حتى صارت دولة الاسلام أقوى الدول ، وحتى صارت مدينة الاسلام ارقى المدن ، وحتى صارت الامة الاسلامية هي مضرب الامثال في عدلها وقوة سلطانها ؛ واستمر الحال على ذلك حينئذ من الدهر ؛ ثم دالت الدولة ؛ وضعفت الصولة ؛ وطراً على جسم الامة الاسلامية الاعتلال ؛ حتى كادت تصل الى الاضمحلال ، حيث تغلبت الاغراض ، وتشتت الجمع ، وتفرقت الكلمة ، وسادت الفوضى ، وصارت الامة الاسلامية اضعف الامم ، تساق بالعصى ، وتفترى وهي في غمر دارها ، وتعامل بانواع الخسف والهوان ، وتشج فلا يرئى لها احد ، وتقر ولا تستفيد من كرامة العدد

فهل يدوم الحال على ذلك ؟ وهل لمعالجة ما عليه المسلمون من سبيل ؟

اما دوام الحال فمن المحال ، واما العلاج فهو سهل بسيط ، ذلك ان الرجل العاقل هو الذي يقارن بين ماضيه وحاضره ، ويبحث عن اسباب عزه عند ما كان عزيزا ، ويبحث عن اسباب ذله عند ما صار ذليلا ، فيدرك من نفسه أسباب الخلل ، ويتدرع بالطرق الناجحة من وجوه العمل

وان في حادث الهجرة لعبرة لمن يعتبر ، ولا ينبغي أن يمر به الانسان كحادث يكفيه منه ان يعلمه ؛ بل يجب ان يقلبه ظاهرا وباطنا ، ويستخلص منه ما فيه من اسرار ، ثم يسعى للعمل على ذلك حتى يصل الى الغاية التي يقصدها ، والغرض الذي ينشده

وفي الهجرة عبر كثيرة ؛ ومغاز سامية ؛ لا تكفي مقالة لتعدادها . وانما تقتصر منها على ثلاثة أمور . وهي : ١ - الاعتماد على الله . ٢ - التضحية بالنفس . ٣ - والعزيمة

الاعتماد على الله

فاما الاعتماد على الله . فهو سر النجاح في كل شيء لان الاعتماد على الله يكسب الانسان قوة وبإلها من قوة . فاذا تشبع الانسان به اقدم على العمل بنفس مطمئنة . وإيمان ثابت . لا يخف الامن الله . ولا يرهب الا من سطوته . وانقا من ان البشر لو اجمع انهم وجنهم على ان ينفعوه بشيء لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه . ولو اجمع انهم وجنهم على ان يضره بشيء لم يقدره الله له لم يتمكنوا منه . فعند ذلك يزول عنه الجبن والخوف والاستكانة ويصير عزيزا قويا . زديرا بالحوادث والاحطار فهو اذا توجه توجه الى الله . واذا اعتمد اعتمد على الله . لا يفت شيء في ساعده . ولا يصده صاد عن البلوغ الى مقاصده

التضحية بالنفس

واما التضحية بالنفس . فهي الامر الذي يجب على كل انسان يريد النجاح ان يروض نفسه عليه . لانها كلية جامعة تشمل ارتكاب الاخطار . ومفارقة الديار . وتحمل الاكدار . وابشار الغير بالمنفعة . وتجنب المظالم السافلة . والتجلى بجميع الكمالات والفضائل . واذا بلغك عن امة انها تريد النهوض فابحث عن اصحاب الزعامة فيها فان كانوا ممن يضحون بانفسهم في سبيل المصلحة العامة ، فترقب لها النجاح ، وان كانوا من اصحاب المظالم ومن الذين لا يرضون بان يؤذوا ادنى اذية . فاعلم ان طمعها في النهوض كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاء لم يجد شيئا

العزيمة

واما العزيمة فهي الشرط الذي لا بد منه في نجاح كل عمل . لان الانسان اذا اقدم على عمل وكان له عزم صادق في نجاحه يصل بحول الله الى غايته لا محالة . اذ صدق العزيمة هو الذي يذل به الانسان كل امر صعب يعترضه في طريقه . فلا تؤثر المصائب في عزيمته . ولا تصده الاخطار عن البلوغ الى غايته .

والعزيمة قوة يعينها الله في الانسان فيضطلع باعباء الامور بنفس مطمئنة وعقيدة راسخة ، ولعظم أمرها مدح الله رسله عليهم الصلاة والسلام بانهم اصحاب العزم . اذ بدون عزيمة لا تنجح الاعمال . ولا يصل الناس الى ما يقصدونه من الآمال

فاذا أراد المسلمون ان يعتبروا بالهجرة . وان يسترجعوا مجدا اضاعوه . وعزة فقدوها . فليكن اعتمادهم على الله . وليعودوا انفسهم على التضحية . ولتكن لهم عزيمة صادقة ، فعند ذلك يحصل لهم التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحق لهم ان يطعموا في النجاح . ويتروقوا من ليهم الذي طال امداه ان ينبغي بالاصباح . محمد المختار بن محمد

الاحتفال بعيد الهجرة ❀

باسمك اللهم بتدئ مقالي ، ومنك نستمد الهداية والتوفيق ، وعليك الاعتماد في الارشاد الى اقوم طريق ، صراطك المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يا ايها السادة الاكارم

انكم حضرتم في هذا الاحتفال البهيج . البهيج في معناه ومغزاه . البهيج في سعة مرصاه ، وليتم صوت ضمائركم الطاهرة ، وتقوسكم المفعمة اخلاصا ومحبة لصاحب الرسالة الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لتقيموا هذه الذكرى الخالدة ما دامت الارض والسموات ذكرى هجرة الرسول الامين وليس الاحتفال بالاعياد والذكريات ، واستيحاء العبر المشرفة ، قضية مستحدثة لا يعلمها المسلمون وانما سرت اليهم كما يزعم ذلك من جهل الاسلام فخفت عليه محاسنه التي اصبحت عنده في زوايا الاعمال ولو علم الناس ما شرعه الرسول من الاحتفال بذكرى نزول القرآن . وبعبارة بذكرى نزول الدين ، من كل عام في شهر رمضان ، وكيف سنه الله لرسوله ، فبعث له الروح الامين ، يدارسه القرآن في خصوص ذلك الشهر العظيم من كل عام . لادركوا أن ذلك من أوضاع الاسلام ، من قبل أن تخلق هذه المدينة بأكثر من الف عام

أضف الى ذلك جواب عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حين أورد عليه الايراد المشهور في آية (اليوم اكملت لكم دينكم) وقال له لو ان هذه الآية نزلت علينا يعني اليهود لاتخذنا ذلك اليوم يوم عيد يعني نحتفل فيه بذكرى يوم كمال الدين . فاجابه ابن الخطاب بجواب من علم الشريعة ظاهرها وخفيها . وعلم أسرارها ومميزاتها . بان ذلك اليوم الذي نزلت فيه تلك الآية الشريفة . هو يوم عيد وذكرى بوضع آبي ، وكفاة ذلك تشريفا وتعظيما . وضروري ان يتخذها المسلمون كما شرع لهم غاية ما هنالك ان المسلمين لما ضعفوا واقتبس من سواهم محاسنهم . صار يظن ان ذلك لغيرهم وهم فيه تبع . ثم بعد ذلك يترددون هل نسير على خطى الغير ام نسير على نحو ما تركنا عليه أبائونا . ان هذا لشيء عجاب

اما ذكرى الهجرة فيكفيها تنويرها بهذا الحادث الخطير وتعظيمها ان اتخذها المسلمون الاولون . من المهاجرين والانصار بارادة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مبدأ التاريخ الاسلامي وفي ذلك من الاشارة الى انها اخطر الحوادث واشرفها في الاسلام . ضف الى ذلك ما فيها من تنبيه المسلمين على ممر العصور وتذكيرهم في كل عام بعيد عز الاسلام .

❀ الخطاب الذي القاه مدير المجلة في الاحتفال العظيم الذي اقامته جمعية الشبان المسلمين بقاعة المحاضرات بقصر الجميات مساء يوم الخميس ثالث المحرم .

الهجرة يا سادة . عبرة بالغة واثرة من آثار حياة الرسول المفعمة بالحوادث الجليلة وآية من الآيات البينات على مبلغ إيمان النبيء الأمين ، وإيمان أصحابه الغر الميامين والإيمان وحدة هو الذي يبلغ الى أقصى حد الكمال البشري فمضى آمن الإنسان وأن السعادة في الخلود الى الشهوة أو الى ما تنعم به النفس من أنواع الترف سعى لها سعيها الذي يوحى له إيمانه ، وكلها حاول غير ذلك استعصى عليه وإن هو آمن وإن السعادة في حياة التقشف والزهد والاعراض عن العالم بما فيه من نعيم أو حجوم أوحى اليه إيمانه العزلة وأراه العالم على صورة لا يتسنى له أن يحيى معها حياة التلذذ بنعيم الحياة ، وإن أجهد نفسه كل الاجهاد .

ومضى آمن وأب العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، أوحى اليه إيمانه حياة العزة التي ارتضاها الله لرسوله وللمؤمنين .

وبهذا الإيمان تحلى الرسول ومن هذا الإيمان عرف أصحاب الرسول .

وهل بعد هذا الإيمان يلتفت الى وطن أو ابن أو عشيرة أو مال وبالأحرى الى شيء من متاع الحياة إذا كان ملطخا بسمعة الهوان ؟

وهل بعد هذا الإيمان ينظر الى رفاهية عيش إذا كان ملطخا بسمعة الهوان ؟

وهل بعد هذا الإيمان ينظر الى زوج أو صاحب إذا كان ملطخا بسمعة الهوان ؟

كلا إن وحي الإيمان يا سادة شيء عظيم .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعالج المسلمين ليكون منهم نفوساً مؤمنة بالإيمان الكامل . الإيمان الصادق ، الإيمان بالحق . الإيمان بالعزة ، الإيمان بالقوة حتى أصبح المسلمون مثال الحق والعزة والقوة ، وعلى هذا الصراط السوي نشؤوا في الإسلام فلا جرم إذا رأيناهم يسترخصون كل عظيم في أعين غيرهم ويهجرون الاوطان وعز الاوطان ومنعة الاوطان ونعيم الاوطان وما اشتملت عليه الاوطان كما هجروا من قبل ما كان عليه الاولون من دين الاباء والاجداد والاعمام

كل ذلك بالإيمان الذي أوحى اليهم الحق كما هو حق والعزة كما هي عزة والقوة كما هي قوة أجل أن الهجرة يا سادة تذكرنا بعظمة الثبات على المبدأ . تذكرنا بجلال الحق وأنه يملو على القوة متى وجد نفوساً تؤمن بالحق ولا يصدها أي خطر لظهور الحق . تذكرنا تلك المعركة الجارية بين الهدى والضلال

تذكرنا ببطولة المرأة في الإسلام وبلائها في أعزاز هذا الدين البلاء الحسن (١)

تذكرنا ببطولة الصابرين وصدق عزيمة الرسول (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين

(١) إشارة الى ما قامت به السيدة أسماء ذات النبطاين ابنة الصحاب أبي بكر الصديق رضي الله عنهما من الاعمال الجليلة عند الهجرة وما قام به نساء الصحابة في أعزاز الدين

اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فانزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

حق يا سادة ان يقال ان الهجرة مبدأ عهد للانسانية جديد ، لمع نبراسه من غار ثور . وشاع نوره من مسجد المدينة ، وظهر صارمه في بطاح بدر ، ورددت أنشودته الحماسية أصوات الفاتحين يوم فتح مكة وفي وادي اليرموك ويوم القادسية وحين اعتلوا على صور الشام . فمن هناك انبعث الخير يغمر اقطار المعمورة ، ويحمل للعالم شريعة كلها أمن وعدل وسلام وحرية ، كلها هدى ونور وشقاء لما في الصدور

فلا جرم ان يكون عيد الهجرة من أسمى الاعياد قدرا ، وأنفعها ذكرى . تفيض على المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الغبطة والمرح ، وتامرهم بالسير في ذلك الطريق السذي عبد لهم يوم الهجرة الافخم ، وعلى ضوء شرعهم الوضاح ، السذي ما كسفت شمس هدايته ، بل ضربت على الابصار غشاوة لو تنبه لذلك الغافلون

سادتي ينازعنا في هذه الساعة عاملان عظيمان ، عامل السرور والابتهاج بهذا العيد الاوحد ، وعامل الحسرة والاسى على ما فرطنا في جانب دين الله ، على ما فرطنا من عز الاسلام ، على ما فرطنا من الاستهانة بالمسؤولية الملقات على كل احد من افراد الامة المحمدية ،

سادتي ان امر المسؤولية عظيم ، وما دام المسلمون يلقي كل فرد منهم المسؤولية على عاتق غيره ، كانه لا تبعه عليه كيف يكون العلاج ،

سادتي ان صرح الاسلام اقيم على عواتق الامة بأسرها ، فكيف ترومون اليوم أن ينهض به افراد من الامة ، بل كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، ولا يصلح آخر هذا الامة الا بهما صلح بهاولها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحاضرات الاسلامية

كانت وزارة الاوقاف المصرية اوكلت الى العالم الواعظ الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجديلي مدير شؤون المساجد لوزارة الاوقاف ان يقوم بالقاء محاضرات دينية امام مذياع الحكومة المصرية فالقى فضيلته سلسلة محاضرات دينية اجتماعية تاريخية ادى بها اجبل عمل نحو الامة الاسلامية . ومن احسن ممن دعى الى الله وعمل صالحا واناار السبيل . وتعميما للنفع قد جمع حضرته مجموع المحاضرات التي القاها وادعها في سفر واسماء « المحاضرات الاسلامية » وقد قامت جمعية الوعظ والدعوة الاسلامية ونجدة التقوى بمصر بطبعه ونشره

وقد اهدى الينا نسخة منه وبعد تصفحه الفيناة تضمن عشرين محاضرة كلها عيون حدثنا فيه عن اثر العقيدة في اصلاح المجتمع وبماذا نعرف الرجل المؤمن وعن نشوء الدعوة الاسلامية وكيف نهض الاسلام بالمجتمع كما حدثنا فيه عن شيء عظيم من حياة الرسول صلى الله عليه واصحابه الاكرمين الى غير ذلك من الابحاث الراققة والحكم الجامعة

ونحن نثني على همة الشيخ العلمية مؤملين منه مزيد النور في هذا المضمار ولكننا به القيم ان ينتفع به المسلمون ويقدروه حق قدره

المقصد العظيم من الهجرة

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

ان في كل شأن من شئون رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصها وعامها دلائل على أنه بمحل العناية من ربه تعالى تحقق معنى قوله تعالى « فانك بأعيننا » أي بمحل العناية منا (اد حقيقة العين يستحيل إثباتها لله تعالى فتعين بحكم استعمال اللغة أن تكون العين في الآية مراداً منها لازم لازم حقيقة وهو الاعتناء اللازم لمعنى المشايعة والمشايع من لوازم النظر المراد من العين كما قال النابغة يخاطب النعمان بن المنذر :

رأيتك ترعاني بعين بصيرة وتبعث حراسا علي وناظرا)

ومن أعظم الشئون التي عرضت للرسول عليه السلام في رسالته شأن خروجه من وطنه في ذات الله تعالى وكان في ذلك الشأن من المقاصد الإلهية العظيمة ما لا يحيط به غير علام الغيوب فلا جرم أن نعد منها ما بلغ اليه العلم والهمه الفهم في هذا الوقت القصير، وعسى أن يكون في قليله تنبيه كثير، يفتح فهم الناقد البصير

الهجرة شئنة من أحوال الرسل فقد هاجر ابراهيم واوط وهود وصالح وموسى ويونس ولكل وجهة وكل على هيئة وتلك الشئنة هي التي أنبأت ورقة بن نوفل بأن محمداً عليه الصلاة والسلام سيسلك به ربه مسلك رسله « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا » كان ورقة بن نوفل القرشي المنتصر في الجاهلية قد توسم من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج أو يخرج من وطنه، ففي صحيح البخاري (ان رسول الله لما ذهب اليه بأشارة خديجة رضي الله عنها وقص عليه رؤية الملك ونزول الوحي عليه في غار حراء قال له ورقة « هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك، قال رسول الله او محرجي هم، قال ورقة : نعم لم يأت احد بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزرا)

كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة نبذاً منه لاهل الشرك وسخطاً عليهم وتنزيهاً للدين عن البقاء بين أظهرهم وإعلاناً للسائر الناس بأن أمر هذا الدين ليس بالامر الهين فان الدعوة بالفعل مع القول أشد نفوذاً الى النفوس من مجرد القول بحيث صارت الدعوة الاسلامية حادثاً مشاهداً ومتحدثاً به بعد أن كانت مسموعة لا غير ولذلك سمي هذا الخروج هجرة مشتقة من الهجر وهو قطع المعاشرة ولقد كانت بادن الله له بذلك حين تهيأت الاسباب التي أرادها الله تعالى كما أنبأ به

حديث الهجرة في الصحيح ان رسول الله قال لابي بكر ان الله اذن لي في الهجرة ولم يكن ذلك الخروج فرارا وخشية من المشركين لان الله الذي عصمه منهم ثلاث عشرة سنة وهم يؤذونه بالقول ولا يقدمون على إلحاق الضرر به قادر على اكال عصمته منهم وخاصة بعد أن كثر اتباعه واعتزوا باقويائهم مثل عمر بن الخطاب وحزمة بن عبد المطلب . وقد علم رسول الله أنه اذا خرج من بين قومه يعدون خروجه غلبة معنوية عليهم فيحاولون منعه فلذلك رأى أن كتمان أمره أعون على مراد الله من خروجه ورأى الاختفاء بعد الخروج ثلاث ليال بغار ثور أقطع لطماعية المشركين في إلحاق به وأعجز لهم في طلبه ولذلك كان يسير الليل ويستريح النهار وتلك ايضا عادة العرب في سيرها في وقت الحر وقد كانت الهجرة في زمن الحر

الهجرة مفارقة الوطن على نية عدم الرجوع اليه وأسبابها تارة تكون للطمع في نفع يحصل للمهاجر في الموطن الذي ينتقل اليه وتارة من كراهية الإقامة في الوطن لعداء بين المهاجر وقومه أو لاذى لحقه منهم وتارة لنشر دعوة أو اظهار فضيلة أو استنصار على عدو أو غير ذلك فهي أخص من السفر ومن التغرب لان في السفر والتغرب أمل العود الى الوطن .

وإيما كانت غايتها ومنفعتا فانها شديدة المضاضة على النفس لان في مفارقة الوطن مفارقة لعلق البقاع بالقلب مما شب فيه المرء وألفه ومفارقة قرابته وجيرانه وأحبته وقد قال ابو الطيب وأجاد .

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لى المنايا الى ارواحنا سبلا (١)

وسماها القرآن فتنه في قوله تعالى (والفتنة اشد من القتل) قال المفسرون أراد اخراج المؤمنين من بلادهم مكة ثم ان أسمى غاية يفارق المرء لاجلها وطنه وأقوى سبب يحدث عنه الفراق بين المرء وذويه هو الذنب عن الاعتقاد اذا بلغ عناد المخالفين فيه الى حد تحجير اظهاره والمضايقة فيه ومحاولة الارغام على تركه والتظاهر بما يخالفه وان المرء ليضجر لو أغمضت عيناه أو سدت أذناه وما هم الا بعض مظاهر ادراكه فكيف به اذا سد عليه قلبه وعقله ورأيه وأن أسمى العقائد وأقدس الآراء عقيدة الدين لتعلقها بأشرف الموجودات ولتجردها عن الغايات المادية والمنافع العاجلة التي تلائم هناء المرء في عيشه ومسألة دمه قومه إياه فالاعتقاد الديني اعتقاد محبوب لاجل كونه حقا بحتا ولاجل كونه يرضي خالق الخلق . وقد كانت الهجرة في الله للتمكن من تبليغ شرائعه . وكان الاذى في الله لاجل ذلك سنة من سنن المرسلين فما من رسول الا وقد أودى في الله وكذلك كثير من اصحاب الرسل أودوا وهاجروا معهم وبدونهم . ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واتبعه من اتبعه من قرش

(١) لى اسم جمع لهاء بفتح اللام وهي الخلق والمنايا جمع منية وهي الموت وقد جمعها باعتبار متعلقاتها وهي نفوس الاحياء واثبت للمنايا حلو قالا لانه قدر تشبيها بسباع تتلجج الارواح على طريقة الاستعارة المكنية .

وتكاثروا وحاولوا اظهار دينهم بين مشركي أهل مكة لم يرض المشركون بذلك وكشروا للمسلمين عن أنياب العدوان وأخذوا يؤذون المسلمين بصنوف من الاذى كانت تزداد يوما فيوما بمقدار رسوخ المسلمين في الاستمساك بدينهم وكان المسلمون صابرين على أذى المشركين حتى بلغ الصبر غايته أذن رسول الله في سنة خمس لطائفة من المؤمنين المستضعفين والمقصودين بخاصة الاذى بالخروج من مكة ولم يخرج رسول الله حيثذ لانه في منعة بعمة ابي طالب فقال لاصحابه لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا مما أبتم فيه أفخرج من المسلمين يومئذ ثلاثة وثمانون رجلا وتسع عشرة امرأة فتلك الهجرة الاولى . ثم لما اسلم الاوس والخزرج أذن الله لرسوله وللمؤمنين كلهم بالهجرة من مكة الى المدينة دار الاسلام . وقد قيل إن ذلك كان باقتراح من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورجع مهاجرة الحبشة الى المدينة فكان حكم الهجرة من مكة واجبا على كل مسلم قال تعالى (والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) ودام ذلك الحكم الى فتح مكة .

كم من حكمة الله تعالى فيما اشتمل عليه حادث الهجرة من الاحوال وكم من نعمة أسداها لبعده ورسوله في تلك الهجرة دل بها على أنه بمحل عنايته وأنه متمم نوره ولو كره الكافرون قال تعالى وكان فضل الله عليك عظيما

الحكمة الاولى صرفه ألباب قريش وحذقهم عن ان يفكروا في قطع دابر أمر الاسلام قبل أن يكثر أتباعه ويستبد له أنصاره وتشتبه رأيهم في صده عن الخروج حتى مكنه الله منه وفي ذلك اليأس تهيئة لهم نحو الدخول في الاسلام .

الحكمة الثانية أن هيا له أن تكون هجرته الى يثرب ولم يكن ذلك في باله أول وهلة ففي الصحيح عن أبي موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (رأيت في المنام أني أهاجر الى أرض بها نخل فذهب وتهي الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب) فكان من تيسير الله أن ساق اليه نفر الستة الاولين من الاوس الذين أسلموا من أهل يثرب فان موقع المدينة كان وسطا من أرض العرب فكان بلوغ دعوة الاسلام الى بلاد العرب بانتشار شعاعي وهذا أيسر عموما مما لو كانت دار الهجرة اليمامة أو هجر في الطرف الشرقي الشمالي من بلاد العرب

الحكمة الثالثة أن أهل يثرب كانوا أقرب قبائل العرب لقبول شريعة الاسلام فانهم وان كانوا قبل الاسلام مشركين يعبدون مائة وغيرها الا انهم لشدة مخالطتهم لليهود وهم أهل كتاب كانت اذانهم قد اعتادت معالي التوحيد والفرائع فكانت نفوسهم مرتاضة الى ذلك

الحكمة الرابعة أن الله جعل للمسلمين من أهمية موقع المدينة من بلاد العرب سلطانا على اعدائهم

من قريش أهل مكة فان قريشا كانوا تجارا وكانت لهم رحلة في الشتاء الى اليمن للتجارة واخرى في الصيف الى الشام سن لهم ذلك هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك هو المسمى بالايلاف (١) وكان مرورهم الى الشام على طريق المدينة من بطن عالج فلما صارت المدينة دار سلام وثبتت العداوة بين أهلها وبين قريش صارت قريش ترهب المرور على المدينة فانقطعت تجارتهم الى الشام وهي أهم تجارتهم وفي ذلك المعنى قال حسان بن ثابت مهددا لقريش

دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاذ كأفواه المخاض الاوارك (٢)
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وانصاره حقا وأيادي الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عالج فقولوا لها ليس الطريق هنالك
الحكمة الخامسة انتقال الاسلام من طور أكل من هو الذي كان مقدمة كاله المعان
عليه يوم حجة الوداع بقوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي »

مضت مدة إقامة رسول الله بمكة والاسلام حينئذ في طور كان فيه دينا مقتصر على إصلاح العقيدة وتهذيب نفوس أتباعه وتطهير أخلاقهم في خويصتهم ومجتمعهم ودعوة المشركين الى الايمان بالله ورسله وما جاءوا به وتشهير فضائع أهل الشرك وضلالهم وسخافتهم وذلك طور ابتداء الله به الاسلام لينشأ منشأ سائر الكائنات من طفولة الى شباب الى كهولة (كذلك نشبت به فؤادك) ولتهيئة قلوب المسلمين الى تلقي الشرائع وانتظام الجماعة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة تطور الاسلام الى طوره الأشد فصار دينا وجامعة وشرعية وحكومة

الحكمة السادسة استقلال الاسلام وأمنه وإعلان العبادة فشرع الأذان وأقيمت الجمعة ونحو ذلك
الحكمة السابعة تنظيم الجماعة في الاسلام من أول الهجرة بابتناء المساجد وإقامة الأئمة والقضاء ومشروعية المواساة بين المسلمين بالزكاة والصدقات وتنظيم قوانين العائلة من شرع تصحيح عقود الزوج وحقوق الزوجين والقرابة والمصاهرة الخ. وبالاستخلاف في تدبير الأمور وإقامة الأحكام في مغيب الرسول أو في البعد عنه. وابتداء التشريع العام في أحكام المعاملات والجنايات ففسي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : انما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل بين ذكر الجنة والنار حتى اذا تاب الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، الحكمة الثامنة تنظيم الدفاع عن الدين والامة بالتهيء لمقاومة المشركين من أهل مكة وأحلافهم اذا نوا ذلك وهم يوشك أن ينووه اذ هم من قبل قد ناووه الحكمة التاسعة ايجاد مال للمسلمين لإقامة مصالحهم وعدة لنوائبهم مجتمعاً من الزكاة والاعواق ثم من المغانم والانتفال ، الحكمة العاشرة مخاطبة ملوك الارض ورؤساء الامم بالدعوة الى الدخول في دين الاسلام والاستظلال بالراية الاسلامية . محمد الطاهر ابن عاشور

(١) الايلاف مصدر الف بمعنى الف الشيء وقد أشار اليه قوله تعالى لا يلاف قريش وكان ذلك من خصائص قريش قال مساور بن هند العبسي يهجو بني أسد ويكذبهم في دعواهم انهم من نسل أسد بن عبد العزى من قريش

زعمتم أن اخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلف
أولئك اومنوا جوعا وخوفا وقد جاعت بنوا اسد وخافوا
(٢) الاوارك التي تأكل الاراك فيخرج لها افواها فيسيل منها الدم

هجرة الصحابة الى الحبشة

بقلم العالم الشيخ ابراهيم النيفر المدرس
من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب)

سنة الله في الذين خلوا من الانبياء والمرسلين ، ومن تبعهم من المؤمنين ، يدعو الرسل قومهم الى الايمان ، وترك ما هم عليه من عبادة الاوثان ، واطراح ما القوه من منكرات وفسوق وعصيان ، يأمرهم بافراد الله بالعبادة ، ويرغبونهم في مكارم الاخلاق وفضائل الشيم ، فيعظم ذلك على قومهم ، ويعز عليهم ترك ما ألقوه ووجدوا عليه ءاباءهم ، ويعجزون عن مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بمثله فيعمدون الى سلاح العاجز يشتمون ويسبون ، ويضربون ويودون . ويتطاولون على من قدروا عليه من المؤمنين يعذبونهم تعذيبا في سبيل الله ، فيصبر المؤمنون على ذلك ويرون العذاب عذبا ، ويستطيون مرارة البلاء ، وهكذا الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب وامتزج باللحم والدم وصار عقيدة راسخة في النفس ، لا تزعزعها المحن ولا تؤثر فيها البلايا ، حتى يظهر الله دينه وينصر رسله ويعز المؤمنين . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

لم يكن ليخرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه السنة ولا أصحابه الاكرمون . أو ذي صلى الله عليه وسلم فصبر صبر أولي العزم من الرسل ، ونكل قريش بمن ءامن من الصحابة تسكيلا بالضرب والتعذيب والقتل فما زاد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الا ثباتا ، وما قابل الصحابة هذا الابتلاء الا بجلادة ، واضطروا الى الخروج من ديارهم ، والبعد عن أهلهم وترك أموالهم ، حتى نصرهم الله نصرا مبينا ، وردهم الى دورهم ودخلوا دخول الفاتحين

نزل جبريل الامين بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه أن الله اختاره واصطفاه ليكون رسولا للناس عامة ، يدعوهم الى خير دين عرفه العالم ، وأن يبدأ بدعوة الناس سرا ، فقام بما أمر به وصار يعرض نفسه على الناس فرادى وبقي كذلك ثلاث سنين ، دخل الناس فيها في الاسلام أرسالا رجالا ونساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحديث به ، ثم أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة والصدع بما أمر به حيث نزل عليه قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » وقوله

تعالى « وأنذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقد إني بريء مما تعملون »

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون في الشعاب يستخفون بصلاتهم من قومهم حتى اطلع عليهم قريش يوما وفي المسلمين سعد بن أبي وقاص وهم يصلون فعاثوا عليهم ما يضرعون حتى قاتلوهم ف ضرب سعد رجلا من المشركين بلحي (١) بعير فشججه ، فكان أول دم اريق في الاسلام . لكن قريشا لم يبعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ولم يردوا عليه لانه وإن دعا الى التوحيد فلم يذكر الهتهم ولم يعبا ، فلما فعل ذلك ونزل عليه من القرآن ما فيه دم لها وتسفيه لاحلامهم ، عظم ذلك عليهم وأجمعوا على خلافه وعداوته ، فحذب (٢) عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى صلى الله عليه وسلم على أمر ربه لا يرد عنه شيء

فلما رأى ذلك قريش مشى جماعة منهم الى ابي طالب وقالوا له يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فلما ان تكفه عنا وإما ان تخلي بيننا وبينه فردهم أبو طالب ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه ، ثم شري (٣) الامر بينه وبينهم وأكثر قريش من ذكره صلى الله عليه وسلم فذهبوا الى أبي طالب ثانيا فقالوا له : يا أبا طالب إنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم ءابائنا وتسفيه أحلامنا وعيب الهتنا حتى تكفه عنا أو تنازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم لكن لم يطب نفسا بخذلان النبي صلى الله عليه وسلم فخطبه في ذلك ، فقال له النبي : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، فقال له أبو طالب : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لأسلك أبدا ، فعرضوا على أبي طالب بعدئذ أن يأخذ عمالة بن الوليد ويسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فغضب لذلك غضبا عظيما وامتنع فعاداه لذلك قريش وأشد الامر بينه وبينهم . ووثب قريش على الذين أسلخوا يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، وكان أبو طالب يمنع النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بني هاشم وبني عبد المطلب الى معوته على ذلك فاجابوه الا باله ، وفي ذلك يقول ابو طالب في قصيدة طويلة منها :

لقد علموا أن ابنا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فاصبح فينا أحد في أرومة تقصر عنه سورة المتطاول
حدثت بنفسى دونه وحيته ودافعت عنه بالذرا والكلال
فأيده رب العباد بنصرة وأظهر ديننا حقه غير باطل

ومع ذلك فانه صلى الله عليه وسلم لم يسلم من أذى قريش فقد كانوا يغرون به سفهاءهم .

(١) اللحي : العظم الذي على الحد . (٢) حذب عليه : تعطف . (٣) شري الامر : كثر وزاد

حدث ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اجتمع يوما قريش في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل . سفه أحرمانا وشتم أباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا . فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم النبي صلى الله عليه وسلم واستلم الركن وطاف بالبيت فغمزوه (١) . بعض القول وتكرر ذلك ثلث مرات . جاء من الغد فوثبوا اليه وثبة رجل واحد واحاطوا به يقولون له أنت الذي تقول كذا وكذا . فقال لهم : نعم . فأخذ رجل منهم بمجمع رداءه فقام أبو بكر دونه يقول لهم : أقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه

وقال ابن هشام : أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه فرجع عليه السلام إلى منزله فدنثر من شدة ما أصابه فانزل الله : يا أيها المدثر قم فأنتذر . (وقيل ان سبب نزول الآية غير هذا)

ولما أسلم حمزة عرف قريش أنه عليه السلام عز وامتنع فكفوا عن بعض ما ينالون منه وقد أراد أبو جهل أن يقتله يوما وهو ساجد بحجر كبير فرأى ما رأى . رأى فحلا من الابل كاد أن يلتهمه فولى هاربا .

وكان أول من جهر بقراءة القرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود . فقد روي أنه وقف عند المقام فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن الخ فقاموا اليه يضربون وجهه فرجع للصحابة يقول لهم : ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن . ولما استمر المؤمنون على ثباتهم وثب قريش على ضعفائهم يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر فما زادهم ذلك الا تسلبا في دين الله

هذا بلال بن رباح كان مملوكا لامية بن خلف وكان صادق الاسلام طاهر القلب فكان أمة يخرجها إذا حيت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ويأمر بالصخرة العظيمة توضع على صدره ليرتد عن دينه وهو مع ذلك صابر يقول : أحد أحد . حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وهذا عمار بن ياسر وأبوه وأمه كان يخرجهم بنو مخزوم يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم عليه السلام فيقول لهم صبراء ال ياسر موعدكم الجنة .

ولما رأى عليه السلام ما يصيب أصحابه من الأذى الذي لم ينله منه الا القليل لمكانته من ربه الذي سخر أباطال لحمايته ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقدر على أن يمنهم قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه . فخرج عندئذ جماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراروا إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة

في الاسلام، وكان المهاجرون أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وفي رواية عشرة رجال وخمس نسوة تسلموا لواء، منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ونزلوا بأرض الحبشة وأقاموا من ملكها أصحمة في خير جوار ثلاثة أشهر استراحوا فيها من أذى قريش وتمكنوا من إقامة دينهم والتجهر بصلاتهم

وفي غيبة هؤلاء أسلم عمر بن الخطاب ودخل في الاسلام بالحمة التي كان يحاربه بها من قبل وأعلن إسلامه على رؤوس الملا وقاتل قريشا في سبيله وصلى في الكعبة مع المسلمين وبذلك خفف قريش من أذى المسلمين لمكان عمر بن الخطاب من القوة والصلابة والشجاعة، فلما علم بذلك المهاجرون حنوا الى وطنهم وهم أقلية في دار غربة - وفي القلة وحشة - فرجعوا كلهم أو جلمهم الى مكة، ولكن قريشا عادوا الى إيذاء المسلمين وإلى الامعان في عداوتهم أشد مما عرفوا من قبل، فعاد الى الحبشة منهم من عاد وبقي بمكة من بقي مستخفياً أو في جوار

وممن دخل في جوار : عثمان بن مضعون - دخل في جوار الوليد بن المغيرة لكنه رضي الله عنه لما رأى ما فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدر ويروح في أمان لجوار الوليد ابن المغيرة قال : والله إن غدوي ورواحي ، أمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والاذى في الله لنقص كبير في نفسي ، فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك ، قدر ددت إليك جوارك ، قال : لم يا ابن أخي لعله ، أذاك أحد من قومي ، قال : لا ، ولكنني أرضي بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره ، قال الوليد : فانطلق الى المسجد فاردد علي جوارني . علانية كما أجزت علانية ، فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علي جوارني قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكنني أحببت ألا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره ، ثم انصرف عثمان وليد بن ربيعة في مجلس من قريش يشدهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد :
ألا كل شي ما خلا الله باطل

فقال عثمان صدقت ، فقال : وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد : يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم متى حدث هذا فيكم ، فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفاه معه قد فارقوا دينبا فلا تجدن في نفسك من قوله . فرد عليه عثمان وعظم الامر بينهما فقام اليه الرجل فلطم عينه فأصابها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال له : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية لقد كنت في ذمة منية ، فقال عثمان : والله إن عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فعرض عليه الوليد الرجوع الى الجوار فأبى

ولما رأى قريش أن ما ينالون به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليس بحائل دون إقبال الناس على دين الله تفاوضوا في أمر جديد يصنعونه بهم واتفقوا بعد ذلك على التعاقد فيما بينهم على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامة أو يسلموا النبي صلى الله عليه وسلم، وكتبوا كتابا علقوه في الكعبة تسجيلاً التزاموا فيه أن لا ينكحهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعوا ولا يتاعوا منهم، طائنين أن هذه السياسة الجديدة سياسة التجويع ستكون أبلغ أثراً من الأذى، فانهاز بسبب ذلك بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى شعب أبي طالب مؤمنهم وكافرهم ما عدا أبا لهب، وعندئذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يهاجروا للحبشة فهاجر منهم عدد كثير يبلغ ثلاثة وثلاثين رجلاً وثمان عشرة امرأة منهم جعفر بن أبي طالب وزوجه وعبيد الله بن محجش وزوجه أم حبيبه التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عقب وفاة زوجها الذي مات في مهجرة بعث من يخطبها في الحبشة وزوجها النجاشي وبني بها صلى الله عليه وسلم بعد عودتها بالمدينة، ثم لحق بهم من أسلم من الأشعرين الذين جاءوا من اليمن تحت رئاسة أبي موسى الأشعري

فلما رأى قريش أن المسلمين قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً اتهموا بينهم أن يعيشوا رجلين منهم إلى النجاشي فيردهم عليهم ليقتلهم في دينهم ويخرجهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرا بن العاص وجعوا لهما هدايا للنجاشي وبطارقته وهم وزراؤه، فلما علم بذلك أبو طالب بعث للنجاشي بآيات يحضه على حسن الحوار والدفع عنهم يقول في آخرها :

تعلم أيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة ينال الاعادي نفعها والاقارب

فلما قدم الرسول أن أرض الحبشة سلباً إلى كل بطريق هديته قبل أن يكلم النجاشي وقال لكل بطريق إنه قد لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أئمت وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما نعم، ثم قابلا الملك وقدا إليه الهدايا وخطابة في شأن المسلمين وأن يردهم، فقال له بطارقته : صدقاً أيها الملك ، قومهم أعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما، فغضب النجاشي وقال : لاها الله ، قوم جاوروني في بلادي واختاروني على من سواي لا أسلمهم حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسن جوارهم ما جاوروني، ثم أرسل إلى المسلمين فلما جاءهم رسوله اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه .

قالوا : نقول والله : ما أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن ، فلما حضروا بين يديه وعندة أسأفته قال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل ، فكلهم جعفر بن أبي طالب وقال له : أيها الملك كتنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا عرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وءابائنا من دونه من الحجارة والاثوان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (١) فصدقناه وأمانا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، الى أن قال : فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك ، فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ، فقال له جعفر : نعم ، فقرأ عليه سورة مريم من أولها الى قوله تعالى : (فأشارت اليه بالواو كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، قال إني عبد الله ءاتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرأ بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحية وبكى أسأفته وقال النجاشي : إن هذا والله الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، إنطلقا فوالله لا أسألهم اليكما ، فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما أسأصل به حضراءهم ، فعدا عليه من الغد وقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم النجاشي ليسألهم فاجتمعوا وقرروا أن لا يقولوا الا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ، فقال جعفر بن أبي طالب : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول ، فضرب النجاشي يده الى الارض فأخذ منها عودا وخط به في الارض وقال وقد بلغت منه المسرة أكبر مبلغ : ليس بين دينكم ودينا أكثر من هذا الخط ، ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم شيوم (٢) بارضي من سبكم غم ثلاث مرات ، ما أحب أن لي دبرا (٣) من ذهب وأني ءاذيت رجلا منكم ، فرجع الرسولان خائبين وأقام المسلمون خير مقام حتى هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة فأخذوا يرجعون شيئا فشيئا حتى السنة السابعة من الهجرة عند ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمر ابن امية الضميري بكتاب الى النجاشي يقول فيه :

(١) انظر قوله والصيام والزكاة مع أنهما شرعتا بعد الهجرة (٢) شيوم : ءامنون بالحبشة ، (٣) دبر - بالفتح والكسر - جبل بالحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة سلام
أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن
عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحسنة فحملت بعيسى من روحه
ونفخه كما خلق آدم بيده. وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته وأن تبغني
وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله وإني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت
فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليه بكتاب آخر يطلب اليه رد من بقي من المسلمين
الذين أقاموا بالحبشة الى المدينة. فقبل النجاشي الرسول والكتابين بغاية الاحترام وأسلم هو وقال لعمر
إني أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن أعواني بالحبشة قليل فانظر حتى أكثر الاعوان وألين القلوب .
وجيز للمسلمين سفيتين حملتا هم وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ومعهم أم حبيب رملة بنت أبي سفيان
بعد أن مات زوجها. وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه صلاة الغائب عند موته. ولما
قدم بقية مهاجري الحبشة فرح بهم أخوانهم المؤمنون فرحا شديدا وقام النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر
وعاقه وقال له : لا أدري بأي شيء أنا أشد فرحا بليقياك أم بالنصر على خيبر . لان ذلك كان عقب فتح
خيبر .

ابراهيم النفير

بلاؤه وحلمه

صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوديت في الله وما
يؤذى أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه
إبط بلال .

وقال أنس رضي الله عنه : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ
الحاشية ، فادركه أعرابي فجبنه بردائه جنة شديدة ، فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه
وسلم وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبنه ، ثم قال الاعرابي : يا محمد مر لي من مال الله
الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعماء .

ولما رجع من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروا الى شجرة ، فخطفت رداءه ،
فوقف صلى الله عليه وسلم وقال : أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمتها بينكم ،
ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً .

ابتلاء الرسول

صلى الله عليه وسلم سنة الله في المرسلين

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك • وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
والله يعصمك من الناس

كان عبد المطلب بن هاشم القرشي العظيم ، والعربي الصنيم ، وجد الرسول الكريم ، طيب النفس كريم السجايا بسط اليد وهو مع ذلك سيد قريش وامامها في نسكها وزعيمها عند الخطوب تلك الزعامة التي نالها عن جدارة جده الاعلى قضي وورثها عنه اجداد عبد المطلب وانتهت الى عبد المطلب لم ينازعه منازع ولم يدانه قريب او بعيد وظل عبد المطلب مسموع الكلفة محبوبا في قومه معزز الجانب بما وجدوه فيه من كريم الصفات وبعد النظر والسعي الى الصالح العام الى ان هم بحفر زمزم المباركة تلك البئر التي اظهرها الله لام جده اسماعيل وطمسها جرحهم لما احست بالغلبة واضطرت لمفارقة مكة والحجاء عنها فعزم على حفر البئر التي ستسهل عليه القيام بوظيفته التي انتدب اليها وقد كانت له رفادة الحاج وسقايته بعد عمه المطلب فقام بها احسن قيام ولاقي في سقاية الحاج كل مشقة لفقدان الماء بمكة واستعان على الحفر بابنه الحارث الذي لم يكن له في ذلك الحين سواه ولما علمت قريش من شأن عبد المطلب ما علمت اقبل شيوخها وشبابها على البيت العتيق فالفوا عبد المطلب ومعه ابنه وبايديهما السيوف والدروع وقطع الذهب التي دفنتها جرحهم في زمزم عند مبارحتها لمكة فنارت نائرة قريش لمن سيكون هذا الكنز الذي ظهر في ارض المسجد والمسجد حرم عام لا يتفوق فيه أحد على أحد

هنالك أحس عبد المطلب بضعف في جانبه ، وأشفق من قلة الولد ودعا ربه أن يرزقه أبناء يشدون أزرة ويحمونه في الشدائد فعزم على التزوج ثانيا وتزوج من فاطمة ابنت عمر بن عائد المخزومي واستولدها ابا طالب وعبد الله والزيد وتزوج نائلة العمرية واستولدها العباس وضار وتزوج هالة بنت وهب واستولدها حمزة والمقوم وتزوج امة لبني الخزاعية استولدها ابا لهب وتزوج منعة واستولدها العبداء وبذلك تم له عشرة أبناء سوى النسوة الثلاثي ولدن له وهن ستة صبية وام حكيم وعاتكة وأميمة وأروى وبرة

اما حمزة فقد اسلم وحسن اسلامه وكان من المهاجرين الاكرمين واستشهد ببدر وحزن عليه رسول الله حزنا شديدا

واما العباس فكان له مع النبي ذلك الموقف المشهود يوم بيعة العقبة • وقد اختلفت الرواية في وقت اسلامه أكان ليلة العقبة ام بعد ذلك (ولم يسلم من أعمام الرسول سواهما وأسلمت من عماته صفية أم الزبير بن العوام)

واما أبو طالب فهو الذي كفّل النبي بعد موت عبد المطلب وقد كانت لابي طالب المواقف المشرفة في أعزاز جانب الرسول ومناسرته والخيولة دونه وقريش وحادث الصحيفة يدلنا على مبلغ عناية أبي طالب رأس الهاشميين بالنبي صلى الله عليه وسلم

وأبلغ ما يعبر عن ذلك قصيدته التي قال فيها

خليلي ما اذني لاول عاذل	بصفواء في حق ولا عند باطل (١)
ولما رايت القوم لاود عندهم	وقد قطعوا كل العري والوسائل (٢)
وقد صارحونا بالعداوة والاذى	وقد طاوخوا امر العدو المزاييل (٣)
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة	وابيض غضب من تراث المقاول (٤)
اعوذ برب الناس من كل طاعن	علينا بسوء او ملح بباطل

كذبتهم وبیت الله نبری « محمدا »	ولما نطاعن دونه وتناضل (٥)
ونسلمه حتى نضرع حوله	ونذهل عن ابائنا والحلائل (٦)

وما ترك قوم لا ابا لك سيدا	يحوط الذمار غير ذرب مواكل (٧)
وايض يستسقي الغمام بوجهه	ثمال اليتامي عصمة للارامل (٨)
يلوذ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في رحمة وفواضل (٩)
حليم رشيد عادل غير طائش	يوالي إليها ليس عنه بغافل
لقد علموا ان ابننا لا مكذب	لدينا ولا يعنى بقول الاباطل (١٠)
فأيدة رب العباد بنصرة	وأظهر ديننا حقه غير ناصل (١١)

(١) بصفواء اي بمصفغة اي لا امل اذني لاول عاذل في حق ولا باطل (٢) القوم كفار قريش واراد بالعري العهود مجازا والوسائل جمع وسيلة وهي ما يتقرب به (٣) صارحونا كاشفونا بالعداوة صريحا. والمزاييل اسم فاعل من زايله اي فارقه وباينه وذلك اذا صرح بالعداوة (٤) صبرت حبست والسمراء القناة. سمحة اي لينة وابيض غضب اي سيف قاطع والمقاول جمع مقول بكسر الميم وهو الرئيس اراد بهم اباؤه (٥) نبرى بالبناء للمفعول اي تغلب ونقهر عليه وهو جواب القسم على تقدير لا النافية على حد (تالله تقتل) ولما نافية والمطاعة المباشقة بالرمح والمناضلة التراشق بالسهم (٦) نسلمه اي نخذله عطف على نبرى فيكون شريكه في النفي ونضرع ونذهل بالبناء للمفعول والحلائل جمع حليمة وهي الزوجة. قال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب لما اصيب يوم بدر انا احق بما قال ابو طالب كذبتهم وبیت الله نبرى محمد البيتين (٧) ما استفهامية تعجبية والذمار ما يجب على المرء ان يحمله. ويحوطه يرعاه والذرب البذي الاسيان والمواكل اسم فاعل من واكلت فلانا مواكلة اذا اتكلت عليه واتكل عليك (٨) وايض عطف على سيدا الذي اراد به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الكريم والثمال العماد والعصمة ما يعتصم به ويتمسك والارامل جمع ارملة وهي التي لا زوج لها وقال ابن السكيت الارامل المساكين رجالا كانوا او نساء (٩) الهلاك الفقراء (١٠) يعني بالبناء للمفعول من غني بالشيء اهتم به اي لا يهتم بالاباطيل (١١) الناصل الزائل المضمحل ومنه فصل الشعر اي زال عنه الخصاب

فوالله لولا ان اجيء بسبة تجر على اشياخنا في القبائل (١)
لكنا ابتغناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل

لعمرى لقد كلفت وجدا (باحد) واخوته دأب المحب المواصل (٢)
فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها وزينا لمن ولاه ذب المشاكل (٣)
حدبت بنفسى دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل (٤)

واما أبو جهل فهو الرجل الذي انتصب لمقاومة الدعوة التي جاء بها الرسول الامين ومقارعة النبي لا بالحجة والدليل بل بالعنف والاذى قولا وفعلًا

وبقدر اخلاص ابي طالب للنبي ومناصرته له كانت مقاومة أبي جهل أو أشد فناصره العداء من يوم أعلن الرسول فيه الدعوة لدين الله يوم نادى في قريش بكلمة التوحيد جهرا وصدع بما امره الله به ونادى في الناس بشيرا ونذيرا

وظهرت بوادر خبئه في حادثة المقاطعة وإعلان الصحيفة وذلك سنة سبع من النبوة - ٦١٧ م . حيث كان ناسج بردها وناوى قومه وسل نفسه من عشيرته وارتضى ان يكون زعيم المنشقين الضالين . وابتدع لقريش المقاومة السلبية ظنا منه أن ذلك سيحجمهم على ترك النبي وشأنه . ويتجلى أبو طالب عنه وبذلك يتمكن مما هو عازم عليه من المكر والغدر

ولما فشل في هذه السياسة التي عادت عليه ومن لف لفه بالفشل والحية عمد الى التشهير بالكذب على الرسول ورميه بكل تقصية افتراء عليه ليوهن الدعوة ويضل العرب عامة وقريشا على الخصوص . وجعل عيونا يترصدون النبي صلى الله عليه وسلم في غدوة ورواحه وحيشا ارتحل وأبى نزل . فيتابعه في أسفاره ويسبقه الى المجتمعات لينشر ترهاته الضالة بين القبائل وفي المجتمعات حتى لا يجد الرسول اذنا صاغية لسماع ما سيتلوّه عليهم من الذكر الحكيم لما يعلمه أنهم اذا سمعوا القراء امنوا به فيقوم هو حائلا لا يترك من يجتمع بالرسول ويحذرهم تحذيرا .

واستمروا على طريقهم في المقاومة السلبية بهذا النوع من التضييل الى ان مات ابو طالب (٥)

(١) السبة العار وتجرح الجيم من جر عليهم خزيمة اي حتى جناية وفي القبائل اي بين القبائل
(٢) اراد باخوته اولاده جعفر وعقيل وعلي جعلهم إخوانه لانه كان متبينا له (٣) الذب الدفع (٤)
حدبت تعطفت والذرى جمع ذروة اعلی الشيء والكلاكل جمع كل كل بمعنى الصدر
(٥) توفي ابو طالب بعد النبوة بعشر سنين وقبل الهجرة بثلاث سنين وقد بلغ من العمر نحو ثمانين سنة . وبعد وفاته بثلاثة أيام توفيت خديجة زوج النبي رضي الله عنها ولها من العمر خمس وستون سنة . وقد عاشرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعا وعشرين سنة وستة اشهر وأيدته في الدعوة بكل ما لها من قوة ومال سيما عند المقاطعة فقد أنفقت هي وابو طالب المال الكثير . فكان لوفاتهما رنة أسمى وسمي ذلك العام بعام الحزن

فحسب أبو لهب كما سماه القرآن انه قادر على تنفيذ خطته الاولى فانبرم للنبي ولكن الله عصمه من الناس فاني لابي لهب وأبي جهل وأمنالهما أن ينالوا من رسوله وحبيه وصفيه ما يريدون فديروا المكائد وأجحدوا انفسهم في النيل منه والحاق الاذى به . وتحمل صلى الله عليه وسلم كل ما دبره له بعزم صادق وايمان لا ترعزعه الرواسي الشاححات . وهو في كل يوم يزداد قوة والاسلام يزداد انتشارا رغم أنف أبي جهل وحزبه . وأعيتهم الحيل فلم يجدوا سبيلا لاطفاء نوره والله متمم نوره ولو كره الكافرون

ولكن جرت سنة الله في رسله والمقرين من خواص عباده أن يتلهم ليزدادوا قوة وايمانا ويكونوا أعظم قوة لمن يروم السعادة لنفسه وللناس أجمعين

فهذا الامام مسلم يحدثنا في صحيحه من طريق عياض بن خمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس ذات يوم فقال في خطبته الا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا . كل مال نحلته عبدا حلال (١) واني خلقت عبادي حنفاء كلهم (٢) وانهم أتهم الشياطين فاحتالتهن عن دينهم (٣) وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا . وأن الله نظر الى أهل الارض فمقتهم (٤) الا بقايا من أهل الكتاب (٥) وقال إنما بعثتك لابتليك وأبتلي بك . وانزلت عليك كتابا (٦) لا يفسله الماء (٧) تقرؤه نائما ويقظان (٨) الى ان قال : استخرجهم (٩) كما استخرجوك وأغزهم نغزك (١٠) وأتفق فسنفق عليك . وبعث جيشا نبعت خمسة مثله (١١) وقاتل بمن اطاعك من عصاك قال : وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق . ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى ومسلم . وعفيف متعفف . قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر (١٢) له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا (١٣) والخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق الاخانة (١٤) ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخل أو الكذب والشنظير (١٦) الفاحش

(١) اي ما اعطيته عبدا فهو مال حلال له وهو رد على المشركين فيما احلوه لانفسهم وما حرموه من السائمة والوصيلة والبحيرة والحامى الى غير ذلك . (٢) اي مؤمنين واخذ عليهم العهد بذلك كما يشير اليه قوله تعالى : قال الست بربكم قالوا بلى . اي نعم انت ربنا . (٣) أي استخفوه عن دينهم وازالوهم عما كانوا عليه وساقوهم معهم الى الباطل . (٤) أي بغضهم بسبب ما غيروا . (٥) أي أهل الاديان السماوية الذين بقوا متمسكين بدينهم الحق من غير تبديل الى بعثة النبي . (٦) أي القرآن . (٧) كناية عن حفظ الله له لا يتطرقة التبديل ولا التغيير على ممر الزمان . (٨) أي في سائر الحالات (٩) أي قريش . (١٠) أي نعينك (١١) أي من السلائكة مسومين . وذلك الامر بعد فرض الجهاد وغزوة بدر الذي نصره الله فيها . (١٢) أي لا عقل له يزبره ويمنعه من الكفر والمحارم (١٣) اي ضعفاء العقول فلا يسمعون في تحصيل نفع يرجع الى الدين او الدنيا لا يبالون بما يكونون عليه من كفر أو غيره او حرام أو حلال فهم مع الناس وهم في الواقع كالانعام بل هم أضل سبيلا . (١٤) لا يخفي اي لا يظهر . وهو من الاضداد يستعمل في الستر والظهور (١٥) الفاحش السيء الخلق

فهذا الحديث القدسي بما تضمنه من التعاليم السامية قد تضمن أيضاً أن من متممات البعثة الابتلاء. وكذلك شأن الأنبياء والمرسلين من قبل

فهذا نوح قد ابتلاه ربه فكان من الصابرين. ونجاة الله وأهله من الكرب العظيم. وهذا إبراهيم عليه السلام ابتلاه ربه بنار نمرود بن كنعان التي سلبه الله منها وكانت برداً وسلاماً على إبراهيم

وهذا أيوب (إذ نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم الرحمن ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)

وهذا لوط وصالح وثمود وموسى ويوسف وعيسى كل وقع له الابتلاء فما زادهم الا إيماناً وتثبيتاً لما قاموا به من الدعوة لدين الله وبذلك نالوا المقام الاسمى ووصفهم الله في محكم التنزيل بأنهم أولو العزم

وعلى غرارهم كان الرسول الامين فيما لا قاة من قومه المشركين وفي مقدمتهم أبو جهل فما زالوا يترصدون به صلى الله عليه وسلم الفرص للإيقاع به

فهذا أبو جهل فرعون هذه الامة (١) وأصحابه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة ابن ابي معيط وعمارة بن الوليد يتآمرون في بيت الندوة ثم يخرج أبو جهل في رفقة أصحابه ويحضر عند المسجد الحرام يترصدون مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فأبصروه مسرعاً الى البيت العتيق فتغامزوا يشير بعضهم الى بعض حتى اذا حضر صلى الله عليه وسلم وأخذ مكانه من الركن وشرع في صلاته أسر بعضهم الى بعض أيكم يحيى بسلى جزور بني فلان الذي نحروه أمس فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ، فانبعث عقبة بن ابي معيط مسرعاً فجاء به ، وترص حتى اذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره المقدس بين كتفيه الشرفتين ، وجعلوا يضحكون ويستهزئون تشفياً بما أغاضهم ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجداً لا يرفع رأسه حتى أقبلت فاطمة البتول فطرحته عن ظهره صلى الله عليه وسلم ما وضعه ذلك الشقي (٢)

وليس ذلك كل ما لاقى صلى الله عليه وسلم بل نقلت الينا كتب السنة الشيء الكثير وأعظم إذابة في نظر الصحابة لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ذلك الموقف الذي وقفه عقبة بن ابي معيط من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وحضرة أبو بكر فألفاه ممسكاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وضع الخيف ثوبه في عنقه الشريف وقد خنقه به خنقاً شديداً فأخذ أبو بكر بمنكب عقبة ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله . اعتباراً بما عزم عليه عقبة من الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم والغدر به وهو في الصلاة (٣)

ولما أعيتهم الحيل وأدركوا ما بلغ اليه أمر الاسلام من المنعة بعد بيعة العقبة عقدوا ذلك الاجتماع الرهيب في دار الندوة الذي أسفر عن مؤامرة تشترك فيها بطون قريش كلها وبشفذ الحطة شبابها العتيد كما يزعمون وتقوم الدية مقام القتال لو طالهم آل هاشم واثارت نائرتهم إن قتلوا رسول الله ولكن الله خيب ظنونهم فذهبت ادراج الرياح وأوحى الى نبيه ما يبتوه له من المكسر وذلك قوله تعالى : وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . وعصمه الله وذلك قوله تعالى : والله يعصمك من الناس . وأذن له في الهجرة ونصره عليهم وذلك قوله تعالى الاتنصروا فقد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا .

محمد الشاذلي ابن القاضي

(١) ذلك الاسم أطلقه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه صريعاً في قلب بدر (٢) حديث رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن . (٣) الحديث رواه البخاري وغيره

وصف هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة

من قلم الامام محمد بن اسماعيل البخاري

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : لَمْ أَقْعُدْ أَبُوتِي قط إِلَّا وَهَمَّا يَدِينَانِ الدِّينَ (أي الاسلام) وَلَمْ يَرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَاتِنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْكُحَيْفَةِ حَتَّى بَلَغَ بَرَكَ (١) الْعِمَادَ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ (٢) . فَقَالَ : أَيُّنَ تَرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأَرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي . فَقَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ : فَإِنْ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٣) وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ (٤) وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَأَنَالَكَ جَارٌ (٥) ارْجِعْ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَدِكَ . فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ . فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافٍ فَرِيَشٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنْ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ . فَأَخْرَجُونَهُ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَلَمْ تُكْذَبْ فَرِيَشٌ بِجَوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ . وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ . مَرَّ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيَصِلْ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِنَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ فَإِنَّا نَحْشَى أَنْ يَقْتُلَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا . فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ (٦) دَارِهِ وَكَانَ يَصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقُذُوفُ (٧) عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاءُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءَ لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ - فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ فَرِيَشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا إِذَا كُنَّا أَجْرًا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ فَاعْلُنْ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَقْتُلَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَانْهَرْ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلْ وَإِنْ أَرَى أَنْ يَعْلَنَ بِذَلِكَ فَسَلِّمْ أَنْ يَرَدَّ إِلَيْكَ دِمَّتُكَ . فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا

(١) هو موضع بارض اليمن ، والعماد موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن (٢) قبيلة من بني الهون (٣) وفي رواية المعدم (٤) هو ما يشغل حمله من القيام بشؤون العيال ونحوه (٥) اي محير امع من يؤذيك . (٦) السعة حول الدار (٧) يتساقطون عليه

أَنْ نُخْفِرَكَ (١) وَلَسْنَا مُقَرَّبِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْاسْتِعْلَانِ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَتَى ابْنُ الدُّغْنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ النَّبِيَّ عَقَدْتَ لَكَ عَلَيْهِ. فَإِمَّا أَنْ تَقْصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتَ لَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أُرِدُّ إِلَيْكَ جَوَارِكَ وَأَرْضِي بِجَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَمِّدُ بِمَكَّةَ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ إِنِّي أَرَيْتُ ذَارَ هَجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَنَيْنِ وَهَذَا الْحَرَّتَانِ. فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَائِشَةُ مِنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْخَبْشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَنَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ (٢) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكَ (٣) فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بَابِي أَنْتَ (٤) قَالَ نَعَمْ فَحَسَّ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ - كَانَتَا عِنْدَهُ - وَرَقَ السَّهْمُ (٦) أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ ابْنُ شَهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ (٧) قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَرِّعًا (٨) - فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاهُ لِبُعَاثِي وَأَتَمِّي وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ أَخْرِجْ مِنْ عِنْدِكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ يَا بِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: نَعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ يَا بِي أَنْتَ نَارَ رَسُولِ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيْ هَاتَيْنِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِالْثَمَنِ. قَالَتْ: عَائِشَةُ فَجَهَّزْنَاهُمَا احْتِ (٩) الْجَهَّازَ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سَفَرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بَنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا (١٠) فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ - فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النِّطَاقِ (١١) قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ حَقَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارًا فِي جَبَلٍ ثَوْرٍ فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌ بَقِيعٌ (١٢) لِقَسٍّ (١٣) فَبِذَلِكَ (١٤) مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِبَتْ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يَكْتَنُزَانِ بِهِ (١٥) إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرٍ ذَلِكَ حِينَ يَحْتَلِطُ الظَّلَامُ وَيَرْغَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ قُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْهُ (١٦) مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ

(١) أي تنقض عهده (٢) أي قاصدا الرحيل اليها (٣) أي مهلك (٤) أي أفديك يا ببي (٥) أي منعها من الهجرة (٦) شجر الطلح (٧) أي في أول وقت حرارة الشمس (٨) أي مغطيا رأسه (٩) من الحث وهو الاسراع (١٠) هو ازار فيه تسكة تلبسه النساء (١١) وفي رواية ذات النطاقين لأنها بعد ان قطعت من نطاقها شقت المقطوع الى قطعتين (١٢) معتدل القامة (١٣) سريع الفهم (١٤) أدلج سار في أول الليل وادلج بتشديد الدال سار من آخره (١٥) أي يطلب المكر بهما (١٦) أي قطعة

فَيَسِينَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنٌ مِنْحُمَا وَرَضِيْفُهُمَا (١) حَتَّى يَنْعَقَ (٢) بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَغْلَسُ بِفَعْلٍ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ . وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَبْدِ هَادِيَا حَرَبِيًّا - وَاخْتَرِبَتْ الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ - قَدْ غَسَّ حُلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمْنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبْحَ ثَلَاثٍ . وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّبِيلُ فَاخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّاحِلِ * قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمَذَلِجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْثِمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْثِمٍ يَقُولُ جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ دَبَّةً كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ فَتْلَةٍ أَوْ أَسْرَةٍ فَبَيَّتَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُذَلِّجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ : يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَرْفَا أَسْوَدَ (٣) بِالسَّاحِلِ أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ . قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا يَتَنَعَوْنَ صَالَةً لَهُمْ ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَّتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْبَدَ (٤) فَتَحْبِسُهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُفْجِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ (٥) بِرُجْمِهِ (٦) الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَوَقَعْتُهَا تَقَرُّبَ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا (٧) فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضْرَهُمْ أَمْ لَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهَ فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَصَصِيتُ الْأَزْلَامَ تَقَرُّبَ بِي (٨) حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يَكْثُرُ الْأَلْفَاتِ سَاخَتْ (٩) يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغْنَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَهَضَبْتُ فَلَمْ تَكُدْ تَخْرُجْ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لَأَثَرٌ يَدَيْهَا عَنَانٌ (١٠) سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهَ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنْ اكْتِسَابِهِمْ أَنَّهُمْ سَيُظْهِرُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ لَهُ إِنْ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّبَّةَ وَأَخْبَرْتَهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الرَّدَّ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرِزْ آتِي (١١) وَلَمْ يَسْأَلْنِي إِلَّا أَنْ قَالَ أَخْبِرْنَا فَمَا لَنُكْتُبُ لِي كِتَابًا أَمِنْ فَأَمَرَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ فَكُتِبَ فِي رُفْعَةٍ مِنْ

(١) هو اللبن الذي جعل فيه الحجارة المحمأة لتزول وخامته . وقيل هي الناقة الحلوبة (٢) أي يصبح بها (٣) أي اشخاصا (٤) هي الرابية المرتفعة عن الأرض (٥) أي سكنت (٦) هي المدينة التي في أسفل الرمح (٧) أي سقطت عنها (٨) من التقريب وهو السير دون العدو وقوف العادة (٩) أي غاصت (١٠) هو الدخان من غير نار (١١) أي لم يأخذوا مني .

أديهم (١) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن شهاب : فآخر في غزوة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا فإلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض . وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يعدون كل غداة إلى الحرة فينظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أودوا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطعم (٢) من أطامها لا يرى ينظر إليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبشرين يزول بهم السراب فلم يعلم اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فنار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف . وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول . فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيسى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى . وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ (أي يوم الرواية) رجال من المسلمين . وكان (أي عند مقدم النبي) مربدا للتفرس لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فسأوهما بالمربد ليتخذاه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى اتباعا منهما ثم بناء مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن :

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرٌ * هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطَهَرُ

ويقول : اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ * فَأَرْحِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

فتمثل صلى الله عليه وسلم بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي : قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بسبع شعر بام غير هذا البيت

(محمد بن اسماعيل البخاري)

هلال له يمن وفيه مآرب

نشبت هنا القصيدة الفريدة التي تضمنت وصف الهجرة
النبوية من نظم العالم الاديب الشيخ محمد الناصر
الصدام المدرس من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

بدا مشرقا تنجاب عنه الغياهب	هلال له يمن وفيه مآرب
الا يا هلالا لاح بالافق طالعا	ألم يأن للاسلام منك المطالب
وفي هجرة المختار للكون عبرة	يجدد ذكراها الزمان المناسب
نبيء أئى والكدوف في غمراته	وللشرك طغيان وللظلم جانب
وفي العرب العرباء للشعر سطوة	وفي نبأ الكهان بالغيب راغب
ومن سيء الاخلاق والغي والعدا	غياهب جهل ضاعفتها غياهب
عتو وأعراض ووأد وجراءة	وادمان غارات لهم فتحارب
فصبجهم من محكم الذكر منزل	وأعجزهم عن سورة منه حاجب
كتاب به وعظ وعلم وحكمة	له في تفاصيل الغيوب العجائب
يجيء به الروح الامين منجما	لتثبت قلب هياتة المواهب
ولما رأوا من أمره كل خارق	وضاقت عليهم في الجدال المذاهب
وبان لهم ما فيه تسفيه حلهم	وأن رسول الله لا شك غالب
وأن الذي وافى به الصدق والهدى	وما هو بالساهي وما هو كاذب
أصروا عنادا جاحدين حقائقا	يؤيدها إحساسهم والتجارب
وقاموا ببايذاء النبيء وصحبه	فما منهم الا عن الرشد ناكب
رموه رموا بالذل في عقر دارهم	. وتبت يدا من لم تنعه المكاسب (١)
وجاءوا من التعذيب والهجر والبذى	أفانين يابها الحجي والتقارب (٢)

(١) فيه تخصيص لابي لهب بعد دخوله في العموم السابق مع الاشارة الى ما نزل في حقه من كتاب الله تعالى - (٢) المراد منه القراءة وكفى بها حرمة لكف الاذى ومن الاذاية التي تأبها القرابة ايضا ما كانوا عليه من الركون الى اللغو عند ما كان يأتيهم صلى الله عليه وسلم تاليا لما انزل عليه وذلك قوله سبحانه (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون) ولما للقرابة من الآداب المرعية والحرمان لقنه الله تعالى التذكير بها في قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى)

فما انتج التعذيب الا تجلدا	وتثبت ايمان به الشرك خائب (٣)
ولكن أبي الهادي اهانة قومه	وأن يستديم الشر من هو جالب
فرخص للاصحاب في هجرة بها	أزيل العنا والبؤس واعتز جانب
ودام على المعتاد لله داعيا	بفارغ صبر لم ترعه النوائب
وكيف يراع القلب بعد سكونه	لانس قد ارتاحت اليه القوالب
قل الله ثم اترك على الخوض خائضا	وذرا لعبا يليه ما هو لاعب (٤)
ثبات وتأيمد وفرط تيقن	بأن اله العرش للنصر واهب
الى أن أتاه الاذن في خير هجرة	بها شعشع الاسلام والكفر ذاهب
فهب الى الصديق عن غير موعود	لاعداد ما تجتاز معه السباب
وكانت قريش قد أحست بأنه	عسى أن به يوما تخف النجائب
وتلك التي تبدي سفاهة رأيهم	وتنقض منها في قريش المصائب
ومن بعد شوري (خب الله فالها)	وأخذ ورد ترتييه الاكالب
رأوا أيسر الامرين قتل محمد	يقوم به من كل شعب الاعارب
لكي يحفظوا من عزهم بمماته	ولا يدركن الشار من هو طالب
فسار بجوف الليل تلقاء يشرب	وهم حوله والله واق وحاجب
ورافقه الصديق يتندر الاذى	الى غار ثور وهو حيران ناصب
فناداه لا تحزن (ه) لنا الله ثالث	الا ان حزب الله بالله غالب
وسرعان ما باض الحمام وبادرت	لنسج بديع الصنع ثم العناكب
هناك بقاء القوم بالحزي والاسى	وشاغت وجوه قد عراها التقاطب
فخفلقوا لادراك الرسول تطلبا	وشدت لهم في ذا المهم الركائب
ولما أتوا للغار وهو مظنة	سما لهم يأس وضاعت مذاهب
فقالوا علام تقتحمه ونسجه	كثيف السدى ما مبه الدهر ناقب

هذا هو المعنى المراد والله أعلم لا كما عليه أغلب التفاسير من ان الآية آمرة باكرام آل بيته صلى الله عليه وسلم حسبما بسطنا ذلك مدلا في كتابتنا على هاته الآية

(٣) نسج هذا البيت على منوال قوله تعالى (فما زادهم الا ايمانا وتثبيتا) الآية

(٤) فيه تضمين الحديث الوارد في كتب السير ونصه على ما في المواهب اللدنية حيث قال وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لراآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفي التنزيل (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)

وعادوا الى أم القرى عود خيبة
 فقالوا لمن يأتي به خير مغنم
 وبعد ثلاث من ليال قد انقضت
 أتبيح له الافراج والامن ناحيا
 فمرا على تلك الخزاعية (١) التي
 فقال لها هات أحلبنها لعلني
 فدرت لهم لبنا كفي كل حاضر
 ولما أتى زوج (٢) الخزاعية انبرى
 فقالت له ذا در عجفأك مسها
 فقال لها هذا الذي ألحق الادي
 ولو أنني أبصرته لاتبعته
 وقد كان أن المدلجي سراقه
 فأسرع يعدو خلف أكرم مرسل
 ولما أتى الركب السعيد وشاقه
 عرا مهرة داء العثار فراعاه
 الى أن هوت منه اليدان وساختا
 هنالك وافلا من الرأي رشده
 وبان له نور الرسول وصدقه
 فناداهم بالامن والنصح مخلصا
 وعاد الى أم القرى رادعا لمن
 ومن بعد ذا اجتاز الرسول وصحبه
 فقال له امنحنا من الدر شربة
 فقال يمين الله ما في التي ترى
 ولكن هنا عندي (٤) عناق قد انقضى

كما خسيء الشيطان يرميه ثاقب
 له من كرام النوق حر نجائب
 على مكثه بالغار وهو يراقب
 وسار يمين الله يقفوه صاحب
 خوى ضرع عجفها فما هي حالب
 أصيب بإذن الله ما أنا صائب
 وعادوها در من الضرع شاخب
 يسألها عما رأى وهو عاجب
 فتى يده فيها من اليمن جالب
 قريش به والله ما هو كاذب
 وما أنا عن رشد بدا بعد ناكب
 أنا من الانباء ما هو راغب
 وللخيل انجاد لمن هو راكب
 منال وأغراه بذاك التقارب
 وأنفضه زجرا وسار يواظب
 بصلب أديم طينه السدر لازب
 وفي كل ذي لب من الإرشد ثائب
 وأنه سيف الله والله ضارب
 وقال لهم إني الى الله تائب
 يرى انه لا شك بالظفر آيب
 بعبد رعت اغنامه وهو لاذب (٣)
 فقد أعوزتنا في الطريق المشارب
 حلوب بها در فما أنا حالب
 على حملها عام وها هي ناضب

(١) اسمها عاتكة وكنيتها أم معبد بنت خالد الخزاعية اه مواهب

(٢) لم يذكر اسمه في المواهب واقتصر على كنيته إبي معبد

(٣) اسم فاعل من لذت بالمكان اذا اقام به اه قاموس

(٤) العناق كسحاب الاتى من اولاد العنز اه قاموس

فقال اطلبنها ثم باشر حلبها
فأسلم ذا الراعي وقال يثقنا
ولما دنى من نحو طيبة ركبته (١)
وكان بها بعض اليهود قد اعتلى
ترأى له نور الرسول وصحبه
فنادى بأعلى الصوت اوسا وخزرجا
فخفوا للملقى خير من وطىء الشرا
وحل قباء في بني عوف الاولى
ودام بهم (٢) بضعا وعشرين ليلة
وأسس عن تقوى بها مسجدا (٣) له
وبارحم سعييا لطيبة مرخيا
فقام له الانصار حنو ديارهم
هلم رسول الله تأولمنعة
فقال لهم لا تمسكوها فانها
فمرت توالي بالطريق التفاتها
الى أن أتت دار النجار ففركت
فألقت اذا منها الجبران (٤) وأرزمت (٥)
فنازلها في ذي المنازل قائلا
وضاءت به أرجاء طيبة وازدهت
وأشرف ربات الحدور بمدحة
الا مرجبا ذا البدر أقبل مشرقا
وتقرن بالدف العزوف ترنما
فياله من يوم أغر محجل
ففي كل قلب حل أعماقه الهدى

ثلاثا فدرت وارتمى منه شارب
سوى الواخدالديان لاشيء واجب
وبانت لهم أطامها والمسارب
لينظر في أمر له ويراقب
وزال سراپ دونه الركب حاجب
الا سعدتم وافى تقلد النجائب
سراعا وكل تابع ومصاحب
حظوا بمرام انتجته الرغائب
بأرغد عيش واستطيت مشارب
مزينة سبق فاقتفت المحارب
زمام قلو (٤) وهو جذلان راكب
وكلهم داع وفي الخير راغب
وزكن قوي لا يبروم المحارب
لقد أمرت والامر هاد وجاذب
لمبركها الميمون وهي تواب
وقد جذبتها بالعراس الجواذب
ليفهم مغزى فعلها من يراقب
الاها هنا النزل السعيد المناسب
وقد عمها بشر وعزز جانب
يردها عند القدوم الكواعب
تحف به من كل أوب الكواكب
ويكل بفرط البشر جذلان لاعب
الى مثله تصبو العلا والمواكب
لأنه شوق جمرها الدهر لاهب

(١) جمع اطم وهو الحصن

(٢) هو اثنتان وعشرون ليلة اه مواهب

(٣) هذا المسجد هو مسجد قباء وهو اول مسجد بني في الاسلام وهو المراد في قوله تعالى
(المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب
المطهرين) وقباء هذه بينها وبين المسجد النبوي بالمدينة فرسخ

(٤) القلو من الابل الشابة او الباقية على السير او اول ما يركب من اناثها الى ان تنفي ثم
هي ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالاناث اه قاموس

(٥) الجبران بكسر الجيم وفتح الراء باطن العنق اه مواهب

(٦) أرزمت الناقة اذا صوتت من غير ان تفتح فاهها اه مواهب

الهجرة النبوية

مبدأ التاريخ الاسلامي

بقلم صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سيدي محمد
الحجوي وزير المعارف بالحكومة المغربية

ان الهجرة اذا وردت على لسان المحدثين وعلماء السير تطلق على هجرتين هجرة المسلمين من مكة الى أرض الحبشة وهجرتهم من مكة الى المدينة المنورة والاولى كانت قبل الثانية بنحو سبع أو ثمان سنين اذا كانت في السنة الخامسة من بعثته عليه السلام وعند الاطلاق في العرف العامي تنصرف الى الثانية والى ينسب تاريخ المسلمين العربي القمري في أقصى الشرق والغرب فمبدأ تاريخنا من اليوم الذي هجر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه ابو بكر الصديق مكة الى المدينة ، وهو اليوم ١٦ من شهر يولييه من سنة ٦٢٢ ميلادية اذا قلنا ان الهجرة كانت يوم الجمعة في المحرم ويرجحه جعل عمر والصحابة المجمعين حوله المحرم اول شهور السنة الهجرية ولا مانع يمنع من جعله ربيع الاول النبوي لو كانت الهجرة فيه كما قيل له وهذا الاخير قول ابن اسحاق وغيره . فاذا قلنا بقول ابن عباس انها كانت يوم الاثنين يكون موافقا لليوم التاسع عشر من يولية

ان لاكثر الامم القديمة في المعمور تواريخ تؤرخ بها حفظا للنظام والحقوق ومعرفة اوقات الوقائع التي لا تتم معرفتها الا ببيان اوقاتها ، فللصين تاريخ وللاليهود تاريخ ولللامم المسيحية تاريخ وللإسلام تاريخ .

عوامل عزم لا تقل القواض	وفي كل نفس من طموح ونجدة
فرب سبات هب منه المثالب (١)	رويدك لا تياس لطول سباتهم
جاما فحطت غن علاه الثواقب	ورب منام كان للعقل منتجا
به المرء مذكورا وها هو صاحب	أما قد (٢) أتى حين من الدهر لم يكن
رسوب وبعد الطين تصفو المشارب	ومن سنن الاجيال قبل نهوضها
تزلزل بها أوصايكم والغياهب	فهبوا بني الاسلام للمجد هبة
اذا ما اشتكى عضو تداعى المصاحب	وكونوا كما (٣) قال الرسول ليكل
لقد أفعمتها من علاه المناقب	وعواما انطوى في ضمن أروع هجرة
فيروي حديث الحمد عنها العواقب	ففي سوقها الذكرى وفي العمل المنى

(١) المثالب بضم الميم اسم فاعل بمعنى المقاتل قاله في لسان العرب (٢) فيه تضمين لقوله تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٣) تضمين لحديث الصحيح المؤمن للمؤمن كالبيان المرصود يشد بعضه بعضا الحديث

وكل منها يجعل أهم حوادثه مبدأ لتاريخه فالمسيحيون من ولادة المسيح والمسلمون من يوم الهجرة النبوية .

كان العرب في جاهليتهم يؤرخون بأهم الوقائع من حروب وغيرها فاهل المدينة كانوا يؤرخون بعام حرب بعاث واهل مكة يؤرخون بعام الفيل الذي هجم فيه أبرهة قائد الحبشة على مكة ونجاها الله منه . فقلة الحضارة والمدينة التي أدهم الى الامية وجعل التاريخ لم يكن لهم تاريخ مدون يحفظون به مجدهم وتجتمع عليه كلمتهم فاذا جاءت واقعة ثانية نسوا الاولى وصاروا يؤرخون بهذه وهكذا دواليك كلما تجددت قضية أنست ما قبلها وكل امة لم يكن لها مجد مدون ولا تاريخ ترجع اليه فهي في عداد الهمل والمهمل .

فلما جاء الاسلام وحضارته والدين القويم ومدنيته ففكر سيدنا عمر بن الخطاب فيما يضبط به التاريخ ويكون مرجعا لتوقيت الاوامر والنواهي والكتب والمناشير حين ورد عليه كتاب بعض عماله مؤرخا بشعبان فقال أي شعبان هذا هل الذي في عامنا او الذي قبله سنة او سنتين . ففكر في هذا الامر الهام مثل تفكيره في احداث نظام لعدلية الدولة ونظام ماليها واصدر بذلك مناشيرة التي لم تنزل نحوها محفوظة الى الآن فجمع الصحابة وشاورهم كالعادة عنده في مهام الامور فاتفق الرأي على ان يكون تاريخنا الذي نؤرخ به الى الآن مبتدأ من عام الهجرة النبوية التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وهي الهجرة الثانية (١) .

لاي شيء اختاروا الهجرة دون الولادة النبوية او الوفاة او غزوة بدر التي اعتز بها الاسلام او فتح مكة مثلا ؟

الجواب — لم يختاروا الولادة النبوية لامور فيما أظن :

١ - ان يتعدوا عن تقليد النصارى والتشبه بهم . وان يتكبروا لانفسهم ما هو كالعنوان على استقلال الفكر وبعد النظر

٢ - ان يعملوا بمقتضى الاشارة النبوية في الحديث الشريف الصحيح لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فكان عمر ومن معه يتعد عن كل ما يؤدي لذلك او يشعر به خوف ان تقع الامة فيما وقع فيه المسيحيون من تأليه المسيح

٣ - ان الولادة النبوية مؤرخة بعام الفيل وفيه اختلاف . ولم تكن الوقائع مضبوطة قبل الاسلام لمكان الجاهلية . وكان عمر يتجنب الجدال وما فيه اختلاف ويحب بناء المهمات على اليقين دون الخيال اما الوفاة النبوية فقد كان وقتها محققا مضبوطا ولكنهم تجنبوها لامور فيما اظن ايضا

١ - لعلمهم رأوا انها رزة عظيم على الاسلام فتكون رمزا للاسى والحزن فتجنبوا ان يجعلوها تاريخهم منها تناسيا للذكريات الفاجعة

(١) كان الشيخ اعتبر الهجرة الاولى والثانية الى الحبشة هجرة واحدة لاتحاد المهجر وانما تكررت

٢ - لم يستحسنوا فصل تاريخهم عن حياة النبي كلها بل احبوا ان يكون صدر تاريخ الاسلام حياة زاهرة لنبىه الكريم عليه السلام وتكون هي تاجا وهاجا فوق رأسه

٣ - عملوا فيها ايضا بحديث لا تطروني

واما واقعة بدر وفتح مكة فانهما مع أهميتهما لا تكونان كأهمية الهجرة كما نبينه بل هما امران جزئيان بالنسبة للهجرة النبوية وما ظهرت مزيتهما الا بالهجرة وايضا فيهما ذكريات يتألم بهما من اصابوا فيهما واسلموا هم أو أولادهم

نعم اختاروا الهجرة مع ما فيها من الذكريات الفاجعة لامور سبعة فيما ظهر لي

١ - قصدوا تثبيت هذه الذكرى الفاجعة في اذهان الامم الاسلامية ليعلموا ما قاساه النبي صلى الله عليه وسلم والسابقون الاولون من اصحابه من شدائد واضطهادات وإهانات تدك لها الجبال الشم ويجف لها اليم ، وهم ثابتون على مبدئهم القويم ودينهم المستقيم

فاننا في مشارق الارض ومغاربها مهما أرخنا بالتاريخ الهجري الا وتذكرنا الهجرة واهوالها وما نتج لنا عن صبرهم على لاوائها من خير وعز وشرف ونعيم فنبت كنباتهم ونصبر كصبرهم ونعمل كعملهم ثباتا وتحملا

٢ - الهجرة كانت اول فتح في الاسلام باعتبار عاقبتها المحمودة . فان الاسلام لما كان بمكة كان في حضن الباطل وحجرة اذ كان سجيناً مضغوطاً مغلوباً تحت رحمة الشرك في مكة وناهيك بلاء من يكون تحت رحمة عدو جاهل جائر فالسلمون كانوا لا يقدرّون على الجهر بافكارهم ولا بتوحيد خالقهم وتلقينه لأولادهم ولا يقدرّون على قراءة القرآن ذي المبادئ والاخلاق العالية . فان ابا بكر الصديق هاجر هجرته الاولى من مكة الى الحبشة فلقى في طريقه ابن الدغنة فردّه الى مكة في جواره وقال له مثلك لا يخرج من وطنه فشرط عليه كفار مكة ان لا يعلن الدعوة ولا يجهر بالقرآن لئلا يسمعه النساء والصبيان وان لا يدعو احدا للدخول في الدين فقبل الشرط لكنه لم يصبر على الاستبعاد فبنى مسجدا بباب داره واصبح يصلي ويقرأ القرآن جهرا فأرسل اهل مكة لابن الدغنة وتشكوا اليه بان نساءهم وصبيانهم يفتتنون بسماع القرآن فجاء وطلب منه الكف عن ذلك والا فسّخ عقد الحماية فاختار ابو بكر فسّخ عقد الحماية عن شمم وشرف معتمدا على حماية الله متوكلا عليه صابرا محتسبا فعادوا وشدوا الخناق عليه وبالغوا في اذيته واهاته

ولقد قاطع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصلوه في شعب ابي طالب من شعاب مكة هو وقرابته المسلم منهم والكافر من بني هاشم وبني المطلب الذين ابوا من إسلامه اليهم ليقتلوه ويحبسوه الا ابالهب عمه ومكروا بهم المكر المبرم وقطعوا عنهم مواد الحياة ان وصل اليهم وكتبوا البراءة والمقاطعة معهم في صحيفة وعلقوها بالكعبة معلنين فيها قطع المعاملة معهم ببيع او ابتيع او إنكاح حتى

جعل الله لهم فرجا وخرجوا من الحصار في حالة ضنك وشدة وكان ذلك سنة سبع أو ثمان من المبعث وبقوا في الحصار سنتين أو ثلاثا وفي سنة خمس أو ست قبلها قد اختفى النبي صلعم بدار الارقم ابن ابي الارقم بالصفاء المقابلة للهروبة بمكة مدة شهر هو وجميع من كان مسلما معه وكانوا تسعة وثلاثين يعلمهم القرآن والدين فكان الاسلام محصورا في هذه النقطة الضيقة لا يملك من سعة الكرة الارضية غير هذه الدار حتى اسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب عند ذلك تقلدا سيفيهما وخرجا به الى الكعبة قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله وظهر بعد الاستخفاء وذلك في السنة السابعة قبل الهجرة وهي السادسة من النبوة ومن هذه النقطة الدقيقة التي كان الاسلام محصورا فيها انتشر النور على الكرة الارضية ثم ان هذا الظهور لم يتم معه الامر وانما كان تخفيفا في الجملة . فلم يزل المكر الشرطي يحيط بالمسلمين بل الضغط والاهانة والتعذيب فقد اخذوا بلالا وربطوه على حجارة مكة في ظهيرتها التي لا تقل عن الجحيم وعذبوه ليرجع للكفر فلم يرجع حتى فداه ابوبكر بالمال فاشتراه منهم . واعتقه واخذوا عمار بن ياسر ووالده وامه العجوز الهرمة وعذبوهم باكثر من ذلك وجاء ابو جهل وادخل حرمته في فرج هذه العجوز وهي تعذب فاسلمت الروح وكانت اول من استشهد في الاسلام وتعدى مكرهم الى نفس النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه ابي طالب الذي كان يدافع عنه قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وكذلك زوجه خديجة التي كانت خير ردة له عليه السلام فقد لبىه عقبة ابن ابي معيط بثوبه حتى خفه فجاء ابوبكر ومنعه منه وهو يقول انقتلون رجلا ان يقول ربني الله وجاء ابو جهل وطرح النبي صلى الله عليه وسلم على الارض ووطىء برجله على عاتقه

ولما بلغ الاذى بالنبي صلى الله عليه وسلم هذا المبلغ واكثر منه خرج الى الطائف يعرض نفسه على قبيلة ثقيف ليحموه فينال حريته في نشر دينه ويبلغ رسالة ربه فردوه اقبح رد وسلطوا عليه صبيانهم وعبيدهم يضربونه بالحجارة حتى ادموا عراقيبه ورجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي وذلك سنة عشر من المبعث ثم صار يعرض نفسه على القبائل العربية ايام موسم الحج في الاشهر الحرم التي يكون فيها السلم ولا يقدرون على الوصول اليه

عند ذلك هيا الله له الانتصار الاوس والخزرج من اهل المدينة فوعده النصر في العقبة الاولى عقبة منى وكان ذلك بعد نحو عشر سنين من المبعث ثم وقعت منهم بيعة العقبة الثانية في السنة التي تليها ثم بيعة العقبة الثالثة في السنة بعدها .

ولما رأى قریش ظهور علامات نهوض الدين الاسلامي زادوا في التضييق على الرسول ومن معه واثمروا على قتله فاعلمه الله بذلك وأمره بالهجرة فهاجر مخفيا من مكة الى المدينة هو وصاحبه ابوبكر الصديق في قصة معلومة في السير بعد ما قاسى ثلاث عشرة سنة او خمس عشرة سنة من الشدائد أهوالا هو ومن اسلم معه تشيب الصبي وتهرمه

ولما ان هاجر هياً الله له الانصار لنصرة الدين ومن لحق به من المهاجرين من امكنه اللحوق وأقلت من حبس المشركين وضعفهم فعند ذلك تمكن من نشر الدين وتبليغ الرسالة وظهور المبادي العالية للعالم فلهاذا قلت ان الهجرة كانت فتحة للاسلام في احق ما يؤرخ به ويؤيد رأينا هذا القرآن قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا الآية فصدر الآية وعجزها يدلان ان الهجرة كانت نصراً وتأييداً واعلاء لكلمة الله وحطاً لكلمة الكفر وذلك مما لا يمتري فيه مسلم

٣ - الاسلام له اطوار الطور الاول كونه حنيناً في بطن مكة الثاني خروجه للحياة العامة وانتقاله لطور الظهور للملا وهذا الطور بلغه بالهجرة وبسببها انتشر في العالم

٤ - الهجرة بها تدرب المسلمون على التضحية بالمال والاولاد والنفس حيث هجروا ديارهم واموالهم واهلهم حبا في مبادئهم والامم لا تتحرر الا بالتضحية قال الله تعالى : قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله الآية .

٥ - بالهجرة استيقن الرسول من رسوخ ايمان اصحابه وانهم صادقون في وعودهم حيث امتثلوا الامر وهاجروا معه وتركوا كل شيء لهم في مكة وصاروا فقراء كما وصفهم الله بقوله الله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولائك هم الصادقون . ولا يمكن للرسول ان ينظم امر الدعوة ويضهر نظام الشرع الاسلامي ما لم يستيقن ايمان الاعوان والاصحاب الذين يقومون بما عهد اليهم اتم قيام عن اخلاص واقطاع . والنظام حياة الامم

٦ - الهجرة فرقت بين الحق والباطل كما قال عمر اذ بها صار للاسلام صولة وامكنه حمل السلاح على اعدائه وصار مسلحا بعد ما كان أعزل وصار قوة بعد ما كان ضعفا

٧ - بالهجرة أصبح الاسلام له شريعة ذات احكام عملية فرعية يعدل بها في الاحكام اذكر بعدها نزول الاحكام من حرام وحلال وما نزل قبلها فغالبه في العقائد . والشريعة هي نظام المجتمع الاسلامي النظام العسكري والمالي والعائلي وكل الانظمة الاجتماعية والدينية وانظمة مظاهر الحياة كلها وهي الرابطة التي حققت وحدة الاسلام وبنيت الحقوق وصانت العدل من الحيف والتلاشي ولا حقيقة لحياة امة دون العدل والنظام

الرباط في ٣ محرم سنة ١٣٥٨

محمد الحجوي الثعالبي الحمفري

تنبيه

قد برز مع الجزء الثاني من هذا المجلد الفهرس العام للمجلد الثاني وقد غفل عنه كثير من القراء فلذا وجب التنبيه وقد اتصل به جميع المشتركين صحة الجزء . فالمراد ضمنه للمجلد المختص به

التاريخ بالهجرة الشريفة

وموسم رأس العام

بقلم العالم المؤرخ أمير الامراء
سيدي محمد بن الخوجه

عند انبلاج صبح اليوم الاول من محرم الجاري استقبل المسلمون في مشارق الارض ومغاربها عاما هجريا جديدا وهو عام ثمانية وخمسين وثلثمائة والفرس عرف الله خيره فذلك اليوم المبارك جدير بأن يلفت بذكره أنظار عامة المتلفظين بكلمة التوحيد نحو صاحب الهجرة الشريفة الا وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله الى الخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا.

أما المقصود من هذا التحرير فهو الامام بحديث الهجرة النبوية من حيث اتخاذها مبدأ للتاريخ بالنسبة لعامة المسلمين ، ذلك أن الامم كانت في الزمن المتقدم على البعثة المحمدية تؤرخ بحوادث الازمان وأولها بدء الخليفة بعد هبوط ادم عليه السلام وهذا التاريخ مستفاد في زعمهم من التوراة المكتوبة باليونانية وقد قدروه بستة آلاف سنة ومائتين وست عشرة سنة قبل الهجرة وهو قول المؤرخين وخالفهم فيه الفلكيون حيث قالوا ان بين هبوط ادم والهجرة خمسة آلاف وسبعمائة وتسع وستين سنة والقولان مخالفان لما جاء في نسخة التوراة السريانية وهذه بدورها مخالفة لنسخة التوراة العبرانية فالتاريخ بمبدأ الخليفة ضرب من الرجم بالغيب لا سيما وان علم طبقات الارض وهو من العلوم الحديثة التي حفت من أجلها الاقلام وجف مداد المحابر قضى على مثل هاتيك المزاعم بالدليل والحجة ، والمقام لا يقتضي الاطباب لانه يبعدنا عن المقصود انما تعرضت له بطريق الاشارة المجردة توطئة لتسجيل بعض التواريخ المشهورة في أقدم العهود كالتاريخ بطوفان نوح عليه السلام وبينه وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ودونه بنحو مائتين وسبعين سنة على اختيار الفلكيين وهم المنجمون في اصطلاح الاقدمين ، قال في عيون المعارف : انهم بعد الطوفان أرحوا بنار ابراهيم عليه السلام ولما تفرق بنوه من بعده أرخ بنو اسحق بنار ابراهيم الى زمن يوسف ومن يوسف الى مبعث موسى ومن موسى الى ملك سليمان عليهم السلام ثم أرحوا بما كان من الكوائن ثم بخروج اليهود الى التيه (بكسر التاء المشددة وفتحتها مع سكون الياء - معناه الكبرياء) ثم أرحوا بخراب بيت المقدس ، واما بنو اسماعيل عليه السلام فأرحوا ببناء الكعبة المشرفة وداموا كذلك الى أن تفرقوا فأرحوا بعد ذلك بما اشتهر بينهم من الوقائع الهامة كيوم الفجار وحرب البسوس وسيل العرم وعام الفيل وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشرين من نيسان ٧١٠ للميلاد

وأما النصارى فقد كانوا يؤرخون أيضا بحدوث أزمانهم وهي كثيرة من أشهرها غلبة الاسكندر على الفرس واستقر تاريخهم في ميلاد عيسى عليه السلام ، والفرس وهم أرقى الامم في الزمن القديم

كانوا يؤرخون بملوكهم واء اخر تاريخ لهم هلكته (يز د ج رد) وقس على ذلك ما حفظه التاريخ من أسماء بقية الشعوب والامم البائدة والباقية فكل أمة كان لها تاريخ تؤرخ به كالأشوريين والكلدان والاقباط والانباط وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر . وهذا يغنينا عن الاشارة لكون أهل الصين والهنود من اسقاع الشرق الاقصى يدعون انقضاء عشرات الالوف من السنين على تاريخهم ومن اراد زيادة البسط فعليه بالرجوع لحطط المقريري . ولنضرب صفحا عن كل ذلك لنقول أن التاريخين القديمين اللذين لهما علاقة في هذا الزمان باهل تونس هما التاريخ المسيحي ونحن في عامه التاسع والثلاثين بعد تسعمائة والف وتاريخ اليهود وهم في عامه التاسع والتسعين وستمائة وخمسة الاف . هذا وقد اختلف المؤرخون والفلكيون في مدة الزمان الواقع بين تاريخ الميلاد وبين الهجرة الشريفة وكللا الشقين أقوال واقتال والشيء الذي إعتد به كتاب التاريخ ودرجوا عليه في هذا الزمان هو أن الهجرة النبوية كانت في اليوم الموافق لسادس عشر تموز وهو اسم شهر يولييه في السريانية من سنة اثنتين وعشرين وستمائة للميلاد وهذا اليوم يوافق الجمعة في حساب الايام قال بعض العلماء أن الهجرة كانت بالجمعة ولكنه قول شاذ وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجرا يوم الاثنين وقيل كان خروجه من مكة المكرمة يوم الخميس وقال في المثل الكامل : ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الى المدينة المنورة بعد أن صلى الجمعة بمسجد قبا - وقبا من احواز دار الهجرة - وكان الانصار محيطين به وهم متقلدون سيوفهم فسر أهل المدينة أيما سرور وقد خرج لملاقاته فيمن خرج النساء والصبيان والولائد يشدن :

أشرق البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا	جئت بالامر المطاع

وللايات بقية لم يذكرها صاحب المثل الكامل تنقلها هنا ترحيبا بدخوله للمدينة عليه السلام :

صل يا رب عليه	ما دعا لله داعي
اقبل البدر علينا	واختقت منه البدر
مثل وجهك ما رأينا	قط يا وجه السرور
انت شمس أنت بدر	أنت نور فوق نور
انت والله يا محمد	أنت مفتاح الصدور
وأنا بك غيث	حل في كل البقاع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داعي
يا إمام المرسلين	يا شفيع المذنبين

أرسلك مولى الموالى	رحمة للعالمين
قال رب فادخلوها	بسلام ءامنين
مرحبا أهلا وسهلا	بك يا بدر تجلى
أشرقت شمس المعاني	قد بدا وجهك يجلى
وانجلى بك الظلام	من سفح حرمك وولى
يا إلهي بالمشفع	صاحب القدر المرفع
لا تخب يا إلهي	كل من حضر ويسمع (١)

قلت هذا الكلام الموزون ينسبونه للطيبات الصالحات بنات النجار رضي الله عنهن وبنو النجار هم اخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبة أيه يعني أخوال عبد الله بن عبد المطلب واختلف العلماء فيمن وضع التاريخ الهجري فبعض المحدثين روى بسنده الى ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة في شهر ربيع الاول أمر بالتاريخ وعلى هذا القول يكون ابتداء التاريخ الهجري في عام الهجرة ولكن هذه الرواية يخالفها المشهور بين جمهور العلماء وهو أن ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الحافظ الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي من اعلام المائة السادسة : دفع الى صمصك محله شعبان قال عمر شعبان هذا الذي مضى أو الذي هو أو الذي نحن فيه ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ضعوا للناس شيئا يعرفونه فقال قائل اكتبوا تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله فاجتمع رايهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه أقام بالمدينة عشر سنين فكتب التاريخ على هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال سعيد بن المسيب : أول من كتب التاريخ عمر رضوان الله عليه لستين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وقال غيره من الرواة : أن عمر كتب التاريخ في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة فكتبه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة. وقال القلقشندي في صبح الاعشى بالنقل عن ذخيرة الكتاب : لما أراد عمر التاريخ جمع الناس للمشورة فقال بعضهم تؤرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل بوفاته وقال بعضهم بل بهجرته من مكة الى المدينة لأنها أول ظهور الاسلام وقوته فصوبه عمر واجتمع رأيهم عليه. ثم قال وكان وقوع ذلك في اليوم الثاني عشر من شباط (اي فراير) سنة ثمانمائة واثنين وثمانين لذي القرنين. ونقطة الاتفاق بين أصحاب تلك الاقوال المختلفة التي ذكرناها هي ان قائلها وغيرهم ممن لم نذكره أجمعوا على أن عمر رضي الله عنه لما وضع التاريخ الهجري رده لليوم الاول من محرم بمعنى أنه ابتداء حساب التاريخ لا من يوم استقر قراره على وضعه بل من مستهل المحرم الواقع في عام الوضع مع اعتبار المدة التي مضت قبل ذلك من يوم

(١) يظهر للمقاري أن بقية الايات فاقدة للروح العربية فلعلها من نظم بعض المتأخرين ذيلها الاصل (المجلة)

الهجرة الشريفة الى غرة محرم عام الوضع وعلى مقتضى تلك النتيجة الثابتة الصحيحة جرى عمل المسلمين من عهد عمر بن الخطاب الى هذا الزمان وسيبقى ان شاء الله كذلك ما بقي الدهر .
واذا كانت وضع التاريخ الهجري وقع سنة ست عشرة بعد الهجرة فلتعلم أن وضع التاريخ المسيحي لم يقع الا بعد الميلاد بنحو اربعة قرون وقد رأيت فيما تقدم الاضطراب الذي تناول تاريخ اليهود قبل استقراره فيما هو عليه اليوم

هذه خلاصة القول في وضع التاريخ الهجري بالنقل عن المسانيد الصحيحة وبقي لنا الكلام على يوم راس العام أهو موسم أم لا ؟ وسرعان ما نقول إنه ليس بموسم شرعي والمواسم الشرعية معروفة وهي عاشوراء وليلة القدر واتفق جمهور العلماء على انها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان . ولفظ رمضان اذا قصد به شهر الصيام لا بد من تقديم لفظ شهر قبله ومثله الربيعان الاول والآخر ولا يقال ربيع الثاني لانه ليس لهما ذلك وكذلك الجماديان الاولى والآخرة وهذا الخروج عن الموضوع جاءت به القافية . فلنعد لما كنا بصده لنقول ان بقية المواسم الشرعية هي يوم عرفة . والحبل عرفت . ويوما الفطر والاضحى ولك ان تقول النحر . واختلفوا في ليلة المعراج من رجب وفي ليلة نصف شعبان هل هما موسمان شرعيان ام لا ولا خلاف في أن موسم المولد الشريف ليس بموسم شرعي اتفاقا لانه حدث في اوائل المائة السابعة وانما تلبست به صبغة المواسم في هذه الديار وفي غيرها من بلاد الاسلام من اجل العادات والسنن المباركة التي قضت بالحاقه بالمواسم العظمى تنويها بقدر . واشهار الذكره اما يوم راس العام الهجري وان هو ليس بموسم في أصله فقد تقرر اعتباره في البلاط الحسيني منذ نحو مائة سنة كموسم رسمي صاروا يحتفلون به ويقيمون له موكبا خاصا بدار الامارة ولكنه دون موكب المولد والعيدين . وهذه المواسم الثلاثة صار اعتبارها مع موسم عاشوراء اعيادا قانونية بتونس يتمتع بعطلتها كل المتوظفين والمستخدمين بالمصالح العمومية حتى الذين لا يدينون بدين الاسلام واعلم ان موسم راس العام بتونس بدأ ضئيلا ثم تدرج في مدارج الفخامة والظهور الى أن بلغ للحد الذي هو عليه الآن وحديثه هو ما قصه عليك : ففي الدولة المرادية وما قبلها كانت المواسم بهذه الديار هي المواسم الشرعية والمولد النبوي وكان لهم مع ذلك موسم ربيعي نسبة لربيع الزمان لا لربيع الشهور يقيمونه في شهر مائة وصفه المؤرخ ابن ابي دينار وصفا حسنا وهذا الموسم بقي له اثر بتونس الى الازمان المتأخرة ولعله انقرض تماما في هذا العهد . وكان عامة السكان من أهل المدن يستقبلون العام الجديد في افتتاحه باكل بعض الحلويات واشهرها عندهم المقرروض لا يغنون بغيره عنه بديلا فقد حكى في المؤنس باسنادة لغيره قوله : عجت لمن في بيته المقرروض كيف ينام الليل . وكان الطعام الذي لا يتخلفون عن اكله يوم رأس العام هو الملوخية يفعلون ذلك تفاؤلا بالخير لما في خضرتها من الرجاء وحسن الامل وهي لم تكن معروفة عند العرب قبل المائة الرابعة . قالوا ان الاطباء وصفوها للعز لدين الله عند

نزوله بمصر حيث لم يوافق طقسها فدبروا له قانونا من العلاج في جلته ورق الملوخية وكان اسمها يومئذ الملوكية فوجد لها نفعا في التبريد والترطيب وعوفي من الامساك الذي كان به فتركها وسار من ذلك الحين ذكرها وانتشرت في البلاد . هذا حديثها والعهد فيه على غري لاني ناقل لا مبتكر بيد أن هذا التعريف يدعوني للإشارة لقول من يقول ان لفظ ملوخية ربما كان مقتبسا من الملتخوليا في اليونانية وهي الموافقة لكلمة ميلانكلي في الفرنسية ومعناها قريب من السوداء. ولم يتعرض لها الشيخ داود في التذكرة بأكثر من قوله : ملوخيا ويقال ملوكيا من الجبازي . ومهما كان الحال فصادة أكل الملوخية بالديار التونسية يوم رأس العام مضت عليه القرون بحيث انك لا تجد يتأهلها بشهيرات المدن التونسية غنيا عنها في مستهل كل عام جديد وما زالت الامهات عالقات بها وحريصات على عدم اغفالها والعادة طيبة خامسة في الانسان. هذا ومن المقرر المعلوم أن البيوت التونسية وعلى رأسها البيت الحسيني الرفيع العماد وءاله هم السادة القادة لاهل البلاد ومن أشهرهم ذكر او اوفرهم فخر المشير الاول أحمد باي فهذا الامير هو الذي سن موسما لرأس العام بالتوسيع فيه على حاشيته وأهل قرابته حيث اقترض بميزانية دولته ترسيم اعتماد مالي خاص بذلك اليوم وكان هذا المال في البداية قدرة خمسمائة ريال من مضروب سكة الفضة وكان صرف الريال الفضي في ذلك الزمان خمسة ريالات الا انه لم يشترط في ذلك المال أن يكون بضرب العام الجديد بل كان يكتفي بتوزيع قطع جديدة من ضرب أي عام كان حتى اذا استقرت تلك العادة ورسخت بين أهل السراية الملكية فكرة الفرح والازدهاء والاحتفال برأس العام توسعوا في ذلك بطبيعة الحال . وكل حي نام . الى أن تلبس ذلك اليوم بالصبغة الموسمية بين أهل الدولة بوجه عام. ولما استوى المشير الثاني محمد باي على العرش الحسيني ابتداء من حيث انتهى سلفه فقرر سنة توزيع المسكوك ذهبا وفضة من ضرب العام الجديد ورتب لذلك موكبا رسميا ينتصب فيه لقبول التهاني من آل بيته ورجال دولته : وعلى قياس صنيع هذا الباي جرى عمل اخيه المشير الثالث محمد الصادق باي بزيادة عناية وتقخير في مظهر الموكب المنعقد يوم رأس العام حيث كان ينتصب له بقصر باردو واتفق له ذات مرة حضور هذا الموكب السنوي بكسوة الانكشارية التي اتخذها عام ١٢٨١ فكان رأسه متوجا بعمامة من الحرير المقصب زادته مهابة وجلالا ومثله كان لباس وزرائه وأهل دولته. سمعت من الوزير المرحوم السيد الطاهر خير الدين انه كان لديه رسم ذات والده بالزي المتحدث عنه.

ولما تولى المقدس البرور المولى علي باي الثالث أريكة الملك الحسيني نسج على منوال أسلافه الاكرمين فقعد لعهد أول موكب لرأس العام في غرة المحرم سنة ١٣٠٠ بقصر المرسى المعمور وممن حضر هذا الموكب يومئذ حسب ما وقفت عليه بالرائد التونسي العلامة الشيخ أحمد بن الخوجة شيخ الاسلام فأجلسه سمو المولى الامير ليمينه وسمع منه في ذلك الموكب المشهود قصيدته التي يقول في مطلعها :

تهل وجه الملك بالطلعة الغرا ودار السرور الصرف في الاكوس البشرى
ولم يزل المولى علي باي متحفظا باجراء هذا الموكب في اوقانه الى اخر ساعاته غير أنه لما
أدركه الهرم في السنوات الاخيرة من عمره كان لا يحضر هذا الموكب الا الوزراء وكبار أهل
الدائرة الملكية وفي مدة أخلافه المقدسين المولى محمد الهادي باي والمولى محمد الناصر باي والمولى محمد
الحبيب باي كان الاحتفال ليوم رأس العام من أفخر مواعدهم سوى أنهم لا يلبسون فيه كسوة التشريفية
الكبرى قياما على أسلافهم في الزمن الماضي . ويكون انعقاد هذا الموكب بالسراية التي يسكنها
الامير حسب فصول العام يعني اما بقصر الشتاء واما بقصر الصيف حسب الظروف والاحوال
اما سلوك حضرة ولي النعم سيدنا ومو نا أحمد باشا باي نصر الله وجهه فقد جاء معززا ومؤيدا
لسلوك اسلافه المقدسين بزيادة التوسع منه أطال الله عمره في الانعام والاحسان لمن حول سدة من
أهل الرفعة والشان ومن تكلم الملاحظات والتوجهات ان سموه الملوكي يتحف بمناسبة يوم رأس العام
جناب وزيره الاكبر بهدية سنية زيادة على مسكوك الذهب والفضة وهي عادة سنهها البايات السابقون
وعادات الملوك ملوك العادات . ومن العادة أيضا أن صاحب العرش الحسيني بعد أن يتلقى فروض الولاء
والطاعة والتهاني يوم العام الجديد . من آل بيته ورجال دولته وأهل دائرته وحاشيته يزورة بعد ذلك في
وقت خاص . ممثل الدولة الحامية بتونس لتهنئه حضرته العلية أصالة عن نفسه ونيابة عن فخامة رئيس
الجمهورية . ومن البديهي أن ألسن الشعراء تتسابق يوم هذا الموسم المبارك نحو ساحة المولى الامير لالقاء
غرر البديع من قصائد المديح على شريف أسماعه ويكون افتتاح هذا المهرجان بترتيل بعض آيات
الذكر الحكيم بالصوت الرخيم وسموة يشمل الجميع ، واسع عطائه وفضله .

وقد جرت عادة الملوك الحسينيين ان يفتتحوا العام الجديد بمظاهر البشر والتفاؤل بالخير
فيجعلون احكامهم واوامرهم ونواهيهم قاصرة يوم رأس العام على ما فيه البشرى والسرور كالولايات
الدينية والتوقيع بالعفو والصفح الجميل عن المجرمين وفيه يتولى صاحب العرش الحسيني امضاء
حسابات وكيل الدار الكريمة ويشرف بذاته على توزيع ريعها على مستحقه من آل بيته الكريم في
موكب مهيب يحضره الوزراء وامراء الامراء ومدير الشؤون وهذه الاحباس انجرت لهم من اسلافهم
الاكرمين وكان تناولها التلاشي في مدة وزارة مصطفى بن اسماعيل فجمع شتاتها في اوائل هذا القرن
المولى علي باي الثالث قدس سره ورتب نظامها على اسلوب حكيم . ومن مجموع ما تقدم يتضح
جليا رسوخ موسم رأس العام الذي يذكرنا يوم الهجرة الشريفة فيا لها من منقبة منيفة كتبها يد
الاقدار بمداد الذهب في صحيفة حسنات البيت الحسيني لان الملوك الحسينيين هم الذين سنوها بين أهل
هذه الديار وأحكموا تنظيمها وانتظامها حول الاعصار بما سبقي لهم جيل الذكر الى اخر الادهار
ونختم هذه النبة بطرقتين احدهما لا تخلو من فائدة . والاخرى جاءت على حد قولهم : ما

بعد إذا زائدة. فالاولى هو انك اذا أردت الموافقة بين السنين الهجرية والمسيحية طردا وعكسا فعليك ان كان المقصود تحويل عام هجري لما يقابله في التاريخ المسيحي أن تطرح من ذلك العام الهجري الجزء الثالث والثلاثين منه وان تضيف للبقية عدد ٦٢٢ تكون الجملة هي السنة الميلادية المطلوبة وان كان العكس فابدأ بطرح عدد ٦٢٢ من السنة المسيحية ثم اصف للبقية الجزء الثاني والثلاثين منها تكون الجملة هي السنة الهجرية المطلوبة وهذه القاعدة لا تتخلف ما دام واحد نصف الاثنين واما الطريقة الثانية فانها نتيجة احصائية تكلفتها لضبط مبتدأ قرن هجري كامل ووقع اختياري على القرن الثالث عشر فكانت تلك النتيجة بالضبط الصحيح ١٠ نذكره : وافق كل من أيام الاحد والثلاثاء والخميس مدخل خمسة عشرة عاما ووافق كل من أيام السبت والاثنين والاربعاء مدخل أربع عشرة عاما ووافق يوم الجمعة مدخل ثلاث عشرة عاما فقط والجملة مائة .

وعلي ذكر أيام الاسبوع لنحقق بينك الطريقتين طريقة ثالثة وهذه فيها فائدة لمن لا يعرف جوع هاتيك الايام :

فالسبت يجمع على اسبت وسبوت - والاحد يجمع على واحد وأحدان - والاثنين لا جمع له لانه مثنى فاذا تكلفنا إيجاد جمع له قلنا الاثنين - والثلاثاء بالمد ويقال الثلاثاء بالضم ايضا يجمع على ثلاثاوات قاله في مختار الصحاح - والاربعاء بالمد ويقال ايضا الاربعاء بفتح الباء يجمع على اربعاوات قاله في مختار الصحاح وقال في القاموس المحيط الاربعاء مثلث الباء وهما اربعاان والجمع اربعاات - والخميس يجمع على اخساء واخسة والخميس ايضا الخميس - والجمعة بالضم ومثلها الجمعة بسكون الميم وهما جمعتان والجمع جمع وجمعات وما مضى فات وكل ما هو ءات

محمد بن الحوجه

تنبيه

بناء على توافي بعض الوكلاء للمجلة في تقديم حساباتهم سواء في القطر التونسي أو في الجزائر والمغرب فقد قررت ادارة المجلة قطع ارسال المجلة اليهم

وعليه فالادارة تطلب من الجهات التي لا تصل اليها المجلة وكلاء امناء ليتمكنوا ان تعتمد عليهم

في المستقبل

وتعذر لاهل تلك الجهات عن قطع ارسال المجلة لذلك السبب

ذكرى الهجرة النبوية

على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم

من القلائد العالية والدرر العالية للشاعر الكبير
الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة العامر

من افق مكة نور الحق قد وضحا
دين به نزل الروح الامين على
لما بدا كعمود الصبح منبججا
وانبث في جنبات الكون كمر على
كان الانام على عوجاء مدرجهم
حادوا عن الرشدي قول وفي عمل
حتى اذا المنقذ الهادي اطل دنا
وحط اصر واغلل بعثته
محمد خاتم الارسال جاء بها
دعا اليه السدى ام القرى فئة
جارت قريش عن القصد السوي وقد
دعاهم لتتي فيها سعادتهم
فما استجابوا له الا بمعصية
وكافؤة عن الحسن بكل اذى
والخير او ضده منب بصاحبه
جفوة جبلا وصدوا كل قبتس
ثم استجاب له من يثرب اسد
وباعوه على أن ينصروه ويؤو
فهاجر الفر صبح المصطفى زمرا
قوم إلى الله قد باعوا نفوسهم
ساروا تباعا فلاقوا كل تكربة
هناك اوجس اهل الشرك خيفة أن
فاجموا امرهم كي يطفئوا حسدا

ثم انتجى يثربا فجرا فساد ضحى
طه فجلى اباطيل الورى وعما
يروق منظرة الروض من لمحا
ليل الاباطيل ذي الاغشاق فافتضحا
حدا بهم للردى حادي الهوى ونحا
نالوا الشقاء به والتعس والترحا
نهج الرشاد لمن يتقفوه وافسحا
عن الورى طالما من ثقلها رزحا
شرعة كسنا الاصباح حين ضحا
كم قد بقت وعصت من عيا النصحا
شامت هنالك باب الرشد منفتحجا
دينا ودينا بقول افحم الفصحجا
وغادروا نصحه نسيا ومطرحا
وكل ذي عمل رهن به اجترحا
كما الاناء بما يحويه قد رشحا
منه وكادوا واذا من به انتصحا
غبر ميا من كل لاهدى كدحا
ولا ومن عن سبيل الغي قد جمحا
إلى المدينة حيث الدين قد صرحا
بحسب ذي الود ان يهدي لهم مدحا
من معشر لا يفهم مدح من مدح
يدال للدين منهم واصطلوا برحا
نور الاله قلاهم ربهم ولحا

فاظهر الله ما قد اضمرا فما
اوحى الاله بما قد بيتوه الى
وآذن الله خير الخلق ان له
وانه سوف تغدو دار هجرته
فسار عن مكة مغناة مبشرا
يؤم طيبة فاهتزت له طربا
فياله سفرا فيه العناية من
فكم بدا خارق انشاء بهر الـ
سل عن نباه حمى البطحاء اذ حشرت
حفوا بيت رسول الله وهو به
فسار عنهم بمرأى منهم ومضى
وما أحسوا به الا وقد بعدت
وسائل غار ثور حين لاذ به
فلم يروه وهم منه على كشب
رأوا بابه نرج العنكبوت وور
واسأل سراقه حين اشتد خلف رسو
يعلو جوادا به ساخت قوائمه
وما نجا منه الا بعد توبته
الى سوى تلك مما ذاع غبيرة
وحين وافى رسول الله طيبة واحد
الفاهم في ارتقاب نحو طلعتة
فيها ساعة ما كان اسعدها
ويطية دار اليمن ان بها الـ
بها قد انتشرت في الكون دعوتيه
وأقبل الناس افواجا تدين له
ودالت الدولة الميمون طالما
وسارت الريح شهرا عرفها عقب
فيها هجرة ما كان ايمنها

لمتجر جهدوا فيه بما ربحا
رسوله وبما كادوا فما نجحوا
في كسبه ما يهن المبتدى فرحا
فليرتحل حيث امر القوم قد ربحا
وفارقه المال والاهلين واطرحا
وافتر للدين ثمر بعد ما كلفا
ذي العرش بان وعرف اللطف قد نفحا
معقول اعجازة حقا وكم سنحا
له العدا معشرا للسلام ما جنحا
وكأس مكرهم بالغدر قد طفحا
من بعد ما الترب في هاماتهم طرحا
منه الخطا فاشنوا عن بيته طلحا (١)
وأبعوه وكل حمدة لفحا
غادين للبحث عنه فيه او روحا (٢)
قاء رؤما فظنوا انه نرحا
ل الله يعدو فلم يبلغ لما طمحا
غداة هم به جرما لقد قبحا
وبعد ما صدره نحو الهدى انشرحا
وصح بين رواة القوم واتضحوا
تف الصحاب به تاهت به مرحا
كل تقلد رسم الحرب واتشحا
بمثلا الدهر يوما قلها سمحا
اسلام قد نال معارم مقترحا
فشاهد الحق منها من قد التمحا (٣)
سيان من قد تدانى او قد انترحا
على قریش له لكنه صفحا
بنصرة وهزار السعد قد صدحا
ويا لها محنا قد اعقت منها
علي النيفر

(١) جمع طليح وهو المصاب بالاعياء

(٢) جمع رائج (٣) اي ذهب ببصرة على حد قول ابني الطيب انا الذي نظر الاعمى الى ادبي

الآيات الالهية

في الهجرة المحمدية

بقلم الاستاذ التحرير الشيخ محمد البشير النيفر
احد الاساتذة الاعلام بجامعة الزيتونة الاعظم

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير
المشاكرين الآية (٣٠) من سورة الانفال

الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه
لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم الآية (٤) من سورة التوبة

جلت غاية الله بعبده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطفا له رسالاته . وأيده بآياته ، وأعلى
على الكلم كلماته ، وذلك فضل الله يختص به من يشاء من عباده ، على وفق حكمته ومراده .

مكر الذين كفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم فمكر الله والله خير الماكرين ، ونصره على
قلة الاولياء وكثرة الاعداء « إذ أخرجه الله خير الناصرين ، فتبارك الذي صدق وعده ، ونصر
عبده ، وله الحمد والشكر وحده .

إن المؤمن لتنزل السكينة على قلبه ، ويزداد إيمانا بربه ، كلما تلا آيات الله وذكر نعمه السابغة ،
في تأييد رسول الله وخاتم النبيين ، وإظهار دينه على كل دين ، وفي هجرته صلى الله عليه وسلم من
مكة المكرمة ، إلى المدينة المنورة ، من مظاهر التأييد الالهي الحكيم

« عناية الله بالرسول صلى الله عليه وسلم إذ مكر
الذين كفروا والآيات التي تقدمت الهجرة »

ذكرت آيات الانفال الثلاثون الرسول عليه الصلاة والسلام بنعمة الله عليه إذ مكر به
الذين كفروا ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه

والانبات الشد بالوثاق والارهاق بالقيد . والحبس المانع من لقاء الناس . والقتل معروف . وقد
دبروا له تدبيرا ، لا يكون ضرره فيهم كبيرا ، والاخراج النفي من الوطن

وبروي كثير من أهل التفسير بالمأثور أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما يأتعرك قومك ؟ قال يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني . فقال من أخبرك بهذا ؟
قال ربي . قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا . قال أنا أستوصي به ؟ بل هو يستوصي بي فنزلت :
وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية

ولكن قفى الحافظ ابن كثير على أثر هذه الرواية بقوله : وذكر ابي طالب في هذا غريب جدا بل منكر لان هذه الآية مدنية ، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتثار والمداورة على الاثبات أو القتل أو النفي إنما كان ليلة الهجرة سواء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترأوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه اه كلامه

وتكلف بعض حذاق المفسرين بتصحيح هذه الرواية ودفع ما فيها من غرابة وإنكار لذكر أبي طالب قال : ويجوز أن يكونوا قد تحدثوا به قبل إجماعه وإرادة الشروع فيه الذي وقع بعد موت أبي طالب فبلغه فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه اه وفي النفس منه شيء قال الحافظ ابن كثير : وقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن جثيم بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا بنية ؟ فقالت يا أبت ومالي لا أبكي وهؤلاء الملاء من قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد رأوك لقاموا فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عزف نصيبه من دمك فقال يا بنية ائتني بوضوء فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا ها هو ذا فطأطأوا رؤسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شأهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً ثم قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا أعرف له علة اه

وفي هذا من الآيات الالهية طأطأة رؤسهم وسقوط رقابهم بين أيديهم لما رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان من موت من وقعت عليهم الحصيات يوم بدر كفاراً وكل هذا مما تقدم خروج الرسول صلى الله عليه وسلم

وقريب من هذه الرواية ما روي عن ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرده أخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابه وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رؤسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ يس والقرآن الحكيم إلى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ، وقال الحافظ ابو بكر البيهقي روي عن عكرمة ما يؤيد هذا

وفي هذا من الآيات إطلاع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما أريد به وأخذ الله بأبصار المشركين

« الآيات الالهية عند الهجرة »

نطقت الآية ٤٠ من سورة التوبة ان الله نصر رسوله صلى الله عليه وسلم اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين وأنزل السكينة عليه او على ابي بكر على اختلاف المفسرين وأيده بجود لم تر وفي كتب الحديث والسيرة من الآيات الخوارج ما يتجلى به النصر والتأييد اللذان نطقت فيهما الآية الكريمة

١ - ففي قصة سراقه لما خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم وهي عند البخاري في حديث الهجرة المطول : حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكدر تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فأستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ وفي حديث أنس وهو الثامن عشر من احاديث باب الهجرة في صحيح البخاري ايضا : فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اصصره فصصره فرسه

٢ - وفي حديث أسماء بنت ابي بكر عند الطبراني : وخرجت قريش حين فقدوها في ابتغائهما وجعلوا في النبي صلى الله عليه وسلم مائة ناقه وطافوا في جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله ان هذا الرجل ليرانا وكان مواحه فقال كلا ان ملائكة تسترنا بأجنحتهم فجلس ذلك الرجل يبول مواحه الغار فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يرانا ما فعل هذا

وما في هذه الرواية يفسر ما جاء في الآية الكريمة : وأيده بجود لم تروها فقد ذهب جماعة من المفسرين أنهم الملائكة ومنهم الامام الحليل محيي السنة البغوي قال في تفسير هذه الآية : وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا اه وأقول لا مانع من الجمع بينهما ويؤيد ما في حديث أسماء عند الطبراني من صرف الله الابصار عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه حديث الصحيحين أن أبا بكر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال فقال يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما

والحديث يفسر ما في الآية الشريفة : اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ويتصل بها قوله تعالى : فأنزل الله سكينته عليه وقد أخرج ابن أبي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله فأنزل الله سكينته عليه قال على ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينة معه

وأخرج نحوه الخطيب في تاريخه عن حبيب بن ابي ثلفة
 وذهب جماعة الى ان الذي أنزل الله عليه السكينة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى كلتا الطريقتين
 فانزال الله السكينة من آياته البالغة

٣- وفي حديث ابن عباس باسناد حسن عند احمد : فلما اصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا
 اين صاحبك هذا ؟ قال لا ادري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا
 بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه
 وروى البزار مسندا وغيره أن الله أمر العنكبوت فنسجت على فم الغار وأرسل حمامتين
 وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين . عنه ويروى أنه نبت في فمه شجرة صغيرة تسمى شجرة
 الرا وهي شجرة مقدار القامة

« تشكك محمد حسين هيكل في الآيات الثلاث : نسيج العنكبوت والحمامتين والشجرة » جاء في
 الفصل العاشر من كتابه : حياة محمد « صلى الله عليه وسلم » ص ٢٠٨ ما نصه : نسيج العنكبوت
 والحمامتان والشجرة تلك هي المعجزة التي تقص كتب السيرة في أمر الاختفاء بغار ثور ووجه المعجزة
 فيها ان هذه الاشياء لم تكن موجودة حتى اذا لجأ النبي وصاحبه الى الغار أسرع العنكبوت الى
 نسيج بيتها تستر به من في الغار عن الاعين وجاءت الحمامتان فباضتا عند بابه ونمت الشجرة ولم تكن
 نامية وفي هذه المعجزة يقول المستشرق درمنجم :

هذه الامور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ الاسلامي الجدد : نسيج عنكبوت
 وهوي حمامة ونبات شجرة وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في ارض الله نظائر « على ان هذه المعجزة
 لم ترد في سيرة ابن هشام اه كلام هيكل بنصه
 « نقد كلامه »

ان في كلام هذا المؤلف لمجالا للنقد من وجوه

(١) قوله لنسيج العنكبوت والحمامتان والشجرة تلك هي المعجزة التي تقص كتب السيرة في
 أمر الاختفاء بغار ثور الخ والحق ان ثم غيرها
 (٢) اقراره قول درمنجم في الآيات الثلاث : هي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في ارض الله
 نظائر « وما هي بالتي لها نظير فان اجتماعها لم نسمع بنبئها الا في قصة الهجرة ولانه قد جاء في نسيج
 العنكبوت ان أمية قال فيه وقد قال المشركون ندخل الغار : ما أبكم فيه « أي الغار » وعليه من
 نسج العنكبوت ما أرى أنه من قبل ان يولد محمد أي لان مثله لا يكون الامدة طويلة وروي في
 الشجرة أنها كانت مقدار القامة لها زهر « وهل ان المؤلف ان تطول الشجرة بمقدار قامة ويكون لها
 زهر » في زمن قصير وليس من المؤلف ان يقع الحمام على فم الغار وهو مأهول ولذا قالت قریش :
 لو كان فيه أحد لما كان هناك الحمام

عمارة البيت الحرام

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء
سيدي محمد بن الخوجه

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

افتتاح الكلام بهذه الآية الشريفة يغنينا عن البحث والنظر في مختلف الروايات المتعلقة بالبيت الحرام قبل زمن ابراهيم عليه السلام فالبيت الحرام وان شئت قلت الكعبة المشرفة التي يقصدها المسلمون من كل فج عميق قياما بالحج الذي هو احد اركان دين الاسلام بناها سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه كما هو صريح الآية المتقدمة وكان المساعد له على بنائها ابنه سيدنا اسماعيل عليه السلام واسماعيل هو جد الحنّس العربي وهو كايه ابراهيم من ذرية سام بن نوح . قال المحققون من ائمة الدين واقطاب الملة لما امر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام قال ابراهيم لابنه : يا اسماعيل ان الله امرني بامر . قال فاصنع ما امر ربك . قال : وتعيني ؟ قال : واعينك . قال فان الله امرني ان ابني هنا بيتا . و اشار الى اكمة مرتفعة بارض حمراء واقعة هنالك . وعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يجيء بالحجارة و ابراهيم يبني حتى ارتفع البناء ووضع ابراهيم الحجر الاسود بمكانه من جدار البيت وسبّاق الكلام على خبر هذا الحجر الاسعد حول القرون التالية ولما تمت هذه العمارة الاولى للبيت المحرم جعل له ابراهيم بابين ملاصقين للارض احدهما يفتح للشرق والآخر في سمتة يفتح للغرب وسعود للكلام على هذا الباب الغربي الذي لا وجود له في هذا الزمان ولم يجعل ابراهيم للبيت سقفا كما لم يجعل لبابه ابوابا تفتح وتغلق وكان هذا البيت المبارك اول بيت وضع للعبادة كما قصه علينا القراء في آية : إن أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا وهدى للعالمين . وقد بناه ابراهيم بشكل مربع

ودر منجم هذا يلقي بذور الشك في آيات الرسول صلى الله عليه وسلم تذرعا به الى التشكيك في رسالته وله كلام كثير في تينالو أخذ به المؤمن لبطل إيمانه وفي كتاب الوحي المحمدي جملة منه فراجع (٣) ان عدم ورود هؤلاء الآيات الثلاث في سيرة ابن هشام لا يوهن أمرها وقد أثبتا غيرهما من رجال السير

والطريقة المرتضاة في النقد في مثل هذا تتبع الروايات من جهة أسانيدھا والتعديل على ما لا علة فيه والتوقف فيما دخلته العامة لاوزنها بميزان دو منجم وردها اذ لم يروها ابن هشام في سيرته والسلام على من استمسك بعروة الاسلام وقدر قدر الرسول عليه الصلاة والسلام

محمد البشير النيفر

جعل زواياه متجهة نحو الجهات الاربع لمقاومة الرياح وهي هندسة عصرية توفق لها ابراهيم قبل زماننا هذا بنحو اربعة آلاف عام. وليس في الاستطاعة ضبط ذلك بالتدقيق لان المؤرخين والحساب على خلاف فيه كخلافهم بالنسبة لزمن نزول الوحي على ابراهيم ومنهم من اعتمد في قوله على ما ورد في التوراة ومنها استفادوا ان الوحي نزل على ابراهيم عند دخوله لارض كنعان في حدود سنة ٢٠٥٥ قبل الميلاد وبإضافة هذا العدد لما بعد الميلاد من السنين تكون الجملة ٣٩٤٤ عاما بالحساب الشمسي ولك ان تقول ٤٠٦٢ سنة بالحساب القمري فالمدة الفاصلة بيننا وبين ابينا ابراهيم باثني عشرة كعبة الاسلام وهو لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما قدرها على وجه التقريب بأربعة آلاف عام. وقد ذكرنا فيما تقدم ان اسماعيل عليه السلام هو الذي اعان اباه على بناء البيت الحرام واسماعيل هذا هو الذي نبع تحت قدمه ماء زمزم كما في القصة المعروفة المتفق عليها بين جمهور علماء الاسلام فمن الواجب علينا ان نعقد بصحتها كاعتقادنا بصحة وجود بئر زمزم وما والاها من الصفا والمروة حيث كانت هاجرام اسماعيل تهول في طلب الماء لابنها العطشان حتى اذا يشت منه وعادت لاسماعيل وجده يلم يديه الماء المتبوع من الارض - وماء زمزم لما شرب له -

هذا البيت الحرام بناه ابراهيم في زمن كان الشرك فيه باسطا جناحه على امة الكلدان منهم من كان يعبد الاوثان التي كان يصنعها لهم ازر ابو ابراهيم كما في آية : وإذ قال ابراهيم لاهيه ازر اتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين. ومنهم من كان يعبد النجوم وهم اهل مذهب الصابئة قال تعالى حكاية عن ابراهيم : فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الى آخر الآيات الثلاث قال القرطبي ان من الصابئة من كان يزعم ان الشمس إله كل إله وقال المسعودي في مروج الذهب ان من الصابئة من كان يعتقد ان الكعبة بيت لمبودهم زحل وانها باقية بقاءه على مرور الدهور وكروار العصور وعن الصابئة اخذ العرب علم النجوم ونبغوا فيه لحد استنباط علم الانواء الذي يفخر به الاروباويون ويعودونه من العلوم العصرية واسمه عندهم علم المتبور لحيا فهو علم قديم عرفه العرب قبل اربابا زمان. وكان الصابئة يحترمون هيكل الكعبة ويقدمونه كاحترامه وتقديسه من اهل الاديان الاخرى في ذلك الزمان وفلا فقد اثبت التاريخ ان الكعبة كانت العرب وغيرهم من الامم يحجونها من قبل ظهور الاسلام بنحو سبعة وعشرين قرنا لا فرق في ذلك بين وثنيين ويهودهم ونصاراهم يدلك عليه تكريمها في زعمهم بالاصنام والصور منها صورة مريم وابنها المسيح عليه السلام فلما جاء الاسلام امر النبي صلى الله عليه وسلم بازالة ذلك كله عند فتح مكة المشرفة في السنة الثامنة للهجرة وما زالت الكعبة على بناء ابراهيم واسماعيل الى ان جدد بناءها العماليق ثم جرهم على ارجح الاقوال وجرهم هم اخوال بني اسماعيل ولكن ابن خلدون قال ان عمارة الكعبة على يد العماليق متأخرة عن عمارة جرهم اياها ثم قال : واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أفق من

جميع اهل الخليفة لا من بني اسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا او نأى فقد تقل اب التباعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبعأ كساها الملا والوصايل وامر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا (ومنه يستفاد جعل مصاريع لاوابها في هذه العمارة) وتقل ايضا ان الفرس كانت تحج البيت العتيق وتقرّب اليه وان غزالي الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتقر زمزم (اي جددها وهذبها والا فهي موجودة من قبل) كانا من قراينهم اه

قلت ان ذكر هذين الغزالين يدعوني للاشارة لكنوز الكعبة المشرفة فقد كان العرب وغيرهم يتقربون اليها بالنذور والهدايا الثمينة من ذهب وحجارة كريمة قال في كتاب العبر : وقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة في الحب الذي كان بجوف الكعبة سبعين الف أوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمائتي قنطار وزنا الى ان قال واقام ذلك المال هنالك الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسعة وتسعين ومائة فاخذ ما في خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا ينفع به نحن احق به نستعين به على حربنا واخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ اه كلام ابن خلدون

والعمارة الرابعة للكعبة المشرفة وقعت في القرن الثاني قبل الهجرة على يد قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم قال في كتاب منزل الوحي : ولم تذكر المراجع المختلفة ان احدا تولى تشييد الكعبة بعد قصي وقبل ان تبنها قريش قبيل البعثة النبوية الا ما رواه تقي الدين الفاسي في كتاب شفاء الغرام ان عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بناها ولكنه شك في صحة هذه الرواية لما اصاب جدران الكعبة من الوهن بعد موت عبد المطلب بعشرين سنة او نحوها وعبد المطلب هذا هو القائل لتلك الكلمة الخالدة « انا رب الابل والبيت رب يحميه » في حديثه مع ابراهيم (١) الاشرم الذي جاء لهم الكعبة عام الفيل وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عشرين من نيسان سنة ٥٧١ للميلاد. قالوا ان هذا الفيل كان اسمه محمودا (٢) وانه كلما حاولوا للتقدم نحو الكعبة للاجهاز على جدارها بنابه القوي المتين تعاصى عن ذلك وبرك في الارض واذا ساقوا نحو الجهة المعاكسة للكعبة سعى اليها مهرولا الى ان ضجر ابرهة وحزبه وعادوا من حيث أتوا وكان مصيرهم ما قصه علينا القرآن في سورة ابايل

(١) لفظ ابرهة في اللغة الحبشية يقابله لفظ ابراهيم في العربية

(٢) كان بقارة ماسيا في الزمن القديم البعيد نوع من الفيل اسمه مموت (Mammouth) انقرض جنسه ولكنه بقي له ذكر في كتب حياة الحيوان فلعل لفظ محمود الذي سمي العرب به فيل أبرهة محرف عن لفظ مموت الذي اشرنا اليه

والعمارة الخامسة للبيت الحرام قام بها قريش وشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعثه الله نورا وهدى للعالمين ، قال في كتاب الجامع اللطيف للشيخ المخزومي من علماء مكة في القرن الحادي عشر : وسبب بناء قريش للبيت هو ان امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرتها (١) فاحترقت كسوتها وكانت ركاما بعضها فوق بعض (٢) فحصل في الاحجار تصدع ووهن ثم تواتل السيول بعد ذلك فجاء سيل عظيم فدخل البيت فزدد تصدع الجدران ففرزت لذلك قريش فزعا شديدا وهابوا هدهم وخافوا ان مسوها ينزل عليهم العذاب فبينما هم على تلك الحال يتشاورون اذ اقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانت بمحل يقال له الشعية وهو يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت ثم قال وبلغ ذلك قريشا فقصدوها واشتروا خشبها واذنوا لاهلها ان يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من المتاع حتى ان لا يعشروهم (٣) وكانوا قبل ذلك يعشرون من دخلها من تجار الروم وكان الروم ايضا تعشر قريشا اذا دخلوا بلادهم وكان في السفينة نجار بناء (Architecte) اسمه باقوم وهو الذي بنا الكعبة لقريش كما روي عن سفيان بن عيينه اهـ ، كلام المخزومي ، وقال ياقوت في معجم البلدان : وكان بمكة رجل قبضي نجار فسوى لهم ذلك وبنوها ، وفي ابن خلدون ما يؤيد حكاية انكسار السفينة بجدة حيث قال : وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانها فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لثلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة فقصروا عن قواعد وتركوا منه ستة اذرع وشبرا اداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه حيوش يزيد بن معاوية اهـ ، كلام ابن خلدون

واتفق المؤرخون على كون قريش لما انتهوا لوضع الحجر الاسود اختصموا واراد كل قوم منهم ان يمتاز على البقية بمفخرة وضعه في محله وتفاقم الامر بينهم حتى تواعدوا للقتال ثم تحاجزوا وتناصفوا على ان يجعلوا اول طالع يطلع من باب المسجد حكما يقضي بينهم فكان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتكموا اليه فقال : هلموا ثوبا فاوتي به فوضع الحجر فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوا حتى اذا رفعوه الى موضعه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحجر بيده

(١) المجرمة هي التي تسمى مبخرة في اصطلاح اهل تونس وتستعمل لاحتراق طوابع العنبر والعود القماري ولقبط قماري نسبة لجزر القمر بالمحيط الهندي

(٢) قوله ركاما يفهم منه انهم كانوا يضعون الاكسية الجديدة فوق الاكسية القديمة خلافا لما جرى به عمل هذا الزمان من نزع ستور الكعبة القديمة في وقفة كل عام وتوزيع بعض قطع منها على وجـ الهدية ويسع البقية لثأمة سدة البيت

(٣) اعرف مصداق قولهم شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ

الكريمة فوضعه بالركن الذي كان فيه وبسبب هذا التدبير السديد والسياسة الرشيدة كفاهم رسول الله شر فتنه وقتال

ثم جاء الاسلام وبعث الله محمداً للخلق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً فحج بالناس وطاف بالبيت العتيق بعد ان رد مفاتيح الكعبة لسدتها من المشركين حيث دفعها لعثمان بن طلحة عند نزول الآية : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها » (١) والتحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وبقيت مفاتيح الكعبة بيد سدتها الهشيين حتى هذا الزمان يتوارثونها خلفاً عن سلف وكانت العمارة السادسة للبيت الحرام عند ولاية عبد الله بن الزبير امير امكة فسير اليه فسير معاوية عساكره بقيادة الحصين بن نمير لقتال ابن الزبير بمكة فالتجأ ابن الزبير الى المسجد الحرام فرماه الحصين بالمنجنقات فاصابت بعض مقنوفاتها الكعبة المشرفة فهدمتها واحرقت كسوتها مع بعض اخشابها ثم هلك اليزيد فراى عبد الله بن الزبير تجديد عمارة الكعبة على قواعد ابراهيم يعني بضم حجر اسماعيل لبناء البيت كما كان في زمن ابراهيم مستنداً في ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة : لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له باين شرقاً وغرباً. قال ولي الدين بن خلدون : فكشف ابن الزبير عن اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والا كابر حتى عاينوه ثم سال عن مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم - اي بادخال حجر اسماعيل في البيت - ورفع جدران الكعبة سبعة وعشرين ذراعاً وجعل لها باين لاصقين بالارض كما ورد في الصحيح وفرشها وازورها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ثم طيها بالمسك والعنبر داخلاً وخارجاً وكساها بالديباج وكان انتهاء هذه العمارة في رجب سنة ٦٤ للهجرة. فلما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سير الحاجاج بن يوسف الثقفي لقتال ابن الزبير امير مكة فحاصره بها ورماه بالمنجنق الى ان استشهد رضي الله عنه في سنة ٧٣ ودخل الحاجاج مكة فولاه عليها عبد الملك وامره ان يعيد بناء الكعبة كما بنتها قريش - اي كما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فهدم الحاجاج ما اضاف ابن الزبير من حجر اسماعيل للكعبة وقدره ستة اذرع وشبر وسد بابها الغربي ورفع الباب الشرقي يصعد اليه بدرج - كما في هذا الزمان - ولم يغير من باقيا شيئاً ثم كبس ارضها بالحجارة التي فصلت عنها اهـ.

(١) لما دفع رسول الله مفاتيح الكعبة لعثمان بن طلحة قال له : خذها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم. يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف اهـ. قال الشيخ محمد قويسم : علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس تهادي بني شيبة لذلك قال لهم كلوا وعلى قياسه الفتوحات لصاحب الزاوية فانه ياكل منها اذا كان بالمعروف اهـ. من سمط اللال المجلة : هذا قياس مع عدم وجود العلة في الفرع فهو قياس مع وجد الفارق كالفرق بين المسجد والزاوية .

فهذه العمارة السابعة لم تتناول البيت الحرام كله بل جداره الشمالي الواقع بحجر اسماعيل وبه قبره وقبر امه هاجر على اشهر الاقوال - وقد اختلف المسلمون من بعد : افيترون الكعبة كما بناها الحجاج ام يعيدونها الى بناء ابن الزبير استنادا الى حديث عائشة ام المؤمنين حتى اذا تولى الخلافة هارون الرشيد سال مالكا في هدم الكعبة وردھا الى قواعد ابراهيم فقال مالک : يا امير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبا للبلوك لا يشاء احد ان يهدمها الا هدمها فتركها الرشيد كما هي عليه وبقيت هكذا محاطة بالاحلال والتعظيم من عامة المسلمين الى ان ابتلى الله الحرم الامين بعادية ابني طاهر القرمطي في وقفة عام ٣١٧ حيث اقتاع بضالته وطغيانه الحجر الاسود من موقعه واخذة عنده طمعا في تحويل وجهه الناس عن الكعبة الى بلدة الذي سماه دار البحر . وعمل سيفه في رقاب الحجاج الى ان هلك نحو ثلاثين الفا من الطائفين والعاكفين والركع السجود . ثم اعيد الحجر لمكانه بعد عشرين سنة ولكنه كان مهشما بسبب ما ناله من ضرب الدبوس حين القلع فمتنوة بسور من الفضة ما زالت محدقة به لهذا اليوم واتفق في سنة ٤١٤ لرجل زنديق ان تقدم يوم النفير الاول نحو الحجر الاسود كانه يريد تقبيله فلما بلغه ضربه بدبوس ضربا عنيفا وقال الى متي يعبد هذا الحجر الاسود فهجم عليه العامة وقتلوه جزاء وفاقا - ودام البيت الحرام بعد هذه الحادثة على حالة كماله واستقامته شؤنه واحواله لا يزيد المسلمون على ان يشدوا من بنائه غير ما يعتربه الوهن كما وقع في المائة السابعة ثم في زمن السلطان سليمان خان الاول حيث جدد سقف البيت لتداعيه بفتوى من شيخ الاسلام ابي السعود في سنة ٩٥٩ ثم اعيد تجديد بعضه مرة اخرى في سنة ١٠٢١ على عهد السلطان احمد خان الاول ولما كانت سنة ١٠٤٠ هطل بمكة مطر عظيم دام يومين كاملين ودخل السيل للكعبة فوهن بناؤها الذي انقضت عليه نحو العشرة قرون وسقط بعض جدرانها هنالك انزعج الناس وزلزلوا زلزالا شديدا وتشاوروا في امر الكعبة وما يصنعون بها وانعقد الاجماع على المبادأة بعمارها وترامى بنا الكعبة وما اصابها الى اتفاق الاسلام فشدوا اليها الرحال وكان في مقدمة الساعين لعمارها الامير محمد باشا الالباني والي مصر فوافد اليها المهندسين والمعلمين وباشر الجميع تجديد عمارتها على الوجه الاتم الاشمل فكانت هذه العمارة هي الثامنة والاخيرة وما حدث بعدها كان من قبيل الاصلاح المجرد كالذي اجرته والدة السلطان مصطفى خان الثاني سنة ١١٠٩ كما يستفاد ذلك من عبارة ايات منقوشة على باب التوبة بالحرم الامين وهذا اخر اصلاح حفظ ذكره التاريخ

ومن توابع البيت الحرام ميزاب الرحمة وهو من عمل الحجاج جعله من نحاس فعوضه السلطان سليمان خان باخر من الفضة الموشاة بالمينا الزرقاء تتخللها نقوش ذهبية وفي سنة ١٢٧٣ ارسل السلطان عبد المجيد خان للكعبة المشرقة ميزابا من الذهب وهو الموجود بها الآن واخذ الميزاب القديم لحفظه بدار الآثار المباركة بالاسنانة

بقي علي الامام بحديث كسوة الكعبة فقد اثبت التاريخ انها كانت مكسوة قبل الاسلام وقد تقدمت الاشارة لذلك فيما اسلفنا كما ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كساها الثياب اليمانية وبه اقتدى الخلفاء الراشدون فكسوها بالقباطي وعلى قياسهم جرى عمل بني امية حتى اذا عالت الخلافة لعبد الله المأمون كساها الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض في السابع والعشرين من رمضان والمأمون هو الذي جعل كسوها فرضا كل عام اللهم اجزل ثوابه . ولما كان زمن الناصر العباسي كساها السواد من الحرير وظلت كذلك الى هذا اليوم بيد ان الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون وقف على كسوة الكعبة ثلاث قري بالقليوبية من اعمال مصر وهذه الاوقاف عززها السلطان سليمان خان بمثلها في مديرية الشرقية بمصر ولا تزال هذه الكسوة المباركة تصنع في مصر حتى اليوم وترسل الى مكة المشرفة في المحمل المعروف ولم تتخلف هذه العادة المحمودة الا بضعة سنين في الازمنة القريبة لدواعي استثنائية اثارها خلاف سياسي بين حكومتي مصر والحجاز وبفضل الله وبركة نبيه المختار وحرمة البيت الحرام حصل التفاهم والتقارب بين الجانبين بعد ذلك فعادت المياه لمجاريها في سنة ١٣٥٥ ولقد نشرت الجرائد في السنة بعدها صورة ميزانية الحكومة المصرية فاذا بها مبلغ ست ءالاف جنيه مصرية لصنع كسوة الكعبة المشرفة وهذا المبلغ يتجاوز المليون ونصف مليون بحساب عملة الفرنك التونسي . والكسوة المتحدث عنها عبارة عن ثمانية اстар سود من نسيج الابريسم المختلط بالحرير موشاة بكلمة التوحيد مع حزام موشى بالذهب يجعلونه فوقها محيطا بالبيت وستر خاص بباب الكعبة وءاخر خاص بمقام ابراهيم ومن دخله كان ءامنا ونختم هذه النبة التاريخية بكلمة عبد المطلب : ان للبيت ربا يحميمه .

محمد بن الخوجة.

التاريخ المدرسي

اتصلنا من الالمعي النقيب الشيخ محمد الصادق عمار المحرز على شهادة الاهلية بجامع الزيتونة بكتابه (التاريخ المدرسي) الذي افه لتلامذة المدارس فالقيناها جزءا قد اشتمل على تاريخ صدر الاسلام افتتحه بمقدمات تضمنت الكلام على خلاصة من تاريخ العرب القديم . وسلك فيه طريقة حسنة في تلخيص الحوادث مع التمرينات المفيدة للتلامذة وخلاصات حسنة الجمع . وقد حلاله بامثلة متعددة تعين على الضبط . بأسلوب سهل التناول يستفيد منه المطالع ايما فائدة مع الاختصار المحمود ونحن نشني على همة مؤلفه الذي علمنا منه الطموح للمعالي ونعلم انه سيلقي تالفه هذا كل تشجيع وتقدير

تهليل بالبشرى جبين هلاله

من نظم الشاعر الكبير شيخ
الادباء الشيخ العربي الڪبادي

هو العام لاحت للعيون بشائره
تهليل بالبشرى جبين هلاله
أتى وغواني الانس حول ركابه
يقول لسان الحال منه لحائف
ولست كعام قد مضى في سبيله
ولكنني وافيتكم أحمل الهنا
وأمنّا على الارواح من كل حادث
بفضل تدابير الذين عليهم
فقد أبعدوا ما افزع الناس نزله
فنب يا أخا الادراك للانس وامتدح
علا قدره فوق النجوم شهامة
فلا شر إلا وهو طاويه رأفة
وكم من بيوت للصلاة تشيدت
وكل كسير قد أهيض جناحه
يرى واجب الاملاك أن يحرسوا الحمى
يدبر أمر الملك حتى إذا بدا
مخافة فوت أو لتعجيل نعمة
فيا من به تاهت أريكة تونس
أعدت بأعوام حكمت بحكمة
فمرت كأيام ولم يشعروا بها
وإن زمانا أنت بحر سماحه

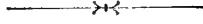
وطابت مجانيه وقاحت أزاهره
فما أحد الا تملاء ناظره
فيا حبذا أسماؤه وتماضره
تقلص ظل كنت قبل تحاذره
وبانت لاهل الحافقين مناكره
وعيشا سعيدا يشكر الله شاكره
به الطرف رعبا تستهل محاجره
لقد عقدت من ذا الزمان خناصره
برأي حصيف يقر الشر باقره
مليكا تجلت في الزمان مفاخره
وقد أدهشت لب الليب مئائره
ولا خير إلا وهو للناس ناشره
بتشييده والدين أثليج خاطره
فإحسانه عند الشدائد جابره
لذلك يقضي ليله وهو ساهره
له صالح يرضاه قام يبادره
ترقبها ذو حاجة لا تغادره
وقد بادرتها بالجميل بوادره
إلى أهل هذا القطر ما الصدق ذا كره
كطيف خيال مر بالطرف عابره
موارده محودة ومصادره

القت هذه القصيدة الغراء على مسامع الحضرة العلية دام عزها وعلاها في موكب راس العام
الهجري المنعقد بقصر حمام الانف العامر يوم الثلاثاء غرة المحرم سنة ١٣٥٨ جعله الله عام يمن واسباع
على المجالس على العرش الحسيني الرفيع العماد . وعلى كافة المسلمين

فعشرة أعوام لتسويجك انتقضت
 لذا طلب الاقوام أضعاف ضعفها
 تسابق أهل الشعر للمدح والدعا
 وقديمموا المدياع كي يبلغ الصدى
 ولست أبالي أن أقول بأنهم
 بأنك ملك آمر في ديارهم
 فأنت الذي صورت للناس صورة
 وأنت الذي أحيت للقطر مجده
 تجلت به تلك الشمائل فانبجست
 ومن عدلكم بين الرعية في القضا
 فزارته من كل الطوائف زمرة
 ليقبضوا من نوره الساطع الضيا
 فمن شكروا كان الثناء جزاءهم
 ففي الغرب قوم يلهجون بذكرك
 وما ذاك إلا من سماح مملك
 فلا قول إلا ما به فاه ناطقا
 أحدها العام وافتاك مقبلا
 فقد نلت ما لا يدرك العقل كنهه
 ولو كانت الأشجار أقلام كاتب
 وما أنبت هذي البسيطة كلها
 وحاول إحصاء الذي قد وهبته
 تجاوزت قدر المدح فخرا وسؤدا
 رزقنا بفضل الحب فيكم سعادة
 أقر لكم بالفضل كل موفق
 فدمتم لعرش الملك بدرا بأفقه
 ويهنيك عام سوف تطويه سالما
 إلى غاية الأزمان في حلة العلا
 فقد أخبر الاسعاد عنه بأنه

بها وصلت من كل مجد أواصرة
 إلى ملك جلت وطابت سرائره
 وما قصرت في ذا السيل شواعره
 إلى كل صقع يطلب الخبر ساهره
 يودون من قلب لكم سائرته
 تقودهم نحو الهدى وتتاصرره
 من المجد أحيت له هو باصره
 فلم يبق في الاقطار قطر يفاخره
 فضائله الغرا وراقت مناظره
 بواطنه طابت وطابت ظواهره
 ومن زين بالعرفان يكثر زائرته
 معارف جاءت للزمان تسائره
 ومن كفروا فالفضل ينمي كافرته
 وفي الشرق بالاعظام قد طار طائرته
 تعالت معاليه وطابت عناصره
 ولا شعر إلا ما به فاه شاعره
 تنزف لكم بالطيبات بشائره
 وسيقت لكم من كل خير نوادره
 وكانت بحار الارض طرا محابره
 مهارقه مصفوفة ودفاتره
 من الله اعياله من الفضل باهره
 ولو أنه عذب المقال وزاخره
 فكيف بمن تختاره وتعاشره
 وأكبركم من باهر المجد كابرته
 ومن رame بالكيد جدك قاهرته
 ومستقبلا من مثله ما يؤازره
 تصاحبكم من كل لطف عشائره
 أوائله محمودة وأواخره

المدينة دار الهجرة



المدينة المنورة إحدى ولايات الحجاز من العصر القديم وعاصمة المملكة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر أبي بكر وعمر وأول خلافة علي رضي الله عنهم وهي في شمالي مكة تبعد عنها بنحو ٥٠٠ ميلا

ولها أسماء متعددة بلغت حد الكثرة أوصلها بعضهم إلى نيف وتسعين اسما أشهرها قبل الهجرة يشرب كما حكاه القراءان عنهم في آية ! وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وأشهرها بعد الهجرة الشريفة - المدينة . وبذلك جاء في قوله تعالى : يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل

وقال الامام النووي لا يعرف في البلاد أكثر اسما منها ومن مكة، عمرها العرب من العهد القديم وربما لا نكون مصيبين اذا حاولنا ان نثبت تاريخ عمارتها بالضبط . وغاية ما يمكن البحث فيه هو معرفة القبائل التي أقامت فيها وتداولت عليها في مختلف العصور القديمة والحوادث التي حدثت فيها ومنه يمكن لنا ان ندرك على ضوء تلك الحوادث بعض الشيء عن تاريخها

يذكر النسابون من العرب أن نسب العرب عموما ينتهي إلى سام وهو أحد أولاد نوح عليه السلام الذين نجوا معه من الطوفان . ومنه انحدروا إلى أحيال وطبقات . ومن الجيل الاول بعد الطوفان عاد وثمود وطسم وحديث . وهذا الجيل انطمست آثاره وعميت اخباره الا النزر القليل الذي لا تمكن به للوصول إلى حقيقة تاريخية صحيحة عن حياة تلك الشعوب البائدة سوى ما قصه علينا القراءان من أمرها مما قصده القراءان من القصص مما دلنا على انهم قد كانت لهم حضارة ومدنية فعمروا المدن وسكنوا القصور واسسوا المصانع . وعاشوا عيشة الترف مما اشار اليه القراءان في آية إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . وآية : أتنبون بكل ربيع آية تبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين ونحو ذلك من الآيات .

وأما ما يذكره اصحاب التواريخ فلبحث فيه مجال وهو مع ذلك محاط بالغموض والاضطراب ولسنا الآن في مقام نقده وتمحيص الصحيح منه .

وأما الجيل الثاني فيشمل من أتى بعدهم ممن قرب من نسبهم كحمير وكهلان وأشعر وعمرو وعاملة وجهرهم والعمالقة

ومن هذا الجليل تنفتح لنا صحيفة من تاريخ العرب القدماء وان كانت لا تشفي غليلا لكنها تمكننا من الوصول الى بعض حقائق فيما نروم الوصول اليه من تاريخ المدينة فالمؤرخون كادوا يتفقون على أن جرهم والعمالة من السلالات العربية كانت منازلهم بأرض الحجاز. (١) واتصلت جرهم بأسماعيل عليه السلام وأقامت حولها منازلها لما تفجرت زمزم ثم استحکم الاتصال بعد المصاهرة وتزوج اسماعيل امرأة من جرهم (٢) ثم بالتالي بناء إبراهيم الكعبة وأذانه في الناس بالحج إليها، فأصبح الحرم وجواره منازل اسماعيل وأصهار اسماعيل وكانوا يقيمون بأعلى مكة، وقد جاورهم العمالة من بعد وأقاموا منازلهم بأسفلها، وكانت ولاية مكة بيد جرهم لمصاهرتهم وقرابتهم من مؤسس الحرم

وقد حدثت بين جرهم والعمالة حوادث وحروب انتهت بانجلاء العمالة وخروجهم من الحرم فذهب قوم نحو أرض الشام ومنها إلى مصر، ونزل قوم بمكان مدينة يشرب فاقاموا هنالك منازلهم. وقد ذكر ابن خلدون وغيره ان مؤسس المدينة. (يشرب بن مهائل) من العمالة ثم غزا هم بنو اسرائيل وانتزعوا ما كان تحت يد العمالة من البلاد كيشرب وخيبر واختلطت انسابهم ببقايا العماليق ومن يومئذ دخلت اليهودية الحجاز ومن أعقابهم بنو النضير وبنو قينقاع وقد زاحمهم في أرض يشرب قوم من الازد القحطانيين نزحوا من أرض اليمن مع من خرج منها ومنهم تفرعت قبيلتا الاوس والخزرج فهما من أصل قحطاني يعني، ولم يتجاسروا في أول امرهم على الإقامة داخل المدينة، ولما اشتد ساعدتهم وطاب لهم المقام أقفوا حياة المزارع كما سئموا من طغيان السكان الاصليين عليهم فحدثت بينهم حروب كانت بينهم سجالا واضطروهم لان يفسحوا لهم المجال ليسكنوا معهم كما اضطرو اليهود العماليق من قبل ان ينزلوا في ديارهم، والملك دائما لذي الشوكة منهما حتى سادت الاوس والخزرج عليهم.

وهذا البرواية التي جمعناها تشير الى ان تأسيس المدينة كان من الجيل الثاني من العماليق على الخصوص، وهنالك رواية تشير الى أن العماليق حافظوا على اتصالهم بالجيل الاول وأن شاعرهم يتغنى بمجد يشرب وأنها من أقدم بلاد العرب عمارة بل هم نزلوا بها قبل تاريخ عاد وتبع، وينقل الروايات عنه قوله

فلو نطقت يوما قباء لحبرت باننا نزلنا قبل عاد وتبع

وآطأ منا عالية مشمخرة تلوح قنعي من يعادي ويمنع

والذي نستخلصه بعد أن أهل المدينة عند الهجرة لم يكونوا من ولد اسماعيل وانما هم يرجعون

(١) وقد قطن العمالة أولا بتهامة ثم تفرقوا ونزل حي منهم بأرض الحجاز
(٢) يذكر غير واحد من المؤرخين أن اسماعيل تزوج من دعدة بنت مضاى سيد جرهم

الى أصلين أحدهما عربي قح من أصل قحطاني وهم الاوس والخزرج (١) كانوا في جاهلية وكان نزوحهم من اليمن والاصل الآخر اختلطت فيه الانساب من العرب والاسرائيليين فتولد عنه فرع عربي يدعى باليهودية. ثم يبقى لنا التحير بعد ذلك من جراء اختلاف الروايات المتقدمة فلو صحت رواية البيتين تكون المدينة قد خطت قبل مكة. فهي صريحة بان عمارتها كانت قبل نزول عاد (٢) واما الرواية الاولى فانها تقول ان العمالة (٣) عمروا يشرب بعد اجلاتهم من أرض مكة التي كانوا يقيمون بها. ومن هنا جاء التعارض وتعسر التوفيق.

يبقى النظر في تاريخ نزوح الاوس والخزرج اليها ذكر ابن هشام في السيرة أن عمرو بن عامر جد الاوس والخزرج - خرج من اليمن قبل سيل العرم. فيحدث عن أبي زيد الانصاري أن عمرا رأى جرذا يحفر في سد مأرب. فأدرك أنه لا بقاء للسد فتشاهم شرا واعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه ان يقوم اليه ابنه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به أبوه فقال عمرو : لا أقیم بلد لطم وجبي فيه أصغر ولدي. وعرض أمواله - أي للبيع - فقال أشراف من اشراف اليمن اغتتموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله. وانتقل في ولده وولد ولده. الى ان قال ابن هشام في روايته ونزلت الاوس والخزرج يشرب

ثم أرسل الله تعالى على السد سيل فهدمه ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : لقد كان لكم في سيا في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - والعرم السد ووحدته عرمة - وانشدوا لاعشى ميمون من قصيدة قال فيها :

وفي ذلك المؤتسي أسوة ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير إذا جاء موارة لم يرم
فأروى الزروع وأغناها على سعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا أيادي ما يقدرو ن منه على شرب طفل فطم

فهذه القصة تهيدنا أن أصل الاوس والخزرج نزحوا من اليمن قبل سيل العرم غير أنها لا تثبت لنا انهم نزحوا قبل سيل العرم لان عمرا وبنيه قصدوا بلد (عك) ونزلوا بها وجرت

(١) قيلتان سميتا باسمي جدتهما الاوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الازد بن القوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سباء. اهـ من المعارف لابن قتيبة. واهما قبيلة (٢) وهم من الجيل الاول (٣) وهم من الجيل الثاني

حروب ثم ارتحلوا عنها ونزلوا بالمدينة. ومنها جاء الغموض في تاريخ نزول الاوس والحزرج المدينة ايضا.

هذا وأن الاوس والحزرج لما استقر بأيديهم أمر المدينة وما حولها دخل بينهم التنافس وحدثت بينهم حروب اشهرها حرب بغاث التي دامت ردحاً من الزمن زادت في تشتت كلمتهم الى أن ظهر رسول الله بمكة ودعى للاسلام نفرا منهم وفدوا للحج سنة ثلاث قبل الهجرة وتمت بيعة العقبة الاولى ووعده خيرا قائلين لعل الله يجمع بك كلمتهم وقد تم ذلك وعقبها الثانية في السنة التي تليها والثالثة قبل الهجرة بشهر وبضعة ايام وهي البيعة الكبرى التي عقبها الاذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة فهاجر اليها باليمن والبركة

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض المدينة واستقبله أهلها عرج بهم الى قباء ونزل في بني عمرو بن عوف وأسس مسجد قباء وصلى فيه الجمعة. وقد اختلفت آراء العلماء في مشروعية الجمعة أكانت قبل الهجرة أم بعدها واستدل من يقول بالثاني بانه لم ينقل أن النبي صلاها في مكة ولا ان المهاجرين من أصحابه الى الحبشة صلوها هناك مع توفر الدواعي على النقل وقد نقلوا لنا صلاته بقاء واستدل من يقول بالاول ان آيتها مكية. ومسجد قباء هو أول مسجد أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم وليس هو أول مسجد أسس في الاسلام على الاطلاق بل سبقه المسجد الذي أقامه ابوبكر في فناء داره لما منعه قريش من الجهر بصلاته في الكعبة ودخل في جوار ابن الدغنة

ثم بعث صلى الله عليه وسلم الى أخواله من بني النجار فحضروا عنده بقاء واعلمهم بدخوله الى المدينة وسار على ناقته وأبوبكر ردفه وبني النجار حوله متقلدين سيفهم يترنمون بالاناشيد حتى دخل المدينة فلقية أهلها بكل فرح وإبتهاج وكلها مر على حي من أحياء المدينة عرض عليه أهل الحي أن ينزل عندهم ويلحون في الطلب ويمسكون زمام الناقة فيخاطبهم صلى الله عليه وسلم في رفق (دعوها فانها مأدونة) حتى بلغ الى حي بني النجار فبركت في مربد (١) تمر تجاه دار أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه فقال رسول الله (هذا ان شاء الله المنزل. اللهم انزلنا منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين) ودخل دار أبي أيوب وطاب له المقام. وتجلت مظاهر رأفته صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين حين عرض عليه أبو أيوب أن يصعد الطاق العلوي ويتخذ منزلاً له فاعتذر بحصول المشقة على أشباخ المسلمين الذين يفدون لزيارته. وذلك مصداق قوله تعالى : بالمؤمنين رؤوف رحيم.

ثم سأل صلى الله عليه وسلم عن مبرك الناقة ولمن هو فأعلموه انه لسهل وسهيل اليتيمين من ذوي قرابته فارس في طلبهما وساوهما فيه فقال الغلامان بل نهى لك يا رسول الله فأصر صلى الله عليه وسلم على رأيه الاول حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير. كما جاء في بعض الروايات - ثم أعلم صني الله عليه وسلم أصحابه بعزمه على بناء المسجد النبوي

المسجد النبوي

أسرع المهاجرون والانصار لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا وينقلون الحجارة واللبن وساهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في نقل الحجارة واللبن معهم . وذلك شانه صلى الله عليه وسلم يتقدمهم في كل أمر فيه إقامة صرح الاسلام وأقاموا أساسه من الحجارة وبنوا جدرانها باللبن وجعلت عمدة من جذوع النخل وسقفه من الجريد واتخذوا له ثلاثة أبواب ورحبة فسيحة ولم يتخذ له محراب وانما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلته أولا الى بيت المقدس وصلى الى هذه القبلة سبعة عشر شهرا . ثم تحول مستقبلا المسجد الحرام لما نزل عليه قوله تعالى : قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام . وكان مفتح أحد أبوابه الى الجهة الجنوبية . وقد سدد تحويل القبلة وفتح بدله باب يقابله في الجهة الشمالية وبقي حائط القبلة الاولى مكانا لاهل الصفة .

مساحة الحرم في عهد النبي

يروى لنا ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار عن خارجة بن زياد احد فقهاء المدينة السبعة انه قال . بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدة سبعين ذراعا في ستين ذراعا او ازيد . فلما كان عثمان زاد فيه . جعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين . وجعل ابوابه ستة كما كانت في زمن عمر . وامتدت الزيادة الى ان دخلت بيوت امهات المؤمنين فيه . ومنها حجرة عائشة وهي التي دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنهما فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي اليه العوام . ويؤدي الى المحذور الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من اتخاذ المساجد على القبور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين . حرفوهما حتى التقيا . كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر الشريف . ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها « لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي ان يتخذ مسجدا » . اهـ

ولم تكن بالمسجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مثذنة ولا في عهد الخلفاء بعده وانما كان يؤذن على اسطوانة بدار عبد الله بن عمر . وكان بلال رضي الله عنه يرتقي اليها على سبعة اقتاب (١)

تجديد عمارة المسجد وما دخله من الزيادات

أول ما احدث في المسجد الزيادة التي زادها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من فتح خيبر وذلك في مفتتح سنة سبع من الهجرة وكانت الزيادة من الجهات الثلاث الشرق والغرب والشمال فاصبح مربعا طول ضلعه مائة ذراع بعد ان كان مستطيلا طوله سبعون ذراعا وعرضه ستون

وثاني عمارة حدثت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فزاد فيه من الجهة الجنوبية نحو عشرة أذرع ومن الجهة الغربية عشرين ذراعاً ومن الشمالية عشرة أذرع . ودخلت في هذه الزيادة دار العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم

وزاد في ابوابه فصارت ستة بعد أن كانت ثلاثة باين في الجهة الشرقية ومثلها في الجهة الغربية ومثل ذلك من الجهة الشمالية ، وكانت هذه العمارة من نحو سابقها في البناء والسقوف والعمد وثالث عمارة كانت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فزاد فيه من الجهات الأربع فشملت هذه الزيادة الجهة القبليّة وتغير بذلك جدار القبلة

واستقر الامر على هذه الزيادة التي من جهة القبلة فلم يطرأ عليها تغيير بعد ذلك وجعل عمدة من الحجارة التي ادخل فيها عمدا من الحديد المسلح بالرصاص وجعل سقفه من ساج ، وجعل ابوابه ستة كما هي بعد عمارة عمر .

واتخذ عثمان مقصورة صغيرة على مصلاة في المسجد من لبن وفي حائطها كوة ينظر الناس منها الى الامام وجعل ارضها مرتفعة عن سطح المسجد نحو ذراعين

روي البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيًا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابوبكر شيئا . وزاد فيه عمر وبنّا على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد . واعاد عمده خشبا . ثم غير عثمان . فزاد فيه زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج .

ورابع عمارة كانت في عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الرابع الاموي أشرف عليها عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز ودامت عمارة المسجد من سنة ٨٨ هـ الى سنة ٩١ هـ فزاد من جهاته الثلاث الشمالية والشرقية والغربية وأدخل في المسجد حجر أمهات المؤمنين التي كانت في جنوبي المسجد وشماله واقطع جزءا من حجرة عائشة رضي الله عنها أدخل في المسجد ايضا من جهة الروضة الشريفة وأقام بناء على الحجرة الشريفة وجعل بناءة مخمساً ليغير شكل الكعبة الشريفة .

وأقام جدرانها بالحجارة واتخذ له أعمدة من الحجارة المسلحة بالحديد والرصاص . وزخرف حيطانه بالفسيفساء والمرمر واتخذ سقفه من لوح الساج وحلاه بالذهب الوهاج كما نقشت اطراف أساطينه المشدود عليها السقف بالذهب أيضا ، وأحدث له أربعة مآذن في زواياها الأربعة ثم هدمت احداها وبقي ثلاثة فجاءت هذه العمارة آتية في الفن المعماري ، بيد أنها أخرجت المسجد عن بساطته التي كان عليها من عهد تأسيسه . وذلك تابع للعصر الذي عليه الناس في حياتهم فتلك مظاهرهم التي ما كانوا يعنون بها مثل عنايتهم بأقامة هيكل الاسلام وهذه مظاهر تمت بعد أن تفتحت أمام المسلمين زخارف

الحياة الدنيا. وإذا كان المرء يرى في حياته الخاصة ومنزله وسائر عمارات بلده أنها بلغت شأواً عظيماً في الزخرف والتنميق يعيب على نفسه إذا كان معبده الذي هو أعز شيء عنده لم تشمل يد العناية وهذه قضية عامة في سائر العصور وعلى اختلاف الأمم وسنة متبعة لا يأتيتها التبديل ما دام الإنسان انساناً وقد أصبح أهل الآثار يستدلون على حضارة الأمة برسوم عماراتها فنظر الناس إلى الحياة يختلف وبحسب هذا الاختلاف في الانظار يأتي الاختلاف في النظريات. ومن هنا نعلم كيف سكنت عمر بعد أن أنكر على معاوية ما ألقاه عليه من العظمة الملكية لما أحياه معاوية بذلك الجواب الذي لا يصدر إلا من مثل معاوية القائد العظيم والسياسي المحنك : إنا في أرض عهد فيها الناس مثل هذه الحياة . ولا تستقيم دولة إذا لم تكن لها مثل هذه المظاهر . فأدرك الخليفة ما يشير إليه معاوية . وتحرى رضي الله عنه كعادته في جوابه قائلاً : لا أمرك ولا أناك . ومن هنا نعلم كيف فهم الخليفة وعامله الاسلام . وبعد انظارهم في الحياة العامة وإلى أي مدى يلزم أن يرمي المسلمون في تكوين حياتهم الخاصة والعامة أما من لا يمعن النظر فيذكر قصة إبان بن عثمان مع خليفة المسلمين الوليد الأموي . لما حضر إلى المدينة عام تمام عمارة المسجد فدخل المسجد وأعجب به وأخذ ينظر إلى جدرانه وسقفه وقوشه وجبل شكله حتى إذا ما أتم النظر التفت إلى إبان بن عثمان وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟

فقال إبان : بنيانا بناء المساجد . وبنيتموه بناء الكنائس .

فهذا الجواب نتناوله من أوجه متعددة . أولاً هو جواب واعظ علم من حال مخاطبه أن نفسه ربما دخلها شيء يلزم أن تذكر حتى تتطهر منه

ثانياً أن هذا التناول أمر لا يقره الاسلام فجاء الجواب على أبلغ أسلوب في الرد

ثالثاً أن المقام المحمود الذي يغبط عليه المرء إذا كان عمله منزهاً من الرياء والتفاخر وإلا أصبح المباح محذوراً في حقه ولذا كان الجواب فيه رمز إلى سوء المصير

رابعاً أن إبان قايى بين النظر الذي نظره الخليفة عثمان عند ما عزم على العمارة والنظر الذي نظره هذا الخليفة . ذلك كان الباعث له على العمارة مصلحة المسلمين لما رأي أن المسجد لم يبق يسع أهل المدينة فعمره وأدخل عليه من التحسينات ما لم يكن موجوداً فيه في أيامه الأولى لكن ذلك لم يغير من مقصده العظيم . وهذا كان الباعث له فيما ظهر لإبان هو التنميق والأتان بشيء لم يأت به أصحاب الرسول . فقبج إبان صنيعه وأنه لم يبلغ مدى أحدهم أو نصيفه

خامساً أن إبان ربما أنكر على الوليد مبالغته في التنميق بالذهب الذي ما جعل في رأيه ليصرف في مثل ذلك . وإنه سن ستة لو أتعت ربما تؤدي لضعف الدولة إذا لم تقدر الأمور حق قدرها . وبالفعل قد وقع ذلك وبذل الذهب الوهاج في تزويق القصور عوض إقامة الحصون . أما اتقان العمارة بالأوجه التي تبلغ إليها الأمة من الحضارة فلا احسب أنه مما يستحق الجدل .

وان كثر فيه النزاع . ويكفي في الحجة على صحته ما قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يعأ بمن رأى خلاف رأيه بعد ما استوثق من أهل الشورى فيما اقدم عليه

زيادات العباسيين

وخامس عمارة كانت في عهد الخليفة العباسي المهدي بدأ البناء سنة ١٦١ هـ . وكان الفراغ منه سنة ١٦٥ هـ . فزاد فيه من الجهة الشمالية فقط وجدد المقصورة من ساج ونزل بارضها حتى استوت مع سطح أرض المسجد

سادس عمارة كانت بأمر الخليفة المأمون سنة ٢٠٢ هـ واتقن بناءه ونقش على رخامة جعلت على احد جدرانها (وهذا ما امر به عبد الله المأمون) في كلام كثير يطول بنا اثباته . وفي سنة ٧٦٦ هـ احدث الناصر لدين الله بصحن المسجد غرفة اقام عليها قبة لتحفظ بها الذخائر والآثار التي بالمسجد وفي ليلة الجمعة اول رمضان من سنة ٦٥٤ هـ . ترك احد السدنة مصباحا بالمسجد موقودا فسقطت منه جذوة نار التهمت ما وقعت عليه وامتدت النار الى جميع المسجد . وقد حاول اهل المدينة اطفاء الحريق فطغى عليهم . وكان ذلك في خلافة المستعصم بالله . فامر الخليفة بترميم ما تصدع من بنيات المسجد وارسل من بغداد العمال وهي سابع عمار وقد شارك فيها الملك المنظر صاحب اليمن

عمارات المسجد في عهد ملوك مصر

ولما صار أمر الحرمين بأشارة ملوك مصر كانت عمارة المسجد تابعة للدولة المصرية وفي سنة ٧٠٥ هـ أمر الملك الناصر بن قلاوون بتجديد سقف رحبة المسجد من الجهة الشرقية والغربية ولم يمس المسجد وأحدثت له مأذنة رابعة . وفي سنة ٧٢٩ هـ . زاد هذا الملك رواقين وضعهما للرواق القبلي مما يلي صحن المسجد . وأصلح ما لحقهما من الخلل في عهد الاشرف سنة ٨٣١ هـ وجدد في سنة ٨٥٣ هـ سقف الروضة وبعض سقف أخرى تداعت للسقوط

وهذه الإصلاحات كلها لم تحدث تغييرا في المسجد ولذا جمعناها ولم نعدا عمارة مستقلة وثامن عمارة كانت في سنة ٨٧٩ هـ شملت قسما عظيما من جدر المسجد وعمدة وسقفه وماذنه وذلك بأشارة ملك مصر قايتباي

وتاسع عمارة كانت سنة ٨٨٦ هـ بأمر ملك مصر الاشرف قايتباي وشمل هذا الترميم غالب المسجد وأحدث قبة على سطح الحجرة النبوية . وزاد مأذنة خامسة وجاءت عمارته في هذه المرة على ابدع صورة في الاتقان والزخرفة

عمارات المسجد في عهد السلاطين من آل عثمان

ولما آلت الخلافة الى آل عثمان شملت رعاية سلاطينهم الميامين الحرمين الشريفين فكانت عاشر عمارة هي التي قام بها السلطان سليم في سنة ٩٨٠ هـ وأحدث قبة غربي المنبر النبوي .

وحادي عشر عمارة قام بها السلطان محمود في سنة ١٢٣٣ أقام فيها القبة الشريفة
وثاني عشر عمارة قام بها السلطان عبد المجيد بدئت في سنة ١٢٦٥ هـ وانتهت في سنة ١٢٧٧ وقد
شملت غالب المسجد وأدخلوا عليه من الزخرف الشيء الكثير حتى عدت هذه العمارة افخر عمارة في
تاريخ المسجد النبوي الشريف . وكتب على جدرانه آيات من سورة الفتح واسماء الله الحسنى واسماء
النبي واييات من قصيدة البردة كانت غاية في الفن والجمال .

وبقي المسجد على هذه العمارة الى اليوم سوى بعض اصلاحات شملت المحراب الاصلي والمحرام
الذي اقامه السلطان سليمان فرمعا في عام ١٣٣٦ هـ كما رمت ارض المسجد في عهد الحكومة السعودية
القائمة الآن بشؤون الحرمين الشريفين وذلك عام ١٣٤٧ . وفي هذه السنوات الاخيرة علمنا ان
الحكومة المصرية جادة في احداث اصلاحات في هذا العهد الاخير . وقد اجملت الكلام على عمارات
المسجد النبوي لان استقصاء جميع ما حدث واستحدث فيه لا يسعه مقال

افضيلة مسجد الرسول

اخرج البخاري وغيره من اصحاب السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : صلاة في مسجدي
هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال الامام النووي وبمقتضى هذا الحديث
ينبغي للبصلي ان يعتني بالمحافظة على الصلاة فيما كان في زمانه صلى الله عليه وسلم فان الحديث انما
يتناول ما كان في زمانه . لانه هو الذي حصلت الاشارة اليه وقال الامام العيني لا شك ان جميع المسجد
الموجود الآن يسمى مسجدا صلى الله عليه وسلم وقد اتفقت الاشارة على شيء واحد فلم تلغ التسمية
فتحصل المضاعفة المذكورة في الحديث فيما زيد فيه

فانت ترى ان النووي عمل بالاشارة والعيني عمل بالتسمية كأن وجه ما ذكره النووي انه جعل
الاشارة لخصوص البقعة الموجودة يومئذ فلم تدخل فيها الزيادة ولا بد في دخولها من دليل . وقد يجب
بان ذكر الاشارة ليس لتخصيص البقعة بل لدفع ان يتوهم غير المسجد المسمى من بقية المساجد التي
تنسب اليه صلى الله عليه وسلم والله اعلم

المنبر النبوي

اول ما خطب صلى الله عليه وسلم في المسجد لم يستند على شيء . ثم أخذ جذعا يعتمد عليه اذا
طال به المقام . ثم أخذ له منبر من الطرف له درجات ثلاث فخطب عليه صلى الله عليه وسلم . وقد
جاءت الروايات في كتب الصحيح ان الجذع حن الى رسول الله لما تنحنى عنه حتى وضع صلى الله عليه
وسلم يده الشريفة فسكن وقد روي انه دفن بالمسجد بين المصلى والمنبر

وخطب على منبر الرسول أبو بكر وعمر وعثمان وكساء عثمان بالثياب ثم خطب عليه علي . وفي خلافة
معاوية زاد فيه مروان عامله على المدينة ست درجات من اسفله . وكان الخطباء يقفون على السابعة وهي

أولى درجات المنبر النبوي وجدده المظفر ملك اليمن لما اشتعلت النار في المسجد عام ٦٥٤ . ثم غير بمنبر ارسله الظاهر بيبرس ملك مصر عام ٦٥٦ . ثم استبدل بمنبر ارسله الظاهر بن قوق سنة ٧٩٧ . ثم استبدل بمنبر ارسله المؤيد عام ٨٢٠ واحترق هذا في عام ٨٨٦ فاقام أهل المدينة منبرا مكانه من الآخر . ثم غير هذا بمنبر من الرخام بعث به قايتباي عام ٨٨٨

ولما ألت الخلافة الى آل عثمان أرسل السلطان مراد منبرا من الرخام عام ٩٩٨ وأمر بالاول فقل الى مسجد قباء . ولهذا المنبر باب واثنتا عشرة درجة ثلاث منها خارج بابه وتسع داخله . وقد جاء آية في الابداع ليس له نظير حتى عد من اعاجيب الفن المعماري

المساحة التي كانت بين مصلى

الرسول والمنبر والقبر

واذا علمنا ان مسجد الرسول لم يكن فيه محراب في عهد الرسول وانما اتخذ صلى الله عليه وسلم امام الحائط الذي من جهة القبلة مصلى له يقف فيه عند ما يؤم المسلمين . وكان في أول تأسيس المسجد جعل جذعا من النخل يعتلي عليه عند الخطبة . ثم اتخذ له منبر . وجعل المنبر في موضع يبعد على مصلاة باربعة عشر ذراعا وشبرا . ثم لما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ودفن بحجرة عائشة رضي الله عنها . صار ما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسين ذراعا وشبرا وهي الروضة

مساجد المدينة في صدر الاسلام

روى ابو داود والدارقطني من طريق بكير : ان مساجد المدينة تسعة سوى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . كلهم يصلون بأذان بلال وهذا نعلم ان مساجد المدينة تعددت من عهده صلى الله عليه وسلم . غير انهم يجتمعون في مسجد الرسول لصلاة الجمعة . ولا تقام في غيره

بيوت النبي في المدينة

قال في مسالك الابصار عن السهلي : كانت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تسعة بعضها من حجارة مرصومة بعضها على بعض . وبعضها من جريد مطين بالطين وسقف جميعها من الجريداه وروى الحافظ الذهبي ان اول بيت اتخذ (صلى الله عليه وسلم) في المدينة لزوجه سودة . ولما بنى بعائشة رضي الله عنها في شوال سنة اثنتين للهجرة اتخذ لها حجرة . واحسب ان بقية الحجرات بناها في اوقات مختلفة والله اعلم اهـ .

وروى ان بيتا سودة وعائشة كاتما بجانب المسجد من الجهة الشرقية . واما بيوت بقية امهات المؤمنين فانها أقيمت في جانبي المسجد مفصولة عنه بطريق

وروى البخاري في تاريخه ان باب بيته صلى الله عليه وسلم كان يقرع بالاطافير يعني انه لم يتخذ له حلق .

ولاية عهد المملكة

لما اجاب داعي ربه المنعم المبرور رفيع الشان سيدي محمود العادل باي ولي عهد المملكة التونسية قدس الله روحه اسندت ولاية العهد الحليمة الى سمو المرفع شانہ الراسخ على دعائم العز بنيانه الامير سيدي محمد الطاهر باي في موكب عظيم حضره رفقاء الشأن الامراء الكرام والوزراء الفخام ورجال البلاط الملوكي حسب التقاليد الموروثة في البيت الحسيني الرفيع العماد. فتقلد الحطة الحليمة من يد سيدنا ومولانا الامير الحليل ابقاه الله كما انعم عليه برتبة امير الامراء ووشح صدره الكريم بشريط عهد الامان والمجلة ترفع على كاهل الاحترام تهانيا الى سمو ولي عهد المملكة الحليل وتدعوه بدوام العز والهناء في كنف ورعاية الحضرة العلية الشامخة دام لها العز والتأييد

ثم دخلت هذه الحجر التي كرمها الله وشرفها برسوله ونزول الوحي في عموم المسجد في زيادة الوليد فكتب لها الفضل أولا وآخرا ،

فصل المدينة

ان الله تعالى لما اذن لرسوله بالهجرة من مكة استبدله حرما آمنا مكنه فيه من ارسال نور النبوة الى العالم . وقد منح سبحانه من الفضائل والمزايا مدينة الرسول بمثل ما منح جده ابراهيم في مكة فكما جعل من عهد ابراهيم مكة حرما آمنا كذلك جعل المدينة حرما آمنا اخرج البخاري في صحيحه من طرق متعددة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : المدينة حرم من كذا الى كذا

لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث . من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وفي رواية ابي هريرة قال : حرم ما بين لابتي المدينة على لساني

والاحاديث الدالة على فضل المدينة لا يسعنا الآن ذكرها فقطصر على ما اوردنا . ونختم كلمتنا بما قال القاضي عياض في مدينة الرسول : وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل . وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت عرساتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر . مدارس آيات ومساجد جماعات وصلوات . ومشاعر المسلمين . ومواقف سيد المرسلين . ومتبواً خاتم النبيين ، حيث انفجر لحن النبوة . وابن فاض عباها . ومواطن مهبط الرسالة ، واول أرض مس جلد المصطفى تراها - ان تعظم عرساتها ، وتنتهم فحاحاتها . وتقبل ربوعها وجدرانها

بجاءك من ربك

خطبة منبرية

الهجرة

بقلم الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة الخطيب
بجامع مصطفى حمزة بالمهدية

الحمد لله الذي اذن لرسوله بالهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة دار الامن والسلام
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اذن بالهجرة انتصارا لدينه واحتفاظا بالحق ان يضع بين
اعداء الدين اللثام . واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله استجاب لامر ربه فبشر وانذر وقام
بما موريته احسن قيام . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه السادة الاعلام وسلم
تسليما كثيرا . ايها الاخوان يحتفل المسلمون في هذا الشهر المبارك بالهجرة المحمدية . في جميع الاقطار
الاسلامية . فلا يكاد يظهر شهر الله المحرم حتى ترى الامة الاسلامية تحركت لاجاء لياليه بصنوف
العبادات وعمران المساجد بالاذكار والصلوات . وكرام الفقراء واغاثة المعوزين وبذل الصدقات كل
ذلك لادخال السرور على نفوس المسلمين بطلعة هذا الرسول الامين . الذي اتقذ العالم من الشرك
والجور والظلم والعدوان المبين . وسلك باهله مسلك السعادة فكان النصر حليفه وحليف المؤمنين
(هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) جادلوه
بالباطل فاقعهم بقوة الحق . رغبوه في زينة الحياة . من ملك ومال وجمال فاعرض عن غيهم ولم يركن
الى قولهم . فلما يسوا منه عمدوا الى ابدائه ومقاطعته وقتله وكادوا يفعلون لولا ان عين الله ترمق ما
يكيدون . والله يكتب ما يبيتون . (واذ يمكر بك الذين كفروا ليشتبكوا بقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين) ما كان الله ليدع نبيه صلى الله عليه وسلم فريسة لمن طغى وظلم وجار
واعتدى فابوحى اليه بان بعد العدة للهجرة من مكة الى المدينة . ولا يخفاكم يا عباد الله ان هجرة النبي
صلى الله عليه وسلم وصحبه لم تكن هينة عليهم ولم ياجتئهم اليها الا المحافظة على العقيدة والدين . ولولا
ذلك ما كانوا من مكة مهاجرين . ولا عنها راحلين . ولغيرها متحولين . وهب من السهل على النفس يا
عباد الله هجرة مسقط الرأس والرحيل عن البلد الذي درج المرء فيه ايام صغره وطابت له الحياة فيه
ايام كبره الى بلد ليس له بوطن . وليس له فيه اهل ولا ختن . وهناك في طيبة غرس نور الايمان . فامر
غرسه وتم نور الله في جميع الاكوان . وفي ليلة الهجرة نام علي في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابوبكر الصديق رضي الله عنه وله من العمر ثلاث
وخمسون سنة فسارا قاصدين غار ثور وهو على خمسة اميال من مكة ولكن شبان قريش كانوا في تلك
البلدة عازمين على قتل النبي صلى الله عليه وسلم حتى انهم تسلقوا الحدار ليهبطوا الى الدار ولكن منعهم
من ذلك صراخ النساء فرجعوا وتربصوا وما كان اشد دهشتهم حين رأوا علي بن ابي طالب يخرج
من البيت واذا به هو النائم فسألوه ابن محمد ابن محمد فاجابهم بلا ادري ! فكان الجواب كالصاعقة
عليهم . فتناجوا ماذا يعملون وقالوا من بات برأس محمد فله مائة من الابل . ففرق غالبيهم يبحثون عنه
نحو يومين . ثم رجعوا بخفي خنين . وقد ورد ان الله القدير سخر العنكبوت فكانت تسج على باب
الغار . الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابوبكر الصديق ذلك البطل المغوار . والفارس الكرار .
حتى انهم لما مروا على الغار يفتشون عنه قال بعضهم لبعض هذا الغار اقدم من ميلاد عيسى عليه السلام
وفي ذلك يقول بعض الشعراء مفضلا العنكبوت على دود الحرير

ودود القزائف نسجت حريرا ويحمل لبسه في كل شيء

فان العنكبوت اجل منها بما نسجت على غار النبيء

وبعد ثلاثة ايام خرجا من الغار ووليا وجههما نحو المدينة المنورة وبينهما هما في الطريق ظهر فارس خلعهم، ذلك الفارس هو سراقه بن مالك فخاف ابوبكر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره الى السماء يدعو ربه ليحفظهما من الذي اتى، فساخت اقدام الفرس وكادت الارض تبتلع سراقه وفرسه فاستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فرحمه النبيء وهو الرؤف الرحيم، وعاهده ان يعود الى مكة ويضلل المشركين، فدعاه النبيء صلى الله عليه وسلم وبشرة بانه سيكون من المسلمين

وقد حقق الله خبر النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم سراقه وحسن اسلامه وكان له شان يذكر في عهد عمر بن الخطاب امير المؤمنين وبعد مضي اثني عشر يوما ظهر نور المصطفى وبان وانتشر الخبر في كل مكان وقد وصلا الى المدينة المنورة بنضل الله آمينين سالمين تلحظهما العناية الالهية ويتفتان بالكرامة الربانية فخرج الرجال والنساء والاطفال لرؤية الحبيب وللدلالة على التكريم والترحيب فعم الفرخ المدينة كلها وغسها النور وحسدها جميع البلدان لانه شرف ارضها سيدنا محمد سيد الكوان وكان النساء يرددن الشيد الذي بلغ عنان السماء

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

واستقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار هجرته عشر سنوات كلها حافلة بجلال الاعمال مزدهرة بفعل الاصحاب الابطال ثم بعد ذلك شرع في الغزوات ولم يعبض الاثمان سنين حتى فتحت مكة وطهرت من الشرك والضلال المبين وفي السنة العاشرة من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ومعه مائة الف من اصحابه الذين ورثوا الملك من بعده بالايمان والنيات على المبدأ واليقين لا بالمسكنة والتكالب على لذات الحياة وهدم شعائر الدين (ولقد كُتبتنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغ لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)

عباد الله ان كنتم تريدون عزا في بلادكم وهناء في عيشكم وسعادة في الحياتين فعليكم بالمحافظة على دينكم فقد تجلى لكم في هذه الخطبة ما قاساه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من اذى المشركين حتى اضطر ان يخرج من بلده وبلد ابائه واجداده منذ العهد القديم كل ذلك ليحافظ على دين الله القويم فنهيا لمن حفظ نفسه من الحرام ووصل رحمه وواسى الفقراء والايتام واعان المسكويين واغاث الملهوفين .

فأيا من اادم ما يجب عليك لربك واهلك وامتك تتل اجر العاملين وكن ممن يغسل ذنبه بدمعه ولا تكن من الغافلين وفكر فيما رواه البخاري ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دني يا رسول الله على عمل اعمله يدينني من الجنة ويباعدني من النار فقال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل ذارحمك فلما ادبر الرجل قال صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما امر به دخل الجنة .

وفقنا الله جميعا لطاعته وشعلنا بلطفه وعقوة وهدانا لما فيه رشدنا وجعل هذه السنة فاتحة خير لجميع المسلمين انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير الا ان احسن ما تششف به اذان المؤمنين كلام مولانا رب العالمين (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) الا تتصروا فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (سورة التوبة)

النبوغ التونسي

اهدى الينا الحكيم العبقري السيد الصادق الملولي اطروحته التي قدمها للجمع الطبي بباريز ونال عليها الاستحسان التام والاجازة في مباشرة هاته المهنة الشريفة وبعد الاطلاع على ترجمتها وجدنا الحكيم تناول البحث في اطروحته عن انتشار مرض الزهري بالبلاد التونسية وقد اشتملت على جزءين مهمين . اما الجزء الاول فقد تكلم فيه على هذا المرض من الوجهة الطبية فذكر تاريخ هذا المرض المخيف وكيفية انتشاره بالبلاد التونسية ثم بين طرق مقاومة هذا المرض وما اعدته الحكومة لتخفيف وطأته وختم كلامه في هذا القسم بوجوب تكثير المستشفيات وتنظيم مصحات عديدة داخل المملكة حتى لا يفتك هذا الداء العضال بسكان المملكة . واما الجزء الثاني فتكلم فيه الحكيم على هذا المرض من الوجهة الاجتماعية مبينا ان اسباب تفشي هذا المرض الشقاء والتعاسة المخيمان على بعض الطبقات بسبب الفقر المحيط بها اذ الغالب في غذاء الفقير ولباسه ومسكنه لا تراعى فيها الوسائل الصحية وكل هذا مدعاة لانتشار هذا المرض المخيف . ثم تفشي الجهل بين غالب الطبقات الذي من نتائجه عدم معرفة اوجه التوقي من الامراض ثم ختم اطروحته بذكر الوسائل التي يجب اتخاذها لوقاية الامة التونسية من هذا الداء الفتاك فابدى نظريات قيمة وآراء صائبة مما دل على غزير علمه وكامل عقله وورقي فكره وفي حياته العلمية ما يجعل الآمال في نفع بلاده تعلق عليه

والحكيم الملولي من بيت ماجد عرف والده الشيخ محمد الملولي في الاوساط الزيتونية بالعفة والاخلاص للعلم كما عرف في الاوساط التجارية بمساهمته في الحركة الاقتصادية باوفر نصيف وقد نشأ الحكيم في احضان العفة والمروءة وبعد ما أتم تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه سافر للديار الفرنسية وانخرط في مدارسها الثانوية حتى حصل على شهادة البكلوريا ثم انضم للكلية الطبية بباريز فدرس فن الطب بهمة لا تعرف الملل وعزم ثابت لم يعثره كلل فكان محل اعجاب اساتذته وأقرانه ثم شارك في مناظرة تخوله مباشرة المرضى بالمستشفيات وتسمى (بالاكسترن) وهي تستدعي مجبودا خاصا ومعلومات زائدة فحاز قصب السبق فيها واهلته للدخول الى غالب مستشفيات بباريز فكرع من حياضها ورجع الى وطنه مملوء الوطاب بعد ما نال لقب حكيم . والمجلة تهنيء الحكيم وعائلته الماجدة بهذا النجاح الباهر وتسمى له التوفيق والسداد في اعماله حتى يعم نفعه جميع بني وطنه فيستفيدون من مواهب هذا الحكيم النطاسي البارع كما تتمنى لشبابنا التونسي المتحفز للكمال النسيج على منواله في سائر ابواب المعرفة لترفع تونس رأسها بن الامم مفخرة بانبائها النابغين ورجالها العاملين

جدول الخطأ والصواب

صواب	خطأ	بسطر	صحيفة
تشتت	تشتت	١٣	٨٨
فصدع	فصدع	١٦	٨٨
ظاهراً	ظاهراً	٢٤	٨٩
وفي ذلك اشارة	وفي ذلك من الاشارة	٢٣	٩١
حجيم	حجيم	٧	٩٢
يما	يما	١٨	٩٣
حتى اذا بلغ	حتى بلغ	٣	٩٦
فخرج	أخرج	٦	٩٦
الهجرة	الهيئة		٩٧
اسلام	سلام	٣	٩٧
الجمعة	الجمعة	١٧	٩٧
الزواج	الزواج	٢٠	٩٧
النيفير	النيفير	١٤	١٠٤
بعد	بمد	٢٧	١٠٥
لبنى	امة لبني	٢١	١٠٥
بأحد	بيدر	٢٤	١٠٥
يعنى	يعني	٢٧	١٠٦
تقيصة	تقصية	١٦	١٠٧
دبروة	درة	٤	١٠٨
جانب	جالب	٩	١١٦
دنا	دنى	٣	١٢٣
إذا	إذا	٧	١١٨
به	له	١٤	١١٨
غيها	عيا	٢٤	١٣٠
وأذوا	وأذوا	٢٠	١٣٠
مدحا	مدح	٢٥	١٣٠
التعويل	التعديل	٢٤	١٣٦
ألقيت	القت	٢٥	١٤٣
بن	ابن	٢٧	١٤٧
ذاك	ذلك	١٨	١٤٣
استقر	ستقر	٣	١٤٨
النبوة	النبوة	١٢	١٥٥
	لح	٢٣	١٥٥
فضل	فصل	١١	١٥٥

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصايرها المبادئ الإسلامية
شهرية وستة عشر شهرا

المجلد الثالث

تونس - في صفر الخير ١٣٥٨ - افريل ١٩٣٩

الجزء الرابع

صاحب المجلة والمدير:

بجمل الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثانى بجامع حمودة باشا

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادرارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير .

محمد المنحاز بن محمود

المفتي الحنفى
بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الصحيفة	المقال	صاحبه
١٦٠	تفسير آي من سورة البقرة	بقلم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
١٦٤	باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير	« المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي
١٧٣	الوقف في الاسلام	« صاحب الفضيلة شيخ الاسلام الحنفي الشيخ محمد بن يوسف
١٧٧	التعاضد المتين	« العلامة الشيخ محمد الحجوي
١٨٠	تاريخ القضاء الشرعي	« العلامة المؤرخ امير الامراء السيد محمد ابن الحوجة
١٨٤	بعثة خير الدين باشا الى الاستانة	« المبرز في الحقوق الاستاذ محمد صالح مزالي
١٨٩	إحيال في الادب العربي	« الاستاذ احمد المختار الوزير
١٩٤	معارضات قصيدة عامر ابن هشام
١٩٤	معارضة الشيخ الورغي
١٩٥	معارضة الوزير ابن ابي الصيف
١٩٧	معارضة الشيخ الباجي المسعودي
١٩٩	الخطوط الكوفية وادوارها بالقيروان ...	« العالم الشيخ محمد طراد
٢٠٠	بحوث تونسية	« موظف فرنسي كبير
٢٠٤	حول البحوث التونسية	« مدرس كبير

الاشتراك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
 في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
 يخضع الربع للسلامة
 وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
 معضاة من امين المال
 محمد الهادي بن القاضي
 والمخازن المالية لا تكون الا معه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها الجمعية التونسية للدراسات الإسلامية
شهرية وسنتها عشرة أشهر

الجزء الرابع	تونس - في صفر الحير ١٣٥٨ - أفريل ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	---------------------------------------	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاسبي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الإدارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن ميمون

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الإدارة

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

من تفسير العلامة الهمام الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

أولئك على هدى من ربهم - الإشارة الى المتقين الذين اجري عليهم من الصفات ما تقدم والاصل في الإشارة ان تعود الى ذات مشاهدة معينة الا ان العرب قد يخرجون بها عن الاصل فتعود الى ذات مستحضرة من الكلام بعد ان يجري من صفاتها واحوالها ما ينزلها منزلة الحاضر في ذهن المتكلم والسامع فان السامع اذا وعى تلك الصفات وكانت مهمة في بابها او غريبة في خير او ضده تاقت نفسه الى مشاهدة الموصوفين بها فيلوح المتكلم الى انه علم توقان نفس السامع لمشاهدة المتحدث عنه فيحاول احضاره له ويتخيل انه احضره حتى انه يشير اليه فيسمى بتلك الإشارة الى انه لا اوضح في تشخصه ولا اغنى في مشاهدته من تعرف تلك الصفات فتكفي الإشارة اليها ونظيرة في غير باب الإشارة قول الشاعر : (واني من القوم الذين هم هم)

اي الذين يخبر عنهم بنفس اسمهم المخبر عنه هذا اصل الاستعمال في ايراد الإشارة بعد ذكر صفات مع عدم حضور المشار اليه ثم انهم قد يتبعون اسم الإشارة الوارد بعد تلك الاوصاف بأحكام فيدل ذلك على ان منشأ تلك الاحكام هو تلك الصفات المتقدمة على اسم الإشارة لانها لما كانت هي طريق الاستحضار بالإشارة لاهل تلك الصفات قامت الصفات مقام الذوات المشار اليها فكما ان الاحكام الواردة بعد اسماء الذوات تفيد انها ثابتة للمسميات فكذلك الاحكام الواردة بعد ما هو للصفات تفيد انها ثبتت للصفات فقوله اولئك على هدى من ربهم بمنزلة ان تقول ان تلك الاوصاف هي سبب تمكنهم من هدى ربهم اياهم ونظيرة قول حاتم الطائي

وله صعلوك يساور همه ويمضي على الاحداث والدرم مقمدا

فتى طلبات لا يرى الحمص ترحة ولا شعبة انت نالها عد مغنما
الى ان قال :

فذلك انت يهلك فحسنى ثنائة وان عاشى لم يقعد ضعيفا مذمما (١)

ف قوله اولئك على هدى ، جملة مستأنفة وهذا التقدير اظهر معنى وانسب بلاغة واسعد باستعمال اسم الاشارة في مثل هاته المواضع لانه اظهر في كون الاشارة لقصد التنويه بتلك الصفات المشار اليها ولما يرد بعد اسم الاشارة من الحكم الناشيء عنها وهذا لا يحصل الا بجعل اسم الاشارة مبتدأ اول في صدر جملة استئناف .

وقوله على هدى من ربه ، تمثيل لحالهم بأن شبهت هيئة تمكّنهم من الهدى وثباتهم عليه والسير في طريق الخيرات بهيئة الراكب في الاعلاء على المركوب والتمكّن من تصرفه والقدرة على اراضته فشبهت حالتهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيها ضمينا دلت عليه كلمة على المفيدة للاستعلاء لان الاستعلاء اقوى انواع تمكّن شيء من شيء ووجه دلالتها على انت المستعلى عليه مركوب دون ان يكون كرسيا او مسطية مثلا لان ذلك هو الذي تسبق اليه افهامهم عند سماع ما يدل على الاستعلاء اذ المركوب هو اكثر انواع استعلائهم فهو الحاضر في اذهانهم ولذلك نراهم حين يصرحون بالمشبه به او يرمزون اليه ما يذكرون الا المركوب وعلاقته فيقولون جعل الغواية مركبا وامطى الجمل وفي المقامات وربما اقتعد غارب الاغتراب وركب متن عمياء ويخط خط عشواء قال النابغة يهجو عامر ابن الطفيل الغنوي

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

فتكون كلمة « على » هنا بعض المركب الدال على الهيئة المشبه بها على وجه الایجاز والتقدير أولئك على مطية الهدى فهي تمثيلية تصريحية الا ان المصرح به بعض المركب الدال لا جميعه وانما نكر هدى ولم يعرف باللام لمساواة التعريف التذكير هنا اذ لو عرف لكان التعريف تعريف الجنس فرجح التنكير تمهيدا لوصفه بانه من عند ربه ولان التنكير يفيد بالقرينة في مقام المدح انه ما يراى منه الافراد ولا النوعية فتعين قصد التعظيم على حد قول ابن خراش الهذلي (٢)

(١) الصعلوك بضم الصاد اصله الفقير ويطلق على المتلصص لانت الفقر بدعوة الى التلصص لانهم ما كانوا يرضون باكتساب بنافي الشجاعة ويكسب المذلة كالسرقة والسؤال فحاتم يمدح الصعلوك الذي لا يقتصر على التلصص بل يكون بشجاعته عدة لقومه عند الحاجة

(٢) ابو خراش بكسر الحاء اسمه خويلد بن مرة الهذلي والخراس سمة تجعل للبعير فهو مخروش كان هذا الشاعر فارسا عداء يعدو على قدميه فيسبق الخيل ، ادرك الجاهلية واسلم وله صحة وتوفى في زمن عمر رضي الله عنه ، والبيت من ابيات رثى بها خالد بن زهير الهذلي من سادة هذيل . وقوله فلا . قسم وهو تأكيد كانه يقول لا اقسم ثم يقسم ايذانا بعظم شان المقسم به وان الجالف به يخشى

فلا وإني الطير المربة في الضحى على خالد لقد وقعت على لحم

اي على لحم عظيم بقرينة المدح

واولئك هم المفلحون - مرجع الاشارة الثانية عين مرجع الاولى ووجه تكرير اسم الاشارة التنبيه على ان كلتا الاثنتين جدرة بالاعتناء والتنويه فلا تذكر احدهما تبعا للاخرى بل تخصص بجملة واشارة خاصة ليكون اشتهارهم بذلك اشتهارا بكلتا الجملتين وانهم ممن يقال فيه كلا القولين وقوله هم المفلحون - الضمير للفصل والتعريف في المفلحون للجنس وهو الاظهر اذ لا مَعُود هنا بحسب ظاهر الحال بل المقصود افادة ان هؤلاء مفلحون وتعريف المسند بلام الجنس اذا حمل على مسند اليه معرف افاد الاختصاص فيكون ضمير الفصل لمجرد تأكيد النسبة اي تأكيد الاختصاص والفلاح الفوز وصالح الحال فيكون في احوال الدنيا واحوال الآخرة والمراد به في اصطلاح الدين الفوز بالنجاة من العذاب في الآخرة والفعل منه افلح اي صار ذا فلاح وانما اشتق منه الفعل بواسطة الهمة الدالة على الصيرورة لانه لا يقع حدثا قائما بالذات بل هو جنس تحف افراده بمن قدرت له - قال في الكشف انظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريرة وتعريف المفلحين وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين اولئك ليصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا

(ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) هذا انتقال من الثناء على هذا الكتاب ووصف هديه واثر ذلك الهدي في الذين اهتدوا به والثناء عليهم الراجع الى الثناء على الكتاب لان كمال الثناء انما يظهر اذا تحققت اثار الصفة التي استحق بها الثناء ولما كان الضد بالضد يقدر انتقال للكلام على حال الذين لم يحصل لهم الاهتداء فعلى عليهم حالهم وسجل ان حرمانهم من الاهتداء بهديه انما كان من تلقاء انفسهم اذ نبوا بها عن ذلك فما كانوا من الذين يفكرون في عاقبة امورهم ويحذرون

الحث فهم بان لا يحلف . ولفظ الاب هنا مقحم على عاداتهم في تعظيم المحلوف به ان يقولوا بابيك لانه حلف به وبابيه في المعنى . والمربة اللقمة من لرب بالمكان اقام وقوله وقعت خطاب للطير وهو التفات وفي البيت تنويه باليت اذ حلف بالطير الذي اكلت لحمه لان ذلك اكسبها عظمة وشرافا ودليل على عظم شأنه انه تردد في الحلف بطيرة ثم حلف بابيها وهذه الرواية في البيت في غاية البلاغة ونقل عن الزمخشري انه كان اذا انشد يقول ما افصحك يايت المربة . وذكر التفتازاني في شرح الكشف ان الموجود في ديوان الهذليين برواية اخرى وهي

لعمر إني الطير المربة بالضحى على . خالد لقد عكفن على لحم
على ان لعمر إني قسم الشاعر بابيه والطير مرفوع مبتدأ وخبره قوله عكفن الخ وهو من العكوف وهو الملازمة ولا يخفى ان هاته الرواية تفتت معنى كمال التعظيم الثابت للبرني بمدح الطير الأكلة للحمة على ان في هاته الرواية تكرير غير حسن وهو الجمع بين المربة وعكفن وبعضهم يذكر في لفظ الآية هنا وجوها فاسدة .

سوء العواقب فلم يكونوا من المتقين وكان سواء عندهم الانذار وعدمه فلم يتلقوا الانذار بالتأمل بل كان سواء والعدم عندهم وقد قرن في هذه الآيات فريقان فريق صمم على الكفر والعناد والمراد بهم هنا المشركون كما هو غالب اصطلاح القرءان في لفظ الذين كفروا وفريق اظهر الايمان خداعا وهم المناقون المشار اليهم بقوله تعالى ومن الناس من يقول ءامنا بالله . وانما قطعت هاته الجملة عن التي قبلها لان بينهما كمال الانقطاع اذ الجملة السابقة لذكر الهدى والمهتدين وهذه لذكر الضالين فيبينها كمال الانقطاع لاجل التضاد وصدرت الجملة بان التي من شأنها التأكيد ورد الشك اما لمجرد الاهتمام بالخبر من غير قصد الى دفع شك لان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللأمة وهو خطاب انفس بحيث لم يسبق شك في وقوعه . ومحبي ان للاهتمام كثير في الكلام وهو في القرءان كثير وقد تكون ان هنا لرد الشك على اصلها بتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لان حرص النبي على هداية الكافرين تجعله يطمع في نفع الانذار لهم وحاله كحال من شك في نفع الانذار اولان السامعين من المسلمين لما اجري على الكتاب الثناء ببلوغ الدرجة القصوى في الهداية يطمعون ان تؤثر هدايته في الكافرين المعرضين فجعلوا كالذين يشكون في ان يكون الانذار وعدمه سواء فاخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ونزل غير الشاك منزلة الشاك . والكفر بالضم اخفاء النعمة وبالفتح الستر مطلقا وهو مشتق من كفر اذا ستر ولما كان انكار الخالق وانكار كماله وانكار ما جاءت به رسله ضربا من كفران نعمته اطلق عليه اسم الكفر وغلب استعماله في هذا المعنى والموصول ياتي لما تاتي له اللام فاما ان يكون هنا لتعريف العهد مرادا منه قوم معهودون كابني جهل والوليد بن المغيرة وهذا بعيد لعدم انحصارهم واما ان يكون لتعريف الجنس اي جنس من ثبت له الكفر على ان المراد من الكفر ابلغ انواعه بقرينة مقابلته بالذين يؤمنون بالغيب والذين يؤمنون بما انزل فالمراد كافرون عرفوا بالمكابرة في الكفر والدوام عليه حتي صار الكفر هو حالتهم التي لا يعرفون الا بها فجعل صلة للموصول لتعريف بهم فيكون الفعل قد افاد قوة الكفر ولا بدع في ذلك اذ الفعل لما كان مدلوله نكرة كان صالحا لان يراد به ما يراد بالتذكير والحاصل انه ليس المراد من قوله الذين كفروا هنا ما اريد منه في نحو قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ونحو قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين ءامنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه . لان من اولئك من انتقل من الكفر الى الاسلام بعد ان كان اشد الناس على المسلمين مثل ابي سفيان . وقوله سواء عليهم آذنتهم ام لم تنذرهم . سواء فيه اسم بمعنى الاستواء فهو اسم مصدر دل على ذلك لزوم افرادة وتذكيره مع اختلاف موصوفاته وخبراته فاذا اخبر به او وصف كان ذلك كالمصدر في ان المراد به معنى اسم الفاعل لقصد المبالغة . وقد قيل ان سواء اسم بمعنى المثل فيكون التزام افرادة وتذكيره لان المثلية لا تتعدد وان تعدد موصوفها تقول هم رجال سواء لزيد بمعنى مثل لزيد . وانما عي سواء بعلى هنا وفي غير موضع ولم يعلق بعند ونحوها للاشارة الى تمكن الاستواء عند المتكلم وانه لا مصرف له عنه ولا تردد له فيه (لا يؤمنون) الاظهر ان هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى الجملة التي قبلها وهي سواء عليهم آذنتهم الخ مستانفة ولذلك فصلت وليست تأكيدا للجملة الاولى ولا يانا ولا بدلا ولا حالا من ضمير عليهم ولا خبر لان وان قيل بجميع ذلك .

الحديث الشريف

« باب » ما ينهى عن التحاسد والتدابير

وقوله تعالى : ومن شر حاسد اذا حسد (من صحيح البخاري)

حدثنا ابو اليمان اخبرنا سعيد عن الزهري قال حدثني انس ابن مالك رضي الله عنه ان رسول صلى الله عليه وسلم قال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ❁

قد تقرر في الشريعة المطهرة حث الشارع على جلب المودة بين المسلمين وتالف أرواحهم وقلوبهم على الوجه اللين كما اشار الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وقد بين الشارع ما يحفظ هذا البنيان وما يفضي به الى التداعي والامتهان ومن أعظم الاصول المتكفلة بهذا الغرض هذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا. الحديث، والتباغض تفاعل من البغض وهو خلاف المحبة وأصل التفاعل أن يكون بين اثنين وقد يكون من واحد كما تقرر في العربية وهو المراد هنا في الافعال الثلاثة، والتدابير كما في شرح مسلم للنووي المعادة وقيل المقاطعة كما في العمدة وقال إمام دار الهجرة : لا أحسب التدابير الا الاعراض عن السلام يدبر عنه بوجهه، والتحاسد من الحسد وهو كما فسر الغزالي في الاحياء كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه اه، قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثامن والخمسين بعد المائتين : والحسد حسدان احدهما تمنى زوال النعمة وتحولها للحاسد، ثانيهما تمنى زوال النعمة من غير طلب حصولها للحاسد وهو شر الحسدين لانه طلب المفسدة الصرفة من غير معارض عادي ولا طبعي . وهو حرام بالكتاب والسنة والاجماع، فاما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى : أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، وقوله سبحانه وتعالى : ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض، أي لا تتمنوا زواله لان قرينة النبي دلت على حذف المضاف، وأما السنة فحديث الباب وغيره، وأما الاجماع فقد أجمعت الامة على تحريمه اه، ومن أدلة تحريمه في التنزيل قوله جل عظمته : ومن شر حاسد اذا حسد، قال القاضي

❁ هذا درس من دروس ختم الحديث الشريف التي كان قام بها العلامة المقدس الشيخ الشاذلي ابن القاضي بجامع حمودة باشا المرادي

البيضاوي وتبعه مفتي السلطنة أبو السعود في التفسير معنى قوله سبحانه وتعالى : اذا حسد، إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً. قال الشهاب القنوي في حواشيه، أوله بما ذكر ليندفع اشكال في الآية وهو ان قوله سبحانه وتعالى اذا حسد، مع قوله ومن شر حاسد، خال عن الفائدة بحسب الظاهر وحاصل الدفع ان فائدة التقييد بهي ان ضرر الحسد قبل اظهار الحاسد ايلاً إنما يحيق بالحاسد لان الحاسد يحصل له الغم في الدنيا بسرور المحسود اه. وهل يأثم بذلك حتى يستحق العقاب ؟ قال الغزالي في الاحياء هو محل اجتهد فقد ذهب ذاهبون الى أنه لا يأثم بمجرد محبة زوال النعمة عن المحسود اذا لم يظهر الحسد على جوارحه قال والاطهر انه اذا لم يظهر الحسد على جوارحه فأما مع فعل للقلب هو ميله عن تلك المحبة ومقت نفسه عايتها بمحض العقل حتى يود أنه تكون له حيلة في إزالة تلك المحبة أولاً فان كان الاول فهو معفو عنه قطعاً لانه لا يدخل تحت الاختيار أكثر من ذلك وإن كان الثاني فالظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة تلك المحبة وضعفها. نعم هذا النوع ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل معصية بينه وبين الله سبحانه وتعالى، والدليل على هذا ظواهر الآيات والاحبار قال سبحانه وتعالى : ان تمسككم حسنة تسؤهم، وقال سبحانه وتعالى : ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء، ومن الاخبار حديث الباب وغيره فانها تدل بظواهرها على أن كل حاسد آثم ويبعد من حيث المعنى أن يعفى عن العبد في إرادته مساءة مسلم واشتمال قلبه على ذلك من غير ميل قلبه عن تلك الارادة وكراهته لها اه. قلت لعل ما ذهب اليه القوم مبني على ما هو المقرر في الاصول والكلام من أنه لا تكليف إلا بفعل ومجرد المحبة المذكورة من غير انضمام شيء آخر اليها من الافعال ليس بفعل المكلف لانها من الامور الباطنية الراجعة الى الكيفيات النفسانية ولا تكليف بها من حيث هي وما ذهب اليه الغزالي مبني على ذلك أيضاً الا ان الاثم المترتب ليس على مجرد تلك المحبة المذكورة بل على ترك فعل النفس وهو ميل قلبه عن تلك المحبة وهو فعل من أفعال النفس ولما لم يفعل ذلك فقد ترك ما هو مطلوب منه وبتركه ذلك كان آثماً. وسياق لهذا زيادة تحرير إن شاء الله تعالى، وعلى هذا فيحصل التوفيق ويكون الخلاف لفظياً فان قلت معنى قوله جل جلاله ومن شر حاسد إذا حسد مستفاد من قوله سبحانه وتعالى أول السورة من شر ما خلق فانه عام في كل ما يستعاذ منه فما فائدة الاستعاذة بعده من الحسد ؟ قلت الفائدة كما ذكره الرازي في التفسير هي التنبيه على أن الحسد من أعظم أنواع الشرور اه. ويؤيده ما نقله صاحب روح البيان عن الحسين بن الفضل رحمه الله تعالى أن الله سبحانه وتعالى ذكر الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخطر الطبائع كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما اه. ولاجل خبثه قال الغزالي هو من الامراض القلبية ولا دواء لها الا العلم والعمل فاما العلم النافع في ذلك فهو أن يعرف الحاسد أن الحسد ضرر عليه في الدين والدنيا وانه لا ضرر على المحسود في الدين والدنيا بل ينتفع به فيما

ومهما عرف الحاسد ذلك فارق الحسد، أما كونه ضررا عليه في الدين فان فيه كراهة نعمة الله التي قسمها بين عباده وعدم نصيحتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم كافي البخاري: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. وأما كونه ضررا عليه في الدنيا فان الحاسد يتألم بحسده ويتعذب به. وأما انه لا ضرر على المحسود في الدين والدنيا فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسد الحاسد بل ما قدره الله سبحانه وتعالى فلا بد وان يدوم الى اجل معلوم. وأما انه ينتفع به فيما فواضح ايضا. أما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهة الحاسد. وأما منفعته في الدنيا فهو ان اهم غرضه ان يرى حاسده معذبا بعذاب الحسد لا عذاب اعظم من عذابه. وأما العمل فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول او فعل فينبغي ان يكلف نفسه تقيضه فان بعثه الحسد على القدر في المحسود كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان بعثه على كف الانعام عليه كلف نفسه الزيادة في الانعام عليه وهكذا ثم ان الحسد يقابله الغبطة قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثامن والخمسين بعد المائتين الغبطة تعني حصول مثل نعمة الغير من غير تعرض لطلب زوالها عن صاحبها وهي مباحة لعدم تعلقها بمفسدة البتة وقد يعبر عنها بلفظ الحسد قال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل والنهار. أي لا غبطة الا في هاتين اه فان قلت ما قرره الشهاب القرافي من ان الغبطة مباحة فقط حيث اقتصر عليه مع ان المقام للبيان ينافية ما قرره الغزالي في الاحياء من انها تكون واجبة ومندوبة ومباحة فاما الواجبة ففيما اذا كانت نعمة الغير دينية واجبة كالصلاة والزكاة ونحوهما فانه يجب عليه ان يمتنى مثلها لنفسه حتى يكون مثل ذلك الغير لانه اذا لم يحب ذلك يكون راضيا بالمعصية وذلك حرام. وأما المندوبة ففيما اذا كانت نعمة الغير دينية غير واجبة كفضائل الاعمال من انفاق المال في المكارم والصدقات وأما المباحة ففيما اذا كانت نعمة الغير نعمة يتنعم بها على وجه مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته له والحقوق به في النعمة وليس فيه كراهة تلك النعمة اه قلت لا تنافي بينهما لان الشهاب القرافي لم يرد بالاباحة التخيير بين الفعل والتترك الذي هو احد معنيين للاباحة بل اراد بالاباحة الاذن وعدم الحرج في الفعل وهو المعنى الثاني لها كما قرره هو بنفسه في شرح المحصول قال: وهو شامل للواجب والمندوب والمباح بالمعنى الاول والمكروه. قرره ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات حيث قال: المباح يطلق باطلاقين من حيث هو مخير فيه بين الفعل والتترك ومن حيث يقال لا حرج فيه اه. وقوله صلى الله عليه وسلم لا تباعضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا. نهي عن التباغض والتحاسد والتدابير وليس المراد خصوص التفاعل كما تقدم وقد تقرر في الاصول ان النهي عن الشيء يقتضي عدم حسنه بمعنى ان المنهي عنه متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا بحكم الشارع وعدم الحسن على قسمين اما لذاته وضعا كالظلم وهو التعدي على الغير من غير وجه شرعي ومن هذا القسم المنهي عنه في التباغض

والتدابير والتحاسد فان المنهي عنه في التباغض والتدابير ما يسبقهما من الاهواء المضلة الموجهة لهما والمنهي عنه في التحاسد ما يترتب عليه من البغي والظلم بالجوارح كما باقي تحريره او شرعا كبيع الحر فان الشرع جعل محل البيع المال المتقوم حال العقد لتحصل الفائدة والحر ليس بمال وحكم هذا القسم بفردية عدم المشروعية مطلقا لا بأصله ولا بوصفه وهو البطلان كما تقرر في الاصول . واما لغيره بمعنى ان عدم حسنه لامر خارج عنه وهذا الامر الخارج اما وصف لازم كالبيع بالشرط الذي لا يقتضيه العقد فان النهي عنه لامر خارج وهو ما فارق العقد من الشرط وهو وصف لازم له لا ينفك عنه ومن هذا النوع النهي عن جميع الافعال الشرعية الخالي عن القرينة الدالة على ان النهي عنه لعدم الحسن لذاته او لغيره والمقرون بالقرينة الدالة على ان النهي عنه لعدم الحسن لغيره وحكمه عدم المشروعية بوصفه والمشروعية باصله وهو الفساد عندنا . واما مجاور كالصلاة في الارض المغصوبة فان النهي عنها لامر خارج مجاور لها وهو شغل المكان من حيث انه تعد على ملك المغصوب منه وهو ليس بوصف لازم بل يمكن اشكائه بان ياذن ملكه له في الحال او ينتقل اليه ملك الارض في الحال بهبة ونحوها وحكم هذا النوع الكراهة التحريمية اجماعا بيننا وبين الشافعية كما صرح به صدر الشريعة في التوضيح . وخالفونا فيما قبله فقالوا ان النهي عن الافعال الشرعية يقتضي عدم الحسن لذاته وحكمه عدم المشروعية مطلقا لا باصله ولا بوصفه وهو البطلان . وخالفت الحنابلة في الجميع فقالوا ان النهي عن الشرعيات للوصف او للمجاور يقتضي عدم الحسن لذاته وحكمه عدم المشروعية مطلقا لا باصله ولا بوصفه وهو البطلان وبناء على ما تقرر فنحن قلنا بصحة اصل العقد الذي فيه شرط لا يقتضيه العقد دون وصفه ويترتب عليه انه اذا قبض المشتري المعقود عليه ملكه لصحة اصل العقد لتوفر اركانه من العاقدين والمعقود عليه وشروط انعقاده من الاهلية ونحوها فكان اصل العقد سالما لا فساد فيه الا ان ملكه له ليس مباحا شرعا حتى انه يلزم كل واحد من متعاقديه فسخه ما دام لم يتعذر الفسخ والقاضي اذا اطلع عليه فسخه ما لم يتعذر أيضا أما إذا تعذر بأن وقفه وقفا صحيحا أو وهبه وسله للهو هو ب له فإنه يلزم العقد ويتقرر الملك الاصلي ويلزمه التوبة لارتكابه عدم المباح . وقالت الشافعية والحنابلة بفساد أصل العقد ووصفه حتى إن المشتري إذا قبضه لم يملكه أصلا ضرورة أن ملكه له إنما هو بالعقد ولا عقد أصلا فلا يترتب عليه الملك فلا ينفذ شيء من تصرفات المشتري فيه . ولما خالفت الحنابلة في مسألة المجاور أيضا قالوا ببطلان الصلاة في الارض المغصوبة وبطلان الوضوء بالماء المغصوب على ما نقله شهاب الدين القرافي في الفرق السبعين بناء على ان النهي عندهم يعتمد المفسد في أصل الماهية فمهما ورد نهي من الشارع أبطلوا ذلك التصرف سواء كان من العبادات أو المعاملات لفساد نفس الماهية المنهي عنها فكانت معدومة شرعا فلا تترتب آثارها . استدلت الحنفية بدليلين كما في مختصر ابن الحاجب الاصولي أحدهما

ان النهي لو لم يدل على الصحة لكان المنهي عنه غير الشرعي. قال العضد في بيانه واللازم باطل أما الملازمة فلان المنهي عنه إذا لم يكن صحيحا لم يكن شرعيا معتبرا لان الشرعي المعتبر هو الصحيح وأما بطلان اللازم أعني كون المنهي عنه غير الشرعي فلانا نعلم ان المنهي عنه في صوم يوم النحر والصلاة في الاوقات المكروهة انما هو الصوم والصلاة الشرعيين لا الامساك والدعاء وأجاب عنه ابن الحاجب في المختصر بمنع ان الشرعي هو المعتبر شرعا. قال العضد بل الشرعي هو ما يسميه الشارع بذلك الاسم وهو الصورة المعينة سواء كانت صحيحة أو لا كما يقال صلاة صحيحة وصلاة فاسدة والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة أيام اقراءك. وصلاة الحائض لا تصح أصلا لا بأصلها ولا بوصفها اتفاقا اه قال الفاضل الاهري في حواشي العضد وحاصل الجواب ان الحنفية ان أرادوا بالشرعي المعتبر شرعا كما وقع التقييد به في الاستدلال فالملازمة صحيحة وقولهم اللازم باطل ممنوع فانا نلتزم ان المنهي عنه غير المعتبر شرعا وإنما هو ما يسميه الشارع بذلك الاسم سواء كان معتبرا أم لا وإن أرادوا بالشرعي ما يسميه الشارع بذلك الاسم سواء كان صحيحا أو لا فالملازمة ممنوعة لانه لا يلزم من كون النهي لا يدل على صحة أصل المنهي عنه أن يكون المنهي عنه غير الذي يسميه الشارع بالاسم المعين اه وأجاب عن المنع المذكور المحقق الفنري في فصول البدائع بأن المراد بالشرعي هو المعتبر شرعا ولا يصح إرادة المعنى الآخر حتى يقع منع طلالن اللازم والدليل عليه انه لو كان المراد بالشرعي ما يسميه الشارع بالاسم المعين سواء كان صحيحا أو لا لكان المنهي عنه هو مجرد الصورة مطلقا فيكون مجرد الصورة هو المعتبر في الثواب بقصد اجتنابه والعقاب بارتكابه. وليس كذلك قطعنا لان الصورة بدون شرائطها كصورة الصلاة بدون النية واستقبال القبلة وغيرهما وكصورة البيع بدون شرائط انعقاده من أهلية المتعاقدين ونحوه عبث لا يترتب عليه ثواب ذلك الفعل المعد له شرعا ولا عقابه لان مفسدة النهي انما هي في الاتيان بالمقيد ببقوده المعتبرة فيه لا بمجرد صورته وإلا لزم أن يكون كل أحد مثابا بترك صور المناهي وإن لم تتعقد أسبابها وشرائط انعقادها وليس كذلك أجماعا فتعين أن المنهي عنه في الافعال الشرعية هو الشرعي المعتبر لا ما يسمى به مطلقا. وما استدل اليه العضد من الحديث حيث دل على أن المنهي عنه فيه ليس بصحيح لا بأصله ولا بوصفه اجماعا لا يدل له لان النهي هنا مجاز عن النفي اه قال السيد الشريف في حواشي التلويح للدليل الذي دل على ذلك وهو اشتراط الطهارة عن الحيض وغيره في الصلاة الثابت بالنص على وفق القياس والكلام في النهي إذا كان على حقيقته فلم يكن عدم صحة الاصل والوصف من حيث كونه نهيًا عن امر شرعي بل من حيث كونه نهيًا له وهو معنى النسخ ومثله قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء والنهي عن بيع المضامين والملاقيح وما كان نحو ذلك

ثانيهما ان المنهي عنه لو لم يكن صحيحا لكان ممتعا فلا يمنع عنه لان المنع عن الممتنع عبث وهو

محال قال سعد الدين التفتازاني في التلويح وتحقيقه ان المنهي عنه يجب ان يكون ممكن الوجود متصوره بحيث لو اقدم عليه يوجد حتى يكون العبد مبتلى بين ان يقدم على الفعل فيعاقب وبين أن يكف عنه قصدا فيثاب فيكون كل من الاتيان والترك مضافا الى اختياره ولولم يكن ممكنا لكان عدم وقوع المنهي عنه لعدم امكانه وامتناعه في نفسه لا لامتناع العبد عنه باختياره فلا يثاب عليه لان النهي حينئذ يصير نسخا وهو غير النسخ فان النسخ لبيان ان الفعل لم يبق متصور الوجود شرعا كالتوجه الى بيت المقدس ونحوه واذا قلنا انه ممتنع شرعا فوجود النهي عنه مع كونه ممتنعا شرعا عبث وهو محال، واجاب عنه ابن الحاجب في المختصر بمنع كونه عبثا وتقصيله كما في العبد ان النهي لا يكون عبثا مع القول بانه ممتنع الوقوع الا لو كان امتناعه بغير النهي كما قالوا في تحصيل الحاصل انه اذا كان حاصلا بهذا التحصيل لم يكن عبثا كذلك هنا نقول ان امتناعه بهذا المنع فلا يكون عبثا، واجاب عن المنع المذكور السيد الشريف في حواشي التلويح بان القول بذلك ينفي الاختيار ويعدم الابتلاء لانه اذا كان ممتنعا فهذا النهي لا يكون وجوده في المستقبل متصورا شرعا اذ تصوره الشرعي لا يكون الا بمشروعيته واذا فانت مشروعيته امتنع وجوده الشرعي لا محالة فبطل الاختيار وسقط الابتلاء فعاد على موضوعه بالقض لان النهي ابتلاء واختيار كالامر، واجاب عن الاستدلال المذكور الامام الغزالي في المستصفى بتسليم انه لا بد من امكان المنهي عنه بعد النهي لكن نمنع انه لا بد من الامكان الشرعي بل الامكان اللغوي كاف، وكون المأمورات مثل الصلاة والصوم والبيع مستعملة في معانيها الشرعية والمنهيات في المعاني اللغوية فانما ذلك للعرف الطاري بين اهل الشرع في المأمورات وما وجدنا ذلك العرف في المنهيات فبقيت على معانيها اللغوية اه واجاب عنه صدر الشريعة في التوضيح بان امكان المعنى اللغوي لا يكفي بل لا بد من امكان المعنى الشرعي لان المعنى اللغوي الذي هو مجرد القول مثلا في البيع وهو بيع واشترت من غير اعتبار الربط الشرعي بينهما المحصل لمعنى شرعي وهو البيع الذي يترتب عليه اثره من الملك ونحوه لا يوجب المفسدة التي نهى عن الفعل لاجلها فان المعنى اللغوي لا فساد فيه حتى ينهى عنه، قال في التلويح ونحن نقطع بان الخائض انما نهى عما سماه الشارع صوما وصلاة لا عن نفس الامساك والدعاء اه

وقال المحقق ملا خسرو في مرآت الاصول : والمتعارف ان كل فعل نهى عنه فانما يعتبر امكانه بالنظر الى ما ينسب اليه من المحس والعقل والشرع فاذا كان الناهي الشارع وجب ان يكون المنهي عنه شرعا فوجب امكانه شرعا حتى لا يعد عبثا اه

واستدل الشافعية رضي الله عنهم بدليلين احدهما ان المنهي عنه لو كان صحيحا لكان مشروعا واللازم باطل لان اقل درجات المشروعية الاباحة وهي منتفية اجماعا بيننا وبينكم لعدم صحة اجتماعها مع النهي ضرورة ان المنهي عنه حرام فلا يكون مباحا فلا يكون مشروعا فالقول بانه صحيح غير مشروع جمع بين متناقضين، واجاب عنه اصحابنا كصدر الشريعة وغيره بانهم ان ارادوا انه يلزم من

القول بصحة اصل النهي عنه القول بمشرعية الاصل والوصف فالملازمة ممنوعة لانه لا يلزم من كون اصل الماهية صحيحا ان يكون هو ووصفه مشروعين وان ارادوا انه يلزم من صحة الاصل مشروعيته فقط لا مشروعيته ووصفه فالملازمة مسلية وبطلان اللازم ممنوع لان الذي قلنا بصحته اصله والذي قلنا بعدم مشروعيته وعدم اباحته وصفه فلا تنافي بين القول بالصحة والقول بعدم المشروعية لعدم تواردهما على محل واحد، وقال صدر الشريعة فنحن نقول بصحته لا باباحته والاثار من الملك ونحوه مترتب على الصحة اه قال المحقق منلا خسرو في مرآة الاصول : والمشروعات تحتمل هذا المعنى كالاحرام فان المحرم اذا أفسد حجه قبل الوقوف بعرفة يفسد احرامه ويجب عليه المضي في اعمال الحج حتى لو ارتكب بعد ذلك محظورا يجب عليه الجزاء وهو دليل بقاء المشروعية والا لما وجب عليه الجزاء ويجب عليه القضاء من قابل وهو دليل الفساد والا لما وجب عليه القضاء فالمشروعية وعدم الاباحة من جهتين مختلفتين فالمشروعية بالنظر للاصل وعدم الاباحة بالنظر للوصف اه ثانيهما ان النهي حقيقة في اقتضاء عدم الحسن لذاته كالا مرام في كونه حقيقة في اقتضاء الحسن لذاته فكما ان المأمور به يكون حسنا لذاته الا لدليل يدل على خلافه كذلك النهي عنه يكون غير حسن لذاته الا لدليل يدل على خلافه بناء على ان المطلق يتناول الكمال

وحاصله ان مقتضى النهي حقيقة هو عدم الحسن الكمال وهو ما كان عدم حسنه لذاته وعدم الحسن لغيره قاصر وليس هو مقتضى حقيقة والعدول عن مقتضى الحقيقي الى مقتضى المجازي بلا موجب لا وجه له ، واجاب عنه صدر الشريعة في التوضيح بان كمال مقتضى الذي هو عدم الحسن لذاته غير ممكن اعتباره هنا لانه لو اعتبر كاملا لبطل مقتضيه وهو النهي حيث لا يبقى على حاله فانه يكون حينئذ نسخا لمعنى النهي ولا يجوز اخراج الشيء عن معناه الحقيقي الا لدليل فاعتبار مقتضى المجازي مع بقاء اصل معنى النهي على حقيقته هو الواجب وما ذكروا من مسألة الامر فهو كما قالوا لان الكمال هناك يحقق معنى الامر ويقرره اه

وحاصله كما في التلويح ان النهي يقتضي عدم الحسن والنهي عنه يقتضي الامكان ولا بد من رعاية الامرين وذلك بان يحمل عدم الحسن الذي هو مقتضى النهي على عدم الحسن لغيره وهو لا يتنافى الصحة والامكان فيكون في ذلك محافظة على مقتضى النهي وهو عدم الحسن وعلى مقتضى وهو النهي بان لا يكون نهيا عن غير الممكن وهو المستحيل بخلاف ما اذا حمل عدم الحسن الذي هو مقتضى النهي على عدم الحسن لذاته وحكم ببطلان النهي عنه فانه يلزم اسقاط النهي واخراجه عن معناه الذي وضع له من الاختبار والابتلاء وجعله لغوا عبثا ولا يخفى ان ذلك امر محال

وقوله صلى الله عليه وسلم وكونوا عباد الله اخوانا امر بان يكونوا اخوانا لانهم مستوون في كونهم عباد الله وملتهم ملة واحدة فوجب عليهم ان يكونوا اخوانا ، فان قلت الامر بان يكونوا

اخوانا كالنهي السابق عن التباغض والتحاسد والتدابير امر بما لا يطاق ونهي عما لا يطاق وذلك لان هذه صفات قلبية لا دخل لقدرة العبد فيها اما كون الشخص يكون اخا لغيره فهذا من حيث ذاته لا قدرة له عليه لانه ليس بفعل له لا جاري ولا قلبي وكل ما ليس بفعل له لا قدرة له عليه فلا يصح التكليف به فهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . واما البغض والحسد والتدابير فهي من الصفات القلبية كما صرح به الغزالي في الاحياء وقد تقرر ان صفات القلوب لا قدرة للانسان على اثباتها ولا على نفيها . ففي الحديث جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها . وحيث كان امر الصفات القلبية التي لا قدرة للانسان على دفعها بالتكليف لدفعها او اثباتها تكليف بما لا يطاق وهو وان جاز عقلا كما تقرر في الوصول الا انه لم يجز شرعا كما صرح به ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات فما معنى التكليف بهذه الاشياء امرا ونهيا حتى يترتب على ذلك الثواب والعقاب ؟

قلت قرر ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات انه اذا ظهر من الشارع في بادئ الرأي القصد الى التكليف بما لا يدخل تحت قدرة العبد فذلك راجع في التحقيق الى سوابقه او لواحقه او قرأته . فقوله سبحانه وتعالى « فلا تموتن الا وانتم مسلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وقوله صلى الله عليه وسلم لا تمت وانت ظالم . ليس المطلوب منها الا ما يدخل تحت القدرة وهو الاسلام والكف عن القتل وترك الظلم . فان الاوصاف التي طبع عليها الانسان كالشهوة الى الطعام والشراب لا يطلب برفعها ولا ما غرز في الجبلة منها فانه من تكليف ما لا يطاق ومنله لا يقصد الشارع طلبا له ولا نهيا عنه ولكن يطلب قهر النفس على الجنوح والليل الى ما لا يحل وارسالها بقدر الاعتدال في ما يحل فيكون التكليف بها راجعا الى ما ينشأ من الافعال من جهة تلك الاوصاف وهو داخل تحت كسب المكلف اه وبناء على هذا فكون المخاطبين مأمورين بان يكونوا اخوانا ومنهين عن البغض والتدابير والحسد فانما هو باعتبار ما يسبق ذلك او يلحقه فان الامر بما ذكر انما هو امر بالمعاملة والمعاشرة التي تكون على وجه معاملة الاخوان ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال كما قرره النووي في شرح مسلم والنهي عن البغض انما هو نهى عن الاهواء المضلة الموجهة له . قال الغزالي في الاحياء : وذلك مثل الممارات والمضادة في المقاصد والغدر والهزل بالغير والتعيير وغير ذلك . والنهي عن الحسد نهى عما يلحقه من البغي والظلم بالجوارح من اللسان وغيره ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذا حسدت فلا تبغ الحديث . ثم قال ابو اسحاق الشاطبي : ان الصفات القلبية على قسمين منها ما كان نتيجة عمل كالعلم والحب فان تحصيل العلم بالنظر المتقدم عليه وتحصيل الحب بالنظر في نعم النعم وكثرة احسانه للنعم عليه ومثل هذه الصفات يتعلق بها الثواب والعقاب من حيث انها مسببات عن اسباب مكتسبة . ولا

يقال كيف يثاب أو يعاقب على ما لم يفعل . لانا نقول ان الثواب والعقاب انما ترتب في الحقيقة على ما فعله وتعاطاه لا على ما لم يفعله لكن الفعل يعتبر شرعا بما يكون ناشئا عنه من المصالح او المفساد ومنها ما كان فطريا أي جبليا طبع عليه الانسان وذلك مثل الشجاعة والجهن والاناة والعجلة ومثل هذه الصفات يتبعها بلا بد افعال اكتسابية فالتكليف بها تكليف بالافعال الناشئة عنها لا بما نشأت عنه تلك الافعال من تلك الصفات فالثواب والعقاب على تلك الصفات من حيث تلك الافعال لا من حيث ذاتها لان الثواب والعقاب لا يتعلقان بما هو غير مقدور المكلف . وما ورد في الشريعة من تعلق الحب والبغض بها كقوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية . وقوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يحب معالي الاخلاق ويكره سفاسفها ونحو ذلك فذلك من حيث متعلقاتها من الافعال فان الحب والبغض اما راجعان الى صفات الافعال على رأي قوم ومعناها الانعام والانتقام . واما راجعان الى صفات الذات كإرادة الانعام والانتقام على رأي آخرين . وعلى كلا الوجهين فهما راجعان للانعام والانتقام . وهما عين الثواب والعقاب . فيكون تعلقهما بهذه الاوصاف من حيث متعلقاتها التي هي افعال اكتسابية

والعطف في قوله : وكونوا عباد الله اخوانا من باب عطف اللزوم . لانه يلزم من نهيهم عن الامور المذكورة امرهم باضدادها . ويجمع ذلك قوله : وكونوا عباد الله اخوانا . وصرح به لزيادة الاهتمام بعقد المودة بين المسلمين

وقوله صلى الله عليه وسلم : ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة أيام : قال النووي : في شرح مسلم قال العلماء في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين اكثر من ثلاثة ايام واباحتها في الثلاثة . والاول بنص الحديث والثاني بمفهومه على مذهب من يحتاج بالمفهوم . قالوا وانما عفى عن الهجر في الثلاثة ليذهب ذلك العارض . قال في الارشاد وذلك لان الغالب ان ما جبل عليه الانسان من الغضب ونحوه يزول عن المؤمن او يقل بعد الثلاثة بخلافه فيها

واما على مذهب من لا يحتاج بذلك فليس في الحديث دلالة على اباحة الهجر في الثلاثة قال الابي في شرح مسلم : فيكون حكم الهجر في الثلاثة مسكوتا عنه فيطلب في الشرع اه قلت لم أر من نقل من شراح الحديث ولا من اصحابنا في كتبهم نصا في اباحة الهجر في الثلاثة وحيثئذ فرجع الى قاعدة هل الاصل في الاشياء الاباحة او التحريم او التوقف ؟ قال في الاشباه : ذهب الشافعي الى ان الاصل في الاشياء الاباحة حتى يدل الدليل على عدم الاباحة . قال الامام النسفي في شرحه للنار : وهو مذهب بعض الحنفية ومنهم الكرخي . وذهب بعض اصحاب الحديث الى ان الاصل فيها الحظر ونسب هذا القول الى ابي حنيفة . وذهب اصحابنا الى ان الاصل فيها التوقف بمعنى

الفتاوى والاحكام

الوقف في الاسلام

بقام الاستاذ العلامة الهمام سيدي محمد
ابن يوسف شيخ الاسلام الحنفي

أصل الوقف بنوعيه الحيري والاهلي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم روى الامام الحنفي بسنده الى سعد بن معاذ ان اول حبس في الاسلام صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسنده الى المسور بن رفاعه عن ابن كعب انه قال اول صدقة كانت في الاسلام وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لابن كعب الناس يقولون صدقة عمر اول . فقال قتل مخريق باحد على راس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) واوصى ان أصبت فاموالي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصدق بها . وهذا قبل ما تصدق به عمر وانما تصدق عمر بشمع (٢) حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير سنة سبع من الهجرة . وبروايته عن محمد بن بشر بن حميد عن أبيه قال سمعت عمر بن عبد العزيز في خلافته يقول سمعت بالمدينة

أنه لا بد من حكم لكننا لم نقف عليه بالعقل .

وقال صاحب الهداية في فصل الحداد : ان الاباحة اصل . ويظهر اثر الخلاف في المسكوت عنه اه
وحيث لا نص في المسألة تجري على هذا الخلاف كما لا يخفى

ثم انه اختلف فيما تنقطع به الهجرة . فقال اكثر العلماء ان الهجرة تزول بمجرد السلام وردة . وبه قال مالك في رواية عنه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم المروي في صحيح البخاري وغيره : لا يحل لرجل ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام . وقال أحمد بن حنبل وابن قاسم لا يبرأ من الهجرة الا بعودة الى الحال التي كان عليها اولا وفي قوله اخاه اشعار بالعلية ومفهومه انه ان خالف هذه الشريطة وقطع هذه الرابطة جاز هجرته فوق ثلاثة . فان هجرة اهل الاهواء والبدع دائمة على مر الاوقات مالم تظهر التوبة والرجوع الى الحق . وصرح الطبري بجواز هجرة اهل المعاصي وهم الفساق

والتقييد بالمسلم في الخطاب لانه هو الذي يقبل الخطاب ويتنفع به بخلاف الكافر فانه لا ينتفع به اصلا ما دام على الكفر . وهذا شامل لكل خطاب فيشمل خطاب الدعاء المأمور به في قوله سبحانه وتعالى : ادعوني أستجب لكم . اه

(١) في السنة الثالثة (٢) الارض التي اصابها من خير كما ياتي عن صحيح البخاري

والناس بها يومئذ كثير من مشيخة المهاجرين والانصار ان حوايط رسول الله صلى الله عليه وسلم السبعة التي وقف (١) من اموات مخيريق ثم دعا بتمر منها وقال كتب الي ابو بكر بن حزم ان هذا التمر من العنق (٢) الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منه ويسنده الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا وكانت بنو النضير حبسا لنوائبه وكانت فذلك لابن السبيل وكانت خبير قد جزأها ثلاثة اجزاء جزءا للمسلمين وجزءا كان ينفق منه على اهله فان فضل منه ردة على ققراء المهاجرين (٣) اهـ . وفي هذه الاخبار وامثالها ملامح من النظر ومواهب الاجتهاد منها عدم اشتراط الحوز وجواز الوقف على النفس وجواز ولاية الواقف كما هو قول ابي يوسف في المسائل الثلاث

اما وقف سيدنا عمر رضي الله عنه ففي صحيح البخاري من كتاب الشروط بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما ان عمر بن الخطاب اصاب ارضا بخير (٤) فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم ليستامره فيها فقال يا رسول الله : اني اصب ارضا بخير لم اصب مالا قط انفس عندي منه بما تأمرني به . قال . ان شئت حبست اصلها وتصدق بها . قال فتصدق بها عمر لا تباع ولا توهب ولا تورث وتصدق بها في الفقراء والقريبى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح عمن وليها ان ياكل منها بالمعروف ويطعم غير متأمل . وفي رواية ويطعم صديقا . ورواه ايضا في كتاب الوصايا بعدة اسانيد في بعضها فقال عليه الصلاة والسلام تصدق باصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن تنفق ثمرته

وفي هذا الحديث دليل لابي يوسف على عدم اشتراط الحوز وروى الخفاف بسنده الى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن عمر انه كان ياكل من صدقته بتمغ وفيه دليل لابي يوسف في الوقف على النفس

وقد كتب عمر رضي الله عنه في خلافته كتاب صدقته كما رواه ابو داود من طريق يحيى بن سعيد ورواه الخفاف بسنده الى جابر بن عبد الله قال لما كتب عمر ابن الخطاب صدقته دعا فقرا من المهاجرين والانصار فاحضرهم ذلك واشهدهم عليه فانتشر خبرها قال جابر فما اعلم احدا كان له مال من المهاجرين والانصار الا حبس مالا من ماله صدقة مؤبدة لا تشتري ابدا

وقد جاءت الآثار تترى في اوقاف الصحابة رضي الله عنهم من ذلك صدقة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه حبس رباعا كانت بمكة لا يعلم انها ورثت عنه وكان يسكنها من حضر من ولده وولد ولده ونسله . وعثمان بن عفان رضي الله عنه وقف ماله بخير على ابنه إبان . وعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه تصدق ببنع . وكان علي بن الحسين ياكل من ثمرها . والزيير بن العوام رضي الله عنه حبس دارا على بنيه . وغائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حبست دارا للسكنى فلان وكذا حبست من امهات

(١) اي وقفها بحذف المفعول (٢) بالفتح النخلة (٣) وهو الجزء الثالث (٤) وهي تمغ

المؤمنين حفصه وأم حبيبته رضي الله عنهن . وحبس معاذ بن جبل رضي الله عنه الدار التي تعرف بدار الانصار . وزيد بن ثابت وخالد بن الوليد وسعد بن عباد وغيرهم من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم اجمعين

أما ما روي عن الزهري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لولا أني ذكرت صدقتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعت فيها فإنه إنما يدل على أن الوقف عندة جائز غير لازم لا على أنه غير جائز أصلا لان قوله لولا اني ذكرت صدقتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم صريح في أن المانع من الرجوع هو محبة الاستمرار على ما ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم ولو كان غير جائز لم يتمتع من الرجوع

وبالجملة فان اصل الوقف ثابت بالسنة قولاً وفعلاً وعليه عمل جم غفير من الصحابة وناهيك بالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده . ومن ثم لم يختلف أئمة الدين وعلماء الشريعة ولم يرد عن واحد منهم في رواية صحيحة وعبرة صريحة أنه ليس بجائز وانما اختلفوا فيما وراء الجواز على حسب ما ترجح عند كل مجتهد من المعاني المستفادة من الاحاديث والآثار

فقال ابو حنيفة الوقف جائز غير لازم ولا يزول به ملك الواقف فيساع ويوهب ويورث واستدل على ذلك بأمور أحدها حديث لا حبس عن فرائض الله بناء على أنه لبيان أن الحبس لا يمنع الفرائض لانه غير لازم ولا يزول به ملك الواقف فيورث بعد موت الواقف على حسب الفريضة الشرعية . ثانيها قول القاضي شريح وهو من كبار التابعين جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) ببيع الحبس . الدال صريحا على عدم اللزوم بناء على أن مقصود شريح الاشارة الى ان شريعة من قبلنا جاءت بلزوم الحبس وشريعتنا جاءت بعدم اللزوم كما يشعر بذلك التعبير بالمجيء . ثالثها أن أوقاف الصحابة لا دلالة فيها على اللزوم لانها إنما لم تورث ولم ينقل بيعها لان ما كان منها في زمان النبي عليه السلام احتمل أنه وقع قبل نزول آية الفرائض وما كان بعده احتمل ان ورثتهم أمضوها بالاجازة

ومما يستدل به للإمام أيضا ما رواه الزهري من ارادة سيدنا عمر رضي الله عنه الرجوع في صدقة لولا أنه ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه انفا

نعم استثنى أبو حنيفة من عدم اللزوم صورتين صورة صدور الحكم باللزوم ممن يرى ذلك لان الحكم رافع للخلاف . وصورة ما إذا أخرجه مخرج الوصية كأن يقول إذا فقدت وقتت داري على كذا مثلا لانه في الحقيقة وصية فينفذ نفوذها بالموت هذه خلاصة مذهب أبي حنيفة ومجموع أدلته وقال جمهور الائمة ومنهم ابو يوسف ومحمد الوقف بنوعه جائز ولازم يزول به ملك الواقف بمجرد الصيغة عند أبي يوسف وبتسليمه للمتولي عند محمد فلا يساع ولا يوهب ولا يورث

واستدل الامامان أبو يوسف ومحمد بامور احدها قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر كما في بعض طرق البخاري تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث كما تقدم. ثانياً اشترط الصحابة في أوقافهم عدم البيع والارث كما سلف قبله ولم ينقل رجوعهم عنها ولا ارثها وذلك دليل اللزوم، واحتمال التقدم أو إجازة الورثة الذي تمسك به أبو حنيفة لا دليل عليه، ثالثاً ان حديث لا حبس عن فرائض الله لا ينافي لزوم الوقف لانه لبيان مخالفة ما كانت عليه الجاهلية من السائبة والوصيلة ونحوهما لا لبيان أن الوقف لا يمنع الفرائض وأنه يورث ولو كان كذلك لكانت الصدقة بل الهبة بل الوصية مثله فان الجميع حبس عن الفرائض عاقبة عن الميراث، وكذلك قول شريح بيان لمخالفة الجاهلية لا لعدم اللزوم على أن الحديث رواه الشعبي موقوفاً عن علي رضي الله عنه، ورواه الدارقطني بسند فيه عبد الله ابن لهيعة عن اخيه وهما ضعيفان وأيضاً فان الآية الفرائض كما قال الحافظ ابن حجر متقدمة على أمر النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بالوقف لان الامر كان بعد خيبر سنة سبع

وهنا نقف بالباحث عن ماثرات الخلاف بين المجتهدين ليتأمل ساعة في منزع كل من الفريقين في حديث لا حبس عن فرائض الله وفي قول شريح جاء محمد ببيع الحبيس وكل منهما بجوهرة واحد فترجح عند أبي حنيفة احتمال الدلالة على نقي اللزوم وصحة الحديث وترجح عند الامامين احتمال الدلالة على مخالفة ما كانت عليه الجاهلية من السائبة والوصيلة ونقي ذلك في الاسلام وضعف الحديث وهذه نقطة من يم واسع الاطراف في مدارك الخلاف، والمرجح هو قول الجمهور لان الاحاديث والآثار متظافرة عليه قولاً وفعلان صاحب الشريعة صلوات الله عليه وعملاً من أصحابه رضوان الله عليهم وبه العمل في سائر الامصار وإنما اختلف المجتهدون في بعض شروط الوقف شرعاً ومدلولات نصوص الواقفين بحسب ما ترجح عند كل واحد من المعاني المستفادة من الاحاديث ومن النصوص مما يسعه اللفظ وطريق الاجتهاد، والسلام.

(سؤال)

الى فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكي ينشر على صفحات مجلتنا الفيحاء ادام الله النفع بها
ليجيبنا عنه فضيلته :

يروي بعض الرواة ان اول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها (آدم) عليه السلام قبل موته ثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه ، فلما اصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه فاصاب (اسماعيل) عليه السلام الكتاب العربي

وروي ان (ابن عباس) رضي الله عنه يقول : اول من وضع الكتاب العربي (اسماعيل) عليه السلام ، وضعه على لفظه ومنطقه

ويذكر بعض المؤرخين ان اهل اليمن كان لسانهم حميريا واليه تنسب لغتهم فيقال لغة حمير وقد كثر اللجاج في هذه الصور المتأخرة بعد الاكتشافات الانثوية فمن الناس من يقول ان اللسان الحميري هو من اللهجات العربية ، ومنهم من يقول انه اخو العربية ففرع من السامية اصالة. والرجاء امانة اللثام عن صبح الحقيقة ليعلم الناس الغث من السمين ، واتم المرجع الذي يلتجأ اليه ، ويان يشفي ما في الصدور ، وينزل الالتباس

(.....)

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة الحجة الشيخ سيدي محمد
الحجوي وزير المعارف بالسلطنة المغربية

ما اختلفت فيه طوائف الاسلام كيف يتقل

غير خفي ان أكثر الخلاف بين الطوائف الاسلامية مشؤة أن زعيما يرى رأيا فلسفيا ينتحل له دليلا شرعيا متمسكا بما فيه من عموم أو إطلاق أو إجمال يعتقدونه اتباعه فيصير لهم يقينا يقاتلون عليه وعقيدة يحملون رايها ويصير لدى متأخريهم كأنه ديانة بشرية ورسول غير أنهم يتجنبون ادعاء الاستقلال واسم ديانة واسم الرسول تقية من سيف الاسلام وهكذا يرى ضد ذلك مخالفة كما وقع بين المعتزلة والجبورية وبين الرافضة والخوارج في مسائل خلق الافعال وصفات العالي وغير ذلك وما كان سبيله هذا فتحن في حل من وجوب اعتقاده والعقائد لا تكون تقليدا للزعماء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا والذي يجب على المسلمين اعتقاده هو ما صرح به الكتاب أو السنة القطعيان أو وقع عليه اجماع صريح كما اننا لا نكفر من اعتقد منهم شيئا من ذلك اذ هم من الكفر فروا ولنا ملء الحرية في النظر والبحث عن الدليل الصحيح . لذلك اقول انني لا اجبر أن اصف الله الا بوصف وصف به نفسه في كتاب او سنة متواترة مع الصراحة فيها او اجمع عليه المسلمون اجماعا صريحا قوليا لا ادعائيا . كما انني لا انفي عن الله من الصفات على سبيل التعيين الا ما كان ذلك سبيله وكل ما لم يثبت او ينفي بهذه الطريق فنسكل أمره الى الله سبحانه مفوضين . فلو صاف الله (١)

(١) كذلك صفات النبي توقيفية ما سمع منها بطريق يقيني يقال وما لا فلا لان صفات الرسل من جملة المعتقدات وسبيل المعتقدات هو اليقين حكى الاجماع على ذلك الغزالي ونقله ابن القيم والزرقاتي في شرح الموطا فليس لكل من ظهر له وصف ظنه كالا للنبي وصفه به وان لم يرد معتمدا قول البوصيري

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ❁ واحكم بما شئت فيه مدحا واحتكم فليست البردة كتابا منزلا وانما جرت على قاعدة الشعراء في المدح فليس لنا ان نتخذها برهانا قطعيا بل علينا البحث عن دليلها ، فمن يصف النبي صلى الله عليه وسلم بان العوالم في طي قبضته وان الله فوض له التصرف في مملكته . وهو قول طائفة ضالة تسمى المفوضية كما في كتاب مقالات الاسلاميين للاشعري . فذلك في عهده ومطالب ببديل قطعي كمن نسب اليه العلم الاحاطي كعلم الله تعالى مع ان القرآن ناطق بخلافه والسنة طافحة بضده فالواجب على اهل العلم ان يعلموا ان صفات النبيين من جملة المعتقدات التي لا تثبت الا ببديل سمعي يقيني وما سوى ذلك منبوء . وقد اشبع القول في ذلك في كتابي (برهان الحق في الفرق بين الخالق والخلق) واشبع القول في المسألة الاخيرة في تأليف في الرد على التجموعتي الذي نسب للنبي صلى الله عليه وسلم علما احاطيا كعلم الله

تعلّى توقيفية على القرآن أو السنة المتواترة لا يستقل العقل بها ثم ان كل ما كان بهذه الطريق اثباتا او نفيا لا تجده قط متعارضا مع ما دلت عليه العقول دلالة قطع ويقين بحال .

فلسنا نستطلع الغيب ولا نصف الله بما توهمه الفلاسفة وصفا له زاعمين قيام ادلة عقلية على ذلك اثباتا ولا نفيا ، نعم اثبات وجوده تعالى والوهيته ووجدانيته وحكمته دلت الشواهد العقلية والحسية التي هي مصنوعات على ذلك دلالة مشاهدة وايدها القرآن والسنة والاجماع .

فليس الحق سبحانه شرعة لكل وارد : كيفه الخاطر والوارد ولا مما تصل اليه أوهامهم أو تكيفه عقولهم . فالفلسفي الذي يصور إلهه بعقله كالوثنى الذي يصور وثنا بيده ، وانما تفقه الفلاسفة قياس للغائب على الشاهد الحادث ، ورحم بالغيب ، لكن المقام اعلى ، والجناب أسمى ، والحق أبلغ ، ولسان القاصر لجلج ، فقد وصف نفسه في كتابه بالجبار المتكبر . وقال يضل من يشاء . وقال يخادعون الله وهو خادعهم ، وذلك في المخلوقين ليس بكمال ، قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . فنحن برآء اليه ان نصفه على سبيل التعيين الا بما وصف به نفسه ، نعم نصفه بوصف عام وهو كل كمال يليق بجلال الآله الحق . ونزله عن كل نقص ، ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير . فمن اثبت له الالتذاذ او الذوق او الشم قياسا على الخلق لكونه كالا فيهم ، او نفى عنه صفات المعاني كالعلم والكلام والسمع والبصر زاعما قيام الدليل القاطع العقلي على الاثبات والنفي فليس بشيء ، وادلتهم واهية وفكرتهم واهمة وهي تقليد للفلاسفة فقط وفي نظري ان فلسفة الآليات عند اليونان او غيرهم انما هي احتمالات أو جهلهم بالنسبوت فاصبحوا يستوحون عقولهم التي ليست لها طائرات تحلق حول ما ليس من عالمهم فضلوا وضل تبعاهم معتزلة الاسلام ومن نحى نحوهم . والله يقول : أنزله بعلمه ، كما نبرأ من تمحل بعض المحدثين وجودهم حيث قالوا : انه متكلم اذا شاء بكلام ذي حروف واصوات . ومقام ذي العزة والجبروت اجل واكمل عن ان تصل اليه العقول المففصة في عالم ضيق ، عقول محتاجة الى كثير من التضوج لا يتم الا في ملايين من السنين

أنى للسماك في قعر البحر والجنين في بطن الام والنطفة في الصلب ان تحقق العلوم الفلكية وتدقق المسائل الطبيعية فضلا عن الاستبداد بمعرفة الصفات الآلية والتهجم على استنباطها قياسا على المخلوقين ❁

عجبا كيف غفل الفلاسفة عن عجزهم عن الوصول لحقائق الكون البسيطة وهم منه وهو مخلوق مثلهم حتى اختلفوا في علم الهيئة وتبين جهلهم في كثير من الفروض والتقديرية التي قدروها . وهو علم تدرك اصوله بالبصر والحساب المدقق . عجزوا عن الاتفاق فيه واختلفوا فيه اختلافا منتشرا واصبح متأخرهم يضحك من متقدمهم بل تبين في بعض مسأله اصابة المتقدم خطأ المتأخرين وان تعجب فمجب من كون كل طائفة تدعي ان مذهبها يقين قامت عليه البراهين ثم يتبين

الخطا الصراح . هذا في علم هو اوثق معلومات الفلاسفة . فبالله وبألرجال من ضعف عقول لم تحسن تصور ما تراه ويعينها البصر والآلات على تصورها . فكيف يمكننا ان نقلدهم في دعواهم الوصول الى كنه من يزعمون هم انقسم انه لا تمكن رؤيته .

كلا ان الانسان مجبول على الانانية وعلى الدعوى العريضة انه ذو حول وطول ومعرفة كاملة توصله الى فهم كل شيء وهو في بحر الجهالة تائه . لقد ضيعوا وقتا نفيسا طويلا في علم الآلهيات فجلبوا مقتهم بأنانيتهم وواقعوا العالم معهم في ارتباك وجدال .

كل الطوائف الاسلامية من معتزلة ورافضة وغيرهم ياتي زعيمها بفكرة عقلية يتلقفها عن الفلاسفة او عن عقله ويتنحل لها دليلا شرعيا كما سبق فياتي اتباعه فيمنونها بخلاصة البيان خطايات وشعريات يصيرونها براهين . ويدعون ان مذهبهم الحق الواضح . والنور الفاضح . والقطعي الذي ليس بعده يقين يناهضه . وكل طائفة تدعي صراحة النصوص لجانها والاجماع الصريح والتواتر الذي لا امتراء فيه . ثم اذا قد الناقد البصير الغير المتحيز وعرضها على محك النظر وجدها كسراب بقية يحسبه الظمان ماء وليس هو شيئا .

لقد احتدم الجدل في خلق الافعال وتمائل الاجسام وبقاء الاعراض وانتقالها وهل هناك خلاء؟ وفي وجود الجوهر الفرد . وكون الموجود منحصر في الجسم والعرض او هناك ما يسمى بالجردات الى غير ذلك ولم يحصلوا على طائل . ولو انهم اتخذوا هذه المسائل وسائل لما وضعت له من كشف حقائق الكون لخدموا العلم خدمة حلي . ولكنهم اغفلوا ذلك وراموا التوصل بها الى المكون قابعوا النجعة ووقعوا في متاهة ومجاهل حارت فيها افكار المتقدمين وجرف سيلهم المتأخرين .

ضيعوا اوقانا نفيسة في جدالات عقدوا لها مجالس ومؤتمرات لو صرفوها في تحسين حال العلم والمجتمع لكان انفع . وذلك بترقية المدارك والاكتشاف والاختراع في العلوم الطبية والكيمائية والميكانيك والفلاحة والصناعة وكل نافع نفعا حقيقيا بل وفي العلوم الادارية لادارة الممالك الاسلامية الواسعة والمنشرة من المشرق الى المغرب والتي اختلفت باختلال ادارتها واضاعة روايتها التي كانت أمتن رابطة بالعدل والعنم والتهديب والشورى ضد الاستبداد والتي يدفع بها عادية الظلم والاختلال الذي انهك دول الاسلام وجعلها في اخر صف بعد ما كانت في أوله بسبب اضاعتهم لوصايا القراءان الذي يحضهم على النظر في احوال الملوك والممالك الارضية ولكنها السياسة كانت ورأهم تحركهم وتحرضهم وتجعل اتجاههم نحو الافكار العقيمة تشغلهم بها وبشخصياتهم عن المصالح العامة قبل ان يشتعلوا بها فيغفلوا ايديها الباطشة العاشمة الاثيمة . ولعل هذا سبب قلة الاختراع والاكتشاف في الاسلام . ثم نريد تأكيد لما قررنا قبل . وان كل ما اختلفت فيه الطوائف الاسلامية واصبح بعضهم يكفر بعضا ويدعي ان مذهبه هو البرهان العقلي اليقيني وغيره لا يسلم بذلك فنحن في حل من وجوب اعتقاده ولنا ملء الحرية في البحث عن الدليل من الكتاب والسنة اذ ليس علينا الا اعتقاد ما وصف الله به نفسه في قرآن او سنة متواترة على ظاهرة مع كمال التنزيه .

(البقية بصحيفة ٣٥)

التأنيخ

القضاء الشرعي

بقلم العالم المؤرخ أمير الامراء سيدي
محمد بن الحوجه مستشار الحكومة

اعلم أن راس الخطط الشرعية في الاسلام هي القضاء وأول من باشره معاذ بن جبل الذي كان بلسان النبوة أعلم الناس بالحلال والحرام فقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه قاضيا الى لجند باليمن يعلم الناس القرآن ويقضي بينهم بالحق وكان ذلك عام فتح مكة المكرمة سنة ثمان للهجرة وجاء في كتاب التخريج والاستيعاب لابن عبد البر أن الخليفة الاول سيدنا ابا بكر الصديق عهد بالقضاء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال له : اقض بين الناس فاني في شغل . يعني في شغل بالنظر في مصالح المسلمين ، والرواية التي اجمع عليها المؤرخون هو ان اول قاض في الاسلام اولاه الخليفة الثاني سيدنا الفاروق ، قال ابن خلدون في المقدمة : وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه « اي القضاء » بانفسهم ولا يجعلون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره وفوض فيه عمر رضي الله عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك كتابه المشهور (١) الذي يدور عليه أحكام القضاة وهي مستوفاة فيه يقول : اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعبدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضية أمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماادي في الباطل ، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعراف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا او بيته امددا ينتهي

(١) اتفق لي ترجمة هذا الكتاب لللسان الفرنسي في مدة الوزير المقيم الاسبق مسيو ريني مي فلما اطلع عليه هذا الوزير وكان من المجاهدين بحب الاسلام واهله اعجب به ايما اعجاب وضمه لمجموعة النصوص الفقهية والوثائق التاريخية والتراتب الادارية التي نشرها في كتاب جامع اشتمل على سائر النظم التونسية في عصر الحماية الفرنسية

اليه فان أحضر بيئته اخذت له بحقه والا استحلت القضية عليه فان انقضى للشك واحل للأعداء، المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا في نسب او ولآء فان الله سبحانه عفا عن الايمان ودرأ بالبينات، وإيائك والقلق والضجر والتنافب بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام اه

ومما تقدم يتضح ان ثاني الخلفاء الراشدين ولى معه قاضيا بالمدينة للنظر في احوال المسلمين كما وجه بقاضيين لاطراف المملكة الاسلامية اسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم. ويستفاد مما ذكرنا قاعدة شرعية أصلية وهو جواز انتصاب قاض للحكم بين الناس في نفس البلد الذي فيه الامير وقد جوزوا ذلك لا ترعاه منهم عن مباشرة عامة الناس بل لاشتغالهم بامور السياسة العامة وما يلتحق بها من جهاد وفتوحات وسد الثغور وحماية البنيضة على ان اناة الخليفة للقاضي كانت في بداية امرها قاصرة على النظر في بعض الاحوال دون سواها حتى إنه وجد في الدولة العباسية قضاة يحكمون فيما دون المائتي درهم بما يشابه خطة قاضي الصلح الفرنساوي وحاكم الناحية التونسي لهذا الزمان من بعض الوجوه وانما وقع التوسع في خطة القاضي بعد ذلك على التدريج بحسب اشتغال الامراء والملوك بالمهام الكبرى الى أن استقر القضاء اخر الامر على الجمع بين السلطة الشرعية القضائية من فصل وحكم ونظر في اموال المحجور عليهم من محابين ومفلسين ويتامى وسفهاء وفي وصايا المسلمين وواقفهم وتزويج الايامى عند فقدان الاولياء والنظر في مصالح الطرقات العامة والابنية وتصفح الشهود والامناء والنوابوين النظر في المظالم التي هي وظيفة مستمدة من سلطة الامير، على ان خطة القضاء لحقت شأوا اسمى وابعد من ذلك على عهد الدولة الاموية بالاندلس والدولة العبيدية بافريقية فقد أوكلوا لامانة قضاتهم النظر في شؤون الحسبة العامة وهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين فيتخذ اعوانا على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل منع المضايقة في الطرقات ومنع الجمالين واهل السفن من الاجحاف في الحمل والحكم على المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على يد المعلمين في المكاتب ومعامل الصنائع في ضرب الصبيان فوق التريسة المشروعة التي يحصل بها تأديبهم وحماية الحيوانات الاهلية وزجر ارباب الدواب عن تحميلها فوق طاقتها أو ضربها فوق اللازم وينعاهم قسرا اذا لم يتقوا الحيوانات فيها فجمعوا بذلك للقاضي القسم الثاني من مقصد الشريعة الذي هو حفظ الاداب زيادة على القسم الاول الذي هو حماية الحقوق

وكان العصر الحفصي بتونس أكثر العصور احتراماً واعتباراً للسلطة الشرعية حتى إنهم أضافوا لحطة القاضي مهمة النظر في شؤون السكة واستخلاص عيار الذهب والفضة فكان لقضاتهم طوابع يضعونها على المصوغات علامة على سلامة فوقها من الغش وتقرير الغاية التي وقف عندها السبك مثلاً

يفعل اليوم اهل البلاد المتعددة - وهذا زيادة على ما كان للقاضي من حق النظر على الشهود وتتبع سيرتهم وتوقيفهم عند حد خطة العدالة وتعزيرهم بالتوقيف عن المباشرة موقتا او نهائيا وطلب معاقبتهم من السلطان عند ارتكابهم للتدليس والزور - وقد قال سيدنا عمر ان الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرءان - ولم يستثن على القضاة في كل الدول الاسلامية الامساك بالقصاص والقود وما اشبه فيحكمون فيها ويتوقف تنفيذ حكمهم على الامير وتلك سنة عمرية تحفظا على الدماء .

وكانت علاقة القاضي بالدولة شديدة كعلاقة الوزير حتى ان الملوك كانوا يتخيرون قضاتهم اثر قبولهم للبيعة ليكون القاضي علقا بالامير ومن اهل سياسته . وقد اولى المامون القاضي احمد بن داود الذي كان على رأيه في مسألة القول بخلق القرءان . وفي بعض الاحيان كان الملوك يجمعون لقضاتهم بين خطة الوزارة وبين خطة القضاء بل وبينه وبين قيادة الجيش فقد كان اسد بن الفرات من أئمة المذهب الحنفي قائدا للجيش الفاتح لصقلية حيث جاهد ومات سنة ٢١٣ وكان ابن عاصم من فقهاء المذهب المالكي قاضيا ووزيرا بغرناطة . على ان الملوك كانوا في الكثير يجدون في انفسهم على القضاة فيسرون لهم العداوة ويطربصون بهم الدائرة للإيقاع بهم وربما استعانوا عليهم بالقوة والمال لاسقاط منزلتهم واعتبارهم في عيون الامة فيشيعون عليهم اخذ الرشوة ليهيج غضب العامة عليهم فيتخذونها فرصة للانتقام منهم وهكذا فعل اسد الدولة ابن مرداس سنة ٤١٥ ولنا في حديث شيخ الاسلام احمد بن تيمية وامتهانه على يد الوزير الجديد وفيما ارتكبه السلطان الحفصي محمد المستنصر بن ابي زكريا مع العالم المحدث ابي عبد الله محمد بن الابار القضاعي حيث سجنه وعذبه ثم امر بقتله قطعاً قطعاً وحرق جثمانه مع تأليفه وكتبه ما يغني عن ذكر امثلة اخرى في مقام انتقام الامراء من العلماء .

اما القضاة بافريقية اي بالديار التونسية فقد قال في معالم الايمان ان اول قاض بافريقية هو ابو الجهم عبد الرحمن بن رافع التوخي من فضلاء التابعين ولاه موسى بن نصير قضاء القيروان سنة ٨٠ للهجرة وهو احد العشرة من التابعين الذين اوفدهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه اهل الآفاق بافريقية ومنه تسلسل القضاء بالقيروان الى ان تولاه الامام سحنون صاحب المدونة وسحنون هو الذي احدث مقصورة خاصة بجلوس القاضي حال انتصابه للحكم وهو اول من اتخذ اعوانا وجعل جرائتهم من بيت مال المسلمين وكان يستدعي المطلوب ببطاقة ولا يرسل له عونا واتخذ كتابا في مجلس الحكم وضبط اساليب المرافعة بما عليه عمل قضاة تونس في هذا الزمان ومن سحنون انتقل القضاء لائمة اخرين من فقهاء القيروان فلمهدية فنونس فكان قاضي الجماعة مقررة حاضرة تونس في اوائل المائة السابعة لاستقرار الدولة الحفصية بها وكان القضاء بتونس قبل ذلك يرجع امرهم لقاضي القضاء بالقيروان اولاً ثم بالمهدية بعدها . ولما بويع بالخلافة للسلطان محمد المستنصر بالله الحفصي في سنة ٦٥٧ اعنى بخطة القضاء اعتناه لم يعرف قبله فجعل اربعة من القضاة بتونس : قاضي الاهلة

وقاضي الانكحة وقاضي المعاملات وقاضي الجماعة وهو المسمى بقاضي القضاة وزاد بعد ذلك قاض آخر يلقب بقاضي الفريضة وهذه الخطط الشرعية التي عفت رسوم معظمها كان اقرارها في ازمان مختلفة فقاضي الاهلة كان موجودا في زمن الباي حمودة باشا الحسيني وقاضيا الانكحة والمعاملات اندمجا ضمن خطة قاضي الجماعة وقاضي الفريضة الغيت خطته في اوائل هذا القرن وءاخر من تولاها الشيخ الطاهر القصار المتوفى سنة ١٣١٤

واول من تلقب بقاضي القضاة في الاسلام هو الامام ابو يوسف صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان قاله ابن الاثير في كتاب الانساب .

ويستفاد من التواريخ التونسية ان الدولة الحفصية كما اسلفنا كان لها قدم سبق في الاهتمام بالقضاء والى سلاطينها ترجع مزينة تعزيز خطة القاضي المفتي للمسترشدين فنبسوا من اهل العلم بالمسجد الجامع من يفتي الناس ويفقههم في الدين فكان الامام محمد بن عرفة الورغي مفتيا بجامع الزيتونة في (١) المائنة الثامنة وكانت الفتوى في الصدر الاول يقوم بها كل من ءانس من نفسه علما وتقوى وغلق هذا الباب سدا للذريعة في المائنة الرابعة وصار الانتصاب للفتوى بين الناس يتوقف على تفويض من الامير وكان جلوس المفتي للافتاء بالمسجد الجامع كما اسلفنا ولم تنفصل الفتيا عن الجامع الا في اواخر المائنة الثامنة فكان حال العلم في المائنة التاسعة في ادبار والدولة في تراجع وشباب الحفصيين اقل نجمه والهرم استحكم فيهم بتاصل الفتنة في ربوعهم وتوالي فتوحات العدو من الاسبانيول فيهم وما اشرف القرن التاسع على اعقابه حتى كاد ان يقطع العلم من تونس لولا ان تداركها الله بالفتح الاسلامي على يد الوزير سنان باشا في سنة ٩٨١ وكان المذهب المالكي يومئذ هو المذهب السائد بافريقية من عهد المعز ابن باديس الذي حمل الناس على التمدد به وترك ما سواه من المذاهب اتقاء شر البدعة بظهور مذهب الشيعة في المائنة الخامسة وكان المذهب الحنفي قبل ذلك هو اظهر المذاهب بافريقية فيما حكاه القاضي ابن خلكان وغيره من المؤرخين . فلما انتصبت الدولة العثمانية بتونس في اواخر المائنة العاشرة اقام الترك بمنصب الاحكام الشرعية قاضيا حنفيا ياتون به من بلادهم ثم يبدلونه بعد ثلاث سنين بقاض جديد من الاتراك . وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يبدل قضاة بعد اجل معلوم كعامين او نحو ذلك . وقال في بعض التواريخ التونسية ان متولي القضاء في مدة السلطان الحفصي ابي عمرو عثمان بن محمد ابن ابي فارس عبد العزيز كان لا يبقى في خطة القضاء بجهة اكثر من ثلاث سنين ثم ينتقل بجهة اخرى الى ان يتصدى لقضاء الحاضرة ثم يتصدر للفتوى والشورى بين الناس . وعبرة الشورى في استعمالهم اذاك تدلنا على وجه تسمية المفتي الاول المالكي بكبير اهل الشورى الى عهود متاخرة . الى هنا انتهى بنا الكلام في هذا الدور الاول من تاريخ القضاء الشرعي بتونس وستحدث في الاعداد القابلة ان شاء الله على التطورات التي تناولته بعد ازواج السلطة الشرعية ابتداء من تاريخ قيام المذهب الحنفي الى هذا الزمان وكل ءات قريب .

محمد بن الحوجه

(١) يسر الله لي في هذه الايام اتمام تاليف اسميته تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد تضمن شتى الاخبار في موضوع الكلام على اهل الفتوى بجوامع تونس على عهد الدولة الحفصية وهو الآن تحت الطبع وسيظهر قريبا ان شاء الله

بعثة خير الدين للاستانة

(*) في سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم (الدكتور) في الحقوق امير
الامراء سيدي محمد صالح مزالي عامل بنزرت

في الثاني عشر من ماي سنة ١٨٨١ الموافق للثالث عشر من جادى الثانية سنة ١٢٩٨ تمت معاهدة القصر السعيد بامضاء المولى المشير الثالث محمد الصادق باي والجنرال بريار مفوض الجمهورية الفرنسية وبمقتضاها انتصبت حماية فرنسا على المملكة التونسية - فمما اشتملت عليه من الشروط ما جاء في الفصل السادس منها ان نواب فرنسا في الاقطار الاجنبية من سفراء وقناصل مكلفون بحماية المصالح التونسية والاشخاص التابعين للايالة - بحيث إن ممثلي الدولة الحامية المستقرين في مختلف الامصار يصح اعتبارهم في آن واحد بصفة نواب دائمين لدولة سمو الباي دام له العز والبقاء اما قبل الحماية فلم يعتمد ملوك تونس ايفاد من يمثلهم بصفة مستمرة لدى الدول الاجنبية بل كانوا يقتصرون على تشكيل بعثات إستثنائية كلما دعت الحاجة لذلك منتخبين أفرادها من رجال البلاط تارة وأخرى من علماء الدين مثل الشيخ المحقق سيدي ابراهيم الرياحي الذي أوفده حمودة باشا للمغرب الأقصى ثم المولى احمد باي الى الاستانة

وممن زان البعثات التونسية في القرن الاخير الوزير خير الدين الناصح الامين - توجه اولا للديار الباريزية سنة ١٢٠٧ للدفاع عن مصالح تونس لدى اللجنة المكلفة من طرف الحكم نابليون الثالث - بالنظر في الخلافات الواقعة بين الايالة ومحمود بن عياد - فأظهر من الحزم والاجتهاد ما قمع به المساعي الانيمية التي كانت ترمي إلى استلاب الاموال التونسية وبالرغم عن تمسك محمود بن عياد بالجنسية الفرنسية ومحاولته على تجنيس الوزير مصطفى خزندار نفسه تمكن نائب سمو الباي من استصدار حكم بخفض خمسة وخسين مليوناً « ريبالات » يدعي ابن عياد انه سبقه على حساب الدولة التونسية وجبره أيضا على أداء أربعة وثلاثين مليوناً للصندوق التونسي

هذا الموضوع طالما تشوقت له النفوس متطلعة عما ادته سفارة الوزير خير الدين لدى الباب العالي والمهمات التي قام بها بين حكومة الباي والباب العالي سيما وقد ضعفت الصلة التي تربط تونس بالدولة العلية على عهد المشير احمد باشا الاول وهل كانت سفارات خير الدين القصد منها اعتراف الحضرة العلية بالسيادة العثمانية على الديار التونسية ؟ ذلك ما ستحدثنا عنه هذه الوثائق التاريخية الثمينة

ثم تكرر توجيه هذا الوزير الخطير من طرف الحكومة التونسية في مناسبات مختلفة لدى
ملك - المانيا وفرنسا وانكلترا وإيطاليا والنمسا والسويد وهولندا والدنمرك وبلجيكا ولا شك ان
ما شاهده في سفراته العديدة وما اكتسبه اثناءها من التحنك والخبرة هو الذي أهله لتأليف كتابه المشهور
« أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك »

ومن أهم ما أنيط بعهدة خير الدين من المأموريات السياسية التفاهم مع رجال الدولة العلية
العثمانية في شأن ضبط العلاقات بينها وبين الدولة التونسية وتقرير ما حصل عليه آل البيت الحسيني
المعزور من الاستقلال النسبي مع اثبات ما لهم على العرش التونسي من حق الوراثة خلد الله ملكهم مدا
العصور وأسعد البلاد بعزمهم - فتوجه الوزير خير الدين للاستانة مرتين في هذا الغرض الاولى سنة
١٢٨١ والثانية سنة ١٢٨٨ ولما رجع ظافرا غانما اقتبله المولى الصادق باي بكل حفاوة وأجزل عطاء
ومما تفضل به عليه جبراية عمرية قدرها خمسون الف ريال وهنشير « النفيسة » المشهور زيادة
عما قلده من الاوسمة المرصعة . واليكم بعض الوثائق المتعلقة بهاتين البعثتين :

« ١ »

تعيين خير الدين للبعثة الاولى

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الطابع السعيد)

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي سد
الله تعالى أعماله وبلغه أماله الى الهمام المفخم امير الامراء الوزير ابننا خير الدين ادام الله تعالى حفظه
وأجزل من السعادة حظله اما بعد فاننا بمقتضى ما نتحققه من صدقك وامانتك وكفاءتك وجهناك
للأبواب العلية السلطانية العثمانية اعز الله تعالى نصرها وادام فخرها للكلام فيما يؤكد اصول عادتنا
المالوفة المعروفة الآن وما تنفصل به مع الدولة العلية في ذلك بالكتابة فهو ماض في حقنا فوضنا لك في
ذلك التفويض التام بحيث لم نستثن عليك في ذلك فصلا من فصول التفويض ولا معنى من معانيه
واقمنك فيما ذكر مقام انفسنا تفويضا تاما عرفنا قدره والتزمنا به والله أسأل لكم التوفيق والامداد
وبلوغ الامل والاسعاد وكتب اواسط ١٦ جمادى الثانية من سنة ١٢٨١ احدى وثمانين ومائتين والف
(وباسفله بخطه الشريف) صح من المشير محمد الصادق باشا باي

« ٢ »

التعريف بالوزير لدى الباب العالي

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الوزارة العظمى الصائبة المرمى والرتبة الشاحنة الشما وزارة الركن المنيع الاحمى فؤاد الدولة

وقطب مدارها والمجلى بميادين فخارها والحافظ لصولتها واثارها في سائر اوطارها ونازح اقطارها
 الصدر الاعظم المشير السيد محمد فؤاد باشا جمع الله تعالى بآرائه شمل اهل التوحيد حتى يستوي في
 جنى الخلافة منهم القريب والبعيد، اما بعد السلام المؤدي لحق المقام فقد كنا انحناء لجنايبكم الرفيع ورود
 كتابكم العظيم الوفاة الكثير الافادة الموضح لطرق الخير واسباب السعادة ومعه من المواهب السلطانية
 والقواضل الخاقانية ما قابلناه بما استطعنا من واجب الشكر كمالها التي لا ينسى لها ذكر واجتمعنا
 مرارا بنخبة اقرانه لنباهه شأنه الدال على حسن اختياركم وسديد انظاركم المؤتمن على اسراركم
 السيد حيدر افندي وبلغ لنا عن وزارتك السامية ما رعيناه وبعين البصيرة لحظناه ولقد احسن التقرير
 ووضح التفسير فيما كلفتموه بتبليغه البنا وشرح لنا مقصودكم من المصلحة التي افصح لنا عن رغبتكم
 فيها، والذي قرره لوزارتكم التي تلين الصعاب وتدنيها وتغرس اصول النسياسة وتجنّبها لتنال الملة من
 ثمراتها اقصى امانيتها، ان للعبد الفقير بفضل السلطنة العلية وعوائدها المرعية خدمة يرثها الخلف عن
 السلف على عادات معتبرة واصول مشهورة مقررة اقتضاها حال وضع هذه الايالة المخصوص التي لا
 تشابهها غيرها لاسباب يغني ظهورها عن الشرح وجري عمل السلاطين العظماء على تقريرها وصانوا
 فضلمهم عن تغييرها واشتهر علم ذلك في الجهات حيلًا بعد حيل وعلى ذلك التقرير اعتمادنا ونحن
 بهذه النعمة قانعون حامدون شاكرون وعلى طاعة الخلافة مثابرون وقد اقتضى الحال الذي بلغ
 علمه للدولة العلية والسلطنة الخاقانية تأكيد هذه العادة المقررة من السلاطين السادة القادة
 وكرم الخلافة يقتضي الزيادة لا النقصان على كل حال وفي كل اثناء تقوية للعصاية
 الاسلامية وان كانت على كل حال معتصمة بالسلطنة العلية محمية بيدها العلية القوية وحقوقها
 المعتبرة المرعية ولما كان المكتوب لا يتحمل استقصاء الفروع اوفدنا الى بابكم وعلي جنابكم مقام ابني
 الهمام المفخم الوزير امير الامراء خير الدين واودعنا لصدقه وامانتة ما رجونا تشريفه بالاصغاء اليه
 فيما يبلغه لجنايبكم عنا والله اسأل التوفيق والاسعاد ببلوغ المراد وهو حفظ الملة الاسلامية بكل قطر
 وبلاذ بقاء سلطان السلاطين واعانة وزيره المنزل من الدولة منزلة الفؤاد والسلام من معظم قدركم
 الفقير الى ربه تعالى المشير عبده محمد الصادق باشا بابي وفقه الله تعالى وكتب اواسط ١٦ جمادى الثانية
 من سنة ١٢٨١ احدى وثمانين ومائتين والف (وباسفله الطابع السعيد)

« ٣ »

مكتوب موجه من الوزير الاكبر مصطفى خزن. مدار
 الى الوزير خير الدين بتاريخ يوم الاحد الثاني عشر من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهمام المفخم امير الامراء الوزير السيد خير الدين حرسه الله تعالى السلام عليكم وبعد فانه

بلغنا مع الفابور الانقليزي كتابكم المؤرخ بيوم الجمعة ٢٧ من الشهر المنصرم وكتابكم المؤرخ بموفاه وقبل ذلك بلغنا التلغراف الذي وجهتموه على طريق كاليري وعلينا ما ذكرتموه كله وشكرا لله تعالى على عافيتكم وبلوغكم لاسلامبول على خير وعرضا ذلك على الحضرة العلية وسر مولانا دام عزه وعلا بما شرحتموه من عافيتكم وعلم ايده الله تعالى اعتناء الدولة بقدمكم وثناء الوزيرين عن السيرة واستعراهما لما وقع حين سفركم وقبل هذا وجبنا للملطة مكتوبا اولاً مع فابور انقليز لتعذر سفر الباجي بسبب احتياجه للاصلاح ومكتوبا ثانياً لها مع الفابور الباجي وكلاهما يصلانكم على يد الوكيل كما عرفتمونا واعلناكم فيما بما عندنا من الاخبار والاحوال من حين سفركم لتاريخهما ونرجو انهما وصلا اليكم الآن الخ (١)

« ٤ »

تعريب مکتوب باللغة التركية من الصدر الاعظم للهولي الصادق باي
مؤرخ « في ١٠ كانون اول » الموافق للثالث والعشرين من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله - المبعوث في هذه الوجهة صحة سعادة خير الدين باشا من المکتوب المشيري شاكر الآثار والاتفاتات السلطانية في خصوص الوقائع المكدره الاخيرة التي وقعت في ايلة تونس المحمية (٢) ومؤيدا لعبوديتكم وخصوصيتكم البهية مع مکتوبكم المرسل الى هذا المخلص المثني على ذاتكم العلية قد قدماهما للعبة السنية الحاقانية وصارا معلومين عند حضرته الملوكة خلد الله على سريره شوكنه وجعله زينة لاربكة عدالته وخلافته التي هي مرجع الانام وملجأ الاسلام بحرمة حبيب الاكرم عليه السلام مدى الدهور والاعوام فانه متخلق بفضل الله بالسجايا التي تستجلب وتستدعي دائما رفاهية حال البرية من تبعة دولته العلية فلذلك يريد ويؤمل سعادة الحال واستراحة البال على الدوام والاستمرار لذاتكم وللمتتسين الى سلسلتكم العلية وللعباد الذين حسن ادارتهم مودوع بيد حضرتكم السامية وانه ايده الله بعد تأثر وتأسف من ظهور ذلك الاختلال قد صار مسرورا من زواله والله الحمد على وجه السهولة في المدة الاخيرة كما انس من تعظيمكم قدر قيمة همته العلية ومسايعه المصروفة السنية في اندفاع هذه الحادثة الفجيعة، ثم ان السلطنة السنية مرادها الحقيقي ومقصودها القطعي على الوجه المحرر عبارة عما يستوجب بقاء الاستراحة في تونس وارتقاء عمرانها وتأسيس بناء الراحة والامن بها يوما

(١) بقية المکتوب وهو طويل الذيل تعرض لمواضيع شتى لا فائدة في نقلها هنا - كما ان المکتوب الموجه للملطة موجود لدينا مع غيره من صدارات الوزير الاكبر الا ان الاستغناء عن نشره لا يخل بفهم المسألة المبسطة هنا

(٢) هذه اشارة الى ثورة ابن غدام الى قدوم حيدر أفندي مبعوث السلطان إذ أتى باعانة مالية قدرها مليون فرنك وكان قدومه مع قطعة من الاسطول التركي الذي التقى هنا بعدة اساطيل اوروبية

فيوما لاهاليها وتبعثها ولاجل تمام حصول هذا الغرض الذي هو راجع وعائد اليها لا تنقطع عنها الهمة والاعانة في وقت من الاوقات والدليل الجديد العلني على صدق هذا المدعى رافعا ودافعا لما عسى ان يتوهم تقوية الامتيازات القديمة على وجه التجديد رسما وهي الخطبة والسكة يكون كل منهما باسم السلطان كما كانا في القديم لكونهما علامة علينية لارتباط ايبالة تونس التي هي من الاجزاء المنتمعة للممالك العثمانية ارتباطا شرعيا بمقام الخلافة الاسلامية، والصنشق شكله ولونه المخصوص به الآن باقيا على حاله والمعاملات الارتباطية الجارية مع طرف الدولة العلية الى هذا الوقت تكون مرعية وجارية كما كانت وعلى بقاء هذه الامور ودوامها يكون امر الولاية على طريق الوراثية مخصوصا بسلسلتكم العالية كما كان وتكون انتم مستقلا بالتصرف في الولايات الشرعية والسياسية والعسكرية وفي العزل بمقتضى القوانين الموافقة للعدل وفي الادارة الداخلية لتلك الايالة موافقة للشرع العزيز ومطابقة للقوانين العدلية التي هي كافية لتأمين الانفس والاموال والاعراض وموافقة لمقتضيات الوقت والزمان ومرخصا في المعاملات المعلومة مع الدول المتحابة كما كان ولذلك للمتولي ان يبعث ويطلب الفرمان العالي ويعطى له على العادة، هذا ومهما وقع الاستدعاء والطلب من جنابكم السامي لصدر الامر العالي والفرمان الخاقاني فيما ذكر من الامور كما المقرر اعلالا يصدر لكم حسبما صدر الاذن العالي بذلك وبحسب المامورية تسارعنا لبيان هذا الحال لجنابكم بكل سرور يكون معلومكم ذلك وباطلاعكم على هذا المكتوب الدال على الخصوصية وبما يقرره لجنابكم خير الدين باشا شفاها يبين لكم ان نية السلطنة العلية منحصرة في الاصلاح والتأييد لايالة تونس ولذا تكم السامية ومقصورة على تخليص الرابطة القديمة والتابعة الممتازة بمقر الخلافة العلية ومنع ما يوجب دخول الخلل والتنافر ويحصل لكم الحزم واليقين بها ولا اشتباه في انكم تستجلبون دائما محاسن انظار حضرة سلطان الاسلام التي توجب سلامة الدارين وتستوجب ذكر الخير لحضرتكم مدى الاعوام فلذلك اكتفينا بتحرير هذا القدر ورفعنا دعاءكم الى محل الاستجابة فليكن ما كتبناه رهين علمكم العالي والامر كله لمن له الامر

ادخال اللغة الايرانية في المعاهد العلمية الدينية بالازهر الشريف

قررت مشيخة الازهر ادخال اللغة الايرانية في برامج التعليم كلفة شرقية تقع دراستها في معاهد التعليم الثانوية في جملة اللغات التي تدرس بجامعة الازهر والقراء على علم ان قانون اصلاح التعليم بالازهر من جملة فصوله فصل يتعلق بدراسة اللغات الحية وآخر يتعلق بدراسة بعض اللغات الشرقية وعلى الاخص ما يتصل منها باللغة العربية وبالفعل تدرس الآن عدة لغات شرقية وغربية وها قد زيد على المقرر منها اللغة الايرانية، وللصاهرة بين العائلتين المالكيتين العلوية والبهلوية تأثير على القرار الذي اتخذه اخير فان هذه المصاهرة احدثت تأثيرا عظيما في حياة المملكتين الاجتماعية والسياسية وحتى العلمية وبمثل ذلك تستحكم العلاقات ويجتنى النفع العظيم

في الادب العربي

- ٢ -

بقلم الاديب الفاضل الشيخ احمد بن المختار الوزير المتطوع
بجامع الزيتونة والمدرس بمدرسة ترشيح المعلمين

الشاعر

والشاعر المصور بقصائد شعره خلجات القلوب في الفرح والترح. والذي يمتدح به وشعوره الى من باتوا يتقلبون في اعطاف النعيم. ويمرحون في ظلال الحظوظ المقبلة بالخيرات والبركات. والى من باتوا هالكة اجسادهم. فانية ارواحهم. كسيرة اجنحتهم. من اولئك الفقراء الذين تكشفت لهم دنيا ايامهم عن وجه كالح عابس. واطفار تقطر من دمائهم. وانياب تتهش قلوبهم وكبودهم. في غير ما شفقة او رفق. والى من باتوا في لهب الاحقاد. ونهم الضغائن. يتوثبون للفتك. متعطش ظمؤهم اللهيء الى الدماء المسفوكه. فما يزالون من شر تناكرهم. والحاجة خصامهم وتناحرهم في نكادة عيش وهم واصب. والى من باتوا في وادي الحب الامين وقد تآلفت ارواحهم وتعاقت. وطنحت بخمرة منعشة من لذة الفرح قلوبهم. فرفرفت وحلقت

يمتدح الشاعر وشعوره الى هذا والى غيره من حوادث الحياة المستجدة مع الليالي والايام. ويستنطقها مستلهما. فينطق امامه. ما ظهر منها وما استتر. وما غاب في طي الزمان وما حضر. باوضح عبرة بالغة. واجل لحظة صادقة. يعيها حسه وشعوره. ويحيط بها ويحافظ عليها. ثم ما يزال ينظر اليها نظرات فاحصة ملؤها السكينة. والهدوء. ويتفرس جوانبها تفرس المعنى القبط. حتى لكأنها من دخر تجاربه في حياته الخاصة التي كان يتلقاها. ويسير في محافل دروبها مع غيره من سائر الاحياء. وكذلك يصف « روسكن » المصور والشاعر. فيدلنا بوصفه الدقيق. على انها من خلق اليف الشبه مثيل الفطرة قريب الموهبة. اذ يقول (ان كلا من الشاعر والمصور. يلتقط في ذاكرته كل ما رأى او سمع طول حياته. ويحفظه بالدقة التامة. كما تحفظ الاشياء في المخازن. فالشاعر لا ينسى أنه الانعام التي كان ينصت اليها في باكورة عمره. والمصور لا ينسى ارق طبقات الثوب. واشكال الالوان والاحجار. وفي هذه المعارف المتنوعة. التي هي غير محدودة بهم. الخيال - فيستخرج منها في اي وقت شاء مجموعات من

الاراء والاغراض ، والصور المتناسبة ، المنسقة ، الدقيقة ، واخيرا هذا البيان الفني العجيب (وايسر ما نستطيع استخلاصه من كل ما تقدم لنا من قول هو ان نعتبر الخيال اصلا يقوم عليه الفن في جملته فالجهة الاولى للفن هي ان يكون هذا القلب الموهوب راغبا ، تائق النزعات ، متوثب الطموح ، مجدا كل الجدي في طلب الحقائق ، وتحصيلها ، والمحافظة عليها ، واستبقائها حية مجسدة ، في دخر الذاكرة ، ومسارح الخيال

والجهة الاخرى هي محاولة اظهار تلكم الحقائق في نسق بديع مبتكر طريف ، فيه من الجمال والفائدة ، والتأثير ، ما يكفي لجعل الطبيعة ، ولا شيء يفوقها في بهجتها وجمالها وسحرها وخلابتها ، غير الفن ، يقول - افلاطون - (اذا قارنت بين رجل هو كما صيرته الطبيعة وآخر صار كما صيره الفن ، ظهر لك صنع الطبيعة ، أقل جمالا ، وانقص كمالا ، وذلك لان الفن اكثر اتقاناً واحكاماً) واقول ولان آثار الفن مصطبغة بلون خيالي نلجح في شعاعه الزاهر نزعة النفس البشرية الراغبة في الكمال ، الطامحة الى السمو ، وهذا دون شك يجعل الفن في مقام فوق مقام الطبيعة ، وما فيها من الكائنات .

فنفوس اولئك النوابغ الذين ولدوا على فطرة الفن الراسخة ، والذين زودهم القدر باقدس المواهب ، هي اشبه شيء بالاناء فيه مادة ملونة ، تحل فيه الاشياء فتصطبغ بذلكم ، فاذا ما برزت للوجود ثانية ، برزت على اصلها الاصيل ، وعلى هذا اللون الخاطف الجديد .

وهكذا يرى الاديب الشاعر ، ويسمع ما في الحياة ، والوجود ، وما في الطبيعة من الصور والمظاهر ، فلا يقنع بما يكتنزه في ذاكرته الواعية الحافظة ، بل تراه ، وكأنك به في سكينه ذهوله ، واحلام يقظته ، يغوص الى قرار سحيق الاغوار من اعماق تلكم الاسرار ، ليستخرج من اصدافها المغلقة ، ما شاء من معاني الجمال ، والعبرة ، وليصور منها ما شاء بعد ذلك من الهياكل التي يغمرها ما يعج في جنبات ارجائها من زكي النفحات الحاملة ، والاعطار الفاتحة .

كذلكم يتصور الشاعر ما يصور من المشاهد والمناظر ، فلا يتناول المادة في جمودها وخرسها ، بل تجد لتلك العبقرية الفنية روحا تبث في اصلاص الجامد الاخرس ، والساكن الصامت ، من كل شيء فاذا هو ينسلخ من صفة الجمود ، ويخرج عن طور الخرس والصمت ، الى الحركة ، والعمل ، والقول ، والافصاح ،

واذا شئتم فاستمعوا لابن الرومي يصف الروضة الاربضة ، وقد تهبأت لتوديع الشمس الغاربة ، يقول ، من قصيدة الباسق ،

اذا رقت شمس الاصيل ونفضت	على الافق الغربي ورسا مذعذعا
وودعت الدنيا لتقضي نحبها	وشول باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت النوار وهي مريضة	وقد وضعت خدا الى الارض اضرعاً

كما لاحظت عوادة عين مدنف توجع من اوصابه ما توجعا
وظلت عيون النور تخضل بالندى كما اغرورقت عين الشجي لتدعما
يداعينها صورا اليها روايتيا ويلحظن الحاظا من الشجو خشعا
وبين اغضاء الفراق عليهما كانهما خلا صفاء تودعا
وقد ضربت في خضرة الارض صفرة من الشمس فاخضر اخضر ارامشعشا
واذكي نسيم الارض ريعان ظله وغنى مغني الطير فيه مسجعا

ألسنا في الفردوس ؟ ألسنا نشعر ونحس بحركة ونشاط . وبيان وافصاح ؟ ألسنا نرى في ظلال هذا الوصف روحانية . تعرف الطرب والقصف . والضحك . والبكاء . والحزن الكئيب . والفرح العائز . النشوة ؟ ألسنا نرى خشوع الجلال وبأس القنوط ووحشة الين وهول التوديع ؟ ألسنا نرى كل هذا في هذه الدموع الحائرة المتعلقة باهداب الزهور والنوار . وفي هذه الشمس الغاربة . تعاني المرض الهالك . اذ تداعت الى السقوط . واحتت في ضراعة الانكسار . وذهول الاغضاء لتضع خدعا على الارض . وفي هذه النظرات العاطفة . التي تمتد قصيرة الملح لشهد وفاء الروضة يتجلى في ارووع معانيه واتم صورة ؟

ثم أليس من الحق ان نقول بعد هذا كله . اذا كان المصور قد استطاع ان يتسامى في عرض مناحي الجمال . وان يدع كل الابداع في تأليف ألوانه وتسميقها . وان يفتن في تجويد هذا العرض الى حد بعيد . وبذلكم تمكن من اشارة الاحاسيس . والعواطف في نفوس النظار . فان الاديب قد تمكن ايضا من ذلكم معتمدا نفس الوسيلة المرفهة النافذة ؟ وهل غير الحيال . جعل هذا الوصف قويا في جدته وطرافته . آخذنا بجماله وسحره ؟

الحِيَالُ

فالخيال عنصر له خطره واهميته في حياة الفن . ولا اتردد اذا ما قلت له اعظم خطر في حياة البشر . فهو نبع السلوان . وفيض المسرات . وهو مسرح الآمال وهو النور الذي بلعلة إشراقه . ووضاءة سنائه . ترى الانظار الطامحة قدسية المثل العالية . هو الذي اوجد الحضارة وخطر بها على معبر العصور من القديم الغابر الى الجديد الحاضر . لولا ما افتن كاتب ولا ترنم شاعر . ولولا ما صدح الوتر بمستعذب النغمات والالحان . ولا استحلّت صور الهياكل . وبهيج الماظير عينان . يقول الاستاذ « ولتون » من مشاهير علماء النفس الانجليز في حديثه عن منزلة الحيال في رقي النوع الانساني . (ان رقي النوع الانساني من الفه الى يائه يرجع الى شيئين هما : تخيل امور خير من تلك التي في محيط يئسنا . وبذل الجهود في سبيل ابرازها الى عالم الحقيقة . وما الكون التي ورثناها عن الماضي

الآصور مجسمة للخيال سواء في ذلك العلوم، والفنون، والآداب، والموسيقى، والقانون، والانظمة الاجتماعية، والاخلاق، والعقائد الدينية، اذ من المستحيل ان يتصور الانسان ما هو اعلى منه منزلة بدون خيال)

الى هنا وقد اوضحنا وجه الصلة الوثيقة بين هذا العنصر النفسي الذي بوحى الهامه وشعلة ضيائه بخلقه وابتكاره، بحدته وطرافته، قوي الانسان على حل الكثير من هذه الاسرار المهمة في مظاهر الكون، ومشاهد الطبيعة، وتعايير الحياة، وبهذا العنصر النفسي العجيب استطاع الانسان أن يقف وقفة العابد الناسك في محراب الجمال قريبا من عرش الجلالة، من قدس الرب، من الله الذي لا أول له ولا آخر له، (واننا في حبنا للجمال لمحبون عابدون لذلك الوجود الكامل المطلق الذي لا حد له ولا نهاية.

ولعل هذه المقدمات أوشكت أن أثبت في نفوسكم شيئا، وأن أزيل من نفوسكم شيئا آخر. أوشكت أن أثبت في نفوسكم صدق النظرية التي يذكر علم النفس في بيان الوسيلة التي يتعمدها الفن والادب في إثارة ما ينبعث في النفوس من تيارات العواطف وهزات الشعور، وأوشكت أن أزيل من نفوسكم ما كنا نفهمه في القديم من كلمة الخيال، فالكثير من الناس على انه ضرب من اللهو العابث، والزخرف الذي لاشي وراء لعلته وبريقه من الحقيقة والصدق، وأكثر من هؤلاء من كانوا يفهمون من كلمة الخيال الشعري بوجه الخصوص، ذلكم التكلف والاعتساف في صيد الخواطر النابية، ونظم الاستعارات، والتشبيهات القلقة الضاربة الى ابعد حد في الغرابة، والشذوذ، وتقييدها بخيوط النظم، ولها، ونشرها على اوضاع مختلفة متعاطلة،

فكأن الخيال في نظر هؤلاء أن يعنى الشاعر في طلب ما يستحيل حضوره في ذهن الامن طريق الوهم الباطل، والبهرج الذي لا ينم عن أصل ولا ينسب إلى أصل، وما كان يفيدنا الخيال، لو كان حقا ما يفهم هؤلاء المبتطلون ؟

ومهما يكن من شيء فالذي يتحصل لنا من كل ما تقدم، ان الادب كالفن يقوم على اصلين لا بد منهما، أولهما قدرة الاديب على تعرف الاشياء كما هي، واكتناهاها والتقصي في فهمها، وثانيهما عرضها عرضا قويا طريفا، يستفز كوامن النفس بما فيه من بداعة وحدة مغرية، يقول الاستاذ - فكتور كوزن - (الخيالي يعوزة الحقيقي ليكون حيا، والحقيقي يعوزة الخيالي ليكون جميلا، فالانسان لا يفترقان اذ كل منهما تمة للآخر، والجمال فكرة مستقلة بذاتها وان تكن لا ترى فانها تحس ويشعر بها) اجل الجمال فكرة مستقلة، وهذه الفكرة المستقلة انما يكملها ويجليها الخيال، واذن لخيال هو العنصر النفسي القوي اللازم لتكميل الفن وابرازه في اشكاله والوانه، ونسوق مثلا لهذا الفن الكامل في

التعاضد المتين « ٩ »

(تابع لصحيفة ٢١)

ثم لسا ممن يجراً على نصوص الشريعة بالتأويل والحال انه لا قاطع يوجب التأويل ولو كان قاطع ما اختلفوا فيه فالتجرو على التأويل لغير دليل قطعي هو ما نعاه القراء على من نزلت بهم المثلات ، وحيرة تلك الطوائف في اختلافها مع ان كل طائفة ما كانت تقصد الا الوصول الى الحق نجعلنا نججم عن تأويل النصوص خوف افسادها وان الاولى بنا هو الوقف ، ثم عدم الجزم بالتأويل اذا استند لدليل ظني ، وهكذا نقول الآن عند ما ظهرت مخترعات ومكتشفات فإننا نججم عن الجرأة على تأويل النصوص بما يطابقها الا اذا ظهر بالتجربة العلمية القطيعة والامتحان الفني اليقيني انها ليست فكرة قابلة للتغير مع تغير الزمان والكشف عن مخترعات اخرى .

اما اذا كان هناك ادنى احتمال لتغير الانظار وتحول الافكار مرة اخرى وكان الامتحان ليس يقينيا حسيا ، فالواجب هو ترك النصوص على ظاهرها تهيبا لحرمة الشريعة نعم يمكننا ان نقول ان هذه النظرية يمكن ان ينطبق النص عليها من غير ان نجزم بانها مراد الله خوف ان تقع في الكذب على الله - ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون - ثم اذا لم تثبت تلك النظرية وظهر فسادها نجونا من الجناية على القراء بحمله على معنى لا يصح ، كما جنى من طبق عليه انبساط الارض وكون الشمس تدور حولها وان الارض هي مركز الافلاك وانها ثابتة لا تتحرك الى امثال هذا من كون الارض فوق قرن ثور وان الثور على الماء والماء على الهواء ونحو هذا من افكار اسرايلية لا نبات لها في كتاب صريح ولا حديث صحيح بل خرافات خيالية وكل من طبق القراء على امثال هذا وشرحه به فقد جنى جنابة كبرى اوقعته في ضلال ميين .

فالقراء شريعة عامة وأبدية فيجب على المفسر ان يكون دائما يستحضر هذا المبدأ وان لا يفسر القراء الا بما هو ظاهرة الا اذا قام دليل قاطع على التأويل ، ومن هذا الباب من يفسره بالاشارة ويحملة من انواع المعاني الخيالية ما هو بعيد منه فكل ذلك خطر في الدين والى الضلال اقرب الا اذا قامت قرينة على ذلك

قال سعد الدين :، النصوص على ظاهرها والعدول عنها الى معان يدعيها الباطنية او غيرهم الحاد ، كما يجب على المفسر ان يكون مستحضرا لعظمة القراء وانه منزل من حضرة القدس لهداية الخلق فكهم من رأي كان قطعييا يقينيا عند من يراه قتيين انه محض خيال وكم من فكرة كانوا يعدونها وهما وشادة فاصبحت كلمة اجماع ، فالمسلم الخالص المخلص بيده برنامج عظيم للحياتين هو القراء الكريم

معارضات

قصيدة عامر ابن هشام

وصف الأديب الكاتب الناظم الناصر امام البلاغة الشيخ محمد الوريغي شاعر الامير علي باشا الاول لمتازل تونس مجاريا لقصيدة عامر بن هشام في وصف منازة قرطبة التي مطلعها :

يا هبة بكرت من نحو دارين وافت الي على بعد تحييني

وعلى منوال قصيدة الوريغي نسج ادباء تونس من المتأخرين كالوزير احمد بن ابي الضياف والشيخ

الباحي المنعودي وقد اثبتنا الجميع هنا تخليدا لادب تونس في القرن الماضي (معارضة الشيخ الوريغي)

باشر سعودك ليس الوقت بالدون واجعل صبرحك عند (باب سعدون)

واصحب الى الانس جذلان الفؤاد اذا طغت حياك قناد الصعب باللين

ماذا التوقف عن عيش تسر به وقطع اناك في حدس وتخمين

فاخلع عذار التوقي من عواقبه ما الحزم تركك قطعا لمظنون

اما ترى الروض قد القى السحاب به على طريق الغواذي اي بزيون

قد وشحته فنون النور وانسبطت على خمائله ظل الافانين

كانما قرح لما تقوس في ارجائه رشه من كل تلوين

وقف هنا (بابي فهر) المجيد فقد مضت به دولة الشم العرائين

ترى (الحنايا) كسطر النخل مد به بعض ابعض بمجني العرايين

او خرد نهضت للرقص فاعتنقت كي لا تجيء برقص غير موزون

والسنة الصحيحة، فيجب عليه ان يلحظهما بملاحظ العظمة والجلال لينتفع بهما في الحال والمآل، ان القرآن هو الذي كون انسانا كاملا ومثلا اعلى من مثل الامم، والقرءان هو الذي حفظ لنا الامة وجللها بجلال الحرمة وهذبها ونماها مع الاحياء في ماضي الاحقاب وهو المخلص لنا من احوال الحياتين عند ذي العزة والكمال.

وهو شرع تام اكمل وأرقى شرع عرفه البشر موافق لمواهب العقل ومكتشفات العلم الحقيقي يحدو بنا للكمالين، ويوؤنا متبواً النعمين ولا يحجزنا عن البلوغ لاي مرتبة من مراتب المجد بل يعيننا ويرشدنا الى بلوغ غاية الغايات ويهذب تهديبا يهينا للسمو الذي ليس بعده سمو، فما دنا متمسكين به ونحن مفلحون.

يتبع

ولست صاحب ظرف ان مرتت على (والعبدليات) تحكي في تصنها
وما مقيم لدى الاياب بـ (سكرة)
ولو وقفت (بقمرت) التي جمعت
ومل (لنوبة) وقت العشي اذا
وانظر الى (القصر) والاخرى تناظرة
والطير تصدح في حافاتها زمرا
ورح لـ (رادس) العليا وقبتها
حتى اذا ما قضيت البعض من وطر
فاركض الى ضحوة (المركاض) وانس بـ
واحضر عشية باب البحر مغتبطا
اما ترنجة (فهي البرء لو سلمت)
وارجع الى البيت من (باب المنارة) او
وطف من (البركة) المعمور (جامعا)
واخش الجمار لدى (بير الحجار) اذا
وان خرجت الى (روض السعود)
تلك المنازل لا (الزهرا) (وقرطبة)
فعد سوائها ان امكنتك وان
ولا تصد غير ساجي الطرف ذا حور
واستمج السعد من عند الجواد به
ولا تقل كيف يدنو ما أمله

(مرسى) الطريف ولم تنزل الى حين
ضرائرا جئن في غنج وتزيين
على القلاية الغرا بمغبول
شطوطها بين مرعى الضب والنون
ماج الاصيل بها بين البساتين
مثل البيادق طافت بالفرازين
جموع عجم اتت بعض الدواوين
بين الفرادس تبدو مثل شاهين
ورمت ايقاع فرض بعد مسنون
بها ما كان عندك من وحي الشياطين
فربما نفست عن كرب محزون
ساحاتها الفسح من لسع الثعابين
(باب الحديد) الى سوق الرياحين
الى (الرباع) الى ركن (القرسطون)
سعت منها الى (حمام زرقون)
ققب كما عرفت وبت في (درب زيتون)
كلا لعمري ولا غيطون (حيرون)
تعسرت فاستعن من مثل بركون
فانت في غير هذا غير ماذون
واستغن ان نلته عن مال (قارون)
فان مغزاك بين الكاف والنون

والشيخ الوزير الكاتب ابي العباس احمد ابن ابي الضياف
حين كان في اسطامبول متشوقا الى تونس سنة ١٢٥٨

نسيم تونس حياني ويحييني
لا غرو ان تاه قلبي في محبتها
اذ وجهتي لارض لا تلائمني
قاسى فؤادي اهوالا يذوب بها
بالله يا نسمة ان جئت تونس قف

والطيب منه اذا ما تهت يهيني
فأصل نشأته من ذلك الطين
وحبذا امرها يزكوا ويرضيني
اعود بالله من همز الشياطين
وانشر سلاما لها من قلب محزون

واستفتح النور من (طود المنارة) اذ
 ترى مراسي حلق الواد زينتها
 فانظر مدافعه واعرف عساكره
 ونزه العين في تلك البقاع وطف
 واسرع الى قشلة القنديل ان بها
 طوابر الاسد في آجامها ربضوا
 زادوا لاقدامهم ترتيب حريمهم
 ان الحنايا كنوع من وقوفهم
 قادوا الصواعق في سهل وفي جبل
 واستنطقوها اذا حنوا لنفعتها
 وسرح الطرف في قصر الامارة من
 مرصع بنظام فاق نظمهم
 غيل الملوك ومأوى كل ذي شرف
 ديوان كتابها ديوان حسابها
 وغيرهم من جموع طاب نشرهم
 قاموا بخدمة مولاهم وطاعته
 مدار عصبتهم مأمور سيدهم
 واعطف على قشلة الفرسان تبصرها
 عقباتها من ظهور الخيل قد نبتوا
 تطير للباس في الهيجا حيادهم
 واستحضر العيش بالخصر وساكنها
 اصل العلوم ومأوى الصالحين بها
 أنس الغريب بها ينسى مواطنه
 وتمع النفس من مرأى محاسنها
 واعجز الى القشلة الكبرى بعسكرها
 غاضوا محاربهم عزوا محاربهم
 وادخل مساجدها وادكر محامدها
 والجامع الاعظم اجمع من فرائده

يبدو لمنظرك (الباحي) على حين
 شواخ السفن كالطير الميامين
 في البر والبحر حازوا خير تمكين
 على الحصون ومأوى عسكر الدين
 سمط المدافع في زي الثعابين
 ان فاه أمرهم لبوة في الحين
 واتقنوا نظمه من غير تخمين
 لا مثل نخل لمجني العراحين
 طاروا باثقالها مثل الشواهين
 اصواتها عندهم رجح التلاحين
 ارجأها اذ بدا في كل تلوين
 سلك الجواهر في تلك الاساطين
 بقاعة شرفت اهل الدواوين
 ديوان قوادها اهل القوانين
 طيب الرياض بانوام الرياحين
 فلن ترى خطوة في غير ماذون
 فيما يصرف من صعب ومن لين
 تلهفت وتردت بالساتين
 مثل الجنود تنقت من افانين
 فاعجب من الجرد تجري بالموازين
 واسعد باتيانها من باب سعدون
 ومركز الدين من فرض ومسنون
 وموضع اليسر من عيش المساكين
 وانظر مشائر من شم عرائين
 وانظم من الدر في نسق الاساطين
 زانوا بصولتهم كل الميامين
 وصف معامدها وصف المجانين
 ما يقتضى لنحور الحرد العين

قد زانه احمداك المشير ومن
كتائب الكتب اهداها وقد عجزت
قوى بتسييرها تايد عسكرة
يا حسنها وهي بحر في خزائنها
وكم له من فعال لا عداد لها
لا زال يلبس والتايد يصحبه
ما قال صب من الاشواق في قلق
به الايالة في عز وتمكين
عنها الملوك ولا هموا بتخمين
اذ مرجع الكل في التحقيق للدين
يغنيك جوهرها عن جوهر الصين
تبقى مع الدهر شجوا للالعين
ملابس العز مع تاج السلاطين
نسيم تونس حياني ويحييني

والشيخ الاديب الكاتب الرئيس ابي عبد الله محمد الباغي السعودي مسابرا
للشيخ الوزير الكاتب ابي العباس احمد ابن ابي الضيف تعمدهما الله بواسع رحمته

حي نسيمك حتى كاد يحييني
سرى عليلا وأومى بالسلام الى
فجدي الشوق واستولى على جلدي
وبت في حرق والطرف في ارق
سقى ربي تونس الحضرا وساكنها
ولا أذاقني الرحمن فرقتها
ربع الاماني ومأوى كل ذي ادب
منشى شبابي واتراي ومرضعتي
قم يا نديم نباكر روضها سحرا
اهدى الربيع لنا ظرفا وتكرمة
اما ترى اعين الازهار غامزة
ساعد اناك الى (اريانة) فيها
واغتم بها نفس الاسحار مصطبحا
وملح (شطراته) عند القبوق وقف
و(جعفر) لاذت اغصانه وسقت
ظل ظليل وماء كالسلاف على
وارتد لنفسك في (رواد) منزلة
واحمل الى شاطئ المرسى (وقبتها)
وواصل الانس وارفل في ملابسه
يا تونس الانس والسلام والدين
مضى بجك نائي الدار مغبون
وصرت اخفيه حتى كاد يخفي
والنوم اعصيه احيانا ويعصيني
سحب من الغيث ترضيهم وترضيني
فانه موجب ضعفي وتوهيني
ومكنس للهي والحرد العين
ندي السرور الذي ما زال يروني
فالسعد قابلا من باب سعدون
نسيم انفاسه ضمن الرياحين
اللهو والقضب للافراح تدعوني
روض توشى بوردي ونسرين
من خمرة عثقت في دير عبدون
واطلب بها ما تشاء أتيك في الحين
ثغور ازهاره بنت الزراحين
رجع النواعر ربات التلاحين
واخلع عذارك فيها خلع مامون
خمر مشعشة من خمر برزين
وانزع به الكاس واشربها وسقيني

وسرح الطرف مرتاحا ومبتهجا
والغيد تمرح والغزلان تسبح ما
تلف العذول عذيرا في خلعتها
واسلك الى (شامخ الباجي) وترتبه
حتى اذا ما بلغت الحد من طرب
فاسرع الى (حلق وادها) وشمه ترى
ترى به الفلك بالابراج محدة
تزيت بصفوف من مدافعها
وسل (ابالحية) ذاك المجاهد عن
وادخل الى القشلة الكبرى فان بها
اسد العساكر في أجم السلاح جنوا
في سورة الصف من احوالهم مثل
واركض إلى قشلة الفرسان تلف بها
تحكي قواضهم لمع البروق دجى
وفي فنى قشلة القنديل اسد شرا
الحزم والصبر والاذعان دأبهم
وان وصلت إلى (قصر الخلافة) قل
يا قبة العدل يا دار الامارة يا
لا زلت تخلص في عز وتكرمة
فيا منازل ذي فتك وذي نسك
انت المنازل حقا لا منازل من
ما شاد ذكرك قلبي من يقول بها
حنوت. حذو أبي العباس احمد في
فخري وذخري واستاذي الشهير ومن
مثنى الوزارة من سيف ومن قلم
يدوم في العز فدا لا بسا أبدا

في خضرة البحر حينا والبساتين
في البرضب ولا في البحر من نون
اذ حسنها ناب عن نصب البراهين
واسأل هناك عطاء غير ممنون
وأبت للجد بعد اللهو واللين
ما خلدته يد الشم العرائين
مثل البيادق طافت بالفرازين
سود فواغر امثال الثعابين
فعاله في اعاديه الملاعين
جندا مفاخرهم بالمجد تغريبي
لنصر سلطانهم والقطر والدين
لا زال سعدهم في حرز ياسين
قوما كراما على غر ميامين
من كل غضب بماء النصر مسنون
قد تاجروا الله تجرا غير مغبون
في حسن سمت بوعد النصر مقرون
حيث حيث ، يا مأوى السلاطين
ملجأ لكل غريب الدار مسكين
لسادة العصر ارباب الدواوين
ويا معالم تلحين وتأذين
يقول ياهبة من نحو دارين
باشر سعودك ليس الوقت بالدون
نسيم تونس حياتي وحيي في
وجدي به في تجايف الشرايين
ومنصب غير محتاج لتيسين
سعادة من الاكاف والنون



الخطوط الكوفية

وتاريخ ادوارها بالقيروان

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد

كان الخط الكوفي اولاً مهملة جميع حروفه لا اعجام فيها أي لا نقط وهذا في دور النبوة والخلفاء الراشدين وما قبله . ومنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم للقوقس الذي عثر عليه أخيراً بدير بعض الاقباط بمصر وأخذت صورته بالقوتوغرافيا، ثم لما اتسعت الفتوحات الاسلامية واختلطت عناصر الاسلام ووقع اللحن والتحريف وحل محل الاعراب الذي كان سليقياً عند جميع العرب وخيف تسرب به للقرآن العظيم وقراءة المصحف الشريف ووقع ما هو مقرر في سبب وضع علم النحو . جعلت علامات الاعراب نقطا حمرًا توضع على الحرف الاخير موضع الاشكال التي توضع على الحروف اليوم، فالضم نقطة حمراء توضع في السطر حذو آخر حرف من الكلمة مثاله قبل . - بعد . واذا كان تنويناً أي ضمتين توضع نقطة اخرى ثانية فوق الاولى مثل قتال : من قوله تعالى قتال : فيه وكفر : والنصب نقطة حمراء أيضاً فوق الحرف كقوله عند الله والخفض نقطة حمراء أيضاً أسفل الحرف كلفظ الجلالة في قولك عند الله وهذا يوجد في كثير من بقايا أوراق بعض المصاحف العتيقة المحفوظة بمكتبة الجامع الاعظم بالقيروان* . والاغرب أن العبدري ذكر في رحلته أنه أطلع على مصحف بهاته المكتبة قيل له إنه المصحف الذي بعثه سيدنا عثمان لاهل افريقية . وبينه بقوله في ورقاته : طوله شبران وعرضه ثلاثة أشبار . واليوم توجد أوراق بالمكتبة بهاته الكيفية وهاته المساحة وعلى هذا النمط فلا يبعد أن تكون هاته الأوراق من هذا المصحف بعينه . ثم استعمل إعجام الحروف التي كانت سابقاً مهملة لكنها استعملت في صورة أشكال صغيرة فوق الحرف وباسفله . وجعل للقاف شكلتان وللفاء شكله واحدة فوقهما . وفي هذه الآونة الذي هو الدور الصنهاجي توجد أيضاً هاته الاشكال بصفة اعراب وبقون الحروف كلها مهملة لا نقط بها . وهذا يطبقه الراي في مصحف فاطمة حاضرة باديس الموجود بقايا من أوراقه بهاته المكتبة . هذا ما يتعلق بكتابة المصاحف بهذا الخط الكوفي أما الخطوط التي تنسخ بها الكتب العلمية وأوراق دواوين الحكومة وسائر الكتابات العمومية . فكلها مهملة لا إعجام فيها ولا أشكال . ودام ذلك على هاته الحالة حتى الدور العبيدي والصنهاجي . أما الكتابة بالنقش على الصخور بالخط الكوفي فهي من أول الامر إلى أن انقطع استعمال الخط الكوفي حروفه كلها مهملة . لكن في الدور الاغلي كان يحفر الحروف في الصخر ودام حتى لاواخر الدور الاغلي أي لما قبل المائتين والخمسين من الهجرة وما يقرب من ذلك . ثم في أواخر الدور الاغلي إلى انقراض استعمال الخط الكوفي كانت الاحرف كلها بارزة ولا يوجد حرف بصفة حفر ثم صار يتألق في جمالها حيث كان لها سوق خاص وهو سوق النقاطين اليوم الموجود بالنهج الكبير بالقيروان وفي الدور الصنهاجي أدخلوا عليه تحسيناً يأخذ بمجامع القلوب وهو جعله في وسط أغصان ازاهر كالكتابة الموجودة إلى اليوم في الألواح التي على بيت المنز ابن باديس بجامع القيروان . وعلى كثير من مشاهد قبور الجناح الاخضر لمشاهير الرجال والعلماء .

بحوث تونسية

تعليم الاهليين

أبرز موظف عال فرنسي ممتاز بالذكاء وجودة القريحة رسالة تحت هذا العنوان جمع فيها ما كان كتبه في فصول متفرقة بمجلة « لجنة افريقيا الفرنسية » في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ فتعرض في هذه الرسالة للإدارة المركزية ولرجال السلطة الاهلية وكيفية سير الرقابة الفرنسية التي اقتضتها الحماية وللحريات العمومية ولتعليم الاهليين ولتطور النظام العقاري البري وللإصلاحات الادارية التي أنجزت في سنة ١٩٣٨ على عهد المقيم السالف م. أرمان قيون

ونحن نحب في هذه العجالة أن نترجم بعض فقرات من القسم الذي عنوانه « تعليم الاهليين » حتى يتبين منها قراءنا الكرام فكر المؤلف في هذا الموضوع الهام

فمن جملة ما قاله : إن برنامج الصادقية الشبيه ببرنامج المدارس الاسلامية بالمغرب يرفع التلامذة لمستوى من الثقافة الفرنسية قريب من مستوى البكالوريا وبهم ثقافة عربية تضارع ثقافة جامع الزيتونة بيد أن هناك فرقاً بين تثقف خريجي الليسي وبين الصادقيين فالاولون يميلون في الغالب الى التحرز من كل القيود بينما الثانون يقعون متمسكين أكثر من الآخرين بعقيدتهم

أما الذي يتفق فيه الطرفان فهو ان تعليمنا ينمي فيهما إحساساً ملياً حاداً للغاية ويمكننا أن نشاهد بأن قادة الحركة الدستورية قد كونهم تعليمنا الثانوي وإذا فكرنا بأننا اليوم نعطي هذا التعليم لآلاف وستمائة أهلي « في جملة ٦٥٠٠ تلميذ بالمعاهد الثانوية » جاز لنا أن نخشى إقلاق أركان الدستور في يوم قريب جيشاً عرمرماً

ثم قال : ينتقد الفكر الاسلامي العام علينا جعل الثقافة العربية ذات قسمة ضيزى في التعليم الابتدائي وعدم جعل اللغة العربية من جملة المواد الجبرية في امتحان الشهادة الابتدائية

وإذا شئنا أن نبحث عن أحد أسباب نمو المدارس القرآنية العصرية بسرعة التي تخصص للتعليم العربي والاسلامي المقام الاول وللتعليم الفرنسي المقام الثاني وجدناه في ضعف المواد العربية في تعليمنا الابتدائي وفي لائقته

وفيما يخص عدم انتشار التعليم كما يجب قال : « على الرغم من المجهود الذي بذلناه لتوسيع نطاق التعليم بالإالة التونسية لا يزال الجانب الاوفر من الشعب غارقاً في لجة الجهالة فمن ٣٠٠٠٠٠ من التونسيين الذين هم في سن الدراسة لا يزالون التعليم في مدارسنا الابتدائية إلا ٤٢٠٠٠ طفل من أطفال الاهليين ولا يغشى المدارس القرآنية العصرية إلا بضعة آلاف فقط

على ان الصحافة الاهلية لم تنفك تنتقد علينا ترك خمسة أسداس السكان في خضم الجهالة والامية وبذلك تبدى نحونا في ثوب المنكر الجميل . فهل هي تجهل ان مصر وهي البلاد التي تستقي منها تلك الصحافة مثولها وأقيستها لم تستطع أن تنشر التعليم أكثر مما استطاعته هذه البلاد وان الامية فيها متفشية أكثر مما هي متفشية في تونس

وقال في خصوص المدارس القرائية : « إن هذه المدارس هي مدارس حرة انشئت بسعي من بعض المحسنين لكنها لا تقوم اليوم في الواقع ونفس الامر إلا بفضل الاعانات التي تمنحها اياها الحكومة وهي إعانات نمت مقاديرها بسخاء تام استجابة لضغط القسم الاهلي من المجلس الكبير وهذه الاعانات قد اغرت بدون شك ارباب الشهادات العلمية الذين يريدون تكوين مرتزق لهم باحداث مدارس من ذلك النوع . وذلك هو احد اسباب تكاثر ذلك الضرب من المدارس ومن اسباب انتشارها ايضا هو انها لما كانت غير خاضعة الا لرقابة خفيفة فانها يمكن ان تتالف منها وسيلة طيبة للغاية لنشر المبادئ المالية من اجل ذلك نرى ان ينشر المدارس القرائية هو من دواعي الاهتمام المستمرة للدستورين . .

واذا كان التعليم القرائي العصري يحظى بعطف المليون التونسيين فانه يلاقي معارضة عنيفة في الاوساط البيداغوجية والماصونية التي ترى فيه - ولها الف حق في ذلك - حائلا دون صبغ الايالة التونسية بالصبغة اللائكية وهذه اللائكية هي التي يؤمل منها مثلاً كان يؤمل فيما سبق بواسطة التصير التوصل لمزج العنصرين او على الاقل تقرب مسافة الحلف بينهما .

ولقد لاحظ الماسوف عليه الكولونيل مارتى انشاء مسامرة قام بها ان الشرق العربي يتقرب الى النظم العصرية بدون جنوح لللائكية بخلاف تركيا فان اساس نظمها العصرية هو اللائكية . وليست مهمة المدارس القرائية العصرية في الواقع الا حفظ العقيدة الاسلامية مع التوفيق بينها وبين العلوم الحديثة . ولن تؤول في آخر الامر الاتوسيع الشقة التي تفصل بين العالم اللاتيني وبين العالم العربي . وقال المؤلف في خصوص الجامع الاعظم ما مفاده ان حركة النهضة العربية قد شملت ايضا ذلك المعهد الديني وتناولتها مثل جامعنا العلمية في القرون الوسطى المعارك بين القدماء والمحدثين ثم قال ينبغي قطع دابر النزعة التي ترمي تدريجيا لادخال جامع الزيتونة ضمن المؤسسات الدولية وذلك لسببين اولهما اجتناب النفقة الباهظة التي تترتب على ذلك بالميزان وثانيا لحفظ سمعة ذلك المعهد الديني . ضرورة ان العلماء الذين اعتمدت الارباح المادية التي قد يجنونها من سيورتهم موظفين قد غاب عنهم ما يحيق بهم من نقصان في نفوذهم حين يخضعون لادارة هي لائكية بطبيعة الاحوال وتسير تحت رقابة فرانس .

وليس بممتع تمكين اساتذة الزيتونة في آن واحد من استقلالهم الفكري ومن عيشة يسر وذلك بتنظيم تلك الجامعة على مثال مؤسسة ذات فائدة عامة تجر لها اعانات من الاوقاف ومن الدولة

وتباشر التصرف في مداخيلها وإدارة شئونها مستخدمين بنفسها وهذا هو نفس النظام الجاري به العمل في الجامع الأزهر . . .

وأردف ذلك بقوله « لو يتم لاساتذة الجامع الأعظم مرادهم من نيل مرتباتهم من مخصصات ميزان التعليم الدولي أذن لن يبق لهم إلا المطالبة باعتبار التعليم الذي يمنحونه هو التعليم الوحيد القانوني في مملكة إسلامية تاريخيين لفرانسا مهمة القيام بمدارسها اللائكية والفرنسية على نفقة ميزانها الإمبراطوري . . . »

« لقد كان التعليم بتونس قبل انتصاب الحماية ضليل الانتشار ضعيفه . وكانت أساليبه بالية غثيفة تهدي بالتعاليم القرآنية خاصة وبفضل فرانسا قد أقيمت مدارس عصرية ذات ثقافة لاتينية ازاء الكتائب والمعهد الزيتوني وقد أقبل الأهالي على هاته المدارس زرافات . لكن رغم كون الأساليب التي يتلقاها الأهالي بمدارسنا ممتازة عن أساليب التعليم القرآني فإنها لم تتمكن من القضاء على هذا التعليم قضاء نهائيا ، بل الامر بعكس ذلك ضرورة ان هذا التعليم بدافع مزاحمة التعليم الغربي إياه قد اخذ يسعى جهد المستطاع في التعود بأساليب الحياة العصرية فهل يدرك هاته الغاية ؟

لا نظن ذلك رغم المجهود العظيم الذي بذاته الامم الشرقية للبقاء على مدينتها بارجاعها لعنفوان شبابها وادخال عناصر جديدة عليها ورغم المجهود العظيم الذي بذلته ايضا هاته الامم لانشاء مصطلحات علمية والفاظ جديدة قد ابقى الاسلام باب الاجتهاد موصدا طيلة قرون عديدة فكيف يمكن ان يفتح بدافع قوة الناشئات المسئلة التي يدفعها للقيام برد الفعل شعورها بالانحطاط اكثر مما يدفعها لذلك ما يخالجها من مباد نزاعة الى التكوين والانشاء .

ان الثقافة العربية اذا ما وقع تجديدها فانها لا تستطيع ان تستقي قواعدها العلمية الا من المصادر الغربية وبذلك لا يسعها الا ان تكون مدينة بالفضل للثقافة اللاتينية

ويلاحظ لنا ان حركة تجديد الثقافة الاسلامية ليست الا عاملا من عوامل الدفاع وحفظ الذات وهي ضرب من ضروب المقاومة الروحية التي لا تستطيع الا تاخير الاجل الذي تجرف فيه الشعوب العربية حتما في تيار المادة والمبادي الواقعية الغربية . على ان الثقافة المقتبسة من تعاليم ديكرات الباعثة للفكرة النقدية هي التي تستطيع وحدها ان تحقق لتلك الشعوب مستقبلا في العالم العصري

بقي لنا ان نعرف هل من مصلحة فرانسا تعجيل هذا الانبعاث ام من مصلحتها بعكس ذلك تنشيط انكماش المحتمين بها في الانواب الحريية للفلسفة الشرقية

ان استبقاء الثقافة القرآنية العتيقة التي تمتزج فيها الروحيات بالزمنيات ولو كانت مصطبغة بالصيغة العصرية من شأنها ان تبقي بين الفرنسي وبين البربري المستعرب بالشمال الافريقي حاجز الاسلام . غير ان اختلاف أساليب التفكير لا يكون حتما من العوائق دون ارتباط او اصر المودة . بل انه قد يسهل اسباب العلائق الحسنة اذا كانت الطبائع متممة بعضها بعضا مثلا هو الشأن هنا . لان ميل الافريقي للخيال لا يمكنه ان يستغني عن نشاطنا الواقعي

ان الخطر هو ان يكون من نتيجة ادخال الأساليب العصرية على الثقافة الاسلامية فض ذلك الرباط من المصلحة بايها المحتمين بنا انهم بلغوا درجة النضوج العلمي . واذا كان المليون المسلمون

هم اشد الناس تشييطا لحركة التجديد الموما اليها فهل ليس ذلك الا لكونهم يؤملون من ذلك فائدة مزدوجة : فالمتعلم العصري سيكون اداة لمبادي التحرير السياسي بينما التعليم القرآني الذي سيمتزج به من شأنه ان يقيي الافكار في جو من التعصب الديني وجنوح لاختذار الحروب الصليبية لذلك فاننا نتساءل عند ما نتصور في آن واحد ماضي اممة الشمال الافريقي التي تلقت ثقافة لاتينية وكذلك افاق مستقبلها البعيد هل ليس من اللائق لخلود امبراطوريتنا ان نعطل بل نعرقل حركة الرجوع الى الموارد الاسلامية المجددة بتوسيع نطاق تعليمنا اللائكي واللاتيني شيئا فشيئا الم يكن الامل الوحيد في جعل ابناء هذه الملة متعلقين بنا تعلقا عميقا محصورا في تكوين صلة تعاطف حقيقي بيننا وبينهم من الوجهتين الفكرية والمعنوية ؟ لكن سياسة التعليم اللاتيني والاندماج الثقافي تستدعي ايجاد موارد ارتزاق للمحرزين على الشهادات العليا الذين تكونوا بمدارسنا واغترفوا من مناهلنا والا فانهم سيصبحون نواة حق الامة التونسية على فرانسا الكريمة المحسنة سيما وان هؤلاء الشبان يعتبرون شهادتهم كاداة تكسبهم حقا صريحا .

وانما نرى اننا اتينا في مشروعنا الاستعماري الماضي هفوة كبيرة لكوننا ساعدنا على تطور الشعوب الاهلية ونمو ما اوتوه من مواهب خارج دائرة تقاليدنا بدون ان نتحقق من كونهم سيجدون شغلا بمجرد ما يتم تكوينهم الثقافي . وقد وهبناهم الحريات العامة بدون ان ننظر هل من الممكن تمكينهم ايضا من البرلمان الذي هو من مستلزمات هاته الحريات واننا نسرف اسرافا في نشر التعليم بدون الثقافات الى عدد المناصب المحدودة المفتوحة في وجه تلاميذنا الاهليين

وفوق ذلك اذارات فرانسا لزاما عليها ان ترمي لتكوين اندماج ينمو شيئا فشيئا نحو تقرب عناصر امبراطوريتها من بعضها بعضا فلا يظهر من المتعذر ايجاد مجال للعمل لارباب الشهادات العليا من التونسيين الممتازين خارج بلدانهم في الاقطار الافريقية المتاخرة بالنسبة لغيرها او بام الوطن . اذ بواسطة مزج العناصر الجديدة المتكونة منها الامبراطورية الفرنسية بعائلتنا الفرنسية العتيقة تكون « وطنية امبراطورية » على انه لا يكفي تعليم الاهليين بامتلاكنا باللغة الفرنسية بل ينبغي ان نكون فيهم قلبا فرنسيا . وهذا ليس بالصعب اذا اردنا ان نتجشم ما ينتج عن ذلك من المشاق . ولهذا الغاية يجب الا يتماذى طلبة شمال افريقيا بكلياتنا على العيش كجالية اجنبية منقطعين عن العائلة الفرنسية او حائقين مع بعضهم بعضا . ينبغي ان نعددتونس وباريس الاتصال بين هذه الشبيبة وشيبتنا ونفتح لها ابواب بيوتنا ونحدث لها نواحيا للدعاية والتهديب . ان الحوادث الاخيرة التي شجرت بتونس مثل التي وقعت بالمغرب او بمصر او بسوريا قد كشفت النقاب عن الدور المهم الذي تقوم به الشبيبة في الحركات السياسية بتلك الشعوب التي هي بصدد اجتياز ازمة تطور . ومن المحقق ان الزجر يستطيع ان يهدى . موقنا اليجان الشعبي لكن لنكن متحققين ان النار لا تزال كامنة في ادمغة الطلبة . فعلينا ان نبذل كل جهودنا لنجلب اليها تلك الشبيبة ولنستحوذ على عطفها ثم ياتي اخلاصها اليها فيما بعد من تلقاء نفسها . ولا ننسى ان رجال الزعامة العريقة من ذوي البيوتات القديمة بتقلص ظلمهم بسرعة يوما فيوما امام النخب المثقفة . فالطلبة اليوم هم رؤساء الغد . فاما ان يكونوا خصومنا لنا او معاضدين لمشروعنا

« عن النهضة الغراء »

حول البحوث التونسية

لقد عودتنا حوادث هذه الشهور ان تبغتنا شركات الاخبار وءالات الازاعة بحوادث عالمية ومفاجئات غريبة لا تخطر على بال عظماء السياسة وأصحاب الافكار والاراء، حتى توطدت نفوسنا على تلقي ما يجد من الحوادث والفت أسماعنا العجائب والغرائب، نترقب ظهور الجرائد اليومية الصباحية والمساءية مطمئنين انا سنجد فيها ما لم نكن نتوقه ولا يدخل تحت حساب

ولقد طلعت علينا النهضة الغراء في يومي (١٤) و (١٥) من شهر افريل بمقالين افتتاحيين تحت عنوان « بحوث تونسية » ترجمتهما عن مجلة افرنسية قالت انهما لموظف عال افرنسي ولقدلفت نظرنا هذا العنوان لتعلقه ببلادنا العزيزة التي هي إحدى مشاكل اليوم المتعقدة وظننا اولاً ان هذا الموظف العالي يعالج مسألة سياسية ومشكلة من المشاكل العامة الدولية لكن ما اتينا على المقالين حتى علمنا ان الرجل انما يعالج مسألة فنية وهي مسألة التعليم، وبما ان هذا الموضوع يهمنا بصفة خاصة لا سيما وفيه الحديث عن جامع الزيتونة قرأنا الفصلين باهتمام شديد، وما انتهينا منهما حتى تمكنا العجب واستولت علينا الدهشة، وقلنا :

كل يوم تبدي صروف الليالي خلقاً من أي سعيد غريباً

موظف عال افرنسي ممتاز بالذكاء وجودة القريحة يطعن المسلمين طعنة نجلاء في قلوبهم يحقر تعليمهم ويزدري كتابهم ويحط من قيمة علمائهم ويظهر ما يمكنه ضميره من البغض لهم في قالب نصيحة ويجهر بدعوة الحكومة الى محق اللغة العربية والدين الاسلامي والسعي في ادماج المسلمين في العائلة الفرنسية وإدخالهم في بودقتها وطبعهم بطابعها قلباً وقالبا

يجهر بكل ذلك موظف فرنساوي في تونس المسلية التي على رأسها امير مسلم شديد التمسك بدينه ولغته وله وزراء مسلمون لهم مثل ذلك الاحساس وحكومة الحماية تعترف لها بذاتيتها وتلتزم باحترام لغتها ودينها بل وعوائدها، ولكن هي السياسة ما دخلت في شيء، الا افسدته، تدخل في التعليم فتفسده، وتدخل في اللغة فتفسدها، وتدخل في الدين فتفسده، فأعوذ بالله من السياسة وما تصرف منها، تكلم هذا الموظف العالي اولاً على التعليم بالصادقية واللبسي وقارن بينهما وفضل الثاني على الاول بطرف خفي لانه تعليم لائكي بخلاف التعليم الصادقي لانه يقي خريجه على معتقدهم، ثم ذكر ان الذين يتلقون التعليم الثانوي من المسلمين الف وستمائة ضمن (٦٥٠٠) وقد استعظم هذا العدد على قلته وخشي ان يصير جيشاً عرمرماً، ولولا ان السياسة أثرت على هذا الموظف الكبير لما خشي من انتشار العلم بين التونسيين، وما عهدنا قط ان العلم يكون خطراً على أحد، وانما الجهل وحده هو الذي يكون سبب الشر والبلاء.

ثم ذكر هذا الموظف ان الفكر العام الاسلامي ينتقد القسمة الضيزى بين اللغة العربية والفرنسية وعدم اعطاء الاولى ما تستحقه من العناية، ولكنه لم يجب عن هذا الانتقاد، ولربما كان لسان الحال أفصح من لسان النقال .

ثم أعترف بقلة عدد المتعلمين وانتشار الجهل والامية في خسة اسداس الاطفال (وهو الخطر الحقيقي) ولكنه اعتذر عن ذلك بأن مصر رغم انتشار العلوم بها وصيرورتها مركز الثقافة العربية لم تنزل الامية فيها متفشية اكثر مما هي متفشية في تونس .

ونحن نجيبه عن ذلك بانه اخطأ خطأ مبيناً فان التعليم الابتدائي بمصر قد انتشر انتشاراً عظيماً حتى صار اجبارياً او كاد . وتلاميذ المعاهد الثانوية ذكورا واناثا يعدون بمشرات الالوف او ازيد والمعاهد العليا والكليات منبثة في البلاد تدرس فيها جميع العلوم والفنون . وليس اليوم الذي تزول فيه الامية عن بلاد الكنانة ويغيب شبح الجهل عنها ببعيد . ولعل هذا الموظف السامي لا يعرف شيئا من احوال البلاد المصرية ولا يقرأ جرائدها ولم يطلع على احصائها ولم يشعر بانها خطت خطوات فيسحة سريعة في مضمار العرفان .

ولقد اعترف جنابه بتفاهة التعليم الدولي المعطى للتونسيين واستشهد بالارقام . فمن بين (٣٠٠٠٠٠) مسلم في سن التعليم لا يوجد به الا (٢٠٠٠) فقط والبقية غارقون في لجة الجهالة . ولكنه مع ذلك عظم عليه ان يرى المدارس القرآنية مفتحة الابواب بها بضعة الاف من الاطفال يتعلمون اللغتين الا ان اللغة العربية لها النصيب الاوفر . فهو يرى ان بقاء هؤلاء في لجة الجهالة خير من تعلمهم على طريقة يرى انها خطر على السياسة . واستدل على خطر هذا النوع من التعليم الذي يلاقي معارضة عنيفة في الاوساط البيداغوجية والمأصونية لانه حائل دون صبغ الابالة بالصبغة اللائكية بان الدستورين مهتمون دائماً بهذا النوع من التعليم لانه وسيلة طيبة لنشر المبادئ المالية .

انا لنعجب والله ان يصدر مثل هذا من موظف عال . وانا لشارحون له سبب تعلق الامة بهذا النوع من التعليم . ان عموم التونسيين يطلبون فتح المدارس القرآنية العصرية لسببين فقط . احدهما ضيق المدارس الدولية عن ايواء ابنائنا وبقاء الاكثية الساحقة منهم يوجبون الطرقات يتلقون فيها أسوأ الاخلاق ويتعلمون المنكرات حتى اذا ما شبوا كانوا بلية هذه الامة ومصيتها العظمى يعمرسون السجون ويكونون قدى في عين هذا الشعب المسكين .

ثانيهما ما للغة آباءنا وديننا من الحظ المنقوص في المدارس الابتدائية الدولية ومعاملتها بالدون وما نابها في القسمة الضيزى .

وما كانت المدارس القرآنية العصرية في وقت من الاوقات وسيلة طيبة لنشر المبادئ المالية . او ليست المدارس المذكورة خاضعة لادارة المعارف داخلية تحت مراقبتها ممثلة لاوامرها . ولم يكن

زعماء الدستور اليوم من خريجها . فما تخرجوا الا من مدارس الدولة بتونس ومدارس فرنسا فهي التي كونتهم وطورتهم ونفخت فيهم من روحها .

ولقد صرح اخيرا (وانا لشكره على هذه الصراحة) بان الحوف الاعظم من تضائل اللائكية ورسوخ العقيدة الاسلامية في قلوب التونسيين بسبب هذه المدارس وذلك سبب بعد الشقة بين العالمين اللاتيني والعربي . ولكننا نقول له : ان الشعب التونسي شعب مسلم منذ ثلاثة عشر قرنا ولغته هي العربية وانه رغم اختلاف عناصره التي تكون منها فانه لا يشعر الا بانه عضو من العالم العربي الاسلامي المنتشر في جميع اقطار الارض وهو لا يريد ان يتحول عن ذلك في مستقبل الزمان الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وتمسكه بأهداب دينه ولغته وقوميته لا يكون حائلا بينه وبين التطلع نحو الرقي والسير نحو المدنية الحقيقية والحضارة . وتاريخنا المجيد على ذلك اعظم شاهد . فلا يكن في صدره حرج من ذلك ولا يحزن علينا . وليعلم أن للعلم رحما أقوى وأمتن من رحم القربة وان انتشار المعارف لا يزيد الامم الا قربا من بعضها . ولا يوسع شقة الخلاف الفاصلة بين الاديان المختلفة الا الجهل . ثم انتقل الموظف العالي الى الحديث عن جامع الزيتونة وأساتذته فاطر الدفاع عن سمعتهم والحرص على المحافظة على كرامتهم واحترام الشعب لهم ، ولذلك فهو لا يرضى لهم ان يلتحقوا بموظفي الحكومة وأن ينالوا ما ينالونه من المنح والگرامات والامتيازات وان ذلك ينقص من تعظيم الامة لهم لانهم اذا صاروا موظفين التحقوا حتما بالادارة اللائكية المناهية لصفهم الدينية وخشي ان وقع ذلك ان يصير جامع الزيتونة يوما ما المدرسة الوحيدة العربية . وذكر ان حب المادة أعمى بصائر المدرسين وصيرهم يركضون وراءها .

ونحن نقول له : ان المدرسين لم تعم بصائرهم المادة ولا طمست على قلوبهم ولكنهم يا جناب الموظف الكبير قوم كسائر البشر يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وليسوا من نوع الملائكة الذين هم ارواح مجردة لا يأكلون ولا يشربون ولا يلبسون ولم يكونوا يوما من الرهبان المنقطعين عن هذا العالم ومبذيتيه ولا من غلاة المتصوفة الذين زهدوا في الدنيا وزينتها . وهم في ذلك عاملون بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ومتأثرون بتعاليم الكتاب المقدس القرآن ، فنيهم عليه السلام قد اخذ شيئا من عرض هذه الدنيا ولم ينقص ذلك من عالي مرتبته وكان من اكثر دعائه عليه السلام : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . واذا كان الله قد خلق لبني آدم ما في الارض جميعا . وقال : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فما لنا لا نأكل الرقاق ونلبس الرقيق وهل يريد الناس منا ان تنازل لهم عن دينهم ويتنازلوا لنا عن آخرتنا . لا بل اننا نريد ان نقاسمهم دينهم ويقاسمونا آخرتنا . واذا كانت غلاة الصوفية ينقرون الناس من الدنيا فليس ذلك هو التصوف الحقيقي . ومن اطلع على التاريخ علم ان العلماء قديما وحديثا كانوا يأخذون من الحكومات ارزاقا تكفيهم القيام باود حياتهم . فهذا نظام الملك وزير السلطان ألب

ارسلان المتوفى سنة ٤٨٥ هـ الذي أنشأ المدارس الكثيرة في بغداد واصبهان ونيسابور والشام وخراسان والعراقين كان ينفق عليها كل سنة ستمائة ألف دينار أغلبها لاساتذتها وهم من كبار العلماء الاتقياء بل من الصوفية ومن أشهرهم أبو القاسم الدبوسي وأبو حامد الغزالي والشاشي والسهروزي وأبو اسحاق الشيرازي وغيرهم ممن لا نحصى لهم عدا. وكانوا يتناولون المرتبات الطائلة من يد الحكومة وما علمنا ان ذلك نقص من مقدارهم أو حط من قيمتهم وما لنا نذهب بعيدا فهؤلاء الحكماء الشرعيون بتونس يأخذون ما يأخذة الموظفون من منح وغرامات حتى الاعانة العائلية ومنحة السكنى وما سمعنا ان الناس ازدروا بهم لذلك

وأما قوله إنهم اذا صاروا موظفين دخلوا تحت النفوذ اللائكي وذلك لا يليق بهم فنجيبه عنه بأن المدرسين اذا صاروا موظفين لا يكونون تحت النفوذ اللائكي بل يكونون موظفين كسائر الموظفين التونسيين المسلمين الخاضعين للحكومة ورئيسها الامير المسلم الذي دين حكومته الرسمي الاسلام ولسانه العربي أحد اللسانين الرسميين. وما علمنا قبل اليوم أن تونس تعيش تحت نظام لائكي لا يعترف بالاديان ولا يخضع للتعاليم الروحية

ثم إن أسمعنا قد ملت والله من القول بأن التعليم بجامع الزيتونة تعليم ديني بحت ليس للحكومة أن تقوم به ولا أن تعترف به رسميا ولا تعترف بحق القائمين به فهذا خيال شعري لا يؤيده الواقع ولا تقره فلسفة ديكرت. فلقد قلنا وأعدنا القول المرة بعد المرة ان العلوم التي تدرس بالزيتونة نيف وثلاثون علما منها ما هو ديني بحت ومنها علوم دنيوية لغوية وادبية ورياضية وغير ذلك. فمضى ان لا نسمع بعد هذا ما يحته طباعنا ونبت عنه أسمعنا من كلام فارغ يراد به تخدير أعصانا وإيأسنا من تحقيق مطالبنا

إن مطالبنا يا جناب الموظف الكبير لابي مطالب مشروعة لا بد أن يأتي عليها يوم تحل فيه محل التنفيذ وقد أعترف بصحتها أهل العقْد والحل فاننا لا نطلب مستحيلا ولا نقول الا حقا ما ذا نطلب ؟

إننا نطلب أن تكون مرتباتنا كمرتبات زملائنا في معاهد التعليم المتأهلة لمعهدنا العظيم فإن من العار ان يكون مرتب النساخ في الادارات اكثر من مرتب مدرس من الطبقة الاولى بالزيتونة. ونطلب منحنا غرامة غلاء المعاش التي يأخذها حتى شواش الادارات والوقيون نظرا لارتفاع اسعار المعاش على جميع الناس فكيف يعقل ان تبقى محرومين منها مع ان المعاش قد ارتفع ارتفاعا فاحشا ونحن نعيش كما يعيش الناس. ونطلب منحنا غرامة السكنى التي يأخذها جميع الموظفين ايضا حتى الوقيون ونحن نسكن كما يسكنون واسعار الكراء مرتفعة جدا لا تحملها مرتباتنا

ونطلب الاعانة العائلية التي نالها جميع الموظفين وهي إعانة على التكاليف العائلية لمن له اولاد أو ليس لنا اولاد كبقية الموظفين يطالبوننا بالمأكل والملبس

فهل هذه مطالب مشطة ؟ كلا والله . ما طلبنا إلا ما أخذناه غيرنا من أمثالنا ومن هم دوننا رتبة فما هذا الاجحاف بحق أهل جامع الزيتونة وما هذه المعاملة الشاذة ؟
ثم تأسف الموظف العالي من عدم القضاء على التعليم القرآني الذي أخذ يتساقط نحو مسيطرة الحياة العصرية ويبدل جهد المستطاع في سبيل مزاحمة التعليم الاقرنجي . وتساءل بعد ذلك هل يدرك هذا التعليم القرآني غايته من المزاحمة والحياة ؟ وأجاب بانه لا يظن ذلك رغم المجهود العظيم الذي تبذله الامم الشرقية للابقاء على مدينتها بارجاعها لعنفوان شبابها وادخال عناصر جديدة عليها بانشاء مصطلحات علمية والفاظ حديثة . وعلل ذلك ببقاء الاجتهاد موصل الإبواب وأنه يصعب حله بقوة الناشئة الاسلامية

ونحن نقول له : إننا نجيبك عن هذا السؤال ونحقق لك أن التعليم القرآني الديني وإن تضاعف في اول الامر بسبب الصدمة قد أخذ في استجماع قوته ونشاطه واستعداد ما كان له من قوة وأخذ يتطور مع الزمان ويزاحم غيره دفاعا عن حياته عملا بقاعدة تنازع البقاء . وهذه المدارس القرآنية العصرية لا تزال كل عام في ازدياد والمسلمون مقبلون عليها إقبالا عظيما مع أنها ليست مجانية وتلاميذ جامع الزيتونة قد تضاعفوا في بحر عشرين سنة خمس مرات حتى فتحت له فروع جديدة رغم المعاكسات التي يلاقها خريجه . وقد تطورت أساليب التعليم به وستزيد تطورا . وتقدما
فهل هذه يا جناب الموظف السامي علامات موت ؟ كلا والله بل هي جبة أنبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة

وليس لفلسفة ديكرت ولا غيره قدرة على زعزعة تعاليم القرآن والسنة النبوية وإن القرآن لا يزيد مع العلم الا رسوخا وثباتا في قلوب اهله . سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم . والاسلام خالد خلود الجبال

وأما نصيحته لفرنسا بأن من مصلحتها القضاء على التعاليم القرآنية لتقريب الشقة بين الفرنسيين والبرابرة زاعما ان بقاءها من شأنه أن يقيي الافكار في جو من التعصب الديني . وجنوح لاختار الحروب الصليبية .

ولكننا نقول له إنه قد غش دولته في هذه النصيحة ونحمد الله تعالى ان كبار الفرنسيين من اهل الحل والعقد بهذه البلاد لا يرون رأيه . وليعلم ان التعليم القرآني لا يوسع الشقة بين الشيعين . فالقرآن لا يأمر ببغض المخالفين وعدم معاملتهم بالحسنى وعدم القسط اليهم بل يأمر بغير المسلمين ومجادلتهم بالتي هي أحسن واحترام دماهم واموالهم واعراضهم . ونقول له مع ذلك إنه هو وأمثاله ممن يشرون على الصحف السيارة امثال هذه المقالات هم الذين يوسعون الشقة بين الفريقين ويؤثرون بأقوالهم هذه اثرا سيئا جدا في نفوس المسلمين . ولولا أنهم يعلمون ان هذا الموظف إنما يعبر عن رأيه لا عن رأى الحكومة لهالهم الامر . ولكن لهم ثقة تامة باصحاب المناصب العالية الذين لا تخفى على مداركهم سخافة هذه الآراء . وإذا كنا نعتقد صحة قول الله تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . ونعلم أن جناب سمو أميرنا المعظم ابقاء الله لا يرضى بشيء من ذلك لقوة إيمانه وصلاته في الحق فلا نخاف من هذه الدسائس المصورة بصورة نصائح

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره . (مدرس)

جدول الاصلاح والخطأ

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١٦١	١٢	مسطبه	ممطبه
١٩٣	١٠	تجعلہ	يجعله
١٦٤	١١	رسول صلى الله	رسول الله صلى الله
١٦٩	٢٢	مرءات	مرءة
١٧١	٨	تكليف	تكليفا
١٧١	١٣	فلا تموتن	ولا تموتن
١٨٠	٩	سیدنا	لسيدنا
١٨٠	٢٠	قضية	قضيته
١٨٢	٧	ابن داود	ابن دواد
١٨٣	١	قاض	قاضيا
١٨٣	١٠	الورغي	الورغمي
١٩٣	٨	القطيعة	القطعية
١٩٥	٣	الاياب	الاياء
١٩٥	٨	الفرادس	الفراديس
١٩٥	١٠	وانس بها	وانس بها *
١٩٥	١٦	العود ققف	المعود ققف *
١٩٧	١٠	والسلام	والاسلام
٢٠٠	٢٢	لائكته	لائكته
٢٠٣	٢٥	نواحيا	نواحي
٢٠٧	١٨	واياسنا	واياسنا

اصلاح خطأ بالعدد الثالث

١٠٩	٨	وصالح وئمود	وصالح اخو ئمود
-----	---	-------------	----------------

تنبیه

اتصلنا من الحجّة الامام الشيخ عبد الحي الكتاني مقال في نشأة الجمعيات الخيرية والملاحية في الاسلام ضاق نطاق هذا العدد عن نشره ونشر غيره من التجارير والاجوبة عن الاسئلة التي وجهت الى المجلة فتعذر لاصحابنا الافاضل وموعدا عددا المقبل ان شاء الله

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها بمكة المكرمة في ربيع الأول ١٣٥٨ هـ

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الخامس	تونس - في ربيع الأول ١٣٥٨ - ماي ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--------------------------------------	---------------

صاحب المجلة والمدير:

محمد الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير:

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

العدد	المقال	صاحبه
٢١٠	خطاب القي في حفلة جمعية الشبان المسلمين	بقلم الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
٢١٣	تفسير آيات من سورة البقرة	» صاحب الفضيلة مولانا شيخ الاسلام المالكي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور للعالم الامام مولانا شيخ الاسلام الحنفي الشيخ محمد بن يوسف
٢١٨	حتم الحديث الشريف	بقلم المنعم المبرور شيخ الشيوخ الشيخ الطاهر ابن عاشور الاول المفتي المالكي كان، برد الله ثراه
٢٢٤	التقوى وحسن الخلق حتم	» العلامة الحجة التحرير الشيخ محمد الحجوي وزير المعارف بالحكومة الشريفة المغربية
٢٣٢	التعاضد المتين	» العلامة الحافظ المولى محمد عبدالحفي الكتاني
٢٣٦	الملاحى الحيريه في الاسلام	» العالم المدرس الشيخ علي النيفر
٢٤٠	تفصيل وبيان	» العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي محمد ابن الحوجه مستشار الحكومة التونسية
٢٤٢	القضاء الشرعي (٢)	» العالم امير الامراء الاستاذ محمد صالح مزالي عامل بنزرت
٢٤٨	بعثة خير الدين للاستانة	
٢٥١	تهنئة الامير الجليل بعيد المولد الشريف ومدح الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام (قصيدة)	» العالم الاديب الشيخ محمد المقداد الورستاني

الاشتراك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
 في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
 يخضم الربع للسلامة
 وصولات الاشتراك لا تتم الا اذا كانت
 ممضاة من امين المال
 محمد الهادي بن القاضي
 والمخازن المالية لا تكون الا معه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصايرها ما لم يسهل من قبل ربي جنتها مع التيقن من أنها خير من غيرها
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الخامس	تونس - في ربيع الاول ١٣٥٨ - ماي ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--------------------------------------	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثانى بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

تجد باسم مدير المجلة بمحل الادارة



لقد جاءكم رسول

من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

في مثل هذه الشهر المبارك منذ اربعة عشر قرنا ونيف - طع نور قدسي في افق الرحمة الربانية بين يدي هلال وضاء لا عهد للانسانية بنورة المين . بيد أنه نور معنوي لا تدركه الابصار وطلع هلاله في سماء أشرف بقعة من بقاع الارض حيث الكعبة بيت الله الحرام . ونادي داعي البشارة في عالم الملكوت مخاطبا اهل السماوات والارض لقد جاءكم من الله نور الهداية وبراس المعرفة والحجة الدامغة والمرشد المعين . هاهي ذا الاقدار تضع منار الحق في مفترق الطرق لهداية السالكين . هاهي أمنة بنت وهب بن عبد مناف أرملة عبد الله بن عبد المطلب زعيم قريش وسيدهم . قد ولدت سيد العالمين . ذلك الذي ستدين لعظمته العروش . وتعنوا له الصوالج والتيجان . وفك عن البشر اصرهم والاغلال التي كانت في أعناقهم . وقيم للانسانية معقل النجاة

وارتفع صوت في الارزاء مناديا :

أي بني الانسان ما قافلة البشر نخطئة الطريق عادمة الدليل سيطرت عليها الوثنية فأعدمته الرشاد . ؟
ما لهذا الجبل السائد يقيد العقول بعقال من فولاذ . ويجعل الدهماء مستعبدين وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

ما لهذه الدولة البيزنطية يطغى جبابرتها ويستعلون اثما وعدوانا . ويقيدون العقول ويتحكمون في القلوب ويففرون من دون الله ؟

ما لهؤلاء الاكاسرة يحكمون الشهوة . ويعينون في الارض فسادا . لا يمنعون قانون . ولا يكبح جماح نفوسهم المتمردة وازع ؟

ما لاولئك الهنود وهذا الوباء الاخلاقي الذي عصف بالفضيلة ففسدها نسفا . وهذه الاباحية الساحقة الحسيسة ؟

ما لاولئك الصينيين يحكمون المادة فتقذف بهم في هاوية الضلال والعار ؟

الخطاب الذي القاه صاحب المجلة في الاحتفال الذي اقامته جمعية الشبان المسلمين بذكرى المولد

الشريف

ما لاولئك الا فارقة وهذه البربرية التي طغت عليهم فأفقدتهم العز والسلطان والحياة ؟
 ما هؤلاء الاحباش وقد تشجعت نفوسهم واستأسدت فلم تقنع بالحيوان حتى مدوا أيديهم الضارية
 لبني الانسان

ما لابناء الفراعنة يعتلون في الارض ويطغون طغيانا عظيما ؟
 ما لهذه الجزيرة العربية المباركة تفقد دينها القويم ، الذي وصاها به ابراهيم ، ومن خلف ابراهيم
 من النبيين ؟

ما لاولئك الازراع والهج من مختلف الشعوب تطغى عليهم الحيوانية . فلا يهتمون الحق . ولا
 تسموا لهم نفوس ؟ رباة . رحمتك وسعت كل شيء فارحم اهل الارض وابعث في الناس رسولا
 يهديهم صراطك المستقيم . فقد ضلوا ضلالا عظيما يعلمهم الحكمة . ويروض نفوسهم على العدل والحق
 الذي ترضاه للخلق أجمعين لا جرم اذا اجاب الرحمن الرحيم صوت الانسانية المسترحم
 (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)
 ذلك بعض ما كان عليه المجتمع الانساني ايها السادة

يثن من وجع امراضه الفتاكة ، وتتصاعد من نفسه زفرات تتصاعد الى السماء بذلك الصدا المفزع .
 ويتوسد جثمانه المخاطر ويضطجع على اديم اشتعلت في ارجائه نيران الفتن المضنية ويرتدي بلحاف
 الحزري والعار فلا ايمان ولا عدل ولا حق . ولا طهر ولا عفاف . ولا أمن ولا سلام فكانت البشرية
 في أشد الحاجة الى رسول امين . وصلاح عظيم ومجدد أقوم يأتي على فترة من الرسل لا تقاذ العالم .
 رسول من انفسكم تعرفونه وتتحققون مكاتته فيكم فلقد جرت سنة الله في المرسلين ان يكونوا
 في شرف من قومهم . وكذلك كان سيدنا محمد بن عبد الله في شرف من قومه بل من الناس كافة .
 يتصل نسبه الشريف باعرق قبيلة في قبائل العرب وأزكى الناس سؤددا ومجدا . كما نطق بذلك
 حديث الترمذي قال سول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل .
 واصطفى من ولد اسماعيل كنانة . واصطفى من كنانة قريشا . واصطفى من قريش بني هاشم . واصطفاني
 من بني هاشم . فهو صلى الله عليه وسلم خيار من خيار من خيار من خيار . هيا تعالى له شرف النسب
 حتى برز خلاصة كاملة . من أصول أمجاد . وعشيرة رجالها صناديد . اساد وطهرة من سفاح الجاهلية .
 وعوائدها المنكرة . فانهدر من اصلاص اطهار . وبرز نوره من (آمنة) في احسن تكوين بعد اقتران
 صحيح . وكذلك سلسلة النسب الشريف . فهذا ابن الكلبي النسابة الحخير . يكتب للنبي صلى الله عليه
 وسلم خمسمائة ام فلا نجد فيها سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية غير النكاح .

وينشأ صلى الله عليه وسلم نشأة سؤدد وشرف يحتضنه العفاف . ويرتفع من لبان المروءة والصلاح
 ويؤدبه ربه تأديب ملك كريم . فيظهر عليه كل خلق عظيم . ويخلقه بأخلاق المرسلين . حتى يكون
 قنوة للناس أجمعين . ويتقبلوا منه رسالة ربه ويصدقوه تصديق الاكرمين .

ويؤهله لرعاية البشرية بكافة بما ميزه من العاطفة السامية فيعز عليه أن يرى الناس في شقاء أوقعوا في عنت . أو تصيبهم مشقة . أو ضيق . وتتطلع الانفس لسير هذه العظمة المكنون . فلا تهدي لذلك . وانى لهم ان يعلموا انه الرسول الذي سيصدع بالحق . ويكشف عن ظلية الاباطيل المخيمة على الانسانية . فلما كمل من عمره اربعون سنة بعثه الله بشيرا ونذيرا وانزل عليه القرآن الكريم . فخطب به الناس كافة وأحاطهم بسياج الشريعة السمحة . التي تكلفت للبشر بالسعادة . وكشفت لهم عن الحق الذي لا مرأى فيه . وجاءهم بالدين القويم . والتعاليم السامية . التي كتب الله لها الخلود على مر الايام والعصور فقام بأعباء الرسالة أحسن قيام . وسمت تعاليم رسالته في أفق الحياة الاجتماعية . وسطع نور العقيدة نبراسا وضاء اهتدي به الى الصراط الحמיד

فهو الرسول الذي علم العقيدة المثلى

وهو الذي علم البشر الحق كما هو حق وعلمهم قاعدة المساواة في الحقوق .

وهو الذي أعطى الرجل حقه والمرأة حقها

وهو الذي قعد أصول التشريع العامة

وهو الذي كون الدولة التي تحفظ للشعوب مصالحهم في الحياة وبعد الحياة وأسس قواعدها المحكمة الترصيع . وهو الذي حول أنظار العالم الى أنواع من الحياة لم يكن لهم بها عهد من قبل وهو الذي كون من نفوس المسلمين مادة هي اكسير الحياة لمن يتطلب حياة السعادة وهو التضحية هو الذي أقام من نفوس المسلمين التي كانت متمردة أقام منها هيكلًا عظيمًا يتحرك بأرادة رجل واحد . وجعل قلوبهم على قلب رجل واحد

وهو الذي صان الفرد من عادية الفرد . وصان العائلة من ظلم رئيسها . والامة من طغيان راعيها وهو الذي جعل نظام الامة أساسه الشورى

وهو الذي سن النظم المالية حتى لا يكون المال دولة في أيدي الاغنياء

وهو الذي رمز للعلم والمعرفة والقيام بالواجب . وعلم المسلمين التضحية في سبيل الحق الاعلى أيها المستمعون هذه طرف من تعاليم الرسول الكريم والسراج المنير . من كان بالمؤمنين رؤوفا رحيمًا . تضيء في نفوسكم أنوار رسالته وتبعث في اعضائكم النشاط للقيام بأعبائها فهل أتمم مدركون ذلك القبس من النور ؟

نعم تلك هي الشعلة الوضاءة التي بقيت في نفوس المسلمين وهي المرهم الذي تحتاج اليه نفوسهم عساها ان تجد الطبيب المداوي

ربي ان نور الهداية يكاد يحتجب عن الابصار وها هو العالم يتمخض عن حوادث عظام . فاهد أمة رسولك الذي تحتفل بمولده في هذه الليلة العظمى هداية سرمدية حتى يسيروا على غرار من سبقهم من الصالحين انك نعم المجيب

محمد الشاذلي ابن القاضي

القرآن الكريم

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَمَى أَبْصَارَهُمْ
غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ

من تفسير العلامة الهمام فضيلة الشيخ إسماعيل
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) هذه الجملة جارية مجرى التعليل
للحكم السابق في قوله تعالى سواء عليهم آذنتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وبيان لسببه في الواقع ليدفع
بذلك تعجب المتعجبين من استواء الانذار وعدمه عندهم ومن عدم نفوذ الايمان الى نفوسهم مع وضوح
دلائله فاذا علموا ان على قلوبهم ختما وعلى اسماعهم وان على ابصارهم غشاوة علموا سبب ذلك كله
وبطل العجب . ولكون هذه الجملة واقعة موقع التعليل قطعت ولم تعطف ، والختم السد على الاناء
والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم وقد كانت
العرب تختم على قوارير الخمر ليصلحها انحباس الهواء عنها وتسلم من الاقدار في مدة تعيقها ، واما تسمية
البلوغ لآخر الشيء ختما فلان ذلك الموضع او ذلك الوقت هو ظرف وضع الختم فسمى به مجازا وليس
الختم على القلوب والاسماع ولا الغشاوة على الابصار هنا حقيقة كما توهمه بعض ظاهرية المفسرين فيما
نقله ابن عطية بل ذلك جار على طريقة المجاز بان جعل قلوبهم في عدم نفوذ الايمان والحق والارشاد
اليها وجعل اسماعهم في استكائها عن سماع الآيات والنذر وجعل اعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من
المعجزات والدلائل الكونية كأنها محتوم عليها ومغشى دونها على طريقة الاستعارة بتشبيه عدم وصول النفع
الى العقول والاسماع بالختم وتشبيه عدم وصول التأمل الى الابصار بالغشاوة وكتناهما استعارة تحقيقية
الا أن المشبه محقق عقلا لا حسا وليس ذلك باستعارة تمثيلية اذ ليست للقلوب والاسماع والابصار في
هذه الحالة هيئة مشاهدة حتى تشبه بهيئة اخرى وقد قررنا الكشف ومتابعوه بما فيه بعد وتكلف ينو
عنه الذوق فلا اطيل بتقريره وتزييفه

وانما افرد السمع لانه اريد منه المصدر الدال على الجنس اذ لا يطلق على الآذان سمع الا ترى انه جمع لما ذكر الآذان في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم وقوله وفي اذاننا وقر فلها عبر بالسمع افرد لانه مصدر بخلاف القلوب والابصار فان القلوب متعددة والابصار جمع بصر الذي هو اسم لا مصدر ويمكن تقدير مخوف اي وعلى حواس سمعهم أو جوارح سمعهم . وقد لاح لي انه قد تكون في إفراد السمع لطيفة روعيت من جملة بلاغة القراء وهي ان القلوب كانت متفاوتة واشغالها بالفكر في حال الايمان والدين مختلفا باختلاف وضوح الادلة والكثرة والقلة وتلقي انواع كثيرة من الايات فلكل عقل حظه من الادراك . وكانت الابصار ايضا متفاوتة التعلق بالمرئيات التي فيها دلائل الوجدانية في الافاق وفي انفسهم والتي فيها دلالة المعجزات والعبر والمواعظ فلكل بصر حظه من الالتفات الى الآيات فلما اختلفت انواع ما تتعلقان به جمعنا واما الاسماع فانما كانت تتعلق بسماع ما يلقي اليها من الدعوة فلما اتحد تعلقها بالسموعات جعلت سمعا واحدا ، وجملة وعلى سمعهم معطوفة على قوله على قلوبهم باعادة العامل لزيادة التاكيد حتى يكون المعطوف مقصودا لان على مؤذنة بالمتعلق فكأن ختم كرر مرتين على ما حزم به في الكشف وفيه ملاحظة كون الاسماع مقصودة بالحثم اذ ليس العطف كالتصريح بالعامل . وليس قوله وعلى سمعهم خبرا مقدما لغشاوة لان الاسماع لا تناسبها الغشاوة وانما يناسبها السد الا ترى الى قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وفي اذانهم وقر ويجعلون اصابعهم في اذانهم . وتقول العرب استك سمعه ولان تقديم قوله وعلى ابصارهم على قوله غشاوة دليل على انه هو الخبر لان التقديم لتصحيح الابتداء بالنكرة قلو كان قوله وعلى سمعهم هو الخبر لاستغني بتقديم احدهما وباقي الاخر على الاصل من التاخير فليل وعلى سمعهم غشاوة وعلى ابصارهم وفي تقديم السمع على البصر في مواقعه من القراءان دليل على انه افضل فائدة لصاحبه من البصر كما بينه الفخر رحمه الله

(ولهم عذاب عظيم) العذاب الالم وقد قيل ان اصله الاعذاب مصدر اعذب اذا ازال العذوبة لان العذاب يزيل حلاوة العيش فصيح منه اسم مصدر بحذف الهمزة وهو اسم موضوع للالم بدون ملاحظة اشتقاق من العذوبة اذ ليس يلزم . صير الكلمة الى نظيرتها في الحروف ووصفه العذاب بالعظيم دليل على ان تنكيره ليس للتعظيم بل لمجرد النوعية والقصد من الوصف الدلالة على تعظيمه صراحة لان التنكير وان كان صالحا للدلالة على التعظيم لكنه ليس ناصا في تلك الدلالة

(ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) الواو لعطف طائفة من الحمى على طائفة مسوق كل منهما لغرض المناسبة باين الغرضين فلا يتطلب في مثله الا المناسبة بين الغرضين لا مناسبة بين كل جملة واخرى من كلا الغرضين قاله التفتازاني في شرح الكشف ونقله السيد ونوه به فقال انه اصل عظيم في باب العطف لم يشبه له كثيرون فاشكل عليهم الامر في مواضع

شتى واصله ماخوذ من قول الكشاف « وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة » فافاد بالتشبيه ان ذلك ليس من عطف الجملة قال المحقق عبد الحكيم وهذا مما اهماه السكاكي وتقرده به صاحب الكشاف . وانا اقول ان الآيات السابقة لما انتقل فيها من الثناء على القرءان بذكر المهتدين به بنوعيه الذين يؤمنون بما انزل اليك الى آخر ما تقدم وانتقل من الثناء عليهم الى ذكر اضدادهم وهم الكافرون الذين اريد بهم الذين اشركوا بالصراحة كان السامع قد ظن ان الذين اظهروا الايمان قد دخلوا في قوله الذين يؤمنون بالغيث فلم يكن سائلا عن قسم آخر فهم الذين اظهروا الايمان وابطنوا الشرك او غيره المعبر عنهم بالمنافقين الذين هم المراد من الناس هنا بدليل قوله في عطف احوالهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امننا الآية لان هذا القسم لغرابة امره لا يخطر بالبال وجودة فنانسب ان يذكر امره للسامعين ولذلك جاء بهذا الجملة معطوفة بالواو اذ ليست الجملة المتقدمة بمقتضية لها بخلاف جملة ان الذين كفروا سواء عليهم اذ ترك عطفها على ما قبلها لان ذكر مضمونها بعد مضمون التي قبلها كان مترقا فكان السامع كالسائل عنه فجاء الفصل للاستيناف الياني . وقوله من الناس خبر مقدم لا محالة وقد يترامى ان الاخبار بمثله قليل الجدوى لانه اذا كان مبتدئا دالا على ذات او معنى لا يكون الا من احوال الناس يكون الاخبار عن المبتدئا بانه من الناس او في الناس غير مجد بخلاف قولك الخضر من الناس اي لا من الملائكة فان الفائدة ظاهرة لانه قد يظن انه من الملائكة فبنا ان نوجه الاخبار بقولهم من الناس في نحو الآية ونحو قول أحد اصحابنا الاعزة يذكر خطة القضاء

في الناس من القى فلا دتها الى خلف فحرم ما ابتغى واباحا

ان القصد الى اخفاء المخبر عنه كما تقول قال هذا رجل وذلك عند ما يكون الحديث يكسب دما او نقضا ولذلك التزم تقديمه في مثل هذا التركيب لان في تقديمه تنبيها للسامع على عجب ما سيذكر ولو اخر لكان موقعه زائدا لحصول العلم بان ما ذكره المتكلم لا يقع الا من انسان . وقد قيل ان موقع من الناس مؤذن بالتعجب وان اصل الخبر افاد ان فاعل هذا الفعل من الناس لثلا يظنه المخاطب من غير الناس لشناعة الفعل وهذا بعيد عن المقصود لانه لو كان كما قال لم يكن لتقديم الخبر فائدة بل كان تأخيرها اولى ليتقرر الامر الذي يوهم ان مدلول المبتدئا ليس من الناس فهذا توجيه هذا الاستعمال . وذلك حيث لا يكون لظاهر الاخبار بكون المتحدث عنه من افراد الناس كبير فائدة فان كان المقصود افادة ذلك حيث يجهله المخاطب كقولك من رجال بعض القبائل من يرفع وجهه او حيث ينزل المخاطب منزلة الجاهل كقول عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي)

وفي الناس ان رنت جبالك واصل وفي الارض عن دار القلى متحول

اذا كان حال المخاطب حال من يظن ان المتكلم لا يجد من يصله ان قطعه هو وكقول دريد بن الصمة

وما انا الا من عزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

اذ كان حال المخاطب حال من يظنه من قوم غير قومه

فلذلك طلب منه مخالفة حالهم فذكر من الناس ونحوه في مثل هذا وارد على اصل الاخبار هذا ما لاح لي في نكتة هذا الاستعمال وارجو ان يكون من مواهب الكبير المتعال وللكاتبين على الكشف وتفسير البضاوي وجوه في بيان فائدة مثل هذا التركيب تنكبوا فيها عن الجادة ولم يميظوا القناع عن وجه الفائدة وقد اشار اليها العلامة عبد الحكيم في حاشية التفسير وتقديم الخبر هنا للتشويق الى مبتدا معرفة الفريق المتحدث عنه واذا تقرر ان قوله تعالى من الناس مودن بان المتحدث عنهم لهم قصة حقيق صاحبها بالاخفاء اذ لا يستر ذكرهم الا لان حالهم من الشناعة بحيث يستحي المتكلم ان يصرح بموصوفها وفي ذلك من تحقير شان النفاق ومذمته امر كبير وارد على طريقة العرب فوردت في شانهم هنا ثلاث عشرة آية متتابعة نعي عليهم فيها خبثهم ومكرهم وسوء عواقبهم وسفه احلامهم وجهاتهم واردف ذلك كله بتحقيق وتهكم وتمثيل حالهم في اشنع الصور وهم احرياء بذلك فان الحصلة التي تدربوا فيها تجمع مذام كثيرة اذ النفاق يجمع الكذب والجبن والمكيدة وافسن الراي والبله وفساد الترية والطمع واضاعة العمر وزوال الثقة وعداوة الاصحاب واضمحلال الفضيلة . اما الكذب فظاهر واما الجبن فلانه لولا له ما دعاه داع الى مخالفة ظاهر فعله لما يبطنه . واما المكيدة فلانه يحمل على اتقاء الاطلاع عليه بكل ما يمكن . واما افن الراي فلان ذلك دليل على الشعور بضعف العقل حتى سلك سبيل اخفاء رايه . واما البله فلمجهل بان ذلك لا يطول تمشيه . واما فساد الترية فلان طبع النفاق اخفاء الصفات المذمومة والصفات المذمومة اذا لم تظهر لا يمكن للمربي ولا للصديق ولا لعموم الناس تغييرها على صاحبها فتبقى كما هي وتزيد تمكنا بطول الزمان حتى تصير ملكة يتعذر زوالها . واما الطمع فلان غالب احوال النفاق يكون للرغبة في حصول النفع . واما اضاعة العمر فلان العقل ينصرف الى تدبير احوال النفاق وما يلزم اجراؤه مع الناس وما الحيلة لاختفاء ذلك وفي ذلك صرف الذهن عن الشغل بما يجدي . واما زوال الثقة فلان الناس ان اطلعوا عليه ساء ظنهم فلا يثقون بشيء يقع منه ولو حقا . واما عداوة الاصحاب فكذلك لانهم اذا علموا ان ذلك خلق صاحبه خشوا غدره فحذروه فادى ذلك الى عداوته . واما اضمحلال الفضيلة ذلك كله . وقد اشار قوله تعالى وما هم بمؤمنين الى الكذب وقوله يخادعون الى المكيدة والجبن وقوله وما يخادعون الا انفسهم الى افن الراي وقوله وما يشعرون الى البله وقوله في قلوبهم مرض الى نقص الترية وقوله فزادهم الله مرضا الى دوام ذلك وتزايدة مع الزمان . وقوله قالوا انما نحن مصلحون الى اضاعة العمر في غير المقصود وقوله قالوا انا معكم مؤكدا بان الى قلة ثقة اصحابهم فيهم . وقوله فما ربحت تجارتهم الى ان امرهم لم يحظ بالقبول عند اصحابهم وقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون الى

اضمحلال الفضيلة منهم وسيجيء تفصيل لهذا وجمع عند قوله تعالى في قلوبهم مرض، والثاني اصله اناس على اصح الاقوال بدليل ظهور ذلك في قول عبيد بن الابرص الاسدي يخاطب امرأ القيس

ان المنايا يطلع من على الاناس الامنيا

وبدليل قولهم في مرادفه انس و اناسي وكل ذلك مشتق من انس بضم الهمزة فحذفت همزته تخفيفا وحذف الهمزة للتخفيف شائع كما قالوا لوقفة في الوقفة وهي الزبدة . وقد التزم حذف همزة اناس عند دخول ال عليه غالبا، وهو اسم جمع لانسان وقيل انه جمع وهو من المجموع التي جاءت على وزن فعال بضم الفاء مثل ظوار جمع ظير ورخال جمع رخل وهي الانثى الصغيرة من الضان ووزن فعال قليل في المجموع في كلام العرب وقد اوسع ائمة اللغة بجمع ما ورد منه فذكرها ابن خالويه في كتاب ليس وابن السكيت وابن بري وقد عد المتقدمون منها ثمانية جمعتها ثلاثة ابيات تنسب للزمخشري والصحيح انها لصدر الافاضل ثم الحق كثير اللغويين بتلك الثمان كلمات اخر حتى انيت الى اربعة وعشرين جمعا ذكرها الشهاب الحفاحي في شرح الدررة فعليكم بمراجعتة وقد قيل ان ما جاء بهذا الوزن اسماء جموع وكلام الكشف يؤذن به

والتعريف في الناس للمجنس على الاصح لان ما عليه فيما تقدم من استعماله في كلامهم يؤيد ارادة الجنس، ويجوز ان يكون التعريف للعهد والمعهود هم الناس المتقدم ذكرهم في قوله ان الذين كفروا او الناس الذين يهدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في هذا الشأن وهم الكفرة وعلى كل تقدير فالمذكور بقوله ومن الناس من يقول الخ قسم ثالث مقابل للقسمين المتقدمين للتمايز بين الجميع بأشهر الصفات وان كان بين البعض والجميع صفات متفقة في الجملة فلا يشبه وجه جعل المنافقين قسيما للكافرين مع انهم منهم لان المراد التقسيم بالصفات المخصصة

وانما اقتصر القرآن على قولهم ءامنا بالله وباليوم الآخر مع انهم أظهروا الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ايضا قصدا للإيجاز في الاخبار لان الاول هو مبدأ الاعتقادات كلها لان من لم يؤمن بالصانع لا يصل الى الايمان بما بعد ذلك اذ هو الاصل كما هو مقرر في كتب علم الكلام وبه صلاح الاعتقاد الذي هو اصل العمل، والثاني هو الباعث والوازع في الاعمال كلها وبه صلاح الحال العملي وعندي ان وجه الاختصار على ذلك انه حكاية لكلامهم فمن الذين اقتصروا فيما اظهروه من الايمان على قولهم ءامنا بالله وباليوم الآخر لغلوهم في الكفر فلا يستطيعون ان يذكروا الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم كراهية لهذا الاعتراف فيقتصرون على ذكر الله واليوم الآخر وهم يوهمون بذلك ان كلامهم اكتماء في ظاهره وما هو الا محافضة على كفرهم باطنا لان اثر المنافقين وقادتهم كانوا من اليهود فبه القرآن على ما قصدوا تمويه

وفي التعبير بلفظ يقول في مثل هذا المقام ايماء الى ان ذلك قول غير مطابق للواقع لان الخبر المحكي عن الغير اذا لم يكن المقصود ذكره نصه بحروفه وحكي بلفظ يقول او ما ذلك الى انه غير مطابق

الحديث الشريف

باب

قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (*)

أخرج البخاري من طريق جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة .

هذا الحديث الشريف مما اشتهر بين أئمة الحديث ورواته اشتهاراً بلغ مبلغ التواتر بل قال السيوطي انه متواتر وقد تضمن خمس خصائص مما اختص به صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام

الخصوصية الاولى النصر بالرعب اي الخوف يقذفه الله في قلوب اعدائه من غير اسباب تقتضي ذلك عادة قال تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، وقال وقذف في قلوبهم الرعب . والتقييد

لاعتقاده وأن المتكلم يكذبه في ذلك ففيه تمهيد لقوله وما هم بمؤمنين . وقوله وما هم بمؤمنين جيء فيه بالجملة الاسمية المنفية ولم يجيء على وزن قولهم ءامنا بأن يقال وما ءامنوا لانهم لما ائتموا الايمان لانفسهم كان الايمان بالماضي اشمل حالاً لاقتضائه تحقق الايمان فيما مضى بالصراحة ودوامه بالالتزام لان الاصل ان لا يتغير الاعتقاد بلا موجب وكيف والدين هو هو ولما اريد نفي الايمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال بله الاستقبال فكان قوله وما هم بمؤمنين دالاً على انتفاءه عنهم في الحال وهو يستلزم انتفاءه في الماضي بالاولى . ولان الجملة الفعلية تدل على الاهتمام بشان الفعل دون الفاعل فهم لما رأوا المسلمين يطلبون ايمانهم قالوا ءامنا والجملة الاسمية تدل على الاهتمام بشان الفاعل اي ان القائمين ءامنا لم يقع منهم ايمان فلاهتمام بالمسند اليه في جملة النفي تسجيل على كذبهم وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية وهو مصدق لقاعدة اقادة التقديم الاهتمام مطلقاً وان اعملوا التنبيه على جريان هذه القاعدة في الفرق بين الجملة الفعلية والاسمية في كتب المعاني وأشار اليه صاحب الكشف هنا بكلام دقيق الدلالة

(*) درس الحديث الشريف الذي ختم به مولانا العلامة الهمام شيخ الاسلام الحنفي الشيخ محمد بن يوسف ابقاه الله بجامع حمودة باشاً في رمضان عام ١٣٥٦ وحضره جلالة الملك سيدنا احمد باشا باي وآل البيت الحسيني العظيم ووزر اؤة الفخام ورجال دولته الكرام

بمسيرة الشهر للمبالغة فيعم الغهر وما دونه تشهد بذلك رواية عمرو بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر

الخصوصية الثانية جعل الارض له ولائته مسجدا وطهورا وهذه الخصوصية مجموع امرين احدهما جعل الارض كلها مسجدا اي محلا للسجود او مكانا للصلاة الا ما قام فيه الدليل على الكراهة او عدم الصحة وقد بين صلى الله عليه وسلم وجه الخصوصية بقوله وايماء رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل اي بخلاف من كان قبلنا فانما ايجت لهم الصلاة في اما كن مخصوصة كالبيع والصوامع وقد جاء ذلك صريحا في رواية عمرو بن شعيب وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنائسهم. وفيما اخرجه البزار من رواية ابن عباس ولم يكن من الانبياء احدي يصلي حتى يبلغ محرابه. ثانيهما جعل الارض له ولائته طهورا اي مطهرة يتطهر بها من الحدث كما يتطهر بالماء بيان لرخصة التيمم الذي جاء التنزيل بمشروعيته ببركة ءال ابي بكر

ففي صحيح البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف قال اخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا ما لبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى ابي بكر الصديق فقالوا الا ترى ما صنعت عائشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرقي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصبحت على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتييمموا. فقال أسيد بن الحضير ما هذه باول بركاتكم يا ءال ابي بكر. فبعثنا البعير الذي كنت عليه فاصبنا العقد تحته

وفي الحديث دليل على صحة نسبة الفعل للمتسبب لقول الناس الا ترى ما صنعت عائشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم

وانظر ايا الباحث عن اسرار البلاغة ولطائفها الى قول عائشة رضي الله عنها فعاتبني ابو بكر ولم تقل ابي لان وصف الابوة المقتضي للحنو غير مناسب لمقام العتاب والتأديب بالفعل فانزلته منزلة الاجنبي وعبرت بالكنية المشعرة بنوع ما من التعظيم اداء لحق الابوة فوفت المقام حق من الوجهتين الشرعية والادبية وذلك من كمال بلاغتها وكم لها في مثل ذلك من نظير

اخرج البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اذا كنت عني راضية واذا كنت علي غضبي. قالت : فقلت من أين تعرف ذلك فقال : اما اذا كنت عني راضية فتقولين لا ورب محمد واذا كنت غضبي قلت لا ورب ابراهيم. فقلت : اجل يا

رسول الله ما أهجّر إلا اسمك. فتأمل حياك الله في قولها لا ورب إبراهيم فان التخصيص بسيدنا إبراهيم عليه السلام لظاهر التلطف وشدة التعلق بالنبي صلى عليه وسلم ولو في تلك الحال لآبى النبي صلى الله عليه وسلم أولى الناس بإبراهيم عليه السلام أي أخصهم به وأقربهم منه قال تعالى ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي. فذكر من هو به أولى أجدر بمقتضى الحال وأولى ثم أعطف بصرك الى قولها ما أهجّر إلا اسمك لترى ما فيه من كمال الاحتراس والمحافظة كما لا يخفى وقد اعد البخاري حديث عائشة في التيمم من رواية عروة بن هشام وفيه ان عائشة استعارت القلادة من اختها اسماء رضي الله عنها وان الناس ادركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء. وترجم له بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا. وانما اعاده بتلك الترجمة لامرين احدهما دفع التعارض بين الروايتين في نسبة القلادة بان اضافتها في الرواية الاولى لعائشة من اضافة الشيء للمستعير لكونه في يده وتصرفه وفي الرواية الثانية لاسماء من اضافته الشيء لملكه. ثانيهما بيان الفقه الذي استنبطه من هذه الرواية وهو ان فاقد الطهورين يصلي ولا يعيد لان القوم صلوا من غير طهارة بالماء قبل نزول آية التيمم ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا امرهم بالاعادة. ولان فقد التراب بعد مشروعية التيمم بمثابة فقد الماء قبل مشروعيته. وذلك كدأبه الذي امتاز به هذا التأليف المبارك حتى اشتهر ان فقه البخاري في تراجم ابوابه بيد ان طائفة منها جاءت تطارحنا لا على طريق الصراحة بل على طريق الرمز والاشارة فكانت عزيزة المنال

اعني فحول العلم حول رموزما ابداه في الابواب من اسرار

ومن ثم قيل ان شرح تراجمه لم يزل دينا على الامة فلا غرو اذا قلنا ان جامع محمد ابن اسماعيل من الغريب المصنف في الاحكام الشرعية بمداركها الاجتهادية وبهذا النموذج اللطيف يتبين ان اعادة الاحاديث فيه ليست لمجرد التكرار بل لبيان الاسرار ومعاني الانوار ويرحم الله القائل

قالوا المكرر فيه قلت المكرر أحلى

وللمجتهدين في فاقد الطهورين اقوال يصلي. او يشبه بالمصلي ويعيد. لا يصلي ويعيد. يصلي ولا يعيد. وهو قول البخاري وجمهور المحذنين وهو ظاهر الحديث من رواية عروة بن هشام وسواء قلنا ان التيمم رخصة أو عزيمة فهو لما فيه من التيسر ورفع الحرج كسائر الرخص التي هي صدقات وهدايا من الله تعالى لعباده رحمة منه وفضلا فينبغي للعبد ان يتقبل هدية مولاه بواجب الشكر وغاية الاجلال والتعظيم قال تعالى يا ايها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله. وقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا. وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قصر الصلاة للمسافر انها صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته. الى غير ذلك من الايات والاحاديث ومن الهدايا الثمينة الوعد بالشواب الجزيل على العمل القليل كالتيسيع بالكلمتين الحبيبتين سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

وفي حديث حذيفة عند مسلم وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت لنا تربتها طهورا، وبه استدل الشافعي واحمد على تخصيص الارض في حديث جابر الذي رواه البخاري بالتراب فلا يجوز التيمم عندهما بغير التراب من اجزاء الارض خلافا لابي حنيفة ومالك واجاب القرطبي وابن الهمام بان حديث حذيفة غير مخصص لان التخصيص اخراج بعض افراد العام من الحكم ولم يخرج حديث حذيفة شيئا وانما ذكر فيه بعض افراد العام بحكم العام كقوله تعالى: فيهما فاكهة ونخل ورمان. وذكر فرد من العام بحكم العام لا ينافي حكم العام حتى يكون مخصصا، هذه خلاصة الجواب ولعلك تقول ان عنيت بعدم المنافة عندهما من جهة المنطوق فمسلم لان حكم الفرد هو حكم العام وان عنيت من جهة المفهوم فلا لان الاقتصار على ذلك الفرد يفهم منه بطريق المخالفة نفي الحكم عما عداه وبذلك يتحقق الاخراج الذي هو التخصيص وعسى ان يكون ذلك ملحظ الامامين فالجواب ان هذا انما يتم اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم كيف والمنطوق مقدم على المفهوم وايضا فان لفظ التربة لقب ولم يقل بمفهوم اللقب الا الدقاق وبعض الاصوليين .

الخصوصية الثالثة احلال الغنائم وكان ذلك في غزوة بدر وفيها نزل قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا كما في الصحيح ولم تحل لاحد من الأمم الماضية بل كانوا يجمعونها وتأني نارا تاكلها قال في الفتح وذلك في غير النساء والصبيان .

الخصوصية الرابعة عموم الرسالة للناس كافة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وهو صلى الله عليه وسلم مبعوث لجميع الامم والشريعة التي جاء بها ناسخة لجميع الشرائع قبلها غير مقصورة على امته او طائفة دون اخرى تظافرت على ذلك الايات الصريحة والاحاديث الصحيحة قال تعالى : وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . وقال : قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا . وقد اجتمعت الامة اجماعا قطعيا على ان المراد بهاتين الايتين مدلولهما اللغوي من غير تخصيص ولا تاويل ووردت السنة بذلك كحديث الباب ونحوه وكتب صلى الله عليه وسلم للوكة زمانه يدعوهم واممهم الى الاسلام ولا يشكل على ذلك ان سيدنا نوحا عليه السلام كان مبعوثا بعد الطوفان الى جميع اهل الارض وهم اصحاب السفينة الذين امنوا به وقبل الطوفان ايضا لدعائه على جميع اهل الارض بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . لوجوه ذكرها العلماء احسنها عندي ان اهل الارض قبل الطوفان وبعده هم قومه للتخصيص على ذلك في آيات انا ارسلنا نوحا الى قومه ، ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ، فبعثته عليه السلام في ذاتها خاصة لكونها الى قومه وفي الصورة عامة لعدم وجود غيرهم في الحاليتين

الخصوصية الخامسة الشفاعة والمراد بها هنا الشفاعة التي هي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وهي ثلاث الاولى الشفاعة العظمى لا راحة الناس من هول الموقف وتقديمهم للحساب وهذه الشفاعة

لم يخالف فيها احد لا من المعتزلة ولا من غيرهم لتوارد الاحاديث الصحيحة البالغة مبلغ التواتر ومقامها هو المقام المحمود الذي يحمده فيه الاولون والآخرون واليه الاشارة بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا. وقد اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة. الثانية الشفاعة في ادخال سبعين الفا الى الجنة بغير حساب فقد ورد في الصحيح يدخل الجنة من أمتي سبعون الفا بغير حساب. وفي اخر حديث الشيخين عن ابي هريرة فأرفع رأسي فأقول: يارب أمتي يارب أمتي. فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة الثالثة الشفاعة لمن دخل النار من المذنبين واخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد جاءت الاحاديث بذلك ترى فلا عبرة بانكار المعتزلة والحوارج بناء على اصلهم الفاسد. وله صلى الله عليه وسلم شفاعات اخرى في رفع الدرجات وغير ذلك مما وردت به الاحاديث والاثار. هذا وليس تقييد الخصائص في حديث الباب بعدد الخمس مقتضيا لنفي الزيادة عليها بطريق مفهوم المخالفة لان المفهوم هنا معطل لا اثر له فقد جاءت الايات والاحاديث ناطقة باختصاصه صلى الله عليه وسلم بخصائص كثيرة اخرى كالكوثر والمقام المحمود ولواء الحمد والوسيلة وغير ذلك بالغة كما قال النيسابوري الى ستين ومن الاصول المقررة ان المنطوق مقدم على المفهوم على ان مفهوم المخالفة بجميع انواعه ومفهوم العدد بالخصوص من مجاري الخلاف بين ائمة الاجتهاد وقد اشتهر عن الحنفية القول بعدم اعتباره والتحقيق ان كلمة المتقدمين اختلفت في اعتباره ثبوتا ونقيا والذي تداوله المتأخرون انه غير معتبر في الادلة الشرعية لاحتمال ان يكون التقييد باحد الاشياء الدالة على المخالفة لفائدة اخرى غير نفي الحكم عن المسكوت ومعتبر في كلام الناس الجاري على مقتضى عرفهم في الاستعمال ككلام ارباب التصنيف ونصوص الاوقاف ونحو ذلك ومن ثم افتي كثير من الفقهاء بان اقتصار الواقف على رجوع نصيب من مات عن غير ولد لمشاركه في الطبقة يدل بطريق المخالفة على رجوع نصيب من مات عن ولد لولده لان نصوص الاوقاف من جملة كلام الناس وهو ماعول عليه شيوخنا في الفتوى والقضاء وجرى به عملنا الى هذا اليوم. وربما اشكل ذلك من وجهين الوجه الاول ان المعتبر في مفهوم المخالفة هو التقييد اي نفي حكم المنطوق عن المسكوت لاثبت ضد الحكم للمسكوت بمفهوم في السائمة زكاة نفي الزكاة عن غير السائمة لاثبت الحرمة او الكراهة مثلا في غير السائمة وعلى وزانه تكون المخالفة في كلام الواقف عدم رجوع نصيب من مات عن ولد للمشارك الذي هو النقيض لارجوعه للولد بالخصوص الذي هو ضد حكم المنطوق. الوجه الثاني قد قرر ان نص الواقف ككس الشارع فكيف ساغ اعتبار اصل المخالفة في النصوص الوقفية الملحقة بالنصوص الشرعية والذي يظهر في الجواب عن الوجه الاول ان المعروف من كلام الواقفين الجارية به اقلام الموثقين في مثل ذلك هو ان المقصود من التقييد بمن مات عن غير ولد هو رجوع نصيب الميت عن ولد لولد

لا مجرد نفي رجوعه للمشارك والمعروف عرفا كالمشروط نضا وبذلك يتجلى ان المخالفة قد تكون على الضد وان اعتبار النقيض فيها ليس كليا بل هي على ضربين لغوية مبنية على النقيض بحسب الوضع وعرفية مبنية على الضد بحسب العرف . وعن الوجه الثاني بان الفقهاء صرحوا بان لفظ الواقف والموصي والحالف والناذر وكل غاقد يحمل على عرفه ولغته التي يتكلم بها فلا غرابة اذا ذهبنا الى تخصيص الكلية القائلة نص المواقف كنص الشارع بما لبس له عرف في الاستعمال وللعرف مكان من الاهمية والاعتبار في فصول كثيرة وفروع شتى من الاحكام

والعرف في الشرع له اعتبار لئذا عليه الحكم قد يدار

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم خصوصيات امته عموما واصحابه خصوصا فانها من كمال تفضيله ومرجعها اليه

ما أنزل الرحمن أو ينزل من رحمة تخلص أو تشمل

الا وصلة المصطفى عبده مختارة نبه المرسل

وللمصحابة رضي الله عنهم خصوصيات كثيرة فمن خصوصيات ابي بكر رضي الله عنه مرافقته للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة وموانسته له في الغار واعظمها من خصوصية وسد الابواب الشارعة الى المسجد الا باب ابي بكر ففي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقين في المسجد باب الاسد الا باب ابي بكر . ومن خصوصيات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرار الشيطان منه . في صحيح البخاري عن سعد ابن ابي وقاص قال استاذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندة نوسة من قریش يكلمنه ويستكشرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر بن الخطاب فمن يادرن الحجاب فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر اضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر فانت احيد ان يهن يا رسول الله ثم قال عمر يا عدوات انفسهن اتهنني ولا تهين رسول الله فقلن نعم انت افض واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فيجك . ومن خصوصيات سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه تزوجه بكريحتي النبي صلى الله عليه وسلم سيدتنا رقية ثم سيدتنا ام كلثوم واستحياء الملائكة منه كما في حديث مسلم وغيره . ومن خصوصيات سيدنا علي كرم الله وجهه اخاء النبي له عند ما اخى النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه . وفي البخاري انه قال لعلي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى وزاد مسلم الا انه لا نبي بعدي . ومن خصوصيات غير الخلفاء الراشدين من الصحابة خصوصية خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه وهي جعل شهادته بشهادة رجلين

التقوى وحسن الخلق

عن ابي ذر ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهما -
ان رسول الله صلى عليه وسلم قال : اتق الله حثما
كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ،
وخالف الناس بخلق حسن . (وراه البخاري)

الشرح : بقلم العلامة التحرير الحجة شيخ شيوخ
الفتوى المنعم المبرور الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور *

هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم . فقد اشتمل على نهاية الايجاز
وما يقرب من حد الاعجاز فانه مع قلة الفاظه وعذوبة نظمه جمع صلى الله عليه وسلم ما يلزم الانسان في دار
التكليف من اداء حقوق الخالق ومعاملة المخلوق وذلك مدار كلية التكليف كما لا يخفى . والخطاب
وان كان لجزئية استعماله يقتضي قصر الحكم على المواجه به لكنه يعم كل مكلف صالح للخطاب عموما
حقيقيا على ما هو طريقة الحنبلة المنسوبة اليهم في المستصفي اذ كل مكلف موجه له الخطاب القراءاني
الذي هو عنوان الحكم التكليفي والمبلغ الاول الرسول صلوات الله عليه ثم المتأهل لذلك من
الصحابة وعلماء الامة الواردة فيهم : علماء أمي كانباء بني اسرائيل
و (اتق) امر من الاتقاء افتعال من الوقاية التي هي في اللغة فرط الصيانة وشدة الاحتراس

ففي حديث ابي داود وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابي فرسا واستبته ليعطيه
التمن فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخر الاعرابي فطفق رجال يسامونه بالفرس ولا يشعرون
بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فقال الاعرابي للنبي صلى الله عليه
وسلم ان كنت فمتاعا لهذا الفرس فابتعه والا بعتة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم او ليس قد ابتعتك منك
فجحد الاعرابي وقال له هلم شاهدا فجعل من حضر من المسلمين يقولون للاعرابي وبلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الا الحق فجاء خزيمة بن ثابت فقال انا اشهد انك بعتة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم كيف تشهد ولم تكن معنا فقال انا صدقتك فيما حثت به افلا اصدقك على هذا
الاعرابي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ولم يكن في الاسلام من تعدل
شهادته شهادة رجلين غير خزيمة وكان يلقب بذئ الشهادتين . ومنها خصوصية سعد ابن ابي وقاص
باجابة الدعاء اخرج الترمذي والحاكم وصححه من طريق قيس بن سعد ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اللهم استجب لسعد دعاءه فكان لا يدعو بشيء الا استجب له وكانت له دعوات كثيرة مستجابة
اللهم استجب دعاءنا وحقق بفضلك رجاءنا

درس الحديث الذي ختم به فضيلة الشيخ في مسجد مدرسة حوانيت عاشور في رمضان

المكارة ومن فرس واق اذا كان يقى أدنى شيء يصيبه . ومن الصيغة بذلك المعنى قول الشاعر :

فالقت قناعا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

ومنه قول النابغة :

سقط النصف ولم تردد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

ومواقع استعمال الصيغة كالبيتين تقتضي ارادة التكلف والاتخاذ كما هو احد استعمالات افعل وهو المفهوم من كلام اهل اللغة قال ابراهيم : التقوى هي جعل النفس في وقاية مما يخاف . وظاهر قول صاحب الكشف في تفسير المتني انه اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ان الصيغة للطاوعة . وتبعه القاضي عليه . وقرره حواشيه فكيفوا للطاوعة وجها مع بعده في نفسه يوجب التاويل في تعلق التكليف بالتقوى بصرفه الى التكليف بتحصيل اسباب القبول والا فالطاوعة انفعال ولا تكليف الا بفعل كما قرر في الاصول . وعلى المختار فيها جاء تفسيرها من لسان اهل الشريعة فقالوا : هي حفظ النفس عن كل ما يؤثم . وسأل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أيا عنها . فقال : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ فقال نعم . قال : فما عملت فيه ؟ قال : شمرت وحذرت . قال : فذلك التقوى . ولقد أجاد رضي الله عنه في تمثيل معقولها بالمحسوس المفيد انها التحذر والصون من الوقوع في المخالفات . وقد احسن الغاية ابن المعتز في عقد ذلك نظما حيث قال :

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها ذاك التقى واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى

ثم نظم ابن المعتز مبني على ان ترك الصفات من مفهوم التقوى في عرف الشرع . واليه ذهب طائفة من المحدثين واهل السنة متمسكين بان فرط الصيانة الذي هو أصل التقوى يقتضي التجلي عن الصفات . وبحديث : لا يبلغ احد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس . اخرجه الترمذي وابن ماجة

ومذهب الجمهور انه لا يشترط في المتقي شرعا اجتناب الصفات وحجته واضحة فان الصفات كلها ينجو منها احد ومنهم من لا يسبق الى اسم المتقي بعد الانبياء غيرهم كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف الصالح والتمسك بالحقيقة اللغوية غير معتبر في الحقائق العرفية لكثرة التغاير بين الاصطلاحين بل ما كان تعدد الحقائق الا باعتبار التغاير . على ان الشهاب في حواشي القاضي انكر زياد لفظ الفرط وقال المذكور في كتب اللغة تفسيرها بالحفظ والصيانة وما ذكره من الزيادة زيادة . وعن الحديث بانه مسوق لبيان الكمال في الحقيقة بسند لزوم خروج من بنيه وفيه نظر . وبان حمله على ظاهرة يوجب خروج غير المتورع عن التقوى لان ترك ما لا بأس به حذرا من الوقوع فيما به البأس هو الورع ولا قائل بذلك من الفريقين فوجب تاويله على كلا القولين . على ان الحديث يحمل

يحمل ومن وقع في الشبهات وقع في المحرمات المراد به التنبيه على شدة الحذر وعدم التساهل . فمعنى حتى يدع ما لا بأس به - الخ - حتى يكون على غاية الحذر من الوقوع في المحرمات بان يكون متيقضا حازما غير متساهل بالامور . ونحن نقول ان ذلك معتبر في مفهوم التقوى كما لا يخفى ويؤيده ان التهاون بالصغائر والتساهل فيها يصير انها كبيرة كما صرحوا به واليه أشار ابن المعتز في ثالث آياته ولك باعتبار هذا ان ترجع بالخلاف الى الوفاق والله اعلم

ثم الواجب من التقوى المأمور به في غير ما اية صون العبد نفسه عن وعيد مخالفة الخالق . بفعل المستطاع من المأمورات واجتناب المنهيات وذلك هو مقام عبوديته وهو المراد بالحق في قوله جل اسمه (يا ايها الذي امنوا اتقوا الله حق تقاته) قال القاضي : اي حق تقوا وما يجب منها وهو استقراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم . كقوله فاتقوا الله ما استطعتم . اه .

ومن البين ان فعل المأمور به وترك المنهي عنه لا يكون تقوى الا بملاحظة الامر والنهي وخوف الوعيد . يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم عن ابي هريرة : التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاثا أي عمادها الذي هو الخوف في القلب . أخذه علي رضي الله عنه فقال حين سئل عن التقوى : هي الخوف من الجليل . والعمل بالتنزيل . والقناعة بالقليل . والاستعداد ليوم الرحيل . ومن حديث ان التقوى اتقاء وعيد المخالفة تعددت انواعها بتعدد المأمورات والمنهيات وقبلت التفاوت في نفسها وفي التنزيل (وسيجنها الاتقى) بصيغة التفضيل اي الذي اتقى الشرك والمعاصي . وكانت التقوى في كل شيء التزام العبودية الخاصة به من امر ونهي

قال اكثر المفسرين : ان عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تأمرنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : اتق الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد لبيته وقال لامرأته ما قال له صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ما أمرنا به فجعل يقولان وغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وكانت اربعة آلاف شاء وجاء بها الى أبيه . فنزل قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

وقوله في الحديث : حيثما كنت . لافادة تعميم الامكنة أي في كل مكان كنت فيه . والمراد من ذلك التنبيه على ملازمة التقوى على كل حال واختار عنوان المكان لما ان الغالب على الانسان التستر بمكان الانفراد حال التلبس بالمخالفة لغلبة الجهالة عليه إذاك حتى يغفل عن احاطة علمه تعالى بكل مكان والله در بعضهم حيث يقول : اذا أردت ان تعصي الله فاعصه حيث لا يراك . ومن ثم عظم شأن الخلوة وكانت خاتمة خصال السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه معبرا عنه بقوله عليه السلام : ورجل ذكر

الله خاليا ففاضت عيناه

قوله صلى الله عليه وسلم : وأتبع السيئة الحسنة تمحها بفتح همزة أتبع بمعنى ان تفعل بعدها بقرب كما هو ظاهر الاتباع ، وأل في السيئة والحسنة جنسية وظاهر ذلك ارادة السيئة بما يشمل الصغيرة والكبيرة ويراد من الحسنة ما يشمل التوبة وغيرها من أفعال البر . فالثاني يكفر الاول من السيئات والاول يكفر الثاني منها . وظاهر لفظ المحو كلفظ الازهار في قوله جل اسمه (ان الحسنات يذهبن السيئات) أنها تزال من صحف الكائنين . وهو مدلول قوله جل اسمه (يحبو الله ما يشاء وبشت وعنده ام الكتاب) وحاصل معنى هذه الجملة الشريفة أن السيئة اذا أتبت بحسنة محيت ، وتفصيله كما أشرنا اليه ان السيئة اذا كانت صغيرة تحتها الحسنة التابعة كيفما كانت واذا كانت كبيرة كانت محوها بحسنة مخصوصة هي التوبة ، والمراد السيئات التي هي من غير حقوق العباد فلا تكفر الا بالاستحلال واعلم أن تقسيم الذنوب الى كبائر وصغائر مذهب جمهور المتكلمين وعليه تدل آيات الكتاب المجيد كقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقوله (وكرة اليكم الكفر والفسوق والعصيان) فالفسوق الكبائر والعصيان الصغائر والازم التكرار ، ومناط التقسيم ذات الفعل وما فيها من المفسدة دون الالتفات الى مخالفة الله فانها بالنظر الى ذلك على حد واحد وهي شبهة من نفى الصغائر

وعلى مذهب الجمهور اختلاف في تمييز الكبائر من الصغائر اختلافاً أفضى الى عدم الاعتماد فيه على محصل فمنهم من سلك طريق العد على اختلاف في القلة والكثرة ومنهم من سلك طريق الضبط بما ورد فيه الوعيد بالنار أو ترتب عليه حد فهو الكبيرة . وكل ذلك لا يفيد تمييزاً كما يعلم بمراجعة ما للمعلماء في ذلك من الاقوال وجنح شهاب الدين القرافي الى التمييز بعظم المفسدة وحقارتها فقال في التاسع والعشرين والمائتين من قواعد : الصغيرة في المعاصي ليس من جهة من عصي بها بل من جهة المفسدة الكائنة في ذلك الفعل فالكبيرة ما عظمت مفسدتها ورتب المفسدات مختلفة فأدنى رتب المفسدات ترتب عليها الكراهة ثم كلها عظمت المفسدة ارتفعت الكراهة حتى تكون أعلى رتب الصغائر تليها أدنى رتب الكبائر ثم تترقى رتب الكبائر بعظم المفسدة حتى تكون أعلى رتب الكبائر يليها الكفر . وقدس فيه ابن الشاطب بان النظر الى مقادير المفسدات في ضبط الصغائر والكبائر لا يصح لانه بناء على قواعد المعتزلة ، ثم انه د جوع الى عدم التمييز لمقادير المفسدات وعدم وصولنا الى العلم بحقيقته اه .

قلت أما الاول فبين الفساد فان بناء الشريعة المطهرة على اعتبار المصالح والمفاسد أمر معلوم أثبت الاستقراء لها كما وقع التصريح به في أول كتاب المقاصد من الموافقات ، والاختلاف بين أهل السنة والمعتزلة انما هو في الوجوب وعدمه وكون العقل يتوصل الى المصلحة فيعلم الامر والى المفسدة فيعلم النهي أو لا يدرك ذلك الا بعد ورود الامر والنهي بالاولين قال المعتزلة وبالتاليين قال أهل السنة .

واما الثاني فهو وان كان متجه الظاهر اذ يقال لا يعلم من النهي الا وجود المفسدة وأما اعتبار مقدارها فقد لا يدرك كونه عظيما أو حقيرا لكنه مدفوع بالالتفات الى مقصد الشرائع وحفظ كلياتها فاذا تبين ما قصد الشارح حفظه تبينت رتب المفساد ومقاديرها بالنسبة الى الحلل اللاحق لذلك المحفوظ وقد شرح ذلك بما لا مطمع للنفس وראה خبر هذه الامة أبو حامد الغازي فقال في كتاب التوبة من الاحياء: لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فنعرفه بالظن والتقريب ويانه انا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقاءه وأنه لا وصول لذلك إلا بمعرفة الله ومعرفة صفات رسله وكتبه واليه الاشارة بقوله تعالى (وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون) أي ليكونوا عبيدا ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فهذا هو المقصد الاقصى بعبئة الانبياء ولكن لا يتم هذا إلا بالحياة الدنيا وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا مقصودا تبعا للدين ووسيلة اليه وحفظ الحياة الدنيا منوط بحفظ النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله فهو أكبر الكبائر وليه ما يسد حياة النفوس وليه ما يسد باب المعاش التي بها حياة النفوس ، فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاثة مراتب الرتبة الاولى ما يمنع من معرفة الله ورسوله وهو الكفر فلا كبيرة فوقه ويتلوه مراتب البدء المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وشرائعه واوامره ونواهيته ومراتب ذلك كثيرة وتفاوتها بحسب تفاوت الحلل اللاحق بها الى حفظ الكلي الذي هو المعرفة بحق الربوبية وبحق العبودية . الرتبة الثانية حفظ النفوس قتل النفس مباشرة من الكبائر وكذلك ما يفضي الى انعدام الحياة حقيقة او حكما كازهاج الادراك بالمسكرات . الرتبة الثالثة حفظ الاموال على أربابها اذ بها بقاء الحياة عادة فكل ما يفضي الى ضياعها على أربابها كالسرقة بنصائها محل بحفظ ذلك الاصل فيكون ذا مفسدة عظيمة ويكون كبيرة . اه بتصرف فيه

وهو الضابط الذي لا يشذ عنه فرد عند اعمال النظر ومراعاة تلك المقاصد ومعرفة ما يوجب الاخلال بها من غيره الذي هو مناط انظار الجهادية النقاد . ولا مزية في تطرق الخلاف الى بعض منها فان ذلك شان الاجتهادات المشروع رحمة للامة . وهذا البيان الذي هو من غزل ابي حامد الرقيق اتجه كلام الشهاب واندفع عنه ذلك الاشكال . ومن كان ذا نباهة وتفطن وغذي بلبان التحرير يتيقن ان ذلك الضابط لحجة الاسلام مستنبط من جملة حديث المجلس فان مضمون الجملة الاولى القيام بحق الربوبية وواجب العبودية الذي هو المقصد الاول من التشريع كما قرره ومضمون الجملة الثانية افادة كيفية جبر ما تقتضيه البشرية غير المعصومة من بعض الحلل في القيام بواجب الاولى . فهما جملتان لتحقيق القيام بالواجب الاول اصالة وجبرا وبقي القيام بالواجب الثاني المتعلق بالحياة الدنيا اليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الجملة الثالثة (وخالق الناس ..

بخلق حسن) خالق الناس عاشرهم بالخلق الحسن كذا في القاموس . وعليه فذكر المتعلق لزيادة البيان والايضاح . والناس عام للمؤمن والكافر فان للكافر حقوقا في المعاملات معروفة في الشرع بسطها الشهاب القرافي في التاسع عشر والمائة من قواعده . وخلصتها منع الموالة والتودد المصرح بهما في قوله جل أسمه : يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموادة . ومنع كل ما يفضي الى اظهار سلطانه على المسلمين وتعظيم رتبته عليهم . أما برهم بغير ذلك من الفرق بهم ولين القول لهم من غير مذلة وكل حق يحسن من الاعلى مع الاسفل ان يفعله ومن العدو مع عدوه اذا قصد مكارم الاخلاق فهذا لا منع فيه بل هو من المطلوب كما دلت عليه نصوص الشريعة وكفى قوله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انتهى ملخص كلام الشهاب . وفي الجامع الصغير من طرق عديدة : اذا تاكم كربهم قوم فاكرموا . وفي شرحه للمناوي : تعميم الحكم في الكافر والفاسق اذا كان كريم قومه مستدلا على ذلك بعنوان الحديث والعدول عن عنوان العلم او الدين وبأن معاملته بغير ما آتاه الله من الرتبة ابتلاء منه يجر الى مفاسد منهي عنها قال وقد غلط في هذا الباب كثير غفلة عن تدبير الله في خلقه وجودا على ظاهر قوله تعالى : ومن ين الله فعاله من مكرم . وما دروا ان السنة شرحت ذلك وبينته أحسن بيان فموضع طلب إهانة الكافر والفاسق الامن من حصول مفسدة ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يتواضع لا كابر كفار قريش ويكرمهم ويرفع منزلتهم .

وهنا بحث من تتمه هذا يجب التنبيه له وهو ما حدث في معاشرتنا من مكارمهم من الآداب المستحدثة فربما أنكر ذلك من لا تضع له في أصول الشريعة بسبب انها لم تكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في زمن السلف الصالح بعده وبراها لذلك بدعة مذمومة لما فيها من مخالفة السلف وتحرير ذلك ما ذكره الشهاب في التاسع والستين والمائتين من قواعده حيث قال : اعلم ان الذي يباح في مكرمة الناس قسما . الاول ما وردت به نصوص الشريعة من افشاء السلام واطعام الطعام وتشجيع العاطس والمصافحة عند الملاقاة وغير ذلك معاهو مبسوط في كتب الفروع — الثاني ما لم يرد به نص ولا كان في السلف الصالح لانعدام سببه عندهم وقد حدث سببه الآن المعتبر شرعا فتعين فعله لحدوث سببه لانه لا شرع مستأنف اذ تاخير وقوع الحكم لتأخر سببه لا يكون شرعا جديدا وهذا القسم هو ما في زماننا من القيام للاعيان واحياء الرأس لهم والمخاطبة بالالقب المؤذنة بالرفعة والمكاتبة بالنعوت الدالة على العظمة كالباب العالي والمجلس السامي والجناب المرفع وغير ذلك . فهذا كله لم يكن في السلف الصالح ونحن اليوم مامورون به مع كونه بدعة والسبب في ذلك ان ترك ذلك في زماننا يوقع في النفوس فتقع الشحنة والقطيعة المنسبي عنها بتحديث لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا . فهذا الحديث قاض بان كل ما يؤدي الى تلك الافعال منهي عنه

وترك ما اعتيد في زماننا من المكارمات يؤدي اليها فوجب تركه وارتكاب المعتاد. وتلك المكارمات المستحدثة كانت في حيز الكراهة دون التحريم فلما صار تركها موجبا للمقاطعة المحرمة لزم دفعه كما هو قاعدة الشرع يقدم ترك المحرم اذا تعارض المكروه والمحرم. وقال وقد حضرت يوما عند الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله وكان لا تأخذه في الله لومة لائم قدمت اليه فتيا فيها : ما تقول أئمة الدين وفقهم الله تعالى في القيام الذي احذثه اهل زماننا مع انه لم يكن في السلف. هل يجوز ام يحرم ؟

فكتب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباغضوا ولا تحاسدوا. الحديث . وترك القيام في هذا الوقت يقضي إلى المقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيدا. هذا نص فتواه ثم قال الشهاب فعلى هذا القانون يجري هذا القسم بشرط أن لا يسمح محرما ولا يترك واجبا فلو علم أنه لا يرضى المعامل إلا بفعل المحرم لم يجوز إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

والخلق بضمين هو في الاصل ملكة نفسانية تصدر عنها الافعال بسهولة فإن صدرت عنها الافعال الحميدة في الخلق الحسن الا لا فسد ذلك. ثم إن هذه الملكة لما كانت هيئة للنفس لا يتعلق بها التكليف لذاتها إذ ليست من الفعل في شيء نعم يتعلق التكليف بالاسباب المحصلة لها الراجعة إلى التصبر وحمل النفس على تحمل الضيم ومكابدة الاذى والعفو وغير ذلك فبتمرن النفس على الصفات الجميلة والاداب الممدوحة وتعودها ذلك تحصل تلك الملكة فتنشأ عنها تلك الصفات بعد سهولة بعد أن كانت شاقة في تحصيلها ويرجع السبب مسببا وهو مناط التكليف والمدح والذم. وبما ينال علم أن الخلق الحسن الذي هو مناط المدح والثناء مكتسب بريضة النفس والتأديب ومن ثم كان خلقه الله صلى الله عليه وسلم أشرف خلق حسن كما شهد له بذلك تعالى في قوله: وإنك لعلی خلق عظیم. حيث كان تأديبه آهيا ورياضته قرآنية كما قالت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما : كان خلقه القرآن قال الامام السهروردي في عوارف المعارف : في كلامها رضي الله عنها سر غامض وذلك أن النفوس البشرية مجبولة على طباع غضبية وبهيمية وسبعية والله بفضله عنايته نزع حظ الشيطان منه الذي هو شر الاولى فبقيت نفسه الزكية مبقاة فيها أمهات تلك الصفات فتتزل الآيات لقمعها عند تحريكها واضطرابها تأديبا له صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى : كذلك لنثبت به فؤادك. فعند كل اضطراب تنزل آية لمصالح سنية يسكن بها كما وقع في أحد إذ شج صلى الله عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم. فأُنزل الله تعالى : ليس لك من الامر شيء فانفس قلبه لباس الاصطبار . ورجع بعد الاضطراب إلى القرار فلما توزعت الآيات بحسب الاوقات ضفت الاخلاق النبوية بالقرآن. إنتهى كلامه النفيس .

فأخلاقه صلى الله عليه وسلم ربانية بالتأديب الرباني والعناية الاحدية لا بريضة نفسانية وتكسب طبعيا كما يكون لغيره ولذلك لا يدرك شأوا خلقه صلى الله عليه وسلم فافهمه

وفي المفهم (١) الخلق المحمودة اجمالا ان تكون مع غيرك على نفسك فتتصف منها ولا تتتصف لها، وتفصيلا: العفو، والحلم، والجود، والصبر، والرحمة، ولين الجانب، وتحمل الاذى، اذ وجاع ذلك قوله جل اسمه: الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والخلق الحسن محمود في كل أمة يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: بعثت لا تتم مكارم الاخلاق، فانه صريح في سبقيتها في الامم السابقة غير ان الشريعة المطهرة جمعت ما تفرق منها واحكمته على وجه لا مطمع فيه من غيرها ولقد كانت الامة الامة من العرب يتسابقون الى نيل تلك الصفات ويناضلون عنها وكفى احدهم شرفا ان يعد من اصحاب تلك الخلال حتى قال السموءل ابن عاديا حكيم شعرائهم:

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضميها فليس الى حسن الثناء سبيل

ومن كلام حكماء اليونان قول سقراط الحكيم: الحكمة حسن الخلق

وقال ارسطو: بلين الكلام تدوم المودة في الصدور، وبخفض الجناح تتم الامور، وبسعة الاخلاق يطيب العيش ويكمل السرور، وكتب الى الاسكندر الارذال يتقادون بالخوف، والاخير بالحياة فاستعمل في الاولى البطش وفي الثانية الاحسان، وليكن غضبك لا شديدا ولا ضعيفا فان ذلك من اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان: واذا اعطاك الله ما تحبه من الظفر فافعل ما احب الله من العفو، اهـ

واعلم ان مدار اعتبار تلك الصفات ان تكون منبئة من صفاء الباطن واخلاص الطوية كما يقتضيه اعتبار الملكة فيها، اما اذا كانت بحسب الظاهر فقط فهو التخلق المذموم، وايلا يعني من يقول:

يا ايها المتحلي غير شيمته ان التخلق يأتي دونه الخلق

وقال محمد بن هاني مادحا

غني بما في الطبع عن مستفاده له كرم الاخلاق دون التكرم

وعنوان الحقيقة ظهور السرور والبشر عند التدنس بتلك الصفات فان الظواهر عنوان البواطن

ومن هنا لما سئل سلام ابن ابي مطيع عن حسن الخلق انشأ يقول:

تراه اذ ما جئته مهلا كانك تعطيه الذي انت سائله

فلم يعتبر الاحسان من حسن الخلق الا مع التهلل والبشرى الدالين على طيب الباطن

وقد اجاد ابن الرومي مفصحا بطريقة سلام مع بيان الدليل فقال:

وقل من ضمنت خيرا طويته الا وفي وجهه للبشر عنوان

تلقاء وهو مع الاحسان معتذر وقد يسيء مسيء وهو منان

اذا تيممك العافي فكوكبه سعد ومرعاه في واديك سعدان

أحبي بك الله هذا الخلق كلهم فانت روح وهذا الخلق جثمان

والله اعلم

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

« ١٠ »

بقلم العلامة الحجة الشيخ محمد الحجوي
وزير المعارف بالسلطنة المغربية

هل الاسلام دين العقل ؟

هذه المقالة نسبها بعض المؤلفين الى رجل مصر ومصليها وفيلسوفها محمد عبده وحملها على غير حملها فيجب ان اشرحها بما يليق بمقام الشيخ المصلح وان لم اقف على سياق كلامه حتى اجزم بالمراد منه ، ان ظني بالشيخ وما اعهدا من لهجة ما وقفت عليه من كتاباته ان معناها ان الاسلام دين يوافق العقل ولا يناقضه بحال في اصوله وفروعه ويؤيد هذا المعنى ما اسلفناه وليس المراد انه شريعة عقلية بشرية ليست بوحى الاهي فهذا المعنى لا يقصده مسلم لانه كفر صراح ، كما انه لا يقصد بها ان الشرع مفتقر الى العقل يرشده في كل شيء ، وانه لولا ما اهتدى ، كلاما كلا فالشرع مستقل غير مفتقر وانما العقل ناصره وعاضده ومعينه كما سبق

كما انه لا يريد ما قاله المعتزلة وغيرهم من ان قواعد العقل مقدمة على نصوص الشرع عند التعارض ، كذلك لا يريد ما قاله المعتزلة من التحسين والتقييس العقلين وان العقل مستقل بالاحكام يهتدى بفطرته الى عللها والى حكم تلك العلل البديعة والى الثواب والعقاب ويهتدى بفطرته الى اليوم الآخر والى المسؤولية امام الله من غير توقف على الشرع ، فاني احاشي جناب الشيخ عن ارادة هذه المعاني وان احتملها اللفظ ، اذ ورود الشرع يكون عبئا على هذا الاخير

❦ ذيل ❦

رد طمن مصطفى كمال على النبوات

من جملة ما اشتمل عليه كتاب مصطفى كمال قوله طاعنا في النبوات ان احدا من الانبياء لم يوح اليه برسالة تساعدنا على اختراع آلة من آلات استكشاف الكهرباء ، او البواخر ، او الطائرات ، او التلفون اللاسلكي ، او مبادي طب تساعدنا على مقاومة السرطان او السل الخ - وانا نجيبه عن استعجال ولا نوسع المجال ، وسأقوم بواجب عيني حيث لم اقف الى الآن على من وقف موقف

النضال معه فاقول ان وظيف الانبياء تعليمي تهذيبي احساني تبشيري تنظيمي للاجتماع البشري موطن لايجاد ما كان مفقودا في وقتهم وامهم من اتقان نظام المجتمع العام ودفع الشروع عن هذا العالم الانساني المحفوف بالمخاطر من التغالب والتكالب ، والغيلة والاضطهاد والفوضى وتكميل النوع الانساني بالاداب والتفكير المنتج والقاح افكاره بالاخلاق العالية ومبادئ العلوم التي كانت مفقودة وهي التي رقت افكار العالم ومداركه واوصلته الى ضالتكم المنشودة الى هذه المخترعات التي انتم بها معجبون .

ودونك القراء العظيم طالعه وتدبره تجده هو الذي حرر الافكار من رق التقليد والتقييد . وفكك عنه اصار الاسر والتجميد . واطلق عنان التفكير للاكتشاف والاختراع واظهار مواهب الابداع . وهو الذي اثار حركة العقول وقيد كل شيء بالمعروف والمعقول . والقراء ان هو الذي ازال القيود وسلاسل العبودية من عنق العقل بل جعل له هيمنة وجلالا . وصيره طليقا يتفكر في خلق السموات والارض بل جعله ملكا حاكما في المملكة الواسعة تتسابق حياده في ميدان الابتكار لتظهر مواهبها وتاتينا بطرائف الفوائد ، حتى امتلات بها الموائد ، ثم انكم تعترفون ان سنة الكون ليست طفرة بل هو التدرج والتطور في المراحل الطبيعية التي لا بد من اجتيازها على ما تقتضيه سنن الكون ونواميس الوجود وكل شيء ابانه ولا يكون الا في الوقت الذي قدر له

فأول نضوج الافكار بدأ بالنبوات والنضج لا يكون في لحظة ولا بد له من زمان محدود يقتضيه طلعه فيجتازة تدرجيا اذ فكر الانسان مقهور تحت نواميس الكون التي اقتضتها الحكمة الالهية وله عمر طبيعي ينمو فيه بالتجارب والاستفادة عنها واستنتاج المعلومات منها فهو كالمعدن والنبات والحيوان كل له عمر طبيعي ينضج فيه ويستكمل قوته حتى ان بعض المعادن يقضي في اجتياز عمره الطبيعي مئين من السنين ليم فيها نضجا . وفكر الانسان كذلك لم يتم نضجه الا بالمراحل التي قد اجتازها في ازمان النبوات وبعدها على سنة كونية بتقدير عزيز عليم

وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطع مرحلة كبرى زادته نضجا واسرع السير فيها الى عالم الكمال حيث تعبدت له طريق سوي بعلوم اديبة نشأت عنها علوم رياضية (١) والقراء ان فيه كثير من الاشارات الى العلوم الرياضية وقواعدها وبعض الطبيعيات ايضا المتضمن ذلك للتشويق اليها بل والحض عليها وعملا بذلك التشويق القراء اني تمهدت العلوم الطبيعية التي لولاها ما امكن لمعجلات الفكر أن تسرع

(١) فقد حض على علم التاريخ بقوله فاقص القصص لعلمهم يتذكرون وفي قوله لعلمهم يتذكرون اشارة الى فلسفته وحض على الجغرافية بقوله قل سيروا في الارض فانظروا وحض على علم الهيئة والفلك والنجوم بقوله انظروا ما ذا في السموات والارض وفيها حض على طبقات الارض بل وعلم المعدن والنبات اذ النظر الذي يحض عليه القراء ليس مطلق النظر السطحي الغير المثمر ويدعو الى علم التشريح والطب والطبيعة بقوله وفي انفسكم افلا تبصرون الى غير هذا (محرر)

المسير وتبلغ المراد من تلك المخترعات والمكتشفات ، وعلى كل حال فان ابا ان ظهور المخترعات لا بد ان يتقدمه وقت طويل ينضج فيه الفكر وهو زمن النبوات ، وحين جاء الابان جاءت تلك المخترعات التي لولا تمهيد النبوات لم تكن ممكنة ولا متيسرة

ثانيا ليس من المعقول ولا من المستحسن ان يكون المعلم المذهب : حقوقيا ، طبيا ، صيدليا ، صناعا ، ميكانيكيا ، مهندسا ، اداريا ، منظما ، جامعا لكل الوظائف ، يباشرها في ان واحد ومن غير تدريج .

هب انه كذلك على خرق العادة المناسب للنبوة ، فليس يستطيع ان يخلق تلاميذ تكون لهم قدرة على تلقي هذه العلوم والصنائع في ان واحد تعليما نهائيا لم يسبقه تعليم ابتدائي ينضج به الفكر الانساني ، فان ذلك يخالف سنة الكون المبني على نوااميس خاصة وحركة فلكية مشددة .

فالنبوات علمت العالم تعليما تمهيدا ابتدائيا لهذه العلوم التي انت معجب بها . ثم بعد اطلاق الفكر صارت تلك المعارف تنمو الى ان بلغت لما ترى ولا تزال تنمو وستبلغ الى ما هو اعجب بما يناسب الوقت الاتي والاحوال المقبلة

ثالثا لوجاء نبي بها قبل تهذيب النوع باداب النبوة لكانت محض ضرر وخطر

رابعا لسنا على يقين من ملاءمة هذه المخترعات لوظيفة النبوة ونحن نرى ماذا وقع من موبقات واتلافات للنوع الانساني بسبب الحرب العالمية الماضية ، واظن انه لو بعث بها نبي ثم وقعت تلك الحرب المشؤمة على الانسانية ذات المجزرة الكبرى التي انتحرت فيها الانسانية بيد الاختراع والاكتشاف والتي تصدعت بها اركان المدينة . وظهرت بها ثمرة تلك المخترعات التي اهتمت بها . لارتد اتباعه اجمعون اکتعون ، ولما بقي لرسالته اثر ، لان فائدة الرسالة ترقية النوع الانساني ادبيا قبل ارتقاءه ماديا وتشديد دعائم العمران على اساس السوء والرحمة والتعاون وعطف الانسانية والتعاون ووصلة البر والاحسان ، ولم تكن قط رسالة مبنية على الهدم والفتك والافساد والحرب والدمار ولا تكون

ولقد شاهد العالم مشهدا لم يشهده حيل سابق قط من التناحر وفساد الاخلاق واضطراب الافكار وتباغض الاقطار ، وتباعد الانظار ، والتكالب على الاضرار . والتوثب على كل ما ليس بمشروع ، ودك كل قانون سماوي او موضوع ، وانحطاط الهمم ، وخراب الذمم وشيوع الفساد في الارض وخرق كل اجماع طبيعي ، وافساد كل اصلاح اجتماعي . وكشف قناع كل حياء ؛ وتسلبت الاقوياء على الضعفاء . وانتزع الرحمة من كل ضمير . ولو اجال الانسان نظره في ما هو السبب الاقوى لتتويع هذه الانواع من الدواهي المخربة لما وجد لذلك من سبب اقوى من هذه المخترعات وما نشأ عنها من المنافسات في هدم اركان المدينة والانسانية . فهل يمكن مع هذه المشاهدة ان يقال ان

العالم اسعد حالا مع هذا الترقى في علم المادة . بل البشر ائقنى حالا على وجه العموم من حاله قبل ظهور هذه المخترعات . وان العداوة بين الاجناس لم تصل قط من الشدة في غابر الدهر الى هذه الدرجة التي حصلت بهذه المخترعات . وان القصد من النبوات هو سعادة العالم حالا ومثالا لا شقاؤه وان المخترعين انفسهم قد شعروا بهذا الخطر الذي نشأ عن اختراعهم واستكشافهم وتبريرا لعملهم يجيبون عن هذه المعضلة باجوبة واهية . ومما احباب به المخترع الكبير في العصر الحاضر ماركوني الايطالي مخترع الراديو ان هذا الشقاء راجع لكون الترقى العلمي لا يسير بتناسب مع سير المدنية الاخلاقية بحيث ان الانسانية لم تستوف حقها من المدنية بالنسبة لما ادركته في ميدان الاختراع والاكتشاف . وضرب لذلك مثلا بطفل تمكن من سيارة سباق سريعة ليلعب بها فانه يقع في الخطر فحالتنا بالنسبة للمخترعات الحديثة كحالة الطفل فاننا لم نتوصل بعد الى سائر طرق استعمال اختراعاتنا وزعم انه لولا هذا الاختلال في التناسب لكان الترقى العصري وسيلة لسعادة الانسانية ثم قال ومن الصعب ان تعتبر الغازات الحارقة ووسائل التدمير والحرب من سعادة البشر ولكن ما حصل في ميدان الصناعة من اختراعات االات زاد في راحة البشر وسمح لكثير من الناس ان يتمتعوا بحياة لم يكن في استطاعتهم ان يتمتعوا بها من قبل واحاب عما وقع من مشاكل العمال والبطالة بما يطول . وكل هذا من قبيل الحيال في نظري . والواقع المشاهد ان مشاكل العالم تكاثرت بسبب افساد الاموال في تلكم المخترعات وما من اختراع الا وبعقبه ارقى منه فيفسد المال الذي ذهب في الاول فضخمت الميزانيات وافتقرت الامم وكثرت البطالات بل المجاعات . واما ما يتمتع به الاغنياء وارباب رؤوس الاموال من النعيم فذلك كله نعيم فردي ويسرع زواله . وما امله ماركوني من التمدن الادبي فذلك كله تحقق انه خيال . وان ظهور المخترعات افسد اسس الاداب الانسانية وزاد في تكالب البشر وصيره عاصيا متمردا على كل ادب ورحمة وانسانية فالمخترعات العصرية المادية اذا استثنينا المخترعات الطبية والجراحية وامثالها مما لاسيل لاستعماله في التدمير كان وبالا على الانسانية وعلى الآداب الحقيقية التي جاءت بها النبوات . لعمرى كيف يمكن ان تكون وظيفة لنبي او يظهرها الله على يد رسول الله مبعوث للرحمة كلا ثم كلا الف الف مرة وان كانت الحقيقة مرة: فتلكم المخترعات والمكتشفات التي اهتبل بها مصطفى كمال ونبذ الدين واساء للرسلين لاتتلائم ووظيفة النبي الحقيقي بحال لان اهم وظيفة يؤديه الرسول برسالته هو ايجاد روابط متينة نزيهة بين افراد النوع الانساني واممه وشعوبه مبنية على العطف والرحمة والحب والارتفاق واتشال الانسانية المعذبة من سفالة الاخلاق والفتك والتخريب والاستعباد وصيانة الدماء والاعراض والاموال التي جاءت هذه المخترعات لاستباحتها وانتهاك حرمتها مخالفة لما جاءت له النبوات من تثبيت دعائم العدل والانصاف والتسامح ونشر الوئام الحقيقي والاخاء الذي لا تدجيل فيه وصقل الافكار بصيفل العلم الصحيح وتحريرها من كل ضغط وارهاق .

الملاجى الخيرية الاسلامية (*)

في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية

بقلم العلامة الجليل الحافظ المدولى
محمد عبد الحى الكتاني دام نفعه

لا يخفى أن اقامة ملاجىء للبايسين وأصحاب العاهات والزمنى من اعظم اثار الحضارة ودلائل الرقي ومهما وجد هذا العطف الانساني من الاصحاء على الضعفاء ومن الاغنياء على الفقراء فذلك امارة التهذيب النفساني والتفكير الايماني والعاطفة الشريفة وقد اشتهر عند كثير من المؤرخين وغيرهم أن أول من اتخذ المستشفيات صدر الاسلام الوليد بن عبد الملك ويذكرون انه اقام في دمشق مستشفى للمجنومين لان لماء دمشق على ما قالوا خاصية دفع مرض الجذام عن اهلها فلا يصيبهم الا في النادر واذا دخله هناك غريب عن البلد تنكسر عنه عاديته او يتوقف سيره في الجسد . وفي التاريخ المظفري : وفي سنة ثمان وثمانين أمر الوليد بن عبد الملك بعمل المارستان لعلاج المرضى وهو أول من فعل ذلك وجعل فيه اطباء وأجرى فيه الاتفاق وأمر بحبس المجنومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم الاتفاق وعلى العميان . والحال ان الامام الحافظ أبا الحسن الجزاعي التلمساني بوب في كتابه تخريج الدلالات السمعية فقال : الباب الخامس في المارستان . قال : وفيه ثلاثة فصول . الفصل الاول في معناه واتخاذها وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ثم ذكر : ان مسلما خرج عن عائشة انها قالت : أصيب سعد يوم الخندق رماله رجل من قريش فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد يعودة عن قريب . وقال ابن إسحاق في السيرة : كان رسول الله عليه السلام قد جعل سعد بن معاذ في خيمة

وبعبارة أخصر وضع نظام للمجتمع او تجديده يتلاءم مع العقل والحكمة والاختيار غير مفروض على الناس بالحجر والقوة العسكرية الغاشمة الاثيمة التي تايدت بهذه المخترعات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

هذا وانني بغاية الاسف مضطرا ان اصرح بحقيقة راهنة . وهي ان هذه المخترعات وان دممناها من حيث انها ضد الانسانية والرحمة وحقوق الضعيف ومصالح الاجتماع . فانه يجب اقتناؤها والاخذ بها من حيث الدفاع عن البيضة ومقاولة الشر بالشرك كما قال الصديق رضي الله عنه قاتلهم بما قاتلوك به ومن هنا نشأت مشكلة المشكلات التي لا حل لها وهي (سلم . وتسليح) وكل من المبدئين مناقض للآخر فتحن معها كما قيل .

جعلت الدنيا لنا فتنه والحمد لله على ذالك
قد أجمع الناس على ذمها وما نرى منهم لها تاركا (يتبع)

(*) دعا الى تاخير هذا المقال العالي عن عدد سبق تحضير مواد ذلك العدد واليوم نادر بتحلية هذا العدد به شاكرين فضل صاحبه الشريف العلامة ومستريدين من فيوضه على هذه المجلة

لامرأة من أسلم فبال لها رففةة قال ابن عبد البر فف فرجهفها من الاسفعباب : وفكانف امرأة ففداوى الفرفى وففحبس نففسها على ففمة من فكانف به ففعة من المسلففن وفكان رسول الله علفه وسلم فف فف قال لقومه ففن أصابه السهم بالفنفق افجعلوه فف بفف رففةة فففى أعوده من ففرف . وفف فف ذكر البلفدرى أن عمر بن الففطاب مر عفف ففمفه الففابفة من أرض ففشق ففقم فففومفن من النصارى فأمرف أن ففطوا الففدقات وأن فففرى علفهم الوقف . وفوقف عثمان ابن عفان ففلة سلوان فف ربض الففس على فضعفاء الففد . فففى هفذا الولفد بن عبد الملك هو أول من اشفر عفف فف فف ذلك بالفاهفام بالفرضى والفزمنى وفوسع فف الفوسفع علفهم افباء لظرفوف الففف ولذا قالوا فف فف أعطى لفل ففقف ففاما ولكل أعمى فففا .

وفف سنة ١٧٢ أمر المففى العبسى أن فففرى على الفففومفن وأهل السجون فف فففع الافاق ، وبذلك عرفف أن الفوم فكانوا ففصون الفففومفن بأمافن ففافة لئلا فسرى العفوى ففهم الى ففرهم . وفظهر فف ففكة الففالة ابن بطوطة فف ففلفه أن سلطان الففر ففأبا ففقفوب فوسف بن عبد المسؤمن الموحفدى ففب الى السلطان نور الففدن الشفر ففبه على أن ففنى مارستانا للفرضى من الففرباء وففحبس علفه الافواق وففنى الزوافا بالفرفق هف فف ففكة ففباء المارستانا فكانف ففكة ففافة فف ففمن السلطان فوسف المففور بالففر فكانف وففاته سنة ٥٠٨ ومن المسففل أن فامر ففره بما لم فقم به هو فف ففلافة . وعلى فرفق فوسف المففور ففرى ولله السلطان ففقفوب المنصور الموحفدى الففوفى عام ٩٥٠ هف ففى فرففه من روض الفرفطاس لان أى زرع أنه ففى المارستانا للفرضى والمفانفن الفف . قال : وأففرى الاففاق على أهل المارستانا والفففى والعفمان فف فففع عمله وبنى الصوامع والففناطر والففاب للماء فف الفرفة واتخذ علفها المنازل وبنى المنازل من سوس الافصى الى سوفة بنى مصكوف وفكانف أيامه زفنة الفهر وشرفا لاهل الاسلام . وفف فرففه من المعب فف ففلفص أخبار الففر للشفف عبد الواحد بن على المراكشف أنه بنى بمراكش مارستانا قال : ما افظن أن فف الفففا ففله وفذلك انه فففر ساحة فسففة فف أعدل موفع فف الففد وأمر البنائن بفاففاه على أحسن الوجوه فافففوا ففه من الففوش البففة والزفارف المففمة ما زاد على الاففراح وأمر أن ففرس ففه مع فذلك من فففع الاشجار والمشمومات والمأكولات وأففرى ففه مفاها فففة فسفور على فففع البفوت ففافة على أربع برك فف وسط أحفاها رخام أفض ثم أمر له من الفرفف الشفمنة من أنواع الصوف والففان والففر والاففم ففره بما فزفد على الوصف وآففى فوق الفف وأففرى له ففالففن ففنارا فف كل فوم برسم الفعام وما فففق علفه ففافة فاففا عما ففب الىه من الافوفة وأقام ففه من الصافلة لعمل الاشربة والافهان والاكحال وأعد ففه للفرضى ففابلفل ونهار للفوم من ففهاز الصفف والشفاء فاذا ففه المرفض فان كان فقفرأ أمر له عفف ففوه بما ل فففش به رفشما ففشغل وإن كان فففا

دفع له ماله وتركه وسيله ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمسرا كش من غريب حمل اليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت . وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخل ويعود المرضى ويسأل عن أهل كل بيت بقوله كيف حالكم وكيف القومة عليكم إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ولم يزل مستمرا على هذه الحالة إلى أن مات رحمه الله هـ ١٩١ طبع مصر . وقد قال عن هذا المارستان صاحب الاستبصار في عجائب الامصار : ومن بركاته وضع دار فرج في شرقي الجامع المكرم وهو مارستان المرضى يدخل العليل فيها فيعابن ما أعد فيه من المنازل والمياه والرياحين والاطعمة الشبيهة والاشربة المقوية ويطعمها ويشربها فتنعشه من حينه بقدره الله تعالى هـ

وهذا المارستان العظيم الشان من الملاحية التي أكل عليها الدهر وشرب ودخلت تحت خبر كان ألا ان في عشرة السبعين وتسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله السعدي المتوفي عام ٩٨١ بمسرا كش المارستان الذي قال عنه الاقراي ظهر نفعه وأوقف عليه أوقافا عظيمة هـ ومحل اليوم بحومة الطالعة قرب السجن وقد اتخذ اليوم سجنا للنساء ومغتسلا للغرباء والمساكين وهذا حال الدهر الخؤون فسبحان مغير الاحول من حال الى حال

ولا شك ان هذا العمل من يعقوب المنصور يعد في صدر أعماله الموفقة وهو مما يكتب به الفخر التليد للمغرب والمغاربة بحروف كالجبال تعلو وتطول بطول درن وتدوم بدوامه وهذا غير عجيب عن يعقوب المنصور وذويه في باب الاعمال الخيرية والمشاريع العامة من جهادية وعمرانية وعلية فهو يئمة عقد الدولة الموحدية ولا أشكال وربما يستقل مصروفه الطعمامي الذي حددته ثلاثين دينار يوميا ولكن عند من يجهل مقدار الدينار الذهبي على عهد الموحدين فانه كان لهم دينار كبير وزنا وعملا على ان ائمان الحاجيات في ذلك الزمان غيرها في هذا الزمان وإذا أردت الايضاح فقس ما كان يأتي به الدينار منذ خمسين سنة وما يأتي به اليوم بظهر لك الفرق ويتضح لك الحال جليا فافهم فأن الدرهم الشرعي كان في أول هذا القرن ربما يكفي لمصروف العائلة تقريبا وهكذا قس الى زمن الموحدين فكيف بالدينار

وما ذهبت دولة الموحدين بخيرها الكثير وشرها القليل حتى برقت بارقة الدولة المرينية ذات الحضارة والنضارة والتأسيات العمرانية والعلمية بما أربى على عمل السابقين ففي ترجمة السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني المتوفي سنة ٦٨٥ دفين شالة أنه لما استقام له الامر بنى المارستانات للمرضى والمجانين وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجونه من الاغذية والاشربة ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية وأجرى على الكلل المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجذمي والعمي والفقراء ورتب لهم مالا معلوما يقضونه في كل شهر من جزية اليهود كما بنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله نفعه الله بقصده انظر القرطاس والاستقصا . ص ٣٢ ج ٢

وقال الحافظ أبو عبد الله ابن مرقوق في المسند الصحيح الحسن ، في مائثر أبي الحسن المريني إنه جدد المارستان بفاس وغيرها وكان له به أعظم إعنتاه وابو الحسن هذا هو الذي يقول عنه ابن الخطيب في رقم الحلل

باني المباني النخبة الشريفة	بمقتضى همته المنيفة
وتارك المدارس الطريفة	شاهدة بأنه الخليفة
وقاطع الدهر بغير لهو	في مجلس معظم أو هو
أما لتدبير وعلم يدرس	أو لبلاد من عدو تحرس
أو لا ياد في عباد تفرس	أو لثواب ورضا يلتمس
أو نسخ قرءان وعرض حزب	أو عدة معدة لحرب

وقد أحيى سبيله من بعده ولده السلطان أبو عنان المتوفى سنة ٧٥٩ والولد سر أبيه وذكر ابن بطوطة في رحلته ان السلطان أبا عنان المريسي قد بنى في جميع بلاد المغرب مارستانات ولعل من منه المارستان الذي ذكره : ابن الخطيب في كتابه نفاضة الجراب فيمن جمعني معه الاغتراب حين دخل لآسفى عام ٧٦١ قال . وفي هذه البلدة المدرسة والمارستان وعليها نقشة من قبول الله قال وتردد إلي بها صاحب السوق ومقيم رسم المارستان الشيخ أبو الضياء منير بن احمد الهاشمي الجزيري أما مارستان فاس الذي بجوار سوق العطارين وسوق الحناء فهو مارستان خاص اليوم بالحمقى والمعتمدين ويغلب على ظني أنه من تأسيسات بني مرين وسمي باب الفرج تفاؤلا بأن يحصل الفرج لمن يحل به وقد سبق عن صاحب الاستبصار إطلاق باب فرج على مارستان مراکش في زمن الموحدين ويوجد في كثير من جهات افريقيا موضحاً وقفت لمثل هذا الغرض أطلقوا عليها فرج كما في الجزائر وغيرها

وأول من حفظ لنا التاريخ إسمه من نظار المارستان الذي بفاس العالم الصالح أبو فارس عبد العزيز ابن محمد القروي (بتقديم الراء على الواو) الفاسي أحد شيوخ العلم بفاس المتوفى سنة ٧٥٠ وهو صاحب التقيد على المدونة المنسوب لابي الحسن الصغير كما في مفتاح الشفا لانه كان أكبر أصحابه كما في إبتهاج القلوب وهو مترجم في درة الحجال وجذوة الاقتباس وكفاية المحتاج ونيل الإبتهاج وغيرها من كتب الرجال وقد ذكره الشيخ بناني في حواشي الزرقاني على المختص في باب الجنائز عند قول الشيخ خليل أونسي معه أن عبد العزيز القروي المذكور كان ناظرا على المارستان بفاس يتولى تجهيز الموتى بيده وقد جيء ذات يوم بميت غريب فلما أراد غسله وجد معه بضاعة من القضة

فيؤخذ من هذه القضية ان هذا المارستان بفاس كان قبل ستمائة وست سنوات له ناظر وهو العالم الصالح المذكور وترجم في الجدوة لمحمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي الغرناطي فقال كان لبيبا لودعيا جامعاً لحاصل من خط وكتابة ونظم وشطرنج ثم تولى النظر على المارستان بمدينة فاس في ربيع ٢ عام ٧٥٤ ثم أرخ وفاته سنة ٧٥٧ فهاذا يدل على أنهم كانوا يختارون لنظارة أحباس المارستان أهل العلم والادب والتبلي

وفي جغرافية ابن الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ما يفيد انه كان توظف وهو صغير عدلا بالمستشفى الكبير بفاس عدة سنين باجرة عينها وكان ذلك في أيام الدولة الوطاسية التي يعبر عنها هو بالدولة المرينية لانها من اصل واحد . وفهم من كلام ابن الوزان المذكور انه كانت بفاس على عهد أول القرن العاشر الهجري عدة مستشفيات وانها كانت نهاية في الرونق والاتقان وكل غريب دخل المدينة له ان يقيم بهذه المستشفيات ثلاثة أيام وتوجد خارج المدينة عدة مستشفيات لا تقل اتقاناً

تفصيل وبيان

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

كانت نشرت في هذه المباركة أجوبة عن أسئلة ثلاث وردت عليها وذلك في عددها الاول من مجلدتها الثالث بصحيفة ٣٥ وحيث وقع إطلاق يجب تقييده في السؤال الاول واجمال ينبغي بيانه في السؤالين التاليين فقد رأيت إعادة الاسئلة مع أجوبتها مفصلة مبينة واليك هي

س (١) ما قولكم في إمام جمعة تأخر عن الحضور بالجامع يوم الجمعة حتى أيس من حضوره الجماعة وقرب وقت العصر فقدموا من بينهم من صلى بهم الظهر لعدم من يحسن الخطبة منهم وبفراغهم من الصلاة جاء الامام فهل يؤدون معه صلاة الجمعة أم لا ؟

(الجواب) إن هؤلاء الجماعة معذورون في تركهم الجمعة وأدائهم لها ظهر حيث كاد يخرج وقت الجمعة الاختياري ولم يكن فيهم من يحسن الخطبة إذ من المعلوم أن الخطبتين شرط في صلاة الجمعة صحة وجوبا - أما الصحة فهو بمعنى أن الجمعة لا تصح بدونها، وأما وجوبا فلأنه إذا لم يوجد في الجماعة من يحسنهما بشرطهما وهو كونهما عربيين سقط وجوب الجمعة عنهم قال الشيخ عبد الباقي ما نصه فإن لم يعرف الخطيب عربية لم تجب اه وقال الشيخ عlish في شرحه على المختصر ما نصه فإن لم يوجد فيهم من يحسنهما عربيين فلا تجب الجمعة عليهم ثم قال فالقدرة على الخطبتين من شروط وجوب الجمعة اه ولا ينتظرون الامام إلى دخول وقت العصر على مذهب ابن القاسم لأن الجمعة كالظهر لا يجوز تأخيرها عن وقتها الاختياري إلا لعذر ميسر نعم لما جاء إمامهم وقد صلوا الظهر فانهم يصلون معه الجمعة إن لم يدخل وقت العصر لتين إستعجالهم بالظهر أما إن دخل وقت العصر فانهم يعيدونها معه بنية الجمعة تنفلا لا وجوبا حيث سقط فرضهم بفعل ما وجب عليهم أما الامام فلا تجزئه إلا إذا كان معه جماعة غيرهم لم يصلوا تستقل بهم الجمعة

س (٢) ما قولكم في واقعة حال صورتها أن هناك قرية لا تقام بها الجمعة يصلي أهلها الجمعة في قرية أخرى تبعد عنها نحو الاربعة أميال مات بعض أهل القرية الاولى يوم جمعة فرأى أهل قريته ان الاولى

عن التي بداخلها قال وكان لها قبل مداخل وافرة ولكن إمام حروب ابي سعيد المريني افقرتها وذلك ان السلطان ابا سعيد عثمان بن ابي العباس بن ابي سالم المريني المتوفى سنة ٨٢٣ احتاج الى المال وأشار عليه شيطان بيع اوقاف هذه الملاحيه فعارضته الامه اشد معارضة ووقفت في وجهه ما يريد فانجاها احد وزرائه بقوله ان هذه الملاحيه نفسها واوقافها من صدقات اجداد الامير وحيث ذلك كذلك قللها ان يفوت هذه الاوقاف ويصرفها في مصالح الملك فاذا انتهت الازمة اعاد شراء الاملاك فبيعت هذه الاوقاف ماسوفا عليها وكانت عاقبة السلطان خيرا فمات مقتولا داخل قصره، ولم ترجع المستشفيات الى حالها

(يتبع)

الاشتغال بمؤون تجهيزه ودفنه وإن كان ذلك مؤديا بهم الى ترك صلاة الجمعة لانهم إذا أخروا ذلك الى ما بعد صلاة الجمعة تأخر أمر الجنازة إلى ما بعد العصر وربما لم يفرغوا منه إلا بعد الغروب وأراد إمام قرية الجمعة تأخير أمر الجنازة إلى ما بعد صلاة الجمعة ليتسنى الجمع بين الفضيلتين وتنازع الفريقان في ذلك فما وجه الصواب في هذه القضية ؟

(الجواب) ان ما رآه اهل القرية من المبادرة بتجهير الميت وان ادى القائم به الى ترك صلاة الجمعة هو الحق سواء خيف على الميت التغير بسبب التأخير ام لم يخف عليه ذلك اما في الصورة الاولى فلقول حافظ المذهب ابن رشد - ومما يبيح التخلف (اي عن صلاة الجمعة) الاشتغال بجنازة ميت ينظر في امره اذا لم يجد من يكفنه وخشي عليه التغير ان اخره لصلاة الجمعة اهـ . واما في الصورة الثانية فلقول الامام ابن الحاج في المدخل وهو المعتمد كما قاله غير واحد ما نصه قد وردت السنة ان من اكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفعه وكان بعض العلماء يحافظ على السنة اذا جاؤا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر اهله (١) ان يخرجوا الى دفنه ويعلمهم ان الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبية على البدعة اه قال العلامة الاحموري ما نصه ظاهر المدخل ان السنة ما ذكر حيث دخلوا به وقت الخطبة وان لم يخش تغيره ولا خشي عليه الضياع اه فاذا كان تأخير دفن الميت بمقدار صلاة الجمعة بدعة يتحاشى عنها فتأخيرها الى الغروب اشد ابتداء كل هذا بالنسبة للقائمين بامر الميت . خصوصا اذا اضعفنا الى ذلك كله عدم وجوب صلاة الجمعة على اهل قرية الميت حيث كان بين قريتهم وقرية الجمعة مسافة لا يجب عليهم معها السعي لصلاة الجمعة

س (٣) ما قولكم في حادثة تشبه الحادثة قبل هذه غير ان قرية الميت تقام بها الجمعة والخطيب هو الفاسل والوقت عند الزوال ايها اولى للامام تقديم الجنازة وتأخير صلاة الجمعة الى وقت اصفرار الشمس ام تقديم صلاة الجمعة وتأخير الجنازة الى الاصفرار

(الجواب) ان السنة في الجنازة ان لا تأخر كما تقدم عن ابن الحاج في المدخل والامام يصلي الجمعة بالناس ويتولى غسل الميت غيره الا اذا لم يوجد من يحسنه سواه فها هنا يبادر بغسل الميت وجوبا ان خشي على الميت التغير واستجابا ان لم يخش تغيره ويؤم غيره في صلاة الجمعة الا اذا كان اهل القرية كلهم اميين لا يحسنون الخطبة فيصلونها ظهرا في آخر وقتها الاختياري ويعيدونها جمعة تنفلا مع الامام وتجزئه هو اذا كان معه جماعة غيرهم لم يصلوا تستقبل بهم الجمعة وذلك ما لم تقرب الشمس فان قدم الامام صلاة الجمعة على غسل الميت في الصورة الاخيرة فليصل على الميت قبل الاصفرار او بعد الغروب لكرهاته الصلاة على الميت بعد الاصفرار وحرمتها وقت الغروب والله اعلم

علي النيفر

(١) يظهر من التعليل بالمحافظة على السنة ان التقييد بالاهل خرج مخرج الغالب والمراد من يقوم بدفن الميت وان لم يكن من اهله اه محجب

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

القضاء الشرعي

« ٢ »

نستأنف حديث القضاء الشرعي بتونس من حيث انتهائه في العدد الماضي فنقول لما دخلت الولاية التونسية في طاعة آل عثمان أواخر المائة العاشرة عاد المذهب الحنفي للظهور وأخذ مركزه في المقدمة لانه كان مذهب ولاية الامر ولا زال كذلك الى هذا الزمان فامراء الدولة المرادية كانوا من الاحناف وآل البيت الحسيني خلد الله ملكهم من نسل الترك والترك امة حنفية حنيفة وبديهي ان الترك اتخذوا لهم قاضيا من اهل مذهبهم عند اخذهم مقاليد الامور بايديهم كانوا ياتون به من اسلامبول ثم يبدلونه بعد ثلاث سنين بقاض آخر من بلادهم وهلم جرا وكان سيدنا عمر يبذل قضاته بعد اجل معلوم كعامين او نحو ذلك وهكذا كانوا في الدولة الحفصية فان متولي القضاء في مدة السلطان ابي عمرو عثمان لا يبغي في خطة القضاء بجهة معينة اكثر من ثلاث سنين ثم ينتقل لغيرها الى ان يتصدى لقضاء الحاضرة ثم يتصدى للفتوى والشورى بين الناس وما اوقع لفظ الشورى في الاسماع ترتاح لذكره النفوس وتقول لاعطر بعد عروس . قال الشيخ محمد يرم الثاني في شرح رسالة المفتين : اول المفتين بتونس على المذهب الحنفي هو الشهير برمضان افندي وقد كان قدم اليها من الروم (اي بلاد الترك) بوظيفة القضاء على العادة ايام يوسف داي التي كان بدؤها عام تسعة عشر بعد الالف فلما استوفى مدته ورام ان يعود اليها منعه ذلك الداي وقلده الفتوى اهقلت اول قاض حنفي انتصب عند الفتح العثماني فيما حكاه المؤرخ حسين خوجة في بشائر اهل الايمان هو المولى حسين افندي الحنفي . عينه لحظة القضاء الوزير سنان باشا في جلة الانظمة التي وضعها عند ترتيب ديوان الحكم في سنة ٩٨١ وبعد ان اتم مدته قام مقامه قاض تركي . اواخر لمدة ثلاثة سنين وهلم جرا الى ان االت خطة القضاء للمولى علي افندي من فقهاء الترك وكان اصله من الجزائر قال في بشائر اهل الايمان : انه جاء من اصطنبول الى تونس بوظيفة القضاء فطلب نائبا (مالكي) فلم تطب نفسه بنائب من علماء الوقت الا بالشيخ ساسي نونيه (كان موجودا على راس الالف) فطلبه للنياحة فابي فراودة فامتنع فقال له اواخر مرة ان لم تتول النياحة لامين يقتلك على مذهبك فلما سمع مقالته لم يسعه الا الامتناع فتولى النياحة المذكورة اه وهكذا استرسل الحال بولايه قاض جديد من الترك عند شعور الحطة بانتهاء مدة متوليها الى ان تولاها الشيخ محمد قاربه خوجه الخ تولاها الشيخ محمد قاربه خوجه المشهور ببرناز ومعنى برناز-

ذو الانف الطويل في اللسان التركي (والعامة يسمونه خشمون في تونس) وبرناز هذا كان من ابناء تونس وابوه من رجال الفتح العثماني فكان هو اول قاض حنفي تونسي عدل به اذ ذاك عن استدعاء قاض من الترك ومات الشيخ برناز قتيلا سنة ١٠٨٤ فيما حكاه صاحب كتاب بشائر اهل الايمان، على انهم لم يجعلوها قاعدة مطردة، الا ابتداء من مدة الباشا علي باي الاول باشا فانه انصف ان تكون ولاية قاضي الحضرة بغير اختياره وتعلل بان اغلب سكان البلاد من العرب لا يحسنون اللغة التركية فهم لا يفهمون ما يقوله القاضي التركي ولا هو بدوره يفهم ما يقولون ولا هو عليم باخلاقهم واحوالهم ومعرفة ذلك من شروط القاضي فعند ذلك فوض له الباب العالي باختيار القاضي من العلماء الحنفية بتونس فكان اول قاض حنفي تولى القضاء بها باختيار الباي هو الفقيه الشيخ احمد الطرودي في سنة ١١٥٧ ثم الحق به قاض على المذهب المالكي الزكي ولم يكن قبل ذلك للجماعة المالكية سوى نائب قاض ينفذ عنه احكامه القاضي الحنفي واول من تولى نيابة القضاء المالكي على عهد حكومة الاتراك هو الشيخ ساسي نوربنة كما سبقت الاشارة لذلك واسترسلت مباشرته لهذه النيابة في الدولة المرادية وممن تولاها بعده في العصر الحسيني الشيخ احمد الرصاع وابنه الشيخ قاسم وحفيده الشيخ حمودة باشروا نيابة القضاء المالكي على عهد المولى حسين بن علي وباشرها بعدهم الشيخ حمودة الريكي وكانت ولايته سنة ١١٥٥ واول من تولى قضاء المذهب المالكي بالاستقلال هو الشيخ محمد سعادة (١) كان قاضيا مالكيًا بتونس في وقت

ترجم له في بشائر اهل الايمان ونوه بقدره ونقل شيئًا كثيرًا من اخباره ورحلته وترجم له باوسع من ذلك في كتاب مسامرات الطريف ونقل تفقا من ادبه وقال انه تقدم للقضاء ثم للفتوى ثم لرئاسة اهل الشورى يعني كبيرًا للمفتين على المذهب المالكي وقال ان الباشا علي باي امتحنه بالعزل من جميع خططه وسماها له واحدة واحدة فقال له الشيخ سعادة بقي عندي وظيف عاخر لم تعزلني منه فقال له الباشا ما هو فقال له الشيخ وظيفه العلم الذي في معدري وبعد مدة اعاد عليه جميع وظائفه - قلت كان فقيها ادبيا ناظما ناثرا له باع طويل في التاريخ من ذلك اخبار دولة المولى حسين بن علي وابنه المولى محمد الرشيد باي ومن اجلهما وضع كتابه المسمى قرة العين تضمن ارجوزة تربو على المائتي بيت في معنى الصادح والباغم في الحكم والامثال وكان مرجع اهل العلم في الفتوى يدل لك عليه هذه الايات التي خاطبه بها العلامة الاديب الشيخ احمد العصفوري في نازلة في العمرى أفتى فيها شيوخ العلم وطلب منه الافشاء فيها :

ارى المفتين قد وضعوا خطوطا
وما زبرت يده الشيخ حتى
نراها مثل واسطة القلادة
لقد سبقت سعادتنا يقينا
بفتياهم لنا حصلت افادة

وقد اجابه عن سؤاله بما يشفي الغليل من ذلك قوله

تاملت السؤال وما علاه
وما زبر الشيوخ امام رقمي
ويعناه لسائلهم افادة
فالفيت الجميع ايجاد فيما
من العمرى المسطرة المفادة

له حاشية على شرح الاشموني سماها تقرير المسالك وله نظم بديع في مناسك الحج وله غير ذلك توفي رحمه الله سنة ١١٧١

واحد مع الشيخ أحمد الطرودي قاضي الحنفية على عهد الباشا علي باي الاول كما اسلفنا فيكون النظام الشرعي المزدوج الموجود لهذا الزمان ارتكز اساسه المتين في العقد السادس من القرن الثاني عشر ويكون قد انتقضى عليه قرنان كاملان فهو نظام باركت عليه يد الدهر بمسحة الخلود، على ان وجود قاضيين من مذهبين مختلفين للحكم في وقت واحد ببلد واحد كان موجودا بالقيروان في عصر الاغلبة فان الامير زيادة الله ابراهيم بن الاغلب استقضى في وقت واحد ابا محرز الكناني من ائمة المالكية واسد ابن الفرات من ائمة الحنفية وقد نقل القاضي الشيخ محمد سعادة المتقدم ذكره ان الامام ابن عرفة افتى بجواز تولية قاضيين ببلد واحد على ان يخص كل واحد منهما بناحية من البلد او نوع من الحكم فيه لان هذه الولاية (اي القضاء) يصح فيها التخصيص والتججير ولو استثنى في ولايته ان لا يحكم على رجل معين صح ذلك اه قلت وازيدك اخرى وهو انه وجد بمصر في سنة ٦٦٣ على عهد الملك الظاهر يبرس اربعة قضاة كلا منهم متمذهب بمذهب .

هذا وكان لجانب كل من القاضي الحنفي والقاضي المالكي ولجانب نائب القضاة ايضا مفت من اهل مذهبه يرجع اليه عند الاقتضاء فكان اول مفت على المذهب الحنفي بعد الفتح العثماني الشيخ رمضان افندي واول مفت مالكي الشيخ سالم النفاقي مؤسس مسجد البيت النفاقي (١) وكان جلوسهم بدار الباشا التي اقام على انقاضها الوزير مصطفى بن اسماعيل في سنة ١٢٩٦ داره بتونس وبمكاتها اليوم مدرسة البنات المسلمات الواقعة بنهج الباشا وهذا النهج اطلق عليه المجلس البلدي اذاك اسم نهج المصطفوية نسبة لاسم الوزير السالف الذكر فذهبت هذه التسمية الجائرة ادراج الرياح ولم يحفل بها احد وبقي نهج الباشا على تسميته كما كان وكان انعقاد مجلس الشيوخ للحكم صباح الخميس من كل اسبوع وهي سنة حفصية قررتها الدولة المرادية وجرى بمثلها العمل في الدولة الحسينية الى سنة ١٢٥١ وفيها اقيم شيخ اسلام للجماعة المالكية اتماما للتسوية المعنوية بعد التسوية الحسية الموجودة من قبل بين علماء المذهبين الشقيقين والغني لقب الباش مفتي بتونس وبطل استعمال العنوان الجليل المتلبس بلقب كبير اهل الشورى الذي مضت عليه القرون واذاك تقرر انعقاد المجلسين كل منهما بانفرادة فاحتفظوا بيوم الخميس للسادة الحنفية كما في القديم وعينوا يوم الاثنين لاجتماع السادة المالكية . واول عهد باجتماع القاضي والمفتي في مجلس واحد وهو مجلس الحكم كان في زمن الدولة المرادية وفي مدة مراد باي الثالث الذي تولى الحكم في سنة ١١١٠ اضافوا للمفتي الحنفي وهو الشيخ عبد الكريم درغوث مفتيا

(١) من اشهرهم واوسعهم عارضة في العلم المفتي الشيخ علي النفاقي قال في مسامرات الظريف انه اتى بخط شريف من دار الخلافة في تنفيذ حكم كل من القاضي والمفتي من غير ان يسأل واحد منهما عن نص المسألة بعد ان كانت العادة ان الخصم يسأل كل عالم ويطلع على المسألة وله ان يعارض بها القاضي او المفتي في مجلس حكمه وبذلك حصل للشيخ صيت عظيم وتوفي في طريق الحج سنة ١٠٤٩ هـ

ثانيا حنفيا فكان هو الشيخ علي الصوفي وسعود للكلام عليه عند التعريف بمسند مشيخة الاسلام الجلييلة ثم توسعوا بالزيادة في عدد المفتين الحنفيين فكانوا اربعة ثم خمسة في اواسط القرن الماضي وكانت الفتوى في الدولة الحفصية بدرجتين فتوى بالنص والكتاب المسطور وهي الدرجة الاولى وفتوى بالنص والقول المنشور (الشفاهي) وهي الدرجة الثانية فالغيت هذه واقيت الاخرى للجميع (١) وعلى ذلك القياس كان العمل بالنسبة لاهل المذهب المالكي فقد كان لهم من المفتاي مئتي وثلاث وربع قال في مسامرات الظريف انهم كانوا ثمانية في الدولة المرادية وزيادة على ذلك فان قاضي المحلة في الدولتين الحفصية والمرادية كان من فقهاء المالكية ومنهم ايضا كان قاضي باردو في الدولة الحسينية وباردو كان موجودا في المائة السابعة وما بعدها بعنوان دور وبساتين ومنتزهات لبني حفص سكنه بعدهم المراديون بالعنوان المذكور فلما افضت الولاية للهولي حسين بن علي اتخذ دار ملك ونصب به قاضيا مالكيًا كما اسلفنا وكان هؤلاء القضاة هم المترشحون لقضاء الجماعة بتونس وتبعوا لذلك كان قاضي الفريضة من المالكية ايضا وكان يجلس بيت المال وبيت المال كانوا يسمونه بيت الحساب على عهد الدولة الحفصية فيما حكاه الفقيه الزركشي مما يدل وانه كان لهم ديوان منتظم الاحوال لضبط حساباتهم وكان القائم على راس هذا الديوان وزير المال ويسمونه في مصطلحهم صاحب الاشغال ويكتب عليه شاهد لقبه شاهد التنفيذ وفي كتاب ابتسام الغروس لما توفي ولي الله سيدي احمد بن عروس تولى جنازته صاحب الاشغال بامر السلطان محمد المنتصر الحفصي ، وعلى قياس قاضي الفريضة كان قاضي الاهلة وما مازالت احكام الرؤية حتى في هذا الزمان جارية على قواعد مذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه لان ازدواج الحكم بما انزل الله في حالة وجود مذهبين قائمين في وقت واحد ببلد واحد قاد اهل الامر والنهي للبحث عن ايسر الطرق لاقامة قسطاس الشريعة بين الناس

وكلهم من رسول الله ملتصق غرنا من البحر اورشفا من الدير

لذلك جعلوا النظر في بعض المسائل الشرعية من علائق المذهب المالكي كما جرى بمثله العمل في بعض المسائل الاخرى التي خصوها بالمذهب الحنفي كالتحايس التي يكفي في انعقادها قولك حبست على ما افتي به الامام ابو يوسف رضي الله عنه وهذا اقصى درجات اليسر اذ يتم المقصود منه بكلمة واحدة

ولا يوجد في زماننا هذا ادنى ميز او شبه ميز بين قاضي المذهبين فهما اخوان في الله شقيقان في العلم مستويان في الخطوة والخطو ، متحدان في الحقوق والواجبات حصل بينهما هذا التساوي

(١) هي الفتوى بمشهور المذهب حتى اذا اختلف الشيوخ في الراي كان الامير حكما بينهم يعني بترجيح شق على شق بصفته قاضي القضاة التي هي من حقوقه الشرعية

الحق كحصوله ين بقية شيوخ المذهبيين في عهد المشير احمد باي الاول سنة ١٢٥٦ الى ذلك يشير شيخ الشيوخ وطود الرسوخ ابو اسحاق ابراهيم الريحاني بقوله

جری لبن من ندي احمد فارتوى به حنفي في الاخاء والاصي

واكد الباي هذه المنقبة الحادثة بالاذن للقاضي المالكية يومئذ وهو صديقه الشيخ محمد بن سلامة باتخاذ طابع له كقاضي الحنفية . نعم ان الوزير خير الدين اجري في اواخر القرن الماضي جناية استثنائية لشيخ الاسلام واخرى بنحو نصفها للقاضي المالكي ولكن ذلك كان في مقابلة مشاركتهما له في خدمات خصوصية اثناء انجازها لمشروع الاصلاح الذي قام به يومئذ لفائدة البلاد التونسية على ان كافة شيوخ المجلسين . كانوا في ذلك الزمان وقبله متمتعين بمنح استثنائية كثيرة منها تزويد من يتقدم منهم للخطبة الشريفة بفرس وسرج لركوبه ولقد رايت في كناش الشيخ الحداد الباي بعث له « بفرس هشوش وحكة نشوق بعطر الفشوش » (١) ولما راج سوق العربرات وهي الكروسة (٢) صارت الدولة تسعهم بعربة لركوبهم فقد رايت في بعض التقايد ان الباي احسن بثلاثة الاف وستمائة ريال للقاضي الشيخ الطاهر النيفر بعنوان كروسة لركوبه في عام ١٢٩١ وكانوا يعطونهم الخوخ (الملف) اللازم لكسائهم والعلف اللازم لدوابهم وكان من يلتحق منهم بالدار الاخرة تتولى الدولة القيام بشئون مأتمه تنويها بشانه واحتراما لمنصبه الشرعي فكان مصروف جنازة المفتي الشيخ علي العفيف في رجب ١٢٩٢ ربالا ٢٤٨٠ على يد شيخ المدينة . فان قلت ان سلطة القاضي الشرعية كانت شاملة جامعة في القرون المتقدمة وهاهي اليوم باتت منحصرة في قانون الاحوال الشخصية وفي نوازل الاستحقاق بين الراعي قلنا ان هذا التجريد لم يكن من عمل اهل حيل واحد بل هو نتيجة تطورات كثيرة في احيال متابعة افضت بنا لما نحن عليه ومن المعلوم ان سفينة الدهر تجري في مجاري المشيئة فحسبنا الدعاء بان يكون مرساها على ساحل السلامة ومهما كان الحال فقد بقي للقاضي الشرعي ولشيوخ الفتوى زيادة على وظائفهم القضائية مهمتهم الدينية وهذه والله الحمد لازالت في قرار مكين واسعة المدا سميعة النداء ملتحفة برداء التعظيم والاحلال معتزة بالسودد والكمال وسنوفها حقها ان شاء الله في العدد القابل مع التعريف بمسندي مشيخة الاسلام وعلاقة اهل العلم باهل الدولة ونختم كلامي اليوم بسرر اسماء مشائخ المذهبيين الذين تسنموا ذروة القضاء الشرعي بتونس في بحر المائتي سنة المتصلتين بعامنا الحاضر مع بيان تاريخ الولاية والحمد لله في البداية والنهاية

(١) هذه الحكمة كانت مرصعة بالحجارة الكريمة والشيخ الحداد كان زاهدا في دنياه وردده الحديث ولكله ما حضر فدفعها لزوجته وهذه باعها واشترت بشمعتها دارا بجبل المنار

(٢) لفظ معرب من Carrozza في اللغة الطليانية . قال في المونس ان ظهور الكروسة بتونس كان على عهد الدولة المرادية حيي بها (من اروبا) لركوب حمودة باشا المرادي

القضاة الحنفية	القضاة المالكية
الشيخ احمد الطرودي تولى سنه ١١٥٧	الشيخ محمد سعادة تولى سنة ١١٥٧
» يوسف القفال » ١١٦١	» محمد الوافي المثلوثي » ١١٧٠
» مصطفى الطرودي » ١١٦٧	» محمد الكافي » ١١٧١
» علي الحزني بن عمر » ١١٧١	» ابراهيم المزاج » ١١٧٢
» عمر بوشناق » ١١٧٢	» سعيد الشيبوي » ١١٧٥
» خليل خوجه » ١١٧٧	» محمد سويسي » ١١٩٩
» مراد بوسيكه » ١١٨٠	» محمد الطويبي » ١٢٠٤
» محمد قارة باطاق » ١١٩٠	» عمر المحجوب » ١٢١٧
» محمد يرم الثاني » ١١٩٢	» اسماعيل التميمي » ١٢٢١
» حسونه الترجان » ١١٩٣	» احمد بوخريص » ١٢٣٠
» محمد يرم الثاني (مرة ثانية) » ١١٩٤	» اسماعيل التميمي مرة ثانية » ١٢٣٠
» حسين برناز » ١٢١٥	» سالم المحجوب » ١٢٣٤
» احمد بن الخوجه الاول » ١٢١٩	» الشاذلي بن المؤدب » ١٢٤١
» مصطفى دقزلي » ١٢٢٩	» البحري بن عبد الستار » ١٢٤٢
» علي الدرويش » ١٢٣٢	» محمد السنوسي بن منه » ١٢٥٤
» محمد بن الخوجه » ١٢٥١	» محمد بن سلامه » ١٢٥٥
» محمود بن باكير » ١٢٥٩	» محمد البناء » ١٢٦١
» مصطفى يرم » ١٢٦٢	» محمد النيفر » ١٢٦٣
» احمد بن الخوجه الثاني » ١٢٧٧	» الطاهر بن عاشور الاول » ١٢٦٧
» حسن بن الخوجه » ١٢٧٩	» صالح النيفر » ١٢٧٧
» محمد البارودي » ١٢٨٥	» محمد النيفر » ١٢٨٠
» محمد بن مصطفى يرم » ١٢٩٠	» الطاهر النيفر » ١٢٩٠
» محمود يرم » ١٣٠٩	» الطيب النيفر » ١٣١١
» اسماعيل الصفاحي » ١٣١٥	» محمد القصار » ١٣٢٥
» محمود بن محمود » ١٣٢٥	» الطاهر بن عاشور الثاني » ١٣٣١
» محمد بن القاضي » ١٣٣١	» الصادق النيفر » ١٣٤١
» محمد رضوان » ١٣٣٥	» صالح الملقبي » ١٣٤٧
» الطيب يرم » ١٣٤٩	» الطيب سياله » ١٣٥٢
» محمد دامرجي » ١٣٥١	

صلة تونس بالدولة العلية

صفحة من تاريخ تونس

بعثت خير الدين للاستان

في سنتي ١٢٨١-١٢٨٨

« ٢ »

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ٥ »

مكتوب من الوزير الاكبر مصطفى خزندار

الى الوزير خير الدين مؤرخ يوم الاحد في ٢٠ رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهامام المفخّم الوزير امير الامراء وعمدة اعيان الكبراء السيد خير الدين ادام الله تعالى حراسته وحفظه اما بعد السلام التام عليكم ورحمة الله تعالى فان مكتوبكم المؤرخ يوم الثلاثاء سابع شهر التاريخ بلغنا وكذلك مكتوبكم الخصوصي وكذلك ما الحفتموه بالبطاقة من تعيين يوم مقابلة مولانا السلطان وعلينا جميع ما تضمنته وشكرنا الله تعالى اولاً على عافيتكم ثم على ما حصل لكم من العناية والاکرام وسر مولانا ايدّه الله تعالى بجميع ذلك وقد كاتبناكم قبل هذا بما يغني عن الاعادة والواصل لكم صحبة هذا مكتوب من دار ارنجني لئانها باسلامبول ليكون لكم (كريدي) بمائتي الف فرنك تاخذها هناك اذا لزمكم ذلك الخ
(لا يهم موضوعنا نقل البقية)

هذا ما بلغ اليه جهد المقل من البحث والتحري في ضبط اسماء البعض من هؤلاء الشيوخ ولا سيما اهل الطبقة الاولى الذين تولوا القضاء في اواسط القرن الثاني عشر اذ من المحتمل ان تواريخ واسماء بضعة نفر منهم غير مطابقة للواقع وكان من العسير علينا تحرير ذلك كما هو الحال في اسم الشيخ الثالث في السلسلة المالكية لاني سمعت من بعض شيوخ المذهب من يشك في صحة نسبه ويقول ان لقبه ربما كان القاضي لا الكافي كما اني لست على يقين من صحة اسم الشيخ الخامس في تلك السلسلة وهو الشيخ الشيبوني اذ لم نجد له ذكر فيما ادينا من كتب التراجم التونسية وهي قليلة جدا بالنسبة للقرنين الحادي عشر والثاني عشر

سقى لحد من بانوا وقد ضاجعوا الثرى غمام الرضى حتى يرى روضة خضرا
وعامل من لم يأت به اجل بلطف له في هذه الدار والاخرى
محمد بن الحوجة

« ٦ »

مقتبس من مكتوب صادر من المستشار محمد البكوش

بتاريخ الثامن والعشرين من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله - سيدي ومعتمدي بعد اهداء السلام وتقيل الايدي الكرام واداء ما يجب من الاجلال والاعظام.....

اما اخبار تونس الدارحة في شان وجهه السيادة فانها مسرة للغاية والشكر لله تعالى وشائع عند الاجانب واهل البلاد ان الاكرام الذي حصل للسيادة لم يحصل لاحد الا لاسماعيل باشا مصر....

« ٧ »

نص مكتوب من المؤرخ الاكتب احمد بن ابي الضياف

حرر يوم الثلاثاء في ٢٨ رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سيدي وسندي والعروة الوثقى التي علقت بها يدي الوزير امير الامراء سيدي خير الدين ادام الله اجلاله وحرس كاله اما بعد السلام المديد لحق المقام بالسؤال عن احوالكم لازالت ان شاء الله طوع واملكم ونحن والشكر لله بخير وعافية لا يخلصنا الا الاجتماع بكم في اسعد الاوقات على احسن الحالات وقد كاتبناكم قبل هذا بما نرجو وصوله لجنابكم وسرنا مكتوبكم المؤرخ في اواسط رجب لا سيما ما في طرته بخطكم حيث قلتم ان ظاهرا الامور على ما يسر مولانا ويرضيه وفرحنا بذلك كثيرا واخبركم ان امير الامراء سيدي علي باي سافر بلحلة يوم الخميس في ١٧ رجب في مشهد عظيم وموكب فخم والسيد رستم بمحلته الى وطن الكاف ونواجع ونيفة وان الشقي علي بن غذاهم نكت الامان وجمع شردمة من الاوغاد اغار بهم على محلة السيد رستم عند رحولها فردهم الله على اعقابهم وشتت المدفع شعلهم ومات منهم نحو الاربعين ونجى ابن غذاهم براس طمرة ولحام وخفي موضعه وقطعت نيته وكفى الله المؤمنين القتال والسيد احمد زروق لم يزل بالساحل واسركم ان اخباركم بتونس تعطر الارحاء وتقوي الرجاء والله ولي اعانتكم وهو المسئول ان يجمعنا بكم في اسعد الاوقات والسلام من كاتبها على جناح عجل احمد بن ابي الضياف (وبطرته) ومات من محلة السيد رستم نفر واحد فقط والظاهر ان محلة الباي تقصد اعراب ونيفة الآن والسلام

« ٨ »

مقتبس من مكتوب صادر من الوزير الاكبر مصطفى خزندار

بتاريخ الثامن والعشرين من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله وصلى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهام المفخم امير الامراء الوزير السيد خير الدين حرسه الله تعالى السلام عليكم وبعد فان

كتايكم المؤرخين في ١٥ شهر التاريخ بلغا إلينا وعلماهما ويوم التاريخ اجيناكم عنهما بمكتوبين مؤرخين بالتاريخ حاصلهما ان مولانا دام عزه وعلا علم مقابلكم للجناب الفخيم السلطاني وللوزراء واستحسن ايده الله تعالى الطريق الذي سلكتموه وسر ايده الله تعالى بحسن المقابلة التي ذكرتموها (لا حاجة لنا هنا ببقية المكتوب)

« ٩ »

نص الجواب الصادر من المولى الصادق باي

الى الصدر الاعظم المشير السيد محمد فؤاد باشا مؤرخ في ذي القعدة سنة ١٢٨١

الحمد لله - اما بعد التحية المناسبة لرتبتكم العلية وفخامتكم التي هي عن الشرح غنية فانه بلغ اعظم قدركم العالي الكتاب العظيم الوفاة الكثير الافادة المتضمن لبيان الخير وطرق السعادة فانشرح لمراءه فؤادي ورايته من انار صدق نبتي المؤسسة على صدق نية اءااي واجدادي وتعرفت منه ما ملاء العين احسانا والقلب استحسانا وافاض المسرة سرا واعلانا وحسبته من نتائج عمري والايات الدالة بفضل السلطنة العلية على فخري حيث تضمن رضى السلطنة العلية على العبد الفقير واحله بالثناء على سيرته المحل الاثير وافادة تقرير عاداته المعروفة المقررة المألوفة وشرح لنا الهام المفخم الوزير امير الامراء ابنا خير الدين ما شاهده من الاعتناء الذي جنابكم اهله ومكانتكم العلية محله مع ما اتصل بذلك من الالتفات اليه من حضرة سلطنة الاسلام العلية وتشريفها له بما هو معهود من مكارمها السنية عنايات سلطانية جارية على ما نعهده نحن وءابؤنا من الخلافة العلية والفخامة العثمانية اذ لم تزل اثارها متواردة والالسن والقلوب على معرفة قدرها متعاضدة فقد شاهدنا عيانا اثار مرضاتها التي افصح بها الكتاب الكريم المتلقى بالاجلال والتكريم لانا لا نشك في ان ذلك اصل الاسباب التي اعانت على رفع ما عرض من التخخير في الوقت القليل بالعمل اليسير واعتناؤها الرفيع العالي واعانتها المدعمة للسابق بالتالي وعنايتها بالعبد الفقير حيث تفضات على وزيرة الاكبر بنيشان الافتخار المرموق بعين الاجلال في سائر الاقطار التي تتوجه اليه الاطماع وتفتخر به الاشخاص والباق اذ من المقرر المعلوم المسموع ان العناية بالتابع عناية بالمتبوع خلد الله تعالى لهذه الخلافة الاسلامية سلطانه وبصرها للخير ولعانا وعمر بما يرضها ازمانها وجعل التاييدات الالهية اعوانها ولا غرابة في اعتناء سلطنة الاسلام الحامية للانام بما يعود عليهم بصلاح الامور ورعاية حال الخاصة والجمهور اذ ظهور الفضل من موضعه عادة مالوفة واشراق النور من مطلعته سنة معروفة وما هذا باول اعتناء تعرفناه وتعودنا به والقناة فطلما تواردت علينا من السلطنة العلية النعم وتناسقت وتبارت الافكار في معرفة مقاديرها وتسابقت نعم يقصر عن اداء شكرها لساني ولذلك اوكلت الجزء عليها لمن يعلم سري واعلاني غير اني اجعلها ملهج لساني ونصب عياني ونرجو ان لا تزال متواردة الامداد على ممر الاماد غير منحصرة بعد ولا منتبهة الى حدواني على يقين من أن جنابكم العالي من اعظم اسباب هاته النعم التي يقصر عن بيان قدرها لساني القلم اذ باب السلطنة هو الوزير وذلك هو المقطوع به عن كالكم الشهير ومقامكم الكبير وان لساني يردد شكر مزايكم المتكاثرة ومحامدكم المتواترة فلا زالت كالكم واضحة الاشراق وسياستكم زينة

تهنئة الامير احمد

الملك المعظم

بمولد الرسول احمد صلى الله عليه وسلم

يا مولد شرفت به عدنان	وتعطرت بأريجہ الاكوان
بشرى لنا بوجوده ووروده	سرت بها الاجفاف والآذان
بمحمد سر الوجود ونوره	صلى عليه الخالق الرحمن
إرساله والفضل لله به	للعالمين هداية وأمان
في عام مولده وقاية مكة	والفيل عنها رد والحباشان
فهم وبيت حبيبهم حاقت بهم	بين الانام مهانة وهوان (١)
بركاته درت بها حليلة	ولام معبد في العجاف لبان (٢)
ويرى بليل ما يرى بنهاره	وسيات خلف والوراء عيان
وإذا غفا والنوم من طبع الحيا	ففؤاده حال الكرى يقظان

الافاق ومما نبيه الى جنابكم الرفيع انه عند ما يقتضي الحال الذي لا يمكن بمقتضى ما يعلوه جنابكم الرفيع ترك الالتفات اليه بحال طلب ما عرفنا جنابكم العالي بان الاذن العلي السلطاني ادام الله تعالى تاييده صدر به نطلب ان تشرقا باصداره والمرغوب من همتكم العاية ومكانتكم السنية انهاء حمدنا وشكرنا للاعتاب السلطانية على ما املنا من اعتنائها واعانتها ووجدناه على نحو ما تعودنا به وعهدناه ودعائنا لها بالامداد وطول الاماد ومشايرتنا على ما تقرر بوزارتكم التي تقرب الصعاب وتدنيها وتغرس اصول السياسة وتجنيها وهو جلب مرضاة سلطنة الاسلام وعصمة الانام ومحافظتنا على اعتبار منها الجسام والدعاء لها بدوام العز وحماية الاسلام ودمتم . . .

محمد الصالح مزالي

(يتبع)

(١) بيت عبادة الحبشة في اليمن اراد الاحباش جعلها حجا عوض مكة ودعوا لها الناس فقعد فيها عربي نكابة بهم وذلك ما حملهم على هدم مكة واستصحاب القيل لها

(٢) حليلة السعدية مرضعة صلى الله عليه وسلم وأم معبد امرأة مترجلة تطعم وتسقي المسافرين بين مكة والمدينة طلب منها صلى الله عليه وسلم عند هجرته بيع ما يقتاتون به فاعتذرت بقصد ذلك فمسح بيده الشريفة على ضرع شاة هزيلة هناك فدرت وحلبها ثلاثا حتى روي الجميع وترك منه لابي معبد المتغيب في رعي الشياه

لولا ما عبد الآله حقيقة بل ما درى الانسان ما الايمان
لما دعا الاقوام للدين السوي لباه شكرا أنسهم والجان
أتباعه سعدت به دنياهم ولهم بأخرى الفوز والغفران
يحظى ويرضى مادح لمحمد من فيضه ومؤمل ظمئان
مدح النبي جزاؤه لمحبه ولتابعه الروح والرضوان
شكرا لحالقنا بيعث محمد وبما أشار بفتحه عثمان (١)
ساوت شريعة أحمد بين الورى فعت لها الاجناس والالوان (٢)
والنافرون من الهدى نقد القضا فيهم وحال الاغبياء الكفران
فالخلق خسمهم هدوا وسواهم لو بشروا فهدىهم إمكان (٣)



ميلاد أحمد ياء (١٢) شهر ربيعہ وسما به في كافه (٢٠) نيسان (٤)
فالشمس ترسم عيده بشورها حتى يكون لها بذاك شان
والعام والايام من شمس الضيا لما لكوكب أرضنا الدوران
والبدري يكمل كل شهر دورة وجميعها عام له حسابان
لو أنصف الحساب مولد أحمد جعلوه في (١٢) ياء الشهور زانوا (٥)
والشمس قدر عامها وفصولها ومواسم والسعد والدبران
لكنهم عشرين افريل نسوا والمرء عافة علمه النسيان
ان الذي لم يرع في اعماله هذا وذاك حسابه نقصان
فصيامنا وزكاتنا ووقوفنا حجا لها من شمسنا ازمان
والشمس قد خست بها صلواتنا ومن التخصص يظهر البرهان

(١) سيدنا عثمان ابن عفان الخليفة الثالث أرسل أخاه من الرضاع عبد الله بن ابي سرح لفتح
افريقية عام ٢٧ هـ ولولا لكانت افريقية الان محبوسية همجية
(٢) ليس في الاسلام فرق بين العربي والعجمي والايض والاسود على خلاف ما عرفت به
بعض الدول الراقية في التمدن حتى إن الاسود لا يجالسهم ولا يساويهم الى غير ذلك من النعرة الجنسية
والنسبية

(٣) المسلمون ثلاثمائة مليون والعالم البشري خمسة عشر مائة مليون
(٤) مولده صلى الله عليه وسلم بالحساب الشمسي في أفريل ٢٠ من عام الفيل
(٥) لما كان القمر في كل شهر يطوف بالارض مرة فمن الصواب انه كلما بلغ الحساب ١٢ يوما
من كل شهر يكون ذلك اليوم ذكرى لميلاده صلى الله عليه وسلم

لمحمد خير الفصول ربيعها وإليه في خير البقاع مكان (١)
 إن الربيع إذا الزهور تغطرت ومتى يحين النخل والرمان
 فبطيه كانت ولادته وفي جني الثمار بطيبة الهجران
 بهلال شهر ربيع ترحاله وقبا بثامنه له الايات (٢)
 حلت عبدالله احمد بقبا كما في الاعتدال الشمس والميزان (٣)
 في يوم طيب (٢١) واعتدال خريفه بينا المصلى للهدى اعلان
 صلى برانوناء اول جمعة بطريقه وخطابه رنان (٤)
 بلغ المدينة يوم ثاني عشرة فشدت به النسوان والصبيان
 فيها القرار لناقاة مأمورة يا حبذا الانصار والضياف
 فسراة يشرب بايعوا لنجاته وجفاة مكة كيدهم خذلان
 لا يستوي عمرهم بقتله وموفق بلقائه نشوان
 في مكة تجري الشعائر خفية وصلاة يشرب حبرة وأذان
 * * *
 ذي هجرة قد وافقت ميلاده شهرا وعدا فالوفاق يسان
 إن المحرم مثله يناير رسمته غرة عامها الازهان (٥)
 فطليعة الايام منه عدادها ضمن المواسم امرها استحسان
 والاشعري ورئسه لم يدريا هل قام بل او قدمضى شعبان (٦)

- (١) ميلاده وبلوغه للمدينة مهاجرا صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع ١ وبالحساب الشمسي ميلاده في ربيع الازهار الشمسي أي في ٢٠ افريل وهجرته في ذبيح الثمار أي في سبتمبر والاعتدال الخريفي وكانت العرب تسمي الخريف ربيعا
- (٢) سافر صلى الله عليه وسلم من غار ثور بمكة يوم الاثنين غرة ربيع الاول وحل في قبا ثامنه وبني من الغد ٢١ سبتمبر مسجد التقوى والشمس قد حلت ببرج الميزان وهو الاعتدال الخريفي (٣) من الاتفاق الحسن ان حلول نورة وعدالته صلى الله عليه وسلم في قبا وبناءه اول مسجد في الاسلام كان في زمن الاعتدال وحلول الشمس ببرج الميزان
- (٤) رانوانا كعاشوراء صلى في مسجدتها صلى الله عليه وسلم الجمعة في طريقه بين قبا والمدينة ولما بلغ المدينة تلقته النساء والصبيان وكانت على السطوح المخدرات ينشدن طلع البدر علينا . . . الخ الايات الثلاثة
- (٥) اول العام المسيحي يناير والميلاد قبله بسبعة أيام أي في ٢٥ ديسمبر - كما ان الهجرة في ربيع الاول وابتداء الحساب من المحرم غرة العام العربي أي قبلها بشهرين وایام - فاول العامين موسم عري (والهجرة والميلاد الحقيقان موسمان دينيان)
- (٦) توقف سيدنا عمر في شعبان برسم وقال هل هو الماضي او القابل وخاطبه عامله ابو موسى الاشعري في كون الكتب التي ترد اليه لا يدري منها عام الشهر الذي بها (شعبان)

فتشاوروا والهرمزاني مقالاه في ضبط أحوال الزمان بيان (١)
وأشار في حرب المدينة قبله بالحفر رابع هجرة سلمان
جعلوا المحرم للحساب بداية من هجرة كانت هي الفرقان (٢)
فتأسس التاريخ سابع عشرة والفضل للفاروق والادعاء
عدد هـي (١٧) جاء عد أميرنا من ءاله بهما الوري جذلان
نعم الملوك السالفون وانما مرعى ولكن فاقه السعدان



يا مولدات تجمعا في شهرنا لكما مديح المصطفى إمعان (٣)
هذان عيدان ورؤية أحمد ورضاه عيد ثالث هتان
ثلاثة الاعياد عام حظوظنا ولكل أمر مقتض وأوان
فيألى التعلق بالرسول قلوبنا وإلى المديح لساننا وبنان
وإلى الأمير ثناؤنا من عطفه والحي يملك حسه الاحسان



بالمولد الاسنى حراسة تونس لا يستيخ بها العباد فلان (٤)
أيظن ذاك الشخص ان بلادنا وحماها الاحباش والالبان
كلا سيلقى من دفاع رجالنا ما في القديم تجرع الاسباب
ما كل أحمد ملك زوغو ولا ساوى شيوخ ملوكنا الشبان
خابت مطامع من يحارب تونس هب أن ناصره الزعيم هيان
ان السيادة لا تكون لغيرنا وبنا انمحي الفندال والرومان (٥)
فالنابون بارض تونس سادة وهم على طول المدى السكان

- (١) جمع سيدنا عمر الصحابة لما يضبط به الوقت فشرح الهرمزاني الفارسي طريقة التاريخ عندهم واهل فارس لهم حضارة عريقة وتقدم في نظام الحياة - كما اشار سلمان الفارسي عام الاحزاب بحفر الخندق حول المدينة سنة اربع
(٢) عمل سيدنا عمر برأي سيدنا علي كرم الله وجهه وجعل الهجرة مبدأ التاريخ الاسلامي واعتبر الحساب من المحرم مبدأ الشهور القمرية عند العرب
(٣) عشرون افريل صادفت غرة ربيع الاول في هذا العام فاجتمع الميلادان الشمسي والقمرى في شهر ربيع الاول وفي العام القابل ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م يكون الميلادان في يوم واحد
(٤) في المولد الشريف زالت المخاوف من الهجوم المتوقع على المملكة من الجنوب - والاسبان خرجوا من شواطئ تونس ٩٨١
(٥) الرومان أجداد الطليان اقترضوا من افريقية سنة ٤٣٤ وزال الفندال اجداد الالمان منها ٥٣٣

جنس عزيز لا تلين قناته وحروبه للمعتدين عوان
فقضى من الآلاف خمسا زابضا والناس ناس والزمان زمان (١)
هذا من التاريخ ما علموا به ولقد محى ما قبله الطوفان



ابناء حام مازجوا افريقشا في قطرنا فتزايد العمران (٢)
حتى تجدد من عتيق تراثهم لما أتى لفتوحهم حسان (٣)
وتتابع الولاة بعد جهاده نعم الشعار العزم والقراءان
خضعت الى الخلفاء افريقية وتمهدت بملوكها الاركان
فالاغلبى متغلب ولبأسه والاه هرون وشارلمان (٤)
وزيادة الله الجري لفتوحه أسد البحار العالم الطعان (٥)
ولآل فاطمة منابر طنجة والقيروان والحق أسوان (٦)
فمصر عاصمة بناها جوهر ونما بها في الازهر العرفان
وتلتهم صنهاجة ومعزها لكن أذل جيوشه العربان (٧)
لبس السواد وظن بغداد الدوا بينا العليل فراشه زغوان
ابن العراق من المعز وصبرة ومؤمل نصر البعيد يهان
قد غره شرخ الشباب وملكه وعلومه وجنوده السودان
واذا بنو حفص تطول مدتهم فبدولة الاتراك جاء سنان (٨)

- (١) من الطوفان الى الآن ٥٣٣٢
(٢) امتزاج العرب ابناء سام بالبربر ابناء حام
(٣) حسان ابن النعمان فاتح قرطاجنة قدم افريقية عام ٧٨
(٤) الاغالبه من ١٨٤ - ٢٩٦
(٥) زيادة الله باني جامع القيروان على الحالة الراهنة غزا صقلية عام ٢١٢ وامير الجيش اسد ابن الفراء قاضي القيروان
(٦) الفاطميون بافريقية من ٢٩٦ - ٣٦١ وفتحوا مصر ٣٥٨ واسسوا القاهرة والازهر
(٧) الصنهاغيون بافريقية من ٣٦١ - ٥٥٥ غلبه العرب الهلاسيون على المملكة في اواسط القرن الخامس وعانوا فيها فسادا سلطتهم عليه مصر لما قطع الدعاء للفاطمين اولياء نعمته ودعا للعباسيين ولبس هو ورجال دولته الثياب السود التي هي شعار العباسيين الذين عجزوا عن افريقية واسلخوا لحد الاغالبه اواخر المائة الثانية فكيف وهم في اواسط القرن الرابع على اضعف حالة والفاطميون يلتهمون ممالك دولتهم من اطرافها
(٨) الحفصيون - ٦٠٣ - ٩٨١ والمراديون من عام ١٠٢٢ - ١١١٣ والحسينيون من عام ١١١٧ وابو كمال كنية الامير الحليل

وبنو مراد فخرهم حمودة والى الحسين وفرعه التيجان

فأبو كمال في السداد مقوقس
ووزيره سبط الرسول محمد
وبعصره شيخا الشريعة طاهر
بهما علا صرح العلوم بتونس
بهما يفاخر باينا لمغارب
فالباي احمد تونس جمعت به
فربيعه مرناق في قصر الهنا
لنسيمه وشميمه ورياضه
واذا ترى المرسى وقصر أميرها
فاق الملوك السالفين شهامة
ساووا بحور الشعر وهي جميعها

والشعر تاريخ ومرآة بها
عرفت مكانته الملوك فقربوا
فعلا به كعب لكعب واجتنى
درر لشاعر ورغة في جدكم
فهم الحماسة لجدكم في كفه
شب الحسين على الشجاعة والندى
واخلاصهم ارث لكم من جدكم
لي في مزايا احمد وجدوده
والشعر غصت بحوره فنفسها
من مثل أحمد في الملوك سياسة
او شابه الهادي الوزير مكارما
والناس نبت فيه عطر فائح
وكذا الملوك غضنفر كأمرنا
وزرآؤهم فالاخوة الهادي وفا
إن المواسم كالولادة مراتب
فاهنا بمولد أحمد يا أحمد

محمد المقداد الورتقاني

(١) شيخا الاسلام العليان سيدي محمد ابن يوسف للذهب الحنفي وسيدي محمد الطاهر ابن
عاشور للذهب المالكي
(٢) عدد الامراء الحسينيين ستة عشر اميرا

اصلاح اغلاط مطبعية في الجزء الثالث

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٩٦	٦	افخرج	فخرج
»	٢٧	معالي	معاني
٩٧	٣	دار سلام	دار اسلام
»	١٢	المشركين	المشركين
»	١٦	طوره الاشد	طور الاشد
»	١٨	والقضاء	والقضاة
»	٢٠	الزوج	الزواج
»	٢٢	بين	فيها
»	٣٣	الاوراك	الاوارك



ديوان الوريغي

في العدد المقبل تنشر القطعة الاولى من ديوان الشيخ الوريغي ان شاء الله فنافقت
اليه الانظار وسنتابع نشره الى التمام نسال الله الاعانة والتوفيق

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها المجلة التونسية
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء السادس	تونس - في ربيع الثاني ١٣٥٨ - جوان ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير :

محمد المنحاز بن محمود

المتني الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمن العدد ٣ فرنكات

فهرس القدد

الجزء السادس

المجلد الثالث

العدد	المقال	صاحبه
٢٥٨	الامة الاسلامية تنشد الاصلاح	محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب المجلة
٢٦١	تفسير آية من سورة البقرة	العلامة الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٢٦٤	كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة	المنعم المبرور الشيخ صالح النيفر الباش مفتي المالكي
٢٧٢	خطر الادينية على الاسلام	العلامة بهام الشيخ محمد الحجوي وزير معارف الحكومة الشريفة المغربية
٢٧٦	الملاحى الحيرية	العلامة المولى محمد عبد الحى الكتاني
٢٧٩	القضاء الشرعي	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الحوجة مستشار الحكومة
٢٨٧	بعثة خير الدين للاستانة	امير الامراء الاستاذ محمد صالح مزالي عامل بنزرت
٢٩٢	الشرف الحسيني بالقيروان وآل عوانة	المؤرخ الاعدل الشيخ محمد طراد
٢٩٣	حول مقال لا عزاء بعد ثلاث
٢٩٣	جواب مولانا شيخ الاسلام
٢٩٥	الحيال في الادب العربي	الاديب الاستاذ أحمد المختار الوزير
٢٩٧	صفحة من الادب التونسي في القديم (قصيدتان)	الشيخ محمد بن عبد الله السنوسي
٢٩٧	الاولى.....
٢٩٨	الثانية.....	الشيخ محمد بن سعيد
	القطعة الاولى من ديوان الشيخ محمد البورغي	نشرة (المجلة الزيتونية)

الاستيراك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
 في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
 يخضم الربع للسلامة
 وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
 ممضاة من امين المال
 محمد الهادي بن القاضي
 والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها الجمعية التونسية للدراسات الإسلامية
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء السادس	تونس - في ربيع الثاني ١٣٥٨ - جوان ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--	---------------

صاحب المجلة والمدير:

أحمد الشاذلي القاسبي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

رئيس قلم التحرير:

محمد مختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادرارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن العدد ٣ فرنكات



الامة الاسلامية

تنشد الاصلاح

ان هذه الامة المباركة قد حفظ الله لها ميزتها وعلو مقامها بما أنزل على رسوله الامين من آيات الذكر الحكيم المتضمنة لسعادة الدارين فالقرآن هو النور الذي يشع ويهدي المسلمين الى اقوم السبل ويبلغهم الى أسمى المقاصد ويدركون به السعادة التي هي مطمح انظار البشر من يوم الخلقه فاذا كانت الشريعة الاسلامية وتعاليم القراء ان هي التي رفعت مستوى شعوب قد أدركها الهوان والعطب في العصور الاولى فهو على الدوام المرهم الناجع لعلل الامم في الحاضر كما سلها مما أصابها في تلك العصور المظلمة. واذا كان الناس اكثر ما يسلمون للامور التي يقع عليها حسهم فهذا التاريخ الاسلامي حافل بالحوادث العظام وشاهد على مبلغ تاثير الاسلام الزكي في تطور الشعوب والنهوض بها من كسوتها واخراجها لعالم الحقيقة رافعة الرأس متوجهة باكليل الهداية حتى أضل بها المسلمون امثل الاسمى الذي يقتدى به وسار الناس على غرارهم اينما كانوا وحيثما حلوا

ولكن المسلمين اخذتهم العزة بالاثم وخذلوا الى شهواتهم واستبدلوا الهداية بالغواية فابدل الله عزهم ذلا وامنهم خوفا فاصبحوا عالة على المجتمع يتكففون ويبتز الناس خيراتهم من أيديهم وهم صاغرون قد دامتهم الخطوب من كل جانب وهم لا يشعرون فلما فتحوا أبصارهم وجدوا نفوسهم مكبلين بوثاق الذل والعار واستحكم الحمول من نفوسهم فلم يترك لهم ان يحركوا ساكنا وتتابع عليهم صروف الليالي وحوادث الدهر تنهبهم من سباتهم وتناديهم بصوت أشد من الرعد الصاخب قد عليه من في السماوات والارض أن تنهبوا فالويل لكم ان دمتم على سباتكم القديم

وتحركات العواطف وتشققت الاجفان تنظر الى ما حولها فلم تجد ما تركت عليه العالم يوم كان في قبضة يمينها زمانه هنالك أيقنت ان الخطب شديد نضت عن نفسها رداء النوم ورامت ان تنهض من مضجعتها تبحث عن سبب لتساق به وتستعين به في الدخول الى هذا المعترك الزاخر الصاخب

فوجدته مكتبا لها ام يحفل بخطواتها التي تخطوها في سيرها البطيء شان كل من مسح عن احفانه غشاء النعاس والنوم ما زال يعاوده وتحن اليه احفانه فهو يحط من قواه وهو يظن انها مداعبة النسيم باغصان الورد الناعمة

اجل ها هي الامة الاسلامية قد ادركت ان ذلك الغرور الذي يمليه عليها الخيال يجب ان تبعد عنه وعلمت انها حالة يجب عليها ان تستبدلها بخير منها وطفقت تبحث عن الادوية لتعالج ما اصابها من وهن وتفتحص عن وسائل تقدم الشعوب لتجاربها في هذا السباق الحيوي والامل يملأ ما بين جوانبها

فكانت نهضة طبية في ذاتها طبية فيما تعلقه عليها من عز وسؤدد وشرف ولكن افوس خالطها من الانحراف عن سبيل الرشاد ما خالطها، والاخلاق اضعفت موبوءة من تاثيرات بعضها يرجع الى تلك الغفلة التي صحبتها عند ما كانت فاقدة الشعور الصحيح وبعضها يرجع الى ما حيك لها من الدسائس او ما عليه غيرها من المفاصد ولما كانت تروم مجاراة الغير تسارعت اليها مساويه قبل محاسنه وبما أن الشباب اشد تأثرا وسرعان ما يغمره السيل لقله تجاربه كان تسرب تلك المساوي اليه اقرب وهو عن رد مفعولها اضعف بل ربما وقع في شراكها وهو لا يعلم انه زج بنفسه في معاطب ربما كانت عليه وبالا اشد مما رام التملص منه. وبهذا تعين علينا أن نبث في أمرين عظيمين أولهما العلل التي اصابت المسلمين وعلى الاخص شبابنا الذي هو معقد الآمال حتى نعلم بعد ذلك طريق العلاج. والثاني ما هي الادواء التي تصالح مجتمعا وتدفع عنه او تخفف شيئا فشيئا ما الدم به من العلل وتكون سليمة من الفسح لا انها تصالح عضوا وتنهك قوى عضو آخر يبقى معه جسم الامة عليلا ولا تكون حينئذ هذه المعالجة ناجحة الذي هو المطلوب بل ان من الادوية ما يحدث امراضا لبعض الاعضاء يكون خطرها اشد من خطر المرض الذي نروم معالجته فمعالجة امراض الامة امر له خطره وله شأنه العظيم وليس كل حكيم في مقدوره ان يصف طرق العلاج والحكيم الماهر هو الذي يقدر ان يكون علاجه مراعى فيه دائما الحذر من الاصابة الطارئة على جسم الامة العليل ويحيطها بسياج الوقاية حتى تسلم مما اصابها ولا يتطرق للخلل الى ناحية اخرى ربما يكون خطرها اشد وحينئذ يبقى جسم الامة عليلا ولو تظاهر الهيكل بالقاوة والسلامة

واذا شكى رجال هذه الامة في العصر الماضي مما اصاب الامة مما وصفناه اولاً من الحمول والسبات والمرض الفتاك والامة لم تشعر بما اصابها. فنحن نشكو اليوم مع ذلك من العلل الطارئة من مفعول سوء المعالجة لهذا قلنا ان الامة يلزمها ان تبحث عن امرين عظيمين اسباب السقوط والعلل التي انهكت جسمها حتى اضحي عليلا لم يبق في مستطاعه ان يضرب بسهم صائب في الحياة ثم بعد معرفة العلل يلزمها ان تتخير طرق المعالجة والمراهم التي نفعا محقق ولا خطر فيها.

وكافي بسائل يلقي سؤاله متوجها وهو يقول ألهذا الوقت وانتم تبحثون عن العلل وتبحثون عما يزيلها وقافلة البشر ممن سواكم دائمة السير لم تصدها هذه الفلسفة المبنية على التخوف وكل ذلك منشأه علل نفوسكم المتأصلة التي ما فتئت تسيطر عليها هواجس نفوسكم العلية. وما دامت هذه الافكار مخيطة عليكم ومسيطر على مشاعركم وتأثرة بها نفوسكم فخطاكم لم تفارق مكانها الاول ولو انكم تحسبون ان تبديل الخطا وحده هو الذي يوصل الى الغاية كلا بل انتم تبدلون الخطا في مكان واحد وهذا لا يسمى سيرا لا في عرف الناس الماديين ولا عند من ينظر الى ما وراء المادة والجواب ان الامم والشعوب مهما كانت عليه من الرقي او الانحطاط هي دائما تبحث عن الرقي والكمال وتدفع عن نفسها ما اصابها او ربما يصيبها من العلل والفساد ورجال الاصلاح وعلماء النفس وقفوا حياتهم على ذلك يعالجون المريض ويحيطون السليم بسياج الوقاية وأي أمة أو شعب لم يسلم من علة أو علل وانما يختلف ذلك قلة وكثرة وشدة وضعفا

والامة الاسلامية قد مرت بها ادوار مختلفة فمر بها دور عدم الشعور بالمرض والعلل حتى كثرت الاوجاع وعلت الاصوات بالشكوى ثم جاء دور البحث عن العلل ولكنها كانت متعددة فبحث رجالها عن العلل علة ثم أخرى وكلما تفتنوا الى نوع منها الا وصفوا دواء وطرق معالجة ذلك الداء وليس في كل مرة يوفق الحكيم وليس كل معالج حكيم لهذا تكرر البحث وها هي اليوم في بعض ادوار الشفاء اذا وفق حكمائها وأخلصوا وقدرت الامة على الصبر على شدة وطأة المعالجة وانقادت لما يوصف لها. وما أصعب الاتقياد والتسليم - وحسن منها استعمال الادوية النافعة التي يصفها لها المصلحون

فما هي هذه العلل التي اصاب جسم الامة فأوهنته !

وكيف تكون بعد ذلك طرق العلاج الناجحة ؟

ليس الجواب عن ذلك في تناول كل احد . ولا ان الامر بهذه البساطة يمكن وصفه في جملة او جملتين . وأرجو من الله تعالى التوفيق في معالجة هذا الموضوع بعض المعالجة

والذي أتأوله بالبحث اولا هو ما يدور على اللسان من أن العلة التي اصاب الامة هو تنكبها عن تعاليم الاسلام ودواؤها الناجح هو رجوعها الى الاسلام الصحيح

هذا كلام حسن وحسن جدا ولكن أرى الناس قد فسروه كل بما وصل اليه فهمه فوقعوا في بعض الاخطاء التي قد نشأ عنها اختلاف كبير كانت عاقبته عدم الوصول الى النتيجة الحاسمة

فمن الناس من فهم من ذلك ان الاسلام قد جاء بشريعة بعضها يرجع الى عبادة الله تعالى وبعضها يرجع الى كيفية معاملات الناس مع بعضهم فمتى رجع المسلمون للعمل بهما سهلوا مما اصابهم .

ووقف ذلك الفريق عند هذا الحد

(البقية على صفحة ١٩)

التفسير القرآن الكريم

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا
يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

للعامة الامام مولانا شيخ الاسلام
المالكي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

جملة يخادعون بيان ليقول لانهم حين قالوا ذلك قالوه في حال عدم كونه كما قالوا فكان قولهم على حال الخداع فتكون حالا مبنية ووجه عدم اقترائها بالواو ظاهر لانها اما بيان احوال مفتوحة بالمضارع والخداع مصدر خادع اذا فاعل الخدع والخدع هو فعل او قول يوهم انه على وفق هوى مصدره وهو يكرهه او لا يعتقد ولكن يقصد به تحسينه وتروجه على الغير لغيره عن حالة هو فيها او يصرفه عن امر يوشك أن يفعله تقول العرب خدع الضب اذا اوهم حارشه انه يحاول الخروج من الجهة التي ادخل فيها الحارث يده حتى لا يرقبه الحارث لعلمه انه اخذ لا محالة ثم يخرج الضب من النافق . والخداع فعل مذموم الا في الحرب والانخداع تعشي حيلة المخادع بالكسر على المخادع بالفتح وهو مذموم ايضا لانه من البله واما اظهار الانخداع من الفطن للحيلة اذا كانت غير مضره فذلك من الكرم والحلم قال الفرزدق :

استمطروا من قريش كل منخدع ان الكريم اذا خادعته انخدع

وفي الحديث المؤمن غر كريم أي من صفاته الصفح والتغاضي حتى يظن أنه غر ولذلك عقبه بكريم لدفع الغرية المؤذنة بالبله فان الايمان يزيد الفطنة لان اصول اعتقاده مبنية على نبذ كل ما من شأنه تضليل الراي وطمس البصيرة الا ترى الى قوله والسعيد من وعظ بغيره مع قوله لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وكلها تنادي على ان المؤمن لا يلبق به البله

وأما معنى المؤمن غر كريم فهو ان المؤمن لما زكت نفسه من ضمائر الشرور زال خطورها بباله وحمل احوال الناس على مثل حاله فعرضت له حالة استثمان تشبه الغرية قال ذو الرمة

تلك الفتاة التي علقته عرضا ان الحليم وذا الاسلام يختلج

فاعتذر عن سرعة تعلقه بها واختلاها عقله بكرم عقله وصحة اسلامه فان كل ذلك من اسباب جودة الراي ورقة القلب فلا عجب ان يكون سريع التأثر من حسنها

ومعنى صدور الخداع من جانبهم المؤمنين ظاهر وأما مخادعتهم الله تعالى المقتضية أن المناقضين قصدوا التمويه على الله تعالى مع ان ذلك لم يقصدوه ولا يقصده عاقل يعرف ان الله مطلع على الضمائر والمقتضى أن الله يعاملهم بخداع وكذلك صدور الخداع من جانب المؤمنين للمناقضين كما هو مقتضى صيغة المفاعلة مع ان ذلك من مذموم الفعل لا يليق اسناده الى الله تعالى ولا يليق بالمؤمنين فعله يوجب تأويلا في معنى المفاعلة الدال عليه صيغة يخادعون او في فاعله المقدر من الجانب الآخر وهو المفعول المصرح به فاما التأويل في يخادعون فعلى وجوه: أحدها أن مفعول خادع لا يلزم أن يكون مقصودا للخادع بالكسر إذ قد يقصد خداع احد فيصادف غيره كما اذا خادع احد وكيلا احد في مال فيقال له أنت تتخادع فلانا وفلانا تعني الوكيل وموكله فهم قصدوا خداع المؤمنين لانهم يكذبون ان يكون الاسلام من عند الله فلما كانت مخادعتهم المؤمنين لاجل الدين كان خداعهم راجعا لشارع ذلك الدين . ومعنى خداع الله تعالى والمؤمنين اياهم إغضاء المؤمنين عن تواددهم وفتلت السهم وكبوات افعالهم وهفواتهم الدال جميعا على تفاهتهم حتى لم يزالوا يعاملونهم معاملة المؤمنين فان ذلك لما كان من المؤمنين باذن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقد نهي من استأذنه في ان يقتل عبد الله بن أبي بن سلول كان ذلك الصنيع باذن الله فكان مرجعه الى الله كما رجع اليه خداعهم للمؤمنين وهو تأويل في المخادعة من جانبها كل بما يلائمه

الثاني ما ذكره صاحب الكشف أن يخادعون استعارة تمثيلية تشبها للهيئة الخاصة من معاملتهم المؤمنين ولدين الله ومن معاملة الله اياهم في الاملاء لهم والابقاء عليهم ومعاملة المؤمنين اياهم في اجراء أحكام المسلمين عليهم هيئة فعل المتخادعين وهو وجه بليغ

الثالث ان يكون خادع بمعنى خدع اي غير مقصود به حصول الفعل من الجانبين للمبالغة وهذا انما يدفع الاشكال عن اسناد صدور الخداع من الله والمؤمنين مع تنزيه الله والمؤمنين عنه ولا يدفع اشكال صدور الخداع من المناقضين لله تعالى

وأما التأويل في فاعل يخادعون المقدر وهو المفعول ايضا فان يجعل المراد انهم يخادعون رسول الله فالاسناد الى الله تعالى اما على طريقة المجاز العقلي لاجل الملازمة بين الرسول ومرسله . واما مجاز بالحذف للمضاف فلا يكون مرادهم خداع الله حقيقة ويبقى ان يكون رسول الله مخدوعا منهم ومخداعا لهم

ولا مانع من مخادعة الرسول والمؤمنين للمناقضين لانها جزء لهم على خداعهم فهو كالحداع في الحرب فهذا يدفع الاشكال عن قصدهم مخادعة الله تعالى فضلا عن اسناد المخادعة لله تعالى اياهم لانها لا تكون الا في مقابلة خداعهم اياه وقد علمت انه منتف على طريقة المجاز

ولم يقرأها احد من القراء الا بلفظ يخادعون الا باحيوة قراها يخدعون بناء على الوجه الثالث في الجواب

وقوله وما يخادعون الا انفسهم حال ثانية من الضمير في يخادعون الاول أي هم يخادعون الله والذين آمنوا في حال ان خداعهم مقصور على ذواتهم لا يرجع شيء منه الى الله والذين آمنوا فيتعين ان الخداع في قوله وما يخادعون عين الخداع المتقدم في قوله يخادعون الله فيرد اشكال صحة حصر الخداع على انفسهم مع اثبات مخادعتهم الله تعالى والمؤمنين ، وقد اجاب صاحب الكشف بما حاصله ان المخادعة الثانية مستعملة في لازم معنى المخادعة الاولى وهو الضرر فانها قد استعملت اولا في مطلق المعاملة الشبيهة بالخداع وهي معاملة الماكر المستخف فاطلق عليها لفظ المخادعة استعارة ثم اطلقت ثانيا واريد منها لازم معنى الاستعارة وهو الضرر لان الذي يعامل بالماكر والاستخفاف يتصدى للانتقام من معاملته فلا يعدم قدرة او غرة من صاحبه فيضرة ضررا فصار حصول الضرر للمعامل امرا عرفيا لازما لمعاملته وبذلك صح استعمال يخادع في هذا المعنى مجازا او كناية وهو من بناء المجاز على المجاز لان المخادعة اطلقت اولا استعارة ثم نزلت منزلة الحقيقة فاستعملت مجازا في لازم المعنى المستعار له فالمعنى وما يضررون الا انفسهم

واما احتمال ان يكون يخادعون الثاني اطلق بمعنى غير المعنى الذي في يخادعون الاول فعمما لا يرتضيه سياق الكلام البليغ لانه يصير بمنزلة الاستخدام وهو لا يحسن في مثل هذا المقام ويجوز بقاء يخادعون الثاني على نحو ما فسر به يخادعون الاول من كونه استعارة للمعاملة الشبيهة بفعل الجانبين المتخادعين بناء على ما شاع في وجدان الناس من الاحساس بان الخواطر التي تدعو الى ارتكاب ما تسوء عواقبه انها فعل نفس هي مغايرة للعقل وهي التي تسول للانسان الخير مرة والشر اخرى وهو شيء بني على الحكمة الاخلاقية لاحداث العداوة بين المرء وبين خواطره الشريرة بجعلها واردة عليه من جهة غير ذاته بل من النفس حتى يتأهب لمقارعتها وعصيان امرها ولو انتسبت اليه لما رأى من سبيل الى مدافعها قال قنبر بن معديكرب :

فجاشت علي النفس اول مسرة فردت على مكروها فاستقرت

فكانهم لما عصوا نفوسهم التي تدعوهم للايمان عند سماع الآيات والنذر اذ لا تخلو النفس من اوبة الى الحق جعل معاملتهم لها في الاعراض عن نصحتها واعراضها عنهم في قلة تجديد النصح لهم وتركهم في غيم كالمخادعة من هذين الجانبين والنفس في لسان العرب الذات والقوة الباطنية المعبر عنها بالروح وخطر العقل

وقوله وما يشعرون عطف على يخادعون والشعور العلم بالاشياء الخفية ومنه سمي الشاعر شاعرا لعله بالمعاني التي لا يهتدي اليها كل احد وقدرته على الوزن والتقفية بسهولة ولا يهتدي الى ذلك كل احد . وقولهم ليت شعري في التحير في علم امر خفي ولولا الحفاء لما تمنى عليه بل عله بلا تمن واما تسمية الخواص مشاعر فلانها اصل العلم بالحفيات لان اصل العلم النظري راجع

الحديث الشريف

كتاب

الاعتصام بالكتاب والسنة^(*)

الاعتصام التمسك بالجل والاعتماد عليه كما في تفسير القاضي رحمه الله تعالى فهو من لوازمه وعليه فإثباته للكتاب والسنة تخيل دال على وقوع تشبيه في النفس بين الكتاب والسنة وبين الجبل وهو تشبيه مقبول بدليل انه قد صرح به في حديث هو جبل الله المتين، والجامع ان الكل به الربط والوصلة النافعة للتمسك وحيث في التركيب استعارة بالكناية على حد قوله :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشكاية انطق

ونظائره ، فالتشبيه استعارة بالكناية والاثبات استعارة تخيلية وحيث فكل من لفظي الاعتصام والكتاب حقيقة مستعملة في المعنى الموضوع له وليس في التركيب مجاز لغوي اصلا والمجاز الموجود فيه انما هو اثبات شيء لشيء ليس هو له وهو عقلي كاثبات الاثبات للربيع وعلى هذا المذهب فالاستعارة

الى الضروري ومنته اليه . وقولهم هو لا يشعر وصف بعدم الفطنة لا بعدم الاحساس وهو ابلغ في الذم لان الذم بالوصف الممكن الحصول انكى من الذم بما يتحقق بعده فان احساسهم امر معلوم لهم وللناس فلا يغيبهم ان يوصفوا بعده وانما الذي يغيبهم ان يوصفوا بالبلادة وخفاء مخادعتهم انفسهم مما لا يمتري فيه ولذلك اختير هنا لا يشعرون واختير مثله في نظيره في الخفاء وهو : الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . لان كليهما أثبت فيه ما هو المآل والغاية وهي مما يخفى واختير في قوله : الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون نفي العلم دون نفي الشعور لان السفه قد يبدو لصاحبه باقل التفاته الى احواله وتصرفاته ولان السفه اقرب لادعاء الظهور من مخادعة النفس عند ارادة مخادعة الغير ومن حصول الافساد عند ارادة اصلاح

(*) درس الحديث الذي ختم به العلامة النحرير الحجة الباش مفتي المالكي والامام الاكبر بجامع الزيتونة الاعظم أبو الفلاح الشيخ صالح النفير برد الله ضريحه المولود سنة ١٢٣٦ والمتوفى سنة ١٢٩٠ . القاه في رمضان سنة ١٢٧٣ بمسجد المدرسة المرادية

بالكنية والاستعارة التخيلية امران معنويان وهما فعلان للتكلم ويتلازمان في الكلام اذ التخيلية يجب ان تكون قرينة للكنية وهي يجب ان تكون قرينتها التخيلية، ثم ان الاعتصام اما بالكتاب فواجب قطعاً قال شارحه : لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً، قلت ولعله حمل الحبل فيها على القرآن كما في الحديث المتقدم وهذا هو الذي صدر به ابو الفرس والقاضي في تفسيريهما والذي ذكره صاحب الكشف وتبعوه ان الحبل في الآية مستعار للعهد لكونه وسيلة لربط شيء بشيء على طريق الاستعارة التصريحية وقرينتها اضافته اليه تعالى وذكر الاعتصام ترشيح وجوز فيه صاحب الكشف ان يكون باقياً على معناه أو مستعاراً للتوثق وهو الذي ذهب اليه السمرقندي في الرسالة لكن جزم سعد الدين في المطول ببقاءه على معناه ونفى ان يكون من المجاز او الاستعارة مستدلاً على ذلك بعبارة الكشف وهي قوله يجوز ان يكون الحبل استعارة لعهد والاعتصام استعارة للتوثق بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل بما يناسبه مقابل بين الاستعارة والترشيح، وبحث في هذا الاستدلال السيد الشريف بان قول الكشف او ترشيح يحتمل ترشيح فقط فيكون قوله قبل استعارة اي اما مستقلة او تابعة لاستعارة الحبل وردة عبد الحكيم بانه تأويل وهو خلاف الظاهر والاستدلال في المقام بالظاهر لان المطلب ظني انتهى وهو رد متجه لان محصل بحث الشريف انه استدلال تطرقه الاحتمال وحاصل الرد انه احتمال مرجوح وهو لا يكون مسقطاً فانه لا يكاد يوجد نص لا احتمال فيه لكن العدة على الطواهر وتحقيقه ان الاحتمال اذا كان مساوياً او متقارباً يكون الدليل مجحولاً والمجمل لا يستدل به واما الاحتمال اذا كان مرجوحاً فمعه اللفظ يكون ظاهراً والظاهر كالنص يستدل به، وهاهنا مسألة وهي انه روي عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى انه قال مرة حكايات الاحوال اذا تطرق اليها الاحتمال كساها نوب الاجمال وسقط بها الاستدلال فجعلها على هاته الرواية مجحولة لا يستدل بها ومرة قال ترك الاستفصال في حكاية الاحوال يقوم مقام العموم في المقال فجعلها عامة يستدل بها، فبعض العلماء حمل ذلك على انهما قولان له اختلفا كما تختلف اقوال العلماء في المسائل بالنفي والاثبات والذي حرره القرافي في التقيح ان قولي الشافعي هذين محمولان على حالتين فروايتهم الاولى في دليل الحكم والثانية في محله وتقرير ذلك على ما ذكره ان الاحتمال تارة يكون في دليل الحكم كقوله عليه الصلاة والسلام في المحرم لا تمسوه بطيب فانه يبعث يوم القيامة ملبياً فهذا حكم في رجل بعينه يحتمل ان يكون خاصاً به فيجوز لمس غيره بالطيب ويحتمل ان بعينه ويعم غيره من المحرمين وليس في اللفظ تعرض لغيره بل يحتمل التعميم وعدمه على السواء فسقط به الاستدلال على تعميم الحكم في المحرمين لانه اجمال في الدليل وتارة يكون الاحتمال المساوي في محل الحكم والدليل لا اجمال فيه كقصة غيلان بن سلامة الثقفي فان قوله عليه السلام له لما اسلم على عشر نسوة امسك اربعا وفارق سائرهن ظاهر في الاذن في الاربع كيف كن من غير تعيين والاحتمال انما هو في عقود النسوة التي هي محل الحكم فيصح الاستدلال على العموم فله ان يختار تقدمت المقود

او تاخرت اجتمعت او اقررت انتهى وهو تحرير حسن لو كان مذهب الشافعي في المحرم كمذهبنا لكن مذهب الشافعي رحمه الله تعميم الحكم المتقدم في كل محرم اخذا من الحديث السابق كما نقله القرافي نفسه عن الامام الشافعي وحيث ان حمل العبارتين على قولين اولى، وها هنا تكميل مفيد وهو ان الامام ابا حنيفة رحمه الله يقول اذا تقدمت العقود على اربع وعقد بعد ذلك على غيرهن حرم عليه الاختيار من غير تلك الاربع لوقوعهن بعدهن ونكاح الخامسة وما بعدها لا يقر وانما الحديث محمول عندنا على ما اذا عقد عليهن عقدا واحدا فلا يتعين الباطل من الصحيح فيختار اربعا يستأنف العقد عليهن قال شهاب الدين القرافي اثر ما نقله ومذهبنا انكحة الكفار كلها فاسدة والاسلام يصححها واذا كانت باطلة فلا يقرر اربع يكون من عدها ينطل عقدة والحديث لم يفصل مع انه تاسيس قاعدة وابتداء حكم وشان الشرع في مثل هذا رفع البيان الى اقصى غاية فلو لا ان الاحوال كلها يعمها هذا الاختيار والا لما اطلق صاحب الشرع القول فيها وقد اشار الى ذلك المحلي في مبحث العام من شرح جمع الجوامع ولفظه النبي صلى الله عليه وسلم لم يستفصل هل تزوجهن معا او مرتبا فلو لا ان الحكم يعم الحالين لما اطلق الكلام لامتناع الاطلاق في موضع التفصيل المحتاج اليه واجاب الاصفهاني في شرح المحصول عن هذا المبحث بانه صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون عالما بصورة الواقعة وانه تزوجهن معا ولاجل ذلك لم يستفصل فلا يكون ذلك كالعموم انتهى، ولا يخفى ان عقد غيلان على عشر نسوة معا من غير ترتيب في غاية البعد على ان اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على حاله لا يسوغ الاطلاق لايهامه حكما عاما بالنسبة للنساء، واما الاعتصام بالسنة فاعلم اولا ان السنة لغة الطريقة ولو كانت غير مرضية وعرفاهي ما واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم او غيره ممن يقتدى به كالصحابية رضوان الله تعالى عليهم اجمعين لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وهي اعم من الحديث لتناولها الفعل والقول والتقرير بخلاف الحديث فانه لا يتناول الا القول وهو اقواها، ثم ان فعله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون شرعا او جبليا او مترددا بين الجبلي والشرعي اما الجبلي كالقيام والقعود والا كل والشرب والخلاف فيه بالاباحة والندب مشهور عند المحدثين لكن الذي في الاشارات للباحي ان الخلاف انما هو في صفة ذلك لا في اصل الفعل واما المتردد كاللحج راكبا والوضعة بين ركعتي الفجر وركعتي الصبح المحتمل ذلك ان يكون للاستراحة أو التشريع فقد تردد فيه تاج الدين ابن السبكي واما الشرعي المحض ونعني به ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم على وجه القربة فهذا هو محل الخلاف المحكي في كتب الاصول المشهورة وارجح الاقوال فيه وهو مذهب مالك وبعض الشافعية الوجوب ومذهب الامام الشافعي الندب واتفقت جماهير الفقهاء والمعتزلة على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما فعله اذا علم وجهه على ذلك الوجه من الوجوب او الندب او الاباحة اذ لو خالفنا في النية لذهب الاتباع وذكر المعرفة الوجه طرقا منها وقوع التخيير بين ذلك الفعل وبين غيره مما علم حكمه ليسوى

به في ذلك الحكم فاذا خير بين ذلك الفعل وبين واجب علم ان حكمه الوجوب وهكذا في النذب والاباحة. فان قلت انه قد اختلف الحكم مع التخيير كما في حديث الاسراء. فانه خير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين قدحين احدهما لبن والآخر خر واختار اللبن وقد قال له جبريل عليه السلام لو اخترت الحمر لغوت امتك فقد علم منه ان الحمر موجب الغواية واللبن موجب الهداية والاول منهى عنه والثاني مأمور به فقد اختلف الحكم حينئذ قلت الحكم الشرعي لم يختلف في القدحين بل كان واحدا وهو الاباحة غاية ما في الباب انه تدرب باحدهما حسن العاقبة وبالأخر سوء العاقبة وذلك غير الاحكام الشرعية نعم لو قال جبريل لو اخترت الحمر لاثمت لاشكل اما العواقب فلا تناقض تقدم الاباحة وبالجملة لا منفات بين الاستواء في الحكم الشرعي والاختلاف في العاقبة ونظير هذا انه قد انعقد الاجماع على جواز بناء ما شئنا من الدور وشراء ما شئنا من الدواب وزواج ما شئنا من النساء ومع ذلك اذا عدل احدا عن بعض افراد هاته المذكورات الى غيرها امكن ان يقول له صاحب الشرع لو اخترت تلك الدار التي عدلت عنها أو الدابة أو المرأة لكانت مشومة كما جاء في الحديث وان كان مختلفا في تأويله . واما تقريرة صلى الله عليه وآله وسلم على الفعل فيدل على جوازه للفاعل لانه لا يقر احدا من الناس على باطل وكذا لغيره خلافا للقاضي ابي بكر الباقلاني وحكى القاضي عياض الاجماع على ذلك وسواء في ذلك ما رآه عليه الصلاة والسلام فاقرة او بلغه فلم يغيره وقيل التقرير يدل على الجواز الا في حق الكافر والمنافق فلا يدل تقريرة له على جواز ذلك الفعل وبه قال امام الحرمين بناء على ان الكافر غير مكلف بالفروع والمنافق كافر في الباطن وقيل الا الكافر دون المنافق لان المنافق تجري عليه احكام المسلمين في الظاهر والاقوال الثلاثة حكاهما المحلي . ثم ساق المصنف رحمه الله تعالى حديثا وجبه مناسبه للترجمة ما اشتمل عليه من الآية الدالة على ان هاته الامة المحمدية معتصمون بالكتاب والسنة لان الله تعالى من عليهم باكمال الدين واتمام النعمة ورضي لهم الاسلام ديناً وقد قدمه في كتاب الايمان لمناسبة اخرى فقال :

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن مسعر وغيره عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال قال رجل من اليهود « هو كعب الاحبار رضي الله عنه قبل ان يسلم كما عند الطبراني في الاوسط » لعمر « بن الخطاب رضي الله عنه » يا امير المؤمنين لو ان علينا « معشر اليهود » نزلت هذه الآية اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال عمر اني لاعلم اي يوم نزلت هذه الآية نزلت يوم عرفة في يوم جمعة سمع سفيان من مسعر ومسعر قيساً وقيس طارقاً

الكلام على هذا الحديث من وجوه السوجه الاول صرح المؤلف رحمه الله تعالى بالسماع فيما عنونه اولا اطلاعا منه على سماع كل راو من شيخه وتخصيصا منه على وصل السند اذ العنونة وحدها

قد قيل انها لا تدل على الوصل بل هي محمولة على الاقطاع حتى يتبين الوصل بمجيئه في طريق اخر
انه سمعه منه لان عن لا تشعر بشيء من انواع التحمل وان كان هذا القول في غاية الضعف حتى قال
النووي رحمه الله تعالى هو مردود باجماع السلف وقيل انها محمولة على الوصل لكن مع شروط وقع الخلاف
فيها بينهم على اقوال وقد اشار الى جملة الاقوال شيخ الاسلام العراقي في الفيته المسماة بالتبصرة
والتذكرة فقال :

وصحوا وصل معن سلم	من دلسته راويه واللقا علم
وبعضهم حكى هذا اجماعا	ومسلم لم يشترط اجتماعا
لكن تعاصرا وقيل يشترط	طول صحابة وبعضهم شرط
معرفة الراوي بالاخذ عنه	وقيل كل ما اتانا منه

منقطع حتى يبين الوصل

واقصر الحافظ ابن حجر في نخبة الفکر على قولين منها ونصه : وعنونة المعاصر محمولة على
السمع الا من المدلس . وقيل يشترط ثبوت التقائهما ولو مرة وهو المختار . الوجه الثاني ظاهر
الآية يقتضي ان الدين الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم في غالب عمره ناقص لانها نزلت
في اخر عمره صلى الله عليه وسلم وقد قيل انه لم يعمر بعدها الا واحدا وثمانين يوما او اثنين
وثمانين يوما واجاب المفسرون عن هذا الاشكال باجوبة منها ما اشار اليه البيضاوي من ان المراد
باكمال الدين ازالة الخوف عنهم واطهار القدرة على اعدائهم ومنها ان الاكمال انما هو بالنسبة الى ما
يحتاجون اليه في تكليفهم من تعليم الحلال والحرام وكلاهما عند الامام الرازي في تفسيره غير صحيح
اما الاول فلانه يلزم عليه ان الدين كان من قبل قهرهم لاعدائهم ناقصا فيعود الاشكال وجوابه ان
النقص انما يشكل لو كان نقصا قدريا اما ضعف اهل الدين عن قهر اعدائهم في صدر الاسلام واوله
فهو واقع قطعيا ولا يضر كما يشير اليه حديث بدى هذا الدين غريبا وسيعود كما بدى . واما الثاني فلانه
يلزم عليه انه لو لم يكمل الدين لهم قبل هذا اليوم لكانوا محتاجين اليه قبله فيلزم تاخير البيان عن وقت
الحاجة وهو لا يجوز وفيه نظر لانا نمنع ان يكون هذا منه بل هو من تاخير البيان الى وقت الحاجة
في النسخ والاتفاق بين المعتزلة واهل السنة على جواز في خصوص النسخ وهذا منه قطعيا ففي هذا
اليوم قد انزل الله شريعة كاملة وحكما متبعا الى يوم القيامة لا نسخ بعده . سلنا ان ما هناليس من النسخ
فتاخير البيان الى وقت الحاجة ليس مبنوعا عند الكل بل انما نسبوا القول بالمنع للمعتزلة والجواز لاهل
السنة ودلينا على ذلك قول الله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه وكلية ثم للتراخي وكذلك
قوله تعالى في قصة بقرة بني اسرائيل انها بقرة لا فارض ، انها بقرة صفراء ، انها بقرة لا ذلول ، هو بيان لما
امروا به من ذبح البقرة وهم لم يؤثروا الا ببقرة منكورة والمراد بها معينة فقد تاخر البيان فيها عن

وقت الخطاب بل وعن وقت الحاجة لانهم كانوا محتاجين لمذبح تلك البقرة ليتبين امر القتل وترفع الفتنة التي كانت بينهم والخصومات في امره على ان من جوز التكليف بما لا يطاق من العباد وهو المعتمد جوز تاخير البيان عن وقت الحاجة ويدل لوقوعه آية البقرة المتقدمة كما علمت . الوجه الثالث مما فتح الله به على الفقير ان الآية الشريفة تضمنت تذكير نعم الله تعالى على الانسان بجميع انواعها الثلاثة الاتي تقريرها ومن ثم والله اعلم عبر بانعام النعمة وتقدير ذلك ان النعمة كما في احياء العلوم عبارة عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث الاختصاص والاشتراك على ثلاثة انواع . النوع الاول ما كان مختصا به لا يوجد في غيره من بقية الحيوانات وهي لذة العلم والحكمة وهي اشرف اللذات والنعم وان كانت اقلها وجودا اما بيان الاشرفية فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة بخلاف غيرها من اللذات ولانها لا تمل بخلاف غيرها من اللذات كالطعام والوقاع ولانها لا تحتاج الى اعوان وحفظه بخلاف غيرها كالمال فان العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص به ولانها لذة على الاطلاق فان العلم نافع لذيق جميل في كل حال ابدا بخلاف المال فانه تارة يجذب الى الهلاك ومن ثم دم الله تعالى المال في مواضع من القرآن وان سمعنا خيرا في مواضع واما بيان الاقلية في الوجود فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذه الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة والاشارة الى هاته النعمة من الآية في قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا لان الاسلام كما قال البغوي لا يكون في محل الرضى الا بانضمام التصديق وهكذا اذا وقع في محل القبول نحو قوله تعالى ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . النوع الثاني ما كان مشتركا بين الانسان وبعض الحيوانات من النعم واللذات وهذه لذة القهر والاستيلاء فانها كما توجد في الانسان توجد في الاسد والنمر ونحوهما والاشارة الى هاته النعمة من الآية بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم على بعض التاويلات المتقدمة فيه . النوع الثالث ما كان مشتركا بين الانسان وجميع الحيوانات وهي لذة البطن والفرج وهي اكثر الانواع وجودا واحضا ومن ثم اشترك فيها جميع الحيوانات حتى الديدان والحشرات والاشارة الى هاته النعمة من الآية بقوله تعالى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم . احلت لكم الطيبات . وحيث قد تمت نعم الله بجميع انواعها على هاته الامة المحمدية وقد كان هذا الاتمام في هذا اليوم الشريف فتاهل ان يتخذ يوم عيد يعظم في كل عام كما اشار الى ذلك كعب الاحبار رضي الله عنه ووجب ان تقيده هاته النعم العظام بالشكر فان شكر النعم يورث بقاءها وبالعكس وفي الحكم من لم يشكر النعم تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقلها فمن فتح الله على بصيرته ونور قلبه وطهر سريرته رجع الى مولاه بملاطفات الاحسان والا قيد اليه بسلاسل الامتجان . فمن لم يعرف قدر النعم بوجدانها . عوقب بوجود فقدانها . اذ مراد الحق من عبده الرجوع اليه طوعا او كرها . والنعم والنقم جندان من جنود الله تعالى يحوش عبادة بهما اليه . فان قلت اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في

مثلا يجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضلله وان طالت الايام واتصل العمر قلت قد سأل داود عليه السلام ربه عن ذلك فقال الاهي كيف اشكرك والشكر نعمة منك علي فاوحى الله تعالى اليه الآن شكرتني يا داود وقيل انه قال الاهي ابن اءدم ليس فيه شعرة الا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن اين يكافئها فقال له تعالى اني اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمسي فحاصله ان البلوغ الى ذلك ليس الا بمحض فضل الله تعالى ورحمته وقد اشار الى هذا محمود الوراق في البيتين اللذين اوردناهما سؤالا ومثلها قول الاخر :

لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعماء قولي لك الحمد
فلا حمد الا ان تمن بنعمة تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

الوجه الرابع في اعراب قوله لو ان علينا نزلت هذه الآية هو على منوال قوله تعالى ولو انهم ءامنوا وقول الشاعر (ولو انما اسعى لادنى معيشة) وهو كثير قال في الخلاصة (وهي بالاختصاص بالفعل كان) لكن لو ان بها قد تقترن) وموقع ان مع صلتها في مثل هذا التركيب عند الجميع رفع ققيل على الابتداء وقيل على الفاعلية وعلى الاول فقال سيويه وجمهور البصريين لا حاجة الى الخبر لاشتمال الصلة على المسند والمسند اليه وقال غيره لا بد من تقديره فقيل يقدر مقدما وقيل مؤخرا على الاصل وتبديل ذلك في نحو الآية ولو ثابت ايمانهم وفي الحديث ولو ثابت انزالها والقول بانه فاعل عليه الزمخشري والكوفون والمبرد والزجاج وقد قاله الجميع في ما وصلتها في قوله لا اكليه ما ان في السماء نجما . لا يقال ان حديث الباب لا يحسن تخريجه على قول سيويه المتقدم من عدم الاحتياج الى الخبر لتوجيه الاستغناء عليه بالاشتمال على المسند والمسند عليه معا واين المسند اليه في هذا الحديث لانا نقول المسند اليه اما ضمير الشأن المحذوف والفعل خبرة او هو المسند اليه والخبر المجرور على اعتبار تجريدة من الزمان وتقديره بالمصدر من غير اداة سبك وهذا وان نص عليه النجاة في الفعل المضارع في نحو تسمع بالمعيدي نص عليه عبد الحكيم في الافعال الماضية الواقعة في التعاريف لكن الظاهر ان يجوز ايضا على قلة في غير ما ذكروا عند ظهور المعنى اذ لا مانع منه . الوجه الخامس ذكر الفقهاء في كتاب الحج انه يسن الجمع بين الظهرين مع القصر جمع تقديم في يوم عرفة وانه اذا وافق الجمعة فتصلى ظهرا والاشارة الى المسألة الاولى بقول خليل وجمع بين الظهرين اثر الزوال والى الثانية بقول ابن الحاجب والصلاة سرية ولو وقعت جمعة وقد حكى شارحه سيدي خليل في التوضيح مباحة وقمت بين الامامين مالك وابي يوسف رحمهما الله بحضرة الرشيد في هاته المسألة وان الذي استقر عليه رايهما انها تصلى ظهرا بدليل انه عليه السلام وافق الجمعة بعرفة في حجة الوداع وصلى ركعتين لم يجهر فيهما وهذه قصة مشهورة وقد اعتنى بنقلها جماعة من العلماء منهم شهاب الدين القرافي ذكرها في الفرق الخامس والثمانين من فروقه وكل من هاتين المساليتين مشكل من جهة انه يتضمن ترك الواجب لغیر ضرورة

وهو من تأخير صلاة العصر الى وقتها في المسألة الاولى وترك الجمعة في المسألة الثانية وفيه الاحتفاظ على المندوب واضاعة الواجب ولا يقدم مندوب على واجب لفضله عليه بصريح قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه والجواب عن ذلك كما في الفرق المذكور اما في المسألة الاولى فلا نسلم ان ترك تأخير الصلاة الى وقتها كان في ذلك اليوم لغير ضرورة بل هو لضرورة الحاج في ذلك اليوم العظيم للتفرغ للاقبال على الدعاء والابتغال والتقرب اللائق به اذ هو يوم لا يكاد يحصل في العمر الا مرة واحدة بعد اقتحام مشاق الاسفار وقطع البراري والقفار فكان هذا ضررا اوجب التقديم وتلاشت معه مصلحة وقت العصر واما في المسألة الثانية فلان ترك الجمعة في ذلك اليوم كان بموجب ان الغالب على الحجاج السفر والمسافر فرضه الظهر لا الجمعة وعلى هذا فلم يترك الواجب هذا بالنسبة الى الغالب وهم المسافرون واما المقيم بعرفة او من كان منزله قريبا منها فحكمه حكم الغالب بالتبع له وكلاهما جواب حسن واما ما اجاب به القرافي ثانيا في الفرق المذكور عن المثلثين معا من ان القاعدة ان الاوامر تتبع المصالح الخالصة أو الراجحة والنواهي تتبع المفسد الخالصة او الراجحة وانه على مقدار مصلحة الفعل يكون ثوابه وحيثذ فما قدمه الشارع من المندوبات على الواجبات فنستدل به على ان مصلحة ذلك المندوب اكثر من مصلحة ذلك الواجب المتسروك فهو جواب لا يصح من وجوه الوجه الاول أن مقتضى الملازمة بين مقداري المصلحة والثواب ان لا يكون مندوب اكثر مصلحة من واجب اصلا لتفضيل الواجب عليه مطلقا كما تقدم. الوجه الثاني ما ذكره محشيه ابو القاسم ابن الشاط من انه امر على خلاف ما ذكر وان المعروف ان المصالح تتبع الاوامر والمفاسد تتبع النواهي لا ما ذكره من العكس قال ويبان ذلك اما في المصالح والمفاسد الاخرية فالامر واضح اذ المصلحة هي المنفعة والمفسدة هي المضرة ولا منفعة اعظم من النعيم المقيم ولا ضرر اعظم من العذاب المقيم واما في المصالح والمفاسد الدنيوية فيشهد لذلك دلائل من الطواهر الشرعية من ذلك قوله تعالى ان الصلاة تهى عن الفحشاء والمنكر ومنها قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من اخلاص الله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. الوجه الثالث وهو مسك ختامها هو أن ما ذكره غير مطرد في جميع الاعمال فانا نجد كما قل القرافي نفسه في الفرق الذي بعده استواء العاملين في المصلحة من كل وجه ومع ذلك يحكم الشارع بتفضيل احدهما على الآخر وذلك كتكبير الاحرام بالنسبة الى غيرها من سائر التكبيرات بل قد وجدنا اختلاف العاملين في المصلحة ومع ذلك حكم الشارع بتفضيل الاقل منهما على الاكثر كتفضيل القصر على الاتمام وحيثذ فلا غنى عن الرجوع الى محض المشيئة والامتنان كما جاء ان بعض الاذكار مع خفته على اللسان وقلت تعبه يملا الميزان في حديث كلمتان حببتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم انتهى . جمعه في آخر رمضان عام ثلاثة وسبعين ومائتين والفقير ربه صالح النيفر كان الله له بمنه ءمين .

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

١١

خطر اللادينية على الاسلام

ليست اللادينية من مبتكرات مصطفى أتاتورك وإنما هو مقلد لمن تقدمه وإن خطرها
لأعظم الاخطار التي منيت بها هذه الامة منذ زمن البعثة النبوية الى الآن.
فإن اللادينية تقلب حياة الامة المتدنية راسا على عقب فتفسد الافكار والاخلاق وتنتشر
بها الموبقات والفواحش وتفقّد الثقة بين وحدات الامة وتذهب الاعراض ضحية الاباحة الوقحة.
وتفسد المعاملات وتضيع الاداب العائلية واصول التربية الاسلامية المبنية على اسس النزاهة والحشمة.
ويضمحل كل اصل بنيت عليه حياتنا ويتقلب علمنا جهلا وجدنا هزلا ونصير أضحوكة بين الامم.
وما دخلت في دماغ امة الا ودخلتها الفوضى والثورات واباحة الدماء فلموت الزؤام أهون
تجرعا من تجرع سموم اللادينية المخربة . نعوذ بالله من جهد بلائها . وظلمة عمائها .
ولنختصر لكم في بيان سبب انتشارها فأقول :

ان الخليفة عبد الحميد الثاني العثماني كانت له حمية اسلامية فيما هو مشهور عنه ، غير انه
ارتكب خطأ عظيما كان سببا لانتشار اللادينية (الاحاد) في الممالك الاسلامية التي لنظره ومنها
سرى لغيرها سريعا

ذلك انه اراد إدخال النظم العصرية والمعارف الحديثة لمملكته ، فبعث بعثات من الشباب
الاسلامي لتلقي العلوم العصرية في ممالك اوروبا المختلفة المشارب والمذاهب : فرانسا ، ابريطانيا ،
المانيا ، ايطاليا وغيرها : كان الواجب على عبد الحميد حامي الدين ان يقدم تهذيب تلك البعثات
تهذيبا صحيحا اسلاميا قبل ارسالها الى دار المنازع والمذاهب - كما فعل محمد علي باشا مصر قبله -
حيث اختار بعثاته من تلاميذ الازهر الانجاب المهذبن الثابت ثباتهم على عقائد الدين كالطهطاوي
والرشدي وغيرهما لكن عبد الحميد غلط غلطا فادحا فوجه شبيبة لم يتمكن التهذيب الاسلامي
من اعماق قلوبها ، ولا رسخت مملكته في افئدتها ، فاختلطت بشبيبة مختلفة الميول والمعتقدات شبيبة

لم يتمكن التهذيب الاسلامي من اعماق قلوبهما . ولا رسخت ملكته في افئدتها . فاختلطت بشبهة مختلفة الميول والمعتقدات شبيهة اوروبية لادينية او متدنية بالكاثوليكية واخرى بالبروتستانية فصادف منها قلبا خاليا - افرغ من طنبور - من كل تهذيب وايمان . فاصطبغت قلوبها بصبغات غيرت لون الاسلام النقي فتمكنت منها معتقدات غير عقائد الاسلام . واصبحت لها ميول سياسية جمهورية وفاشيستية وفوضوية وبلفشية وغيرها . خلاف الميول التي ببلادها ، بل كل من تعلم في مملكة جاء بافكارها ومذاهبها السياسية ؛ زيادة على المذاهب الدينية قبلت المذاهب وكثرت النزعات كما تبللت الاسن واللغات . وحصل الخلاف وتووع الشقاق بعد الاتفاق ومن افسح ما جاءوا به في تحفة القدوم الاحاد العظيم ، والادينية الوقحة . القاضية على كل خير وكل فضيلة وتهذيب .

ومن اسباب عظم المصيبة ان عبد الحميد ما كان يفكر هو ولا من قبله في ترقية الصناعة ولا الزراعة ولا كنوز المعادن ولا تحسين التجارة والعمارة . وانما همهم الوحيد العسكرية مكروب سرى في عروقهم من اباؤهم الذين كانوا امة جلد وجند وتغلب وقهر وحرب .

فكانت اكثر البعثات عسكرية فاصبحت تنشر افكارها بين الجنود . وصيروا الجند آلة صماء في يدهم فبعد ما تخلصت تركيا من فساد جند الانكشارية اصبحت تعاني ويلات الجند النظامي المنفرج . وكان هذا البلاء اشد لان الضربة قاسية في صميم الدين .

فبعد ما كان العالم الاسلامي يعلق كل امله على هذا الجند المنظم ليكون حصنا منيعا للدولة الاسلامية ومعقلا للخلافة اصبحت العكس آلة هدم للخلافة ونشر افكارا تعني اثر الاسلام في الشرق والغرب وهذا الجند هو الذي انزل عبد الحميد عن كرسي الاسلام ثم بعده اذهب الخلافة وصارت في خبر كان .

وهذه البعثات هي التي نشرت افكار القومية الضيقة فحرضت الترك على تريك العرب وبقية الشعوب المنضوية تحت لواء الخلافة العثمانية اى تصيرهم تركا لغة وحنسية رغما عن تمسك الشعوب بلغتهم وقوميتهم . وما كان الخلفاء العثمانيون . يفكرون مثل هذا التفكير المفكك لعرى الخلافة بل كان الخلفاء متمسكين بالدين يحمونه وينصرونه ويعظمون القراءان والعربية والنبي العربي واثار العرب كما انهم يحترمون لغات بقية عناصر الخلافة العثمانية .

وعلى الاقل كانوا يحاملون الشعوب الضعيفة التي تركت منها الخلافة ولا يمسونهم في لغة ولا عادة ولا دين وبهذا بقيت الخلافة في عقب الاتراك اكثر من ستمائة سنة مدة لم تتمتع بها دولة قبلهم رغما عن تقصيرها في نشر التعليم الذي هو حياة الامم .

ومن هذا الجند تكونت جمعية الاتحاد والترقي او الاحاد والتدلي وهي التي جاءت بمبدأ القومية التركية والتفوق الجنسي المنافي للإسلام والتي صارحت تلك الشعوب بوجوب تريكها وابدال لغتها والانسلاخ من قوميتها ومقوماتها . فاغضبت عناصر الخلافة وملأت القلوب غيظا وإحنة . العراق . والشام . واليمن . ومصر . والحزيرة العربية . وغيرها .

فلما جاءت الحرب العظمى وظهر الوهن على جيوش الدولة انفرط عقد الخلافة واصبحت كل امة ولا سيما العرب تجاهر الاتراك بالعداء . ولعلها محقة فيما فعلت ، وقد نصب الترك المشقة للعرب وقتلهم تقتيلا ، فلم يزددهم ذلك الا تمسكا بلغتهم وقوميتهم بل زادهم ذلك تحمسا وصلابة ضد قومية الترك وكان سببا في ضياع مجد الترك وتحرير العرب واستقلالهم .

ولعلنا كنا مخطئين في تخطئة الامة العربية في انفصالها عن الترك ولعلها هي التي قد صادفت الصواب فيما فعلت .

اذ لو بقيت خاضعة للترك لبقيت متاخرة وتحت التسلط التركي الى الابد .

ولكنها الان تنال مرغوبها شيئا فشيئا ولا تبذل فيه الا اقل القليل مما تبذله لو بقيت راضية بالحسف والذل التركي .

وبالجملة هذه تجربة سلكتها تركيا في تترك العرب فبات بخسران عظيم لم تشهد في تاريخها . وها هي في هذا العصر تجرب تجربة اخرى بيد مصطفى كمال وهي تأورب التركاي نصيرهم اوروبيين في كل شيء حتى في الدين كاحكام الزواج والطلاق والسفور والارث وحتى في اللباس والقبعة والعوائد بل وحرور الكتابة ، واخاف ان تكون العاقبة خسارة وافلاس هذه التجربة ولكننا ننتظر اللعبة الاخيرة والله عاقبة الامور .

واسأل الله ان يهدي اخواننا الانراك لما فيه صلاحهم حالا ومثالا وان يسلك بنا وبهم مسالك النجاة وان يقيم شر الفتن والثورات هذا وان افكار اللادينية لم تسبق مقصورة على ضباط الجيش العثماني بل سرت سريان النار في الهشيم في سائر شبيبة بلاد الاسلام شرقا وغربا شمالا وجنوبا لا سيما الشبيبة التي تتلقى دروسا في اروبا قبل الدروس الدينية .

ومن العجب انها افكار سرت الى بعض تلاميذ المعاهد الدينية الشهيرة والتي هي المعدة للدفع في نحر اللادينية مثل الازهر والزيتونة والقرويين ولكننا نحمد الله على ندرة ذلك ونسال الله ان يوفق رجال هذه المعاهد لحق هذه الحركة في مهدها قبل استفحالها بطرق مجدية .

وقد علمت ان السبب الاقوى في ذلك هو اهمال التربية في الصغر وانفال تعليم مبادي الاسلام الحقبة بكيفية ناضجة سهلة ومفيدة وواضحة غير ملتوية وخالية من الفلسفة اللفظية والقشور التي توصلنا الى نتيجة ونيد الخيال نبذا كليا .

فقطع العلاقة بين الشبيبة الاسلامية وبين اصول التربية الاسلامية الحقبة السلفية القراءة والسيرورة النبوية وتاريخ الاسلام الزاهر هو الذي اوجب هذه الحالة الاسيفة ، حتى صارت بلاد الاسلام تخرج مثل كتاب مصطفى كمال .

ومن موجبات الاسف الشديد : ان بعض من ينظر في شيء من كتب الاسلام من هذه الشبيبة قبل ان يتذوقها يصح من دعة الطريقة الوهابية وهو لم يعرف هذه الطريقة ايضا حق المعرفة ، فاول ما يبدو به تكفير اخوانه المؤمنين بانهم طرقيون يعبدون الاصنام حيث عظموا الموتى واجاب هدم المساجد المبنية عليها ثم يتدرجون الى ما لا تقرة وهابية ولا غيرها من طوائف الاسلام وهو سب نفس الموتى من السلف من علماء وائمة كبار ثم الى سب الصحابة وتجريحهم ومن هناك الى هدم اساس الدين بالطعن في النبوات ، فتقلب الوهابية لادينية ، وتذهب الفضيلة وتاتي الرذيلة .

ثم ياتون بما يناقض تشديدهم فيوجبون تشييد الابنية الفخمة على قبر امثال المعري وينصبون التماثيل في الميادين مثل مصطفى كمال ويقفون امامها مطاطئي الرؤس وذلك هو عبادة الاوثان الخبيثة سموها بذلك او وضعوها لقباء اخر مزخرفا فيضعون في اقبح خزي ووبال . ويعبدون الاصنام بهتال فهدمهم لقبور من بنى مجد الاسلام وأفنى عمره فيه وقاسى الاهوال في نشره هو هدم لمجدهم الحقيقي وتاريخهم الذي يرجعون اليه وينبغي ان يكون قدوة لهم فيما يزعمون من التجديد وتشبيدهم لغيرة هو بلا شك من التمسك بالخيال الذي لا نجاة معه من النكال . واسأل الله ان يهديهم ويهديهم بطريق الاعتدال وجعلنا جميعا ممن عض بالنواجذ على وصاية القراء ان (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ءامين والحمد لله رب العالمين

محمد بن الحسن الحجوي العالي الحمفري

الأمة الإسلامية تنشد الإصلاح

(بقية الصفحة عدد ٢٦٠)

وهذا في الحقيقة نظر قاصر منشأه عدم فهم ما يعنيه المصالحون من قولهم ان من العلل التي اصاب المسلمين انحرافهم عن تعاليم الاسلام فهم يقصدون بذلك كل ما تدل عليه هذه الجملة من المعاني . فالاسلام يدعو الى عبادة الله وتقواه ومتى كان المسلم عبدا تقيا صفت نفسه وتأهلت لكل الفضائل . والاسلام يدعو الى الاخلاق الحميدة والصفات الكاملة ومتى كان المسلم متخلقا بأداب الاسلام صفت سيرته وحسنت سيرته وسلم من تأثيرات النفس الامارة بالسوء فأمن الناس من شرورة وعاشر الناس بالمعروف وكان مثال الكمال الانساني

والاسلام أحاط طرق المعاشرة بسياج المروءة والعدالة فمتى راعى المسلم الحدود التي حدد بها الشرع الاسلامي طرق المعاشرة والمعاملات الخاصة والعامة سلت العائلة الاسلامية من العوضى وخلصت الهيئة الاجتماعية من العطب

والاسلام دعى الى الوحدة والاخاء والعزة ومهد الى ذلك السبل فمتى روض المسلم نفسه على التضحية والقيام بالواجب وأحس بانه عضو رئيسي في جسم الامة به عزها أو انحطاطها وفي سلامته سلامتها أمكن الامة أن تعتمد على بعضها وتسير متكافة متراسة الصفوف الى الغاية التي فيها عزها وحياتها . والاسلام يدعو للاخذ بأسباب العمران فمتى ضرب المسلمون بسهم صائب في سائر العلوم وتعمقوا فيها أمكن لهم أن ينالوا حظهم في هذه الحياة غير منقوص منه ولا مشوها كما ناله أسلافهم الصالحون وكما وعدهم به الله

والاسلام يأمر بنبذ العادات الفاسدة والاعتقادات التي لا تلائم قواعد الدين الحنيف فمتى أزاح المسلمون عن نفوسهم تلك الوسوس والحرافات التي تعلق بعقول الناس ولم يستسلخوا لتأثير العادات الممقوتة ولم يتركوها تسيطر على نفوسهم ولم يجعلوا للمشعوذين الضالين سلطانا عليهم سلت عقولهم وحواسهم وتأهلت بصفتها للاخذ بأسباب السعادة

هذا بعض ما يعني من تلك الكلية الجامعة التي عندها المصلحون احدى الادوية التي يجب أن تعالج بها أمراضنا . وأعتقد ان الوقوف على موضع العلة ووصف الدواء الذي يزيلها لا يوصلان الى تقاوة الجسم الا اذا اعتمدنا على امرين لهما خطرهما الاول حسن المعالجة وذلك بمعرفة طرق العلاج . والثاني استعداد الامة للقبول وتهيادها لذلك وبدون هذين الامرين لا يتم شي . وهذا هو الذي

محمد الشاذلي ابن القاضي

رجب ان نتم به اهتماما شديدا « للبحث بقية »

الملاجي الخيرية الاسلامية

في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية

بقلم العلامة الجليل الحافظ المولى
محمد عبد الحفي الكتاني دام نفعه

حفظ التاريخ من مستشفيات فاس المذكورة على كثرتها هذا المستشفى الكبير المعروف الآن بالمارستان فهو الاثر الخالد الباقي الدال على اعتناء الدولة المرينية بالمعتوهين والضعفاء والمساكين ومن لا مأوى لهم ولا ملجأ وهذا المستشفى لا اظن انه يوجد باوربا على كثره مستشفيات مستشفى يضارعه في القدم ومن العجيب احتفاظ هذا المستشفى بمركزه رغما عن كثرة الحروب والفتن والاهوال التي توالى على فاس في هذه القرون السبعة التي مضت عليه ويذكر الشيخ بناني في حواشي الزرقاني كما علمت مما سبق انه كان يكفن فيه الغرباء ويغسلون يعني من اوقافه ويذكر الوزان كما علمت انه كان الغريب الافاقي الذي يدخل الى فاس له ان يقيم به ثلاثة ايام فكان هو على هذا بمنزلة فندق ينزلها السفر (اوتيلات) ويذكر الوزان في محل اخر انه كان يقوم به الشعراء اصحاب ما يسمى اليوم بالملاحون يجرون عوائدهم ليلة المولد النبوي من انشاء المدايح النبوية بمحل مخصوص هناك وهذه العادة وقع الاحتفاظ بها الى وقتنا فيقوم حافظ من حفاظ الشعر الملاحون في المولد وعاشوراء ويتلو ملحونه ويحلق عليه الناس وذلك تحت شجرة توتة هناك وكان يعد ايضا ملجأ للقلق (بلارج) الطير المعروف من تكسر او اصيب منه ياوي اليه وتجري جراية لمن يضمنه ويداويه ويطعمه، وكان به وقف على الموسيقين الذين يضربون به النوبة على المعتوهين لما ذكره ابن سينا وغيره من الاطباء ان من النوبات العصبية ما يداوى بالنغمات والاوزان على حالة تسليية، ومن العادة انزال المغتسلات والمخافل الخشبية لغسل الاموات من المسلمين وحملهم الى مدافنهم تصنع اذا مات غني من ماله ثم توضع في المارستان المذكور يحمل عليها الفقراء مجاناً وكثير من الناس كانوا يستخبرون عمن مات في فاس بتققد هذه المغاسل صباحا في المارستان ومن الاموال الموقوفة عليه يجري تجهيز الضعفاء والغرباء الذين يموتون بفاس كما ان لهم مدفنا مخصوصا بهم خارج باب الفتوح يعرف بقدان الغرباء ومما كان يوضع بالمستشفى المذكور طبل الحاج وهو طبل عظيم من نحاس كان امير ركب الحاج يستصحبه معه يضرب فيه وقت نهوض الركب ووقت جلوسه ضربة الاعلام بالتهنيء للنهوض فكان بالمارستان المذكور يوضع الطبل المذكور حيث انه من الاحباس العامة، وكان بجانب المارستان المذكور قديما محكمة المحتسب بها موضوعه كتب الحسبة وءالة الجزر والتعزير يجلس فيها المحتسب

وكتابه واعوانه لاجراء اعمال وظيفه الذي كان أكبر وظيف يذكر في الخطط الشرعية لان غايته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه مادة واسعة لا نهاية لها ولا حصر فكان للمحتسب السلطة التامة حتى على دور الخلفاء والملوك ويراقب وقت جلوس القاضي وانتهاء عمله وسيره في محكمته وهكذا مما له كتب مخصوصة واشغال وسلطة واسعة وكان قصدهم بجلوس المحتسب بجوار المارستان ووضع المارستان بجوار العطارين والقيسارية والضريح الادريسي وعلى قرب من القرويين التسهيل على اهل البلد نساء ورجالاً وصبياناً في تناول حاجياتهم والوقوف على مرضاهم وتسهيل توصل مرضاهم بالطعام والشراب على اقرب حال فتخرج لذلك حتى العواتق والمخدرات بين الدور والرحاب والمساجد فلو وضع المارستان المذكور ابعد من هذا الموضع لضاعت خطوات المخدرات والمحتجبات ووقعوا فيما لا يرضي المجتمع الاسلامي وعوائد الموروثة في القديم والى زماننا هذا يعد سجناً للنساء وملجأً للملقطه والافاريص الصغار حتى يبحث عنهم اهلهم ويقفوا عليهم فلذلك نرى ان العناية التي تريد الحكومة صرفها الى هذا الملجأ الخيري من اعظم ما يخلد لها به الفخر الدائم الذي لا يبلى ولا يبيد سيما وهي تريد الاحتفاظ بشكله وموقعه واوقافه وتدخل عليه من التحسينات العصرية ما يناسب روح العصر ولاشك ان توسعته وازافته بعض الدور والحوانيت اليه وجعل حديقه به لترويج المعتمدين وتشيط المساكين كل ذلك مما تشكر عليه الحكومة وتتحاشى ثقله من محله الى خارج المدينة لئلا يكون ذريعة للقضاء على معهد خيري قديم لا مثيل له في القدم في العالم . ومن الملاحي الخيرية التي كانت ولا زالت بفاس ضريح الشيخ ابي غالب الصاريوي بصاريوة من فاس وابو غالب هذا هو الشيخ ابو الحسن علي بن ابي غالب الحسيني الادريسي الصاريوي اليازغي من اهل المائة الثامنة وكان يعد من حكماء فاس وجراحها علمته اولا امه وهو صغير صنعة الحجامه وعلاج الجراح والقروح ثم اخذ عن بعض الماليك من الاعلاج الذين كانوا يحترفون بتلك الصنعة واخذ عنه هو جماعة منهم الحاج احم الورشي قيل مولاهم وهو جد اولاد ابن حم الخراط ومن هناك صار الشيخ المذكور وضريحه ملجأً ومأوى لاصحاب العاهات والامراض . وفي القرن الماضي جدد بناء هذا الضريح السلطان المعظم ابو الربيع المولى سليمان بن السلطان ابي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله العلوي المتوفى سنة ١٢٢٨ وجعل فيه مسجداً للصلاة وبيوتا للمرضى وذوي العاهات الذين ياتون اليه وقام بنصب سقاية ماء بظهره وذلك على يد قائد فاس الحاج محمد الصفار . ومن الملاحي الخيرية التي كانت بفاس على عهد بني مرين دار بدرب السعود كانت موقوفة على سكنى الضعفاء والمساكين ذكرها القادري في النشر الكبير في ترجمة الشريف محمد بن العربي بوطالب الجوطي انظر قصتها فيه ودار درب السعود هذه كانت من اكبر دور فاس ضخامة وسعة رحاب وكثرة مياهها وعرف الدرب والنسبة الى احد وزرائهم . ومن الملاحي الخيرية بفاس على عهدهم بلاد كانت محبسة على شراء الجبوب لترمي للطيور قوتاً يلتقطونها

في كل يوم باب الحمراء، ومنها عرصة باب بني مسافر موقوفة على الضعفاء والمساكين يعرسون فيها، ومن الملاحية الحيرية التي كانت بفاس على عهد بني مرين دار يعرس فيها العمي فكلما تزوج اعمى بعمياء ممن لا سكنى لهم عرسا بها ثم سكنا وهي معروفة الآن بين الصاعقة ورجبة قش وتعرف بدار الشيوخ برياض ججا، ومن الملاحية الحيرية التي كانت بفاس دار لتعريس الشرفاء المقلين فاذا تزوج شريف بشريفة لا سكن لهما عرسا بهذه الدار وهي ذات مرافق ومنظر وبهاء وهي بوسعة العيون الى الآن ومن الملاحية الحيرية بفاس حانوت بجهة بوطويل قرب القرويين اوقفت ليصرف كراؤها في شراء اوافي الفخار تعطى للصبيان الصغار اذا خرجوا من مدارسهم الصناعية (درازات) باواني طعامية فتكسرت لهم في الطريق فاذا استحي الصبي من معلمه ذهب للمكلف فاختار انية جديدة ببدل التي تكسرت له، ومن الملاحية الحيرية بفاس ما ذكره الشيخ ميارة والشيخ التاودي بن سودة كلاهما في شرح التحفة والبليدي في حواشيه على الزرقاني والدسوقي في حواشيه على الدردير انه كان بقرارية فاس حانوت (كبنك) بها دراهم موقوفة للسلف فما زالوا يتسلفونها ويردون فيها النقص والتحاس حتى اندرست وهذا من اعظم ما يدلنا على الرقي الفكري والعاطفة الانسانية والدينية في الزمن السابق وكيف كان عملهم على تنشيط الصانع والتاجر وكيف كانوا يمدون لذوي الحاجات يد المعونة ويرصدون الارصادات فهذا لاشك مما سبقنا به اوربا بقرون والله في خلقه شئون ومن نحو هذا ما في ترجمة ابي عبد الله محمد البطوي من اهل القرن ١٢ من سلوك الطريق الوارية للزبادي من انه كان يبدل الدرهم بالفلوس ويصبح بها كل يوم بسوق الغزل من فاس ومن اراد تصريف درهم صرفه له فهذا منه تسهيل على المرأة والصبي طريق الاخذ والرد في المبيعات جزاء الله خيرا على نيته ومن المراكز الحيرية بفاس ونواحيها على عهد بني مرين ما وقع في ترجمة العارف الكبير احد مفاخر فاس ابي عبد الله محمد بن ابراهيم ابن عباد النفزي المتوفى عام ٧٩٢ وهو الذي قال فيه في نفح الطيب انه عند اهل فاس بمثابة الشافعي عند اهل مصر انه اوصى بربعة كانت محفوظة عند رأسه ان يخرج ما فيها بعد موته ويشترى بها ربع يكون حسبا على مسجد القرويين ففعل ذلك فحسب ما فيها فاذا هو ثمان عشرة مائة مثقال من الذهب وذلك جملة مما قبضه في اجرتة مدة خطابته وامامته بالقرويين وحكي ان الربع المشتري هو حمام القلعة بعدوة فاس القرويين بالقطنين منها قال في نشر المثاني ومن عجائبه انه يقصده اهل المرض المعروف بالحلب وهو المعروف بحب الافرنج الذي هو من الامراض الشاقة يغسلون به للاستشفاء فيشفون واعجب منه ان لا يتأذى به من غسل معهم من السالمين ولم يسمع ان احدا غسل به اعداء شيء استقرئ ذلك منه ازمته طائلة حتى صار لا يتجنبه احدا ولا غرابة في هذا ولا عجب فان فاسا فيها وبدائرتها من الناييع ما لا يوجد حول مدينة اخرى في العالم وذلك ان منشئ المدينة الاسلامية في المغرب الامام الاكبر المولى حسين ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لما اراد بناء عاصمة بالمغرب باسمه طاف حول درن الى تادلا ينظر محلا مناسبا لاتخاذ عاصمة جامعة بين ما يكون مصحة للابدان وعونا على اقامة دين الملك الديان ويتخذ دائرة للدولاب العمران فاختار موقع مدينة فاس لغايات لا يتوخواها ويقصدها الا عظيم من حكماء البشر ومصلح كبير من رجال العمران والغيرة على صحة بني الانسان وتسهيل الحالة الاجتماعية للسكان (يتبع)

القضاء الشرعي

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة

قلنا في المقالة الثانية من هذا المبحث ان سفينة الدهر تجري في بحار المشيئة وان انحصار سلطة القاضي الشرعي في نوازل الاستحقاق بين الرعايا وفي احكام الاحوال الشخصية من انكحة وموارث وشبه ذلك انما هو ثمرة تطورات وفيرة في احيال كثيرة وحسب الانسان الخبير بتقلبات الزمان ان لا يستتج من ذلك اكر من العبرة التاريخية التي يجد لها نظائر واشباها كثيرة في بطون الدفاتر والكتب ففي عهد انحطاط الدولة العباسية كان القضاء يغطي التراما بالمقاولة (بالسوق والدلال) على ان يستبد القاضي بفروض التعيين ونحوها في مقابلة مال سنوي يدفعه للحاكم وأول من التزمه عبد الله بن الحسين بن ابي الشوارب في بغداد سنة ٣٥٠ بمقدار مائتي الف درهم وكان ذلك مبدا السعي في طرق استنزاف اموال الخصوم وارزاق اليتامى ومن اجل ذلك وشبهه احدثوا ديوان المظالم للنظر في ظلمات الناس من اعتداء العمال والقضاة وكان اول ظهوره بالدولة الفاطمية بمصر - والحديث هنا قاصر على رجال الشرع المطهر بهذه الديار التونسية المختارة في هذا الزمان وهم بفضل صبغتهم الدينية المستمدة في اصلها من الاتساب لصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم احرزوا بحق وجدارة على منزلة محاطة بسياج المهابة والاحلال في نظر عامة المسلمين وهذه الحيثية الدينية الشريفة نراها نضجت واخذت نصابها من الرسوخ في الازدهان بفضل ما توفق له علماء العصور الماضية من مظاهر التقوى والاقطاع للجناب الاقدس والسير على سنن من سلفهم من ائمة الدين واقطاب الملة بهذه الديار وما زالوا بفضل الله وتوفيقه اخذين بذلك طبقة بعد طبقة الى هذا الزمان فالفقيه المتوفرة فيه تلك الصفات صفات التقوى والعلم والعمل حق علينا ان نرعى له الدمام وان نستمد من انوار فضله وان نسعى اليه بتحية طيبة وسلام ولنتنقل الآن للتعريف بمنصب شيخ الاسلام بتونس فهذا اللقب الطنان العالي كان في البدء نعتا لمن ينتهي اليه العلم بين اهل عصره فالامام احمد بن تيمية كانوا يلقبونه بشيخ الاسلام في المائة السابعة وكثير غيرهم من ائمة الدين قبله وبعده ، ويلوح ان ظهور الالقاب التفخيمية في الاسلام كان بظهور السلطة الفارسية في جسم الخلافة العباسية واول بارقة ظهرت من ذلك التلقيب بمثل جلال الدين وشمس الدين وشهاب الدين في اهل العلم وعضد الدولة ونظام الملك ويمين الدولة في رجال السياسة حتى اذا استقرت الخلافة في آل عثمان اتخذوا لهم شيخا للاسلام بالعنوان الرسمي له حق الاشراف على دوايب النظام الشرعي

باجمعه كما سيأتي بيانه وبالتالى راج استعمال لقب شيخ الاسلام بتونس بعد دخولها في طاعة آل عثمان فكانوا في سنة ١١٣٣ يلقبون الفقيه الشيخ علي الصوفي من ائمة الحنفية بشيخ الاسلام ولم يكن لهم يومئذ بتونس غير مفتين وقضاة بل كانوا يلقبون هــ في وقت واحد ثلاثة نفر آخرين من العلماء بلقب شيخ الاسلام . سأل بعض علماء الازهر صاحب مجلة المنار ايام كان يشارك في تحريرها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عن تاريخ منصب شيخ الاسلام فاجابه بما يأتي : هذا اللقب من الالقاب الحادثة لمنصب حادث ووظيفة شيخ الاسلام في الدولة العثمانية الفتوى الرسمية فهو المفتي الاكبر في المملكة واحد اعضاء مجلس الوزراء وقد وضع الملوك هذا المنصب بعد ما صارت امور المسلمين في ايدي الجاهلين بالشرع من السلاطين واعوانهم الوزراء فمن دونهم وكانوا محتاجين الى من يفيدهم حكم الشرع في بعض ما يعرض لهم في سياستهم للامة لا سيما قبل ان يستبدلوا القانون بالشرع في كثير من احكامهم وكان اختراع هذا اللقب في اوائل القرن التاسع زمن السلطان مراد خان الثاني الذي ولي السلطنة في الثامنة عشر من عمره وقد وليه في زمنه محمد شمس الدين سنة ٨٢٨ وفخر الدين العجمي سنة ٨٣٤ وشيخ الاسلام في الدولة هو الذي يولي القضاة والمفتين في المملكة كلها باذن السلطان . هذا هو اللقب الرسمي والعلماء كانوا يطلقونه على البارعين في علم السنة وفتة الدين كابن تيمية والعز بن عبد السلام ويطلقونه في مصر على شيخ الجامع الازهر هـ .

اما في تونس فقد اشتهر لقب شيخ الاسلام بها بعد سفر الشيخ علي الصوفي للاستانة في مأمورية رسمية وعوده منها لهذه الديار فكان اهل العلم يطلقون هذا اللقب على من ينفرد بالتفوق بينهم من شيوخهم سواء كانت حنفيا او مالكيا ولكن ذلك لم يكن نعتا رسميا لهم في نظام الدولة بل كانوا في الرسميات يلقبون كبير المفتين تارة بالمفتي الاول وءاونة بالمفتي الاكبر الى ان استقر عنوانه الرسمي في لقب الباش مفتي ومعنى « باش » في التركية « راس » فالباش مفتي معناه راس الفتوى او راس المفتين وهكذا استرسل الامر الى دولة المشير احمد باي الاول ولما عاد في سنة ١٢٦٣ من رحلته لفرنسا بعد ان شاهد هنالك فخامة الملك وقوة السلطان حدثته نفسه بما طبع عليه من الجنوح للتعالي والتفنن في مذاهبه ان يجاري السلاطين والملوك بالابنية المشمخة كقصور المحمدية وبالمظاهر السلطانية في نظام الدولة فوضع ترتيبا لنيشان الافتخار الذي ابتكره ابوه وهذب اساليبه واحداث رتبة الفارق في الجيش متخطيا في ذلك الحد المضروب له في الولايات العسكرية من لدن الباب العالي كما انجز ما كان عزم عليه من قبل بسنوات (١) من امنح لقب شيخ اسلام بالعنوان الرسمي لرئيس فقهاء الحنفية ولقب به باش مفتي الحنفية العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع ولكنه اكتفى بامناحه هذا اللقب العلمي

(١) ورد في ظهير عتق العيد الصادر في محرم ١٢٦٢ تلقيب الشيخ محمد بيرم شيخ الاسلام والشيخ ابراهيم الرياحي بباش مفتي المالكية

الذي بالقول الذكري لا بالقول الكتابي تحاشيا من مزاحمة الباب العالي في خطة من الخطط الرئيسية بالدولة العثمانية وبمقتضاها استمر اصدار مرسوم الولاية للباش مفتي الحنفي بعنوان كبير المفتين الحنفي ولكنهم كانوا يحلون ويحتون في غير مرسوم الولاية بشيخ الاسلام (١) ويلوح ان اول من امتاز بلقب شيخ الاسلام بعنوان خطة في مرسوم ولايته هو العلامة الشيخ احمد ابن الخوجة حسبما يستفاد ذلك من هذه العبارة المدرجة بالقسم الرسمي من الرائد التونسي . قال في عدد ٩ المؤرخ في ٢٩ صفر ١٢٩٤

في صبيحة يوم السبت السادس والعشرين من شهر التاريخ اولى المعظم الارفع مولانا وسيدنا ادم الله عزه الفاضل الهام واحدهاء الاسلام الجهد الشيخ سيدي احمد بن الخوجة مشيخة الاسلام بتونس وذلك بالقصر السعيد جعلها الله ولاية سعيدة ميمونة حميدة اهـ .

وهذا الشيخ رحمه الله هو الذي البس في العهود المتأخرة خطة المشيخة نوب الاجلال والاعظام وكساها حلة الفخر والاکرام ولما التحق بالدار الآخرة في خامس حجه سنة ١٣١٣ تقدم مكانه العلامة الشيخ احمد كريم فكان ظهير ولايته صريحا بعنوان شيخ الاسلام تنقل هنا عبارته بالوقوف عليه : سبحان من جعل الحمد فاتحة القرءان . وخاتمة دعاء اهل الجنان . وشرف نوع الانسان بارسال الرسل . لتشريع الشرائع وتوضيح السبل . نشكر ك على ما اوليت من مواهب الاحسان . حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان القلب واللسان . والصلاة والسلام على سيدنا محمد فائدة الكون ومعناه . الذي لا ينام قلبه اذا نامت عيناه . وعلى آله واصحابه حفظة الدين وائمة المهتدين . اما بعد فهذا ظهير عظيم . وكتاب كريم . يقابل بالاذعان والتسليم . لنفعه العميم . انتج الحق قياسه . وبني على الشرع اساسه . اصدرناه الى من يقف عليه من العلماء الاعلام . مشائخ الاسلام . وابنائنا امراء الامراء اعيان الوزراء وابعراء الاولوية وامراء الاالات وقائمي المقامات وامناء الاالات والنباشية وكافة الجنود العسكرية وسائر اولي الولايات فيما لنا من الجهات . شرح الله تعالى للحق صدورهم . واستعمل في رضا اميرهم ومأمورهم . ليعلموا ان الهام التحرير العالم العلامة الشيخ سي احمد كريم قدمناه على بركة الله تعالى وجعلناه شيخ الاسلام بمملكتنا التونسية يفتي ويحكم بمشهور مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه وعن بقية الائمة المهتدين وما جرى به العمل مع مراعاة ترتيب دار الشريعة المعمورة . موسى في الابرام والنقض بتعوى من يعلم خفيات السماوات والارض . وصية صدرت مصدر الذكرى التي

(١) مما يؤيد هذه الحقيقة عبارة الوثيقة التاريخية الاتي نصها :

من عبد الله سبحانه الراحي غفوة واحسانه المشير محمد الصادق باشا باي سدد الله اعماله وبلغه من اعزاز هذا القطر اماله اما بعد فان العلم الهام الحجة شيخ الاسلام محبنا الشيخ سي محمد بن الخوجة اولناة نظارة دار الشريعة يتعاطى النظر في ذلك كمن كان قبله وأوصينا له بمزيد الاجلال والسلام وكتب في ١٠ جاذي الاولى سنة ١٢٧٨

تففع . ويعلي الله بها الدرجات ويرفع . كما اوصينا له بمزيد التعظيم والاحلال . ومعرفة ماله من الكمال ووصون منصبه الشرعي عن الاخلال . والامر لله وحده الكبير انتعال . والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده علي باشا باي صاحب المملكة التونسية وقفه الله وكتب في ٨ يوم الاربعاء من ذي الحجة الحرام سنة ١٣١٣ الموافق للتاسع عشر من ماي سنة ١٨٩٦ هـ .

واسترسلت ولاية المشيخة بنظامها المتقدم في فقهاء الحنفية الى محرم ١٣٥١ وفيه شغرت الحطة فوقع ازدواجها باحداث اخت لها على مذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه واسانداها لكبير اهل الشورى المالكية والفي عندئذ لقب الباش مفتي المالكي بتونس كما الفي قبله بزمن طويل لقب باش مفتي الحنفية وبهذا الازدواج الذي كان متوقعا من قبل حصل التساوي الحق بين قطبي الشريعة صاحبي الفضيلة امامي المذهبين الزكيين واعلن ذلك بمنشور وزيري صدر للعمال لاداعته في افاق المملكة التونسية ولنتنقل الآن للكلام على علاقة اهل العلم باهل الدولة ففي البداية نقول ان اهل العلم كانوا في القرون الاولى يخرجون من الالتحام والانتساب لاهل الدولة اتقاء الزيغ عن الصراط المستقيم واليك نموذج في صحة ذلك ، قال القاضي ابو الفضل عياض في كتاب المدارك : لما ثار القويص على محمد بن الاغلب قال بعض القواد اليوم سيتمكن من سحنون اما يخسر دينه او دنياه فقالوا للامير سحنون داعية مطاع فامرة بنصرك على هذا الخارجي فبعث فيه الامير واعله بالامر واستشاره في قتاله وان يعلم الناس بعرض ذلك عليهم فقال له سحنون غشك من ذلك على هذا متى كانت القضية تشلورها الملوك في صلاح سلطانها ونهض من عنده اهـ

قلت هذا الاعراض الذي تلقى به سحنون دعوة الامير الاغلب لتأييده ومناصرته على عدوه ربما يقول قائل انه لم يكن ذلك بالقاعدة المطردة في علائق الملوك باهل العلم وهذه نظرية صحيحة لان التاريخ يثبت اختيار الملوك في مهمة القضاء لمن يكون معاضدا لسياستهم وموافقا لمشربهم كما تقدم بسطه في المقالة الاولى من هذا المبحث ولكن التاريخ يرينا من ناحية اخرى ان اهل العلم كانوا في كل عصر يمثلون العنصر المغالب لذوي السلطان على امرهم فالخليفة المستنصر بالله ثاني سلاطين بني حفص لما قال للفقهاء ابن عصفور : قد اصبحت اليوم ملكنا عظيما اجابه ابن عصفور بقوله : بنا وبامثالنا فهذا الجواب ولئن كان فيه حتف ابن عصفور يرينا ثبات عزيمة هذا الفقيه ورسوخ قدمه في المجتمع التونسي يومئذ نعم انه ابان من ناحية اخرى ان الفقهاء ابعد الناس عن السياسة اذ كان عليه ان ينظر فيما ذا سيكون صنيع الخليفة بعد سماعه لثل تلك العبارة وهو انما تفاخر بعظم سلطانه لاستطلاع رايه فيه ، وامثال هذا التناطح بين ولاة الامور وبين اهل العلم كثيرة في كتب التاريخ الى عهود متأخرة فتدخلات الشيخ ابراهيم الرياحي رضي الله عنه بالنقد والتفنيد وعبارات الوعيد فيما كان يراة زيفا من سلوك بعض اولي الحل والعقد عن منهاج الشريعة فيها الدلالة الكافية على ان اهل الدولة

كانوا في شق واهل العلم في شق آخر وهذا الشيخ الجدد هو وسلفه وعقبه من صنع البيت الحسيني بعث له المشير احمد باي ذات يوم معينه صالح شيوب لاستفسار خاطره وسؤاله عن صحته وفي اثناء الحديث قال المعين للشيخ رحمه الله ان سيدنا بعني معاتباً من اجل طول مغيبك عنه فقال الشيخ للمعين :

قل للامير نصيحة لا تركن الى فقيه
ان الفقيه اذا اتى ابوابكم لا خير فيه

ثم بسط كفيه لباري السمات وباعث الرفات ودعا للمولى الامير بسعادي الدنيا والاخرة وقال لمبعوثه اشهدك انني وهبت ثواب هذه السلكة التي بين يدي من صحيح البخاري لسيدنا المشير دامت معاليه وسعدت ايامه ولياليه اهـ

ولنضرب لك مثالا اخر في معنى تخرج العلماء من الوزراء . ففي سنة ١٢٨٧ شغرت بجامع الزيتونة خطة مدرس من الطبقة الاولى وراج عند ذلك بين العلماء اسم المرحوم الشيخ احمد الورتاني واستحقاقه لتولي التدريس من الرتبة الثانية التي ستكون شاغرة بتقديم صاحبها للخطة المنحلة بالطبقة الاولى فلما كلوا في ذلك شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية قال ذلك رجل له صلة باهل المخزن يعني برجال الدولة وقلت العبارة للوزير مصطفى خزندار فاستصدر في الحال مكتوباً من سمو الباي المعظم للمشائخ النظار في اختيار الشيخ الورتاني للتدريس بداية بالرتبة الاولى وهذه الولاية لها اختان شبهتان بها في تاريخ جامع الزيتونة ولولا خوف الاطالة لذكرتهما هنا ولكن قراء المجلة سيجدون ان شاء الله ذلك بالتفصيل في كتابي « معالم التوحيد في القديم وفي الجديد » المثل الآن للطبع .

ولننظر الآن في علائق العلماء مع اهل الدولة بحصر المعنى اي من حيث الوضع الرسمي الذي هو خط السير في هذا الزمان فنقول يظهر فيما يلوح ان مشروع عهد الامان كان فاتحة عصر جديد في تلك العلائق فان فقهاء المذهبين احضرهم المشير محمد باي يوم اعلانه بذلك المشروع في سنة ١٢٧٤ واحضر معهم في مجلس واحد اهل دولته وقناصل الدول وكبار القسيسين والرهبان واحبار اليهود فكان هذا اول اجتماع لاهل الشريعة باهل السياسة في مجلس رسمي حفييل لمصلحة عمومية تهتم الالاية التونسية واول الغيث قطر ثم ينهمر ومعلوم ان عصر المشير محمد باي جاء متممًا بطبيعة حاله لعصر سلفه المشير احمد باي الذي اوجد كما اسلفنا تطوراً عظيماً بنظم الدولة وسلطة الدولة تشمل البر والفاجر فكان لا محيص لاهل العلم من مسابقة تيار المستجدات العصرية التي قضى بها الزمان في تلك الانشاء ولا سيما في عصر الدولة الصادقية الذي هو عصر الاصلاحات الجامعة الشاملة التي قام بها المصلح الكبير الوزير خير الدين في دواوين الدولة ودواليب الاعمال ومجالس الاحكام من شرعية ووضعية وعرفية وهنا نصل بالقاري الكريم للعقد الاخير من القرن الهجري الماضي .

في هذا العقد امتاز جماعة من فقهاء المذهبين بفهم اسرار الشريعة ومعاوضة خيز الدين بتأييده في

سياسته واعانتة على مشروع الاصلاح المشار اليه وكان في مقدمة هذه الطائفة الصالحة من العلماء شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الحوجه وبقية رجالها هم الشيخ مصطفى رضوان والشيخ محمد يسرم والشيخ الطاهر النيفر والشيخ عمر بن الشيخ هؤلاء الاعلام كانت لهم يد عاملة في مقام الاصلاح وبمشاركتهم وقع تاسيس المدرسة الصادقية التي كان القصد من احداثها ايجاد طائفة من ابناء البلاد جديرة بالمشاركة في تسيير سفينة الاحوال بهذه الديار ولم يمر غير زمن قليل حتى ظهرت نتائج مشروع الوزير خير الدين فيما توخاه من النهوض بالبلاد في طرق الاصلاح وانشرت الصدور واستبشر الناس وقالوا حي على الفلاح .

ولما استهل عصر الحماية كان اهل العلم بحالة فهم لتلك المقدمات وعلى تهيو واستعداد لمجاراة الحالة الجديدة ولكن كثيرهم كانوا يخشون الفكر العام لان لفيف الامة كانوا في مدارك الحيلة بالحالة السياسية الحادثة لانه مرت عليهم القرون وهم لا يرون الضوء الا من سم الخياط ناهيك ان الشيوخ تحاشوا عن المشاركة في عيد الجمهورية عند اقامة موسمه الاول بتونس فكان ذلك حاملا للوزير المقيم مسيو كمبون على الزامهم بالحضور في موسم العام التالي (١) ولما وحيث دولة الحماية عنايتها نحو تدوين القانون العقاري عقد مسيو كمبون لذلك مجلسا من اهل الدولة ومن علماء الحقوق وعلماء الشريعة فكان هذا المجلس فاتحة مستقبل سعيد ومنهج قويم سلكه الفقهاء في علاقتهم مع الدولة وطبعا وقع التوسع بالتالي في هاتيك العلائق لمصلحة الجانبين ولما اعتدت يد ائمة على جميل الذكر صاحب الفخامة مسيو سعدي كارنو رئيس الجمهورية في سنة ١٣١١ بمعرض ليون كتب بعض اهل العلم من ذوي الشخصيات البارزة تعزية في ذلك لجناب الوزير المقيم فلما شاع خبر هذه التعزية بين الناس قام بعض المذبحين يقول ان مثل هذا السعي من علائق اهل السياسة لا من وظائف اهل العلم وكانه تعامى او تجاهل بما ورد في الصحيح من ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى بذاته الشريفة لعبادة جاره من اليهود، واتفق ان

(١) هذا الحادث نقلته مجلة العالمين باوضح بيان ضمن مجموعة رسائل صدرت من الوزير مسيو كمبون لزوجته في سنة ١٨٨٤ نشرتها المجلة المذكورة بعد وفاة هذا الوزير الخطير في سنة ١٩٢٤ ومما تضمنته تلك الرسائل تصريح مسيو كمبون بان الكردينال لافيجري كان في مقدمة المعاضدين له على انجاز مشروع الحماية وعلى تأييد شوكة فرنسا بتونس ننقل هذا الاعتراف هنا ليتدبر القاريء الكريم الفرق بين حيثة العالم الديني في بلاد الاسلام وبين حيثة العالم النصراني بباروبا والكردينال لافيجري كان محرزاً على خمس دكتوريات كان دكتوراً في العلوم ودكتوراً في الآداب ودكتوراً في الفلسفة ودكتوراً في الحقوق ودكتوراً في علوم اللاهوت ونحن مازلنا نقوم وتعد اذا رأينا فقهاً أمتاز بين أقرانه بالتفوق بهضل علمه ونشاطه وذكاؤه الفطري ووقوفه على أسرار الشريعة بما لا مانع فيه من حضور مظهر سياسي او احتفال او سعي لزيارة او ردها لبعض اهل الحل والعقد او شبه ذلك ولا نعدم عند ذلك قيام بعض المتبرئين من دم البراغيث بدس السم في الدسم والقول بان ذلك السلوك من متعلقات اهل الدولة لا من متعلقات اهل العلم وحسب هؤلاء الاعراض عن السياسة والاكتفاء بالتطيلس والرئاسة

الدولة عزمت يومئذ على تشريك معالم الدين في مظاهر الحداد بنشر الراية التونسية معصبة بالسواد فوق واجهات بيوت العبادة قياسا على العادة الجاري بها العمل باوربا فاستدعى الكاتب العام معتمد الجمعية صاحبنا السيد البشير صفر لياذنه باتعام ما استقر عليه الراي وعندها لاحظ المعتمد بان ائمة الدين الاسلامي اعربوا عن شواهد اسفهم بالمكتوب الذي ارسله زعيمهم لجناب المقيم ويظهر ان في ذلك كفاية لان المساجد عندنا لا علاقة لها بالسياسة بل هي بيوت للعبادة وحسب وان كان ولا بد من مظهر علني في ذلك فليكن نشر الراية التونسية فوق ابواب امهات المدارس كمدرسة حوانيت عاشور وغيرها فاستحسن الكاتب العام هذا الجواب المقنع وكان العمل بمقتضاه وفي هذا السلوك دليل قاطع بصحة ما هو متعلق بالاذهان من احترام الامة الحامية لعقائد ومعابد الامة المحمية

وكان الشيخ احمد بن الحوجه رحمه الله يحضر حفلة التكريم التي يقيمها المجلس البلدي للمقدس المولى علي باي ليلة المولد الشريف بحضور رجال الحماية وسمو الباي يجلسه ليمينه بذلك المقام واتفق له ايضا حضور حفلات توزيع المكارم على التلامذة المبرزين بالمدرسة العلوية مع المقيم العام م. كمبون وبمدرسة كارنو مع م. ماز من اعضاء مجلس الشيوخ بفرنسا ولقد حضرت مرة بدار السفارة في جملة من شرفهم الوزير المقيم م. ريني ميلي بالاستدعاء لمشاهدة مناظر حية من معمل خالده الذكر الاستاد باستور منقذ الجنس البشري من داء الكلب (١) فكان في مقدمة الحضور العلامة الشيخ احمد كريم شيخ الاسلام والمفتي الثاني الشيخ محمود ابن الحوجه ولما قدم فخامة مسيو لوي رئيس الجمهورية لزيارة تونس ومكثها المقدس المولى محمد الهادي باي سعى شيوخ المذهبين للسلام عليه بالسفارة العامة وحضر شيخا الاسلام الشيخ محمود بن الحوجه والشيخ احمد الشريف مع فخامته بميدان الملايين لاستعراض مشائخ الطرق ومريديها وهكذا كان صنعهم عند زيارة اخلافه بمسند الرئاسة الجمهورية : فخامة مسيو فليار وفخامة مسيو ميلران وفخامة مسيو دومرق وكلها تكرر قدوم مقيم جديد سعى الشيوخ للسلام عليه وعرض شواهد الصفاء والوفاء واعتمادهم على الدولة الحامية في مقام مناصرة الشريعة وصونها ورجالها من طوارق الحدثان الامر الذي وفت به فرنسا شبرا بشبرا في بحر هذه الستين سنة ليرى مبصر ويسمع واع وانا بنفسي صاحبت شيوخ المذهبين للترجمة بينهم وبين الفقيه الوزير مسيو الابيت يوم الاعلان بالهدنة عند انتهاء الحرب العالمية وكانوا كلهم السنة ناطقة بالحمد لله والشكر لله ثم بالدعاء وبشواهد الثناء والامتنان لذلك الرجل العظيم الذي قال لهم في جملة ما افضى به اليهم من الحديث انه لمضبوط ومفتخر بوجود اقطاب الشرع الاسلامي حوله وانه لمبتهج بسماع شواهد

(١) يستفاد من احصائية رسمية نشرتها جرائد هذا الشهر ان عدد المصابين الذين وقع علاجهم بمعهد باستور بتونس في عام ١٩٣٨ بلغ الى ١٠٧٩ نسمة

الرود وعراض التهاني من افواه اهل هذه الطبقة الشريفة الممثلين للسودد كله ولجميع صفات الفضل والعلم فهو يستبشر بحلول طالع سعيد من اجل هذه الزيارة المباركة في مثل هذا اليوم يوم الظفر والنصر العائد فخره على الامتين الحامية والمحمية معا وبقي بمحفوظي انني ترجعت ذات مرة اخرى بين حضرات الشيوخ وبين جناب الوزير مسيو يشون المقيم الاسبق في مناسبة هامة دلت على رسوخ ما هو متعلق بالاذهان من ان رجال الشريعة هم في مقدمة قادة الامة وهم المثل الاعلى الذي عليه الاعتماد واليه الرجوع وعليه الاستناد

وكيف يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

انما الشيء الذي لا يناسب كرامة الفقيه هو الترامي على الابواب والاشتغال بما لا يعنيه او كان خائلا عن فائدة الجماعة المسلمين وهذه النقائص لم ينسبها احد حتى الآن لاهل العلم والحمد لله بقي علي استدراك شيء فاقني التعليق عليه بمقالاتي الاولى في مبحث القضاء من وجود مذهبين قائمين بالحكم في عصر واحد هذه الديار الافريقية قال عياض في المدارك : وكان سحنون يجلس في بيت الجامع بناه لنفسه اذا راي كثرة الناس وكثرة كلامهم فكان لا يحضر عنده الخصمين ومن يشهد بينهما في دعواهما وسائر الناس عنه بمعزل لا يراهم ولا يسمع لفظهم ولا يشغل باله امرهم فصار الجلوس في ذلك البيت سنة لقضاة المالكية فاذا ولي عراقي (اي حفي) هدمه واذا ولي مدني (اي مالكي) بناه وحكم فيه اه

كذلك سقت مني الاشارة في مقالة القضاء الثانية لاحكام رؤية الهلال وانها من متعلقات قاضي المالكية فوقفت بعد ذلك على ما يؤيد ان النظر في ثبوت الهلال كان من حقوق الجماعة الحنفية في اواخر القرن الثاني عشر حسبما يستفاد ذلك من وثيقة تاريخية وهي عبارة عن مكتوب في ثبوت هلال رمضان عام ١١٩٤ بعث به قاضي الجماعة الشيخ محمد يريم الثاني للمولى علي باي الثاني ونصه : اما بعد السلام التام فلتهن مولانا بالهلال الجديد والطالع السعيد والمقدمة التي تتيحها العيد فلقد ثبت لدينا الثبوت الشرعي المحرر المرعي اهله الله تعالى عليكم وعلى المسلمين باليمن والبركة وقران الخير في حال السكون والحركة فليأذن مولانا باطلاق البشير والسلام اه من رسالة التعريف بالبيارة

وهنا انتهى بنا الكلام في مبحث القضاء الشرعي وسيكون عنوان مقالي الثانية : اسد بن الفرات وفيها ناتي على تاريخ انتشار المذهبين الحنفي والمالكي بافريقية وكل ما قرب محمد بن الخوجه

حديث - اتق الله حيثما كنت

اخرجه الترمذي في جامعه في باب ما جاء في معاشره الناس قال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبدالرحمان بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب ابن ابي ثابت عن ميمون ابن ابي شبيب عن ابي ذر قال قال لي رسول الله اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن ابي هريرة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا ابو احمد وابو نعيم عن سفيان بهذا الاسناد نحوه حدثنا محمود بن غيلان وكيع عن سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن ميمون بن ابي شبيب عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه قال محمود والصحيح حديث ابي ذر .

فوقع سهو في نسبة تخريجه للإمام البخاري الذي ائتمناه في الجزء الخامس ص ٢٢٤ تعين تداركه

صفحة من تباريخ تونس

صلة تونس بالدولة العلية

بعثة خير الدين للاستانة

في سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

غير ان الصدارة العظمى لم تنجز ما وعدت به وفي سنة ١٢٨٨ تعكرت العلايق بين الدولة التونسية وحكومة ايطاليا التي كان مستقرها اذ ذلك فير ينسا قبل فتح رومة ولم تكن الحكومة الفرنسية في استعداد لمعاوضة سمو الباي على عاداتها في مقاومة التيار الايطالي لاشتغالها بحربها ضد المانيا وبالارتباكات الداخلية الناشئة عنها فظهر من المناسب تذكير الباب العالي واليكم نص المکتوب الموجه للصدر الاعظم في تاريخه في عالي باشا :

« ١٠ »

الحمد لله اما بعد التحية فالمهي الى جناب الصدارة العظمى ادام الله تعالى اسعاده وجعل من التوفيق الالهي امدادها ان معظم قدرها العالي لم يزل جاريا في محاملته للدول الاروباوية ورعاية نواياها ورعاياها بهذه المملكة على ما جرت به العادة واقتضته رعاية المصالح الاسلامية بهذه الديار بقدر الاستطاعة ومن جللتهم دولة ايطاليا الى ان عرضت لقصصها نازلة جزئية بنى عليها امرا سياسيا وهو قطع الخلطة التي سعيها في ارجاعها بما امكن حسبما تقرر ذلك لسفير الدولة العلية بفرنسا على لسان رسولنا الذي وجهنا لهذه النازلة حسبما شرحها مستوفى بالتقرير الواصل مع هذا لجناب الصدارة العظمى ولما كان من المعلوم ان المقاصد السياسية الباطنة مخالفة لظواهرها والاعتداد للتوقي من ذلك امر واجب شرعا لا سيما مع تيسر اسبابه بوجود الدولة العلية الذي هي سلطنة الاسلام والمفرع في المهمات العظام القائمة بحماية اقطار المسلمين والاعانة على اقامة شعائر الدين التي لا يراعى سرب من اتصل باسبابها وامل الخير والانعام من ابوابها اعاد معظم القدر العالي مطلبه من ابواب الخلافة العلية التي هي محط الآمال ومصدر النعم والافضل التي تعودها هو وسلفه من رفيع جلالتهما المتين ورفيع جلالة سلفها الخلفاء الراشدين بكتابه الواصل مع هذا طالبا من فضلها العالي انجاز ما سلفت به الارادة السنية وهو صدور فرمان العلي الذي تضمن كتاب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة ١٢٨١ انه حاضر وقت ما نطلبه وتكرر منا طلبه فيما سلف وتاكّد مضمون كتاب الصدارة العظمى معتمدا على ابواب الصدارة

العظمى في اعاقته على ما امله من فضل الخلافة العلية بمقتضى ما تعوده من فضلها وانجاز ما سلفت به الارادة السنية وهو صدور على مقتضى ما تضمنه كتاب الصدارة العظمى المذكور اعلانا بنعمة الدولة العلية على شاكر فضلها والداعي بتأييدها ونصرها ووقاية هذا القطر الاسلامي الذي تخطب ايمته على منابر بالدعاء للخلافة العثمانية ولحامل لوائها والقائم باعبائها وتأمينها له من الاغراض السياسية التي يوجب الدين القويم التحذر منها اذ صدور على مقتضى كتاب الصدارة العظمى المشار اليه مانع لتلك الاغراض لتضمنه وصلة هذه الساحة بالممالك المحروسة واعانة لمعظم القدر العالي على اجراء مصالح هذا القطر التي هي مطمح انظارنا ومجال افكارنا بما جرت به العادة المقررة التي تضمنها اكتاب الكريم المذكور وعلى معارضة من يقصد هذا القطر بما يصادم حقوق الدولة العلية او حقوق معظم القدر العالي والمقطوع به عن جناب الصدارة العظمى التي احلها الله تعالى المحل الرفيع التفاتها لهذا المطلب والقاء للابواب العلية بما هو المعروف من غيرتها الدينية ومحافظتها على حماية الاقطار الاسلامية واستعمار مكارم الخلافة لاتمام ما تفضلت به لهذه المقاصد الدينية ومعظم القدر العالي يعتمد جلالة جنابكم الرفيعة التي يتيقن انها توجه عنايتها لهذه المصلحة التي هي من مصالح المسلمين والاعتناء بها اعتناء بحماية الدين وقد اعدنا هذا المطلب لهذا الغرض الديني وهو وقاية هذا الوطن على ما تعود اهله وبموجب طلبنا له المرة بعد المرة لهذه المقاصد التي منها وصلته بالاقطار المحروسة نري اني وفيت للدين وأهله بما اوجبه الله تعالى من رعاية مصالحهما وارتفعت عني المسؤولية في ذلك عند الله تعالى وعند عبده والمحقق من جلالة الدولة العلية ان تسمح بتلك المقاصد لعامة المسلمين فضلا عن قطر لها به حقوق مبرعية وعن عبد نعمتها الذي تقلب هو وسلفه في خدمتها والمقام الذي احل الله فيه الصدارة العظمى يوجب عليها الاعتناء بمصالح المسلمين وترغب جلالة الخلافة العظمى في حماية اقطارها واتباعها المخلصين ودوام مرضاتها على عبد نعمتها الشاكر بفضلها وفضل سلفها الائمة المهتدين والله سبحانه المسئول ان يمدكم باعاقته على عز الاسلام وتخليد المآثر العظام ودمتم الخ وكتب في ٥ صفر الحير سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين .

« ١١ »

تعريب الرقيم الوارد من دائرة الوزارة العظمى الى سمو الباي

في ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٨٨

الحمد لله ان اعظم ما في امال مولانا امام المسلمين خلد الله سلطانه انتظام ممالكه وتوابعها في سلك الامن والسعادة وان تكون الالة التونسية التي هي وديعة تحت ادارتك ايضا كذلك ويرى اعزه الله حسم ما كان يخالف موجبات الامن والراحة من متعلقات ادارتك العلية ومما هو مندرج في طبي

المتبوعة والذي اوجب هذا النظر الدقيق السلطاني من مولانا اعزاه الله هو نازلة الطليان التي تكونت بتونس المستفاد اضعافا على احسن حال من الدولة المشار اليها بواسطة سفيرنا المقيم بها للصدقة الجارية بيننا وان المسئول عليه من هذا الحادث وغيره ان ادارتكم في اكثر الخصوصيات صارت غرضا لمشكلات صعبة تدعو الى ضرر خطير وفي هذا الباب لم يبلغ الدولة العلية خبر صحيح يعتمد عليه والا كان بالمذاكرة لم تبق معاملات الالة تحت يد تحكم الغير ولا تخرج الامور عن دائرة العمود الحالية والاصول العمومية فكان الاهم والا لزم اعلامكم الدولة العلية بالنوازل الحالية معها عرضت والذي يناسب الحال الحاضر آن هو ان تنتخبوا امينا من طرفكم يعتمد عليه وترسلوه للمذاكرة معه اعزاه الله فيما تقتضيه المصلحة في دفع ما يتوقع من الحضرات المأخوذة بتسهيلات مولانا وهذا ما اقتضاه امره العلي وارادته السنية بادرننا في اعلامكم به والسلام

« ١٢ »

تعريب الرقيم الوارد من طرف الصدارة العظمى إلى سمو الباي

في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨

الحمد لله ان معروضكم الخصوصي المحتوي على ارتباط الالة التونسية وعامة اهاليها بالسلطنة السنية وممالكها وعلى لزوم تأييد وتجديد حكم متبوعيتها القديمة وغير ذلك من تفاصيل وافادات من هذا الباب وصل يدودكم مصحوبا بكتب اخر من ذوي السعادة مصطفى باشا وخير الدين باشا وقد فك ختامها في المجلس الخاص وقرئت على الانفراد بمحضر الوكلاء ثم عرضت على الاعتاب الملكية هذا وقد كانت فذلكه هذه التحريرات عبارة عن البحث في احوال الالة الحالية وما نالها من المضار المجزوم بتاثير هلاكها وما اصاب اهاليها منذ مدة من العسر وما يشعر بالامل في استجلاب موجبات العمران والتشبت بسبابه كما انه عبارة ايضا عن طلب ما وعدكم به مولانا اعزاه الله من اصدار فرمان يكون به تامين الالة داخلا وخارجا، ولما كان من مقتضيات ما تخلق به مولانا من السجيا الحميدة حب السعادة لكم ولذويكم ولما هو تحت تصرف ادارتكم مع بذله اعزاه الله الهمة العلية في جلب ما يتم به لكم نصاب الامن والراحة

وكما يعلم بان ذلك ترتب في ذمته وتحتم عليه وانه من الحقوق المقدسة السلطانية يعلم ايضا ما به اقتضاهم من اللياقة وما اتم مفطورون عليه من حسن الطوية من اشارة الباهرة مع علم بانكم تعلمون ذلك علما يقينا وان لا تكون سعادة الالة التامة وسلامتها الا بالتمسك والاعتماد بعروة الخلافة الوثقى وبناء على ما اوجب ذلك من الحظوظ الصحيحة من مولانا يتوقع التردد في تفضاه بالفرمان السالف الذكر غير ان من ذلك الوقت الى الآن فاحوال العالم التي لا حاجة في بيانها

والتغييرات الوقتية زادت في اشكال معاملات الايالة الخارجية زيادة كلية والآن يرى من اللازم دفع ما تسبب عند الشكوك والاشتباهات كما يرى من اللازم تامين وتاييد ذاتكم وذويكم ويوضح ما لكم وعليكم من الحقوق المصدقة والمقدسة السلطانية بصورة كافية شافية بالفرمان المطلوب وان كان حصول هذا المقصد الاهم لا يتاق بالرسائل والمكاتبات كما افدناكم برقيم قبل هذا بل لا يكون الا بارسالكم رجل عمدة او رجلين للذاكرة معه في تاسيس مابه الامتياز المطلوب الادارة والمعاملات الآتية وتسويتها بالاتفاق وقد استنسب ذلك وصدرت به الاراد الملكية وفي نفس الامر لا شبهة في اوليتكم بالمواقة والتصريف ولذلك اكتبنا بيان الحال فقط والنظر الاعلى لكم والسلام

« ١٣ »

تعريب الرقيم الوارد من الصدارة العظمى الى جناب الوزير الاكبر

في ٢٩ ربيع الثاني - سنة ١٢٨٨

الحمد لله - ان كتابكم المتضمن حرصكم على الفرمان الذي وعدتم به عام ٨١ ليكون به دفع ما عسى ان يقع من المضار وصل يد ودودكم وقرىء وفهم بكمال الامعان وبعد استيعاب ما اشتملت عليه معانيه في المجلس الخاص عرض على الاعتاب المملوكية وجملة الملاحظات التي هي ثمرة الدراية والحمية وقعت من مولانا اعزة الله موقعا زائد الاستحسان ولما كان ذكر ما رفع هذا الطرف ليس الا تكرار لحظ اذ هو بين بالتحريير المرسل لصاحب الولاية اعرضنا عنه وارادنا بهذا الرقيم مجرد تاييد مباني الخلوص والموالاة والسلام

« ١٤ »

مثله بصفه من الصدارة العظمى لجناب الوزير المباشر خير الدين

.....

فوقع اختيار الحضرة العلية على خير الدين ليكون ذلك الرجل العمدة الامين المطلوب ارساله لدار الخلافة . ولدينا امران عليان في هذا التعيين احدهما مؤرخ في العشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ والآخر مؤرخ بالعداي بالحادي والعشرين من الشهر نفسه وكلاهما مختوم بالطابع السعيد ومحلى بالامضاء الشريف ومذيل بامضاء الوزير الاكبر مصطفى خزندار ولما كان النص متغيرا نوعا ما رأينا نشر الامرين مع اردافهما بنص المکتوب السامي الصادر لحير الدين في تحديد ماموريته وبه نجد ايضا بيان المقصد من تحرير امرين اثنين في التفويض (ننشرها في العدد القابل ان شاء الله)

الشرف الحسيني بالقيروان

والكلام على آل عوانة

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد

العوانيون نسبة الى جدهم عوانة بن حمود بن زياد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن سيدنا الحسين السبط شهيد كربلاء سنة ٦١ . لا يخفى ان عليا الرضا من فضلاء آل البيت وانه هو الذي زوجه المأمون العباسي ابنته وعهد اليه بالخلافة وضرب الدنانير والدراهم باسمه وبذلك استمال القلوب وامتلكها وانه توفي بطوس سنة ٢٠٣ ودفنه المأمون الى جنب ابيه الرشيد . وهو الجد الثاني لعوانة المذكور .

وفي شهر رمضان عام ٣٣١ شهد عشرة من خيرة فقهاء عدول القيروان ومشاهير فقهاءها على

الترتيب الآتي وهم :

« ١ » ابو زيد عبد الرحمن بن عمر بن علي بن عامر التميمي « ٢ » وابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي زيد (١) - « ٣ » وابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (٢) - « ٤ » وابو اسحاق ابن ابراهيم بن محمد السباعي (٣) - « ٥ » وابو اسحاق ابراهيم بن علي القيسي « ٦ » وابو النما كثير بن عمر بن كثير القيسي « ٧ » وابو العباس احمد بن عبد العزيز الصديفي الجعدي « ٨ » وابو محمد عبد الصادق بن عبد الله الازدي « ٩ » وابو الحسن علي بن عبد السلام بن اخي حجون القرشي « ١٠ » وابو موسى عيسى بن عبد الحميد البلوتي . تلك عشرة كاملة شهدوا في رسم نصه : شهودة يشهدون بمعرفة الفقيه (٤) ابي العلا سالم بن ابي مروان عبد الملك ابن ابي موسى عيسى ابن الشيخ الفقيه (٥) الصالح ابي العباس احمد بن عوانة القرشي الحسيني المعرفة التامة وهم يشهدون مع ذلك انه لم يزل ينتسب الى هذا النسب الشريف حائزاً له ولم يزلوا يسمعون ذلك سماعاً فاشياً مشتهراً من الثقات العدول وغيرهم ان ابا العلا سالما المذكور قرشي حسيني ولا يعلمون احداً طعن عليه فيه منذ عقلاً الى حين التاريخ قيد (٦) على ذلك كله شهادته هنا بتاريخ شهر رمضان المعظم عام

(١) هو صاحب الرسالة والنوادر (٢) المعروف بالقاسي فقيه القيروان ومفتيها (٣) السباعي الشهير ضجيع سخزون اليوم (٤) ناهيك بشهادة ابن ابي زيد والقاسي ومن معهما له بالافقه الذي نازع بعض الفقهاء في وصف ابن ابي زيد نفسه بالفقيه وانه لا يستحق في ذلك العصر أن يوصف به ووصف في موضع آخر بالعدل ايضاً (٥) ناهيك بقولهم الفقيه الصالح وما يدل عليه هذان الوصفان في ذلك العصر الزاهر (٦) فاعل قيد هو قوله عبد الرحمن بن عمر الخ كما هو المألوف الى اليوم في قول العدل شهد الخ

احدى وثلاثين وثلاثمائة، ويليه اسماء اولئك العدول العشرة بخطوطهم ونصه على الترتيب المتقدم عبد الرحمن بن عمر بن علي الى آخر اسم العدل العاشر ويليه قول عدول هاته النسخة من هذا الاصل بما نصه : هذه نسخة ذلك كاصلها فلو قوبلت به فكان سواء ممن وقف على الاصل المنتسخة منه هذه النسخة وعان شهادة ابي زيد عبد الرحمن وذكروا اسماءهم على الكيفية (١) والترتيب المتقدم وبالكفى عنده المتقدمة وقالوا اثر قولهم وعان شهادة الخ مكتوبة بموضعها منه وعلم انها شهادتهم بخط ايديهم لا شك في ذلك ولا ريب وانهم ماتوا على العدالة وقبول الشهادة وقيل على ذلك شهادته على ذلك كله بتاريخ العشر الوسطى من شهر شوال عام ثلاثة وعشرين وستمائة شهد علي « ١ » بن عبد الله بن قاسم بن مصيلة الهواري « ٢ » وصالح بن حسن القرشي ويحيى « ٣ » بن عمر بن عبد الرحمن المدحجي « ٤ » وعبد الرحمن ابن ثابت التميمي

فشهود هاته النسخة والمعروفون بخطوط عدول الاصل اربعة من ثقات فقهاء عدول القيروان المشاهير في أول القرن السابع زيادة عن العدول الآخرين آتية اسمائهم اذ هذا الثبوت الاصيل اخذت منه هذه النسخة في هذا التاريخ وبهؤلاء العدول المذكورين وبشهادتهم وقبول الشهادة منهم حتى لوفاتهم .

واخرجت منه ايضا نسخة اخرى وعلى هذا النمط مؤرخة بفرقة ذي القعدة عام ٦٧٨ بشهادة العدلين ابي عفيف صالح بن حسن القرشي وابي زيد عبد الرحمن بن ثابت التميمي المذكورين لمن طلبها منهما من مستحقيا .

ونسخة اخرى ايضا مؤرخة بالعشر الاول من شهر محرم عام ٦٨٢ اثنين وثمانين وستمائة بشهادة العدول الاربعة الآتية اسماءهم وهم الفقهاء اسحاق بن ابراهيم بن يعقوب الدهماني ومحمد بن ابراهيم بن عمر بن عبد العالي الربيعي وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي دلف وعبد الرحمن ابن محمد بن علي الانصاري . ونسخة ايضا مؤرخة باوائل جمادى الاولى عام ٧٩٧ بشهادة العدلين محمد ابن عبد الواحد بن عبد السلام الدهماني ومحمد بن عبد العزيز بن ابي الرجال الربيعي . واخرى مؤرخة باواخر جمادى الاخرة عام ٨٣٧ بشهادة العدلين بالقيروان في التاريخ المذكور الفقيهين الشيخ خليفة ابن احمد بن ناجي التنوخي واحمد بن محمد بن مخلوف التوزاني . (يتبع)

« محمد طراد »

(١) هاته الكيفية وهو تلقي شهادات الشهود والشهادة من العام مثل هذا الثبوت تقع بغير اذن القاضي ودامت على ذلك حتى للدور الحفصي فصار يضع القاضي عقدة أمام الحمدلة موضع الطابع اليوم ولا يذكر اسمه في الرسم

لا عزاء بعد ثلاث

ورد على ادارة المجلة المكتوب الآتي من العالم
الفاضل الشيخ بن باشير الرابحي امام وخطيب
جامع سيدي محمد بلدة الزحولة ونصه :

فضيلة الاستاذ العالم النحرير الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير « المجلة الزيتونية » والمدرس من الطبقة الاولى بالمعهد الزيتوني المعمور والخطيب الثاني بجامع « حمودة باشا » السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وعلى اسرة المجلة الشريفة . وبعد فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو واساله ان يبيحكم الخدمة دينه وارشاد خليفته ءامين ، سيدي اني - والحمد لله - شغوف بمطالعة دواوين العلم ولوع بقراءة المجلات العلمية الدينية لا سيما « المجلة الزيتونية » ذات البحوث القيمة والفصول الممتعة وكيف لا وهي تصدر تحت اشراف هيئة عليية راقية ضربت بسهم وافر في تعليم العلم وانارة فكرة الشباب . وقد زادها جمالا وبهاء ما يحبره ذلك القلم السيل قائم مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي حفظه الله وادام النفع به . ولقد تسبعت كتاباته كلها لاكثر من ذلك المورد الصافي والمنهل الآفي والدواء الذي هو لكل داء شافي . غير ان شغفي بكتاباته ومتين استدلالاته ووفور علمه وسعة اخلاقه يجعلني في مامن مما عسى ان يكون ممكن الوقوع عند ابداء ملاحظة سبق بها قلم الطباعة وكنت - علم الله - اترجى ان يستدرك ذلك فطال الامد ولم يقع شيء من ذلك . فقد جاء في الجزء الثاني من المجلد الثالث تاريخ شهر ذي الحجة ١٣٥٧ - فيفري ١٩٣٩ صحيفة ٦٠ في المقال المعنون بـ « لا عزاء بعد ثلاث » وبعد ان قتل الموضوع بحثا وتديقا قال بعد كلام « ولم يسمع في كلام العرب اطلاق لفظ العزاء على معنى التعزية » . والصواب خلاف ما ذكر : فقد قال الامام الحافظ اللغوي شرف الدين النووي في كتاب « تهذيب الاسماء واللغات » من ص ٢١ والجزء ٢ ما لفظه « والعزاء اسم اقيم مقام التعزية » وعزاء للزهرى اه بالحرف . ومنه في كتاب التسمية ص ١٠٤ قال « والعزاء بالمد اسم اقيم مقام التعزية » ذكره النووي اه فادرنا بعرضه على فضيلة مولانا شيخ الاسلام أبقالا الله فاجاب عن توقف الشيخ الرابحي بما نصه :

تحقيق معنى لفظ العزاء

الى ابني العزيز الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي المدرس من الطبقة الاولى وصاحب المجلة الزيتونية حفظه الله تعالى ، تحية طيبة مباركة ، قد اطلمت على الاشكال الذي ورد اليكم من الشيخ ابن بشير الرابحي الامام بلدة الزحولة من القطر الجزائري الذي يقول فيه « لقد جاء في الجزء ٢ من المجلد ٣ صحيفة ٦٠ في المقال المعنون (لا عزاء بعد ثلاث) ما نصه : ولم يسمع في كلام العرب اطلاق لفظ العزاء على معنى التعزية . وقد قال شرف الدين النووي في كتاب تهذيب الاسماء واللغات خلاف ذلك ولفظه « والعزاء اسم اقيم مقام التعزية وعزاء للزهرى اه بالحرف »

وقدر ايته حقيقا بالاشكال ، لما وقع في كلام النووي من الاختزال ، فصاغ به كلام الازهرى على غير مثال ، اعلم ان كلمات ايمة اللغة قد اطبقت على ان العزاء اسم بمعنى الصبر وهو من الناقص البائي

وفعله كرضي ولم يسمع مصدره القياسي اي بوزن رضى كأنهم استغنوا بالاسم عن المصدر، واطبقت على ان العزاء يطلق في مادة اخرى مصدرا لفعل عزا الناقص الواوي (وياتي ايضا ياويا بقله) وذلك بمعنى النسبة يقال عزوت هذه القصيدة الى فلان عزوا وعزاء .

وقد روي حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يتعز بعزاء الله فليس منا (١) قال ابن مكرم في لسان العرب اي من لم يدع بدعوى الاسلام فيقول يا لله أو يا للمسلمين (يعني انه من عزا الواوي فالمراد النهي عن الاستصراخ بالقبائل وهو دعوى الجاهلية) ثم قال قال الازهري (٢) له وجهان (يعني لمعنى الحديث) احدهما ان لا يتعزى بعزاء الجاهلية ودعوى القبائل ولكن يقول يا للمسلمين والوجه الثاني ان معنى التعزي في هذا الحديث التأسي والصبر ومعنى بعزاء الله اي بتعزية الله اياه فاقام الاسم مقام المصدر الحقيقي وهو التعزية كما يقال اعطيته عطاء ومعناه اعطيته إعطاء اه وقريب منه في النهاية لابن الاثير غير معزو الى الازهري والازهري لم يذكر هذا في كتاب التهذيب له في اللغة بل في كتاب شرح مختصر المزني في الفقه الشافعي فهو وارد في مساق شرح وتاويل لا في مساق بيان الالفاظ اللغوية . وليس واردا مورد النقل وقد فرض احتمالين في الحديث وحاصل الاحتمال الثاني ان لفظ العزاء الذي هو اسم مرادف للصبر اقيم مقام مصدر تعزى على وجه النيابة بطريق التوسع ولذلك قال فاقام الاسم مقام المصدر الحقيقي فدل على انه ليس بمصدر حقيقي بل توسعي اي بقرينة وقوعه بعد قوله لم يتعز . والتوسع باب في كلام العرب يشبه باب المجاز وهو استعمال الكلمة في غير معناها الموضوع له لا على طريقة المجاز بل توسعا في الكلام للتخفيف او نحوه فالفرق بين التوسع والمجاز بشيئين هما عدم العلاقة في التوسع بخلاف المجاز وكون القرينة في المجاز قرينة مانعة والقرينة في التوسع قرينة معينة فقط . فالنوعوي نقل كلام الازهري مبتورا مخوفا منه ما فيه من العبارات المحررة فالوهم ان التعزية من معاني لفظ العزاء ولم يذكر الحديث الذي تاوله الازهري على ان قول الازهري « اقيم مقام التعزية حارس من توهم ان العزاء مرادف للتعزية اذ لو كان مرادفا لما استقام قوله اقيم مقامه . ولو كان الازهري يريد بذلك اثبات معنى التعزية لكلمة العزاء لكان نقلا شاذا لم يسبقه به احد من ائمة اللغة وليس الازهري في عداد الائمة الذين تقبل افرادهم ، المذكورة جماعة منهم في النوع الخامس من كتاب المزهرة . ولو قبلنا منه هذا الفرد لكان اطلاق العزاء على معنى التعزية من غريب اللغة غير المشتهر بين نقلة اللغة وذلك ينافي وقوعه في كلام افصح العرب صلى الله عليه وسلم اذ الخلوص من الغرابة من جملة معنى فصاحة الكلمة . وايضا فكلام الازهري لو اخذ على ما يلوح منه اول وهلة لكان قصاراه ان هذا احتمال في الحديث والمعاني اللغوية لا تثبت بالاحتمال بل يتعين في اثباتها ايراد شاهد لا احتمال فيه او ايراد شواهد كثيرة ظاهرة في المعنى المثبت وان كانت فيها احتمالات ضعيفة تدحضها كثرة الظواهر على نحو ما قرره علماء اصول الفقه في خبر الواحد

الخيال

في الأدب العربي

بقلم الأديب الشيخ أحمد المختار الوزير
المعلم بمدرسة ترشيح المعلمين

قلنا في حديثنا السابق إن الخيال هو العنصر النفسي القوي اللازم لتكميل الفن وإبرازه في أشكاله والوانه المختلفة . واذكر اني وعدت حضرات القراء الكرام باستعراض مثالا لهذا الفن الذي ابدع في تنسيقه وانسجامة الخيال الحصب كل الابداع

فهذا ابو عبادة البحرري استطاع ان يحرك في نفوس قرائه عاطفة حزينة باكية مشبوبة اللوعة . فحضره الحسرة . بقصيدته الخالدة التي رثى بها المتوكل وما ذلكم الا لانه استلم خياله . فاملى عليه صورا عميقة قوية التأثير واضحة الظل والضياء . عرضها البحرري في شعرة عرضا موسعا . با له خطرا العظيم في الالهام والتأثير . فاستمعوا له اذ يقول وقد هدت ركنه الاحزان وابكت جفنه الحسرات واضناه الاسف اللهيف وقيدته الحيرة الذاهلة :

محل على القاتول اخلق دائره	وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره
كان الصبا ثوفي نورا اذا انبرت	تراوحه اذيالها وتباكركه
ورب زمان ناعم ثم عهده	ترق حواشيه ويورق ناضره
تغير حسن الجعفري وانسه	وقوس يادي الجعفري وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءه	فعادت سواء دوره ومقابره
اذا نحن زرنه اجد لنا الاسى	وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم انس وحش القصر اذ ريع سربه	واذ دعرت اطلاؤه وجادره
واذ صبح فيه بالرحيل فتهكت	على عجل استاره وستائره
ووحشته حتى كان لم يقم به	انيس ولم تحسن لعين مناظره
فاين الحجاب الصب حيث تمنعت	يبهته ابوابه ومقاصره
واين عميد الناس في كل نوبه	توب وناهي الدهر فيهم وآمره
حلووم اضلتها الاماني ومدة	تناهت وحفت اوشكته مقاديره

هذه ايات من مرثاة البحرري تنعمر وانت تلوها بصوت واضح النبرات او تطيل اصاتك

لسماعها - كأنك تقف مع البحري وقفة الباكي الحزين تشهد ما كان يشهده من هول الخطب وكأنك معه بحسرات قلبك وعبرات طرفك في كل ما ألم به من سوء صروف الدهر وشرور ملهاته المشجبة المروعة أهمل ترى البحري استعان بشيء من الخيال في تصوير نفسه البرة ومحبة الخالصة وعهد وفائه الوثيق ثم في تصوير مصيبته الفاجعة ومحنه الفادحة ؟ وهل كان البحري ليستعين بوحى خياله الخصب الا ليهون حدة الالم الذي ينتابه ويساوره ويتظفر بخالبه الدامية في مداخل كل عضو من اعضائه ؟ فابو عبادة البحري كان دون شك يشعر بالالم شعورا حادا عنيفا وكان يلتمس السيل الى الترويح عن نفسه من ضيق هذا الالم العاصف، فطلق برثائه الذي سمعناه وما اظن الا انه احدث اعظم اثر في تموج شعورنا العاطفي .

وسل ما شئت بعد هذا كله هل في مرثاة البحري ما ينسب الى تكلف التشبيه وصيد الاستعارة الغريبة النائية، وما ينسب الى التزوير والتلفيق والحشو الذي الفه شعراء المراثي فالسماء ما زالت تظل الناس، والشمس ما زالت تظهر في تلميح اشراقها وضياء نورها، والقمر ما زال وضياؤه يسامر النجم ويناجي الشعراء والارض ما زالت على عهدا السابق لم تدمرها الزلزلة ولم تحطمها الصاعقة والجبال لم تنسف ولا اندك شيء من شاهق صروحها واعالي عروشها ومرثاة البحري على خلوها من هذه الغرائب تصور نكبة القصر وفاجعة الخطب ورزية الموت في ابلغ عبارة واضحة واسلوب رصين فيه من القوة ما يثير كوامن الاشفاق والرحمة والحزن الشديد، بل قل ان بيتا واحدا من مرثاة البحري يكفي لاثارة ما اراد الشاعر اثارته في نفوس السامعين وهو هذا البيت :

ولم انس وحش القصر اذ ريع سربه واذ دعرت اطلالؤه وج ذره

فلو ان البحري استعرض في مرثاته صورة اخرى بدل هذه الصورة فحدثنا عن الفة الناس الذين كان يجمعهم القصر ويضلمهم برواق السعادة ويكتفهم بخيرات الترف وبركات النعيم وكيف صارت تلكم الالفه الجامعة الى الفرقة والشتات والى ضلال الفزع وذهول الحيرة لما بلغ تاثير البحري هذا الحد البعيد في غوره ومداه.

صدقوني اني لاجد في استعراض هذه الصورة الكاملة من مشيرات الحزن ودواعي الحسرة وبواعث الاشفاق والرحمة، اثرا عظيما تضج به النفس وتضطرب له اشد الاضطراب

ليس هذا البيت رمزا يدل في سر وقوة على كمال المعاني الانسانية وسموها في نفس الشاعر؟ ان رحمة الانسان بالانسان لا تحد ومن سوء الفهم لمعاني الانسانية الكاملة ان يحاول المرء تحديد شعوره السامي الذي يدفعه دفعا الى الرحمة والترفق، وكل حد يجعل نهاية قصوى لتحديد ما يتولد عن هذا الشعور من قول وعمل ومن سعي متدارك وبذلك جديد يكون دون شك بشرا لهذا الشعور قاضيا بفساده او بتلاشيه وتلفه، وليس يحمده الشاعر ان هو قصد الى تصوير هذا الشعور

الانساني فأظرة في مظهر قاصر محدود . يتناول الانسانية مترقفا باخيه الانسان ليس غير ، اذ ان الشاعر ينزع الى استحضار المثل العالية ورحمة الانسانية لا تحد باي مثال مهما كان رفيعا عاليا . ما لم تتسع حدود محيطه ويبعد في استغراقه وشموله . ولقد تفتطن نبوغ البحري لهذا وادركت عبقرية انه ليس من فضل الانسية ان يرثى لهؤلاء الذين تعست حالهم من العذاري الحسان ومن جوارى القصر والصبايا والفتيان رأى انه ليس من الفضل في شيء أن يرثى لهؤلاء ولا يرثى لحال غيرهم فتسامى به الخيال والشعور الانساني الكامل الى استعراض هذه الصورة التي جعلت شعورنا يفيض متفجرا ويم بفيض غمراته الانسان والحيوان .

الخيال الاستحضاري والخيال الابتكاري

ويحسن هنا ان نلم بايسر تعريف الخيال اذ لعلنا على ضوء هذا التعريف الجامع نستطيع ان نتبين اقسامه وان نستوضح خصائص كل قسم وان نعريف الى اي حد نتصل هذه الاقسام بقوة الادب وضعفه ويكفي ان نذكر في تعريف الخيال : انه جميع العمليات العقلية التي ينشأ عنها استحضار صور ذهنية قد تكون في جملتها قريبة الشبه والمطابقة للتجارب الماضية والمدرجات الحسية السابقة . وهذا ما يسمى بالخيال الاستحضاري . وقد تخرج عن حدود هذا الشبه القريب والمطابقة المماثلة بحيث تكون الصور الذهنية جديدة التكوين وليدة الابداع لا عهد لنا بها من قبل اذ ليس ثمة ما يماثلها في محيط الواقع والتجارب السالفة . ومعنى هذا ان الشاعر بمجرد من هياكل الاشياء نعوها اذا اجتمعت تألف من جملتها مثال مبتكر طريف وهذا ما يسمى بالخيال الابتكاري .

وما من شك ان الادب في بدايته يستند الى ذلكم الطرف الاول اذ به يستذكر الانسان حوادثه الماضية والوان الاشياء واجزاءها وتراكيبها على ما هي عليه وبه يحكي ما حدث ويصف ما كان . وهذا الاستحضار الخيالي يعين الاديب ولكنه لا يكون عنصرا من عناصر القوة الا في نوعي الادب القصصي والوصفي . .

اما ذلكم الخيال الابتكاري المبدع فهو العنصر الذي يسمو بالادب ثم يسمو به الى حيث يخلق في مسابح بعيدة الافاق وهناك يستنزل وحى الهامه من المثل العالية للجمال . وعلى هذا النوع من الابداع الخيالي يقوم الادب الغنائي والتمثيلي . . وعليه يقوم النقد اذ انه يدلنا في صدق وصراحة على اختلاف طبائع الادباء وكبر نفوسهم وعلى شارات كل اديب وميزاته ولونه الذي يرسله على ما يناوله من شتى المعاني والاغراض . (يتبع)

« احمد مختار الوزير »

صفحة من

الادب التونسي

في القدير

من علماء تونس في القرن الثاني عشر وشعرائها الشيخ عبد الله السنوسي المترجم له في كتاب
عنوان الأريب للعلامة الشيخ محمد النيفر ، وللشيخ عبد الله السنوسي هذا ثلاثة أبناء محمد وهو
أكبرهم ومحمد الوسط واحمد اخذوا العلم عن والدهم قال العلامة الشيخ ابن أبي الضياف في شأنهم ،
كانوا على درجة عليا في العلم والفضل وأكبرهم آية الله في الشعر والأدب وشعرة يسع ديوانا
معروفا عند أهل الأدب وأوسطهم آية الله في الفقه والتصوف ، قال : ولم أقف على تاريخهما ، أما
أصغرهم فقد ترجم له وفيما يظن أن أكبرهم وهو الشيخ السنوسي توفي على رأس القرن الثالث عشر ،
ومن شعرة ما هنا به النجم ابن سعيد حين حتمه لكتاب الشمائل ونصه :

أرى ربع من أهواء غير بعيد	فها هو مني مثل جبل وريد
فموجا قليلا بي لعلي اشتفى	بسكب دموع فوق صحن خدود
حكى صوبها صوب الغمام اذا همى	وصوت زفير القلب صوت رعود
على انه لم يجدني سكب عبرتي	على طلل عاف بطول عهد
وفي كبدي نار يشيب لبيها	ليتهم لم تتصف بخمود
يرى الشوق جثمانى فصار من الضنا	دقاق عظام ضمنت بجلود
ولم يبق في جسمي سوى رمق غدا	دليل حياة مؤذنا بوجود
ولم يشني عن جهنم طول نأيم	ولم اسلم طول الحياة بقيد
فحبهم وصفني وبني قام لازما	كما قام وصف العلم بابن سعيد
هو العلم السامي الامام محمد	سليل علي ذو الوفا بوعود
ومن اسعد الراحين نيل علومه	بفهم ورأي صائب وسديد
وقد قيد العمر المديد حياته	بحل عويص او بقيد شرود
فلا جدة اغتته عن حب نائل	ولكن لزهو في دناء شديد
ومن جعل العلم المشرف بازيا	لصيد العطايا كان غير رشيد
وما هو الا للنفس مكمل	وليس سهيلا للانتقام نريد

فمن شاء وصف العلم فليك هكذا
 حويت ابا عبد الاله شمائله
 فغادرت كل الحاسدين كأنهم
 كختمك في يوم شمائل احمد
 فكن ذا فخار ماشيا تحت راية
 وتحت لواء المصطفى يوم محشر
 كافي بمرأى منك حقا ومسمع
 حديثا باسناد صحيح رويته
 وانك ذو لفظ شهى مذهب
 يحاكيه لحن الموصلي وزلزل
 فكيف اذا تروي الحديث معنعا
 ولولا وداد منك صح مصاحبا
 لما ملت يوما للشاء على امرء
 فشعري ذو ود لاهل مودتي
 فودي الى طول المدى ليس ينقضي
 فاجابه العلامة ابن سعيد (١) بقوله

لمن طيبات في معاجر سود
 وغير بعيد ان يكن اوانسا
 هزرن قدودا ثم قلن الى القنا
 وأسفرن عن در يقول ابسامه
 وابرزن رايات الخدود وقلن لي
 خليلي لا اخفيكما الحال اني
 والا فما بالي كان محاجري
 ولم أر نيرانا حوائلي تلتظي
 على انها لم تلقني بقطيعة
 سقى باتيها غاديات يسوقها

تركن اسود الحي غير أسود
 اتين الينا من جنات خلود
 تاخرن ما فيكن مثل قدودي
 عقود النجوم الزهر دون عقودي
 اياعم هل في الروض مثل خدودي
 اصبت بها في اعظمي وجلودي
 بمرتميات الدمع واد زرود
 وفي القلب مني حر ذات وقود
 ولا اعترضني في ثياب صدود
 تبسم برق لابلكاء رعود

(١) هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن سعيد صاحب الحاشية الجليلة التي كتبها على الاشعوني

وغيرها المتوفى سنة ١١٩٩

والا دموعي الساريات كانها
والا يراعات تسيل مياها
يراعة مولانا الرئيس الذي به
اخو اللفظ احلى من عتيق مدامة
اذا هال القى فيه شعلة قابس
من القوم لا يلقاهم زائر لهم
على انهم في العلم والحلم والحجى
ابوه الذي الحمى تخاف بجوده
واغلب فخر من يكون مفاخرا
ايا سيدا ادركت في خلواته
ويا فاضلا شاهدت في جلواته
تأن فقد غادرت من كان لاحقا
وخل من العليا قليلا فانها
وقم لنقود من حبيب عهده
اتبعت لي بالشمس والبدر ثم لا
وترسل لي بالشهب لماعة ولا
فهبني قد انكرت فيما بعثته
وكثرت حسادي على أنني امرء
على انني لا استطيع لك الجزا
نعم سوف تجزى من شمائل احمد
قدم انت والاجاب في خير رفعة
اذا ما اذيلت خافقات بنود
فتشئ روضي نرجس وورود
عرفنا لساني جرهم وثمرود (١)
واهبج من ربا المخلخل رود
وان هال القى فيه نقحة عود
سوى فرقتين رقع وسجود
وبذل العطايا نيرات سعود
وهل عرفت حمى تخاف بجود
به وبآباء له وجدود
جنود جنيد في جنيد جنود
صعود سعيد في سعيد صعود
كانك قد قيدته بقيود
غدت عن جميع الناس ذات ندود
على وفق ما ترضى بغير نقود
تلفمها في سابغات برود
توصي رسولا جاءني بجودود
ايوزهم فيها قيام شهود
رماني حسود فوق كل حسود
وان جئت من خير الثنا بوفود
(٢)
وخل الاعادي في اذل ركود

« انتهت »

(١) يظهر من هذا البيت ومن بعض ابيات القصيدة التي هذه جواب عنها ان قائلها كانا قرينين فليست تلك تهنة من تليد لشيوخه بل من تهنة صديق لصدقه خصوصا ووفاة الشيخ ابن سعيد كانت سنة ١١٩٩ في حال شببته والله اعلم .

(٢) يياض بالاصل الذي بين أيدينا فالرجاء من السادة الادباء اذا عثر احدهم على عجز البيت أن يرسله الينا لنقدمه لقراء المجلة ونحن له من الشاكرين

ديوان

أبي عبد الله محمد الورغي

المتوفى سنة ١١٩٠

مدير المجلة

يحيى الشاذلي القاهي

تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العالم اللغوي الشاعر المفلق مفخرة زمانه ابو عبد الله محمد بن احمد الورغي الكاتب المتوفى سنة ١١٩٠ يخاطب الجناب العالي جناب سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر اشواقه الى زيارة قبره الشريف ويشير الى شغف الامير المولى على باي ابن المولى حسين باي بالحديث واجلال اهله واختصاصه بمؤانسه اهل العلم ومسامرتهم واستلذاذه بذلك

احمد لله الذي جعل الحديث النبوي امانا من المخاوف . كما جعله مبنى للنجاة ومنبعا للمعارف . وصلاته وسلامه الاتقان على من ختم به الرسالة . كما اثار به الحق وطمس به الضلالة محمد سيد العالمين وملجأ الشقلين . وعلى آله وصحبه البالغين في نصرته . المتأثرين على اعلاء كلمته . وبعد فان العبد الفقير . تطفل على باب اللطيف الخبير . بمدح رسوله سيد البشر . بما امكنه من القول وحضر . هدية قدمها بين يدي نجواه . فيبلغ كل من حضر هذا المحفل مناه . ببركة هذا المختتم العظيم . في هذا المقام الكريم . والوقت الذي ينزل فيه النعيم . من الرحمن الرحيم . فقلت مخاطبا لذلك المحبيب . وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب

فهل يبلغ المقصود منك عياني
مشت من ذرى العليا باي مكان
بعينيك او مرت بها القدمان
لذي صبوة صبت عليه امان
ويقعدني عنها شحيح زماني
لنحوك هم القلب بالطيران
بقيمة طرف للجنوح يدان
بساحة فتج الله حر هجان
فتصغى ولا تعبي من الوخدان
تقصر طول الخطو بالنزوان
لتنزل من بعد على صلتان
ففي (المحرس) التعريس بعد ثمان
(طرابلس) مرت بشير عنان
لبعض وان طال المدا متدان
يطيب وقلبي للبويوب دعاني
ولا في القباب يستقر جرائي
وقبري (لقو) زاد في هيماني
له النبك والاقصاب يلتقيان
ودمعي بذات الدهنوين ثوان
مبادرتي (بدرا) بغير توان
وبير علي عزيمة المتوان

تملا من شوقي اليك جناني
وهل تمسح الاجفان موطن اخص
وهل انظرون يوما بقاعا نظرتها
اماني ما بعد الرضى منك بعدها
يقربها مني رجاء يقيمي
اذا انبعثت من جانب الغرب رقعة
وقلبت طرفا جاري الدمع ماله
ولو امكنت مابت الامعاقا
احدثها عجماء عن طيب نجعتي
وتصبح كالامساء في كل منزل
وتختصر التوديع من قبل (رادس)
اذا ابصرت قصر الفلاحين لاثنا
فان قابلتها (قابس) اودنت لها
لتطوي الى (مصر) منازل بعضها
تقول فما في (البركة) الان مبارك
ولا في ربي الخضراء ثبت منسى
وشوقي لبيس النخل من قبل (ايلة)
كافي اذا جئت (المغارة) حالم
فمالي وللحوراء ينبع دمعها
احن الى مرعى (حين) وه قصدي
لعمري ارى من (رابغ) بعد بزوة

الى مجمع الخالص الى عسفان
بيوت الى البيت العتيق دوان
كفتنا عن الشرطين والدبران
به الوحي والارسال يلتقيان
له من منى عظمى وعقد امان
بايمانهم من اسود ويمان
تخيرها العراف غير سمان
وتزري على الاطواق عقد حمان
تكون كذا فضلا عن الحيوان
يخوضون في بحر من الغشيان
جري طرب الجريال في الشريان
اذا حرر التقدير قيد بنان
تراه فاني ما ارتضيت بيان
معان تكل الفكر اثر معان
يخمن قلبي او يقول لساني
اقامت له الايام سوق طعان
وحاشاك ان يؤذى بعرضك جان
فلست اذا ما كنت لي بمعان
لذي الامر في حب وفي شئان
بذكرك مشغول بكل اوان
توصي بها خيرا بكل حنان
لتجزيه خبرا عن فل وفلان
صحاح على طول المداد وحسان
تخلص من ضيق ومس هوان
اجادها الاحسان خير مكان
باخلاص نيات وبث مثان
وكان بليد القدر من رمضان
تشاهد ما ياتي به الثقلان
وتشمل هذا الجمع بالسريان
ومبني بما يشفي الغليل وباني
وذلك طرا ما التوى الملوان

فاخلص من وادي السويق وعسفه
ومن بطن مرو والمساجد دونها
منازل للسعاد لا غير كونت
بلغنا بها لا بالسماكين مطمحا
مزار يروح الزور منه بما اتوا
اذا ما افاضوا مصدرين ومسحوا
دعهم الى الاقلاع ككوم مسنة
تباري مهب الريح ان قيل طيبة
امن طرب تبكي وحق لصخرة
لذلك ترى الركب المجدين نحوها
سكاري ولكن بالحبيب وذكره
فكيف اذا قاموا ومن دون قبره
هناك فحدث كيف شئت عن الذي
ولا لوم ان افحمت مثلي فانها
اذا مدحته الآي قبلي فما عسى
حماك رسول الله يقبل لاجبا
الى اين ان اغلقت بابك دوننا
اما انك المبعوث للخلق رحمة
ومن شرعك المحمديان نخلص الدعا
وهذا علي ابن الحسين كما ترى
يعامل من جراك املك التي
ويروي احاديثا اليك استنادها
ولا تله الاشغال عن نشر طيبها
ولكن في الجعفي منه محبة
لما انه لما بنا القبة التي
حمى وطها الا بختم صحيحة
فكان ابتداء الختم بدء دخولها
وانت بها يا اكرم الخلق حاضر
عسى نقحة من فيض فضلك تحتوي
فيرجع راو للحديث وسامع
عليك صلاة الله ثم سلامه

وقال يمدح مخدمه الجامع بين شرفي العلم والامارة
المنعم المبرور أبا الحسن علي باشا ابن محمد التركي
صاحب تونس وبينه بعيد القطر

عسى تتردا ما بالجوانح من لفع
على غيرتي عنه غني عن الشرح
وحيدا أسر الخطو في غيب الجنح

أعيد احديث الانس عن ساكن السفح
ويا كما ذكر العذيب فانه
خليلي لا أنسى وقد جئت حيها

تطالعي الجوزاء شزارا وينطوي (١)
وما وطئت رجلي على غير شائك
أحاول منها الفتة لا لريبة
ولولا انتشار النسر من طي ردها
فأيقظها ملبعد (٢) خفق حشاشتي
فوافيت ويا لله كابن محمد
ألا إنه الباشا الذي اعترفت له
مهام إذا عاينته قلت إن من
طوى لاكتساب الحمد كل تنوفة
وأظهر في ذا الملك كل عجيبة
رأيناه لما ودع الصوم راجعا
تطلع من بين الاساطين منها
وقام لاعطاء التحية مقبلا
وابرز للتقبل كفا لو انها
ولا شك أنا إذ لمسنا يمينه
فيا أيها الغيث الذي جود كفه
ويا أيها السيف الذي انقطعت به
فذاك من الاسواء كل مملك
وهنت بالعيد الذي كل موسم
تحاشا وأيم الله عن كل وصمة
فلا قلة من والاك كالزهر باسم
وأنعم بهذا القصر دهرك باديا
سواريه (٤) مثل الغيد أرخت ذوايبا
تري كل بيضاء الاديم توكتأت
شددن على الاوساط حزما كانما
وقمن على دست النضار كأنه
ونمقن أعلى الوجه نقشا كأنه
بدائع أزرت بالبديع وأعمدت
ورام يحاكيا السدير بما له
وكم لك في نشر المفاحر منها
أما يتوقى من يسارك عزمة
بعثت بها للشرق والغرب خطة
فلا زالت تبدي كل حين غريبة

على حق قلب السماء مع النطح
ولا قبضت ككفاي إلا على رمح
واطلب منها نعمة لا على قدم
وبرق ثنائياها ضللت الى الصبح
وقد عاد حرب الدهر فيها الى الصلح
وقد قام للتعييد في ساحة الصرح
ملوك (٣) الوري بالخلق والخلق السمح
سواه من الاملاك من جملة السرح
وأصبح عن كسب الهوى طاري الكشح
يفني بها طير الفخار على دوح
وأقبل عيد الفطر في معرض الفرح
تطلع وجه الرشد من خلل النصح
كما انتصب الركن اليماني للمسح
تممر بمقروح لصح من القرح
ظفر ناكز اليعن من معدن الربح
من السدر والابرز منتشر السح
رقاب بني البهتان من غير ما جرح
سجيته وقف على الجبن والشح
على إثرة أركي واعظم بالنجح
سوى انه قد جاء في أثر الفتح
وواجه من عاداك في غابة القبح
لك البشر من أرجائه عالي القدم
ولولا الحيا مالت حوايك للشطح
على مثلها سمراء في جودة السطح
يرحين أن تدعو الجميع الى الكدم
من الثلج إلا أنه فاقد الرشح
شظايا فتيل الليل في غرة الصبح
مصانم ذي غمدان في حيز الطرح
وأين من السعدان نابتة الطلح (٥)
إذا بلغت شانيك أيقن بالذبح
تميز بعد المزج عذبا من الملح
تخط بها الاقلام مجدك في لوح
تروق النهي بدأ وتختم بالمدح

(١) وفي رواية ويشني - (٢) أصله من العبد حذف النون تخفيفا على حد قول المتنبي :

نحن قوم ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

أصله من الجن (٣) وفي رواية جميع (٤) وفي رواية حواله (٥) السعدان بنت من أفضل مراعي الابل وفي المثل مرعى ولا كالسعدان وله شوك يشبه به حلبة الثدي والطلح شجر عظيم تشككي الابل بطونها من رعيه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها المبعوثون من بلاد المغرب العربي
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء ٨ و ٧ تونس - جمادي ٢٠١ - ١٣٥٨ - جويلية - أوت ١٩٣٩ المجلد الثالث

صاحب المجلة والمدير :

عبد الشاذلي القاسبي

المدرس من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الإدارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بنونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بإدارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير :

محمد مختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الإدارة

نمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلا عدد ٥٧

صحيقة	المقال	صاحبه
٣٠٦	الاحتفال باقهاء العام الدراسي بجامع الزيتونة
.....	وخطاب شيخ الجامع	الاستاذ الاكبر الشيخ صالح المالقي شيخ الجامع وفروء
٣١٠	تفسير آيات من سورة البقرة
.....	الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور	شيخ الاسلام المالكي
٣١٣	حقوق المسلمين على بعضم
.....	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي
٣١٧	التعاقد المتين
.....	العلامة الهام الشيخ محمد الحجوي وزير معارف الحكومة المغربية
٣١٩	رفع اللبس عن خطبة تزكية النفس
.....	الفاضل الزكي الشيخ الجيلاني حمزة
٣٢٣	الملاحى الحبرية
.....	العلامة الجليل للمولى محمد عبد الحى الكتاني
٣٢٥	القضاء الشرعي
.....	العالم المؤرخ امير الامراء الاستاذ محمد بن الحوجة مستشار الحكومة
٣٢٨	بعثة خير الدين
.....	العالم امير الامراء الاستاذ محمد صالح مزالي	عامل بنزرت
٣٣١	الشرف الحسيني
.....	الفاضل الاعدل الشيخ محمد طراد
٣٣٤	محمد (صلى الله عليه وسلم)
.....	الفاضل الزكي العالم الشيخ الطاهر النيفر	المدرس بجامع الزيتونة
٣٤٠	تاثير الادب في رقي الامم
.....	أمير البيان عطوفة شكيب ارسلان
٣٤٦	الحيال في الادب العربي
.....	الاديب الشيخ احمد المختار الوزير
.....	رياض الادب
٣٥٠	قصيدة
.....	الاديب الكبير الشيخ العربي الكبادي
٣٥١	قصيدة
.....	الاديب التابع الشيخ الطاهر القصار
٣٥٢	قصيدة
.....	الاديب الفحل الشيخ بلحسن بن شعبان
٣٥٣	القضاة الشرعيون في القديم
.....	العلامة الشيخ البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة
٣٥٧	مراحل التشريع الاسلامي مكة بين والمدينة
.....	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي
٣٦٢	بحر الانساب (كتاب)
.....
٣٦٣	ديوان الورغي

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية

تصديدها هبة بنت محمد بن قنديل سبي جندب مع الزيتون بن عبد المرحوم

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء ٨ و ٧ تونس - جمادي ١٣٥٨ - ٢٠١ - جويلية - اوت ١٩٣٩ المجلد الثالث

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاهني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمان العدد ٣ فرندات

بسم الله الرحمن الرحيم

في جامع الزيتونة

الاحتفال السنوي العظيم

بانتهاء العام الدراسي بالكليّة الزيتونية العامرة

احتفل يوم السبت في جمادى الاولى ١٣٥٨ وفي ١٥ جويلية ١٩٣٩ بختم الامتحانات بجامع الزيتونة ادام الله عمرانه وقد كان احتفالا بهيجا حضره رجال الدولة الاعلام يتقدمهم الهام الافخم امير الامراء المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة نائبا عن صاحب الكرسي الحسيني الملك المعظم مولانا احمد باشا باي الثاني ادام الله اجلاله وحضره ايضا اعضاء مجلس الاصلاح بالجامع والشيخان المفتيان سيدي محمد العناني وسيدي محمد المختار بن محمود والشيخان النائبان لشيخ الجامع سيدي عبد العزيز النيفر وسيدي الشاذلي الحيزيري والاساتذة بالمعهد والمشائخ المدرسون من الطبقات الثلاث والمتطوعون بالتعليم وتلامذة المعهد ونخبة من سراحة الامة يتوسط الجميع فضيلة الاستاذ الاكبر مولانا شيخ الجامع وفروعه الشيخ سيدي صالح الملقبي وبعد قدوم المولى الوزير الاكبر ومن حضر بمعيتهم من رجال الدولة وتبادل التحيات تلا الشيخ علي بن سالم ربعا من القرآن العظيم وباتّته من التلاوة خطب صاحب الفضيلة شيخ الجامع ثم نودي على اسماء من فاز في حلبة الامتحانات ووزعت المكارم على المبرزين منهم وختم الاحتفال بتلاوة أم الكتاب واتشر عقد المجلس والكل يدعو بدوام عمران جامع الزيتونة بشيوخه الحلة وتلامذته الذين عليهم المعول في حفظ الملة مكسرين همّة فضيلة شيخ الجامع وما يسديه للمعهد من عظيم العناية والسير به في مدارج الرقي المستمر كمال الله اعمال الجميع بالتوفيق والنجاح حتى نرى الكليّة الزيتونية على الدوام من ارقى الكليات العلمية انه سميع مجيب خطاب الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الاعظم

حمد الله تعالى أجل مهم يقصد واشرف غاية، وأهم أمر يعتمد بدءا ونهاية، وصلاته وسلامه على أشرف مرشد وأفضل معلم، المعرب في غير ما حديث عن فضيلتي العلم والتعلم، وعلى آله وأصحابه، المهتمين بهديه والمتادين بآدابه، وعلى تابعيهم من سائر علماء الامة المرشدين، وتابعيهم في ذلك الى يوم الدين وبعد فان السنة الدراسية للجامع الاعظم ادام الله عمرانه، وشيد بمعالم العلم اركانه، آذنت اليوم كعادتها في مثله بالانصرام، يتضوع من ارجائها مسك الحتام، حافظة لما قد حوالة تاريخها للمعهد من

محاسن احاسن، وما ارتوى به وراثة من ماء غير عاسن، وما اهدته حلقى التلميم له من ثمار يانعة، ومجالس لمختلف العلوم جامعة، قطوفها لمجنتها دانية، وخرائدها لمجنتها متدانية، اقتطف المجدون من ثمراتها كل حسب جده واستعداده، واحقق الراسبون فيها واني يظفر مقصر بمراة، وجوزي بها من تنكب الجادة الى بنات الطريق. التي لا يسلم سالكها من اقبحام عقبه او ترد في مضيق، ليعلم الكل ان من جد وجد، ومن توانى فقد، ومن زرع حصد

احتفل اليوم في هذا المجلس الحافل الحاشد بعلية القوم وسراة الامة من وزراء فخام وعلما اعلام واساتذة جلة وشيوخ كرام وذوي خييات من رجال الحكومة وشخصيات بارزة من سائر الطبقات حفظ الله جميعهم تزيه طلعة صدر الصدور ومن اليه المرجع في مهمات الامور الهامم الافخم والعماد المفخم امير الامراء وتاج اكاليك الوزراء المولى الوزير الاكبر ممثل الحضرة العلية والسدة الملوكية ومن له في اعتزاز الجانب العلوي اعلى مزبه حضرة ولي النعم وكرم الشيم ومفخرة العصور والامم المحفوف حملا بسر السبع المثاني سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني صاحب المملكة التونسية لا زالت طلعتة مزدهرة وايامه رائقة هنية عملا بما جاء في الفصل السادس والثلاثين بعد المائتين من ظهيرة المطاع اهتماما منه ايده الله بالهيئة العلية وتنشيطها بايفاد من ينوب جنابه العالي في احتفالها الرسمي وذلك لعرض حالة التعليم وما انتجه المعهد في بحر السنة الدراسية من ترقيات علمية وما قد احرز عليه المبرزون في شهادته بسائر انواعها مما ستعرض له فيما بعد بهذا المجلس مع ذكر اسماء اولئك المبرزين والجوائز المحظى بها من فاق منهم في حلبة الامتحان اظهارا لمزيتهم واستباضا لعزيمة من لم يلتحق بهم من اخوانهم الذين شاركوهم في مهمتهم من كل من كسا به في ميدان الامتحان جواده ولم يسعفه فيه حظه واسعاة راحين لجميعهم بما لنا من العطف الابوي نجاحا متداركا يجبر ما مضى بكم من فاتته الحاضرة فتداركها بالقضا بما سيدلونه من جد في العمل يبلغ به صاحبه غاية السؤل والامل والله الموفق سبحانه لا اله غيره

كنا تعرضنا في مثل هذا اليوم من السنة الفارطة الى بعض واجبات التلميذ والخطبة المثلث التي يجب عليه سلوكها الكفاة بنجاحه والحافطة له في مستقبله واسدينا لهم في ذلك نصائحنا الخاصة مستروحين بما نقلناه عن بديع الزمان الهمداني فيما راسل به حفيده من تلك العبارات الذهبية التي حسن وقعها ساعثذ ولم نزل عالقة باذهان مستمعها الجللة

ونذكر اليوم بمزيد السرور اننا قد راينا آثار تلكم النصائح بادية باقبال تلامذة المعهد على دروسهم وعدم انخداعهم لمن رام ان يكيد لهم ويستعملهم كآلة يتوصل بها لسخيف اغراضه فلم ترج عليهم خزعلاته ولم يجد لدعايته الزائفة بينهم من سبيل بما اظهروه من الثبات وكامل الرصانة وتقديرهم لنصائح المشيخة قدرها التي جنوا اليوم ثمارها وحمدوا مغبتها واثارها (وعند الصبح يحمد القوم السرى) فكان للمعهد بحمد الله في كامل السنة محل الهدو والطمأنينة وباء دعاة السوء وهواة الشقاق بصفقة المغبون

التعليم بالمعهد وفروعه

جرى التعليم بالمعهد وفروعه على مقتضى البرنامج الذي هيأته المشيخة قبل افتتاح السنة الدراسية فكانت الدروس يوم افتتاح المعهد والفروع منتظمة مكتضة بتلامذتها والمراقبة تجري عليهم من حيث الحضور والغيبة من طرف مشائخهم طبق التعليمات في ذلك من المشيخة مع افهام التلامذة بما اصدرته المشيخة في بلاغاتها واعلنت لهم به من ان سائر الترقيات العلمية واجراء الاختبارات والامتحانات عليهم اواخر السنة والمنع من ذلك تنبى على مواظبة التهذيب واقباله على دروسه طبق الملاحظات المتلقاة من شيوخه في ذلك فكان لذلك التقصد اليومي اثره المقصود ووقعت الاجراءات على مقتضى ذلك واعلم اولياء التلامذة الذين لم يسمح لهم بالمشاركة في الامتحانات لتخلفاتهم التي نشأ عنها عدم مزاولتهم لمقررات السنة الدراسية وكان قيام اساتذة المعهد والمشائخ المدرسين من سائر الطبقات والمشائخ المتطوعين في دور نيابتهم عن بعض مدرسي الطبقة الثالثة في التعليم الابتدائي في الفروع قياما محمودا كل فيما نيظ بعهدته تستوجب مزيد الشناء لما قد بذلوه من جهود قيمة ومن اسداء نصائح لتلامذتهم ابنائهم الروحانيين وتوخي الطرق المستجبة في اساليب التعليم شكر الله لهم وامد الجميع بالاعانة على ما فيه ترقية شان المعهد والصعود به في اوج الكمالات

الكتب المدرسية وطريقة اختيارها

الكتب المدرسية التي تنبى عليها موازنة الدروس وبرنامج التعليم المشار اليه انفا هي نتيجة مقررات لجنة علمية خبيرة تشكلها المشيخة برئاستها في كل سنة من بعض اساتذة المعهد ومدرسيه من سائر الطبقات لتعرض عليها الكتب الصالحة للدراسة وبعد درسها لها ومقررات السنة قبلها تبدي رايها فيما ترى لزوم تحويره من ذلك او ابداله بغيره من التأليف سواء في ذلك المؤلفات الحديثة وغيرها مما هو اوفق بالتعليم وايصال التلامذة مع استنهاض المشيخة لذوي المقدرة من اهل العلم بامدادها بمؤلفات تجمع بين الافادة وسهولة التعبير لتدخلها في برنامج التعليم وقد وقع بعض ذلك فعلا وهو مما يزاول اليوم وبه يفند زعم من زعم ان الكتب التدريسية التي تيسر دولا ب الجامع الاعظم اليوم عديمة النفع غير صالحة للدراسة وانها من اسباب اخلال التعليم به وتغالى البعض في ذلك بما ادى به الى الخط من بعض علوم المعهد محاولا بذلك قلب هيأته والخروج به عن صفته وعمما هو قائم به نحو الامة التي تفديه بالنفس والنفس ولا تبغي به بديلا (والمعهد للامة لا لهؤلاء) .

تطرفت شردمة قليلة تنتمي للمعهد وهي تكيد له تحت عنوان طلب اصلاحه زعمت ان التعليم بالمعهد والكتب التي تدرس به واساليب تدريسها وسائر تقاليده مما مضت عليه عدة قرون بما صيره عديم الجدوى ضيل النفع غير ملائم للوقت الحاضر وللتطور الاممي واتقدت التوسع في علومه والتوغل فيها الامر الذي لم يرق لها في نظرها طالبة مزاحمة علومه الاصلية التي هي به بالمنازة الاولى في القصد من تفسير وحديث وعلومه وكلام وفقه واصول وحكمة تشريع وعلم الاخلاق وغيرها من بقية علوم الدين واصول الشريعة وعلوم العربية على اتساعها الحافظة على الامة لفتها وقوميتها والحادمة لعلومها الشرعية رائمة مزاحمة ذلك كله بما هو في نظرها اجدر فقعا واتم فائدة وذلك مما

يقضي على علوم المعهد الاصلية ويجعلها بمنزلة دون المنزلة المقصودة منها مصرحاً بذلك البعض بأن المعهد لم يدخله تجديد ليومنا هذا كما دخل لغيره فيروم اليوم تجديده بذلك وقد جهلت او تجاهلت هاته الفئة وظيفه المعهد ورسالته التي يقوم بها نحو الامة مما اسلفناه .

كما جهلت ان العلوم التي تدرس به اليوم تناهز الاربعين علماً من بينها ما تمس الحاجة اليه من العلوم الرياضية ونحوها التي يعبرون عنها في اصطلاحهم الخاص بالعلوم العصرية وهو غلط منهم اذ لا ينسب للعصر الا ما استجد فيه وهاته العلوم نجدها قديمة العهد مزاوله منذ عصور وحظ المعهد منها غير منقوص حيث يزاول به منها ما لا بد منه مما لا يزاخم علومه الاصلية احتفاظاً على اصل وضعيته حسبما اقتضاه الفصل ٢٠ من قانون الاصلاح .

اما الاصلاح المنشود اليوم للمعهد وادخال تحسينات على ما هو موجود به الآن فلا يعارض فيه احد اذ كل حسن قابل لزيادة التحسين (وفوق كل ذي علم عليم) .

وقد تكفلت الحكومة بذلك بتشكيلها للجنة من اهل العلم وذوي الثقافة خيرة باصول التعليم وطرائقه ووسائل تعميمه وكل ما يعود بالنفع على المعهد من جميع جهاته وهي تواصل الآن عملها بجهد وقد اشرفت ماموريتها على الانتماء مع محافظتها على صبغة المعهد الدينية وعلومه الاصلية وعدم الخروج به عما اسس له منذ القديم . وفوق الجميع نظر امير البلاد ايداً الله بما له من الرئاسة الدينية والذي له القول الفصل في كل ما يرجع لمصلحة الامة وحفظ شريعته المقدسة ومعهدنا العلمي .

الامتحانات ونتائجها

اجريت امتحانات المعهد لدى اعضاء لجنة الاصلاح لكل من شهادات التحصيل في العلوم وفي القراءات والاهلية يعضدها في ذلك نخبة من مدرسي الطبقة الاولى وتخصصت اللجنة الاصلية بامتحانات شهادة العالمية في انواعها الثلاث الشرعي والادبي والقراءات كما تخصصت لجنة بالرياضيات من بينها بعض معلمي تلك العلوم وكانت مباشرة اولئك الشيوخ الجليلة لمهمتهم الموما اليها محل الثناء بما اظهره جانبهم من كامل العناية ومزيد التمحيص واعطاء كل ما يستحقه مما يكون داعياً للاقبال على التعليم ويزرع في التلامذة نشاطاً كما قامت نخبة من المشائخ المدرسين من سائر الطبقات وبعض اساتذة المعهد باختبارات التلامذة في سائر مراتب التعليم . تختص الاساتذة من ذلك بالتعليم العالي وقد اظهر الجميع في ذلك من الحزم والنشاط ما يوجب اسداء الشكر لهم وتقدير ما قد قاموا به من تلك المهمة وكان عدد الذين شاركوا في امتحان شهادة العالمية في القسم الشرعي ١١ نجح منهم ٥ وفي الادبي اثنان وقع ارجاؤهما لدورة اكتوبر المقبلة وفي القراءات ٦ نجح منهم ٢ وفي شهادة التحصيل في العلوم ١٥١ نجح منهم ١٠٩ وفي القراءات ١٠ نجح منهم ٧ وفي شهادة الاهلية ٣٤٠ نجح منهم ٢٠٩ حسبما يقع للتصريح الآن باسمائهم وما احرز عليه البعض منهم من الجوائز وفي الختام نوجه ثناءنا لسائر متوظفي المعهد وفروعه من مشائخ كتبه وقيمين ووكلاء كتب وحافظي المكتبات واعوان الادارة كل فيما قام به مما ينطبع بهدته بحزم وامانة والله المسؤول ان يديم لهذا المعهد عمرانه ويشيد بمعالم العلم اركانه - مله تعاقبت في جوها غادية ورائحة وختمت المجالس العلمية بسورة الفاتحة .

القرآن الكريم

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

من تفسير الاستاذ الامام المولى محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

استئناف محض ويجوز أن يكون بيانا لجواب سؤال متعجب ناشئ من سماع الاحوال التي وصفوا بها قبل وهي ما في قوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون » فان من يسمع ان طائفة تخادع الله تعالى وتخادع قوما عديدين وتطمع ان خداعها يتمشى عليهم ثم لا تشعر بأن ضرر الخداع لاحق بها يعلم انها طائفة جديرة بان يتعجب من أمرها المتعجب ويتساءل كيف خطر هذا بخواطرها ، فكان قوله في قلوبهم مرض بيانا للسبب وهو ان في عقولهم خلاا تزايد إلى أن بلغ حدا لا فائدة له ، ولهذا قدم الظرف وهو في قلوبهم للاهتمام لان القلوب هي محل الفكرة في الخداع فلما كان المسؤول عنه هو متعلقها واثرها كان هو المتهم به في الجواب .

والمرض حقيقة في العارض للمزاج الذي يخرج عن حد الاعتدال الخاص بنوع ذلك الجسم خروجا غير تام وبمقدار الخروج يشتد الالم فان تم الخروج فهو الموت . وهو مجاز في الاعراض النفسانية العارضة للاخلاق البشرية عروضا يخرجها عن كمالها وإطلاق المرض على هذا شائع مشهور في كلام العرب ، وتدير المزاج لازالة هذا العارض والرجوع به الى اعتداله طب حقيقي ومجازي كذلك قال علقمة :

فان تسالوني بالنساء فاني خبير بادواء النساء طبيب

فذكر الادواء والطب لفساد الاخلاق واصلاحها . والمراد بالمرض في هاته الآية هو معناه المجازي لا محالة لانه هو الذي اتصف به المتأفقون وهو المقصود من مذمتهم وبيان منشأ مساوي اعمالهم .

ومعنى فرادهم الله مرضا ان تلك الاخلاق الذميمة الناشئة عن النفاق والملازمة له كانت تتزايد فيهم بتزايد الايام لان من شأن الاخلاق اذا تمكنت أن تتزايد بتزايد الايام حتى تصير ملكات كما قال :

ورج الفتى للخير ما ان رأيت على السن خيرا لايزال يزيد

وكذلك القول في الشر ولذلك قيل من لم يتحلم في الصغر لا يتحلم في الكبر ، وقال النابغة
يهجو عامر بن الطفيل :

فانك سوف تحلم أو تناهي اذا ما شبت أو شاب الغراب

وانما كان النفاق موجبا لازدياد ما يقارنه من سيء الاخلاق لان النفاق يستر الاخلاق الذميمة
فتكون محجوبة عن الناصحين والمربين والمرشدين وبذلك تتأصل وتتوالد الى غير حد فالنفاق في
كتمه مساوي الاخلاق بمنزلة كتم المريض داءه عن الطبيب وقد بينا ما ينشأ عن النفاق من الامراض
في الجدول المذكور هنا واشرنا الى ما يشير الى كل خلق منها في الآيات الواردة هنا وفي آيات اخرى
واليكم هذا الجدول :



إعلم أن هذه طباع تنشأ عن النفاق أو تقارنه من حيث هو ولا سيما النفاق في الدين فقد نبهنا الله تعالى لمذاق ذلك تعليما وتربية فان النفاق يعتمد على ثلاث خصال وهي الكذب القولي ، والكذب الفعلي وهو الخداع ، ويقارن ذلك الخوف لان الكذب والخداع انما يصدران ممن يتوقى اظهار حقيقة أمره وذلك لا يكون الا خوفا ضرر أو لخوف احقاق سعي وكلاهما مؤذن بقله الشجاعة والثبات والثقة بالنفس وبحسن السلوك . ثم إن كل خصلة من هاته الخصال الثلاث الذميمة تولد هنوات أخرى فالكذب ينشأ عن شيء من البله لان الكاذب يعتقد ان كذبه يتمشى عند الناس وهذا من قلة الذكاء لان النبي يعلم

ان في الناس مثله وخيرا منه ثم البله يؤدي الى الجهل بالحقائق وبمراتب العقول ولان الكذب يعود فكري صاحبه بالحقائق المحرفة وتشتبه عليه مع طول الاسترسال في ذلك حتى انه ربما اعتقد ما اختلقه واقعا وينشأ عن الامرين السفه وهو خلل في الرأي وأفن في العقل وقد أصبح علماء الاخلاق والطب يعدون الكذب من أمراض الدماغ . واما نشأة العجب والغرور والكفر وفساد الرأي عن الغباوة والجهل والسفه فظاهرة ، وكذلك نشأة العزلة والحبس والتمتر عن الخوف ، وأما نشأة عداوة الناس عن الخداع فلان عداوة الاضداد تبدأ من شعورهم بخداعه وتعقبها عداوة الاصحاب لانهم اذا رأوا نقض ذلك صاحب في النفاق والخداع داخلهم الشك أن يكون اخلاصه الذي يظهره لهم هو من المخادعة فاذا حصلت عداوة الفريقين تصدى الناس كلهم للتوقي منه والنكايه به وتصدى هو للمكر بهم والفساد ليصل الى مراده فرمته الناس عن قوس واحد واجتنى من ذلك ان يصير هزوا للناس اجمعين . وقد رأيت أن الناشئ ، عن مرض النفاق والزائد فيه هو زيادة ذلك الناشئ أي تأصله وتمكنه وتولد مذمات أخرى عنه ولعل تكثير مرض في الموضوعين أشعر بهذا فان تكثير الاول للإشارة الى تنويع أو تكثير وتكثير الثاني ليشير الى ان المزيد مرض آخر على قاعدة اعادة النكرة نكرة ولو اريد ازدياد المرض الاول لقليل فزادهم الله المرض واسندت زيادة مرضهم الى الله تعالى للتنبيه على خطر الاسترسال في النوايا الحبشية وانه يزيد تلك النوايا تمكنا من القلب فيتعذر الاقلاع عنها فلما خلق الله هذا المعنى في النفوس حذر الناس من اسبابه فجعلها فزادهم الله مرضا خبرية معطوفة على قوله في قلوبهم مرض واقعة موقع الاستيناف للبيان داخله في دفع التعجب أي ان سبب توغلهم في الفساد ومحاولتهم ما لا ينال لان في قلوبهم مرضا ولانه مرض يتزايد مع الايام تزيداً مجعولا من الله تعالى فلا طمع في زواله وقول بعض المفسرين هي دعاء عليهم كقول الشاعر :

تباعد عني مسمع اذ دعوته ❁ امين فزاد الله ما بيننا بعدا

تفسير غير حسن لانه خلاف الاصل في العطف بالفاء ولان تصدي القراء ان لشتهم بذلك ليس من دأبه ولان الدعاء عليهم بالزيادة تنافي ما عهد من الدعاء للضالين بالهداية في نحو اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون (وقوله ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) معطوف على قوله فزادهم الله مرضا اكبالا للفائدة فكمثل هذا العطف بيان ما جره النفاق اليهم من فساد الحال في الدنيا والعذاب في الآخرة وليس معطوفا على (ومن الناس من يقول) لانه ان جعل عطفا على قوله من الناس لم يكن بينهما تناسب اذ قوله ومن الناس مبدأ تفصيل أحوال فريق ثالث كما قدمنا فلا يناسب ان يعطف عليه ما هو من أحوال ذلك الفريق وان جعل عطفا على الصلة وهي يقول لم يصح اذ ليس استحقاقهم العذاب بمعلوم حتى يتميز الموصول به ويكون من الاحوال المختصة به في علم المخاطب . وتقديم الجار والمجرور وهو لهم للتنبيه على انه خبر لانت حتى يستقر بمجرد سماع المبتدا العلم بان ذلك من صفاتهم فلا تلهو النفس عن تلقيه .

الحديث الشريف

حقوق المسلمين على بعضهم

اخرج الامام مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ، إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ
عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْهُ ، وَإِذَا
عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ .

الشرح

ان الله تعالى جعل الامة الاسلامية وسطا مثال الكمال ، عالية الحاصل ، بها يقتدى ومنها تلتبس
الفضيلة ، وحلاها بازكى الصفات ، وارشدها الى الاداب المرضية والحقوق المرعية فالرسول الاعظم ،
والمرشد الاكرم ، صلى الله عليه وسلم ، قد علم المسلمين ما يجب عليهم من الحقوق وما يتحتم ان
يتخلقوا به من كريم الخلال ، ويتأدبوا به من الآداب ، ليتم ما انتدبوا له ، من غير افراط ولا
تفريط فاهتدى بهديه اصحابه الاعلام ، حتى كانوا مثال الفضائل ، واتخذهم الناس قدوتهم

والاليم فعيل بمعنى مفعول وأصله عذاب مؤلم بصيغة اسم المفعول ووصف العذاب به مجاز عقلي
لان المؤلم بالفتح هو الذي مسه العذاب وليس هو نفس العذاب وهذا كما قالوا جد جده أو هو فعيل
بمعنى فاعل من ألم بمعنى صار ذا ألم واما ان يكون فعيل بمعنى مفعول أي مؤلم بكسر اللام فمعالم
يسمع في هذا الوصف وسمع في نظيره واختلف في جواز القياس عليه .

وقوله بما كانوا يكذبون الباء للسببية وقرئ يكذبون بتشديد الذال ويكذبون بتخفيفه فاما
التشديد فعلى تكذيبهم الرسول واما التخفيف فعلى كذبهم الخاص في قولهم ءامنا بالله وعلى كذبهم العام في
قولهم انما نحن مصلحون .

المثلث ومما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكّد، وعلم أصحابه وأرشد، حقوق الناس على بعضهم، فإن أمرها عظيم، وبقدر ما يترتب على رعايتها من المحاسن وعلى تضييعها من المساوي يكون الجزاء .

والحقوق جمع حق والحق هو الأمر الثابت الذي تلزم مراعاته والاهتمام به .
ثم الحقوق التي أوجبها الشرع على الناس لبعضهم وتلزم مراعاتها والاهتمام بها على نوعين خاصة وعامة
أما الحقوق الخاصة فلم يتعرض لها هذا الحديث لأنه ليس مساقا لبيانها وهي ما تترتب على أمر خاص بين اثنين أو أكثر كحقوق الزوج على زوجته وحقوقها عليه وكحقوق الأب على ابنائه وحقوقهم عليه ونحو ذلك .

وأما العامة فهي حقوق المسلمين على بعضهم لا فرق في ذلك بين الأمير والحقير والنبيل والضعفوك وهذه هي التي عنها الحديث بالبيان ولم يذكر جميعها وإنما اقتصر على ست منها حسبما دعت الحاجة لبيانها . فإن التشريع كانت الطريقة المتبعة فيه أن يكون تدريجيا وبحسب ما تدعو الحاجة إليه وكذلك إرشاد صلى الله عليه وسلم ووعظه فهذا الإمام البخاري يحدثنا في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السأمة علينا، ولكل مقام ما يناسبه من الإرشاد، فالنبي صلى الله عليه وسلم يتفقد أحوال الناس وما هو الأنسب لأوقاتهم فيلقي عليهم مواعظه الطيبة الأثر وينشر بينهم آداب الإسلام ومآثره الحميدة فمما ثبت في علاج أسقام الأمة بمثابة الطبيب الماهر والحكيم الخبير يعطي من الدواء بالمقدار الملائم للمرض ويتمشى معه في طريق العلاج مترقيا في مقدار الدواء حتى لا يمل المريض وبكرة الدواء فيصعب علاجه ويستعجل دأؤه ويعز شفاؤه فلذلك نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر حقوق المسلم على المسلم ويعد منها في هذا الحديث ستة حقوق والعدد لا مفهوم له كما هو مقرر في الأصول المستنبطة من تتبع نصوص الشريعة واستقراءها فلا إشكال حينئذ ولا تعارض بين هذا الحديث وغيره مما تعرض لغير الست من الحقوق أو الأمور . فقد جاء في بعض الطرق بلفظ أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء أيضا عددا سبعا . من ذلك الحديث الذي رواه البخاري وغيره من عدة طرق منها عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعبادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإجابة الداعي ورد السلام ونصر المظلوم وإبرار المقسم . ونهانا عن سبع عن خاتم الذهب أو قال حلقة الذهب (شك من الراوي) وعن لبس الحرير والديباغ والسندس والمياثر .

وأول الحقوق التي عدّها الحديث الشريف (السّلام) فقال صلى الله عليه وسلم مخاطبا من حضر مجلسه الشريف - وهو خطاب عام لكل من يصح منه التلقي - إذا لقيته (أي المسلم) فسلم عليه . اللقاء الاجتماع بعد الافتراق

والسلام هو الامان والسلامة من كل مكروه ظاهرا وباطنا، فقول المسلم لاخيه المسلم الذي تربطه واياله رابطة الدين والاخوة الاسلامية - واعظم بهما من رابطة - السلام عليك بمعنى أأمنك من كل مكروه وأعطيك الامان والسلامة من كل خطر وأتباعك عن الحيانة والغدر ونحو ذلك فهي تحية طيبة مباركة جاء بها الاسلام يحيي بها المسلم أخاه فتعبر عن معان سامية هداهم اليها دينهم الذي ارتضاه الله لهم وادبهم بأشرف الآداب وأزكاها وتكون لهم نعم العون على احداث التعارف والتوادد وداعية للمحبة والالفة وطريقا الى الجنة قال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على امر اذا فعلتموه تحابتم أفشوا السلام بينكم والحديث جعل على المسلمين حق السلام عند الملاقاة ولم يخص أحد المتلاقيين بالتحية فعلنا من اطلاقه ان ذلك الخطاب موجه لهما وأفضلهما من بادر بها وحصل على مزية الاسبقية كما يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : إن أولى الناس بالله من بدهم بالسلام (١) فاذا سلم وجب على الآخر رد التحية بالمثل، واحسن اذا زاد عليها اما وجوب الرد فانه عدة صلى الله عليه وسلم حقاً على المسلم كما في الحديث الذي رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه واخرجه البخاري ومسلم وابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : إياكم والجلوس على الطرقات ، فقالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فاذا أبيتُم الا المجالس فأعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

فعصلى الله عليه وسلم من الحقوق الواجبة رد السلام حيث ان المفروض ان المار اذا لقي المسلمين حياهم بتحية السلام فقال : السلام عليكم ، وهو ما بينه الحديث الذي روينا ، فمن حقه عليهم ان يردوا عليه السلام فعلنا من الحديثين ان من الحقوق العامة على المسلمين التحية بالسلام والرد وقدارشد القرءان الكريم الى هذا والى فضل الزيادة في قوله جل ذكره (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا) قال جمهور العلماء المراد بالتحية السلام وبنوا عليه وجوب الجواب على التخيير بين ان يكون باحسن منه وهو الافضل بان يزيد عليه ورحمة الله وبركاته قال البيضاوي وغيره وهو النهاية أو برد مثله من غير ان يزيد ، والزيادة المأثورة بذكر الرحمة والبركة قد استجمعت مع الاصل جميع اصول المطالب التي يسعى الناس اليها - وهي السلامة عن المضار الدال عليها لفظ السلام ، وحصول المنافع الدال عليه لفظ الرحمة ، وثباتها ودوامها الدال عليه لفظ البركة ، وما قاله القاضي البيضاوي من أن في قوله والبركة نهاية الرد هو رأي كثير من العلماء وذهب قوم الى ان الزيادة لا تقدر بكيفية ولا بكمية وهو الاظهر لاطلاق النصوص الدالة على فضل الزيادة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يزيد باكثر من البركة في مواطن فقد اخرج البخاري في الادب المفرد عن سالم مولى ابن عمر قال كان ابن عمر اذا سلم عليه فرد زاد فاتيته فقلت السلام عليكم فقال : السلام عليكم ورحمة

الله تعالى ثم أتيت مرة أخرى فقلت السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. فقال : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وطيب صلواته وقد استثنى مواطن لا يجب فيها رد الجواب فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة وفي الوضوء وعند التيمم (١)

هذا وقد جاء البيان بمن يبدأ بالسلام في بعض المواطن فيبدأ الراكب بالسلام على الراحل والقادم على الحاضر والمار على القاعد والقليل على الكثير قال عليه السلام (٢) يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية إبي هريرة ويسلم الراكب على المشاي ثم انت ظاهر لفظ الحق يدل على وجوب السلام ولكن قامت القرائن على أنه حق ما دني نقل ابن عبد البر وغيره أن الابتداء بالسلام سنة وأما رده فهو واجب. فإن كان المسلم عليه واحدا وجب الجواب علينا وإن كان جماعة فالجواب فرض كفاية في حقهم لما أخرجه أبو داود مرفوعا قال يجزىء عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزىء عن الجلوس أن يرد أحدهم. وقد اقتصر الحديث في بيان حق السلام عند اللقاء ولم يتعرض لحال الفراق وقد جاء بيان ما يطلب فيه في حديث إذا قعد أحدكم فليسلم وإذا قام فليسلم وليست الأولى باحق من الآخرة رواه أبو داود الترمذي فعلنا منه أن من أداها المفارقة أن يسلم المرء على من سيغادر مجلسهم ففي هذه التحية من المكارمة ما في الأولى. وها نحن نرى ونذكر أن من يغادر مجلسه من غير أن يحيي جلساءه يحدث صنيعه في نفوسهم بعض الوحشة فإن في تبادل السلام يشعر كل من راد السلام وملقيه بميل نحو صاحبه وفي تكرره بنمو ذلك الميل والناس يصفون المقصر في السلام بأخس الصفات ويتخذون ذلك منه أمانة على كبره وغلاض طبعه وشراسة أخلاقه وللتحاشي من هذا الظن حث صلى الله عليه وسلم على بذل السلام على من عرفت ومن لم تعرف زيادة عما يحدث من السلام على من لا يعرف من ربط العلائق بين الناس بعضهم ببعض وأحداث التعارف والألفة وتنمية الأخوة واستحكام علائقها فإن ذلك مقصد عظيم من مقاصد الشريعة السمحة وهذه نبوي اهتدى به المسلمون فنرى المسلمين والحمد لله يسلمون على بعضهم بتحية الإسلام فتنزل على قلوبهم برذا وسلاما ولكن يسوؤنا أن بعض الشبان قد استبدل هذه التحية الطيبة المباركة بغيرها من الالفاظ الدخيلة جهلا منهم بمزية ما أديهم به الرسول. كما أنه سرى لبعض العقول السلام على من هو دونهم في المظاهر الدنياوية يزري بمقامهم فيترفون عنه وهذا أيضا منشاء عدم ترويض النفس بالأخلاق الطاهرة المحمدية فليحذر الناس من شر هذه الفتن النفسية التي تردي بصاحبها في هاوية سحيقة وليتنبه المرء إلى أن من أهم مقاصد الإسلام بث روح الأخوة الإسلامية بين الطبقات وليجعل امامه قوله عز وجل:

(١) أحاديث أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي
(٢) الحديث رواه الشيخان وإمام دار الهجرة وأبو داود والترمذي والدارمي

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

١٢

الاسلوب العلمي العربي

ان اسماعيل مظهر في كتابه تاريخ الفكر العربي رمانا بنوع من السهام صنع معمل الشعوبية المفترضة فزعم ان اسلوب العرب في علومهم العقلية وغيرها اسلوب غيبي بخلاف اسلوب الاروبيين فانه اسلوب يقيني زاعما انهم نقلوا ما نقلوه من علوم اليونان بواسطة المدرسة الاسكندرية التي ادخلت في كل علومها الطلاسم والعزائم ونحو هذا : ويشير الى ما جاء في القراءان العظيم (يؤمنون بالغيب) سورة البقرة .

جوابنا (١) المشاهدة تكذب هذا فان كتاب اقليدس في الهندسة مثلا الذي هو عمدة الفن والذي بذل العرب جهودهم المتعبة في ترجمته من لدن المائة الاولى هجرية وتحافظوا عليه الى ان وصل ليد الاروبيين مشروحا مختصرا معلقا عليه وامثله من كتب الحساب والجبر وغيرها كل ذلك سالم من هذه الوصمة .

وهذا جابر ابن حيان المولود في المائة الاولى والمتوفى في اواخر الثانية اول من هدى الاروبيين باعترافهم الى علم الكيمياء العملي الحقيقي الحالي من كل تدجيل وغيب وما تقطنت اروبا الى كتبه وهي في خزائنها الا منذ نحو مائة سنة وبدراستهم لكتبه واكباهم على تجاربه الصادقة العجيبة اهتمدوا

انما المؤمنون اخوة ويتدبر ما في هذه الآية من معان سامية ليسهل عليه اطفاء ما يدور بخلد من العزة والجبروت وليتنبه الى ان تحيته لاخيه الضعيف لا تزيد في نظره ونظر الناس كافة الاكل اجلال وتعظيم وان طغيانه وجبروته لا يورثانه الا الندامة ولو بعد حين وفي مسند أحمد ان من أشرط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه الا لمعرفة، سلمنا الله من شزور انفسنا الجامحة وهذا انما الى صراطه المستقيم .

(يتبع)

محمد الشاذلي ابن القاضي

لوجه الصواب في هذا الفن العظيم الذي به تقدموا وافتخروا وقهروا العالم وهي تجارب خالية من كل تدجيل .

نعم عنده كتب فيها شيء من الامور الغيبية والطلاسم وذلك شان العارف البحات الذي يختبر كل الطرق ويسلك منها ما هو موصل للغرض وذلك مدح له لا ذم .

فهو الرجل العظيم الذي ازاح الستار بتجاربه عن اعظم فن افتخروا به وقد خصصته بترجمة مستقلة وستلقي في المذيع قريبا .

ترك نحو . . . كتاب منها كثير موجود الان - الاكثر قد فقد فمن كتبه ما هو من الاسلوب الذي عابه ولا عيب بلحقه لان الرجل كان يستقصى في البحث كل طريق الى ان اهتدى للطريق الحقيقي فجلى فيه واعترف له المنشرق برتيلو الفرنسي في كتابه تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى وغيره قائلا انه في علم الكيمياء كارتسططاليس في علم المنطق يعني الاول واضع الكيمياء والثاني واضع المنطق . فالطريق الغيبي موجود عندنا وعندهم والمتخصص فيها قليل لا يضر سمعتنا العلمية

(٢) ان قوله تعالى يومئذ بالغيب ليس معناها ان الله اوجب علينا الاعتراف بكل غيب ولو خالف الشهادة ولو كان وهما وخيالا - كلا - ثم كلا الف مرة

الغيب الذي مدحنا بالايمان به هو ما بينه باثر هذه الآية والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اوجب علينا الايمان باليوم الآخر وهو اصل الكلمات في سائر الديانات . وان تؤمن بالفردان الذي انزل على نبينا وبسنته التي تواترت الينا وبما انزل على الانبياء قبله وما وصل الينا غير محرف دون من بعده فمفهوم لفظ من قبلك متحكم في معنى الآية اما ما يزعمه من جاء بعد نبينا من مغيبات كشفية او ذوقية او من يقول راي النبي صلى الله عليه وسلم بقظة او مناما وامرني او اخبرني فهذا ليس مما يجب اعتماده في الدين ولا هو بحجة باجماع المسلمين ولا يعتمد في دينه او دنياه الامتعة او جاء مشعوز بطلاسمات وعزائم كل ذلك لا يساوي عندنا شيئا وهو الذي نسميه اوهاا وخرافات ولا ينبغي تلطيش سمعة المسلمين به فالمسلمون الحقيقيون يعتبرونه تدجيلا وخرافات ويحرمون عمل الطلاسمات والعزائم ويحكمون بمعاينة من يشتغل بها فهذا الاسلوب الغيبي الذي يعيب اسماعيل مظهر علوم العرب به كله عندهم خارج عن الدين غير ملتفت اليه عند من هم عمدة في علم الدين او علوم الدنيا وهذه الطائفة التي تشتغل بالاوهاام الغيبية موجودة عند كل الامم وربما كانت الآن في اوروبا اكثر من غيرها وكما انها ملموزة بمقوثة هناك ملموزة هنا ولا يشتغل بخرافاتها الا جملة الدوام ولا دخل لخرافاتها في امر الدين بل نحن نعتبرها هدامة للدين . وامور سياسية واقتصادية شباك صيد بيد البطالين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

رفع اللبس عن خطبة

تزكية النفس

بقلم الفاضل الزكي الشيخ الحلياني حمزة
الامام بجامعة مصطفى حمزة بالمهدية

وقع لبعض الافاضل توقف في موضعين من الخطبة التي نشرتها بالعدد الاول من السنة الثالثة من المجلة الزيتونية الغراء فرايت من الواجب علي دفعا للالتباس وزيادة لتحقيق الموضوع ان اتعرض بالشرح والبيان للموضوعين المذكورين لكن قبل الشروع في ذلك لا بأس ان اوضح لقراء المجلة الافاضل خطورة المهمة الملقاة علي نحو الوعظ والارشاد ومدى الخطأ التي اسلكها تجاه هذه الغاية النبيلة والذي أحب ان يعليه القراء هو ان الوعظ أحد سلاح ندفع به اخطار الجرائم وأنجع دواء نكافح به وباء الشرور والآثام التي غمرت هذا العصر بطوفان جارف لا نجاة لنا منه الا بان يعدد الواعظون المصلحون سفينة النجاة لينقذوا البشرية من حمأة الرذائل التي تفاقم خطبها واشتد كرها واستعصى دأؤها، والرذائل اذا فشت في أمة هدمت بناءها واورثتها خرابا ودمارا وجعلت أهلها اعداء بعضهم لبعض فتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى لذلك نحتذ كل واعظ بل كل مسلم ان يجاهد بماله وبأسانه وهو واقف عند حد الحق والقانون لا يحيد عنهما قيد شعرة ولا انملة ليسلم ويامن ويؤدي ما وجب عليه ويجتني ثمرة طيبة من عمله، فالدين قداناظ بكل فرد من افراد المسلمين واجب السعي في اعلاء كلمة الدين وان اعظم ما يثاب عليه المسلم السعي وراء تحقيق السعادة واعلاء شأن الامة بقدر ما يستطيع

انه لا يكفي المسلم ان يقول اننا مسلم وهو خامل لا يعمل بجهد ونشاط على اعزاز دينه وعلى تبوءه عرش الكرامة والعزة والا كان مغرورا في دينه والغرور في الدين مرض يتولد منه كثير من امراض الحياة وهيات ان تستقيم حياة مع امراض. لقد طفقت افكر فيما نحن فيه الآن من سوء الحال وفساد الحلال فدمعت العينان وحزن القلب على ما جل بنا في هذا الزمان من اندحار في الاخلاق وشطط في الطباع فقد نزلت الاتمة وحب النفس مكان العطف وحلت القسوة محل الرحمة واستبدل البخل بالكرم وغلغلت الايدي الى العنق بدل البذل والسخاء في مواقف الشرف واعتاض الانسان عن الشهامة بالنذالة والامانة بالخيانة والكرامة بالدناءة وبالجملة فقد عمت الفوضى وراجت سوقها في كل ناحية من نواحي الحياة وبات المصلحون حيارى لا يدرون الى اي هاوية نسير في هذا العصر المتأخر الذي يقول اهل حيلنا الحاضر فيه انه عصر الحرية والنور ولو انصفوا لسموه عصر السحابة والفجور لاننا لا نعلم زمانا اجترأ فيه الناس على الاثم والعدوان كهذا العصر فاننا نرى المرء يرتكب ما يرتكبه

ولا يبالي بان يعرف بين عشيرته وحيرانه بانه على غير هدى وعلى غير اعتدال في كثير من شؤون حياته لذلك فاننا اذا اكثرنا من عتاب اخواننا المسلمين على تقصيرهم في الحياة وشؤونها ولا سيما ما يتصل منها بالدين والاخلاق لم يكن قصدنا بذلك الا دلالة المسلم على ما به من عيب وتقص ليسعى في علاج نفسه واصلاح حاله فلقد عاهدنا الله عند التصدي لمهمة الوعظ ان نجهر بالحق ولا نخشى فيه لومة لائم ولا سيما في شؤون الدين الحنيف ما دنا في حضرة قانون الاخلاق وكذلك عودنا انفسنا ان نخشى الله قبل ان نخشى الناس فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذر تحذيرا شديدا كل من يشاهد غيره يتجاوز حدود الله ولا يتي محارمه ثم لا ينهه عما هو فيه . فقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين : (مثل القائم في حدود الله والواقع فيه كمثل قوم استهموا على سفينة . فكان بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها . فكان الذي في اسفلها اذا اخذوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا وهلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا) حقا لقد صار اهل الاصلاح في تشخيص داء المسلمين وفي وصف الدواء الذي يستاصل هذا الداء وبذهب به في حيرة والحق انه لا حيرة ولا غموض فداؤهم ذو شعب وفروع

واصله انهم نذروا دينهم وراء ظهورهم فكان عاقبة امرهم ان صار بعضهم لبعض عدوا حتى قال بعض ملوك الاسلام ما اخشى على المسلمين الا من المسلمين وهذا قول فصل ليس بالهزل فانه ما من ضر واذى يصل الى اهل الاسلام الا على يد مسلم او من طريق فيه مسلم . فهل الذين يستعين بهم اعداء الملة على الاضرار باخوانهم هم بحق وصدق مسلمون صادقو الاسلام ومؤمنون كاملو الايمان ؟ كلا ثم كلا فالايمان له امارات تدل عليه لا يثبت بمجرد الدعاوي وقد اخطأ من ظن ان الاسلام هو ان يمسك المرء السبحة بيديه ويقلب خرزها باصبعيه ثم تراه بعد ذلك ياكل لحم اخيه وينبش عن مساويه ويوشي به من غير حق ويخدعه ثم يزيد يحتال في ذلك الخداع كما يحتال المرء في اصطياد الحيوانات الضارة فينصب لها الفخاخ والمصائد ويضع فيها اللحم والشحم ويفتح لها باب الضيافة فاذا ولجت الابواب امسكت الفخاخ بلحمها وعظمها واوردتها موارد الردى ولا شك ان الخداع لا يتصف به الا فاجر تجرد من مزايا الايمان فهو لا يرعى عهده ولا يرقب من الناس احدا واني لا استبج في هذه الدنيا شيئا بعد الكفر بالله كاستقباحي للاضرار بالناس بل اجد نفسي غير مستعدة لان تقبل عذر من يسعى في الاضرار باخيه ما لم يكن في ذلك اقامة للحق او دفاع عن النفس والعرض فانه تعالى يقول (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) نسأل الله ان يرزق المسلمين تبصرا في دينهم حتى يستطيعوا ان يروا الاسلام بالعين التي يجب ان يرى بها .

هذا ولنشرع في شرح الموضوعين اللذين اشرت اليهما في طالع المقالة شاكرا لفضيلة الاستاذ الامام سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي عنايته السامية التي لم يزل يفيضها على الوعظ

والوعاظ في كل مناسبة وما هذا الشرح والبيان الا نتيجة من تذكيره وتنبهه ابقاء الله ذخرا للاسلام والمسلمين ، وشرح الموضوعين يرجع الى فقرتين الاولى هي قولي في طالع الخطبة (ايها الاخوان ان اعمال الخير اثر الايمان ولا يكون المؤمن مؤمنا الا اذا كان لاعتقاده الباطن اثر في عمله الظاهر ، اما من اكتفى من الاسلام باسمه . ومن الشرع برسمه . ثم لا يكون لذلك اثر في تركية نفسه . فهو من المنافقين . وان صلى وصام وزعم انه من المسلمين . لان مخالفة الظاهر للباطن آية النفاق . والمنافقون في الدرك الاسفل من النار . ولهم في الآخرة الحزى والعار) والجواب على ذلك هو ان مرادي بالنفاق النفاق العملي لا الاعتقادي لان النفاق كما لا يخفى يتسم الى قسمين نفاق ديني ونفاق عملي فالنفاق في الدين معروف وهو اظهار الايمان او التظاهر بالايمان واخفاء الكفر والنفاق العملي هو التظاهر بالحسن واخفاء القبيح فللنفاق في الاخلاق انسان حي يغدو ويروح ولكن وجوده قدر الانسانية ودنسها برجسه وخسة فعله وؤم طبعه فهو في الحلق والصورة انسان ولكنه في الحقيقة مارد وشيطان تراه يظهر لك المودة في كل لحظة من لحظات حياته فيهتف بمزايك في كل ان ويمدحك في وجهك وفي كل مكان ، يطرق بابك بكرة وعشيا يسأل عك ويتودد اليك فتحسبه بذلك صادقا في الصورة التي ظهر بها ربما افضيت اليه بشيء من كلام اسرارك التي لا يطلع عليها الا الصديق الحميم والحل الوفي وبعد ايام تتكشف لك حقيقته ويفضح لك امره وغدره فاذا به محتال ولئيم ينصب فخه ويغطي به بالرماد وقدمي اكثر الناس في هذا الزمان بهذه الصفات وفشت فيهم . وجونا مملوء بهذا النوع نوع المنافقين نفاقا خلقيا وهم الذين عنيتهم في الفقرة الاولى من خطبتنا فهم في الحقيقة علة العلل في انحلال الامة وشقائها واذلالها .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفاق العملي (اربع من كن فيه كان منافقا خالصا وان صلى وصام وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر) وعندي ان من وجدت فيه الخصال الاربع مجتمعة ولا يبالي بها بعد انذار الله وتثديده رسوله صلى الله عليه وسلم فليبشر نفسه بسوء الخاتمة والعياد بالله تعالى نسأل الله ان يجنبنا النفاق بفضلہ وكرمه .

من هذا يتبين لك ايها القاري الكريم ان المراد بالنفاق في الخطبة نفاق العمل وصاحبه وان لم يعتبر خارجا عن الملة ولم يكن في الدرك الاسفل من النار لكن له من دركاتها وعذابها على قدر الآثار السيئة التي تنشأ عن نفاقه والمضرات التي تلحق الناس من خديعته وقد وصف القرآن الكريم ارباب النفاق فقال (يقولون بافواههم ما ليس بقلوبهم) ومن الآيات التي تكاد تكون صريحة في وصف النفاق الاجتماعي قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبس المهاد) نزلت هذه الآية في منافق خاص وقيل في المنافقين عامة ولا يخفى ان الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد وقد طبق هذه الآية بعض علماء السلف فقالوا (ان الله عبادا السستم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر لبسوا للناس جلود الضان من الدين ليحجروا الدنيا بالدين) وعلى هذا فان الآية تشمل في عمومها اولئك الذين يتظاهرون في

مجالسهم مع الناس بحبهم لعمران بلادهم ورغبتهم في اصلاح شؤونها ويؤكدون اقوالهم باغلب الايمان ويكونون هم في الباطن مبغضين لكل اصلاح اجتماعي بدليل انهم اذا قاموا من مجالسهم الى ممارسة اعمالهم كانت مساعيهم منصرفة الى تخريب البلاد والتمويه على العباد. اما الاحاديث الواردة في ذم النفاق والمناقين فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (من ارى الناس فوق ما عنده من الخشية فهو منافق) رواه مسلم في صحيحه والمراد بالخشية الخوف يتظاهر بذلك تظاهرا

ومن ضروب النفاق والرياء من يتصدى لنصح الناس ووعظهم وأعماله تخالف ذلك كمن يزهد القوم في جمع المال وهو مكب عليه وكمن ينهى الناس عن المسكر وهو غريق في دنانة صباحا مساء وكمن يحذر المسلم محاربة الله ورسوله بالتعامل بالربا وهو ياكل ويشرب مما يدرة عليه هذا الحرام ورحم الله من قال

ما اقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيدة صادقا أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف ان تفقد ارزاقه والرزق عند الله لا يفقد
والرزق مقسوم على اهله يناله الايض والاسود
وقول الآخر

وغير تقي يامر الناس بالتقي طيب يداوي الناس وهو عليل
فليحذر المرابي هذا الامر من نفسه ولا يفعل فعل ذلك الواعظ الذي سرق الدجاجة ثم قام يخطب في القوم ويحضهم على ممارسة الفضيلة والعفة عما في حيوب الناس واذا بالدجاجة تفرق في جيبه فالوعظ لا يثمر ثمرة الطيب الا اذا اقترن به عمل الواعظ (يا ايها الناس لا تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون)

الفقرة الثانية قلت : (ان ابليس خير من هؤلاء الكذابين الدجالين . لان ابليس كان عاقلا وصادقا حين قال : رب بما اغوتني لازين لهم في الارض ولا غونهم اجمعين اعبادك منهم المخلصين . فلم يكذب ولم يخادع ولم ينافق واعلم انه يستحي منهم المخلصين .) والجواب على ذلك انه لا يخفى على القارئ ما ينتج عن الحاصل المتقدمة من الفساد والشرور وتباغض الاحياء وتقاطع المتعاهدين على الصفاء والوفاء فكانت هذه الحاصل الذميمة منافية للاسلام لان تتبع المسلم لعورات اخيه وبخه عن اسراره يريد بذلك هلاكه وفضيحه والتنكيل به كلما قدر عليه ولم يسلم من عظيم اذائته احد قدر عليه ويتوصل الى اغراضه بمخادعته لذلك قلنا ان ابليس خير من هؤلاء لان ابليس فرق بين المخلص وغيره وعلنا شره فلا تركه يسيطر على نفوسنا ولا تتبع غوايته فشروره يمكن التحرز منها اما هؤلاء فسقط في ايديهم ونحن نظن بهم خيرا ومن تعلم مضرتهم خير لك ممن اخفاها عليك . فكان هؤلاء يجهلون ان الله يعلم ما يفعلون او كانوا اتخذوا عند الله عهدا الا يحاسبوا ولا يسألوا فلا لوم حينئذ على من يرى أن أمثال هؤلاء شر من ابليس وليس بعيد ان يكون امثال هؤلاء الضالين سبب النكبة العامة التي حكم الله بها على البلاد كما حكم على العباد فقال في كتابه الكريم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا)

الملاحىء الخيرية الاسلامفة

فى الدولة الموحففة والمرفنففة بالفرار المرفرففة

بقلم العلامة الفللل الفافظ المولى
محمف عبف الفف الكففانى ءام نفففه

٣

ان اقل نظرة فلقفها الرفل على فاس ففء انه فففف بها ففافف اربعة كل ففبوع قاطع لفرثومة ءاء فالفمة الفقفوفف لءاء الفلف والقروح والفمة الفولاففة للمعة ومفرى البول وحة زالف المرفة بحة وشفاففة لءاء الراس وحة بفف ساءة الفف بففة وافف سبوا لفر ذلك فاف قاعءة فى العالم فكفففها ارفف فمفاف كل واففة لءاء هءا زفافة على ما فى ففافف ماء وافف فاس ومفرافف من العشب والففافف الفف لها من الفواصف ما فففعه ابن ابف زرر والفزءامف وابف القاضف وففرهم من مؤرخبف فاس ؁ الى كون بناء المفففة جاء فى مصب وافف الفواهر ففءفل ففها ففقا ثم ففرج بفففلاف اهلها فلفس هفك بلدة فى ءفنا ففرج الماء بسائر فففلافها فى ففها عءاها فلا فففاف الى مطامفر لفرفف الفففلاف لفراف بعء الءفار ولا لاسفءام ؁ الف من الرفال وءالف ففحملها سرا ان لم فكن ففراف كما هو الفارف فى سائر بلاد العومور ولا شك ان هءا ففء لءالة واضعة على عظمة هءا الرأس المفكر بعء فور هءا المؤسس العربف الففء المءبر ولا شك ان الفكمة بفف النبوة وهو افرى وافءر بالفففل والففة وقء ءكر ابن القاضف فى الفووة ان الفف اعفف بناء حمة فولان على وحه محكم لفرم به مصالح الناس السلطان ابو الحسن المرففف رحمف الله ؁ بقف ان ففءم هءا المقال بمسالة هامة ففعلق بالمسفففاف الاسلامفة كان اءء الاطباء فى مسفففى الفكومة الاكبر ففاس قبل سال هل هفك من فكلم على العمل الفارف قءفما فى ففسفل الموتف وغسل ففابهم اذا ما فوا بءاء معءف فى المسفففاف الاسلامفة المءكورة وقء كان اشءء بففف عن نص صرفف ففؤل معناة الى الففان ففف فففر ففكاف فى الطب لابف عبء الله محمد ابن فففى الشفخ السوسف فوفءفه فقول ففن فكلم على الوباء والعملفاف الطففة الفف ففب ان فعامل بها وففف فعامل الاصحاء مع المرفضى قال وففرس من فناول الفوافف من المرفضى ففصوا كسوة المرفضى ولباسهم وفراشهم والمفافع من فضل طعامهم وما وصله عرق المرفضى ورطوبافهم ورواففهم والمكث فى موضع مرفضى او مفف قال وففففف فى فففظ المرفضى وففرء لهم موضع فلفق بهم بعءا عن مسكن ففرهم بفحو قءر رمف ولا ففكون فى ففة الرفف للصحاء وففرء فى فمرفف المرفضى وغسل الموتف ومسل ففابهم باسفعامل الضماء على الانف والبء منهم ان امكن وففسل ففابهم بعء البرء او الموت بماء بارء بعء مفضف ثلاثة عشر فوما ففرك اكسوة فارف البفف فى فلك المءة للرباف وبنففى غسل ففاب الامواف فى ففرى الماء على ففر صءم مسفو فففف فذهب الماء المنفصل بسرفة وكءا غسل الامواف انما ففكون بالماء البارء فى موضع مكشوف وفقف الفاسل والمففن وراء الرفف ففمسح اففه بالقطران او الصبر او الرورء عفف مءالطة المرفضى والامواف او الصبر والرففان مع الفل او ماء الففمون او الماء وففرء عفف ءفن المفف ءكرا او اشف ففامر الناس بالبعء عن القبر ففا وفقف من ففولة وراء الرفف وففعل ذلك بسرفة مشعرا ففابف مالفاف انه بالصبر والفل ونشر الفارفف المءقوق وهو ففء الفم

ومما يدل على أن الناس في القرون الأولى الإسلامية كانوا يدركون تأكيد الابتعاد عن مهاب الرياح محال ذوي العاهات المعذبة ما وقع في روض القرطاس لابن أبي زرع من أن باني فاس الامام ادريس ابن ادريس برد الله مرقده لما وصل في بناء سور المدينة الى كراوة صنع هناك بابا شرقيا يعرف باب الكنيسة قال ومنه يخرج الى حارة المرضى قال وكانت حارة المرضى بخارج هذا الباب ليكون سكنهم تحت مجرى الريح الغربية فتحمل الرياح ابخرتهم ولا يصل الى اهل المدينة منها شيء وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد ولما ظهرت الدولة المرينية انتقل الجذمي خارج باب الخوخة وسكنوا بالكهوف التي بقرب الوادي بمطامر الزرع الى ان تم امر بني مرين في الظهور فرفع الى يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني امر الجذمي وان تصرفهم وغسل ثيابهم وءانيتهم واقادهم في نهر مدينة فاس لقرهم منه وان ذلك ضرر لاهل المدينة فامر رحمه الله عامله على المدينة وهو الشيخ ابو العلاء ادريس بن ابي قريش ان ينقلهم من هنالك ليعبدوا عن ماء النهر فنقلهم الى كهوف برج الكوكب الذي بخارج الجسية من ابواب عدوة القرويين وذلك في سنة ٦٥٨ هـ وقد اومأ الى ما ذكر العلامة ابن غازي في كتابه المسمى بالاشارات الحسان المرفوعة الى جبر فاس وتلمسان وذلك انه ذكر فيه ان في بعض التواريخ ان الامام ابا بكر بن العربي المافري دفن على مقربة من حارة الجذمي قال وجوابه ان الجذمي كانوا هناك قديما حتى تضرر اهل فاس بسكنهم فنقلوا الى موضعهم اليوم والمحل السني انتقلوا له بكهوف برج الكوكب هو محل مناسب جدا لبعده عن المدينة والمارة واتحداره جدا وقد احسن في النعت والوصف ابن القاضي في الجذوة لما ترجم ليوسف بن عمر شارح الرسالة فانه قال ودفن خارج الجسية بين الحاريتين على قرب مقابلة برج الكوكب اه صحيفة ٣٤٦ ومما يدل على ان اهل القرون الأولى الإسلامية كانوا يعملون على ان الوقاية من اعظم طرق الرعاية ما ذكره الامام ابو جعفر من خاتمة الاندلسي في كتابه الذي الفه في الطاعون الواقع ببلدة المرية بالاندلس عام ٧٤٦ هـ وسماه غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد قل في المسألة ٤ منه التي هي فيما ظهر من عدوا ما نصه ، الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه ان هذا الداء يسرى ويتعدى ضربه شهدت بذلك العادة واحكمته التجربة فممن صحيح يلبس مريضا ويطلق ملابسته الا وتتطرق اليه ماء افته ويصيبه مثل مرضه من حينه عادة غالبا اجراها الله والفعل في الاول والثاني للحق جل جلاله خالق كل شيء نفيا واثباتا نفيا للتوليد الذي يذهب اليه اهل الضلال وابطالا العدو التي كانت تعتقدها العرب في الجاهلية واعلانا بالحق الذي قام عليه شاهد الوجود وذلك ان اصل هذا الحادث هو تغير الهواء واستحالته الى طبيعة اخرى ولا شيء اعظم تغيرا او استحالة الى العيب من الابخرة التي تنفصل عن المرضى الذين حل بهم هذا الداء ولا سيما ما خرج منها مع انقاسهم عند استحكام التعفن والعيب في ابدانهم وارواحهم وذلك عند الموت فانها ابخرة رديئة لا يستشققها احد ممن يلبسهم ويداوم على ذلك الا اثرت فيه على الفور الى ان قال وكذلك من استعمال ملابستهم وافرشتهم التي تقلبوا عليها زمن مرضهم كما شهد له به العلم والتجربة قال ولقد شاهدت اهل سوق الحلق بالمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشتهم مات اكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم الا القليل الاقل وغيرهم من ارباب الاسواق حالهم كحال سائر الناس واطلعت من حال البلدان الذين حرس اهلها نفوسهم على ان لا يدخل اليهم احد من اهل بلاد الوباء وحافظوا على ذلك يستصحب السلامة زمنا طويلا ه كلامه وبعبارة ابن خاتمة نختم حديثنا والسلام عليكم ورحمة الله .

القضاء الشرعي

٤

عود على بدء

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

قلت في خاتمة مقالي الثالث المدرج بالعدد السادس من هذه المجلة المباركة « سيكون عنوان مقالتي الآتية : اسد بن الفرات وفيها ناقي على تاريخ انتشار المذهبين الحنفي والمالكي بافريقية » والله تعالى يقول : ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله - فلما قصدت في هذه الانشاء استيناف بحوثي لاستكمال المادة التي بين يدي لتحريـر ترجمة اسد واهمها كتاب المدارك للقاضي ابي الفضل عياض وكتاب معالم الايمان للديباغ مع ذيله لابن ناجي وقفت على نبذة مهمة بكتاب فتوح العرب لصقلية للمؤرخ اماري من كبار المستشرقين في القرن الماضي استغرقت نحو اثني عشرة صحيفة في تاريخ حياة اسد عزى بعضها المستشرق المذكور لكتاب رياض النفوس (١) للمؤرخ ابي بكر عبد الله ابن محمد بن عبد الله المشهور بالمالكي وهذا الفاضل من رجال المائة الخامسة فكتابه متقدم على كتاب المدارك وهذا بدوره متقدم على كتاب معالم الايمان وهذان الكتابان هما عمدتنا في التراجع وعند ذلك لاح لي ان ترجمة اسد لا يصح تحريرها بوجه مفيد الا بعد النظر في اقدم كتب التراجع الافريقية عهدا يعني كتاب رياض النفوس ولكنه لسوء الحظ من الكتب المفقودة او ما في معناها فلزم بحكم الضرورة زيادة البحث عنه او التصدي على الاقل لترجمة ما نقل عنه المستشرق اماري وهذا يستدعي لا محالة اكثر من الايام المعدادات الفاصلة بيني وبين بزوغ قمر هذا العدد من المجلة الزيتونية فلهذا الفراغ ارحيت تحرير ترجمة اسد مع ما يتبعها من تاريخ انتشار المذاهب السنية بافريقية الى فرصة قابلة يساعدنا عليها طقس رحيم ينسينا جهنمية هذه السبعة والاربعين درجة ظلية التي نشفت دونها المحابر وتصدعت اسنة الاقلام وهناك باعث اخر على هذا الارحاء وهو وجوب السعي للوقوف ولو على قطعة من المدونة الاسدية وهي من الكتب المفقودة بتونس لكن بعض الشيوخ يقول انه ربما بقيت منها بقية مشتتة بخرانة جامع القيروان لان الكلام على اسد من الناحية الشرعية اي بصفته ققيا قبل

(١) توجد منه نسخة مخطوطة تملؤها اقاص كثيرة تم نسخها في سنة ٧٢٩ محفوظة بالمكتبة العمومية بباريس مرسمه تحت عدد ٢١٥٣ بفهرس التأليف العربية بالمكتبة المذكورة

ان تتكلم عليه من الناحية الاجتماعية اي بصفته قائدا فاتحا لصقلية سيجبرني للكلام على اخذه عن الامام ابي يوسف ولا سيما عن الامام محمد بن الحسن فلو تهياً لنا الاقدار الوقوف على بعض اوراق الاسدية لما صعب على اهل العلم تحليلها تحليلاً قهياً يرينا على ضوء الهداية والتسامح هل كانت الاسدية كلها من املاء عبد الرحمن بن القاسم تلميذ امام دار البحر مالك بن انس رضي الله عنه ام ان اسدا في دائرة اجتهاده وهو من كبار المجتهدين بما لا ريب فيه شحنها بشيء كثير من مروياته عن شيخه محمد بن الحسن صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه اذ من المعلوم ان اسدا اخذ في مبادي امره عن المدنيين وهم اهل الرواية ولكنه اظهر بعد ذلك ميله بالجمعة للعراقيين وهم اهل الرأي الى غير ذلك مما سنبحث فيه ان شاء الله عند توفر المادة بالحصول على شيء من كتاب رياض النفوس ومن كتاب الاسدية بخزانة القيروان

بقي لي استدراك على ما ورد بآخر المقالة الثانية من مبحث القضاء الشرعي بالصفحة ٢٤٨ من المجلة حيث اشرت لما حصل لبعضهم من الشك في اسم القاضي الشيخ محمد الكافي ففي هذا المعني نقول ان اسمه صحيح برسمه الوارد في قائمة القضاة المالكية بالصفحة ٢٤٧ من المجلة . قال الشيخ محمد يرم الرابع في رسالة التراجم المهمة للخطباء والائمة عند الكلام على القاضي الشيخ مصطفى بن القاضي الشيخ احمد الطرودي الحنفي ومن خطه ننقل هنا ما نصه : واجتمع به (اي الشيخ مصطفى) في القضاء من المالكية الشيخ ابراهيم المزاج ومن قبله القاضي الكافي الذي هو اخر قضاة علي باشا وعزله المولى محمد باي (الرشيد) اه

وهذه وثيقة اخرى غريبة في نوعها لانها عبارة عن تفويض من المشير احمد باي لشيوخ المذهب الحنفي بالنظر والترجيح بين آراء شيوخ المذهب المالكي في نازلة من انظارهم وهي تدلنا من ناحية على سعة انظار سمو الباي الموما اليه وتحريره في النوازل الشرعية وتريتنا من ناحية اخرى درجة التسامح والتكاتف المغبوط بين فقهاء المذهبين الشقيقين ومحصل النازلة ان جنديا دمي عليه جريح بشهادة عدلين فجاء الجندي بشهادة تثبت انه كان ساعة القتل في بلد الكاف حاضرا بحفلة عرس وهو غير البلد الذي وقع فيه الاعتداء على الهالك فاختلف يومئذ الشيخ ابراهيم الراجحي كبير اهل الشورى المالكية وكاهيته المفتي الشيخ محمد بن سلامه وقاضي الجماعة الشيخ محمد النيفر الاكبر واصر كل على ما راي فلما عرضوا آراءهم على سمو الباي للترجيح امر باحالة القضية على الجماعة الحنفية وكتب بذلك مكتوبا للشيخين ابي عبد الله محمد يرم الرابع وابي عبد الله محمد بن الخوجه وهذا نص المكتوب بحروقه :

حفظكم الله تعالى ورعاكم ونور العلم بتقواكم الفاضلين الخيرين العالمين العاملين قطبي مذهب النعمان والقُدوة فيهم الشريعة الوثيقة الاركان احبابنا الصدر شيخ الاسلام سي محمد يرم وكاهيته الشيخ

سي محمد بن الخوجة سدّد الله أنظارهما أما بعد السلام عليكم ورحمة الله فإن جريحاً دمي على رجل بشهادة عدلين وشهدا بموته فوجها النازلة لعلماء المالكية كما هو الحكم الجاري بقطرنا في نوازل الدماء ثم ان المدعى عليه استظهر بشهادة تنافي رسم التدمية وطال الخصام في الازلة فاستج قياها خلافا بين علمائنا المالكية وتخرجت من تنفيذ ما يقتضيه الاجتهاد في السياسة لانها كانت على بساط الحكم الشرعي وجالت فيها انظار نوابنا في ذلك فظهر لي ان اوجه لاماتكما حيجج الفريقين ومكاتيب علماء المالكية لاعتمد على ترجيحكما فانظرا فيها كانكما مالكيين (كذا) من اعتبار اقرار القتل وان القتل بغير محدد كما هو المذهب المالكي وليكن مناط نظركا كلام المشائخ المالكية الذي انهوه الينا وكاتباني بما ينتلج اليه صدركما من الترحيح وبما تدينان الله به يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فانكما بحمد الله ممن لا تاخذة في الله لومة لائم والدين واحد واختلاف الائمة الذي هو رحمة لا يمنع المخالف من النظر بالعلم في قول غيره فان تطبيق النصوص والقواعد على النوازل ليس من شرطه اتحاد المذهب انما شرطه الفهم والعلم وهذا دم مسلم يلزمنا في اراقة التحري والله يقول ولكم في القصاص حيوة فعنايتنا بالحى مثل عنايتنا بالقتيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير احمد باشا باي وفقه الله اامين وكتب في ٢٧ رجب سنة ١٢٦٥ هـ.

هذا ولاتمام ما تقدم نشره بالعدد الاخير من المجلة بخصوص علاقة اهل العلم باهل السياسة في مقام الامور الرسمية نلحق بذلك هنا وثيقة تاريخية في مقام العلائق الادبية بين العلماء واهل السياسة من الاروباويين بتونس وهي عبارة عن تقرير لرسالة كتبها المستشرق ريشار وود قنصل انكلتيرة بتونس اسمها (الدلة الجلية في موافقة شريعة الاسلام للقواعد الانسانية) فهذه الرسالة اهداها صاحبها للعلامة الشيخ احمد بن الخوجة ولما قراها الشيخ رحمه الله قرضاها بالمكتوب الاتي نصه :

جناب البارع الحاذق الماهر المجرب البصير بالسياسة المدنية والتهاذيب الانسانية الموقر سيادة ريشار وود نائب وقنصل جنرال بريطانيا بالمملكة التونسية حرسه الله تعالى بعد الدعاء لجنابكم بالسعادة ودوام العافية فقد وصلتني هديتكم السنية كتابكم الذي سميتموه الدلة الجلية فسررنا به سرورا عظيما وزاد في ايضاح الدلالة على امتداد باعكم في المعارف وكمال انصافكم ومفاخركم المقتضية لتقديمكم في المناصب العالية وشريعة الاسلام وارادة على الميزان الاعدل مؤسسة على الرفق والرحمة حافظة لمصالح الخلق على النظام المحكم الذي يشهد بفضل العيان فان صدر من بعض المتوحشين خلاف ذلك فهو خروج عن قواعدها ونظامها وقد اوضحتم في كتابكم من هذا الغرض ايضا حبيلا والوقائع التاريخية تشهد بان المتوحشين يفعلون ذلك البغي مع بني دينهم من المسلمين ويعوقونهم عن اقامة قواعدهم كما في حروب القرامطة في البصرة والكوفة وما فعلوه مع الحجاج من نهب الاموال وسبي النساء والصبيان والقتل والافساد وبقي الحجاج كما قال الفاضل ابن خلدون في تاريخه كتاب العبر ضاحين الى ان هلكوا الى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التاريخ فنحن ندعو الله تعالى بدوام العافية في ذاتكم وانجلكم واهلكم مع سعادتكم اجمعين على ملاحظتكم الجلية وكمال انصافكم وصدعكم بالحق حرره الفقير الى ربه احمد بن الخوجة شيخ الاسلام بالمملكة التونسية كان الله له في ١ ربيع الانور سنة ١٢٩٦ هـ

محمد بن الخوجة

صلة تونس بالدولة العلية

صفحة من تاريخ تونس

بعث خير الدين للاستناد

سنتي ١٢٨١-١٢٨٨

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ١٥ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
امرنا هذا بيد الهمام المفخم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر وانا انتخبناه للرسالة
للابواب العلية السلطانية العثمانية خلد الله تعالى سلطانها وارشدها للخير واعانها لطلب فرمان العلي
الشريف الذي صدرت به الارادة السنية بمقتضى كتاب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة
١٢٨١ المتضمن ببيان حقوق الدولة العلية بهذه الايالة وحقوق معظم قدرها وءال بيتها وفوضنا اليه
في طلب ما ذكر راحيا من الله تعالى ان يحفه من انوار الخلافة بما تقر به العيون مما املناه من مكارمها
المعروفة وطلبناه حتى يرسع اليها هذا المطلب الذي هو الامل ونتيجة القول والعمل وان يمدد باعائه
وتوفيقه بمنه وكرمه والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعالى
وكتب في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين والف صح من محمد الصادق باي
مصطفى (الطابع السعيد)

« ١٦ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
امرنا هذا بيد الهمام المفخم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر وانا انتخبناه للرسالة
للابواب العلية السلطانية العثمانية خلد الله تعالى سلطانها وارشدها للخير واعانها، لعرض مطلبنا على
اعتابها السنية وفخامتها العلية وهو صدور فرمان الشريف العلي في بيان جهة الارتباط الذي بين الايالة
التونسية والخلافة العثمانية بايضاح ما للدولة العلية بها من الحقوق المقررة وما لمعظم قدرها وءال بيتها
من الحقوق المقررة بها ايضا وفوضنا له في ذلك بما يراه صالحا لهذا المقصد الديني والسياسي بحيث
ان ما يرميه في ذلك ماض علينا راحيا من الله تعالى ان يحفه من انوار الخلافة بما تقر به العيون ويوضح
ما هو في جنب مكارمها المظنون وان يمدد باعائه وتوفيقه بمنه وكرمه والسلام من الفقير الى ربه
تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعالى وكتب في ٢١ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان
وثمانين ومائتين والف صح من محمد الصادق باي
مصطفى (الطابع السعيد)

التعليمات السريّة

« ١٧ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهام المفخّم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر حرسه الله تعالى السلام عليكم وبعد فانكم على علم بمكتوب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة ١٢٨١ الذي اتيتم به لما وجهناكم في ذلك العهد للدولة العلية العثمانية ونص ترجمته المبعوث في هذه الوجهة صحة سعادة خير الدين باشا من المكتوب المشيري شاكرًا لاثار الالتفاتات السلطانية في خصوص الوقائع المكدرّة الاخيرة التي وقعت في نازلة تونس المحمية ومؤيدا بعهوديتكم وخصوصيتكم البهية مع مكتبكم المرسل الى هذا المخلص المثني على ذاتكم العلية قد قدمناهما للعتبة السنية الحاقانية وصارا معاومين عند حضرته الملوكية خلدّه الله تعالى على سرير شوكنه وجعله زينة لاريكة عدالته وخلافته التي هي مرجع الانام وملجأ الاسلام بحرمة حبيب الاكرم عليه السلام مدى الدهور والاعوام فانه متخلق بفضل الله بالسجايا التي تستجلب وتستدعي دائما رفاهية حال البرية من تبعة دولته العلية فلذلك يريد ويؤمل سعادة الحال واستراحة البال على الدوام والاستمرار لذاتكم وللمتتسبين الى سلسلتكم العالية والعباد الذين حسن ادارتهم مودوع بيد حضرتكم السامية وانه ايدة الله بعد ما تائر وتاسف من ظهور ذلك الاختلال قد صار مسرورا من زواله والله الحمد على وجه السهولة في المسلة اليسيرة كما انسر من تعظيمكم قدر قيمة همته العلية ومسايعه المصروفة السنية في اندفاع هذه الحادثة الفجيعة ثم ان السلطنة السنية مرادها الحقيقي ومقصودها القطعي على الوجه المحرر عبارة عما يستوجب بقاء الاستراحة في تونس وارتقاء عمرانها وتأسيس بناء الراحة والامن بها يوما فيوما لاهاليها وتبعتها ولاجل تمام حصول هذا الغرض الذي هو راجع وعائد اليها لا تقطع عنها الهمة والاعانة في وقت من الاوقات والدليل الجديد العلي على صدق هذا المدعى رافعا ودافعا لما عسى ان يتوهم تقوية الامتيازات القديمة على وجه التجديد رسما وهي الخطبة والسكة يكون كل منهما باسم السلطان كما كانا في القديم لكونهما علامة علينية لارتباط ابالة تونس التي هي من الاجزاء المتممة للممالك العثمانية ارتباطا شرعا بمقام الخلافة الاسلامية والسنجق يكون شكله ولونه المخصوص به الان باقيا على حاله والمعاملات الارتباطية الجارية مع طرف الدولة العلية الى هذا الوقت تكون مرعية وجارية كما كانت وعلى بقاء هذه الامور ودوامها يكون امر الولاية على طريق الوراثة مخصوصا بسلسلتكم العالية كما كان وتكون انتم مستقلا بالتصرف في الولايات الشرعية والسياسية والعسكرية وفي العزل بمقتضى القوانين الموافقة للعدل وفي الادارة الداخلية لتلك الولاية موافقة للشرع العزيز ومطابقة للقوانين العلية التي هي كافية لتامين الانفس والاموال والاعراض وموافقة لمقتضيات الوقت والزمان ومرخصا في المعاملات المألوفة مع الدول

المتحابة كما كان وكذلك للمهتولي ان يبعث ويطلب الفرمان العالي ويعطى له على العادة هذا ومهما وقع الاستدعاء والطلب من جنابكم السامي لصدور الامر العالي والفرمان الخاقاني فيما ذكر من الامور كلها المقررة اعلا يصدر لكم حسبما صدر الاذن العالي بذلك وبحسب المامورية تسارعنا لبيان هذا الحال لجنابكم بكل سرور يكون معلومكم ذلك وباطلاعتكم على هذا المكتوب الدال على الخصوصية وبما يقرر لجنابكم خير الدين باشا شفاها يتبين لكم ان نية السلطنة العلية منحصرة في الاصلاح والتأييد لايالة تونس ولذاتكم السامية ومقصورة على تخليص الرابطة القديمة والتابعة الممتازة بمقر الخلافة العلية ومنع ما يوجب دخول الخلل والتنافر ويحصل لكم الحزم واليقين بها ولا اشتباه في انكم تستجلبون دائما محاسن انظار حضرة سلطان الاسلام التي توجب سلامة الدارين وتستوجب ذكر الحيز لحضرتكم مدى الاعوام فلذلك اكتفينا بتحرير هذا القدر ورفعنا دعاءكم الى محل الاستجابة فليكن ما كتبناه رهين عليكم العالي والامر كله لمن له الامر . انتهى

وقد طلبنا فيما سلف الفرمان المشار اليه به فور دكتاب الصدارة المؤرخ في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ متضمنا ان ليس تاخير ارساله ناشيا عن تاخير المطالب او تركه بل المقصد تسهيل اجرائه ثم لما طلبناه عام التاريخ ورد جواب الصدر الاعظم المؤرخ في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨ متضمنا ان هذا المقصد المهم لا يتأتى بالرسائل والمكاتيب ولا يكون الا بارسال من يعتمد للذاكرة في تاسيس ما به الامتياز المطلوب والادارة والمعاملات الاتية وتسويتها بالاتفاق حسبما ذلك كله على علم منكم وتشكروهم من النسخ التي اخرجت لكم من المكاتيب المتعلقة بالنزلة وبناء على ما تضمنه كتاب الصدارة العظمى سمحنا بتوجهكم بامر الله تعالى وسلامته الى الدولة العلية العثمانية وكتبناها بما علمتم طالين منها الفرمان المذكور وكتبنا لكم امرنا المؤرخ بالشرين من شهر التاريخ بناء على ما تضمنه المكاتيب الواردة من جناب الصدارة العظمى بان الفرمان حاضر وقت ما نطلبه ولما كان من المحتمل ان المقصود من طلب توجيه من ذكر ان يطلبوا شيئا زائدا على ما تضمنه كتاب الصدارة المضمن اعلا كتبنا لكم امرنا المؤرخ بيوم التاريخ في التفويض لكم فيما تضمنه واستوعبنا في هذا ما يمكن ان تطلبه الدولة العلية نظرا لما سبق من الكلام في ذلك وما يمكن الاسعاف عليه من جهتنا لتوافق عليه بمقتضى امر التفويض المذكور وما لا يمكن الاسعاف عليه بحيث انه اذا لم يصدر الفرمان المشار اليه بمكتوب الصدارة اعلا وتوقف على فصل او على الفصول التي يمكن فيها الاسعاف بمقتضى هذا فانك توافق عليها بموجب امر التفويض نظرا لحصول المصلحة المقصودة من الفرمان المذكور واما اذا توقف صدوره على ما لا يمكن الاسعاف له بمقتضى هذا فانك لا توافق على ذلك والفصول المشار اليها - ١ - هي انهم اذا طلبوا توجه من يتولى لمركز الخلافة فالجواب انه لا يتمتع - ٢ - واذا طلبوا ان الخلطة السياسية وما يقع من الخلاف بين الايالة والدول الاحنية يكون بواسطة سفراء الدولة فالجواب انه اذا بلغت النزلة الى ما يمس اصول السياسة المعبر .

الشرف الحسيني بالقيروان

- ٢ -

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد

سبب شهادة العشرة في وثيقة الشرف

ان بني عبيد الولاة في ذلك الوقت مذهبهم اذ ذلك هو مذهب الامامية فيما بعد الذين يرون ان من تنقص شريفا يكون مباح الدم ومع ذلك يتقصون كثيرا من عظماء الصحابة والخلفاء الراشدين كالشيخين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ففي المواسم التي يكثر فيها الواردون على القيروان من قراها وضواحيها وبقية مدن القطر الافريقي يعمدون الى رؤوس الحيوانات المذبوحة في ذلك الموسم وبالاخص موسم عاشوراء فيعلقون من تلك الرؤوس على الحيطات المرتفعة ويكتبون في قراطيس توضع عليها اسماء بعض الصحابة تشهيرا لانتقامهم .

ويعشون دعاة ينشرون مذهبهم بين العامة فيعارضهم العلماء السنيون وينظرونهم في ذلك ويبكتونهم

عنها (بدروا اترناسيونال) فان الواسطة بين من ذكرهم السفراء -٣- واذا طلبوا ان الشروط التي تقع بين الايالة والدول الاجنبية تتوقف على الامضاء من السلطان فالجواب ان الشروط السياسية التي تمس حقوق السلطان في هذه المملكة لا تكون الا بموافقة واما الشروط المتجزية وغيرها من المعاملات مع الدول ورعاياهم فانها على العادة ولا تتوقف على الموافقة -٤- واذا طلبوا ان يكون تقديم من يرسل من الايالة للدول الاجنبية في المراسلات الودادية بواسطة سفراء الدولة فالجواب ان ما يتعلق باصول السياسة المعبر عنها بدروا اترناسيونال فانها لا تكون الا بواسطة من ذكر واما ما عدا ذلك من الخلطة الودادية وغيرها فانها على العادة -٥- واذا طلبوا ترجيع السكة على عاداتها اي بحذف ما زيد فيها فالجواب انه لا مانع -٦- واذا طلبوا ان تكون ادارة المملكة واحكامها على اصول كافية للادارة مطابقة للعدل ولعادات البلاد وسياسة اهلها فالجواب انه لا مانع من ذلك وكذلك -٧- اذا طلبوا الالتزام باعانة الدولة اعانة حرية عندما يعرض للدولة حرب مهم فالجواب انه لا مانع من ذلك اما اذا طلبوا ابطال اعطاء النواشيل للدول الاجنبية او اداء مبلغ من المال فانه لا تتيسر الموافقة على ذلك حررنا لكم ما ذكر لتعتمده في وحيثك المباركة وتعتمد على الله سبحانه وتعالى في اعانتكم وتسديد عمركم ونجحه على ما نعليه من وفائكم وامانتكم وكفاءتكم بحول الله تعالى وقوته والله تعالى يمدكم بعونه والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعالى وكتب يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين والف .

مصطفى

صح من محمد الصادق باي

(الطابع السعيد)

ولا تسال عن تعذيب من يخالفهم بانواع من العذاب لم يسبقوا اليه من ذلك قصة عروس المؤذن الذي لم يزد في اذانه : حي على خير العمل اذ قطعوا لسانه وجعل بين عينيه وطيف به وقتل بالمرضاخ سنة ٣١٧ الى غير ذلك من افعالهم المنكرة التي يضيق عنها مجلد خاص .

وفقهاء القيروان لم يطبقوا الصبر والتحمل فيغيرون عليهم في كل مجالسهم واغضب ذلك بني عبيد حتى أجبروهم على ابطال دروسهم للعامة وصار قوادهم بالمرصاد من علماء السنة .

ومع ذلك لم ينفك الفقهاء من الارشاء والاسنهاد لاختطارهم وتداول الفقهاء البحث فيما بينهم في امر بني عبيد فأرأوا باتفاق جميعهم ان الخروج على بني عبيد امر واجب ولو مع ابي يزيد الخارجي لان الخوارج هم من اهل القبلة لم يزل عنهم الاسلام فيرثون ويورثون . وبني عبيد ليسوا كذلك لانهم محجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا يتسبون اليهم وقدر ان اتى ابو قضاة داعية بني عبيد الى القيروان وحضر مجلس عقد نكاح وحضرة كثير من هؤلاء الفقهاء وجماعة مشاركة من شيع العبيديين وعلى مذهبهم وكان بالقرب من ربيع القطان احد اولئك الفقهاء ابو قضاة المذكور فاتى رجل من اعظم المشاركة فقام اليه رجل منهم وقال الى هنا يا سيدي الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ابا قضاة ويشير بيده اليه فانكر الفقهاء ذلك وكثرت اجتماعاتهم في الجامع وفي المصلى وفي غيرهما لاعمال رايهم في الامر واخيرا اتفقوا على قتالهم والخروج عليهم .

وفي رجب من عام ٣٣١ تاريخ الوثيقة اجتمعوا في الجامع وقرروا الخروج وعقدوا سبعة الوبة لكل فقيه من زعمائهم لواء وركزوها قبالة مسجد الحدادين بما فهم منه ان خروجهم كان من باب نافع وهو احد ابواب المدينة الثنتي عشرة وهو بالحلة الشرقية ويخرج منه لمقبرة باب نافع التي هي مقبرة سحنون اليوم اذ سوق الحدادين كان هنالك . وتوجهوا قاصدين المهديّة مع ابي يزيد الخارجي الذي مكر بهم في هاته الواقعة ووقع بينهم القتال خارج المهديّة بالحل المعروف بالوادي المالح وسميت الواقعة باسم هذا الوادي . وحيث ان العبيديين يدعون انهم فاطميون ولم يشك ذلك عند الفقهاء وكثير من علماء النسب وألف بعضهم في ذلك تاليفا وان اثبت ابن خلدون لهم هاته الدعوى وقال جادلتم عنهم في الدنيا وأرجو ان يجادلوا عني يوم القيامة . فان فقهاء القيروان لم يقفوا عند حد هزيمتهم في واقعة الوادي المالح ومكر ابي يزيد بهم . وكان من بين القيروانيين بيت ابن عوانة المشهورة بالشرف الحسيني والعلم والأمانة والفقه والصلاح حسبما صرح بذلك في الوثيقة فانهم جعلوا تلك الوثيقة وشهد لهم فيها اولئك العلماء العشرة

وحيث لم يحصل لهم المقصود من جعلها بقيت من تاريخها لم تخرج منها نسخة الا بعد استقرار الدولة الموحدية ورسوخ قدم بني حفص فاخرجت منها النسخ المتقدم ذكرها للتوصل لاختذ بني عوانة حقوقهم الهاشمية من بيت المال ومن الاحباس الموقوفة من الاسلاف القيروانيين رحمهم الله وجازاهم عن برهم على ارفاق واعانة اهل الفضل وهو وقف المرتفات المعروف الى اليوم بزيادة عن اوقاف الفقراء المحبس على فقراء القيروان واوقاف ماستانات المرضى بالامراض المعضلة والمعدية واوقاف السجن واوقاف الزيت والاكواز التي تنكسر ويراقي زيتها للصبيان الذين يرسلهم اباؤهم عشية لذلك الى غير ذلك من اوقاف اوجه البر ومحتها يد السنين من لوحة العمل بها وان بقي الكثير منها الى اليوم في تصرف جمعية الاوقاف .

واضع بين عين القراء هاته الوثيقة التي اقيمت عام ٨٠٢ ونصها :

بعد طالعها يعرف شهوده الشيخ الفقيه المكرم ابا عبد الله محمد المذكور اعلا (اي اعلا النسخة من الوثيقة العوانية) واولاده ابا الحجاج يوسف و ابا عبد الله محمدا و ابا محمد عبد الله و ابا اسحاق ابراهيم و ابا مروان عبد الملك و ابا العباس احمد معرفة تامة ويشهدون انه هو واولاده ضعفاء التكسب تلبوا ذات اليد ممن تجب مواساتهم محتاجين لارفاق المرققين واحسان المحسنين تبركا وتوسلا بذلك لنسبهم الشريف الكرم ابتغاء ثواب الله الجسم العظيم وخصوصا بارفاق المقام العالي المولوي السلطاني المتوكلي المنصوري المؤيدي المجاهدي وفر الله جنودهم ونصر اعوانهم وحيوشهم تبركا بجدهم المرجو شفاعته يوم الحساب رجاء ثواب الله سبحانه وحسن الثواب بهذه الحالة عرفهم شهوده وبها خبروهم وقيدوا على ذلك شهادتهم لسائلها بتاريخ اواخر شهر شوال عام اثنين وثمانمائة وبان نعت الشريف المذكور حسن القد صوب الجسم اظهر اللون يعلوه صفرة خفيفة كهل السن احبه الميج الحاجين اصلع صليت العارضين بتغير مقدم اللحية اشط الشعر بجبهته اثر جرح برئى وعقا اصفى الجوهرة اليمنى والثانية التي تليها فمن عين من حلية الشريف المذكور ما حلي به ووصف به قيد على ذلك شهادته في التاريخ المذكور وبلي ذلك اسماء العدول الشاهدين بذات معتودة اسماءهم على الكيفية المعهودة في عقودهم في تلك العصور بحيث تقرا اسم العاقد من عتده على هاته الكيفية وهم :

محمد بن محمد بن ابي القاسم بن احمد الشقناصي - ومحمد بن ابي بكر بن علي الفاسي - واحد بن محمد بن ابراهيم الحنضلي - ومحمد بن عبد العزيز بن رجال الربيعي - ومحمد بن عبد الواحد بن عبد السلام الدهماني - ومحمد بن عباد بن موسى الحضرمي - وعمر بن عبد الرحمان بن عمر الدهماني وعمر بن ابراهيم المسراتي - واحد بن يوسف بن عيسى الترهوني - واحد بن عبد الوهاب بن خليفة بن محمود البيري .

ومما يناسب ذكره هنا تعميما للفائدة ولمعرفة درجة الوثيق في تلك العصور وتحري العدول في شهادتهم انهم ذكروا في رسم بعد هذا الرسم مؤرخ باواخر رجب عام ٨٣٧ صفة حفيد من هاته السلسلة وهو الفقيه محمد بن الكاتب محمد ابن العدل يوسف واوصلوه بالسلسلة المذكورة وان من صفته شاب السن غير ملتحي كبير الوجه ادم اللون بين ثنايا السفلى فلجة متسعة اقنى ابلج اغم افلج الثنايا العليا وانهم قيدوا على ذلك شهادتهم للحاجة اليها خوف التلبس ممن يشبه عليه ويتسب لنسبه والتحوط على هذا النسب الشريف العالي ولكونه متصفا به وحائزا له الخ شهد به خليفة بن ناجي واحمد التوزاني المتقدم ذكرهما وشهد به في اواخر رمضان عام ٨٤٠ عبد الله بن ابي القاسم الشقناصي وابراهيم بن محمد بن عبد الله بن عوانة الحسيني وشهد به في تاسع شعبان عام ٨٤٤ من غير تحقق انه اسم وليس باقنى وهو الى الشم اقرب احمد بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن عمران المسراتي

فتأمل رعاك الله كيف كانت العدول وتحريم في شهادتهم وفي تحاريرهم ومن هم هؤلاء العدول وهل هم الا قهواء بمعنى الكلمة فصحاء لا تصدر منهم كلمة على غير القواعد العربية والطرائق البلاغية اقلهم يصلح لقضاء العواصم اليوم وما قبله اما اليوم فقد اختلط الحابل بالنابل

لقد هزلت حتى بدا من هزلها كلاها وحتى سامها كل مفلس يتبع

محمد

الصادق الامين المبعوث رحمة لعامة الناس اجمعين

بقلم العالم المدرس الشيخ الطاهر النيفر

منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف وخمسين سنة وكثائب اعداء الاسلام توالي هجماتها نحو هذا الدين المحكمه دعائمه بكل ما لديها من قوة وتكتل وحزم ومواصلة عمل وهو كالجبل الراسي لا تقوى على زعزعتة اعاصير الايام ولا عواصف الليالي . وذلك بفضل سماحة تعاليمه وما ضمنه للبشر من سعادة ورغد عيش فهو الذي يعلمهم النظام ويفهمهم معنى الاخوة وما تنطوي عليه من هناء وسعادة ويرشدتهم لما في توحيد الكلمة وجمع القوى من سمو وبلوغ آمال وهو الذي يسوي بين ضعيفهم وقويهم امام الحق وينشر على الجميع لواء الحرية الحقبة بكل ما في معنى الكلمة من سمو ورفعة

بهذا وغيره من فضائله التي لا تكاد تحصى لم تزد مهاجمة اعدائه وتقدم العصور عليه الاشيعوا وانتشارا وها هو يتوغل اليوم في قارات المعمورة وتظهر مآثاته وعجائب اسرارها كلما تقدمت المعارف واتسعت مدارك البشر (سرهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم الحق) فأقلق ذلك اعداءه والمناوين له واصبحوا يغزون المسلمين في عقر بيوتهم ويحاربونهم في عقيدتهم سالكين للتأثير على البسطاء ممن جهلوا تعاليمه (وهم في هاته الاعصر كثيرون وبالا لاسف) مسالك شتى

لكن ابي الله الا ان تكون اسد حتم في هذا الميدان مفلولة وعملهم ضائعا لم يأت بنتيجة وان قلت ولا ينبغي ان يكون ما لاقاه هؤلاء من الاعراض وما صادفته سلعتهم من البوار فانا في سواعدنا عن كشف استار اباطيلهم وما جاءوا به من ترهات الاضاليل . فانا انما على هذا الحيل من الانخداع لهؤلاء الابالسة فلا نمان على بعض ابناء الاحيال القادمة من ان تصادف شبهاتهم بعض الضعف في نفوسهم خصوصا انا اصبحتنا نشاهد والاسف يملا ما بين جوانحننا ابناءنا يتعدون شيئا فشيئا عن تعاليم الاسلام ويتوغلون رويدا رويدا في الهلج باسرارها وفضائلها

اذا فواجبكم يا حجة الدين المحمدي شيوخوا وشباننا ان تقفوا وقوف الرجل الواحد في وجه هاته الكتائب المسلحة التي وجدت المجال فسيحا لبث سموها والطعن بحراها في ربوعنا الاسلامية التي توالى عليها النكبات وتعددت بها المصائب لاسباب يحمل البعض منها على كواهلنا .

فقوموا فواجبكم نحو هذا الدين الذي وكلت لكم حمايته حتى تؤدوا الرسالة التي ائتمنكم الله عليها واستخلفكم من اجلها في الارض بعد انتقال المشرع الاعظم صلواة الله وسلامه عليه فانتم ورثته وخلفاؤه في هذا الامر . ان من اخطر الدعاوي على الاسلام ما يتخرص به بعض هؤلاء المبطلين من

انه دين خاص بالعرب فانهم يتظاهرون بتسليم رسالته صلى الله عليه وسلم وبتصديقه فيما جاء به الا انهم يدعون انه ارسل الى العرب خاصة ولم تشمل رسالته الامم الاخرى وبذلك يستديمون حياة شريعتي موسى وعيسى ويؤمنون عليهما من ان تصيهما الشريعة المحمدية بمعول التقويض والازالة ولم يقف اعداء الاسلام في وجه انتشاره بمثل هذا السلاح المفلول من اليوم بل هي شنيئة قال بها اصحاب ابي عيسى الاصهاني من اليهود منذ امد بعيد ولكنها من اشد الدعايات خطورة عليه لانها لا تثير غضب البسطاء ممن تلقى عليهم من أهله ابتداء ومن اول الامر فانهم يبادرونهم بالاقرار بصحة عقيدتهم في رسالة سيدنا محمد وبتصديقه فيما جاء به حتى اذا رأوا منهم الاستيناس بهم والاستماع لاقوالهم وصلوا بهم الى الغاية المقصودة اعني ادعاء قصر رسالته على العرب ولربما تمكنوا بسبب هذا السلوك الذي لا تثير الغضب والاعراض عن الحديث من اصله من القاء بعض الريب في نفوس بسطاء مستعجمين وجدير بنا ان نلم موحزين بحالة العالم بأسره قبل بزوغ الشمس المحمدية لتعلم الضرورة التي دعت لمقصد البشرية المعذبة فقد تقطعت اوصالها وانتهكت حرمتها وديست عقائدها وايحت اعراضها واستحلحت اموالها ودمائها واكل قواها ضعيفا بعد ان امعن في استعباده وتسخير جهوده لا في مقابلة شيء . ولم تكن هاته الولايات والامراض الاجتماعية مقصورة على امة دون اخرى بل عمت سائر امم المعمورة فهاته امة الفرس العريقة في الحضارة والمدنية قد اثرت فيها اذ ذاك الحروب المتوالية مع الرومان للحصول على سيادة العالم ويرجع تاريخ التعادي بين الامتين الى ما قبل القرن الخامس وقد استمرت دواليك وكانت سجالا من سنة ٦١٠ الى ان ختمت في سنة ٦٢٧ بانهزام الفرس الهزيمة الاخيرة والشنعاء التي افضت ببلوغ جنود الرومان نينوى عاصمة الاشرويين قديما فظهرت بدولة الفرس مخايل الانحلال السياسي واشتد بها الهزال وعمتها الفوضى حتى اصبح الملك لا يلبث على دسسته الا زمنا قليلا فتثور عليه ثائرة البعض من رعاياه ويفضي الامر الى انزاله ووضع آخر مكانه وهكذا يصاب بمثل ما اصاب به الاول فقد قام خلال اربع سنين تسعة من ملوكهم كل واحد منهم يدعى الملك ثم لا يلبث ان تنزل به قدما وكفأك هذا التفرق والضعف في الدولة دليلا على انحلال وحدة الامة وتفرق كنهها زد على ذلك ما اصابها من الظلال في العقيدة والتدهور في الاخلاق من اجل تشعب المذاهب الدينية فهؤلاء يعبدون الكواكب وينسبون لها التأثير على العالم وآخرين يعتقدون في الوقاية بالطلاسم والعزائم وينخدعون للسحور والشعوذة واولئك يتبعون ما اختلقه زرادشت من المذهب المجوسي الذي يجعل للعالم الاهين احدهما للخير ويسميه بهرمز وعنوانه النور والآخر للشر ويسميه بهريمان ويرمز له بالظلمة ويدعي ان ما من امر محبوب الا وهو من صنيع الاول وما من امر مكروه الا وهو من صنيع الثاني ولذا كان اتباع هذا المذهب يعبدون النيران التي يؤججونها في رؤوس الجبال لانها رمز الاله الخير ثم زاد الطين بله وعظمت عليهم البلية وبلغ بها

الضلال والتدهور الاخلاقي انتهى لما جاءهم اللعين مزدك مدعيا ان الله بعثه ليأمر باباحة النساء والاموال بين الناس جميعا لانهم اخوة من اصل واحد وبذلك جرى من الظلم والحور وانتهاك الحرمات والاعراض واباحة الفروج واختلاط الانساب ما لا يحيط به التعبير الا ان كسرى وان اباد هذا المذهب وقتل داعيته واتباعه لكنه لم يكن في مقدوره ان يبذل ما علق بالنفوس منه من السقوط الخلقي والاثار المذموم .

اما امبراطورية الرومان فلم يكن حظها اذ ذاك باسعد من حظ اختها فان كثرة الحروب مع الفرس وانغماس القياصرة في اللهو والمجون وافراطهم في تبذير اموال الرعية واغداقها على الاشراف واهل المناصب من البطارقة قد احدث ضائقة اقتصادية وضعفا عظيما في الثروة العامة وكثرت بسببها الضرائب وثقل حملها على الامة بعد ان ابتزت حتى اموال الكنائس وما كان مدخرا بها من الذهب لمحاربة الفرس في سنة ٦١٠ فكان من نتيجة هاته السياسة التي يراد منها اشباع الكبراء والسادة وتوفير العطاء لهم ولو افضي الامر الى تفجير العامة واهل الولايات التابعة لسلطانهم فكان من نتيجة ذلك كله ان شقت هاته الولايات عصا الطاعة تخلصا من مظالم هؤلاء الحكام وجشعهم المستديم ودبت في اجزاء الامبراطورية عقارب الانحلال مع ما اثرته هاتيك الحروب الهائلة فيها من الضعف وعمت الفوضى السياسة جميع المناصب الدولية حتى اصبح الملك يعطي لمن زاد في العطا وهاته الحالة وان اراد اصلاحها فقلدتانوس ومزجاء بعده الا انهم لم يتم لهم النجاح كله وقضى عليه تشعب المذاهب الدينية فقد قام اتباع كل مذهب بحرب عوان دفاعا على معتقدهم فعمت الفوضى الامور الدينية كما استولت من قبل على المناصب الحكومية واصبحت الامة على شفا جرف هار تتناهب الفوضى في المعتقدات والسياسة وتاكل وحدها نار الفتنة الداخلية والخارجية وباقي على تبذير اموالها تصرفات كبرائها وتكالبهم على موجبات الترفه واسباب الزينة ونعيم الحياة وتكون من مجموع ذلك تدهور في الاخلاق عظيم يضاف الى ذلك كله معاداة اليهود لهم الذي بلغ منتهاه في زمن هرقل فقد بلغ من تنكيل اليهود بهم ان اشتروا من الفرس ثمانين الف اسير من الروح وذبحوهم عن آخرهم وقد قاموا تحوهم يعاملونهم بالمثل فقرروا منع اليهود من اقامة شعائرتهم الدينية بل القوا الديانة اليهودية رسميا من بلادهم واجروا عليهم من الشدائد ما لا يوصف وبذلك تعلم ايضا ما كان عليه اليهود اذ ذاك من التدهور الاخلاقي والقسوة والظلم وما اصابوا به من التعذيب والتنكيل .

اما امة الهند فلم تنج هي بدورها ايضا من السقوط الخلقي والضلال في المعتقد فقد اشتر بينهم المذهب الاباحي وعم الفروج والاموال وبلغ الفحش فيهم منتهاه حتى كان الكاهن عندهم يختص بالعروس في ايامها الاولى لينشر عليها وعلى زوجها البركة والنعمة وهم يدعون جهرة الى المنكرات باناشيد يرددونها في الاجتماعات العامة .

أما الامة العربية فنهّا رغم ما كانت عليه من الكمال الخلقى في بعض النواحي لم تكن سليمة من مثل هاته الامراض الاجتماعية الفتاكة فهم لا يأوون الى دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزتها فمما شئت من ارحام مقطوعة وغارات مشنونة واصنام معبودة وبنات موؤدة فكانت الحرب بين القبائل لا تكاد تضع اوزارها ومنهم من اتخذ الغارة موردا للعيشه

ليس هناك ما يجمع كلمتهم او يوحد جهودهم فلا يعرفون للدولة تكويننا الا من قل من بعض المتحضرين منهم ولا يدركون للعلاقات السياسية معنى فكل قبيلة تقوم بنفسها وتجمع امرها لتشن الغارة على الاخرى . اما حالتهم الاقتصادية فهي ادهى وامر فزيادة على جذب اراضيهم قد استغل المال بعض اهل الطبقة العليا منهم وابتزوا اموال الضعفاء بانواع من المظالم ما انزل الله بها من سلطان وعمل الربا الفاحش في تقديرهم عمله المشنوم حتى اصبح موردا ثانيا بمكة بعد التجارة وحسوبة لا فرق بينه وبين التجارة (قالوا إنما البيع مثل الربا) وقد بلغت بهم الشدة والقسوة في هذا الباب المنتهى فحملوا المدينين على اكراه فتياتهم على البغاء (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصننا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) وتكالبوا على جمع المال من أي وجه كان فكانوا كما وصفهم القرآن بقوله (اذا اكثلوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) فاخذت الديون برقاب الناس حتى كانت النصارى منهم يجعلون المدين عبدا مملوكا للدائن بسبب الدين الذي عليه ولم تخذل حالتهم الخلقية في النواحي الاخرى من بعض الشين فم فيهم الخمر والنصب والمقامرة خصوصا عند ابناء السراة منهم ووجد السلب والنهب فيهم وعملت العصية كل ما في طوقها من الظلم والنعدي وعظم في نفوسهم حب الانتقام حتى كانت النساء لا يرضين بسوى صبغ ملاسهن بدم القتل واكل قلبه وكبدته اما ظلمهم للضعفاء واستعبادهم للارقاء فحدث عن البحر ولا حرج

ولا تسأل عن ضلالهم في الاعتقاد فقد ضجت منه السموات والارض فمعهم من تاول الاله بعض الحيوان ومنهم من تمثله في الكواكب ومنهم من حسبه في الاشجار والاحجار او قطع الحلوى تعالى الله عما يشركون ومع هذا كله فلم تخل الامة العربية من افذاذ وحدوا الله ونزهوه عن التشريك وادركوا ما كان عليه قومهم من البغي والضلال وانذروهم بسوء العاقبة ووخامة المنقلب كما هبوا لانتقامهم من الظالم والعدوان بما استطاعوه من قوة وما حالف الفضول الذي عقد بمكة وحضره النبي صلى الله عليه وسلم عنكم يخاف كما قام الشعراء بنصيحهم في هذا المضمار قصد التأثير عليهم فهم عندهم بمنزلة الزعماء والمصلحين في بقية الامم الاخرى قال الاعشى

تبتون في المشتى ملاء بطونكم وجارتكم غرثي يبتن خمائصا

الا ان هاته المنازع الإصلاحية التي قام بها البعض منهم لم تكن كافية لردع جميعهم عن الشر

والطغيان فهما اللذان طبعت عليهما نفوسهم منذ نعومة اظفارهم

ولذا كان العقلاء منهم كورقة بن نوفل وعبد المطالب بن هاشم وامية بن ابي الصلت يتكهنون بانه قد اقترب ان يبعث في هذا العالم نبي ليخلصه من هذا الشقاء الذي خيم عليه في شتى نواحيه جرياعلى ما علموه من سنة الله تعالى . من قبل فان الضلال والتدهور قد بلغا بالناس الغاية اذا علمت هذا فهل كانت الامة العربية فقط في حالة تدعو لارسال منقذ لها يخلصها مما انغمست فيه من ضلال وفساد ام كانت حالة الشعوب كلها في ذلك سواسية فما منها الا ما تدعو حالته للانقاذ ؟ لا شك ان من علم هذا ووعاه ايقن بان حالة الشعوب كلها اذ ذاك كانت داعية لمنقذ ياخذ بيد جميعها الى طريق الفلاح ويضيء دياجيرها بنور الحق والعدل

اذا فكيف يدعى بعد هذا ان الرسالة المحمدية خاصة بالعرب مع ان حالة العالم كله اذ ذاك داعية لانقاذ البشرية المعذبة فهل ان الامة العربية هي اولى عند الله بالانقاذ والرعاية من بقية البشر ؟ كلا ثم كلا البشر كله عند خالقه سواء لا يرتضي له الا السعادة ورغد العيش وانما خصت الدعوة بالنسبة لبقية الرسل لان الداعي لرسالتهم انما هو امر معين لم يحط الا بالامة التي بعثوا فيها

فموسى عليه السلام بعث لتخليص بني اسرائيل من ظلم فرعون وجنوده وهو ظلم لم ينزل الا ببني اسرائيل خاصة فان المصريين اذ ذاك كانوا ذوي قدم راسخة في العلوم والمدنية ولهم نصيب وافر من الاخلاق الكاملة فارسل موسى اليهم لتخليص بني اسرائيل من ظلم فرعون وقومه . وكانت رسالة عيسى عليه السلام خاصة بقومه لانه بعث لانقاذهم من الرذائل التي انغمسوا فيها وليصلح نفوسهم مما تأصل فيها من ضروب الفساد وهو امر خاص بقومه اذ ذاك فقد كانت الحضارة الرومانية في ذلك العهد بالغة متنهاها اما قبل بعث سيد البشر فقد تاصل الفساد في البشر قاطبة وذلك ما دعا لتعميم الرسالة بفضل حكمته جل من خالق ورافته بعيدة ولا يسع اي كائن من كان انكار هذا الامر الذي اثبتته التاريخ الصحيح وحكم بمقتضاه العقل السليم الذي لم يحجبه التعصب الاعمى

ولنسق لك بعد هذا من كلام الله تعالى وكلام النبوة وسيرة الرسول ما لا يبقى معه مجال لانكار هذا المدعي الاتيم فمثل هذا مما تقوم به الحجة على الخصم لانه يسلم صحة رسالته ويثبت له الصدق ويسلم بالتبع لذلك حججة اعماله

اما ادلة ذلك من الكتاب فاكتر من ان تحصى منها قوله تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ومنها قوله جل من قائل (قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) ومنها قوله جل جلاله (ما كان محمدا با احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وهي في السنة لا تقل عن ذلك كثرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (بعثت للناس كافة) الحديث وما محاربه صلى الله عليه وسلم لليهود خير الامن ادلة ذلك فهل يتناسب مع صدق الرسول وما ارسل به من العدل واقامة قسطه بين الناس ان يحارب قوما من اجل عدم اتباعهم لاحكامه والحال انه لم يرسل اليهم ومن اظهر الادلة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، الكتب التي ارسلها لغالب

عظماء الامم يدعوهم بها الى الاسلام . فقد اسرل حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية وابن وهب الى الحارث بن ابي شعر العسافي عامل قيصر على غسان بالشام ودحية الكلبي الى قيصر وهو يومئذ هرقل ملك الروم وصليت بن عمر الى هوزة بن عمرو الحنفي وعمر بن امية الى النجاشي وعبد الله بن حذافة الى كسرى ملك الفرس وكان ارسال هؤلاء جميعا في يوم واحد سنة ٩ هجرية كما ارسل غيرهم لغير هؤلاء فهلا يستحي بعد هذا من يدعي عدم العموم في رسالته

ولا نريد ان نلوي عن القلم عن هذا الموضوع قبل ان نجيب عما عسى ان يورده الخصم في هذا المقام من ان رسالته صلى الله عليه وسلم اذا كانت عامة فلماذا اختير لها عربي وبذلك وقع الخروج عما جرت به سنة الارسال . ولماذا كان البعث في مكة مع ان البلاد الاخرى كفارس واراض الرومان هي اكثر مدنية واستعدادا لتلقي النظام وتفهيم احكامه او ليس من اللائق برسالة كهاته أن تكون بين قوم قبلوا الحياة ظهرا لبطن وعلموا اسباب السعادة وموجبات الانحطاط ؟

وانا نجيب عن هذا بان الداعي لجعل الرسالة العامة في العرب امران أولهما ان رسالة كهاته استفاحي العالم كله بتسفيه احلامه وتضليل آباءه وتحويله بعد التفرق الى الائمة وبعد الشقاق والتطاحن الى الايحاء والاتحاد وتعهد الى القياصرة والملوك الذين الهوا انفسهم من دون الله فتسويهم بالسوقة من رعاياهم امام الاحكام والقضاء وتجعلهم سواسيه لافضل لاحدهم على الآخر الا بالتقوى وقتل من نفوس البشر قاطبة ما الفوة من الطباع لتضع في مكانها ما يناقضها على خط مستقيم رسالة كهاته امرها ليس بالهين ونجاحها ليس بالسهل فان الرسائل الاخرى التي تقدمتها ولم تقاوم الا شعبا واحدا فحسب لم يفلح غالبا ولاقى اصحابها جميعا كل اذى ومكر وه منكم من قتل في سبيلها .

اذا فلا بد لها من انصار اهل عزيمة وثبات واصحاب بطش وقوة جاش وصبر على ملاقاته الاهوال والشدائد ذوي عصبية يستمتيتون في الدفاع عن بعضهم من اجلها حتى تتمكن الرسالة من الثبات امام العواصف الهوجاء التي ستلاقيها من كل حذب بمعونة هؤلاء المدافعين الاشداء الذين تدعوهم حميتهم المقدمة عندهم على كل اعتبار آخر للدفاع عن صاحبها وان كانوا غير مقتنعين بصحة رسالته ولم تجتمع هاته الصفات في غير الامة العربية وقد استقادت الدعوة المحمدية بالفعل من هاته الصفات العربية في اول نشأتها فقد وجد صلى الله عليه وسلم من حباة عمه ابي طالب في صدر البعثة ما تمكن معه من القيام بواجبه على اكمل وجه كما وجد بعد ذلك لما اشتدت مناوات قریش له من بني هاشم والمطلب التمهيد التام بحمايته من الشر لا فرق بين مسلمهم وكافرهم وما دعاهم الى ذلك الاحميتهم التي يجعلونها فوق كل شيء .

الامر الثاني : ان الاسلام قد جاء بتقرير كثير من الاخلاق العربية الكاملة التي كادت ان تفرد بها الامة العربية من بين سائر الامم الاخرى فهي اذا اكسر قابلية للشرعية الاسلامية الملائمة لبعض اخلاقها وطباعتها فيكون انتشارها فيها اذا ظهرت اسرع من انتشارها في بقية الامم ومتى انتشرت فيهم لاقت من حميتهم وشدهم في الدفاع ما يثبت به قدمها امام القوة المعارضة . وقد تم هذا بالفعل وراينا من فضائلهم بعد ذلك في نصرة هذا الدين وتقائهم في الدفاع عنه وخدمته وخدمة من جاء به صلى الله عليه وسلم . ما لم نر مثله من بقية الامم الاخرى بعد دخولها في الاسلام وبذلك تم ما اراد الله وارضاه

تأثير الادب في رقي الامم

بقلم أمير البيان عطوفة شكيب ارسلان

حياة الامم كحياة الافراد عبارة عن مسابقة شاقة ينال فيها كل بحسب استعدادة وعلى قدر اجتهاده ومن حيث اننا نتكلم الآن على الشعوب لا على افراد وعلى الوسائل التي تتوصل بها هذه الشعوب لاجل النهوض من الخضيض الالوهدي الى السنام الالمجد كان بديها ان نقول ان رأس وسائل النجاح في هذه المسابقة هو العلم . ليس في ذلك نزاع ولكن العلم فنون كثيرة لا تكاد تحصى فأأي فن من فنون العلم يجب على الامة الناشدة لاسباب الترقى أن تنشده قبل غيره وتبدأ به لتعرج الى العلاء ؟ الجواب هو : الادب . وربما ذهب أناس من المفكرين الى أن رقي الامم يتوقف على العلوم الصحيحة أو ما يسمى بالعلوم الثابتة كالرياضيات او كالتطبيعات وما تفرع منهما وهو كلام من حقه ان يبحث وهو صحيح من حيث المآل ولكن المرحلة الاولى في طريق نجاح الامم هي للادب دون غيره وذلك لان الادب هو ثقاف النفس وصقال الهمة ومثار كوامن العزائم وهو المشتمل على نواحي الحياة الروحية كلها . فالنفس لا تتوق الى المعالي الا بالادب وهو المهاز الاعظم الذي يبعث النفس على الحب في ميدان المجد . ومتى اوجد الادب هذا الشوق الى المجد نشدت الانفس ضواله المتعددة اينما وجدتها ومن أي نوع كان . فكانت العلوم الكونية والمعارف الطبيعية وجميع الاسباب التي لا تترقى الامم الا بها النظم والنثر والزجل والامثال والحكم والقصص والتاريخ والاساطير وكل ما يهز النفس ويروقها ويشير فيها الوجد ويشوقها هي الوان الادب الذي لا مناص للامم التي تبغي العلاء وتبقي الفناء من استيفاء شروطه واستكمال ادواته حتى ترقى معارج المدنية وتنسج لها السعادة في الداخل والسيادة في الخارج .

وبعبارة اخرى العالم مركب من مادة ومعنى . فالمادة جامدة صلبة لا تعلق لها بالارادة ولذلك فهي تنتظر التصريف من عالم المعنى الذي هو المملكة الروحية القائدة المدبرة المرشدة الآمرة الناهية التي اذا تعلق ارادتها بشيء مضت تطلب أسبابه المادية . فكان عالم المادة خادما لعالم المعنى خدمة الجسم للروح وكان مقدار هذه الخدمة على نسبة مقدار الارادة وقوتها . فاذا اشتدت الارادة في امر اطاعتها المادة فيه اطاعة بعيدة المدى عميقة الغور . واذا كانت الارادة فيه ضعيفة كانت طاعة المادة للارادة ضعيفة وجاءت خدمتها لها ضئيلة كما نشاهد من احوال الامم اللائي لا يزلن في دور الانحطاط فان استمرار قصورها منشأه الحقيقي فقدتها لاسباب الرقي المادية من بخار وزيت وكهرباء وما اشبهها وقدتها لهذه الاسباب انما هو من ضعف ارادة هذه الامم في نشدانها وضعف هذه الارادة انما هو من

ضعف ملكة الادب فيها . اذ لو كان ناشئة هذه الامم يقرؤون من الاشعار ما يهز أوتار أعصابهم ويحفظون من الازجال ما يثير كوامن نفوسهم ويستظهرون من الحكم والامثال ما يوسع دائرة عقولهم ويطلعون من التاريخ ما يفسح آفاق تفكيرهم وما يقوي فيهم الرجاء ويدفع اليأس الى الوراء لكانت الامة ارقى حالا واشد على العلم اقبالا .

وقد يكون لقصص والاساطير ايضا وهي من المنازع الادبية عمل عظيم في انفسهم يسوقهم الى الكمال ويحفزهم الى المثل الاعلى لانه كما تقدم القول عليه لا تتحرك الارادة الا من بعثة روحية وعن نهضة نفسية وهذه انما يقتدح زنادها الادب وتلقح من هارياح النظم والشر وتستبسط ينابيعها مطالعة التواريخ وتنشل كائناتها الازجال والاسجاع والاقوال التي تتسوغها الطبائع والامثال التي تهفو اليها الاسماع .

فقولنا اذن ان الادب هو المرحلة الاولى من مراحل الحياة المستراد لمثلها انما هو القول الفصل المنحوت من اصفى مقاطع الحقيقة ولولا ذلك ما قال المؤرخون ان الثورة الفرنسية الكبرى ما كانت لتثور لولا الافكار التي زرعها فولتير وروسو وهما من أساطين الادب . ولما كان كارليل الكاتب الانكليزي يقول نحن الانكليز نرى شكسبير أنفـس لدينا من الهند فان هذا القول يبدو غريبا لمن لم يتأمله حق التأمل فيقول كيف ان فذا من أفذاذ الانكليز مهما علا في الادب كعبه وملك العقول سلطانه يكون لدى ادباء الانكليز ائمن من الهند التي تتوقف عليها عظمة بريطانيا العظمى كلها . ولكن من تعمق في النظر يجد ان شكسبير هو الذي بقصائده هز معاطف الامة الانكليزية فاوردها موارد الصفاء واصعدها مصاعب العلاء وحجب اليها الجمال والحلال واطمعهـا في القلم والكمال وان فتح الهند المشتملة على مئات الملايين من الانفس انما كان من ثمرات تلك الشجرة الادبية التي غرسها يد شكسبير في هذه الامة العظيمة ولولا ان يكون الادب هو مصدر الانبعاث الروحي ما كان الالمان فتنوا بغوته الى حد ان شبانا كثيرين انتحروا من شدة التأثير باحدى رواياته . وما كان بعضهم يقول ان الله عوض الالمان من المستعمرات بالافكار الفلسفية ومن الفتوحات العسكرية بالفتوحات العقلية وهذه كانت نتيجة الثقافة النفسي والصقال المعنوي وهو الادب الذي نحن بصدد النهضة الفكرية والنهضة البدنية هما ابدا توأمان ولي من قصيدة :

والعرب لا تبدا بجمع جوعها الا سمعت نشيدها وحدها

هذا وما تبسط امة في الفتوح والاستعمار الا على اثر نعمات شعرائها ونبرات خطبائها ونفثات ادبائها فهم هم المحركون للسكان الموقظون للمهاجج الناشرون للهامد الرافعون للمتضامن الحافزون للقاعد المتصرفون بقلوب الامة التي من بعد تصرفهم بها تصرف بما لديها من مواد وخيرات على ايدي المهندسين والصناع والزراع وسائر العاملين بالمادة . واما العرب فلم يشذوا عن هذه القاعدة بل كان

الادب من أعمال العوامل في نفوسهم. ولن تجد لهم فضيلة من قبل الاسلام الا كان الباعث اليها الادب من شعر وقصة وعظة ومثل. فهذه هي التي رغبتم في الفضائل ونفرتهم من الدنيا وهوت عليهم بذل المهج في حفظ الذمار وصون العرض واغانة الملهوف والانتصار للضعيف وهي التي قدست لديهم قرى الضيف والايثار على النفس وكون الانسان يعطش الى ان يموت حتى يسقي اخاه النميري وهي التي جعلت البدوي المعدم المنتبذ قاصية الفلاة تضيق عليه مذاهبه وتضيق عليه نفسه وقد اقبل صوب خيمته ضيف هو عاجز عن قرأه فقال :

(هيا رباه ضيف ولا قرى بحقك لا تحرمه تا الائلة اللحما)

وابنه يراه في هذه الحيرة وهو غلام يافع فيقول لايه . . (ايا ابت اذبحني ويسر له طعاما) ويقول لايه لا تفعل يكن عارا كبيرا علينا فقد يظن الضيف اننا بخلنا عليه بالزاد ونحن نمكله . . (يظن لنا مالا فيوسعنا ذما) وان الرجل قد يهيم بذبح ابنه لولا ان الله انقذه من هذه الورطة بمرور عانة طباء اصمى منها بسهمه واحدة في ابان احتياجه الى القرى ولكنه كان قد حدث نفسه بذبح ابنه عند ما ضاق به الامر (وان هو لم يذبح فتاه فقد هما)

وما كان غير هذا الادب الموروث الذي تنقله انسالهم خلفا عن سلف ولا يزال ملهيج السنتهم وحديث اسمارهم والمثال الاكمل في انظارهم حاملا لهم على هذه المبالغة في اكرام الضيف والايثار على النفس . وكم قيل في هذا الباب من بيت رفع وضيعا وخفض رفيعا وكم رويت من قصة ترنحت لها الاعطاف وثملت بها الالباب من دون سلاف وكم سارت الركبان بجدهاء يتضمن من هذه الافعال النبيلة والمنازع العالية ما تنقطع دونه الاعناق حتى صار هذا الامر عندهم نهاية الشرف والسؤدد وصار المجد غير معقول من دونه وكم حدثوا عن اوفي بعده واتقي وتقلوا في سمر الليل من قصة في هذا الباب تتأرجح بها الاندية . ورووا من مأثرة في الوفاء تطيب لها الانفس وترتفع الارؤس وذكروا اناسا ممن امن خائفا فاذا بهذا الخائف هو نفسه قاتل ولد الرجل الذي الحياه وامنه . ومع ذلك فبعد ان عرف هذا الرجل ان هذا الملتجى هو نفسه كان قاتلا لولده لم يخفر عهده ولم يرض ان يغدر به . بل من هؤلاء المديرين من ساعد المستجير على الفرار سرا في جوف الليل حتى لا تعلم به عشيرته فتفتك به وهذا في العرب كثير وله امانييل قديمة وحديثة . ومنهم من كان عنده نزيل فوقعت واقعة بين ابنه وبين ابن ضيفه وكان من الصبيان الاغرار فتفتك ابن المضيف بابن الضيف ولم يجد المضيف عند ذلك بدا من قتل ابنه ليخلص من عار القالة بان ولده قتل ولد ضيفه وليتقي سبه يرثها الاعقاب وتغير بها تلك القبيلة على مدى الاحزاب وهذا كابن مويث شيخ الضيفر من عشائر العراق وهي معال لا يفهمها غير العرب ولا ترتقي همم الاعاجم الى ادنى درجاتها واذا رويت لغير العرب لم يشقوا ولاها حديثا وقد يقدرونها قدرها ولكنهم لا يعملون بشيء منها مع انها عند العرب من الخلائق الطبيعية التي لا يتصور

وجود العرب من دونها وانما رسخ هذا في نفوس العرب وامتزج بدمائهم بكثرة ما ورد في شعرهم ونقل من سلفهم الى خلفهم وتراجزت به سقاتهم على افواه الموارد وتفتت به حداثهم في اجواز الفيا في وعو الشعر الذي اوجده الله احسن قيد للمعالي واثبت سجل للمآثر على حد ما قال حبيب الطائي :

ان المعالي والمساعي لم تزل مثل الحبان اذا اصاب فريدا
هي جوهر نثر فان الفقه بالشعر صار قلائدا وعقودا
في كل معترك وكل مقامة يأخذ منه ذمة وعهودا
فاذا القوائد لم تكن خفراؤها لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الاولى يدعون هذا سؤدا محدودا
وتد عندهم العلا الاعلا جعلت لها مرور القصيد قيودا

وما كانت للعرب فعلة محيدة الا اخذت من الادب عهدا ومن الشعر موثقا ولا دارت معركة ظهورا فيها على اعدائهم الا خلدتها اشعارهم وسارت بها ازجالهم وكانت حافزا لهم على مواقف مثلها .
إنظر الى قصائد ابي تمام والبحري والمتني وغيرهم في مغازي الخلفاء ومقاماتهم في الذب عن هذه الامة تجد فيها من العزة القومية ما يحرك الجماد ويلزل الاطواد وذلك مثل قصيدة ابي تمام في فتح عمورية التي اولها .

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ومنها

ابقت بنو الاصفر المصفر كاسهم صفرا الوجوه وجلت أوجه العرب
وقصيدته في ذكر تغلب العرب على العجم في يوم ذي قار قبل الاسلام
لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد وحيد من الاشباة ليس له صحب
به علمت صهب الاعاجم انه به اعربت عن ذات انفسها العرب
هو المشهد الفصل الذي ما نجابه لكسرى ابن كسرى لا سنام ولا صلب

فاني عربي يسمع هذا الشعر ولا ترقص ناصيته ولا تهتاج مريرته عزرة بقومه ونخوة بعصيته ولا يستخف بالنايا في سيلهما ؟؟؟

وماذا نحصي من امثال هذه القصائد التي تغنى فيها شعراؤنا بمجد العرب وعليائهم فينطبع بها ناشئهم على الغرام بالفتح والمجد ومعالي الامور وشرائف الاعمال ويعلمون انهم سلائل تلك الامة العظيمة الفاتحة . اتنا ان حاولنا احصاءها كنا كمن يحاول احصاء رمل عالج . وانما نجتزي هنا بمجرد الإشارة .

وقد بقي الشعر في العرب يرفع ويخفض وينصر ويخذل وهو أدب العرب الاسنى في الجاهلية

الى أن نزل الوحي على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فنسخ الادب الالهي كل أدب قبله وأقرض الاخلاق ما كان مستحسنا وأبطل ما كان من حمية الجاهلية الجلاء فاصبح الادب مقيدا بالشرع فاعتدل مائله ودجن نافرة وسككت به المحجة الوسطى وعدل عن شعاب الانحراف وترهات الاسراف فسار الدين مع الدنيا رقيقين وتجلت الاولى والعقبى توأمين . وبديهي أن أدبا اثمره الوحي وثقافا أنجبه القرآن وفصاحة غذتها فصاحة التنزيل لمما يفوق كل ادب آخر عليها وعملا .

وقد شهد التاريخ العام للادب القرآني بخوارق العادة في أسلوبه وتأثيره ولم تكن هذه الفتوحات التي دهش بها المؤرخون ومكنت الاسلام من نصف المعمورة في نصف قرن لا غير الاثمة هذا الادب العالي الذي كان يفعل بالانباب فعل الشراب وناهيك بأدب رسول الله وآله واصحابه حملة الويتها وعمار انديتها وقد قلت فيهم برثائي لحافظ العصر مصطفى صادق الرافعي رحمه الله :

من ذا يطاول في البلاغة احمدا وصحابه وأبا تراب حيدرا
المعربين اذا ارادوا خاطرا عنه بأعذب ما يكون وأقصرا
والمناعين المسكرات وقولهم ما خامر الالباب الا أسكرا

نعم ان فتوحات الصحابة لم تكن كلها بجوامع الكلم وأوايد الشعر وكان العامل الاعظم فيها الصارم البتار وقد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ولكن كم من كتابة أغنت عن كتيبة وكم من قول اغنى عن صول وكم من معركة كانت تدور الدائرة فيها على المسلمين لولا شعراؤهم وخطبائهم وشواعرهم وأديبائهم وفرسان البيان منهم . وقد طالما لعب الشعر الحماسي ادوارا في هذه الفتوحات التي قلبت وجه العالم وطالما منع عنهم خوف العار وانتقاء الاشعار هزيمة شعاء وداهية دهباء والله در المتنبّي الذي يقول :

تلف الذي اتخذ الجراءة خلة وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا
والعار مضاض وليس بخائف من حنقه من خاف مما قيل

ولم تكن فائدة الشعر ومساجلات الشعراء ومحاضرات القصاصين والادباء منحصرة في اشارات نخوة المقاتلة وتهوين الموت على الغزاة في سبيل الله بل كان الادب متغلغلا في كل ناحية من نواحي الحياة الاسلامة لا يتحرك فيها متحرك ولا يسكن ساكن الا وللشعر والخطابة والبيان هناك الاثر البليغ والعمل العميق . وما كانت نهضة العرب العلمية في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة وتطاولهم الى الفنون والآداب والحكمة التي كانت للاعاجم الا من نتائج انتشار الادب العربي لاسيما الادب القرآني الذي فيه (ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) . ولم تعول الدولة العباسية على ترجمة فلسفة يونان ونقل حكم فارس والهند والتبحر في العلوم العقلية والمعدية والطب وغير ذلك من الاسباب التي أسست بها هاتيك الحضارة الباهرة التي كانت الاولى من نوعها طوال القرون الوسطى الا بعد ان امتلأ

حوضها بشعر أبي العتاهية وأبي نواس ومروان ابن ابى حفصة وبشار بن برد وأبي تمام والبحري وابن الرومي ثم المتنبي والمعري وغيرهم من فحول الشعراء الذين كانوا يقظة في أبصار الدولة ولقاحا لحواطر الامة وكهرباء في اعصابها وبعد ان تدفق بعمر وابن بحر الجاحظ وبهر سحر بيان ابن المقفع والصائي وابن العميد وامثالهم من كتاب العهد العباسي ومعا لا مشاحة فيه أن المدينة الراقية لا بد لها من التحقق بالعلوم الصحيحة والعمل بها والاعتماد على الحقائق الكونية والتجارب الراهنة مما يعبر عنه اليوم بالمذهب الواقعي. ولكن الادب هو الذي يصفل الاذهان ويشحذ القرائح وينبه نائم العزائم ويملا الحياة نشوة وسرورا ويجعل للمجتمع الانساني روحا وبهاء ويشق الطريق الى المجد ويحمل وسائل الترقى والتوقي وما كثر في الدنيا شيء الا ابتذل الا الادب فانه كلما كثر علا وهو الذي يحل صاحب بحلية الكياسة وهو الذي يؤمن له طريق الرئاسة والله در القائل :

ما حوى العلم جميعا أحد لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم عميق بحره فخذوا من كل شيء أحسنه

فالادب هو صنعة الاخذ للاحسن من كل شيء وقد أجاد الآخر في قوله :

ما خلق الله لامرئ هبة أفضل من علقه ومن أدبه

هما حياة الفتى فان فقداه ففقدته للحياة أليق به

وقديما قالوا ايكن علمك ملحا وأدبك دقيقا وحسبك في فضل الادب وشرفه قوله صلى الله عليه وسلم (أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق) فانت ترى ان مكارم الاخلاق هي من نتائج الادب وكفى بذلك للادب تكريما وتعظيما .

وخلاصة القول ان ارقى المجتمعات البشرية هي التي يشع فيها الادب ويعلو منارة ويتنظم به القول مع العمل ويتآخي فيه الخيال مع الواقع وتسير به الحقائق الى جانب الرقائق فان الطبع البشري يأبى التمحض في منحى واحد ولا بد لرقى المجتمع من تاليف الاضداد وتعديل الاقسام حتى يحصل الاعتدال .

شكيب ارسلان

انتظروا....

معالم التوحيد في القديم وفي الجديد

لامير الامراء سيدي محمد بن الخوجه

الخيال

في الأدب العربي

بقلم الأديب الشيخ أحمد المختار الوزير
المعلم بمدرسة ترشيح المعلمين

« ٣ »

الخيال الاستحضاري القصصي

ولعلي في حاجة ماسة الى ذكر امثلة متنوعة حتى لا يذهب كل قولي خلوا عاطلا من دلائل الاستقراء والصدق . وسأختار من شعر عمر بن أبي ربيعة مثالا للخيال الاستحضاري القصصي . اذ هو شاعر القصة في ادبنا العربي . وطريقة جدا هذه القصة التي استحضرها خيال عمر وتحدث بها في قصيدة من غر قصائده اذ يقول

زعموها سألت جارتها	وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصراني	عمر كن الله ام لا يقتصد ؟
فتضحكن وقد قلنا لها	حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من شأنها	وقديما كان في الناس الحسد
غداة تقرر عن اشبهها	حين تجلوه اقاح او بترد
ولها عينان في طريفيهما	حور منها وفي الجيد غيد



ولقد اذكر اذ كنا معا	ودموعي فوق خدي تطرد
قلت من انت ؟ فقلت انا من	شفه الوجد وابلا الكمد !
نحن اهل الخيف من اهل منى	ما لمتول قلبه قود !!
قلت : اهلا اتم بفتينا	وتسمينا فقلت : انا هند
انما اهلك جيران لنا	انما نحن وهم شيء احد
كلما قلت متى ميعادنا	ضحكت هند وقالت : بعد غد

ما اشك ان هذه الايات استرعت اسماعكم . وانكم استحلستم رنة تغيمها الموسيقى العذب .
وان قلوبكم ترقصت طربالما في هذه الايات من سرد حوار ممتع هو من سر احاديث المحبين
ونجوى العشاق المعاميد اذا انقطع بهم المكان وبعد عن عيون الرقباء وآذان الوشاة
واما اشك انكم تعجبون كل العجب من دقة هذا الشاعر في استحضار هذا الحوار بين هند
وبين جارتها في شأن ما كان يصفها به من محيد النعوت وحلو الصفات . فهند فخورة بجمالها العاري
وهي ايضا فخورة بجمال الادب الرفيع الذي كان يطوق جيدها وصدرها الناهد . ويكلم جبينها
الوضيئ المتبلج . ثم انكم لتعجبون من استحضار هذا اللقاء الذي ظفر به عمر . فاذا هو يسألها
مستأنسا مترققا . وفي تصون وعفة . عن اسمها . واذا هي تصارحه راضية بكل شيء بالاسم والنسب وبالمنزل
والحمى وتتحدث اليه بذلك مرتاحة مطمئنة . وادعة هادئة . بل ربما كانت عابثة لاهية . بل
ربما كانت مستهزئة ساخرة .

هذا هو خيال عمر بن ابي ربيعة الشاعر القصصي الذي ظهر في حواضر بلاد نجد بين تلكم
الربا المشعبة الحضرة . والاودية المزدانة النضرة . فعاش متقلبا في اعطاف النعيم يلهو مع لذاته . ويمرح
في مراتع الانس متقادا الى ضلال صباه . ومضى في ميعة الشباب النشيط محبا للفراغ . مؤثرا للخلاعة .
وما كان يدري انه سيعيش مفتونا باغلى محاسن الدنيا . مفتونا بجمال المرأة . فما كان يفارق زهرة
الا ليحط على زهرة . وما كان ينصرف عن رحيق وردة . الا ليقبل بعواطفه وروحه على رحيق
وردة . وهكذا لانه كان يتعشق معاني الانوثة . وما ترمز اليه المرأة اكثر من المرأة . ومن يدري
لعله كان يرى في تغنيه بمحاسن امرأة واحدة ركودا . واسرا والشاعر من تعلقون اعزف الناس عن
قيد الركود . واسر الجمود . وبهذا القلب المشبوب عاش عمر للشعر والجمال . . وانتهج نهج
القصص فكان صاحب فضل في هذا المنحى تقدم اليه ولم يغدب عليه . عهد كان والى هذا
العهد القريب .

الخيال الاستحضاري الوصفي

وانتكميل اطراف الموضوع ساختار مثالا للخيال الاستحضاري الوصفي من شعر ابي الحسن علي
ابن العباس المعروف بابن الرومي . فهو شاعر الوصف في الادب العربي غير منازع رسخت في نفسه
ملكة التصوير . وطبع خياله على التشخيص والتجسيد . واستعراض الكائنات في حلال من خصائص
ميزاتها . وشاراتها . والوانها . فاذا تعرض لوصف شيء ملا عينيه وقلبه بكل ما قد احتواه واشتمل عليه .
وتناول منه الخفي والظاهر والجواهر والاعراض . والحركة والسكون . وما دون هذا كله من
الدقائق التي لا يتفطن لها احسان غيره .

ولقد اعان ابن الرومي على نبوغه في فنه الكامل ، طفولة عرايزة ، وقوة حواسه ويقظاته شعوره التي لا قرار لها ولا سكون ، فليس يغيب عنه شيء الا ادركه ، وليس يدرك شيئا الا تآثر به وتلهى بالاقبال عليه ، وفحصه من كل جانب .

فلا ابن الرومي حاسة ذوق تدرك الحلو والمر وتعرف كيف تستحلى حلالة الحلو وكيف تعاف مرارة المر وله حاسة سمع متنبه لمختلف الاصوات تدرك الغليظ الفاحش وتستكبره وتندرك الرقيق الرخيم وتستلذه وتستعذبه ، ولديه حاسة بصر عميقة متأثرة فاحصة مستوعبة تتفقد مواضع الملاحظة وتقدر الجمال ولا يفوتها الاقتباس من فتنة لمحاته الحافظة وانوار المشرقة وقل ان شئت كان ابن الرومي مزودا بغريزة حب الاستطلاع ، وكان ذا فن غزير ، فكان ينحت اوضاع وحدته وعناصر معانيه من اصفى المقاطع ويفتن في تأليف والانسجام بقدرة كاملة وذوق صحيح .

وسترون على ضوء هذا التصدير ما قد امتازت به شاعرية ابن الرومي اذ يقول في وصف يوم خرج فيه مع اثنين من الاصدقاء لصيد الطيور ،

وقد اغتدى للطير والطير هجع	ولو أوجست مغدأ ما بتن هجما
بخلين تما في ثلاثة اخوة	جسومهم وشتى وارواحهم معا
اذا ما دعا منا خليل خليله :	بافديك لباه محييا فاسرعا
كأن له في كل عضو ومفصل	وجارحة قلبا من الجمر أصمعا
فثاروا الى آلاتهم ، فقلدوا	خراط حمر تحمل الشم منقعا
محملة زادا حقيقا مناطه	من البندق المؤزون قل واقنعا
وقد وقفوا للحائثات وشمروا	لهن الى الانصاف سوقا واذرعا
وجدت قسي القوم في الطير جدها	فظلت سجودا للرماة وركعا
وظل صحابي ناعمين بيئوها	وظلت على حوض المنية شرعا
طرائح من سود وبيض نواصع	تخال اديم الارض منهمن ابقعا
نؤلف منها بين شتى وانما	نشئت من الافها ما تجمعا
فكم ظاعن منهمن مزمع رحلة	قصرنا نواه دون ما كان ازمعا
وكم قادم منهمن مرتاد منزل	اناخ به منا منيخ فججمعا
هنالك تغدو الطير ترماد مصرعا	وحسبناها المكذوب ترماد مرتعا
ثوب بها قد امتعتنا وغادرت	من الطير مفجوعا به ومفجعا



انه لا يقول شعرا في هذا القصيد ولكنه يزخرف صورا حية ناطقة ، مفعمة بالمناظر والاشكال

والحركات والسكنات . فقد خرج مع رفقة من خيرة الاصدقاء صدق مودة . ومكين حب . وبكروا في غبش الفجر حين كانت الدنيا ما تزال هادئة ساكنة يلفها الليل بشف الاستار . وينشر عليها الصبح شعاعا رقيقا من شعلة الانوار . وحين كانت النسمات الندية تنبه غفلات الاطيار . فتلهس اجنحتها لما رقيقا وهن ما يزلن هجعا بالاوكار . وما كانت الحائثات تدري ولا كان الانسان يدري ما تخبئه الاقدار والويل للطير . فقد شعر هؤلاء الرفاق للصيد وكشفوا الى الانصاف سيقانهم وادرتهم ذلكم ليكون اسرع في تصويب السهام والملاحقة واعملوا في الطيور الحائثات سهامهم فراشوا في الصميم ألوفا كانت مؤلفة . فاصبحت الى الفرقة والشنات . وهكذا ظلت الطيور تهوي ساجدة راكعة للرامة . قل انظروا فهناك السود والبيض ترقشت بها مطارح الارض الخضراء . فما كان احفله من منظر فرح به الاصدقاء فراحوا يجمعون هذه الطرائع في ثمول من النشوة الظفر بخير تأميل ورجاء

أليس هذا شريطا مؤلف الصور من الحركات والسكنات والاشكال والمنازع ؟ ولم ينس ابن الرومي ان يتحدث لنا بما كان يحسه نحو الطير المسكين من الاحساس الاليم . فقد كان قبيل حين وادعا مطمئنا هاجعا في اوكاره او حائما او محلقا يتخير المنازل ويرتاد المراتع . فما هي الا ساعة حتى راشته السهام . فسقط يتمرغ من حرارة الضرام . وترك من الطير مفجوعا به ومفجعا .

تلكم هي عبقرية ابن الرومي التي احباها الوصف . وابدع في التصوير كل الابداع . الا يخيّل اليك انك معه بيقظات شعورك . وانتباه خاطرك . يقول استاذنا العقاد « واذا كانت هذه قدرة ابن الرومي على خلق الاشكال للمعاني المجردة او خلق الرموز لبعض الاشكال المحسوسة . فان القدرة التي سبق بها الشعراء في الامم كافة بغير شك ولا تردد هي قدرته البالغة على نقل الاشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال او هي قدرته على التصوير المطبوع لان هذا في الحقيقة هو فن التصوير كما يتاح لانبغ نوابغ المصورين . فلست اعرف فيمن قرأت لهم من مشاركة وغاربة او يونان اقدمين وارويين محدثين شاعرا واحدا له من الملكة المطبوعة في التصوير مثل ما كان لابن الرومي في كل شعر قاله مشبها او حاكيا على قصد منه او على غير قصد . لانه مصور بالفطرة المهيأة لهذه الصناعة . فلا ينظر ولا يلتفت الا تنهت فيه الملكة الحاضرة ابدا . واخذت في العمل موقفة محيطة . سواء سهر عليها او سها عنها . كما قد يسهر المصور وهو عامل في بعض الاحايين »

(يتبع)

احمد المختار الوزير



من رياض الادب

بمناسبة ختم السنة الدراسية بالمعهد الزيتوني القى الشعراء
البحول بمذايع تونس البريدية قضائد من غرر الشعر وأبدعه
في تهته الناجحين والتنويه بشأن جامع الزيتونة المعمور وعلومه

قصيدة الاديب الكبير
الشيخ العربي الكبادي

دخلت بيتي واستوحيت وجداني
من القريض الذي تبقى مآثره
حتى اطوق احباده قد انصفت
من كل اروع في عرينه شمم
يا فتية اسهروا الاجفان وارضعوا
زرعتم فحصدتم ما يشرفكم
ليقتسم بنشاط المرء رفعته
فكتتم لكتاب الدرس من شغف
والعلم انواعه شتى فما احد
وخير انواعه ما جر منفعة
ينيل من اخلصوا في حال طاعته
وهؤلاء هم القوم الذين لهم
قوم بجامعنا المعمور ما فتحت
يتم اذا شئت عند الصبح معيهم
الى العلوم التي تقضي بصاحبها
ما بين فقه وآداب مهذبة
وسنة سنت الاخلاق طاهرة
وليس ذالك بمقصيهم وما نعمهم
ما دام في حيز الشرع الذي نزلت
ومن يكن لسبيل الشرع متبعاً

لكي يجود بياقوت ومرجان
ما دام بالارض آثار لانسان
بالسبى اربابها في خير ميدان
ذي همة اقعدته فوق كيان
ثدي المعارف في سر واعلان
من فخر السبق في مضمار عرفان
ولا يتاح العلاء يوماً لكسلان
سقرا يضم الذي فيه باتقان
يحويه طرا ولو مع طول ازمان
يوم الجزاء وفوزا عند ديان
وراقبوه بانقاف واحسان
تعلق بعلوم الدين ذو شان
على نظير لهم في الارض عينان
او المساء تجدهم جد ظمان
بعد الممات الى روح وريحان
وبين نحو وتفسير لقرآن
من كل ما شان من زور وهتان
مما يروقههم بالعالم الفاني
آياته الغر في رشد وتبيان
فليس يشيه عن نيل العلائق

قصيدة الاديب النابغ الشيخ الطاهر القصار

قم في الدنيا وحيى الجامعا
 وانشر مديح ذوي الدراية والحجا
 وانظمه في نحر الزمان قلائدا
 فالعلم يبني كل ملك باذنه
 ولتونس في العلم اعظم معهد
 فلجامع الزيتونة المجد الذي
 جمع الشباب سوابقا ونحو العلا
 هذي الدهور شواهد بعلائه
 في كل عام هزة لتناجه
 اسمع به وابصر فما قد اطلعت
 فتأرجت مدن الشمال بعرفها
 والناس قد طفحت لذلك وجوههم
 اعظم بهتم الجامع السامي الذرى
 حفل به برزت خلائف يعرب
 متسلين من المكارم خيرها
 حفل تكلل بالكرام جبينه
 نظمت به آي العلوم كواكبا
 فليها ابناء الشمال بفوزهم
 ولتسعد الخضراء بالبيت الذي
 وليعرج التاريخ تيمها وليقل
 وانشر هناء الناجحين بدائعا
 أرجا يعم نواديا ومجامعا
 جمعت من الشعر البليغ روائعا
 ويغادر الجهل الديار بلائعا
 غمر البلاد مكارما وصنائعا
 اضحى لمختلف المفازر جامعا
 والاتقياء سواجدا ورواكع
 فليذكر الطرف الكليل الواقع
 تذر القلوب من الحبور سواجعا
 جنباته زهر الثقافة يانعا
 وغدا بها طير البشارة ساجعا
 بشرا واعينهم سناء ساطعا
 من مشهد يدع النفوس خواشعا
 متقاسمين فبخار سبق واسعا
 متقبلين من العلوم ودائعا
 وحوث مظاهره الجلال الرائعا
 غررا تلالا في الفضاء لوامعا
 وينشئوا فوق النجوم مرابعا
 اسدى لطلاب النهوض منافعا
 قم في قم الدنيا وحيى الجامعا



قصيدة الاديب الفحل الشيخ بلحسن بن شعبان

هو العلم فابذل ما استطعت له جهدا
وجرد له عزما وكن في سبيله
فانت به عال الى منتهى العلا
فعقبى اقتناء العلم فوز محقق
به يبلغ الانسان اقصى مرامه
ولا تتخذ شيئا سوى نيله قصدا
صبرا على حمل العنا يقظا جلدا
وانت به مستقبل زمنا رغدا
ونيل امان لست تدري لها حدا
به كم بنى من لم يكن ماجدا مجدا

الاحي من قد احرزو في محاله
فقد حمدوا اليوم السرى وتكلمت
وانمر جهد قد اتوه مضاعفا
وعادوا الى اهليهمو في مسرة
فذلك تحصيل وذا عالميه
ايا جامع الزيتونة السامي الذرى
بنوك لقد اضحوا بذا القطر انجما
وادوا كما ترجوا وسالتك التي
بهم لم تزل تردان كل مهمة
فما انت الادوحة تثمر المنى
فلا زلت حصن الدين واللغة التي
مفازا وأكبر فيهمو الحزم والجددا
مساعيمو بالنجح واستعذبوا الورددا
واسدى لهم من خالد العز ما اسدى
وكل غدت ازكى التهاني له تهدي
وهذا حوى اهلية توقظ الكددا
لقد كنت في خضرائنا العلم الفرددا
تنير الدجالا استطيع لها عدا
تقلدتها واستوجبت في الورى حمدا
بهم معقل العليا تدعم واشتدا
وتنشر من شقى المعارف ما اجدى
بفضلك لم تبرح لنجر العلا عقدا

اتيناك في مضى فافضت من
لدى حلقات يزخر العلم عندها
رعى الله عهدا فيه ثبت عقولنا
وان انس لا انسى جميل صنيعهم
واني لمن ابدى الجميل لشاكر
عوارف لا تبلى واكسبتنا رشددا
ويظفر بالرغوب من رامها ورددا
واشياخ علم زينوا ذلك العهددا
ولست مضيعا ما حيت لهم ودا
ولن تبصروا منى لمعرفه ججدا



القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة الحليل الشيخ محمد
البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

العالم النحرير الكاتب المجيد المدرس الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة الزيتونية حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد قرأت ما نشر بمجلتكم الغراء بقلم العلامة البعثة المؤرخ سيدي محمد بن الحوجة من تاريخ القضاء الشرعي بالحاضرة وأسماء من تقلد هذه الحطة من منتصف القرن الثاني عشر الى اليوم من أهل المذهبين وكنت جمعت تراجم مفصلة لهؤلاء على ما انتهى اليه بحثي فللهالكية من منتصف القرن السادس للهجرة الى اصيل القرن الثالث عشر وللحيفية من القرن الحادي عشر الى اصيل الثالث عشر أيضا فرأيت تكملة للفائدة أن أقدم اليكم خلاصة وحيزة منه لتتشر وهاهي ذي تصلكم مبتدأة بأقدم قاض وقفت على اسمه والله يتولى حفظكم واعانتكم والسلام من عبيد ربه محمد البشير النيفر وكتب في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨

١ - الشيخ أبو الحسن علي بن احمد الابي

كان هذا القاضي على عهد عبد المؤمن بن علي الذي اقام في الامارة ثلاثا وثلاثين سنة وثمانية اشهر وخمسة عشر يوما وتوفي سنة ٥٥٨ هـ قال الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين (ص ٩) اثناء الكلام على دولة عبد المؤمن :

وانشد قاضي تونس ابو الحسن علي بن احمد الابي بعد وقعة وقعت في الاعراب وهزيمة في خبر بطول :

ولى الشباب امام الشيب منهزما فذا يصول وذا يشتد في الهرب اهـ

٢ - ابو عبد الله بن زيادة القابسي

هو من قضاة الامير ابي زكرياء يحيى قال الزركشي في تاريخه (ص ١٨) : وفي الموفى ثلاثين لشهر رمضان من سنة خمس وعشرين وستمائة عزل ابو زكرياء يحيى قاضي الجماعة بتونس طلب من السلطان ذلك وقدم عوضه أبا عبد الله ابن زيادة الله القابسي اهـ

٣- ٤ - أبو القاسم المريش وعبد الرحمن بن نفيس

هما من قضاة الامير ابي زكرياء ايضا . قال الزركشي في تاريخه (ص ٣٣) : وفي سنة ٦٤٠ اخر المولى ابو زكرياء ابا القاسم المريش عن قضاء تونس وقدم عونه عبد الرحمن بن عمر بن نفيس اه وتوفي الشيخ ابن نفيس سنة ٦٨٢ قاله الزركشي (ص ٣٩)

٥ - عبد الرحمن بن علي التوزري المعروف بابن الصائغ

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٣) يوم الاربعاء ثاني صفر سنة ٦٤٦ بعد ان صرف عنه الشيخ عبد الرحمن ابن نفيس وتوفي على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٩) سنة ٦٥٩

٦ - أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء المهدوي

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٦) سنة ٦٥٧ بعد ان صرف عنه الشيخ عبد الرحمن ابن الصائغ وبيت هذا القاضي من بيوتات العلم والوجاهة بتونس . قال الشيخ احمد بابا في نيل الابتهاج في ترجمة حفيده عبد الله قلا عن الشيخ خالد في رحلته ما نصه :
هو الشيخ الفقيه الخطيب ابن الشيخ الفقيه من بيت علم وادب ، ومجد وحسب . قطفوا ثمار المجد من غرس العلى ، واليهم الرتب والمنتهى ، فهم لباب مجد عزة انفس وذكاء ألباب ، ما منهم الا عالم اوحده ، لا ينعت ولا يجد ، والقاضي ابو القاسم به سفر مجدهم ، وهو الذي عمر ريع الملك ، وامر بالحياة والهلك ، وذبح القرطاس وفوف ، ودرس العلم وصنف اه وكانت وفاة الشيخ ابي القاسم على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٣) سنة ٦٧٧

٧ - أبو موسى عمران بن معمّر الطرابلسي

قال الزركشي في تاريخه (ص ٢٦-٢٧) : وفي سنة ٦٥٧ عزل السلطان القاضي عبد الرحمن عن قضاء تونس وقدم الفقيه ابا القاسم بن البراء المهدوي ثم اخراة عن القضاء وقدم ابا موسى عمران بن معمّر الطرابلسي وكان فقيها صالحا حسن الاخلاق وطيء الجانب حافظا للمذهب عارفا بالمسائل بصيرا بالاحكام ولي قضاء بلدة طرابلس والخطبة والصلاة بجامعها ثم نقل عنها الى قضاء تونس سنة ٥٨ فلم يزل قاضيا الى ان توفي اه ورايت له ترجمة مختصرة في كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار ، (ص ١٧٥) وفيه انه ابو موسى بن عمران ، ومما جاء فيها انه كان ، ، فقيها عالما تولى القضاء بطرابلس نيفا وثلاثين سنة واستن فيه بسنة اهل الفضل والعدل ، وانه كان ذا اخلاق جميلة وسيرة

حميدة . . . ارسل له الخليفة الحفصي سنة ثمان وخمسين وستمائة فوصله بتونس فولاه القضاء بها واقام نيفا وعشرين شهرا ثم توفي رحمه الله سنة ستين وسبعماية اه والصواب ان وفاته سنة ٦٦٠ وكانت عاشر شهر ربيع الآخر على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٩)

٨ - ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم المهدوي المعروف بابن الحبار

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٩) بعد وفاة أبي موسى الطرابلسي ثم صرف عنه في ثالث شهر رمضان سنة ٦٦٢ ثم أعيد اليه في التاسع والعشرين لذي القعدة سنة ٦٦٧ وتوفي على ما في تاريخ الدولتين (ص ٤٠) بالمهذية في ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٦٨٣

٩ - احمد بن محمد بن الحسن الشهير بابن النعمان

ولي القضاء للمرة الاولى بعد ان صرف عنه ابن الحبار في ثالث شهر رمضان سنة ٦٦٢ ثم عزل رابع شوال سنة ٦٦٧ .

وهذا القاضي من افاضاد رجال العلم ، وهو أنصاري خزرجي ولد ببسنسية يوم عاشوراء سنة ٦٠٩ واخذ عن جماعة من شيوخ الاندلس ثم قصد بجاية واتخذها وطنا واشتغل فيها بالتوثيق ثم استوطن تونس واشتغل فيها بالتوثيق ايضا ثم ولي قضاء بجاية ، وكان في القضاء مثال الزعامة في الحكم والدراية بادارة رحاه على قطب السياسة الحاضرة مع حفظ الحق ان يهضم ، وتبين للناس تفوقه على من جاء قبله من رجال القضاء .

ومن اجل ما تركه أثرا يذكر ويشكر أن جيش بجاية اتحد بجيش افريقية لحصار ملبانية فاصبحت البلاد خالية من الجند وطلع قرن الفتنة والهرج من الخارج فتداركها رحمه الله بتدبيره وجده وحصر النار في مواقدتها وقد خاف الناس ان تنتشر وأدار الحندق بالبلاد وشيد من اسوارها ما كان محتاجا الى التشييد .

وهذه حجة قيمة على من يزعم أن أهل العلم لا طاقة لهم أن ينهضوا بالامور العامة . ولما عادت السيوف الى اغمارها دعي رحمه الله الى تونس فقلد القضاء في كثير من بلادها ثم قدم الى قضاء الحاضرة في شهر رمضان من سنة ٦٦٢ وقد اسلفناه قريبا وتكررت ولايته الحطة وصرفه عنها نحو من سبع مرات قاه ابن فرحون في الديباج

وقال في عنوان الدراية : ولم يزل يخلع القضاء بحاضرة افريقية ويلبسها خلعا احسن من لبس ولبسها أحسن من خلع لانه كان لا يخلعها الا مثلها وما هو اسنى منها . ولم يكن الخلع لشيء اصلا اه

وكان اول صرف له عن الخطة رابع شوال سنة ٦٦٧ وآخر ولاية له في تاسع عشر شهر رمضان سنة ٦٩١ وتوفي عليها وقدم فيما بين التاريخين الى العلامة الكبرى سنة ٦٧٧ على عهد ابي اسحاق بن ابي زكرياء . وسمت منزلته في قلب السلطان ابي عبد الله محمد ابن الامير ابي زكرياء الملقب بالمستنصر بالله واصطفاه رسولا منه الى بعض ملوك المغرب وكانت وفاته يوم الخميس عاشر المحرم سنة ٦٩٣ ودفن بمقبرة الشيخ عبد الرحمن المناطقي بالحاضرة .

١٠ - احمد الشهير بالمفسر

ولي القضاء بعد ان صرف عنه ابن الغماز رابع شوال سنة ٦٦٧ ثم عزل في التاسع عشر من ذي القعدة في السنة نفسها واعيد الى القضاء ابن الحجاز .

١١ - ابو محمد عبد الحميد بن ابي الدنيا

ولي القضاء بعد عزل ابن الغماز في رجب سنة ٦٧٩ ثم صرف عنه في شهر رمضان من هذه السنة نفسها وهذا القاضي من افاضد رجال العلم والدين وهو طرابلسي الاصل تفقه بطرابلس الغرب على ابن الصابوني ودخل المشرق مرتين ورجع الى طرابلس بعلم جم فتصدر للتدريس بها واخذ الناس عنه الفقه واصوله واصول الدين وهم ممن ينكر المنطق من علماء الاسلام ، ولما اشتهر ذكره دعي من بلاده الى تونس فمخّلها عزيزا كريما وولي بها القضاء قال في عنوان الدراية : وهو ممن يتجمل القضاء به لاهليته الدينية والعلمية اه وتوفي في السادس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٦٨٤ ودفن بالزلاّج قال الزركشي وتلج العلامة ان عند رأسه سارية طويلة فيقولون قال صاحب هذا القبر اجعلوا لحدي بقدر علمي يريدون كبر درجته في العلم اه قلت وهو بعيد لان الرجل كان في الدين بالمقام الذي لا يدنو منه الاعجاب بالنفس ومن كلام الغبريني في عنوان الدراية فيه : وديانته وصيائته وورعه معلوم لا شك فيه اه وفي كتاب التذكار (ص ١٧٦) ان الحليفة المستنصر الحفصي اظهر تغيراله في بعض الاوقات .

(يتبع) محمد البشير النيفر

المجلة

تطلب وكلاء في المدن التي لم تبقى تصل اليها المجلة فن آس من نفسه الاستعداد

والمقدرة يخاطب ادارتنا باسم امين مال المجلة

ان الدين عند الله الاسلام

مراحل التشريع الاسلامي بين مكة والمدينة

ان الله تعالى شرع الدين لتصفية أرواح البشر، وتخليصهم من شوائب الضلال، وتطهير عقولهم من الادران التي تعلق بها، لتتمحض للاعتقاد الصحيح، وتصلح للعبادة والطاعة، وتخلص اعمالها لله وحده، وتتهذب لحسن المعاشرة بالمعروف، فالدين هو ركن الاصلاح، ونبراس الهداية، والدواء الناجع لامراض النفوس، والرابطة المتينة التي تجمع البشر على الخير، وتصل بهم الى السعادة العظمى .
وتعاليم الدين مجموع امور ثلاثة، ما يحصل به الاعتقاد الصحيح، وما تهذب به النفوس، وما يتم به حسن المعاشرة الخاصة والعامة، وهي التكليف الشرعية الموسومة ايضا بالملة والشرع على اختلاف في الاعتبار .

قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات ان الشريعة ترجع الى حفظ المقاصد التي يكون بها اصلاح الدارين وهي : الضروريات والحاجيات والتحسينيات وما هو مكمل لها ومتمم لاطرافها .
وقد اطلق القرءان اسم الاسلام على الدين الحق الخالص من كل شائبة قال تعالى : ان الدين عند الله الاسلام وهو الدين الذي جاء به الرسول لهداية البشر فخلصت به معتقدات متبعيه وكانوا على بينة فيما حملهم الرسول عليه وتمسكوا به، واسلبوا وجوههم لباريء الكائنات واحسنوا في اعمالهم ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم خنيفاً .

واسم الاسلام يتناول سائر الشرائع السماوية الخالصة من شائبة التحريف التي خلصت معتقدات البشر فاصبحوا على بينة من الحق فالحق واحد والدين في اصله ومغزاه واحد وجاء التبديل من بعد فترتب عليه التغاير قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين الا الله الدين الخالص وقال تعالى : وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدوني . وجاء التماثل في اصول التشريع قال تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . ومثل ذلك ما شرع في اصول العبادة يرشد اليه ما جاء في قوله تعالى مما خاطب به موسى (صلعم) اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري

وفي اصل مشروعة الصيام ما خاطب به القرءان المسلمين بقوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .

وفي مشروعية الحج وبيان امده ووقته قال تعالى : الحج اشهر معلومات ، علوها من شريعة

ابراهيم عليه الصلاة والسلام . وقال تعالى في بيان نوع من التشريع لامة خلت فيما يتعلق بالعقوبات وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والسن بالسن والعين بالعين والجروح قصاص . وقال سبحانه في التشريع الاسلامي ولكم في القصاص حياة . وقال تعالى بعد ذكر الانبياء عليهم السلام اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال سبحانه في حق المسلمين . يريد الله ليعينكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم . وعلى هذا الاصل قول ان الشرائع متحدة في اصل العقيدة واصول الطاعات . متحدة في العناية بتهديب النفوس ونشر الاخلاق الكريمة ، فان الله واحد لا شريك له . وصفاته سبحانه ازلية قديمة لا تبدل فيها ، ويوم الجزاء بما اشتمل عليه ثابت لا يتغير . واستحقاق النعم للشكر والطاعة قضية مسلمة لا خلاف فيها قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والفضيلة في نفسها فضيلة مرغوب فيها على الدوام والرديلة رذيلة لا تتقلب فضيلة . وانما التخالف في الملابسات . وعلى هذا القياس

والتغاير بين الشرائع فيما هو اخص من ذلك انما التغاير في فروع الشرائع والعوارض الطارئة في التكاليف والتكاليف انواع القسم العظيم منها يرجع الى الحياة العامة او الخاصة ومنها ما يتصل بهيئة العبادة وتنويعها والتحرير والتحليل حسب المصلحة التي تقتضي ذلك مما يعود بالنفع العام على الناس وذلك قوله تعالى : ولكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا . فهو يرجع الى فروع المللة على ما اقتضته الحكمة من اوجه الحفظ والرعاية المتنوعة فان حالة البشر لم تكن متناسقة في جميع العصور فكان هذا مدعاة لاعتبار المراحل في تبليغ الملل . والرسول قد قطعوا بالبشر المرحلة تلو المرحلة على حسب الاستعدادات التي كان عليها الناس حتى كانت خاتمة المراحل التي انتهى اليها البشر فجاء التشريع العام الذي يصلح لكل عصر وفي كل مصر بما اوحاه الله تعالى لحاتم الرسول عليه الصلاة والسلام

وهذا نعلم انه لا تفاضل بين الشرائع من حيث اصل التكليف ضرورة أن مصدر جميعها واحد وهو الله تعالى فهو سبحانه الذي ارسل الرسول وأوحى اليهم بالشرائع التي امت كل واحدة منها ملائمة للحالة الاجتماعية التي كانت عليها الامة المرسل اليها طبق الحكمة الالهية التي ربما تخفى على بعض العقول وحيث ثبت التغاير من جهة الفروع جاء وصف التفاضل منظورا فيه الى التشريع السابق واللاحق بالنسبة للامة من حيث وطأة التكاليف ويسرها وسهولتها فنتع الشرعية بهذا الوصف ينبغي ان يكون من هذه الجهة لا من الجهة الاولى واحسب ان هذا لا يخالفني فيه مخالف

وهذا نعلم ايضا وجهة النظر في جواز تفضيل بعض الانبياء على بعض وعدم الجواز فباعتبار انهم رسل ارسلهم الله بشرائع لانارة سبل الهداية فلا تفاضل بينهم وعليه جاء قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على الانبياء وقوله لا تفضلوني على يونس بن متى وباعتبار ما يلاقونه في سبيل الدعوة من المشاق المتفاوتة وما اودع الله في نفوسهم من الصبر

لتحمل اعباء الرسالة وشدة صبرهم على تحمل الاذى من المنعدين المكابرين فهم متفاوتون في المزية كتفاوتهم في الخصاص والصفات فمنهم اولوا العزم ومنهم من خصه الله بصفة الحلة ومنهم من كلفه الله ومنهم من خصه بالشفاعة العظمى يوم المحشر . فهذه المزايا وهبها الله تعالى لاصفيائه من خلقه والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ويتبع ذلك ما خص به تعالى هذه الامة وميزها به من طرق الهداية وشرافها بخاتم الرسل وخاتمة الاديان وجعلنا امة وسطا شهداء على الناس وجعل الرسول علينا شهيدا قال تعالى في معرض التفضل والامتنان وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . قال المفسرون وسطا اي خيارا

فذلك منازل الشرف التي قصرت عنها سائر المنازل وسمانا سبحانه المسلمين على لسان رسوله وعلى لسان ابراهيم من قبله عليهما الصلاة والسلام فكرم بها من نعم لا نحصى ثناء وشكرا عليها واعلم ايها الراغب في الخير المتطلع الى السعادة ان الله تعالى شرع لنا هذا الدين الذي شرفنا به وانزله على رسوله العظيم في ارض الحجاز . وقد كانت مدة التشريع اثنتين وعشرين سنة وبضعة اشهر .

واول التشريع كان نزوله بمكة ام القرى . وهو يشتمل على معظم القواعد الكلاية . وكان اولها تصحيح العقيدة واقامة البراهين على ان الله هو الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد . ليس كمثل شيء وهو السميع البصير قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ثم تبعه ما هو من الاصول العامة كالصلاة وانفاق المال والترغيب في ثوابه تعالى والترهيب من غضبه واليم عقابه والنهي عن كل ما هو كفر او فسوق

ثم جاء التشريع بما يتعلق باصلاح النفوس وتهذيبها والحث على مكارم الاخلاق التي بعث صلى الله عليه وسلم ليتممها بالقول والفعل . قال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتيتم مكارم الاخلاق . وقال تعالى : وانك لعلی خلق عظيم

والعناية باصلاح النفوس مقصد عظيم واصل من اصول التشريع الاسلامي ولذلك جاء متصلا باصلاح معتقد الناس بامرهم بمحاسن الاخلاق كالعدل . والاحسان والوفاء بالعهد . والعفو . والاعراض عن الجاهل . والدفع بالتي هي احسن . والخوف من الله تعالى . والصبر والشكر . وصلة الرحم وكل معروف . ويحذرهم من مساوي الاخلاق كالفسحشاء والمنكر . والبغي . وقول الزور . والتطفيف في المكيال والميزان والفساد في الارض . والزنا . وقتل النفس بغير حق . ووأد البنات . وقيل وقال . وكثرة السؤال . واضاعة المال الى غير ذلك من الصفات

وقصة ابي سفيان مع هرقل عظيم الروم قد جاء فيها ان هرقل سأل ابا سفيان . وقال له ماذا

يامركم (يعني به النبي صلى الله عليه وسلم) قال ابو سفيان قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يعبد آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة

وكانت المدة التي وقع فيها التشريع بمكة اثني عشرة سنة وخمسة اشهر وبضعة ايام بتبديء من السابع عشر من شهر رمضان سنة احدى واربعين من ميلاده عليه الصلاة والسلام وتنتهي في ربيع الاول سنة اربع وخمسين من الميلاد وهي نفس المدة التي اقام فيها بمكة بعد البعثة وقد اطلق العلماء على التشريع في مكة انه التشريع الاجمالي المتضمن لمعظم القواعد الكلية ، والجزئيات المشروعة بمكة قليلة والمرحلة الثانية في التشريع كانت بعد الهجرة ومدة التشريع فيها تسع سنين وتسعة اشهر وبضعة ايام . بتبديء من ربيع الاول سنة اربع وخمسين من ميلاده صلى الله عليه وسلم وتنتهي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الميلاد وهي المدة التي اتخذ فيها صلى الله عليه وسلم المدينة دار إقامة واعتمدنا هذا الحسب باعتبار تاريخ الآية التي اشعرت بتعام التشريع وكمال الدين وهي : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً وتاريخ نزولها يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذي الحجة في حجة الوداع وان كان للعلماء هاهنا خلاف تقتصر على هذا وهو المتجه في نظرنا والتشريع الذي وقع بعد الهجرة قد اكملت به الاصول الكلية وما يتبعها من الجزئيات . كالوفاء بالعقود وتحديد الحدود واصلاح ذات البين ونظام الاحوال الشخصية في الموارث . والانساب والجهاد والزكاة وصوم رمضان والحج وتحريم المسكرات الى غير ذلك مما يحفظ الامور الضرورية في الحياة العامة او الخاصة ، وما يكملها ، وما يحسنها .

فعلت بهذا ان التشريع وقع على مرحلتين الاولى قبل الهجرة وقد روعي فيه حال المخاطبين به فكان على نحو ما ذكرنا ، ثم لما استقرت العقيدة في النفوس وصلحت لتلقي بنود الشريعة واتسعت خطة الاسلام كانت المرحلة الثانية ، على ان من التشريع ما وقع خارج الحرمين فان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما تحدث الحادثة وهو في سفر فيقع التشريع وذلك كمشروعية التيمم وكالتشريع الذي وقع في الغزوات .

وبهذا تنتهي الى اصل من اصول التشريع ، وهو ان الاحكام الشرعية نزلت تدريجيا بحسب ما تقتضيه سنة التكليف ، روعي فيها حالة المتلقين لها .

وكانت تأتي مرة بحسب الحوادث . وطورا تكون جوابا عن سؤال الصحابة .

والسؤال على نوعين اما ان يكون لاستظهار حكم في واقعة حال فياتي الحكم علما لكافة الامة .

كقوله تعالى يسالونكم عن الحمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمها اكثر من نفعها واما ان لا يكون السؤال لاستظهار حكم ، والجواب عن هذا النوع مرة يكون مطابقا لاصل السؤال ولا يترتب عليه حكم لا خاص ولا عام ومرة يكون الجواب غير مطابق للسؤال لافادة السائل ما

يهمه معرفته وتحويله الى شيء ينبغي ان يكون السؤال عنه كقوله تعالى يسألونك عن الاهله قل هي مواقيت للناس والحج وطورا يقيم التشريع ابتداء . فيأتي الحكم بعد ان يستقر ما شرع قبله في النفوس . وهذا لطف من الله تعالى بعباده حتى لا تضجر نفوسهم بتكاليف الملة وترتاض لاوامر الله ونواهيه على طريق التدريج وحكمة منه سبحانه وهو العليم الحكيم وهو تعاليم وارشاد لاولي الامر ليسلكوا مع الرعية طرق اللين والتدريج فيما يكلفونهم به مما توجه المصلحة العامة . ولا يفامرون بهم فيفرضون عليهم المشاق التي تتضاد المصلحة المنتظر حصولها امام ما يقع من التصدع ويفضي الى عدم اداء الواجب وقد ظهرت اثار هذا التعليم في سياسة الخلفاء الراشدين التي ساسوا بها الامة الاسلامية مدة خلافتهم فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يعفي القائد العظيم خالد بن الوليد من قيادة الجيش الاسلامي رافة منه رضي الله عنه بالمسلمين الذين كانوا تحت قيادة ذلك البطل

وكذلك كان حاله رضي الله عنه مع المسلمين لما خاطبه عمرو بن العاص في غزو مصر . فانه تردد رضي الله عنه بين الاقدام والاحجام ولم يرد المغامرة بالمسلمين اتقاء ان يحملهم امرا ربما المصلحة في عدم الاسراع به ويكلفهم ما هو فوق طاقتهم فهو يرى ان الفتح يكون تدريجيا كما علمهم رسول الله حيث القى عليهم الشرع تدريجيا .

وبهذا نعلم أصلا آخر من الاصول التي راعاها التشريع الاسلامي . الا وهو رفع الحرج في التكاليف الشرعية واستقراء نصوص الشريعة يفضي بنا الى هذا الاصل العظيم ايضا قال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج .

وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج . ولكن يريد ليطهركم وقال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها .

ومنه نعلم اصلا ثالثا وهو ان الدين يسر وليس بعسر وان الشريعة ميسرة لا منقرة قال تعالى : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

وقال جل جلاله : يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا . وكذلك كان حاله صلى الله عليه وسلم مع الامة . وفي الحديث : ما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار اليسرهما ما لم يكن اثما . ومن ذلك ما جاء في جامع الترمذي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها صلى الله عليه وسلم انه قال : إدراوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم . فان كان له مخرج فخلوا سبيله . فان الامام ان يخطيء في العفو خير من ان يخطيء في العقوبة

ولا نطيل في ذكر النصوص الدالة على يسر هذا الدين الذي جعل الله فيه لعباده الرحمة والسعادة . ورتب على الحسنات والطاعات المغفرة وحسن الثوبة وعفا عنهم بهم بالمعصية وتضعف له حسنات اذا قصد بالكف الحشية من الله تعالى وذلك كله رحمة من الله سبحانه بهذه الامة وهو ارحم الراحمين

بحر الانساب

نور الانوار - ذيل بحر الانساب المحيط

أهدى الى المجلة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ حسن الرفاعي الشريف الحسيني من كبار علماء الازهر ورئيس رابطة الاشراف الكبرى بمصر هذا السفر الفاخر الجليل المشتمل على كتاب بحر الانساب المسمى بالشجر الكشاف لاصول السادة الاشراف للعلامة النسابة السيد محمد بن احمد عميد الدين علي الحسيني النجفي الذي اشتمل على اصول وفروع عموم السادة الاشراف وعلى شرحه للعلامة السيد محمد مرتضى الزبيدي وكتاب نور الانوار في فضائل وتراجم ومناقب ومزارات آل البيت الاطهار للشيخ السيد حسين محمد الرفاعي وذيل بحر الانساب له ايضا جمع فيه ما وصل اليه من الشجرات الزكية المتصلة بالنسب الشريف من جميع الاقطار ، فجاء سفرا جامعاً له قيمة تاريخية وثمرته العلمية فهو جامع عظيم القدر يجد فيه الناظر ما يعز وجوده سيما بعد ان تمام الشيخ الرفاعي ما انتهى اليه النجفي والزبيدي واما النسخة المخطوطة التي طبع عليها الاصل وشرحه فهي النسخة الوحيدة بالقطر المصري وقد زادت قيمة الاصل والذيل بالفهارس التي جعلها لها وهي ستة فهارس في موضوعات الكتب والاعلام وقد ذكر فيها اعلام اصول الشجرات والامم والقبائل والمدن والقرى .

والشيخ الرفاعي قد ادى بهذا العمل الثمر المشكور واجبا عظيماً نحو آل الرسول الاشراف نرجو له حسن الثوبة عند الله والاقبال على هذا (البحر) الزاخر ممن يقدر نفائس الاشياء حق قدرها وهو مع ما جمع فيه من فروع الشجرة الزكية فلم يزل كثير من الفروع لم تلحق باصلها فيه فنحن نحض السادة الاشراف على ان يرسلوا الشيخ حسين الرفاعي بسلال انسابهم او يرسلوها الى ادارة مجلتنا ونحن نعهد لهم بابلاغها الى رئيس رابطة الاشراف ليقع نشرها في الجزء الرابع لبحر الانساب وهذا بعض ما نقوم به لآل الرسول الاكرمين عليه من الله افضل الصلاة وازكى التسليم وعلى آله آمين .

الاجابة

لايرادها استدركته عائشة على الصحابة

كما اهدى الينا الاستاذ العالم السيد سعيد الافغاني الدمشقي كتاب الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة تأليف الامام بدر الدين الزركشي المولود بمصر سنة ٧٤٥ والمتوفى سنة ٧٩٤ وهو كتاب عظيم الفائدة جمع فيه مؤلفه الاحاديث التي تفردت بها ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن باقي الصحابة وقد الف في مستدركات عائشة رضي الله عنها جماعة من اهل العلم منهم ابو منصور عبد الحسن البغدادي المتوفى سنة ٤٨٩ وقد اثبت مؤلفنا ما استدركه البغدادي وزاد عليه ما تفرد بتخريجه والنسخة التي طبع عليها الناشر هي نسخة بخط المؤلف نفسه وقف عليها بخزانة المكتبة الظاهرية بدمشق وصدره بمقدمة حافلة ضمنها موضوع الكتاب وترجمة المؤلف كما علق عليها حواشي تدل على قيمته العلمية وسعة اطلاعه وختمه بفهارس خمسة على الطريقة الحديثة فشكر الاستاذ الافغاني على هذه التحفة الثمينة والذخيرة التي قدمها لاهل العلم مع تقديرنا لمجهوده

وقال يخاطب الامير الجامع بين العلم والامارة المولى محمد باي ابن الامير الكبير المولى حسين باي ابن علي المتولى سنة ١١٦٩ يستعطفه ويستقبل العثرة ويطلب الافراج عنه من السجن

لمشري بتمام عفوك ما طلب
وأقل شيء من رضاك محصل
فاذا ظفرت به فاني آمن
ولانت أولى أن تعود بنظرة
الحلم فيك سجية معروفة
انتم شמוש هداية وطلوعها
خصصتم أبني حسين بالتي
الملك أنتم أصله ولكم به
فلذلك أجري أمرة بسدادكم
يا من بنى للعضو يتالم تنزل
هذا مقام معذب بك عائد
عظمت ولكن كان عفوك عندها
فاسمح بها أمنية عنوانها
وامدد إلي يدا أفوز بلثمها
دامت حياتكم وعز جنابكم

ما بعده لي في الاماني من أرب (١)
لئومل نيل السعادة ما أحب
لا أحتشي جور الزمان وان غلب
في شان من نادى حنانك من كب
يا خير من يولي الجميل إذا غلب
قد كان حسما للتعسف والشغب
يرضى بها رب الشريعة والحسب
قدم التقدم والعلي من الرتب
سهلا وتعضون العويس بلا تعب
تعلو دعائمه على هام الشهب
من هفوة القته في طرق العطب
عفو النبي عن ذنب كعب اذ رهب
منك التسم بعد هاذك الغضب
ويزيل عني جودها هذا النصب
ما نال راحي منكم ما قد طلب (٢)

وله يخاطب الوزير الحاج علي بن عبد العزيز في طلب الشفاعة عند مخدومه المذكور

يا ابن عبد العزيز انت عزيز
تحمل الكل في المضيق وتحمي
واذا ما الزمان اصبح صعبا
كنت عوننا على الزمان الصعب (٣)

وله مهثا للامير المولى محمد باي بولادة ابنه الامير الاشهر الافخم المولى محمود باشا ومؤرخا عام ولادته (٤)

طالع السعد بالميامن حيا
حين قالت لدى الولادة يا بش
فجری الفال بابن يعقوب بدءا
ذاك محمود الرشيد تجلي
يا اياه محمدا فز بنجل
جاء للملك كالمهي ذويه
صانه الله وارثا لابييه
ولهم قيل عند ما ارخوه

واضح البشر مستنير المحيا
سراي هذا غلام قلنا رضىا
وتناهى بان النبي زكريا
اثر ما قال رب هب لي وليا
لم تكن بالدعاء فيه شقيا
بعد ما اتبذوا مكانا قصيا
وابيه موفقا لودعيه
ووهبنا لكم غلاما زكيا

(١) وفي رواية من طلب (٢) وفي رواية (١) ما اشتاق مضطر لعفو مرتقب (٣) وقد نجح مطلبه فان الامير اطلقه وتولى بعد ذلك في ولاية الامير علي باي شهادة غابة الزيتون وصلاح حاله عنده، (٤) كانت ولادة الامير محمود سنة ١١٧٠ وولاية الملك في أوائل صفر سنة ١٢٣٠ وتوفي سنة ١٢٣٨

وله يرثي الامير محمد باي المذكور رحمه الله ويعزي شقيقه
ووارث الملك من بعده صفر الملوك الشيه بالرشيد المولى علي باي

دمن تقادم عهدا بالناس
رهن الاسي اوكل قلب قاسي
يوم النوى فرقا فلتت بناسي
ولطالما ملئت من الانياس
طلع الظلام لغية التراس
غلب المشوق فكيف بالحساس
في اي ناحية واي مواس
لا يرجعون لآخر الاحراس
خلدي بخلت به عن الجلاس
وقف العليل لصكة القباس
حتى يغيبه عن الاحساس
ضربت له الاخماس في الاسداس
ومصائب الدنيا على اجناس
قطعت منها لدغة الدساس
من ذاقه نسا بغير قياس
موت الشقيق الطيب الانقاس
لم يعل فوق مراتب وكراسي
حتى ألان الصعب بعد شماس (١)
حرم السلاح وحومة الحراس
قبل الهجوم يد مع العساس
ما ساقه قسرا الى الارماس
جبل من الحلم المقدس راسي
عونا على الازمات خير مواسي
لهوقات مكائد الوسواس
وعوامل الاقلام والقرطاس
والخيل تائقة الى الاحلاس (٢)
لو لا مقيم الدين بالقسطاس
وقت الرخاء وضيق حر الباس
بعلي الشهم التزيه الباس
بالعرف لا ساء ولا نعاس
يمسي ويصبح في اعز لباس
خلقا من الزمن المسيء الجاسي (٣)

هل اذكرتك العهد بعد تناسي
ان كنت تجحد ما اقيت فانني
ولئن نسيت الظاعين، وقد مضوا
هذي المنازل اقفرت من بعدهم
كانوا الضياء لها ولما ادخلوا
يجد الجماد على العشير كسابة
من مخبري عن سيرهم اوسوءهم
ومتى يكون اياهم وانظهم
واود لو سمعوا حديثا دار في
ما لي اغالط بالسلو وقلها
والهم يغلب من يحاول سيره
ومن استمال الى الليالي امنا
والحي عرضة لكل سهم صائب
وانا الذي عانيت من اوجاعها
والشيء يخبر عن حقيقة امرة
وهي الدواهي مرة وامرها
ذهب الامير محمد وكأنه
او انه لم يسم في طلب الملا
من اين ادركه الحمام ودونه
أ تغافل البواب ام سبقت له
جهل الزمان ولو درى بمقامه
صعب على الايام ان يرى لها
قد كان طلاع الثنايا خيرا
(٢) حردا على الواشين ليس يهزه
يبكي له الادب القريظ واهله
والسيف ملتفت الى ابيضائه
كادت عرى الاسلام تنقض بعده
خير الخلائق صنوة وقسيمه
ما اخلق الملك العلي عماده
ناه عن اتيان المناكر امر
الملك يعلم انه بعناية
يا من يعز على المعالي ان يرى

(١) أي شدة وصعوبة ومنه فرس شماس اذا استعصى على راكبه . (٢) اي كثير النضب على
الواشين من حردهم اي غضب . (٣) الاحلاس جمع حلس وهو كساء يجعل على ظهر الدابة
تحت الرجل او السرج . (٤) اسم فاعل من جسا الشيء يجسو اذا يبس وصلب

محي الحيا بالاربع الادراس
 فترد فائته عقيب الياس
 من كل ذي قلم وذي قرطاس
 ونعت بصخر مرة لحناس
 وسقت كليليا من يدي جساس
 سيف ابن ذي يزن وذي نواس
 لاولي النباهة من بنى العباس
 لبني عبيد ساعة الالباس
 بقييل عبد المؤمن الهرماس
 وبنو مرين شدة في باس
 سقط الخلائق في فضا النبراس
 ذهبت بهم في دامر الافلاس
 حصن السيوف ولاحمى الاتراس
 جاءت بها تعزية الاكياس
 صبر الرعية عند صبر الراس
 والله خير منك للعباس

ما مات من كنت الخليفة بعده
 ان المنايا لا ترق لجازع
 فهي التي مردت على حكامها
 فجعت متمما الاسيف بمالك
 واذاقت النعمان سما ناقعا
 وتسابعت في تبع وسط على
 وشجت امية في بنيه وعبت
 ولآل اغلب قارعت وترصدت
 وقضت على لمتونة وتقبلت
 ولقى بنو زيات من اوصاها
 وهوت باملاك الطوائف بعد ما
 ورمت بني حفص بكل رزية
 وهلم جرا لم يصن من كتبها
 ولانت افضل مدعن لمقالة
 اصبر نكن بك صابرين فانما
 خير من العباس اجر ك بعده

وله يمتدح المولى علي باي ويذكر موطنه وما قاساه في طلب
 تراث ابيه من ملك تونس وظفرة بذلك بعد الاهوال الصعاب

حيا ديارك صيب يتدفق
 هل غربوا بخيامه ام شرقوا
 وادي العقيق وبعد ذلك الابرق
 الا لاسمع قولها لو تنطق
 والقلب بالسكان منها اعلق
 يرمي بها اقصى المرام الرونق
 حتى عشقت ولدت من لا يعشق
 خلع العذار لبارق يتالق
 لكنهم لما راوها رفقوا (١)
 ماء الهاء بوجهها يترقرق
 من بات من سخط له يشوق
 فجر اذا كذب السماء يصدق
 من جانب (٢) سيل مغدق
 كالراز في اثر الشريد يحلق
 بان الخليط قتل بمن تتوثق
 قالت ظفرت اذا وعز الابلق
 اوطانه وجود منه المعلق
 واذا تعد فلهو منها الريق

ياسعد باسمك قال من يستنطق
 حدث عن الريم المقيم برامة
 عهدي بهم نزلوا العذيب وقصدهم
 تلك المنازل لم اهم برسومها
 والدار يذكرها اللسان معرضا
 والنفس تخضع للهليح وانما
 ولعارض ابعدت علمي جانبها
 وذهلت عن قول العواذل ماله
 نظروا كما نظر الخلي مخائلا
 ونظرت كالיום المبارك دمية
 تفترعن كالبرق ابصر ضوؤه
 ويلوح تحت الحيد من اطواقها
 وتمس كالفضن الرطيب يناله
 تلك التي سارت وقلبي اثرها
 لم انس اذ قالت وقد ودعتها
 قلنا علي ابن الحسين ملاذنا
 ذاك الذي ينسى الغريب بقربه
 ملك لا يام الشباب محاسن

ولرب شيء دون وقت يخلق
واسترضعت وهي عجفا شملق
وشبابها وكذا العوائد تخرق
والحزم بالشهم المؤيد اوفق
كالسهم من خيف الرمية يمرق
في كل ناحية تروع وتقلق
تدرى المغارب كونه والمشرق
وبه يلاد اذا يراع الفيلق
والى النزال بكل فج يسبق
غصت بها طرق الربى والحيفق (١)
ويسبح للخضراء وهو الغرق
يملا الفضاء صهيلها والهندق
مثل السحيق يجف منه المهرق
اسد الشرى وبكل طرف تمشق
كلا ولا قطع الفيا في مخلق
قلنا حديث القال عنها اصدق
منع الردى مريبها والحنديق
والهام في كل الهات تقلق
وكذا المشوق اذا رآه الشيق
يلج المضيق وفي العزيمة يصدق
لم تلقه دار السلام وجلق
في وجهه الاسنى فقال موفق
فأزاد وهو على الورى يتدفق
يبلى به ذاك العظيم ويمحق
من الفتى وهو المغيظ المحقق
خدما لعز مقامكم لا تعيق
ولكم بكل عبارة تتملق
عند المليحة راسها والمخنق
يروى الغبي حديثها والاشدق
خلق الكريم فاب مثلك يشفق
ولد البتول وانت حي ترزق
وله فيه ايضا رجهما الله تعالى

طيف الم بمن له يتشوف
ظن يسي به ووعد يخلف
خاف العيون وضاق عنه الموقف
صبري وقد ولى الخيال المشرف
بالحيف حتى في المنام يخوف

غلط الزمان به لغير اوانه
حملت به الايام في تعيسها
وبه استعادت ما مضى من عمرها
اذ قام بالعبء الثقيل لشاره
وسعى لرد الملك وهو مصمم
من بعد ما قذفت به ايدي النوى
كالبدر اذ حاز الكمال وسيره
ناهيك من اسد اذا حمي الوغى
تلقاه للمخطب الجليل مبادرا
فافاض من بحر الخميس مناهلا
ينحط من بطن الجزائر فيضه
امواجه الخيل العتاق وانها
تذري سنا بكها على اعطافها
وكانها العقبان تحمل فوقها
لم يعيها التاويب في ادلاجها
حتى اناخ على طريق مغيرة
مارد كف (الكاف) صدمته ولا
ودعته تونس بعد فجر خميسها
فتعانقا اذ ذاك من فرط الهوى
وكذلك الاخطار يدركها الذي
فخر به حازته تونس وحدها
ياها الملك الذي نظر السنا
مالي احوال شربة من عفوكم
ان كان لي الذنب العظيم فحلحكم
قالت قتيلة للرسول وربما
هذي حرار خاطري وجهتها
جاءتكم تمشي على استحيائها
ومدائحي كالدر موضع حسنه
يبلى الزمان وخلقها متجدد
فانظر لها نظير الشفيق واولها
واسلم بحالة غبطة حتى ترى
وله فيه ايضا رجهما الله تعالى

حيا فجن له الفؤاد المذنب
لا يا تخلص كالشفاء ودونه
واقل ما اتقالت وقفة زائر
واقل منها وكننت جلدا قبلها
ما ذا لقيت من الزمان يروعني

من كل وجه لي عليه ملامة
أفلا كفى أن عشت فيه وقالبي
يرد المياله بنوه لا عن غلة
هين عليهم لو قذفت بهمي
والموت اسعدوهي بغية كلهم
فاذا قرمت اكلت لحم انامي
وتنوب عن خطب الوفود دفاتري
عجبا لا يام تجورالم يكن
حرم الامان لمن اراد حماية
ملء القلوب اذا بدا متسما
كم نحتمي في القول عند مديحه
حتى اذا نظر المديح بدا له
فعود من عادابه بفوائد
وعلا بهمة الكريمة ان يرى
وكفاه عن سمع الملاهي درسه
وتفقه في الدين ثمة فصله
وافاضة للعالم بين طوائف
والذما يسديه منها عنده
ومضت كذا عفوا جميع فعاله
ودعى بقفصة فاستجاب معنيها
وجرى يخرق كل بطن قرارة
واطاعت الانجاد فيه وهاديه
فتراه كالنعبات في حركاته
حتى لوى بشعاب تونس راسه
وانجل عن عذب الزلال ولاؤه
فعدت به الاكباد بعد اوارها
وراته اعظم منه اذ جاءها
لا زال يظهر كل حين غرة
وله فيه ايضا

اقصر والتطويل في الشكر واجب
واهدي الليس (٢) الناقص القدر للذي
اذا لم يكن فيما مضى لي والد
تتادي مزايابن الحسين الا انهضوا
كان بني الاشعار صموا عن النداء
فواعجا منها ومني ومنهم
اما انها عين حسان تبرجت

لمن فضله في كل ما شئت غالب
عن القص في كل المشاهد غائب
ولا لي في الآتي من الدهر صاحب
بواجب اطراي واين المجاوب
بلي فاتهم في ذاك طبع مناسب
وفي كل قول للفهوم مسارب
وليس لها عن عين مرءاه حاجب

تغامزن لي والغمز للصب جانب
على حين شاخ الدهر فهي الغرائب
وقام لها من مقعد العز طارب
ولا شر الا وهو كالظلم عازب
لمن هو في شكر المزية راغب
على ألسن الاحوال منه الضرائب
وفي كل صقع من اياديه جانب
واشارهم حتى يغار الاقارب
اخو فطنة اولج فيها المشاغب
واكرام من يدنوه او يجانب
ولا منكر ان جاء للحق طالب
وكظم لغيظ حين يجفوا المغاضب
تغالبه عن نومه ويغالب
واصدق ما في الذكر ما هو دائب
يلاحظها منه التقبي المراقب
ببدولته حلم وحاشاك ككاذب
مشارك امساح الوري والمغارب
يسلمها الراضي ومن هو غاضب
يرى انه فوق السهى او يقارب
تقبض منها جيدة والعراقب
عن الفكر في استعمال شانك نايب
على رغبة في رجعه وهو راهب
ومن خلفه حبلى المهابة جاذب
تدب به رجلا والراس راسب
بهبو تود السعي فيه الثواقب
عن الفكر في تزوير قول يناسب
وضاقت عليه في الخلاص المذاهب
واسمع ما لم تتبخيه الاعارب
ومخدومه والمنتمى والمصاحب
تمام جلال هذبته التجارب
فدو الهزل ممقوت وذو الحيد تاعب
وعش لترى الباقي عدتك النوائب
يباهتني فيه اذا غبت عائب
ومادح ذي زيد باقص عائب
على قدر ما اسدى له العذر واجب
قضاه نصيبا ضمه وهو راكب
وقد افعمت دنياه منك المناقب
ولو سكتوا اثنت عليك الحقائق

ككافي انا وحدي رايت عيونها
اطلت وايام المكارم عنست
فاصبحت الايام في عنقوانها
فلا خير الا وهو كالعدل لازب
فهذي طريق الحمد فيه توضح
وإن ألسن الاقوال كلت فانما
فاغسله فيض الجود عن كل مصقع
واجلال اهل العلم طرا لاجله
ودقة فهم للعويضة رامها
ومعرفة الفضل الحقيقي لاهله
وانصافه من نفسه غير ساخط
ونصرة ملهوف واحسان عشرة
وجبر كسير القلب باتت همومه
وحفظ لذكر الله عن وصم فترة
ورعي جناب الله في كل حالة
فيها المولى الذي يقضاتنا
لك الله من قطب تدور باوجه
لما انك استوجبتها بشمائل
دفعت بها في صدر كل ممالك
فمرت على اسماعه فيك مدحة
فما وسعته الارض حتى اراحه
فوجه مرتادا يخلف اهله
فجاء ومن قدامه الامن قائد
وعاين ما بين السماطين برزخا
وقد حسدت عيناه رجليه ان سعت
وما شغلته الدار تلعب بالنهى
ولما افتتحت القول طيرت سحرة
وشاهد ما لم يخطر في حسابه
وولى على الاعقاب تصغر نفسه
وانذر مولاه بان وراءه
وان ملوك الارض قسمان بعده
فهذا حديثي عنه اسندت بعضه
ولست براى من مديحك بالذي
وهل لي اعتذار في انتحالي ناقصا
على ان من اهدى لغيرك مدحة
كعذر نصيب اذ تبجح للذي
ققال ولو لاقاك يا بحر لم يقل
فعاجوا وانسوا بالذي انت اهله

الاشتراك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠ ممضاة من امين المال
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠ محمد الهادي بن القاضي
يخصم الربع للتلازمة والمخبرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها أسبوعية في شهر رمضان ١٣٥٨ وفي أكتوبر ١٩٣٩
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء التاسع - تونس - في شهر رمضان ١٣٥٨ وفي أكتوبر ١٩٣٩ المجلد الثالث

صاحب المجلة والمدير :

عبد الشاذلي بن القايني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بنونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

صحيحة	المقال	صاحبه
٣٦٤	تفسير آية من سورة البقرة.....	العلامة الامام المولى الشيخ الطاهر ابن عاشور
٣٦٨	درس في موطا الامام مالك رضي الله عنه	شيخ الاسلام المالكي
٣٧٧	الاقواق والنظار او الاحباس والمقدمون	العلامة الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٣٨٦	القضاة الشرعيون في القديم.....	العالم التحرير الشيخ الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
٣٨٤	وثيقة تاريخية جليله « مارستان العزافين والمستشفى الصادقي.....	العلامة الجليل الشيخ محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة
٣٩٢	بعثة خير الدين للاستانة.....	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة
٣٩٦	عشية في شاطئ رواد.....	امير الامراء الاستاذ محمد صالح مزالي عامل بنزرت
٣٩٧	استقبال شهر رمضان.....	العالم الاديب الشيخ الطاهر القصار المدرس بجامع الزيتونة
٤٠٠	شهر الصيام.....	الفاضل الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة
٤٠١	استقبال شهر رمضان المعظم.....	الاديب الكبير الشيخ العربي الكبادي
٤٠٢	التكاليف الشرعية.....	الاديب النابغ الشيخ بلحسن بن شعبان صاحب المجلة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	٣٠	ولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال
الاقصى وسوريا فرنكات	٤٠	محمد الهادي ابن القاضي
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات	٤٠	والخبرات المالية لا تكون الامعه
يخصم الربع للتلازمة		

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصايرها مع القيم النبوية
شهرية وسنتها عشرة أشهر

الجزء التاسع - تونس - في شهر رمضان ١٣٥٨ وفي أكتوبر ١٩٣٩ المجلد الثالث

صاحب المجلة والمدير:

محمد الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بشونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادرارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير:

محمد المنحاز بن محمود

المفتي الحنفى

بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم

من تفسير الاستاذ الامام المولى الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ * إِلَّا إِنْتَهُم هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ

يظهر لي أن قوله وإذا قيل لهم عطف على قوله يخادعون لأن قوله وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون إنما نحن مصلحون أخبار لبعض غرائب أحوالهم ومن تلك الأحوال أنهم قالوا إنما نحن مصلحون فهو المعطوف في المعنى لأن ما قبله ظرف مقدم عليه . وإذا هنا مجرد الظرفية وليست متضمنة معنى الشرط إذ لا يستقيم ذلك إلا بتكلف لا داعي إليه كما أنها هنا للماضي ليست للمستقبل وذلك كثير فيها كقوله تعالى حتى إذا فشتم وتنازعتم في الأمر الآية . ومن نكت القرآن المغفول عنها من قبل تقييد هذا الفعل بالظرف فإن الذي يتبادر إلى الذهن أن محم المذمة هو أنهم يقولون إنما نحن مصلحون مع كونهم مفسدين ولكن عند التأمل يظهر أن هذا القول يكون قائموة أجدر بالمذمة حين يقولونه في جواب من يقول لهم لا تفسدوا في الأرض فإن هذا الجواب من المفسد لا ينشأ إلا عن مرض القلب وافن الرأي لأن شأن الفساد أن لا يخفى ولئن خفي فالتصميم عليه واعتقاد أنه صلاح بعد التحذير والموعظة أفرط في الغباوة أو المكابرة وجهل فوق جهل . وعندي أن هذا هو مقتضى لتقديم الظرف على جملة يقولون لأنه أهم إذ هو محل التعجب من حالهم ونكت الإعجاز لا تنأى . والقائل لهم لا تفسدوا في الأرض بعض من وقف على حالهم من المؤمنين الذين لهم اطلاع على شؤونهم لقراءة أو صحة فيخلصون لهم النصيحة والموعظة رجاء إيمانهم ويسترون عليهم خشية عليهم من العقوبة وعليها بأن النبي صلى الله عليه وسلم يغضي عن زلاتهم كما أشار إليه ابن عطية وبدل لذلك عندي بناء الأفعال للمجهول بخلاف ما يأتي في قوله تعالى : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . ولا يصح أن يكون القائل لهم الله أو الرسول كما قال بعض المفسرين إذ لو نزل الوحي وبلغ

الى معينين منهم لعلم كفرهم ولو نزل في مجملات كما تنزل مواظ القرءان لم يستقم جوابهم بقولهم
انما نحن مصلحون فتأمل حق التأمل .

وقد عن لي في بيان فسادهم في الارض انه مراتب اولها فسادهم في انفسهم بالاصرار على تلك
الادواء القلبية التي اشرنا اليه فيما مضى وبما يترتب عليها من المذام ويتولد من المفاسد . الثانية افسادهم
الناس ببث تلك الصفات والدعوة اليها وافسادهم ابناءهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساوئهم كما قال نوح
عليه السلام (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) . الثالثة افسادهم بمفاسد الافعال
كالقاء النعيمة والعداوة وتسعير الفتن وتاليف الاحزاب على المسلمين واحداث العقبات في طريق
المصلحين . والفساد خروج الشيء عن حد الانتفاع به في بابه فالافساد في الارض الفعل الذي يخرج
الاشياء الصالحة في الارض عن الحد المنتفع به فيها فمنه افساد الذوات كالحرق والقتل وافساد الانظمة
كالفتن والجور وافساد المساعي كبث الجهل وتعليم الدعارة والتجريض على الكفر ومناوأة المصلحين
ولعل المنافيين قد أخذوا من كل ضرب من ضروب الفساد بنصيب فلذلك حذف متعلق الافساد
تاكيدا للعموم المستفاد من وقوع الفعل في حيز النفي وذكر المحل الواقع افساد كائناته وهو الارض
قصدا للتعميم من جهتين فكانه قال لا تفسدوا كل فساد في اي مكان من الارض . فالمراد من الارض
هنا ما تحتوي عليه من الناس والحيوان وسائر الموجودات التي بها دوام نظام العالم ونظيره قوله تعالى
(واذا تولى سعي في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)

وقوله تعالى (قالوا انما نحن مصلحون) جواب وجاءوا بانما المفيدة لقصر الموصوف على الصفة
ردا على قول من قال لهم لا تفسدوا لان الفاعل اثبت لهم وصف الفساد اما باعتقاد انهم ليسوا من
الصالح في شيء او باعتقاد انهم خلطوا عملا صالحا وفسادا فردوا عليهم اما بقصر القلب او بقصر
الافراد لان قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيا لتعذر الاحاطة بصفات الشيء .

وقوله تعالى (الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) أقول هو رد عليهم في غرورهم وحصرهم
انفسهم في الصلاح فرد عليهم بطريق من طرق القصر هو ابلى من الطريق الذي قالوه لان
تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند اليه يفيد قوله الا انهم هم المفسدون قصر الافساد عليهم
بحيث لا يوجد في غيرهم وذلك ينفي حصرهم انفسهم في الاصلاح وينقضه وهو جار على قانون
النقض وعلى اسلوب القصر الحاصل بتعريف الجنس ويضمم الفصل وان كان الرد قد يكفي فيه ان
يقال انهم مفسدون بدون ضيغة قصر الا انه جيء بالقصر ليفيد نفي الافساد عن غيرهم اعني المؤمنين
الذين عرض بهم المنافقون حين قالوا انما نحن مصلحون فذلك هو الغرض الاولي من رد الله عليهم
ما ادعوه لان الله ولي المؤمنين فالذب عنهم مقدم على ذم المنافيين فقد حصل بهذا القصر رد الدعيين وقد
يهدد ذلك ان المنافيين ليسوا ممن ينتظم في عداد المصلحين لان شان المفسد عرفا ان لا يكون مصلحا

اذ الافساد سجية ودأب لا يسكاد يفارقه موصوفه فهذا يستفاد بطريق لحن الخطاب وقوله (ولكن لا يشعرون) محمله محمل قوله تعالى قبله وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون فان افعالهم التي يتجهجون بها ويزعمونها غاية الحذق والفتنة وخدمة النفع الخاص ايلة الى فساد عام لا محالة الا انهم لم يهتموا الى ذلك لحفائه وللغشاوة التي القيت على قلوبهم من اثر النفاق ومخالطة اهله فان حال القرن وسخافة المذهب تطمس على العقول النيرة وتخف بالاحلام الراجحة حتى ترى حسنا ما ليس بالحن (واذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا انؤمن كما ءامن السفهاء) هو من تمام المقول قبله فحكمه حكمه في العطف والقائل ويجوز هنا ان يقول القائل ايضا طائفة من المنافقين يشيرون عليهم بالاقلاع عن النفاق لانهم ضجروا وسموا كلفة مخادعته ومتقياته وكلت اذهانهم من ابتكار الحيل واختلاق الخطل وحذف مفعول ءامنوا استغناء عنه بالتشبيه في قوله كما ءامن الناس او العلم به .

وقوله كما ءامن الناس الكاف فيه للتشبيه او للتعليل واللام في الناس للجنس او للاستغراق العرفي والمراد من عدا المخاطبين اقول هي كلمة تقولها العرب في الاغراء بالفعل والحث عليه لان شأن النفوس ان تسرع الى التقليد والاقتراب بمن يسبقها في الامر فلذلك ياتون بهاته الكلمة في مقام الاغراء او التسلية او الايتاء قال :

وننصر مولانا ونعلم انه كما الناس مجروم عليه وجارم
وقولهم انؤمن كما ءامن السفهاء استفهام للانكار والسفهاء جمع سفيه وهو المتصف بالسفاهة والسفاهة
في الاصل الحقة قال ذو الرمة

مشين كما اهتزت رماح تسفحت اعاليها مر الرياح النواسم
ثم سميت بها حقة العقل وقلة ضبطه للامور قال السموأل

نخاف ان تسفه احلامنا فنخمل الدهر مع الخامل

والعرب تطلق السفاهة على افن الرأي وضعفه كما علمت وتطلقها على سوء التدبير للمال قال تعالى
(ولا تؤثروا السفهاء اموالكم) وقال : فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا الآية (لان ذلك انما يجيء
من ضعف الراي

(الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) اقول اتى بما يقابل جفاء طبعهم انتصارا للمؤمنين
واعلن ذلك بكلمة ألا المؤذنة بالتنبية للخير وجاء بصيغة القصر على نحو ما قرر في (الا انهم هم
المفسدون) ليدل على ان السفاهة في الدين مقصورة عليهم دون المؤمنين فهو قصر اضافي لا محالة واذا
ثبت لهم السفاهة اتقى عنهم الحلم لا محالة لانهما ضدان في صفات العقول وان هنا لتوكيد الخبر وهو
مضمون القصر وضمير الفصل لتأكيد القصر والا كأختها المتقدمة في الا انهم هم المفسدون
وقوله : (ولكن لا يعلمون) اقول انه نفى عنهم العلم بكونهم سفهاء بكلمة يعلمون دون يشعرون خلاف

للايتين السابقتين لان اتصافهم بالسفه ليس مما شأنه الخفاء حتى يكون العلم به شعرا ويكون الجهل
 به نقي شعور بل هو وصف ظاهر لا يكاد يخفى لان لقاءهم كل فريق بوجه واضطرابهم في الاعتماد
 على احدى الخلتين وعدم ثباتهم على دينهم ثباتا كاملا ولا على الاسلام كذلك كاف في النداء بسفاهة احلامهم
 فان السفاهة صفة لا تكاد تخفى وقد قالت العرب السفاهة كاسمها

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون)
 عطف على ما عطف عليه واذا قيل لهم لا تفسدوا واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس والكلام
 في الظرفية والزمان سواء والمقصود من الاخبار عنهم بقولهم آمنا هو التقييد بقوله : واذا لقوا
 الذين آمنوا) لا يقولون ذلك ولو باللسان الا حين لقاء المؤمنين وتمهيد لقوله : واذا خلوا فيذبذبك
 الغرضين كان مفيدا فائدة جديدة على قوله السابق ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية ونكتة تقديم
 الطرف تقدمت

ومعنى قولهم آمنا اي كنا مؤمنين فالمراد من الايمان هنا القلب الذي هو مجموع الاوصاف
 الاعتقادية والعملية الذي تلقب بها المؤمنون وعرفوا بها على حد قوله تعالى : انا هدنا اليك) اي كنا على
 دين اليهودية فلا متعلق لقوله آمنا حتى يحتاج لتوجيه حذفه او تقديره . او اريد آمنا بما آمنتم به
 والاول عندي اظهر

وقوله : واذا خلوا الى شياطينهم الخ معطوف على ما عطف عليه واذا لقوا والشياطين جمع شيطان
 وهو اسم جنس لصف من الموجودات المجردات التي لا ترى عادة والتي هي مدبرات الفساد والشور
 الصادرة من بني ادم وهذا حقيقة هذا الاسم وقد يطلق مجازا على من كان دأبه ذلك الصنيع من
 البشر فهو مدبر السوء واطلق ايضا على الذي يأتي بالعجائب التي لا يستطيعها البشر ولذلك اثبت
 العرب شياطين لنوابغ الشعراء ، ويطلق على زعيم اهل الدعارة وهو المراد هنا اي اذا خلوا الى رؤسائهم
 وقادتهم كما قال تعالى : وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن

وخلوا بمعنى اقردوا فهو فعل قاصر ويعدى بالباء واللام ومن ومع بلا تضمين ويعدى بالى
 على تضمين معنى اب ورجع وانزوى ويعدى بنفسه على تضمين تجاوز وبعاد وقد عدي هنا بالى
 ليشير الى ان الخلوة كانت في مواضع هي مثابهم ومرجعهم وان لقاءهم للمؤمنين انما هو صدقة ولحاح
 قليلة افاد ذلك كله قوله لقوا واخلوا وهذا من بديع الایجاز . وقولهم انا معكم بالتأكيد دليل على
 انهم قد بدا من إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم في البقاء على الكفر وتطرق
 به التهمة ابواب قلوبهم فلذلك احتاجوا الى تأكيد ما يدل على انهم باقون على دينهم . وكذلك قولهم انما
 نحن مستهزون فقد ابدوا به وجه ما اظهروه للمؤمنين وجاءوا فيه بصيغة قصر القلب لرد اعتقاد شياطينهم
 فيهم ان ما اظهروه للمؤمنين حقيقة وإيمان صادق . واما تجريد قولهم آمنا من المؤكدات مع ان

درس في موطا مالك

رضى الله عنه

بقلم الاستاذ الامام المولى محمد الطاهر
ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

جامع القضاء وكراهيته

ملك عن يحيى ابن سعيد ان ابا الدرداء كتب الى سلمان الفارسي ان هلم الى الارض المقدسة فكتب اليه سلمان ان الارض لا تقدس احدا وانما يقدس الانسان عمله وقد بانغي انك جعلت طبيبا تدأوي فان كنت تبريء فنعمالك وان كنت متطببا فاحذر ان تقتل انسانا فتدخل النار فكان ابو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم أدبر عنه نظر اليهما وقال ارجعا اعيدا علي قضيتكما متطببا والله لم يترك الامام رحمه الله تعالى في تبويه هذا حقا من المناسبة في التوبيع الاقضاه اذ اخر التحذير من القضاء الى اخر كتاب الاقضية واستهل كتاب الاقضية بالترغيب في القضاء بالحق ءاثر بذلك التقديم وهذا التأخير ترتيبا طبيعيا من وجهين : اولهما ان الناس لو سلك بهم مسلك الاقتصار

مقتضى الظاهر ان يكون التأكيد في خطابهم للمؤمنين فلاهم لا يريدون ان يأتوا بما يجدد شك المؤمنين فيهم ولا ان يجعلوا انفسهم بموضع سوء ظن المؤمنين فيهم ولذلك حكى صدور هذا القول منهم عند مجرد لقاء المؤمنين من غير ان يسألهم المؤمنون عن دينهم فكان المناقون يوهمون المؤمنين انهم صادقون في الايمان فلا يخطر ببالهم ان يشك احد في اخلاصهم لانهم اذا ظنوا شك الناس فيهم فقد نهوهم على سوء طواياهم كما قال المتنبي

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وقولهم انما نحن مستزءون قصرنا انفسهم على الاستزاء قصرنا إضافيا للقلب اي مؤمنون مخلصون . وجملة انما نحن مستزءون تقرير لقوله انا معكم لانهم اذا كانوا معهم كان ما اظهروه من مفارقة دينهم استزاء او نحوه فلما ان تكون الجملة الثانية استينافا واقعة في جواب سؤال مقدر كان سائلا يعجب من دعوى بقاءهم على دينهم مع ما تقفوا به من طرق النفاق في معاملة المسلمين وينكر ان يكونوا باقين على دينهم وسأل كيف امكن الجمع بين البقاء على الدين واظهار المودة للمؤمنين فأجابوا انما نحن مستزءون وبه يتضح وجه الاتيان بأداة القصر لان المنكر السائل يعتقد كذبهم في قولهم انا معكم ويدعي عكس ذلك ويتضح ايضا وجه اختيار انما من بين بقية طرق القصر لان انما مشعرة بر د انكار منكر وجواب سائل لمكان ان في اصل تركيبها الوضعي . واما ان تكون الجملة بدلا من انما معكم بدل اشتمال لان من دام على الكفر وتعالى فيه فقد حقر الاسلام واهله واستخف بهم

على الترهيب من القضاء ثم تمشى ذلك في عقول العلماء العدول فعافت نفوسهم القضاء وتماثلوا على التفصي منه لكان من اثر ذلك ان يصبح الناس فوضى ويرجعوا الى الهمجية الاولى يقتضون لانفسهم تلك الهمجية التي كان من جهد الشريعة ابعاد الناس عنها قال الحماسي :

فلسنا كما كنتم تصيون سلة فنقبل ضيما او نحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فينا مسلط فنرضى اذا ما اصبح السيف راضيا

من أجل ذلك جاء الترغيب في القضاء بالحق كأنه يأخذ بيد الخائف الوجهل من هذا الامر ويطل به عليه بين له ان اكباره خيال كبير وان المرء اذا شاء اجراء العدل كان يلي بولايته القضاء اكبر خطا واصلحها للكون ثم جاء الامام في اخر كتاب الاقضية بالترهيب منه ايقاضا لنفوس ربما خامرها الذهول فاستهوت امره بعد استكباره ولم ترقب حق الله من الاحتياط فيه واخرج في هذا الاخير هاتيكم الكلية الفذة كلية سامحان رضي الله عنه ، وثانيهما يناسب حال المرء الذي يلي القضاء اي ان يكون مكتوبا على هذا السطر القويم فتكون رهبته من القضاء بعد ولايته اشد من نفوره عنه من قبل فان الولاية ربما خبت امانى وبذلك اخلاقا ، قد تغربوارق المرء فيظن سحابه ماطرا وما هو الاجام لا ينشئ الا غما للكون وساكنيه وحرارة يوقدها برقه الحلب فيه

خلق افادته الولاية انها خلق يغير اهله ويبدل

اراد الله تعالى عمران هذا الكون ففطر البشر على الدأب نحو استحصال منفعه واجابة طلبات نفسه تلك الفطرة التي هي أصل التسابق لاقتضاء ما يستتب به العمران ولكن هاته الفطرة كانت بحكم الضرورة ميالة الى استلاب المنافع من أيدي أصحابها وروم انضمامها الى المصالح الذاتية احساسا بجدة الحي في نفسه ويسمعه يوحى اليه في باطنه ان لو استطعت ان تملك الدنيا فافعل به امكن ان يسعى المرء في نيل ما يجب ولكنه سيجد المدافع عن اخذ ما يیده فيضطر الى الفكر في استخراج ما يطلب من غير يد مالكة بان يسعى اليه من جهة لم يسبق عليها تلك حجة الاحياء والاختراع التي لا ينطفئ نبراسها من الامم ولكنه ينوس بمقدار الحاجة الداعية كما قيل « الحاجة ام الاختراع » ولكن النفوس من قبل اميل الى الدعة والراحة واعشق الى الشيء المشاهد الحاصل فلهذا يكون ميلها الى استلاب المملوكات اسبق من تفكرها في ابتداء ما تشتهيه هكذا كان يجري هذا بين الافراد في خاصتها والقوم في قراها والامم في وحدتها والذي يظهر لكم في مظهر واضح اختلاف الملوك والفاتحين في توسيع الممالك وطموح كل امة الى تعبيرها الارض وفداء ما سواها بالوجه الذي تراه . افكان التدافع بين افراد النوع لذلك طبيعيا ناشئا عن تحرك القوتين الشاهيه والغاصبة عند التزامهم في مزدحم الحياة وكذلك تكون المصالح غالبا غير سالمة من اضرار تعقبها هي منها بمنزلة ما تشتمل عليه الثمرة الطيبة من البزور والحلفايات فللتشريع في هذا ان ينظر بعد اقتضاء المصلحة العمرانية الى

ما تخلفه فيكفي الناس مضرته بوجه تسلم به تلك المصلحة من الاضرار . هذا الوجه هو حماية الحقوق اي رد يد الظالم عن تناول ما للغير بدون رضی وهو أمر حسن توافق عليه الفطرة ما دامت غير مستهواة لهوى غالب في جزئية خاصة ولا تستقل امة عن الحاجة اليه مهما بلغت من الرقي فان الامم المنحطة لا يمكنها الوصول الى ايفاء الحقوق اهلها فضرورتها الى القضاء ليست بالامر الحفي واما الراقية فانها تتألف من جماعات فاضلة ومن اضدادها فلا غنى بها عن تأسيس قواعد العدل لاصلاح الدهماء ولاقناع الحكماء والعلماء لان هؤلاء وان كانوا يعرفون العدل ويجزمون بحسنه الا انهم في الاحوال الخاصة ماسورون للشهوة او الغضب فكانهم يحبون ان يكونوا في تلك الحالة الخاصة استثناء من هاته المصلحة انكليه لما يغلب من الهوى على التعقل وهكذا يبقى ذو الهوى في كل مسألة يجب الاستثناء فاذا جاءت التوبة غير احب ان يكون مستثنى ايضا واغراء الطمع ان يقاس على سالفه فكان العدل اذن اصل العمران وبه قامت الارض ودامت الدولات وكان اهم ما ينشأ عنه صفتين ان هما تحققتا سعدت الامة ودام بقاؤها الا وهما الحرية والاخوة فان الحرية ان لم يكن معها عدل ذبلت حتى تساقط الى الحضيض اذ حقيقتها ان ياخذ المرء بكل حقوقه وان يفي بجميع حقوق غيره وان يصدع بارائه وهذا كله لا يكون بغير العدل كيف يجد المرء بغير العدل الاخذ بكل حقوقه وهو يرى الكثير منها مستترا في حصون العظماء فلا تستطيع يده وصولا اليه ولا فمه ان يبدي حنينا عليه ام كيف يمكنه ان يسلم حقوق غيره وهو ان ترك اخذ حقه وزاد فسلم للناس حقوقهم رجعت كفه صفرا فلم يجد في حياته ما يتخذة ذخرا وكيف يمكنه التجاهر برأيه وهو يعلم ان كلمة تغضب زيدا وعملا يسوء عمرا فلا يأمن من الاذى باصنافه وبهذا ينمحي تغيير انكرو والامر بالمعروف من الناس ذلك الوصف الذي ان فقدوه فسدوا وذلوا قال عمر ابن الخطاب لابي مريم الحنفي يوما : اني ابغضك لانك قتلت اخي زيدا قال ابو مريم : يا امير المؤمنين هل يعمني بغضك اياي حقالي في الاسلام ؟ قال عمر : اللهم لا قال ابو مريم : اذن لا يرغب في الحب الا للنساء .

اما التاخي فضروري انه لا يحصل ما دامت الامة متنافرة هذا يسلب حقا والآخر يسترجه وثالث يرى سلب الاول اياه ملكا فيثار بحب اخذه من يد مسترجعه وكذلك يكون امرهم تنازعا حتى يفشلوا وتذهب ريحهم قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال رسوله صلى الله عليه وسلم « المسلم اخو المسلم لا يظله ولا يخذله » فانظر كيف قرن بين الاخوة ونفي الظلم

لعل في هذا المقدار مقنا لكم ان أردتم أن تعرفوا مرتبة القضاء بالحق ومكانه من الفضيلة . قال ابن فرحون « اعلم ان اكثر المؤلفين من اصحابنا بلغوا في الترهيب « من الدخول في ولاية « القضاء . . . ورغبوا في الاعراض عنها حتى تقرر في ذهن كثير من الفقهاء والصلحاء ان من ولي « القضاء فقد سهل عليه دينه وهذا غلط فاحش يجب الرجوع عنه والتوبة منه . . . واعلم ان ما جاء

« من الآثار التي فيها تخويف ووعيد فانما هو في حق قضاة الجور العلماء او الجهال الذين يزجون بانفسهم في هذا المصعب بغير علم واما قولي من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين فهو بمعنى المجاهدة للنفس وهو دليل على فضيلة من قضى بالحق اذ جملة ذبيح الحق » وقوله تجب التوبة منه صحيح لانه يجر الى تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان القضاء من تصرفاته وتصرفات خلفائه المتأسين به في سنته وسر ما اخرجه الامام رحمه الله في هذا الكتاب تحت ترجمة الترغيب في القضاء بالحق حديث انما انا بشر مثلكم وانكم تخطئون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع لنبه على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاضيا بين الناس ثم كان القضاء من شان الخلفاء الراشدين فلما عالت الخلافة الى من لم يكن لهم من العلم بالسنة مكانة تخولهم السلامة من الخطأ غالبا مال ذلك الى اسنادهم هذه الولاية الى احد العلماء المسلمين لهم العلم والعدل ليأمنوا يوم القيامة عمل حسابهم اما ان بعدت الاقطار فان من السنة ارسال القضاة تخفيفا من مشقة المتداعين وسرعة بانقاذ الحق المبين . استقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا باليمى واول من استقضى بالمصر من الخلفاء علي رضي الله عنه استقضى شريحا بالكوفة ايام شغلته الخوارج بحروبها (ملك عن يحيى ابن سعيدان ابا الدرداء كتب الى سليمان الفارسي ان هلم الى الارض المقدسة) ابو الدرداء هو عويمر ابن عامر الخزرجي احد الثلاثة الذين نزلوا دمشق من الصحابة مع بلال ومعاوية توفي سنة ٣١ وولي قضاء القدس في خلافة عثمان وامير الشام يومئذ معاوية وقيل بل ولاه عمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكيم امي ابو الدرداء . وسلمان هو سلمان الفارسي من رامهرمز (١) قال في الاستعاب شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة في قوله لو كان الدين او العلم بالثريا لثاله سلمان وفي رواية رجل من فارس والمراد به سلمان توفي سنة ٣٥ شهد وقعة الاحزاب وهو الذي اشار ان تحض المدينة بخندق يحيط بها . سلمان وابو الدرداء اخي بينهما النبي صلى الله عليه وسلم حين اخي بين المهاجرين والانصار وقد ورد دخول سلمان بيت ابي الدرداء وانه وجد ام الدرداء متبذلة وانه لام ابا الدرداء على ذلك . وهما من الاربعة الذين شهد لهم معاذا اذ قال: طلبوا العلم عند اربعة رهط عند عويمر ابي الدرداء وسلمان الفارسي وعبد الله ابن مسعود وعبد الله ابن سلام وباعتبار الشهادة النبوية لابني الدرداء وسلمان يكون الحوار الذي دار بينهما ملحقا بالحديث النبوي اذا هو دائر بين الحكمة والعلم المشهود بهما لهما . وهلم اسم فعل بمعنى اقبل الي يلزم حالة واحدة فلا يتغير باختلاف المخاطب به من تعدد او تانيث ، استوفد ابو الدرداء سلمان لمساكنته

(١) وتقول العرب رامز اختصارا . مدينة مشهورة من نواحي خوزستان ما بين تستر وشيراز تبعد عن تستر ٨٢ ميلا الى الجنوب الشرقي . ووقعها على نهر فتحها المسلمون في خلافة عمر تحت قيادة النعمان ابن مقرن سنة ١٧ من الهجرة

رغبة في جوار أهل الفضل من الاخلاء لانهم رهط الرجل الذين يعتضد بهم وهم انفع اليه من اقاربه المنافرين لشربه فالعاقلة في مواصلة اهل رايه ارغب منه في مجاورة اهل جسده وكذلك يكون الجوار حلة متى جلبه الود والاصطحاب ، سئل الحكيم اي الرجلين احب اليك اخوك ام صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقي قال ابو الوليد الباجي في المنتقى « قول ابي الدرداء ان هلم الى الارض المقدسة يريد المطهرة والمقدس في كلام العرب المطهر وانما اراد موضعا من الشام يسمى المقدس ومنه سمي مسجد ايليا البيت المقدس ومعناه انه مطهر مما كان فيه غيره من الكفر وكان ذلك في وقت من الاوقات فلزمه الوصف بذلك ويحتمل ان يكون معنى تقديسها انها تطهر من الذنوب والخطايا فيكون المعنى المقدس اهله ويدل على هذا قول سلمان ان الارض لا تقديس احدا فيكون انما وصف اهل بيت المقدس بذلك في زمان عملوا فيه بالطاعة وكان كثير منهم انبياء وسائرهم اتباعا لهم اهواقول تقديس البقاع مثل تقديس الاوقات هو امر جعلي من الله تعالى تبعا لما رسم لها من ايقاع الاعمال الصالحة التي أهمها التوحيد وقد كان المسجد المقدس ثاني بيت وضع للناس لاعلان توحيد الله وتنزيهه وذلك اساس فضائل الاعمال (فكتب اليه سلمان ان الارض لا تقديس احدا) لم يشتمل جواب سلمان على تقرير لما يخالف اعتقاده كالذي تشتمل عليه مخاطبات الناس ورسائلهم من الاطراء لما قد يعتقده المرء فاسدا بعلّة المداهة التي علق عليها الناس اسم المدارة فعدموا بذلك فائدة النصيحة والتواصي بالحق ذلك ان سلمان وامثاله صدقوا ما عاهدوا الله من بذل النصيحة لكل مسلم وكذلك يكون الامر بين اقوياء النفوس وراجحي الاحلام ان لا يكتموا شيئا يرون منه صلاحا ونصحا لان الكذب هو علة انقلاب الحقائق وموجب ارتقاع الاطمئنان وذلك يسبب التخاذل والتفريق فلا يرحى اتحاد ما دام هذا سائدا في امة . قوله ان الارض لا تقديس احدا هو رد لما تضمنه كلام ابي الدرداء حين دعا الى سكنى الارض المقدسة لان الصفة تؤذن بانتعيل فيتضمن انه يكتسب من السكنى بها تقديسا في نفسه وقصد سلمان ان يدفع ما وقر في صدور الناس من الشعور بان المرء قد تغني عنه ملابساته حتى الارض التي هو فيها وابو الدرداء وان كان منزها في نظر سلمان عن اعتقاد هذا لعلمه وصحبته ولكنه رأى لسانه جرى على ما تجري به السنة العموم او انه رام ترغيبه في القرب منه بمغرب ما وهو فضل الارض التي يسكنها استكمالا للفضيلة (وانما يقديس الانسان عمله) جاء بقضية كلية بعد ان نفى التقديس في جزئية لان تارك الجزية المنفية ليست اولى الجزئيات بشبوت الحكم بحيث ان نفى عنها المتكلم عن نفى ما عداها من الجزئيات ما الشبهة فيه اشد والخطأ اليه اسرع نحو قرابة من المقدس او صلة به

فأورد هذا الحصر بانما تنبها على تعميم القضية فقصر بذلك صفة تقديس الانسان على العمل لا تتجاوزة الى غيره وهو قصر حقيقي وليس ورود القصر بعد النفي بجاعله اضافيا لان النفي انما يلوح الى الاعتقاد المردود الباعث على سلوك طريق القصر على ان النفي هنا متقدم وهو عند التقديم

صريح في انه الداعي الى الخطأ بالقصر يفيد ووزانه وزان انما الولاء لمن اعتق بعد كلام اشار الى ان البائع لا يستحقه ولذا انفق جمهور الفقهاء على ان لاولاء الامن اعتق (وقد بلغني انك جعلت طبيا تداوي) اشار الى ولاية ابي الدرداء قضاء بلد القدس ومراد سليمان ظاهر اذ قد علم ابو الدرداء انه لم يكن طبيا فهو يعلم ان سليمان اراد تمثيل حاله في القضاء بحال الطبيب او المتطبب وسمى القاضي طبيا على طريقة الاستعارة لمشابة القاضي الطبيب في اصلاح حال البشر وازالة ادواء الظلم فان كان الطب يصلح مزاج المرضى فالقضاء بالحق يصلح مزاج العالم اجمع كما قال الله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا لان الناس ان اطرد بينهم القضاء بالحق زالت طماعيتهم في استلاب حقوق الغير فاستقاموا من تلقاء انفسهم متى علموا ان لا غاية يجتنونها من وراء الظلم فاما متى كان القضاء محتلا فان للظالم امنية الانزواء تحت التخفيف هب ان الجور كان يقضي ان يشدد على البريء تارة فان ذلك لا يرفع المظلم لان النفوس عند الشهوات تتمسك بالطمع ولهذا حظرت الشريعة الشفاعة لمن بلغ الامام في الحدود وغيرها ، وجاء بكلمة تداوي ترشيحا للاستعارة وايماء الى وجه الشبه اذ كانت الاستعارة من الغرابة بالمكان الذي ربما اهم امرها على السامع (فان كنت بريء) طرد الاستعارة ومن محاسن التشبيه ان يكون مطردا في جميع اصوله وفروعه ، واراد بكونه بريء اقدرة على اصابة الحق وحمل الناس عليه بتنفيذه فيهم وتحمل مصاعب القضاء التي اقل ما فيها انه يقضي على ذويه واصحابه وهو كاره وهم كارهون قال الباجي « يريد بالابراء اصابة الحق ورفع الباطل لان الباطل هو الداء الذي يسال عنه المقي لازالته (فنعمنا لك) نعم فعل غير متصرف عند محقق النجاة وتدخل عليها ما التي هي في الاصل معرفة غير موصولة هي بمعنى الشيء فتدغم ميم نعم في ميم ما والغالب ان يقع بعدها ضمير مخصوص بالمدح نحو قوله تعالى فنعمنا هي فان وقع فعل بعد ما صارت موصولة نحو ان الله نعمنا يعظكم به فلا يذكر بعدها مخصوص بالمدح استغناء عنه بما اشعر به من الكلام واذا وقع بعد ما حرف جر كما هنا صح ان يجعل صلة ما اوصفه لها اي نعم الشيء لك او نعم الذي لك وفي الحديث يس ما لاحدهم ان يقول ليست اية كذا واية كذا الخ والمعنى فنعم الشيء لك القضاء بين الناس لما فيه من ابطال الحق (وان كنت متطببا فاحذر ان تقتل انسانا) اراد بالمتطبب هنا المتفعل المتكلف من الطب المراد هناك اي غير عالم بوجود القضاء ورشح هاته الاستعارة بقوله ان تقتل انسانا وقد شبه بقتل المتطبب مريضه ما يحدثه قضاء القاصر من ضياع الحقوق المفضي الى الفساد فيكون الترشيح مستعارا للالزام المشبه من لوازم المشبه به على نحو اعتمدوا بجبل الله جميعا فيفيد الترشيح بلفظه والاستعارة بمعناه وقرينه و اراد بالمتطبب الذي ليس على بينة من امره فهو يقصد الحق فيقع في الباطل كشان كل من لم يكن متحققا من شيء فسلهان لا يخشى على ابي الدرداء الجور ولا يحذره منه لانه اامن عليه منه لعدالته اذ هو من اصحاب رسول الله وهم عدول وانما خشي عليه

ان لا يتامل جيد التامل من بعض القضايا مبالغة في النصح له وذلك لان القضاء بغير الحق جهلا يساوي قصد الجور في عدم الوصول الى الحق وفي حديث النسائي عن ابي هريرة قال رسول الله القضاء ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق ف قضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق ولم يقض به وجار فهو في النار ورجل لم يعرف الحق ف قضى للناس فهو في النار وهذا يدل على اشتراط العلم في القاضي والعلم مهما اطلق في لسان اهل الاصول والمتقدمين فانما يراد به اصدق معانيه وهو الفكر والنظر فلا يصح عند الائمة ولاية قاضي عامي او مقلد لا يستطيع النظر في مدارك الاحكام او في مسائل الخلاف قال عبد الوهاب في التلقين « ولا يستقضي الا فقيه من اهل الاجتهاد لا عامي مقلد » وشرحه المازري فقال « وقد قال مالك في كتاب ابن حبيب لا ارى خصال القضاء تجتمع اليوم في احد ولكن يجب ان يكون علما عدلا قال ابن حبيب فان لم يكن عالم فعاقل ورع فانه بالعقل يقف وبالورع يسأل فهذا قول ابن حبيب سهل في ولاية قضاء المقلد ولكنه لم يصرح بجواز هذا مع القدرة على قاضي نظار بل اشار الى كون الضرورة تدعو الى ولاية مقلد ولا خلاف ان ولاية النظار اجدر من ولاية المقلد وانما الخلاف هل تصح ولاية المقلد وتنفيذ احكامه ام لا فيمنع من ذلك الشافعي وهو الذي يحكيه ائمة مذهبنا عن المذهب ويجيز ذلك ابو حنيفة ويأمره بمشاورة النظار واحتج اصحابنا واصحاب الشافعي بقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله وبقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اما عصرنا هذا ففي اقليم المغرب لا يوجد مفت نظار فالمتم من ولاية المقلد تعطيل للاحكام ولكن تختلف احوال المقلدين ثم اذا كان النظر شرطا فهو يتضمن المنع من اشتراط الامام على رجل نظار ان لا يحكم الا بمذهب احد الائمة لان الرجل اذا اداه اجتهاده الى الصواب وامر ان يقضي بخلاف ما عنده فقد صار مأمورا بمخالفة الحق في اعتقاده فاذا انعقدت الولاية على هذا الوجه فان هذا عقد لا يجوز وينبغي فسخه وردة وذهب بعض الناس الى ان القضاء على هذه الصفة لا يفسخ بل يمضي ويبطل الشرط لان الفساد في الشرط لا في التولية » اه وقال ابو بكر ابن العربي الذي يقضي بالحق ان كان عن علم فهو الذي تقدم وان كان عن تقليد فلا يجوز ان يتخذ قاضيا الا عند الضرورة فيقضي بقتوى عالم رءاه ورواه بنص النازلة فان قاس على قوله او قال يخرج من هذا كذا او نحوه فهو تعد . اه وقال خليل « مجتهد ان امكن وان لا فاعمل مقلد » وشذ ابن رشد وابن زرقون فقالا ذلك مستحب صرح بذلك في المقدمات وعليه قال ابن عاصم « ويستحب العلم فيه » فلما اطلع على هذا اللفظ من لا وقوف له على اصطلاح الناس في العلم ظن ان المستحب العلم المقابل للجهل . هكذا يتم تشبيه سليمان لان العالم بالحق يقضي وهو عالم ان ذلك هو الصواب فهو كالطبيب المعتمد فيما يشير به على تجزية النفع اما المقلد فهو كرجل بلغه ان الدواء نافع ولم يجربه او اقتضب دواء من تلقاء نفسه يريد ان يجربه في ذلك المريض فهذا اذا ناول المريض شيئا لم يكن له امنا

من سوء المغبة وإذا نظرنا الى الشروط الواجبة في القاضي نجد ما ترجع الى دفع وصف المتططب عنه وهي التكليف لان غير المكلف قاصر النظر قطعاً والذكورة (٢) لضعف المراقبة عن الاخذ بالحقوق ونزوعها الى الرحمة والشفقة (٣) والحرية لان المملوك لا يرحى لاقامة الحق ما دام يخاف غيره فربما قضى بهوى سيده هذا هو الذي تشدون عليه من سر اشتراط الحرية في القاضي ولا تصفوا الى ما يذكرونه من ان الرق اثر الكفر لانه لو صح لبطل استقضاء المولى (٤) والعدالة وامرها واضح (٥) والسلامة من فقد الحس او المنطق لانه لا يتوصل الى الحقيقة الا بالفهم والاستقضاء وبقي شرط الاتحاد على خلاف فيه فليل مشترطه انه اعون على اتحاد الاحكام والسلامة من التشويش على الخلق .

(فتدخل النار) لقد ابدع كلام سلمان في التفنن اذ تخلص من المشابهة التمثيلية على طريقة الخطابة البلاغية الى المشابهة الشرعية المسماة بالقياس فمرتب على تمثيل القضاء بغير الحق بقتل النفس تحذيراً من العقاب المشهور لقاتل النفس وهو دخول النار بجامع اضاعة الحق فيهما ولان القضاء قد يتعلق بالقصاص فاذا تساهل فيه قتل نفساً خطأ قريباً من العمد لاجل التساهل وقد بلغ سلمان النصيحة والتذكير بخوف الله تعالى فاستقاموا واقاموا العدل وسادوا العالم فلما انقلبت الحال في عقائد الناس الى المماهلة في امر الله والاستخفاف بالوعيد تحت اسم الرجاء وما هو الا الارضاء وانكل الناس على الطمع في المغفرة ءال بهم الامر الى الادبار قال حجة الاسلام ابو حامد في كتاب الرجاء من احياء علوم الدين « المحبوب المتوقع لا بد ان تكون له اسباب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فهو الرجاء حقيقة وان كان مع انخراط اسبابه فهو الغرور وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا العدم فهو التمني اه ومعرفة الاسباب تسهل لمن يعرض نفسه على كتاب الله تعالى ولا يصغى الى ما يقربه الغرور من الاستخفاف وتهوين لامر الله عند عبادة . (فكان ابو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم ادبرا عنه نظر اليهما ثم قال ارجعا اعيدا علي قضيتكما) هذا اصل عظيم في ان المرء لا يامن من الخطا ما بلغ به العلم وانه يجب تعقب الاحكام لازالة الخطا عنها وان تقرر الخطا للقاضي اذا لاح له فاستنكاهه عن تقض حكمه شر الجورين فان جعل ذلك اليه بالولاية فظاهر وان لم يجعل اليه تقض احكامه وجب عليه رفعها لمن اليه النقض والابرار (متططب والله) قد يقف النظر هنا ريثما يستبين امر هاته الكلمة فانه يرى ابا الدرداء بعد ان نصح له سلمان بان المتططب لا يامن ان يقع فيما يدخله النار وقبل النصيحة منه اخبر عن نفسه بانه متططب فيتساءل لماذا لم يترك هاته الخطوة لطبيب فيظن ان هاته كلمة تواضع منه ولكنه ما يقدم خطوته حتى يرى يمين ابي الدرداء على ذلك الذي يعين كلامه للحقيقة وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتادوا من قوتهم الاعظم العصمة فصاروا على وجل من اقتحام القضاء بين الناس مع اتقاء العصمة ولذلك قال ابو بكر رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني ان قلت في كتاب الله شيئاً من رأيي فكذلك ابو الدرداء لما اعتبر

بكلام سليمان رأى أن التطب لا يفارق غير المعصوم فقال متطبب والله . فينبغي أن يكون مراده تطبياً غير التطب الذي اراده سليمان واحسب انه اراد به عدم امن المجتهدين من الخطا في اجتهدهم فهو لا يسلم من الوعيد الا اذا بذل مقدار استطاعته مع مظنة المقدرة والتاهل من نفسه لان الخطا لا ينافي العلم والنظر ولا يلام في ذلك الا حيث يكون الخطا في محل الوضوح والحياض عن الدليل الى غيرة او مع التقصير في تقصي النظر ومعرفة الحجج . فهو باعادة النازلة يستدرك ما عسى ان يلم به من خطأ على غرة ولو كان ابو الدرداء شاكاً في كفاءته لمنعته عدالته من ان يلي هذا الامر وفي كلام ابي الدرداء ما يصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه انه حكيم فقد دل على سعة صدره وترحابه بما يسدى اليه من النصائح وذلك آية الكمال ومحبة الحق لان النفوس الكبيرة لا يهمها الا المشي على الصواب ابداً فهي لا تحب ان تخالفه ولذلك تبتهج بكل ما يجنبها الضلال عنه اما النفوس المستضعفة والعقول السخيفة فانها تستنكف عن شعور الناس بحالها اذ ليس لها ما تقنع به نفسها الا المغالطة والتناسي فهي لا تستطيع كما لا مع شعورها بالعجز عنه فلذلك يكون ذكرها لها تعباً ونكداً خلاف الاخرى فانها انت لاح لها خطأ في بعض اعمالها تعزت بالصواب في بقيتها فانشد حالها قول أبي الطيب :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه

قال الله تعالى فاما الذين ءامنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم . وفي ملازمة ابي الدرداء لهاته الكلمة اشعار بتحفظه على النصيحة حتى لقد اتخذ لفظها شعاراً له لا يفارقه ذكره في كل قضية وكذلك حكماء الناس اذا اهتموا بامر ربما اتخذوا اسمه شعاراً لهم حتى لقد كانت تعرف اخلاق الرجل منهم في اختيار نقش خاتمه وهذه سنة كل قول انما يعتد به اذا تبعه عمل وبمقدار ذلك يكون النفع والتاثير فايما قول او علم لم يتبعه عمل فهو تبعات على صاحبه لهذا تعود رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع اي لا ينشأ عنه عمل . قد كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعني بما علمتني وعلمي ما ينفعني وزدني علماً . والله اعلم .



الاوقاف والنظار

او الاحباس والمقدمون

بقلم العالم النحرير الشيخ الناصر الصدام
مدرس الطبقة الاولى بجامعة الزيتونة

الوقف في الاسلام احسبه القول السديد الذي ارشد الله تعالى به حيرة المشفقين من احترام
المنية وحيولتها بينهم وبين الضعفاء من ذريتهم الذين خافوا عليهم من ضياع ثرائهم والتدهور في هوة
الافلاس وسوء المنقلب لما في الحبس من ينوع حياة لا ينضب معينه

وفي الوقت نفسه نبه سبحانه على انه من اثر تقواه (فليتقوا الله) وهذا التنبيه من جوامع
القرءان الحكيم ذلك ان الوقف تكتشفه تقوى الله تعالى من عموم نواحيه

فالناحية الاولى طيب الكسب الموقوف فلا يصح وقف المغصوب وغير المملوك وما تعلق به حق
الغير من غريم او وارث لم يجزه ونحو ذلك

الناحية الثانية اخلاص النية فيه لله سبحانه لا للهراءات وحسن الاحدثة والتذرع به الى
المجاداة والسؤدد فانما الاعمال بالنيات

الناحية الثالثة ان يتوخى به سبيل العطايا من التسوية بين الاولاد في الانشاء اذ ذلك الافضل
في العطية ولا جناح عليه ان سلك بذلك مناهج الفريضة الشرعية (للذكر مثل حظ الانثيين) او حرم
الانثى مطلقا لكنه يقعد به ملوما محسورا

الناحية الرابعة ان يعهد بالولاية والرقابة عليه لمن يغلب على ظنه رشده وكفاته فان ذلك وسيلة
حفظ كيان الاوقاف لما للمتولي من رد اليد العادية عنها اذ ينزع الله تعالى بالسلطان ما لا ينزع بالقرءان
ولما له ايضا من البصارة باحيائها وانماها واستثمارها وصرف غلاتها في مصارفها

فحقا انه القول السديد والكنف الاحمى لوقاية الاموال والابقاء عليها وجعلها موردا لارتزاق
العائلة اولها وآخرها وهو آية من آياته سبحانه

ثم لنا فيه وراء ذلك مئارب اخرى افلا تراه كيف ظاهر ذوي الهمم واليسار وتقوى القلوب
على اشادة المساجد والحصون والمعازل والمدارس وما الى ذلك من كل ما فيه مصلحة عامة الامر الذي
يوفر على بيت المال موارد ويديمه عدة وارهبا ولولا لما سمحت انفسهم بشيء من ذلك اذ لا ضمان
بابقاء ما كان على ما كان الا بالوقف

ومن ثم خرج الوقف بمجرد التحجيس عن ملك الواقف الى ملك مالك يوم الدين سبحانه
نشأ الوقف نشأته الاولى في الاسلام على يد مشرعه صلى الله عليه وسلم المين للناس ما نزل اليهم
متنوعا الى نوعيه الاهلي والعام وذلك في الحوائط السبعة التي اوقفها صلى الله عليه وسلم على ما في كتب

السنة والفقهاء فكان منها ما سبل في المصالح العامة كالفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله تعالى والضيف ومنها ما سبل على النفس مدة الحياة والعيال والزرية حتى اذا ما انقضوا وهو الوقف المؤبد والملك الحرام المسرمد رجع لجهة بر لا تتقطع كفقراء المهاجرين مثلا وفي احكام الاوقاف للخصاف رحمه الله تعالى بروايته عن سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه الذي كان يلي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابو رافع) رضي الله تعالى عنه فكان ياتيه منها بالباكورة فياكلها ويؤكها

واصرح من هذا دلالة على ولاية الولاية والنظار والمقدمين ما روي في صدقة وتحسيس الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه ونصه على ما في احكام الاوقاف حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا عبد الله بن عون عن نافع عن ابن عمر قال اصاب عمر مرة ارضا بخير فقال يا رسول الله اني اصب ارضا بخير لم اصب ما لا قط انفس عندي منها فما تأمرني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت حبست اصلها وتصدقت بثمرتها فجعلها عمر صدقة لاتباع ولا توهب ولا تورث يتصدق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله والضيف لا جناح على من وليها ان يأكل منها بالمعروف وان يطعم صديقا غير متمول منه واوصى به الى حفصة ام المؤمنين ثم الى الاكابر من آل عمر اهـ

واصرح من هذه دلالة ايضا ما في اواخر الكتاب المسمى اليه ونصه فان قلت (١) رأيت رجلا جعل ارضا له وحددها صدقة موقوفة لله تعالى ابدًا على وجوه سماها وقفًا صحيحًا وجعل القيام بامر هذا الوقف في حياته وبعد وفاته الى رجل وجعل لهذا الرجل من غلة هذا الوقف في كل سنة مالا معلوما لقيامه بامر هذا الوقف هل يجوز هذا ؟ قال هذا جائز قياسا على ما فعله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيما جعل للقيم بصدقته اذ قال على ان لوالي هذه الصدقة ان ياكل منها غير متائل مالا وعلى (٢) ما جعله علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه للعبيد الذين وقفهم مع صدقته يقومون بعمارة صدقته وهذا بمنزلة

(١) السائل هو الامام ابوبكر الخصاف المؤلف والمسؤول هو شيخه هلال رحمهما الله

(٢) قال الخصاف في كتابه احكام الاوقاف حدثنا محمد بن عمر الوقادي قال حدثنا سليمان بن بلال وعبد العزيز بن محمد عن ابيه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان عمر ابن الخطاب قطع لعل يبيع وهو حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حجاج مصر ثم اشترى علي الى قطيعته التي قطع له عمر اشياء فحفر فيها عينا فبينما هم يعملون اذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء فأتى عليا فبشره بذلك فقال علي بشر الوارث ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل القريب والبعيد في السلم والحرب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله النار عن وجهه بها ثم قال وحدثنا علي بن عيينة عن عمرو بن دينار قال في صدقة علي بن ابي طالب ان جيرا ورباحا وابانيزر موالى يعملون في المال خمس حبيج منه فقعاتهم ونقعات اهلهم ثم هم احرار لوجه الله تعالى اهـ محل الحاجة منه

الاجراء والوكلاء في الوقف الا ترى ان لوالي الوقف ان يستاجر الاجراء لما يحتاج اليه من العمارة وهذا شيء قد كفيينا مؤنة الاحتجاج له لان عمل الناس عليه قلت هل يجد القيام الذي يستحق به هذا الرجل ما جعل له الواقف من غلة هذه الصدقة قال ليس عندنا في هذا شيء محدود وانما ذلك على ما يتعارفه الناس من القيام بعمارة ما وقعت عليه عقدة هذه الصدقة واستغلال ذلك وبيع غلاته وتفرقة ما يجتمع من غلاته في الوجوه التي سبلها فيها قلت أرأيت ان يباشر الرجل هذا بنفسه قال انما يكلف من هذا ما يجوز ان يفعله مثله ولا ينبغي له ان يقصر عن ذلك واما ما كان يفعله الوكلاء والاجراء فليس ذلك عليه الا ترى انه لو جعل القيام بذلك الى امرأة من اهله او من بيته وجعل لقيامها بذلك مالا سعاد لها في كل سنة هل تكلف المرأة من القيام الا مثل ما يفعله النساء قال ليس عليها من ذلك الا ما يتعارفه الناس في هذا الامر الا ترى ان الرجل يكون له الضياع فلا يباشرها بنفسه ولا يشاهدها وانما يقوم بامرها كفاتة فكذلك حال القيم بامر هذه الصدقة فيما يتولاها من ذلك) اه وفي موضع آخر من هذا الكتاب ان الذي يلي على الوقف وكيل للواقف في حياته ووصي له بعد موته اه

وأرى ان نظر الوقف والقائم عليه هو وراء كونه وكيل او وصيا محتسب خاص على شعيرة خاصة من شعائر الله تعالى لها اهميتها وخطورتها ووجود الناظر في الوقف شرط لقيامه ودوامه على ما سلف تحريره فلا وقف الا بانظاره القائم عليه ذلك مدرك المذهب الحنفي الزكي رضي الله تعالى عن امامه وعن سائر ائمة الدين في امر الناظر والمقدمين

هذا وقد تاصلت قواعد هذا المذهب في الاوقاف على ما فيه تسهيل وتقريب وترغيب للناس في الوقف واكثر اصحاب الامام الاعظم رضي الله تعالى عنه بصارة باحكام الوقف ومعرفة لاسرارها وحكمه واحاطة بما صح عن الامام فيه تليذه الآخذ عنه الامام الثاني ابو يوسف رحمه الله تعالى الذي اقسم كغيره من التلامذة الائمة الآخذين عنه قدس سره على انهم لم يقولوا في مسألة من المسائل بقول غير مروى عن شيخهم امام المذهب ابي حنيفة النعمان روح الله و قدس سره حسبما نص على ذلك في عامة كتب المذهب فمن ذلك القول بصحة الوقف على النفس ومنه القول بعدم افتقار صحة الحبس الى الحوز والقبول ومنه انه يصح على من سيوجد بخلاف الوصية حيث لا تصح للمعدوم الى غير ذلك من مظاهر التقريب والترغيب ومن ثم توافق المسلمون في مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا على تقليد هذا المذهب فيما لهم من الاوقاف لانها بما فيه من تيسير ناهيك انه يصير الحبس فيه حبسا بمجرد قول الواقف حبست

وحيث كان الاغلب على اوقاف الناس في ديارنا التونسية ما نص فيه اصحابه على تقليد مذهب ابي يوسف جرى عمل امراء المسلمين بتونس على تخصيص احكام الاوقاف بالمذهب الحنفي

وعلى ذلك جرى عمل أميرنا إبقاء الله تبعاً لأعمال أسلافه وطريقتهم المرضية مراعاةً لجانب المصلحة
أما ما كان مالكيًا فإنه لا تخصيص فيه ،

كما أن لهؤلاء الأمراء نظراً سامياً في تخصيص بعض المسائل والقضايا بأحد المذهبين الزكيين
الحنفي والمالكي المنتشرين بهذا القطر المحروس كـ تخصيصهم لمسألة رؤية الهلال ولمسألة الميراث
وغيرهما من كثير من المسائل بالمذهب المالكي الزكي

واختيار أئمة المسلمين لقول من قولين أو أقوال في مذهب أو مذاهب شنيئة أخزمية أذلهم
في كل عصر من التبصر بمصالح الرعية ما يخولهم ذلك

وذلك فيما اظن من اصول منشأ اختلاف العمل عند السادة المالكية . ثم من قبل أن الشريعة
الإسلامية قد جاءت بتحكيم العرف وبإفساح المجال لأئمة المسلمين وقضايتهم في تخصيص ما يرون
تخصيصه للقضاء استغنت عن التجديد الذي هو ضروري للشرائع الوضعية (١)

هذا وبما أننا قد احطنا خبراً بنسبة النظار والمقدمين من الاوقاف وهي نسبة الشرط من
المشروط وجب المصير إلى بيان ما يلزم اجراءؤه واتخاذها في الوقت الحاضر دفعا للضرر اللاحق
للاوقاف من جراء فساد الزمان وضياع الامانة فنقول .

ينبغي أن يكون نظر الاوقاف إلى هيئة علمية حنفية يرأسها فضيلة الشيخ المفتي الحنفي المكلف
بالاحساب على الاوقاف بعضوية ثلاثة مدرسين من الطبقة العليا بالجامع الاعظم ادام الله عمرانه ومن
عشرة كتاب على الأقل من مهرة المتخرجين في شهادة التحصيل يرشحون لذلك بمناظرة تجري
لاختيارهم ومن أعوان ثقات للاستخلاص وغيرها ومن مترجم ومن محامين من ذوي الذمة والتضلع
في الحقوق تتخضع الهيئة بمزيد التحري والاحتياط

هذه هي الأركان الذاتية للهيئة المذكورة وأما ما يتعلق بمواد اجراءاتها الادارية فلنا فيه اليوم
كلمة موجزة نلقها بمذيلين بها هاته العجالة وهي أن تعمل هاته الهيئة في حدود ما يحرم
الاوقاف من كل ما يأتي على جانب من ثروتها ومن الاجراءات المجحفة بوفرة ريعها ولو بوجه
الانزال او المعاوضة وغير ذلك مما لا يلائم كيانها الاصلاحية وحرمانها الدينية كل ذلك في نفوذ
واسع وسلطان وازع وسيف من الاقضية المحدثة لما احدث من الفجور قاطع والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل
محمد الناصر الصدام

(١) وأما حديث أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد على هذه الأمة امن دينها الذي
اخرجه ابو داود فالتجديد فيه بمعنى التقوية والتأكيد ذلك أن تطاول الامد موجب لقسوة القلوب
وضعف الوازع الديني قال الله تعالى فتطاول عليهم الامد فقتست قلوبهم . ولا ريب أن المائة سنة أمد
طويل والتجديد تذكير والتذكير تنفع المؤمنين . هذا هو معنى التجديد وحمله على خلاف هذا من
تحريف الكلم عن مواضعه .

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة الحليل الشيخ سيدي محمد
البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

١٢ أبو القاسم بن زيتون

ولي القضاء بعد أن صرف عنه ابن أبي الدنيا في التاريخ الذي رايته قريبا (١) ثم صرف هو عنه ايضا ثامن عشر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٠ واعد ابن الغماز الى القضاء وهذا القاضي من افاض رجال عصره . وهو ابو احمد ويكنى بابي الفضل ايضا بن ابي بكر بن مسفر بن ابي بكر بن احمد بن عبد الرقيق اليمني ويلقب بتقي الدين . وفي عنوان الدراية : ابو القاسم ابن ابي بكر اليمني اه

ولد سنة ٦٢١ وتبرز في الفقه حتى قال صاحب عنوان الدراية في شأنه : وفقه جار على قوانين النظر والاجتهاد وكان طلبه العلم اول امره بتونس ثم تحرر كثر همته للضرب في الارض في سبيل تحصيله فام المشرق سنة ٦٤٨ وسمع الحديث من الحافظ عبد العظيم المنذري وغيره واخذ عن سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وشمس الدين الحسرو شاهي وسراج الدين الارموي ثم حج البيت ورجع الى تونس ثم خرج منها الى مصر سنة ٦٥٦ فأقام بالقاهرة ثم حج ورجع الى بلاده ولم يكن رحمه الله فقيها فحسب بل كان كما في عنوان الدراية عالما بالاصلين والمنطق ذا مشاركة في الحكمة . وفي الديباج للشيخ فرحون انه اول من اظهر تأليف فخر الدين بن الخطيب الاصولية باقرائه اياها في مدينة تونس

وفي عنوان الدراية انه توجه في الرسالة لبعض ملوك المغرب عن المستنصر بالله الحفصي مرتين فشكرت رسالته وحمدت همته العلية وسياسته اه

ورأيت في باب العقيدة من مختصر الشيخ ابن عرفة الفقهي ان صاحب الترجمة دخل على المستنصر بالله فسأله كيف تسمى بابي القاسم مع صحة حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فأجابه الشيخ بأنه تسمى بكنية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتكن بها ونقل الشيخ ابن عرفة عن بعض شيوخه استحسان هذا الجواب . وفي هذا الحوار من العبرة حسن مشاركة الامير المستنصر وبداهة الشيخ ابن زيتون

وقد وهن الجواب الشيخ الابن في شرحه على صحيح مسلم « ص ٤٦٦ ج (٥) طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ وله الحق فيما يظهر

ذلك انه صح من حديث ابن المنكدر وهو في صحيح مسلم انه سمع جابر بن عبد الله يقول ولد لرجل منا غلام فعماه القاسم فقلنا لا تكنيك ابا القاسم ولا تتعمك عينا فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال أسم ابنك عبد الرحمان اه قال : الابي لا يسمى بابي القاسم كما لا يسمى القاسم على هذا الحديث . ثم ذكر قصة صاحب الترجمة مع المستنصر واستحسان بعض اهل عصره الجواب وقفى على اثره بقوله : ولا يخفى عليك ما في هذا الجواب من النظر على هذا الحديث اه ثم قال : وفي العتية قيل لملك رضي الله عنه قد كنت ابنك بابي القاسم قال ما فعلت بل هو فعل اهل البيت ولا بأس به قال ابن رشد رضي الله عنه لا بأس تدل على ان تركه اولى لما في ظاهرة من الاخبار بالكذب ولا اثم فيه لان القصد ترفيعه لا الاخبار به اه

والذي نقله الشيخ ابن عرفة عن القاضي عياض أن فقهاء الامصار على جواز التسمية والتكنية بأبي القاسم وان النهي عنه منسوخ

وخلاصة القول في الموضوع انه ثبت النهي عن التكني بكنية النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيحين فقصر مالك وجماعة النبي على زمانه صلى الله عليه وسلم لان علة النهي خوف الالتباس به عليه الصلاة والسلام فقد جاء في احدي روايات الحديث عند مسلم من طريق انس نادى رجل رجلا بالقيم يا ابا القاسم فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لم اعنك انما دعوت فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسموا باسمي ولا تكنوا بكنتي

وذهب الاكثر الى ان النهي عن ذلك منسوخ وقد سمي جماعة من السلف ابناءهم بمجد وكنوهم بابي القاسم والحجة لذلك حديث علي وطلحة رضي الله عنهما واستشهاد علي رضي الله عنه ناسا أنه صلى الله عليه وسلم رخص في ذلك .

هذا وكانت وفاة صاحب الترجمة يوم الاثنين سابع شهر رمضان سنة ٦٩١ ودفن ببجل المرسى قال الزركشي ومثله في الديباج : ولا يكاد يصح ما نقله الشيخ احمد بابا عن التجيبي ان مولده سنة ٦٦٦ ووفاته سنة ٧٣٠ لانه ولي قضاء الجماعة سنة ٦٧٩ كما اسلفناه قريبا فهل يكون عمرا يومئذ ثلاث عشرة سنة ؟

١٣ الغوري الصفاقسي

جاء ذكر هذا القاضي اثناء كلام للزركشي في وفاة الشيخ ابي محمد المرحاني ولم يذكر تاريخ ولايته قال « ص ٤٣ » من تاريخه ما نصه وفي اوائل جمادى الاولى سنة ٩٠٩ « اي وستمائة » توفي الشيخ الصالح المرحاني ودفن ببجل الجلاز وكان صديقا لقاضي الجماعة بتونس الفقيه أبي يحيى أبي بكر الغوري الصفاقسي وكان القاضي مريضا فكتب قرأوه موت صديقه ولم يخبروه به وجعلوا

يوصون من يعود به بان لا يخبره بموت صديقه فأتى الفقيه أبو اسحاق بن عبد الرافع لعيادة القاضي فأوصي ان لا يخبره بشيء فنتسي واخبره وازداد القاضي مرضا على مرضه وتوفي يوم الاحد رابع عشر جمادى الاول سنة ٩٩٠ قدم بعدها لقضاء الجماعة بتونس الفقيه العالم :

١٤ أبو اسحاق ابراهيم بن الحسين بن علي بن عبد الرافع الربيعي

وهي أول ولايته لهذه الحطة فحكم عاما واحد عشر شهرا ثم عزل وولي عوضه الفقيه :

١٥ أبو زيد عبد الرحمان بن القطان الباوي

من أهل سوسة في غرة ربيع الآخر من سنة احدى وسبعمئة وتوجه الى سوسة وابطأ على الناس فضجوا من تأخر خضوماتهم فامر أبو اسحاق ابن عبد الرافع بتنفيذ الاحكام الى ان يقدم القاضي فتواصي حسدته من صنفه بأنه لا يعلم بوصوله حتى يكون بمحفل يقال له فيه لا تحكم فان القاضي قد وصل وجعلوا من يرصد الطريق ففهمها ابن عبد الرافع واوصى من يشق به ان لا يخبره قبل دخول القاضي بوصوله ليكون هو المسك عن الحكومة ويصرف العون عن بابه بنفسه، فاتفق ان كان يوم سبت وقد حرت عادة قضاة تونس وفقهاها بوصولهم يوم السبت بمجلس الخليفة للسلام عليه ويجلس كل صنف منهم مع صنفه في بيوت اعدت لهم الى ان يخرج الخليفة، فبينما الفقهاء والقضاة جالسون وابن عبد الرافع بينهم اذ أقبل كاشفه يعليه قبل ان تصل رصدة حساده بقدم القاضي فلما رآه فهم فقام من محل جلوس القاضي منتقلا الى بيت أهل الشورى ففهم عنه حسدته فحدقوا ابصارهم نحوه فانحلت عقدة سراويله وقد توسط حلقه المجلس فجعل يصلحها ونظر اليهم... فادكر وجهه اليهم وقال الحمد لله الذي لم يجعل فيكم من يصلح لها فأبكتهم ونكاهم من تشمتهم بقيامه... اه ما قاله الزركشي بنصه (يتبع)

محمد البشير النيفر

مجلة الامالي

في عامها الثاني

مجلة الامالي من خيرة المجلات العلمية الثقافية التي تصدر ببورت وقد قطعت مرحلتها الاولى بانتهاء عامها الاول فخورة بما نشرته من الابحاث الرفيعة الشأن والمقالات المدبجة بيرة عالية الكتاب ذات المواضيع الثقافية الادبية الممتعة بما يدل على اتساع الحركة العلمية وانتشارها في القطر السوري العريق في المعارف والمجد وقد وصلتنا الاعداد الاولى للمجلد الثاني حافلة بالابحاث والمواضيع المتنوعة فنتني على همة صاحبها ومديرها الكاتب الغد الدكتور عمر فروخ والهيئة المساعدة له، ونرجو للرسيفة حياة وانتشارا وكل تقدير

وثيقة تاريخية جلية (مارستان العزافين والمستشفى الصادقي)

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الحوجه مستشار الحكومة التونسية

مما لا خلاف فيه ان مدينة القيروان في عهد الاغالبة ومدينة المهدية في زمن العبيدين ومدينة تونس في العصر الحفصي كانت جميعها ملاحية خيرية لمعالجة المرضى ومآوي للبائس وابن السبيل قاموا بذلك وفقا للمقصود من الاحباس التي كان يتصدق بها اهل البر والمعروف على اخوانهم المسلمين المعوزين في هاتيك العصور - فلما استقر الاثر في هذه الديار في اواخر المائة العاشرة كان خيارهم من ذكور واثنيين سابق ولاحق في ميدان المشاريع الخيرية من شتى الاصناف وبديهي ان كان في المقدمة اعظم تلك القربات الى الله وهي المساجد لاقامة الصلوات ثم الحقوا بها المدارس لنشر العلم وصرفوا مع ذلك مجموع همهم نحو حماية البيضة باقامة الثكنات والحصون والاسوار ثم مد الجسور والطرق باطراف البلاد وعمروها بالاسبلة لتسهيل اسباب العمران - وممن حفظ لهم التاريخ جميل الذكر في هذا المقام الباي محمد ويدعى حودة باشا المرادي فهذا الامير الصالح هو المؤسس لمارستان العزافين المعروف بتونس وهو موضوع الحديث . ولقد عثرت اثناء بحوثي المتواصلة لاكتشف عن مآثر اسلافنا الكرام برد الله مراقدهم على وقفية هذا المستشفى الذي كانوا يسمونه بالمارستان (١) فرايت من خدمة التاريخ نشر عبارة هذه الوثيقة الجليلة تخليدا للذكر صاحبها قدس الله سره واثرت بها هذه المجلة المباركة لاسيما وان العامة في تونس بل وحتى بعض الخاصة يعتقدون ان مستشفى العزافين من مآثر صاحبة الخيرات عزيزة عثمانة (٢) وهو مجرد وهم سرى لبعض المتقدمين درج

(١) لفظ مارستان محرف عن بيعارستان في اللغة الفارسية ودخل للاستعمال بتونس في عهد الدولة المرادية على يد الاثر قال الشهاب الحفاجي : هو لفظة فارسية استعمالها العرب ومعناها مجمع المرضى لان بيعار معناه المريض وستان هو الموضع واول من صنعه بقرطاج من كتابنا جيش الدخيل في اناسان التونسي الاصيل

(٢) اسمها عزيزة بنت احمد بن محمد بن عثمان داي دفين زاوية الشيخ سيدي احمد بن عروس وكانت وفاته سنة ١٠١٩ وعلى عهده كان قدوم جالية الاندلس الاخيرة بتونس اما المحسنة حفيدة العزيزة عثمانة فقد التحقت بالدار الاخيرة في حدود سنة ١٠٨٠ ودفنت بقربتها المجاورة للمدرسة الشماعية بحلقة النحال (لا النعال كما هو مشهور على السنة الداس بتونس)

عليه المتأخرون بسبب ان هذه المحسنة الكبيرة ما زالت لها صدقات جارية الى هذا الزمان وقع الاصطلاح على الحاقها من حيث الوجهة النظامية باوقاف المارستان كوقفها المؤسس لتزويج البنات الابكار ووقفها الخاص بختن فقراء الصبيان الذين كانوا يباشرون اختنائهم يوم عاشوراء بسقيف المستشفى (١) ويزودونهم بالاكسية اللازمة من ريع ذلك الحبس فحسبوا ان المستشفى نفسه ايضا من حسنات تلك السيدة الكريمة ولم يكن هذا الغلط التاريخي بالمقصود على اهل تونس فقط بل نجده ايضا بين اهل البوادي ولنسق لك مثالا في ذلك ففي مدة مباشرتي لعمل بنزرت حضر لدي ذات يوم شيخ قبطنه ليحيطني علما باحوال جهته وكان في جملة مقرراته الاعلام بنزالة رجل اصيب بطلقة مكحلة جعلت حالته في خطر فسألته هل عجل بعرضه على الطبيب فاجاب : نعم لمجرد وقوع الحادث عجلت بحمل الحريج لمستشفى عزيزة عثمانة بفريقيل (كذا) قال ذلك معتقدا ان مستشفى فريقيل (٢) الذي هو مؤسسة عسكرية فرنساوية حديثة فرع مارستان عزيزة عثمانة الذي لا وجود له الا في عالم الخيال او ان كل مستشفى يطلق عليه اسم عزيزة عثمانة .

اما الوثيقة التاريخية المشار اليها في مقدمة الكلام فهذه عبارتها :

الوثيقة التاريخية

الحمد لله الذي ييده الضعف والقوة وخلق الداء والدواء وجعل الحرم كفارة للجرم نجابا للاجر دافعا للبلوى . يعلم ما ظهر وما بطن وما عليه كل انطوى . والصلاة والسلام على نبيه الاكرم وطيبه الاعظم سيد العرب والعجم سيدنا ومولانا محمد خاص المحبة عام الرسالة والدعوى . رحمة العالم وارومة دوائه قطب دائرة حكمه ومعدن شفاءه المنزه في فصيح نطقه عن الهوى . كفى دليلا بسورة والنجم اذا هوى . وعلى آله الاطهار واصحابه الاخيار انجم الهدى واساس التقوى . وبعد فلما كانت سلسلة الممكنات مرتبطة بوجود الحق تبارك وتعالى فكذلك ينتظم نظام كل مملكة بوجود امير او خليفة فان الاصل ان السلطان امان من حوادث الزمان كان مما من الله به على هذه الديار التونسية والبلاد الافريقية حضرة من انام الانام في ظل الامان . وانشأ لهم سحائب الخيرات والاحسان . فافضها عليهم من هاطل وبلها الهتان . من رد سياسته كيد ذوي البغي والطفيان . ومهد بيهبة رئاسته

(١) ختن الصبيان الفقراء مباشرة جمعية الاوقاف بطريقة منتظمة في موسم عاشوراء من كل عام واحتنائهم يقع في هذا الزمان بمدرسة بير الحجار

(٢) فريقيل بلدة تاعة لعمل بنزرت ظهرت في عالم الوجود على راس هذا القرن المسيحي واسمها مقتبس من اسم الوزير حول فيري مبتكر مشروع حماية فرنسا على تونس ومن ملحقاتها بلدة تينجة تشتملان معا على نحو ثمانية آلاف نسمة اكثرهم من العملة الفرنسية بترسخانة - يدي عبد الله بوراوي وقد احتضنت تلك الجهة بانتاج ثمار الفراولة ذات التجارة الراجعة يصدر منها ارباب السواني نحو اربعة آلاف رطل في اليوم لفندق الغلة بتونس

طرق الخوف والعدوان . حتى سار بها الرجال والولدان . وذوات الحذور الحرائد الحسان . فكم قاس قساة بقسي سهمه السيد . فاصاب الغرض بجبل الوريد . وكم عاد اليه فعاد عليه بعائدة الصلة من فيض بحره السيد . وهو السد الامين العلم الاظهر الشهير نخبة الامراء الماضين . وتحفة سلاطة الباشات السالفين . مدبر حياة ~~عسكر~~ تونس المشهورة . وصاحب راياتها المنشورة . اخو الانابة والاصابة في القول والانشا . السيد ابو عبد الله محمد باشا . اعانه الله بعناية رعايته . وادم على المسلمين العافية بقاء ولايته . اذ كان اعلى الله تعالى قدره . واحفل واجمل بجميل الشاء ذكره . مع اشتغاله بهذه السياسة العظيمة . والرئاسة الضميمة . له مزيد اعتناء بالتقرب بالقرابات . من مواساة ذوي الحاجات والهيئات . والصدقات الوافية الجارية . والاحباس الصالحة الباقية . فمن ذلك ما تعلق به الآن همته العالية . وتوجهت اليه وجهته السامية . رفقا بحال الفقراء ورثا لشان الضعفاء والمرضى . احدث مارستانا اليه ياونون . به دواءهم وقوتهم وما يحتاجون . وقد استقر على ملكه حفظه الله تعالى وابقى اسعاده وبلغه ما امله ١ جميع الفندق القبلي المفتوح قرب القباقيين . ومكتب العزافين داخل تونس المحروسة يحده قبلة حيث المفتوح وشرقا حق الآن للدعصي وجوفا حق المؤذن الحاج محمد القصار وغيره وغربا الطريق بحقوقه ومنافعه ٢ وجميع الستة حوانيت المخرجة منها الشاملة لها حدوده المذكورة الخ ٣ وجميع القرن المعد الان لطبخ الخ ٤ وجميع الكوشة المعدة الخ ٥ وجميع الفندق الجوفي الخ ٦ وجميع الحانوتين المخرجين من الفندق المذكور الخ ٧ وجميع المخزن الجوفي الخ ٨ وجميع الكوشة الشرقية الخ ٩ وجميع الحانوت الشرقي الخ ١٠ وجميع الكوشة القبليّة الخ ١١ وجميع الفندق القبلي الخ ١٢ وجميع الحانوتين الشرقيين الخ ١٣ وجميع الفندق ذي البابين الخ ١٤ وجميع الفندق الغربي الباب الخ ١٥ وجميع الحمام الغربي الباب المحدث البناء الكائن ببلد الكفاف الخ ١٦ وجميع الخمس حوانيت الملاصقة له الخ ١٧ وجميع الماء المجلوب من العين المعروفة بعين سيدي سالم الخ ١٨ وجميع الماء الخارج من الحمام المذكور الخ ١٩ وجميع الحمام الغربي المفتوح ببلد زغوان الخ ٢٠ وجميع الاربع تبنات ماء من الماء الجاري بالبلد المذكورة الخ ٢١ وجميع القرن القبلي المعد للخبز الكائن ببلد الكفاف الخ ٢٢ وجميع الطاحونة المعدة لرحي الطعام الغربية بالكاف الخ ٢٣ وجميع الحمام الشرقي الكائن برحبة بنزرت الخ ٢٤ وجميع الكوشة والدار الملاصقة لها بربض بلد باجه الخ ٢٥ وجميع الفندق الغربي بها الخ ٢٦ وجميع النصف من جميع الدار الجوفية الباب الكائنة بحارة اليهود داخل باب السوق من تونس المحروسة الخ وبعد تقرر ذلك كذلك حضر الآن لشهيديه السيد المعظم الارفع مولانا ابو عبد الله محمد باشا صاحب كرسي مدينة تونس المحروسة وهو الواضع طابعه هـ ايسه الله ونصره وألهمه الخير وبصره . وهو المالك لجميع الربع المحدود المذكور اعلاه . زيد فخرة وعلاه . ابن الامير المعظم المنعم المقدس المرحوم السائر الى رحمة الله الملك القيسوم مولانا اي

الظفر مراد باشا قدس الله روحه واسكنه من الجنان فسيحه واشهد حفظه الله تعالى انه حبس ووقف جميع الرباع المحدودة المذكورة اعلاء بما لها من الحقوق والمنافع وما يعد منها وينسب اليها على ما سيذكر مفصلاً بعد فالفندق المبدأ بذكره جعله مارستاناً منزلاً لسكنى المرضى والجرحى من سفر البحر او المحال او الغزو في سبيل الله الفقراء الذين لا مال لهم وليس لهم من يقوم بهم ولا من يؤويهم بمدينة تونس فينزل به المرضى المذكورون ويقيمون مدة بقاء المرض بهم الى حصول الشفاء التام فاذا برىء من مرضه احد المرضى واخبر الطبيب بشفاؤه فالناظر بالمارستان المذكور اخراجه ولا فرق في المريض والجريح ان يكون عربياً او عجمياً تركيا او غيره وباقي الرباع المذكورة كلها تصرف غلتها فيما سيذكر ويفسر بعد فمنها ما يكفيهم من القوت والدواء اللائق بحال كل واحد منهم ومن يقوم بخدمتهم وتمريضهم ليلاً ونهاراً الى بلوغ الغاية وكذا ما يكفيهم من الفراش والغطاء والوطاء من الحصر والمضارب والسفاسر والوزاري (١) شتاءً والملاحف من الكتان صيفا ومن قدر الله بوفاته من المرضى المذكورين فالمارستان المذكور ينفق عليه ما يكفيه في كفنه ومواراته ودفنه وعين حفظه الله تعالى طبيباً ماهراً لعلاجهم فيعالج كلا منهم بما يليق به من الاشربة والمعاجن والدهان والمراهم على ان له بيتاً من المارستان المذكور يضع فيه ما يحتاج اليه من الادوية وغيرها وحانوتاً من الحوانيت الملاصقة للمارستان المذكور يجلس فيه وثمانية ناصرية (٢) واربع خبزات موظفة له كل يوم وعين ناظراً على المارستان المذكور ينظر في مصالحه ويقبض محصول اوقافه ويصرفها في مصارفها وله ست ناصريات (٣) واربع خبزات موظفة كل يوم وطباخاً يطبخ لهم قوتهم من لحم وغيره وله خمسة ناصرية وخبزتان كل يوم ورجلا ينفق عليهم وكيلاً للخروج وله اربعة ناصرية وخبزتان كل يوم ورجلاً بواباً ملازماً للمارستان ليلاً ونهاراً يتعاطى غلق ابوابه وكنس عرصته وفنائ واستقاء مائه للشراب والفسل وغسل ثياب المرضى وغير ذلك مما يحتاجون اليه وله ثمانية ناصرية واربع خبزات كل يوم والخبز المذكور كل خبزة منه بناصري في زمن الرخاء والشدة (٤) حبس جميع الرباع المذكورة ووقفها على من ذكر كيف ذكر بما لها من الحقوق والمنافع حبساً حراماً ووفقاً دائماً سرمداً

(١) الوزاري جمع وزرة وهي عبارة عن احرام من نسيج صوف الضاف الاسود في غالب الاحوال وقد يكون من الصوف الأبيض واليا ينسب سوق الوزر بتونس خلافاً لما يعتقد بعضهم من انها نسبة وزيرية

(٢) هذه الجراية المعطاة للطبيب كانت بمقدار جراية شيوخ التدريس في ذلك الزمان (٣) مفردة ناصري نسبة لمبتكرة السلطان الناصر لدين الله وهو من مسكوك الفضه يقابله في المسكوك الذهبي الدينار المؤتمني نسبة لعبد المؤمن بن علي وكانوا يلقبونه في افريقية بامير المسلمين وتلقب بعده المستنصر بالله الحفصي بامير المؤمنين

(٤) يستروح من هذا القيد انهم كانوا يعرفون في ذلك الزمان نظام المقاولات بطريقة المناقصة في لزوم التوريد والتموين وشبه ذلك

لا يباع ولا يوهب ولا يورث الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . لا يبدل عن حاله . ولا يغير عن منواله الى ان يرثه الله قائما على اصوله محفوظا بشروطه فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم قصد بذلك ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم أنه يجزي المتصدقين ولا يضع اجر المحسنين وذلك كله بعد التبديع بما يحتاج اليه الربيع المذكور من بناء واصلاح حتى يبقى قائما على اصوله منتفعا به وجعل النظر في ذلك لولديه العظيمين الاسعدين المرفعين الامجدين السيد ابي الظفر مراد باي صاحب المحال المنصورة والسيد ابي عبد الله محمد باي صاحب سنجق مدينة القيروان المحمية وسوسة والمنستير وصفاقس والبلاد الساحلية حفظهما الله تعالى ثم للاكبر فالاكبر والاصلاح فالاصلاح من اخوتها المذكور ثم لاولادهم واولاد اولادهم واعقابهم واعقاب اعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الاسلام لا يتقدم اهل الطبقة السفلى على اهل الطبقة العليا في النظر ولو كانوا اسن منهم واذن حفظه الله تعالى للناظر الآن في المارستان المذكور وهو الاجل موسى خميرة الاندلسي في قبول ذلك منه وحوزة جميع الرباع المسطورة عنه فحضر وقبل ذلك منه قبولاً تاماً واحاله على ثواب الاخرة شهد على اشادهما بذلك في الحالة الجائرة من وقف على الاستقرار المذكور كيف ذكر بتاريخ اواسط شهر ربيع الاول الشريف بمولدة صلى الله عليه وسلم تسليماً عام ثلاثة وسبعين والـف بمعرفة الناظر المذكور والمعرفة بالسيد محمد ناشا المذكور تامة حفظه الله تعالى واحسن اليه - بشهادة الفقيين الاعدين الشيخ ابي عبد الله محمد المحرزي والشيخ المقتي عبد الله ناجي (١) فهذه نسخة ذلك على ما هو عليه فممن قابله باصله اتفاقا وكانا نسا سوا وشهد بذلك هنا اوائل حجة الحرام من عام مائة والـف اهـ يليه عقدا شاهديه

بعد هذا نقول ان صريح عبارة هذا التحيس تفيدنا ان مارستان العزافين كان باصل وضعه مستشفى خاصا بالعزاة والمجاهدين المسلمين في البر والبحر وبالتالي وقم التوسع في النفع به لفائدة عموم قراء المسلمين لا سيما بعد القضاء على القرصنة البحرية ومحو قوانينها من لوحة الوجود فكان المارستان المتحدث عنه من يومئذ قاصرا على الفقراء والبائسين من اهل البلاد طيلة العصر الحسيني وقد توفى الباشا علي باي الثاني ابن حسين بن علي بتعزيزه بتكية للرجال واخرى للنساء في سنة ١١٨٨ ومن القدر المقدور ان كان القرن الثالث عشر للهجرة مرتعا لمقدمات التمدد الاروباوي بتونس وفي اثنائه توثقت روابط الخلطة بين تونس وبين البلاد الاروباوية ولا سيما فرنسا الفخيمة حامية هذه الديار فاخذت الدولة التونسية من يومئذ تتدرج في مراقبي النهوض بالحاضرة المحمية اقتداء بعواصم اوروبا الى ان كانت دولة المشير محمد باي فامضى بمساعدة الدولة الفرنسية انشاؤها التحمل بسبعة ملايين ريالا لحلب ماء عين زغوان لمدينة تونس التي كانت ترتوي منه قبل

(١) لم تقف على اسم هذا الفقيه بسلسلة الفقهاء التي بين ايدينا

ذلك بسماعة سنة في عهد المستنصر الحفصي بواسطة القنّاة التاريخية التي اقامها لذلك الانبراطور هادريان في اوائل القرن الثاني للميلاد والخامس قبل الهجرة وكان في مقدمة المنظمات الجديدة التي ادخلها المشير المذكور لبلاده مشروع عهد الامان الذي اعلن به اخوه من بعده واسس المطبعة الرسمية واشترى لوازمها من باريس كما اسس مجلسا بلديا بالحاضرة ووضع نظاما لديوان الشرع المطهر وسن له قانونا جامعا من انشاء صهره الشيخ محمد بيرم الرابع وخلفه بكرسي الايالة في سنة ١٢٧٦ شقيقه المشير محمد الصادق باي فسار في منهج الاصلاح العصري من حيث انتهى سلفه ووجه مہجته باجمعها في ذلك السيل مبتدئا بالاعلان بقانون عهد الامان المشار اليه ونصب المجالس الناتجة عنه ثم احدث جريدة رسمية للحكومة وهي صحيفة الرائد التونسي التي هي اليوم في السنة الثامنة والثمانين من عمرها الزاهر السعيد ووضع ترتيبا للوزارات ووسع في دواليبها التي انشأها من قبله ابن عمه المشير الاول احمد باي واعار جانباً عظيماً من نشاطه للجانب العلمي فوسع في ارزاق شيوخ التدريس بجامع الزيتونة واقام المكتبة الصادقية مكان المكتبة الحفصية بالعبدية التي عفت رسومها من اواخر المائة العاشرة متمما بذلك مشروع ابن عمه المشير احمد باي الذي عمر صدر جامع الزيتونة بخزانة كتبه الثمينة التي احدثها في سنة ١٢٥٦ ووضع ترتيبا للتدريس بالجامع وءاخر لضبط احوال الاشهاد العام وآخر لتحسين احوال السجون واهلها وءاخر للفلاحة الخ الخ وكانت مفخرة مساعيه الجليلة في باب المستجدات العصرية تاسيس المدرسة الصادقية كل ذلك تم على يد وزيره الناصح الامين المرحوم خير الدين وهنالا مناص لنا من الاشارة لكون الاصلاحات التي تمت على يد خير الدين كان لاهل العلم نصيب فيها لا سيما العلماء الاعلام والشيوخ العظام منهم الشيخ احمد بن الخوجة وكان في راس تلك الطائفة الصالحة ومن رجالها الاطهار ايضا الشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد بيرم والشيخ الطاهر النيفر والشيخ مصطفى رضوان والشيخ سالم بوحاجب والشيخ عمر بن الشيخ وغيرهم الهداة الاعلام والمقام لا يقتضي التوسع بأكثر من هذا لان زيادة البسط فيه تبعثنا عن الموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه فلنرجع بقراء المجلة لروح المقصود ونقول ان من متممات الاصلاحات التي وقع انجازها في عهد الدولة الصادقية المستشفى الصادقي وهذا المستشفى الذي شمله برنامج الوزير خير الدين اسم تهيئ له الاقدار اظهاره لعالم الوجود لانه بارح الوزارة قبل انتهاء اعماله فيه وبعد تهيئة اسبابه لان يكون مستشفى اسلامي تام العدة يحاكي المستشفيات الاروپاوية لاسيما وانه كان يومئذ بتونس مستشفى خاص بالاروباويين واسمه مستشفى سان لويس يعالجون فيه مرضاهم (١) فتخلّى خير الدين عن الوزارة

(١) في اوائل القرن الثاني عشر للهجرة ظهر على يد قنصل فرنسا اول مستشفى للجلالة الاروپاوية بتونس وكان موقعه بحومة سيدي المرجاني داخل باب البحر وكان يعرف بين اهل البلاد باسم «سيطار النصاري» ولفظ سيطار محرف عن hopital في الفرنسية ومعناه مستشفى وبالتالي عوض هذا المارستان بمستشفى آخر اوفر منه مرفقا واحسن مناخا وفي سنة ١٢٤٩ وقع تحويل

في سنة ١٢٩٤ وتولاها مكانه (موقتا) الوزير محمد خزندار وفارقها بعد شهور فقدم لها الوزير مصطفى بن اسماعيل في سنة ١٢٩٥ وحاول ان يبيّن لنفسه - ولكن بدون اساس - صرحا من المجد قياسا على صنيع سلفه الاسبق خير الدين وهنا دبر عليه بعض خواصه بالشروع في بداية امره باستمالة العلماء واعيان البلاد اليه حيث كانوا على بينة من نشأته واطواره فبادر لاقتراء مكتب المرحوم امير الامراء عصمان قائد عساكر الساحل واذاف لها ما وصلت اليه يده من كتب الوزير الاسبق مصطفى خزندار وحبس جميع ذلك على اهل العلم بجامع الزيتونة ثم سعى في اتمام مشروع المستشفى الصادقي الذي بقي معطلا من عهد خير الدين وفعلا تم ذلك في اوائل صفر سنة ١٢٩٦ ووقع نصبه بالقشلة المعروفة بقشلة البشامقية (١) ونقل اليه مرضى مارستان العزافين وجعلت نظارته للشيخ محمد يبرم رئيس جمعية الاوقاف التي كان ييدها من قبل حق التصرف في مداخيل الرباع والعقارات الموقوفة على مارستان العزافين وفي يوم افتتاحه ترأس سمو الباي المعظم بنفسه على حفلة التدشين اظهارا لعنايته بهذا المشروع الجليل واشرف بذاته على المرضى واوصى بهم خيرا وخطب في ذلك المجلس وحوله وزراؤه ورجال دولته واهل العلم فقال والكلام من انشاء وزير القلم الشيخ محمد العزيز بوعتور : لقد سرفي ما شاهدته من حسن وضع هذا المستشفى المبارك واستحسن تربيته وتنظيمه وانا اشكر جنابك ايها الوزير الاكبر (مصطفى بن اسماعيل) على اعتنائك بهذه المصلحة التي نرجو ان تكون

المارستان الاول بمساعي قنصل فرنسا لكنيسة اطلق عليها اسم « سانت كروا » رمزا للطغمة الرهبان الثالوثيين المنتصبين بها وهذه هي عين الكنيسة الموجودة لهذا الزمان بنهج الكنيسة بتونس trinitaires وهذا نص الامر الملوكي الصادر بذلك من المرحوم المولى حسين اي :

من عبد الله سبحانه الراحي عفوه وغفرانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه حسين باشا باي امير افريقيا وفقه الله لما يرضاه وعانه (كذا) على ما اولاه الى معاهدنا القنصل اسكندر دفال القائم بقصاية دولة الفرنسيين بتونس اما بعد فانه وصلنا كتابكم في شان كنيسة لاجتماع النصارى فيها وجميع ما ينتم لنا علمناه والجواب نحن اعطيناكم المكان المعروف بالسبتار داخل باب البحر وجعلنا كراء الف ريال كل عام وان كنا سابقا نأخذ منه كراء كثيرا لكن مساعدة احوالكم ءاثرناها وقد ءاذناكم في التصرف فيه على الوجه المناسب لكم ولا زائد الا الخير وكتب في ٢٨ محرم سنة ١٢٤٩ هـ ثم في سنة ١٢٦١ تقضل المشير احمد باي باسقاط جملة الكراء الموظف على هذه الكنيسة وزاد في مساحتها بما يقرب من مساحتها الاصلية

(١) قشلة البشامقية هي احدى القشلات الخمس التي احدثها المرحوم الباي حمودة باشا الحسيني بتونس والاربع الاخريات هي قشلة الزنايدية وبها اليوم دواوين ادارة جمعية الاوقاف وقشلة العطارين وبها اليوم المكتبة العمومية الفرنسية ومدرسة اللغة والاداب العربية وادارة الانطكخانة وقشلة سيدي عامر البطاش وتسمى ايضا قشلة المال لان المشير احمد باي نصب بها البنك التونسي الذي كانت حياته قصيرة وءال امره للافلاس وبها اليوم مصالح الجمعية الخيرية الفرنسية وهي الكائنة بطحاه نهج سيدي علي عزوز وقشلة الحنفية وهذه عفت رسومها واقام المجلس البلدي مكانها بطحاه فسيحة مشجرة للعموم وهي الكائنة بسوق الوزر

محققة النفع حيث انجزتها في اقرب وقت وعلى وفق المامول كما اني اثني على من باشر وضعه على وفق المقصود منه وبذل جهده في ذلك واث من انتخبناهم لاجراء ترتيبه على الاعتناء بما تقتضيه مصلحة النخل وسكانه ببذل كل منهم جهده في ذلك بما تقتضيه ماموريته ونرجو من الله تعالى ان يرينا نفعه ويعين اولئك المتخفين على ما يشر لهم الشكر واحرض جنابك على الاعتناء باعانتهم والمحافظة على اجراء ترتيبه واحترامه والمامول من الله تعالى ان يقر اعين الاهالي بما يشاهدونه من راحة سكانه وانتظام حالهم وعموم الشفاء لهم اهـ

وقد ارخه صاحبنا المرحوم العلامة المورخ الشيخ محمد السنوسي بآيات تنقلها هنا اتماما للفائدة

لمشير تونس خير فضل يقتفى	فيما اشاد الى الاهالي واصطفا
فحصى جميعهم بفضل وارف	وجباهم منه الجباء الالطفا
نشر المعارف والعوارف بعد ان	حاط المحاكم والزروع بما كفى
والان اثل خير مستشفى به	حفظ الحياة لكل شخص قد وفا
واتى يعود جميع في موكب	ظل الفخار عليه اضحى مورفا
حتى غدا كل ينادي داعيا	ويقول في التاريخ لي قدم الشفا

١٢٩٦

وبالتالي زيد في توسيع محلات المستشفى الصادقي بادخال المدرسة اليوسفية في عموم ابيته ثم باستلحاق جميع الدور والحوانيت المجاورة له بنهج البشامقية كما الحقت به ايضا الارض الفسيحة الكائنة بالقصبة التي كانت موقعا لمقبرة السلسلة الدارسة التي سبق نقل رفاتا لمقابر الزلاج لنحو ثلاثين سنة فارطة بحيث لقد اصبح اليوم المستشفى الصادقي في ابتهاجه وانتهاجه يضا هي ارقى المستشفيات العصرية بحسن مناخه ومرافقه وانتظام احواله كل ذلك مع بقاءه على قاعدة الاختصاص بمعالجة المرضى المسلمين دون غيرهم وحيث اصبحت مداخيل اوقافه المنجرة له من مارستان العزافين غير موفية بحاجاته لما تناوله من التوسيع والضبط والاصلاح الملائم للنظم الصحية العصرية لتحقيق النفع به لقصادة الكثيرين من اهل الحاضرة وغيرهم فان الدولة اغدقت عليه بما فيه الكفاية من الميزانية العامة للقيام بمهمته الجليلة بحيث هو اليوم جدير بان يعتبر في مقدمة التأسيسات التونسية النافعة التي يحق لنا الافتخار بها بين عموم عناصر السكان لاسيما اذا اعتبرنا ما نتج عن نظامه الحديث من تهئة طبقة معتبرة من المعاوين الطبيين التونسيين الذين باغوا في الحذق لصناعتهم لمتناهة وعم بهم النفع في الحواضر والبادي وربك يخلق ما يشاء ويختار

محمد بن الحوجة

صلة تونس بالدولة العلية

صفحة من تاريخ تونس

بعثت خير الدين للاستان

سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ١٨ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الهام المفخّم أمير الامراء الوزير المباشر السيد خير الدين حرسه الله تعالى السلام عليكم ورحمة
الله تعالى وبركاته وبعد فان المعظم الارفع مولانا وسيدنا دام عزه وعلا له لم يزل ملاحظا لما ضمنه اعلي
جنابه من ان المناسب هو الاقتصار على الطابع السعيد في كتابه الابواب العلية وللصدارة وان تصحيحنا
فيهما غير لازم ولاجل ذلك كتب ايده الله تعالى نظيرين منهما محتومين بالطابع السعيد فقط وهما
الواصلان لكم ونرجو انهما يصلان اليكم قبل الاحتياج لتسليم الاولين الذين بأيديكم فاذا بلغا اليكم
قبل ذلك فانك تبقي الكتاتين الاولين وتسلم هذين وقد كاتبناكم بالتلغراف بالارقام لتعلم بمجرد
وصولكم على خبر ذلك واذا تاخر عنكم ورود ما ذكر وخشيت التعطيل او ان يقع في الظن شيء
فانك لا تضيع الوقت في الانتظار ويرى الحاضر ما لا يراه الغائب وعلى فرض انه لزمك تسليم الاولين
وتوجه اعتراض فان الاعتذار عن التصحيح هو الاهتمام بحال النازلة وبموجب هذا التلغراف
يكون ابتداركم فيها تكاتبا به بالتلغراف حرف التاء المثنان ونسركم ان الحضرة العلية ونحن وجميع
الاهل بخير الشكر لله تعالى والله تعالى يمدكم باعانه وحفظه والسلام من الفقير الى ربه تعالى امير
الامراء الوزير الاكبر مصطفى وكتب يوم ٢٤ السبت من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨

مصطفى

(وبطرت) الحاق خير وقد كنا تكلمنا معكم في شان النيشان ونعرفكم بان الحضرة العلية لم
بات لها نيشان المجيدية المرصع نهناك لهذا والله تعالى ولي عونكم والسلام
مصطفى

« ١٩ »

صورة التلغراف الرمزي الموجه من الوزير المباشر خير الدين لجناب الوزير الاكبر التونسي
مؤرخا من اسلامبول في الثامن والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨
٣٠

« ٢٣ »

نص مكتوب للحضرة العلية مؤرخ في ٥ رجب سنة ١٢٨٨

قد وصلنا بحمد الله تعالى الى اسلامبول صبيحة يوم الاربعاء الفارط ولقينا بسعادتك في حال نزولنا وبعده مزيد الاكرام اللائق بخدام حضرتكم مع ما صادفناه عندهم من التغيرات والتبديلات الواقعة في الوظائف السياسية الناشئة عن موت الصدر الاعظم عليه رحمة الله وخلفه في الصدارة سعادة محمود نديم باشا وقد قابلته يوم السبت الماضي لكن لخلو ذهنه من اصول نازلتنا لزم تاخير الكلام الى مقابلة اخرى

والحاصل اننا لم نر حمد الله من اول السفارة الى هذا الوقت ما تتكدر منه الا وفاة خديم حضرتكم امير اللواء السيد الياس جعله الله تعالى فداء حضرتكم المحمية ثم قبل كتب هذا بنحو ساعة قابلت الوزير المذكور مرة ثانية فاخبرني انه لم يزل يتأمل في النازلة وعما قريب تقع المقابلة للبحث عن كيفية الانفصال في شأنها هذا ملخص ما عندنا الآن انبياه لحضرتكم السامية ومهما يتجدد عندما امر بنادير بانهاؤه بالتلغراف الى جناب الوزير الكبير والله تعالى يديم تاييدكم وعزكم

« ٢٤ »

للوزير الاكبر في عين التاريخ

فانا بحمد الله لم نر في هذه السفارة الى الآن امرا مكذرا الا وفاة المرحوم سي الياس جعله الله فداءكم من الباس وتفصيل السفارة انما مارينا طيب الهواء في اول مسيرنا ترجع عندنا ان نقيم فرصة هدو البحر ونقصد طريق اسلامبول من غير تعريض الى مألطة فسالنا عن الفحم فقالوا يكفيننا الى اسلامبول فقصدا طريقها ولم يتغير علينا الهواء الا بقرب البوغاز فهناك تحركت رياح معارضة لسيرنا ولو كنا ذهبننا لمألطة لكنت تصادفنا في البحر الكبير وربما نرجع بها الى خلف وكان وصولنا الى اسلامبول في صبيحة يوم الاربعاء الفارط فمكثنا بالفابور الى ان اتانا مأمور من قبطان باشا وبعد ذهابه اطلقنا مدافع السلام فاجابتها مدافع الترسخانة هناك وقبل نزولنا بلغنا خبر وفاة الصدر عالي باشا ومحمد قبرسلي باشا فالاول مات يوم الاربعاء والثاني يوم الخميس الذي يليه وهو يوم ركوبنا من تونس ثم وجه لنا قايق من قياق السلطان وبه مامور من الباب العالي فنزلنا فيه الى البر ووجدنا ككروسة عينوها لركوبنا ما دمنا هناك وانزلونا بدار كانت معدة لسكنى رئيس الضبطية ولم نزل نرى الاكرام يتزايد كل يوم ولما كان يوم الخميس والجمعة لا خدمة فيهما تاخرت مقابلة الصدر الى يوم السبت والصدر الجديد اسمه محمود نديم باشا ولم يقع بيننا في المقابلة الاولى الا ما اخبرت به سيادتكم بالتلغراف واما ما كان من خبر سي الياس فانه بعد نزولنا تخلف بالفابور لترتيب احوال البحرية وكان العزم

انه من الغد يقدم للدار التي نحن بها ليقيم معنا فما راغنا الا وشخصان من بحرتنا يقرعان الباب في آخر الليل فاخبرنا بموته فسالناهما عن السبب فقالا لم نر لذلك سببا سوى انا كنا جالسين معه بالقمرة في اول الليل فسمعنا زعزعة شديدة بالفابور فقام السيد الياس فزعنا من ذلك وظن ان الفابور ادركه الغرق فتبين ان فابور البوسطة السلطاني صادم فابورنا صدمة شديدة حتى انقلعت قروته التي بالبروة وبموجب ذلك ادخل الان للترسخانة للإصلاح ثم ان السيد الياس بعد سكون روعه قدم اليه العشاء فاكل كعادته ثم ذهب لينام فخذله القيء اولا ثم تهوع ليتقيا ثانيا فلم يقدر ثم اضطجع يتأوه ثم انقلب على جنبه فخطبه الحاضرون فلم يرد عليهم فارسلوا لطبيب الفابور القريب منهم فما اتى الا وقد نجز رحمة الله عليه فامتنحه الطبيب فقال انه مات بما يشبه النقط عافاكم الله وقد صار لدفنه موكب عسكري خفيف حضره نائب وزير البحرية بنفسه وهو ابراهيم باشا وذهب وراء جنازته راجلا والمطر يهيم على راسه ولم يزل واقفا في المطر حتى وقع الفراغ من الدفن وكان دفنه بترية قاسم باشا المعدة لدفن الكبراء عندهم ثم اتي قابلت الصدر مرة ثانية في يوم التاريخ فاخبرني بانه لم يزل يتأمل في النازلة وعما قريب تقع المقابلة للبحث عن كيفية فصلها وقد ورد علينا تلفرافكم الثالث المؤرخ بامس التاريخ يتضمن انتظاركم لعلم ما وقع في النازلة وسؤالكم عن وصول المكاتب الموحية من جنابكم فاجبتكم بان المكاتب لم تصلنا الان لعدم مضي المدة التي يمكن فيها وصولها واما انتظاركم لعلم ما وقع في النازلة فسيادتكم تتحقق انا لو حصلنا على ادنى علم مفيد لكننا نبادر بانها في الحين الى جنابكم لكن لا يخفى سيادتكم ان موت الصدر من الامور التي حدث بها تبدل كبير في الوظائف السياسية كما تعرفون ذلك من الجواب وممن تبدل امس التاريخ شيخ الاسلام وتولى مكانه عالم له مثلا افندي فافكار القوم مشغولة باحوال التبدلات المشار اليها ومع ذلك فقد وقع الوعد بمناجزة الاتصال والتسديد بيد الكيس المتعال (كذا) وبمقتضى ما نشأ عن موت الصدر المذكور من انقلاب الوظائف وصيرورة اربابها الآن غير معروفين لنا ولا عارفين باحوال نازلتنا ربما يخشى منه التعصب كما انهم بمنة الله واعانته ربما يكونون من قسم وعسى ان تكروهوا شيئا وهو خير لكم وان كنا الى الان لم نر منهم الا البشاشة وقد اخبر الصدر يوم التاريخ انه عما قريب يقابلني بحضرة السلطان ويصاكم مع هذا مكتب للحضرة العلية من جناب الصدر الجديد في الاعلام بولايته جعله الله مباركا على الاسلام والسلام

الحاق خير اذا ظهر لجنابكم ان تطلب من فضل الحضرة العلية اعانة ايتام المرحوم السيد الياس فلا بأس بذلك فاني نظن انهم محتاجون ودمتم

تنبيه

ضاق نطاق العدد عن نشر قسم من ديوان الشيخ الورغي وستتابع نشره ان شاء الله في الاعداد القابلة

اقترحنا على شاعرنا المجيد الاديب الكبير الشيخ الطاهر القصار ان يعارض قصيدة الورغي التي عارض بها « ياهبة باكرت من نحو دارين » فاجاد وبلغ غاية المراد في هذه المعارضة التي وصف فيها عيشة في شاطيء رواد مع جمع من اخوان الصفا

عشيت في شاطيء رواد

للعالم الاديب الشيخ الطاهر
القصار المدرس بجامعة الزيتونة

واصرف حديثك عن غيطان حيرون
عن ذكر رواد في وصف البساتين
تبدو بشمس المسا في خير تلوين
ذوب اللجين بمويه وتزيين
فيزدري حسنبا بالخررد العين
الى الضفاف اهلت بالتحلحين
من عود اسحاق في ايوان هارون
من تقح داوود حظا غير مغبون
وتشني طربا خضر الافانين
بكعامة وبماء غير مأسون

يمم برواد مرعى الشاء والنون
وخذ على الشاعر السورغي غفلته
شط حبه الصبا درعا مزردة
تخاله ذوب فاروز. بخالطه
تميس مثل القطا امواجه مرحا
تاتيك صامنة حتى اذا بلغت
كانهن قيات حركت وترا
أوأنهن مزامير قد ابتدرت
فترقص الطير في عليائها جذلا
وينعم النعم الراعي بصفته

ومن مظاهر اصباغ وتلوين
من المساحق تغري كل مأفون
في معرض الوصف عن شك وتخمين
وقع الحوافر اشكال التعابين
تختال عجببا بتيجان الرياحين
في ساحة الروض من تين وزيتون
بسادة البدو والعرب اليامين
بيوتهم موئل السفر المضاعين
في يسر عيش من الانكاد مأفون
لما عهدنا من صبح وتحسين
واد الجميل بانس غير موهون
في ما يصوغون من ثر وموزون
تقل في حقها اموال قارون
لكنها بين مشروع ومسنون
لصيد در ولاستخراج مكنون
« ياهبة باكرت من نحو دارين »
يمم برواد مرعى الشاء والنون
الطاهر القصار

شط فسيح نقي العرض من دنس
ومن مزيف حسن غب تطرية
به الطبيعة قد جلت محاسنها
رمل كحلة ديباج يريك به
ومنزه غادر الوسمي روايه
فيدري حسنبا امال خاطبا
صفت بجانبها الاكواخ اهله
لهم من الشمس اولى القبلتين وفي
ففي البدوة حظ النفس مكممل
وفي البدوة حسن غير مفتقر
لله وقت تقضى عند شاطيء رو
في رفقة زانت الآداب مجلسهم
عشية من يد الدنيا قد اختلست
سيقنت اليها اللذات اجمعها
والقوم في لجة الآداب قد نسجوا
هذي الاماني فدم من قال عن وله
وقل لمن يتغني للنفس راحتها

الوعظ والارشاد

استقبال شهر رمضان

بقلم الفاضل الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة

الحمد لله الذي فضل شهر رمضان وجعله شهر البركة وشهر العبادة وشهر الاحسان ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الديان ، واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله النبيء العدنان ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان وسلم تسليما كثيرا اما بعد فيا عباد الله لقد هبت عليكم الان نسيمات رمضان الزكية ، واشرقت عليكم انوار ايامه ولياليه الزاهرة الالهية ، فاهلا وسهلا بـرمضان ، اهلا وسهلا ومرحبا بطلعتك الميمونة يا شهر الامة وموسم الغفران ، هنيئا لك بزيارتك المباركة ايها الطيب الجليل ، والحاذق النبيل ، فيامك ولياليك ساطعة الانوار ، وبركات ساعاتك مشاهدة لاولي البصائر والابصار ، ما صامك احد ايمانا واحتسابا الا قبل منه صومه ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، فانت شهر الربيع : ورمز العفو والصفح . فيا ليت شعري من ام يربح فيك ففي اي وقت يربح . ومن لم يجتهد بالطاعة في ايامك ففي اي وقت يسعد وينجح ، انت زمن البركات ، وشهر الطاعات ، من رحم فيك فهو المرحوم ، ومن حرم خيرك فهو المحروم ، انت موسم التجار من انجر فيك بالاعمال الصالحة كان ربحه عتق رقبة من النار فستقبلوه ايها الاخوان بالفرح والسرور وعمل الطاعات . ولا تستقبلوه باللهو واللعب والاخلاد الى الشهوات ، تزودوا فيه بالاعمال الصالحة والقربات . واماثود بالحسنات والصدقات والصلوات ، فلقد جعل الله الحسنة في رمضان بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى ما لا يعام له مقدار وجعله مكفرا لذنوبكم ومالككم من سابق الاوزار . فاحمدوا الله على هذه الرحمة العظيمة الغالية ، واشكروه ان امد في انفسكم واحباكم حتى شاهدتم رمضان مرة ثانية واتمم بصحة وعافية . فقد كان اسلافكم يفرحون الفرح الشديد بقدوم رمضان ويعدون ادرك رمضان فضلا من الله ونعمة وكرما ورحمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول « قد جاءكم شهر رمضان مبارك كتب الله عليكم صيامه فيه تفتح ابواب الجنان وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة القدر خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم » وكان يحرض اصحابه على العبادة في رمضان يرغبهم وينذرهم ، فلنستابق اذن ايها الاخوان الى العمل الصالح في ايامه ولنكثر من اعمال البر والاحسان ، والتسبيح والذكر وقراءة

القرءان ، فقد تبين لكم بالمحسوس ان ايام رمضان غنيمة عظيمة هنيئاً لمن ابتدريها ، وفرصة ثمينة هنيئاً لمن انتهزها وحصلها ، فكم من فرص ندم عليها من اغفلها فكثير من كان يؤمل ان يصوم هذا الشهر مرة ثانية فيخاظم الامل وصاروا قبل محيئه في ضيق القبور وتحت الجنادل والصخور . قال صلى الله عليه وسلم (ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسناً ندم الا يكون ازداد خيراً وان كان مسيئاً ندم الا يكون نزع) فاتهزوا ورحمكم الله هذه الفرصة قبل ان يفاجئكم الموت فتندموا وتقولوا يا حسرتنا على ما فرطنا في حب الله . واعلموا يا عباد الله ان للصوم فوائد كثيرة لا تحصى لا بأس بذكر شيء منها ليتعرف الصائم مقدار نعمة الله عليه بهذه العبادة فيزداد حباً لها . ان الله يكرمه ويرضى عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ادم له الحمة بعشر امثالها الى سبعمئة ضعف قال الله عز وجل الا الصيام فانه لي وانا اجزي به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجلي) يتبين لنا من هذا الحديث ان الله يجازي الصائم الجزاء الاوفى حيث ان الصوم لا رياء فيه . قد تصلي ليقول الناس انك مصل او تزكي ليقولوا انك كريم اما ان تصوم طمعاً في ان يقول الناس انك صائم فهذا لا يكون ابداً . ومنها انه وقاية من النار قال صلى الله عليه وسلم الصوم جنة اي وقاية من النار ومنها انه يشفع لصاحبه يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم الصيام والقرءان يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرءان منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان) ومنها انه يدخل الجنة من باب الريان قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة باباً يقال له الريان لا يدخل منه الا الصائمون . ومنها ان الله اكرم هذه الامة بخمسة اشياء قال صلى الله عليه وسلم اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي اما واحدة فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم ومن نظر الله اليه لم يعذبه ابداً . واما الثانية فان خلوف افواههم اطيب عند الله من ريح المسك واما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة واما الرابعة فان الله يامر جنته فيقول لها استعدي وتزيني اوشك عبادي ان يستريحوا من تعب الدنيا الى دار كرامتي واما الخامسة فانه اذا كان اخر ليلة غفر لهم جميعاً ومنها صحة البدن وقد اثبت الطب ان الصوم علاج نافع لامراض كثيرة كأمراض المعدة التي قل ان يسلم منها احد ولا سيما الذين تعودوا التقنن في المأكول والمشرب وللهناسة اذكر لكم ان طبيباً اجنياً عرض عليه مريض قد اعيى الاطباء امره فقال لا دواء له الا الصوم فقالوا هو صائم بطبيعته فقال لا انما اريد صوم محمد (صلى الله عليه وسلم) فجربوا ذلك الدواء فعادت عليه صحته . ومنها غرس ملكة الصبر على المكارة قال صلى الله عليه وسلم الصيام نصف الصبر . ومنها تذكير الموسر بحالة الفقير المعسر فان الغني متى أحس بمرارة الجوع وحرارته عرف ان هناك طائفة دفعها الفقر وآلمها البؤس فيحمله ذلك على ان يمد اليهم يد المعونة فيخفف من بؤسهم ويلطف من عنائهم . ومنها اجابة الدعاء وذلك من

عناية الله بالصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم) ومنها فرح الصائم عند فطره وفرحه عند لقاء ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للصائم فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه) وليس المراد بفرحه عند فطره فرحه باكله وشربه وانما المراد فرحه باتمام صومه وتوفير اجره وقد جمع الله جميع هذه الحكم في آية واحدة من كتابه العزيز فقال : (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . عباد الله ان جميع هذه الحكم العالية والمزايا الكاملة التي تكرم الله بها على هذه الامة المحمدية التي جعلها خير أمة اخرجت للناس لا شك انها تزيد في ايمانكم وترغبكم في مضاعفة الطاعة والانابة الى ربكم وتيقنون بها ان شهر رمضان ليس كما يزعمه بعضهم هو شهر سهر وضياح وقت ولعب ميسر وسرف وعصيان ولكنه شهر عبادة واستقامة وحكم عالية لا يقدر على احصائها الا الله العزيز الرحمن . فاحرص ايها المؤمن على هذه الحكم ولا تضيعها ففيها الشفاء والنجاة من جميع البلاء . وياك ثم اياك ان تفهم رمضان مثل ما يفهمه الجاهلة الذين قبلوا حكمته وغيروا غايته وشوهوا بهجته ونبدوا وراء ظهورهم حكمته كذلك انصحك ايها الاخ اذا اردت ان يكون صومك مقبولا وتخرج من هذا الشهر كيوم ولدتك امك يجب عليك ان تصون اسنانك عن الكذب والغيبة والنميمة وجميع الصفات الذميمة كذلك يجب عليك ان تصرف وقتك فيما يعينك ولا تنصرف في قيل وقال ، واقتراء على الاحساب والانساب ، وابذل لعب الاوراق وعوضها بقراءة القرآن وسماع حديث نبيك العدنان واكثر من الصدقات واطعام المساكين وبر بجيرانك وعشيرتك وقدم التوبة وعاهد ربك على ذلك واعزم على عدم العود الى المعاصي . عباد الله ان من خير اغراض الصيام تطهير النفوس من جميع العيوب وكف الجوارح من الانام والذنوب . فمن اغتاب احدا او نسأ او هجا او ذم فقد فوت على نفسه ثواب الصيام . ومن قال زورا او باطلا فقد عرض نفسه لغضب الله الملك العلام وتلك خسارة لا تعوضها عليه الايام (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه) وكذلك علمنا نبينا الانجزي في رمضان من اساء فاذا سبنا احد او شتمنا اعرضنا عنه وقلنا انا صائمون لانا اذا جارينا في قوله كنا خاطئين ولثواب الصوم مضيعين (قال صلى الله عليه وسلم اذا كان صوم يوم احدكم فلا يرفث ولا يفسق وان امرؤ قاتله او شتمه فليقل اني صائم مرتين) يقول ذلك ليشعر نفسه انه في ضيافة الرحمن . نسألك اللهم وتضرع اليك ان تجعلنا في هذا الشهر من عبادك المقربين وفي صيامنا وقيامنا من المقبولين ومن عذاب القبر ووحشته آمنين والى الخيرات والطاعات متسابقين بفضلك يا ارحم الراحمين

الا ان احسن ما تشوق اليه قلوب المؤمنين كلام مولانا رب العالمين (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات)

الحيلاني حمزة الخطيب بجامع الحاج مصطفى حمزة بالمهدية

شهر الصيام

الاديب الكبير الشيخ
العربي الكبائي

اهلا وسهلا بشهر الصوم والبركة
يلقونه مثل ما يلقي اخو شغف
به تفتح ابواب الجنان وفي
من صامه فاز بالاحسان مغتبطا
هلاله منجل يبدو لناظرة
فيصبحون وقد بارت بضاعتهم
يا صائمين حذاري في صيامكم
وراقبوا الله في اعمالكم وادروا
ولا تكونوا كقوم في صيامهم
يروقهم فيه ان يرضوا بطونهم
لا صوم الا لمن طابت سريرته
كم صائم حظه من صومه ضماً
وانما يرتجي اجر الصيام فتى
يغض طرفا ولا يهني وان حسنت
لا يالف الشر في صوم يدينه
نهاره صائم يرجو ثوابه
يصدحن اذنا باصباح دنا وبدا
ذاك الذي ربحت نسكا تجارته
واكرم الله مثواه وانزله

ومن به امم الاسلام مشتركه
حبيه بعد بين مؤلم عركه
ايامه يتجلى الانس والبركه
والويل والتعس والبلوى لمن تركه
بحصده عمل المجان والفتكه
ولا يلاقون مثل الفطر من حركه
فان ابليس فيه ناصب شركه
شينا يزج بكم في زمرة الهلكه
يسؤم واحدهم للفتك معتركه
ويركبوا للهوى من جهلهم رمكه (١)
وبات لله عبدا مخلصا نسكه
يضي وجوع ممض يفسد الملكه
اطاعة الله امسى راغبا دركه
منه الخليفة يحسو آثما حشكه
وكل شر اتي من حوله بتكه (٢)
وليله قائم حتى يرى الديكه
يشفي نفوسا من الظلماء مرتبه
ونال في الدين سبقا دونه السلكه (٣)
منازل الصدق اذ من عسجد سبكه

(١) الرمكة الفرس والبردونه التي تتخذ للنسل مغرب

(٢) البتك القطع

(٣) اراد الشاعر سليك السعدي وهو من العدائين واسم امه السلكه يضرب به المثل في شدة العدو

استقبال شهر رمضان المعظم

للاديب النابغ الشيخ بلحسن بن شعبان

رمضان اقبل جبدا اقباله
شهر يحل الخير يوم حلوله
شهر يفيض على الانام عوارفا
والمسلمون جميعهم في اي نا
يلقاه كل موفق مستبشرا
ويهب عند لقاه مسرورا الفؤا
وتراه فيه وقد تضاعف أنسه
فهو الربيع لقلب كل موحد

اهلا بشهر الصوم اهلا بالزما
اهلا بمقدمه فكم راقنا
من صامه لله محتسبا ولا
فرض اراد به الاله صلاحنا
قل للاولى لم يفقهوا ما فيه من
يتبرمون به اذا وافى كمن
قل والمقالة ربما اجدت وقو
الصوم خير مهذب لنفوسنا
الصوم طب للجسوم وكل جس
وبه تزاح عن القلوب غشاوة
قل ما نشاء ففيه كل مزبة
في الناس من جعل الصيام مطية
رأي بان العذر فيه ممهّد
يقضي سواد الليل في سهر ائد
قد هاله ترك الطعام وما تعو
عار على ابناء دين محمد

بشري لمن ادى الصيام وقد زكت
ذاك الذي يحظى بخير مثوبة
بصيامه بين الانام فعاله
من ربه ويناله افضاله

التكاليف الشرعية

وسر مشروعية الصيام

يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون

ان الله تعالى خلق الخلق وهو غني عن طاعتهم لا علاقة لكماله سبحانه بمعاصيهم ضرورة ان الجزء راجع اليهم او عليهم ولما كانت عقول البشر متفاوتة في ادراك المنافع كما انهم في جانب الضرر ليسوا على قدم واحدة فربما تزل اقدام قوم وهم لا يشعرون لذلك كان من لطف الله بعباده وهو اللطيف الخبير أن اوضح سبل السعادة للبشر في دينه القويم وعلى لسان رسوله الامين صلى الله عليه وسلم فجاء الشرع الاسلامي متكفلا باخراج المكلف من دأعية هوالة حتى يكون عبدا اختيارا كما هو عبد اضطرارا . ومن أخص صفات العبودية الاضطرار الدائم الذي لا يفك عن العبد طرفة عين ومن شريف مناقبها الخضوع والخنوع والتقوى والقيام بواجب الشكر . حتى يكون الانسان عبدا شكورا . ولا يكون عبدا كفورا . وقيام العبد بواجب الشكر ينحصر في عبارة موجزة خفيفة الوقع على النفوس الزكية شديدة الوقر في ءاذان الطغاة المتمردين الا وهي الرجوع الى الله في جميع الاحوال والانقياد الى احكامه على كل حال وهو معنى التبعيد لله تعالى الذي خلق من اجله الانسان المشار اليه بقوله تعالى وما خلقت الانس والجن الا ليعبدوني على ما فسر به ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات . وهذا نعلم ان للسعادة شعبا ومسلك هذه الشعب الانقياد والتقوى . وللشقاوة شعبا ومسلكها اتباع هوى النفس الامارة . وقد جاءت الشريعة الاسلامية متكفلة بتوضيح تلکم الشعب والمسالك في ضمن التكاليف وعلى وفق مصالح العباد بحسب تقرير الشارع الحكيم . وما دام العبد مسائرا لما حددته الشارع قائما بوظائفه العامة والخاصة على وفق تعاليم الدين كانت تصرفاته طاعات يرتجي من ورائها امثاله ثوابا عظيما . وأخص ما يتقرب به العبد الى الله بالاصالة العبادات المفروضة وذلکم الايمان وتوابعه التي هي قواعد الاسلام الخمس والاسس المتينة التي اقيم عايها هذا الدين الزكي فالله تعالى تعبدنا بالصلاة والصيام والزكاة والحج كما تعبدنا بتوحيده والاعتراف بربوبيته وجعل سبحانه في هذه العبادات منافع للناس لو كانوا يعلمون وخص منها الصيام بمزايا عظام ودرجات عليا فجعله بين سائر العبادات له تعالى . وعظم ثوابه بما فيه من القرب والاختصاص . وأكرم به من فريضة جاء في التنويه بشأنها والتنبيه على سمو مقامها قوله عز وجل

« يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »
فالله فرض الصيام على المسلمين وكتبه سبحانه علينا كما كتبه على اهل الملل السابقة فكان ركنا من الاديان سابقا ولاحقا لانه من اخص العبادات . واغوى ذرائع التهذيب . يتجلى فيه معنى الاخلاص . وترصو به النفوس . فتتحلى بصفات المتقين التي هي المنزلة التي يسعى الى بلوغها اهل الحق والرضوان زيادة عما شرف به الزمان الذي هو ظرفه الذي يقع فيه بما جاوره من نزول القرءان . فابقاع هذا النوع من العبادة في شهر نزل فيه القرءان اقرار بما شمل الانسان من الهداية . وشكر للنعم على ما اسدى لعبده من العناية والتوفيق . وفي قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اعلام منه تعالى بانه فرض علينا الصيام كما فرضه على الذين من قبلنا

وتأكيد الامر هذه الفريضة القائمة للامم في عامة الاديان، وترغيب فيه بما يحرض على الامتثال وعدم الترك والتبديل .

والصيام عرف عبادة يتقرب بها في سائر الشرائع . ولا يزال اهل الاديان يصومون ويتقربون بهذه العبادة ، الى يوم الناس هذا . على ان من ينكر فريضة الصيام في عامة الشرائع محجوج بتصريح القراء بأنه كتب على الذين من قبلنا القاضي اسم الموصول فيه بالعموم فلم يبق ريب في ان الصيام فرض في جميع الشرائع السابقة . اذ عموم الأشخاص يستلزم عموم الاحوال والازمنة والبقاع كما هو مقرر في علم الاصول الدالة عليه جزئيات الشريعة . غاية ما هنالك ان الاختلاف بين الشرائع كان في المقدار والوقت . فكان في كل شريعة بحسب الحكمة القاضية بالتعيين والصفة وعظم الحادثة التي حدثت فوقت بها . على ان التباين في الكمية والكيفية لا يعد اختلافًا في اصل العبادة

ثم ان كيفية صيام من قبلنا لم تبيها الآية كما انها لم تبين الكمية لان بيان ذلك لم يتعلق به غرض المشرع بالنسبة لنا واما الصفة التي هي المقصد فجاءت ظاهرة المعنى في قوله تعالى : كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم فاعلموا ان الصفة الواجب . وعدت الآية الكريمة من قبيل اجمل قال ابو بكر الحنبل لما لم يكن في قوله كما كتب على الذين من قبلكم دلالة على المراد في العدد وكيفية الصيام وفي الوقت كان اللفظ مجملًا . الى ان قال رحمه الله فلما قال تعالى في نسق التلاوة شهر رمضان الذي انزل فيه القراء ان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . بين ذلك عدد الايام ووقتها . اه كلامه . فأية : فمن شهد منكم الشهر فليصمه . جاءت مؤكدة للوجوب الذي علم من قوله سبحانه وتعالى كتب عليكم الايام . فان معناه فرض عليكم كما في قوله عز وجل : كتب عليكم القتال . وقوله : ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا .

فالله سبحانه شرع لنا الصيام وفرضه علينا كما فرضه في الشرائع السابقة التي لحقها من اهلها التبديل والزيادة والنقصان حتى تحولت العبادة التي كانت لله الى غيره واشركوا في الله بغير علم ففسدوا خسرانا مبينًا . ونهنا سبحانه في الآية الى مخالفتهم

ومشروعية صيام رمضان كانت في السنة الثانية من الهجرة الشريفة في شعبان . فصامه النبي صلى الله عليه وسلم وصامه المسلمون معه في رمضان الموالي للشهر الذي جاء فيه الشريعة وقد بين الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ان صيام رمضان شرع على معنى الطاعة والعبادة لله تعالى كما جاء في الحديث القدسي الذي املفنا الكلام على معناه . وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة عز وجل : الصيام لي وانا اجزي به

هذا وقد ارشدنا العزيز الحكيم لحكمة هذه الفريضة . وسر مشروعية هذه العبادة الفاضلة بقوله عز وجل لعلمكم تتقون بما دلت عليه لعل من اعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى فالصوم يبيىء النفوس للتقوى التي هي نبراس الهدى . وذلك يتجلى من وجوه تقتصر منها على وجهين اولها ان الصيام موكل الى نفس الصائم لا رقيب عليه سوى الله تعالى . وسر بين العبد ورب لا يطلع على حقيقته غير سبحانه ففيه ترك المؤمن شهوته امتثالًا لامر ربه . وخضوعًا لما جاء به نبيه . ملاحظًا ذلك في سائر احواله وكل ما تأقت نفسه لشهوة صدها عن التعدي عن حرمت الله ولو ما اطلع الله تعالى عليه وعليه بحاله لما ترك اطفاء شهوته فهذه صفة الملاحظة التي يورثها الصيام . ثانيها : ان الصائم يتكرر ملاحظة خشية الله تعالى للقيام بفريضة شرعية تتكون له ملكة المراقبة لله عز وجل ان يراه حيث نهاه . وذلك كمال الايمان وحصول التقوى التي هي صفة الابرار المقربين وبذلك يسلم من معاطب الزلل . فان المسلم متى جعل نصب عينه ان الله يراقبه في سائر احواله . ومهما هم بفعل امر تجلت له هذه الحقيقة . وشع نورها امام بصيرته . سلم من الوقوع في المحضورات وتجنب المنكرات

وذلك الفوز العظيم اما اذا ستر بصيرته حجاب الغفلة وأهمل شأن نفسه واتبع هواه فلا هو يعنفها اذا همت بالمعصية ولا هو يلاحظ انه بين يدي رقيب عتيد يعلم ما تطهره الانفس وما تخفيه الصدور فذلك تتحكم فيه الشهوة الى أبعد حد ويقدم على المعاصي بكل استهتار وبدون خجل وما وقع في معصية الا وأفضى به حاله هذا الى ما هو اعظم منها وخطر وليس هناك ما يصد عنه غيه ويرده الى رشده ما دام امر الملاحظة لا يخطر له على خاطر ومراقبة الله ليس من سبيل الى مثولها امام ناظرة وعلى عكسه من اصبحت مراقبة الله له ملكة يلحظها في احواله ويزكي بها نفسه في اقواله وافعاله امسك راية الفلاح باليعين وتأهل لمرتبة الناجين ثم مقام المقربين وحين أولئك رقيقا

واذا علمت ان روح الصوم هذه الملاحظة والمراقبة تجلي لك سر اضافة الصيام الى الله عز وجل في الحديث القدسي وظهر لك كيف يكون الصيام النفوس حتى تهيم لتقوى الله الذي دل عليه قوله تعالى لعلمكم تتقون وعلمت ايضا كيف يكون الصيام جنة يستمر القائم به وبقية لفرط خشية الله عز وجل من الوقوع في المنكرات كما ورد في الحديث الصحيح الصيام جنة .

واذ قد تبين لك مبلغ تأثير الصوم في دقة الملاحظة ومراقبة العزيز العليم الذي لا تخفاه خافية الاعين وما تخفي الصدور وتجلي لك ان ما يصدر من الناس في شهر رمضان من الذنوب سببه ضعف هذه المراقبة ومتى انعدمت الاسباب انعدمت مسبباتها وتصبح العبادة شجعا بلا روح وهو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش

وهو جوابنا عن الابرار الذي اوردته بعض الافاضل كيف يكون الصوم التقوى مع ان الناس يحدثون من الفجور مع الصيام ما لا يرتكبونه في الافطار وهو على وزان جوابنا على ايراد كثرة فواحش المصلين والله يقول ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

ومن هنا قسم اهل المعرفة الصوم الى ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص ولهم بيانات في تفسير الدرجات وعندي في تقسيم الصوم الى درجات ثلاث الاولى صوم العموم وهو الامساك عن الفطرات من غير خشية ولا مراقبة . وهذه الدرجة لا تشر على الصائم جلباب التقوى فيكون انتفاعه بصومه ضئيلا . ولم يتحقق مع هذا الصوم سره ومعناه فجاء عبادة بلا روح فلا يحصل منه المقصد الاسمي ولا تزكو به النفس ولا تتال به الدرجة السامية الدرجة الثانية هي التي اشار لها حديث كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وهو صوم الفاسق الفاجر .

الدرجة الثالثة صوم من اتقى ونهى النفس عن الهوى فحصل له من الصوم سره ومعناه ولازمته الخشية والمراقبة . فحصل على رضى الرحمن ونال عند ربه جزاء وشكورا . وهذه الدرجة مع ما فيها من الامتنال هي درجة الخوف من غضب الله والوقوف عند الامر ومراقبة الله في احوال العبد . ويسمى العبد في تلك المراتب حتى يبلغ الى الكمال وهي الدرجة التي اشار اليها حديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه احمد والشيخان واصحاب السنن .

فليضع الانسان نفسه في اي الدرجات احب . وموفور الكرامة لا يرضى لنفسه بالدون ويعتبر في صومه ما ندبه الشارع واختاره اليه من الكمالات ويحقق في نفسه معنى قوله تعالى لعلمكم تتقون فيلازم المراقبة والخفية والتجلي والتقوى وما يتبعها من كمالات ومن كانت هذه صفته كان راضيا مرضيا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصداقها المصيبة من قلدت من جملتها مع التيقن من المصطفى

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء العاشر - تونس - في شهر ربيع الثاني ١٣٥٩ وفي ١٠ ماي ١٩٤٠ المجلد الثالث

صاحب المجلة والمدير:

عبد الشاذلي القاسبي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

٢٠٤٠

تس الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

الفهرس

صاحبه	المقال	صحيفة
مدير المجلة	ختم المجلد الثالث	٤١٥
صاحب الفضيلة العلامة الهمام الشيخ سيدي	خطاب الاستاذ الاكبر في حفلة التنصيب	٤٠٦
محمد العزيز جعيط المكلف بمشيخة		
الجامع الاعظم		
العلامة الشيخ سيدي البشير النيفر الاستاذ	ترجمة فقيه العلم الشيخ محمد بن يوسف	٤٠٨
بجامع الزيتونة	شيخ الاسلام كان	
العلامة الشيخ سيدي الصادق المحرزي	نبذة من حياة شيخ الاسلام	٤١٢
الاستاذ بجامع الزيتونة		
"عالم الشيخ سيدي محمد الناصر الصدام	حول حياة فقيه العلم	٤١٤
المدرس بجامع الزيتونة		
العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن	مسند الرؤسة المذهبية الحنفية في الدولتين	٤١٧
الحوجة مستشار الحكومة التونسية	المرادية والحسينية	
الاديب الكبير الشيخ العربي الكبادي	فجع الوري وتضعف الاسلام (قصيدة)	٤٢١
العالم المدرس الشيخ سيدي علي النيفر	رثاء شيخ الشيوخ رحمه الله (قصيدة)	٤٢٢
العالم المدرس الشيخ سيدي الطاهر القصار	رثاء خاتمة المحققين	٤٢٤
محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة	موت العالم ثلثة	٤٢٦
سعادة امير اللواء الاستاذ حسن حسني عبد	الشرف الحسني والحسيني بافريقية	٤٢٨
الوهاب رئيس القسم الثاني بالادارة العامة		
والبلدية		
العالم امير الامراء الاستاذ محمد الصالح مزالي	بعثة خير الدين للاستانة سني ١٢٨١ -	٤٣١
عامل بنزرت	١٢٨٨ - تعريب الفرمان السلطاني حسبما	
	آل اليه	
الاديب الاستاذ احمد المختار الوزير	الحيال في الادب العربي	٤٣٣
	الفهرس العام للمجلد الثالث	٤٣٦

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصديدها بمكة المكرمة في شهر ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ في ماي ١٩٤٠ م

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء العاشر - تونس - في شهر ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ وفي ماي ١٩٤٠ م المجلد الثالث

ختام المجلد الثالث

باسمك اللهم تفتح مهمات الامور وتختتم ومن فضل جودك يستمد التوفيق والهداية والثبات على العمل الصالح وبتأييدك لنا تغلب على عواصف الحوادث فتدك امامنا دكا ويعود لنا نشاطنا بعد المصارعة وما النصر الا من عند الله

وبعد فان المجلة الزيتونية قد عرضتها من الحوادث ما اضعف من نشاطها في بحر سنتها الثالثة وهي مع ذلك تقاوم وتتدبر بالصبر والتجملد ثم يكتب لها التوفيق والفوز في النهاية لا سيما في هذه الاشهر الاخيرة وقد تعثر منها الجزء العاشر من مجلدها الثالث وهو الجزء الاخير لهذه السنة ولم يساعده الحظ ان يتبع سير ما سبقه في الصدور في موعده فاحتجب قسرا لا عن اختيار وقد تطاولت الاعناق وتكرر من نصراء المجلة ومريديها السؤال عن المجلة ولا غرابة في ذلك فان المجلة مشروعهم العلمي فاذا ظهرت منهم العواطف الحسنة فما ذلك الا حرصا على المشروع ان يتنابه ما زرع اركان المشاريع النافعة من قبله واردى بها في حضيض الاهمال ونحن نعتمد على الله جل جلاله ان يكلا هذا المشروع ويحفظه حتى يستمر على طريقته المثلى ويؤدي مهمته

ونحن بهذا العدد نختم المجلد الثالث للسنة الثالثة راجين من قراء المجلة الافاضل الصفح وعدم المؤاخذه على هذا التأخر الجزئي ونحن اشد حرصا على متابعة السير بقوة عزيمة ونشاط لا يعثره فتور ولا كلل حتى لا يبقى مكان المجلة شاغرا في ميدان العمل الصالح والله المسؤول ان يأخذ بأيدينا الى ما يرضاه انه سميع مجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب الاستاذ الاكبر

صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سبدي محمد العزيز جعيط
المفتي المالكي والمكلف بمشيخة الجامع وفروعه

هذا نص الخطاب الذي القاه فضيلته امام محراب
جامع الزيتونة يوم تكليفه بمشيخة الجامع في
موكب حافل حضره شيوخ المعهد الزيتوني وتلامذته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين ومن
تبعهم باحسان الى يوم الدين . اما بعد فيا زملائي حضرات شيوخ المعهد الزيتوني العلمي ويا ابناء
الاعزاء النجباء .

اذا كان شكر المنعم يندب اليه الشرع ويغري به الطبع وجب علي ان اشكر المقام الملكي مقام
المليك الاسمي سيدنا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية دام له العز والتأييد ولا شكر الرياض
للامطار والنسيم للازهار والعليل للشفاء والافق للضياء لما نفع به ايده الله من جميل وحاط به من
عناية فمنح ثقتة هذا العبد الضعيف في ادارة المعهد الزيتوني وفروعه على وجه تستجد به المعارف
رواها وتقوى به اضواؤها وانها المهمة تنوء بالعصبة اولى القوة الا اذا صحبها حسن النية ولحظ المضطلع
بها التوفيق فانارت المناهج له اضواء الاستقامة وذلل الصعاب فقاذ البصيرة وصدق العزيمة الامر الذي
اقتض ساني العلامة التحرير الهام فكان سباق غايات ومعجزة آيات وعلقا ضنيانا به في المهمات .

سادتي لم اتلق هذه الولاية بيد الاحجام مع علمي بثقل وطاها وقوة شكيبتها وانها مهمة يكبو
في مدحظتها الجواد وينبو في معمعتها الصارم ويهفو في مشكلتها العالم الحرث ثقة بشيوخ هذا البيت
المعمور واعتمادا على الاستفادة من راحة احلامهم وسعة معارفهم وحنكة تجاربهم .

زملائي الاعلام اذا كانت المصلحة العامة هي ضالنا المنشودة والرقى العلمي هو مناط الرجاء
وجرى كل منا في دائرة عمله على ما يحقق هذا الامل ويبرز هذه الامنية بلا ريب ان الله يمدنا
باعاته ويحوظنا بحسن رعايته ويفجر لنا ينابيع الحكمة ويوطؤنا اكناف النعمة ويفسح للناشئة العلمية

مجال المعارف وينبت نباتا حسنا بيد ان السبيل لادراك هذه الغاية انما يحصل بالاعتصام بحبل التقوى وكبح جماح الاهواء وشق عصا الشقاق وارتضاع افويق الوقاق والترفع عن ذميم الاغراض والعروج الى مستوى النصفة والتجافي عن سوء الاحدوث وتقوية العاطفة العلمية فاهل العلم ابناء علات يلزمهم تمتين عرا التناصر ونفخ روح التودد والتراحم فلا تقاطع ولا تدابر ولا تباغض ولا تحاسد ولا اسرار حسد في ارتقاء ولا اغماض عين على قذى فطلى من ابصر اخلا في مزلة ان ياخذ بضبعه حتى لا يصرع وعلى من احس بخلل في الادارة ان يبادر بالنصيحة فالادارة هي متداكم وعيبة نجواكم وحصن منعتكم الذي تدافعون عنه وتاوون اليه كيف لا وجميعنا على بينة من ان الرئاسة في الاسلام على اختلاف اصنافها وكثرة القابها وتباين اوصافها لم تشرع الا لصيانة الحقوق ورفع صرح الحيرات وحراسة المصالح من ان تعبت بها ايدي الشهوات فلنسر على هذا الضياء لنحمد السرى ونظفر بالغبية

ابناءى النجباء يلزمكم ان تنظروا للحقائق بعين البصيرة وتهتموا بتحسين السيرة واصلاح السريرة فالآمال معقودة بنواصيكم والظفر بالاماني منوط بمجهوداتكم واتم شغل التراث العلمي وروى المثل ومرتع حذب الشيوخ ومحط عنايتهم ومركز تدبيرهم ومبعث تفكيرهم فمن حقهم عليكم مقابلتهم بالبر والتوقير واتباع نصائحهم الثمينة الرامية الى الاتبال على مناهل العلم بهمة لا يعترها فتور والاعراض عما يشغل مقاعد افكاركم بغير العرفان ويضيع نفيس اوقاتكم في غير حسن التلقي والمطالعة فان ابان التعلم كاهام القطاة والحياة هدف عوائق ودرية عافات والتعلل بسعة المستقبل غرور فالعاقل من لا يؤخر عمل يومه لغده ومن اضاع فرصة التعلم سقط في بده ومن اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يرجيه واعتبروا ايها الابناء الاعزاء ان مشيخة الجامع لكم بمنزلة الحارس الامين ترقيق ماء قواها في سبيل حفظكم من عبث العاصين ونفثات الغاوين ومتى تبالغوا اشدكم وتستبينوا رشدكم تستيقنوا سديد اعمالها وتستعظموا محكم صنعها وتترادف عليكم بواعث الاقرار لها بالجميل وحب الالتفاف حولها والله المسئول ان يمد الجميع بتوفيقه واعاته حتى نقوم بالواجبات طلبه وقادة وبيعت بينا عزائم وقادة لنحقق للعلم مرادة وان يرزقنا الاخلاص في العمل ويعصمنا من كئاب الهوى ودواعي الكسل حتى تصبح المساعي الحميدة ناجحة بحرمة خير الانبياء وبركة سر الفاتحة



ترجمة فقيه العلم والرسوخ

شيخ الشيوخ الاستاذ الأكبر شيخ الاسلام الحنفي
سيدي محمد بن يوسف رحمه الله رحمة واسعة

بقلم العلامة الاستاذ
الشيخ محمد البشير النيفر

فجعت البلاد التونسية والاندية العلمية ودار الشريعة العامرة في ضحى يوم الخميس الخامس والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والـف بوفاة الامام العلامة الفهامة شيخ الجماعة الشيخ سيدي محمد بن يوسف فراع موته كل من يقدره قدره ويحيط بسعة الفراغ الذي تركه في العلم ومذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه ، وحياة كحياة هذا الامام الجليل قضى اكثرها في خدمة العلم بجامع الزيتونة ، وازدوج النفع بها اكثر من ربع قرن بينه وبين دار الشريعة يجب ان يسجل تاريخها الحفيل بقلم الانصاف والتحري ، لذا راينا ان ندون هذه الكلمات تخليدا لذكره وتعريفا بقدره لمن لا يعرفه من اهل البلاد النائية عنا وفي مجملها ما ينبىء عن تفصيل ،
« اصل الشيخ ونشأته وطور الاستفادة والتحصيل فيه »

هو الشيخ محمد بن يوسف بن ابراهيم تعرف اسرته باسرة التركي وفيها الى اليوم من يدعى بهذا اللقب ، وادركت من المتقدمين في العمر من يلقب به صاحب الترجمة رحمه الله .

ولد هذا الامام حوالي سنة سبعين ومائتين والـف (١) فيما يظهر فان اترابه الذين رافقوه في طلب العلم ولدوا في هذه السنة او ما قبلها مما لا يبعد عنها ، ويؤيد هذا ما سمعته يفضي به رحمه الله الى بعض الشيوخ في احد مجالس امتحان التطويق سنة ١٣٣٦ وهو يومئذ يتولى النيابة عن الشيخ العلامة محمد رضوان القاضي الحنفي سمعته وهو يشكو ضعف قوته يقول : كيف حال من عمره خمسة وستون عاما او ما هذا معناه .

وقد سجل في قصيدة له رثى بها عصره العلامة الشاعر المبدع الشيخ ابا محمد حمودة تاج المثقوف في صفر عام ١٣٣٨ انه عاشرة ستين حولا اذ قال فيها :

وما انا بالناسي اخاء تأسست على البر والتقوى قديما معاقله

نرددة ستين حولا من الصبي الى هرم مدت النجا جائله

والشيخ حمودة رحمه الله مولود في نحو سنة سبعين على ما سمعت منه قيل وفاته

(١) كنا سمعنا من الشيخ رحمه الله انه ولد في عام ١٢٧٤ (المجلة)

ولما بلغ سن القراءة دخل مكتب كوشة طاباق فشرع به في حفظ القرآن الحكيم ورافقه في القراءة به الشيخان الجليلان عبد العزيز تاج وشقيقه ابو محمد حمودة وكان هذا مبدأ تعرفه بهما ، وسمعت منه رحمه الله ان ممن رافقهم ابنا للعلامة الشيخ ابي العباس احمد بن ابي الضياف توفي ولم يبلغ الحلم ، وذكر لي اسمه وفي ظني انه المختار .

ولما اتم حفظ القرآن دخل جامع الزيتونة لاختذ العلم به والظاهر انه دخله سنة تسع وثمانين فقد حدثني رحمه الله انه رغب هو واحدر فقائه من الشيخ العلامة محمد الطاهر النيفر ان يقرئهما القطر فوعدهما الاجابة ولم يعض الا قليل حتى رقي الشيخ الى قضاء الجماعة في جمادى سنة ١٢٩٠ والمعروف ان القطر انما يدرس في السنة الثانية من سني التحصيل .

ورافقه في الطلب نفر لحقوا برهيم ، وخلد في الصالحات ذكرهم منهم الشيخ العلامة ابو الفداء اسماعيل الصفايحي القاضي الحنفي المتوفى بالقسطنطينية سنة ١٣٣٧ والشيخان الجليلان عبد العزيز تاج وشقيقه ابو محمد حمودة والشيخ العلامة المدرس ابو الحسن علي الشنوفي رحمهم الله اجمعين ، وكانت الصلة بينهم متينة السبب وطالما سمعت منه رحمه الله من حسن الثناء عليهم ، والتتويه باقدارهم في العلم والرسوخ . وشهدت من مظاهر احتفاظه بمودتهم ما عرفني بمكاني خلقي الانصاف والوفاء من الشيخ رحمه الله ، وكان يختص بزائد الثناء من بينهم الشيخ اسماعيل الصفايحي ويقول هو الذي كان يسيرنا وكنا عن رأيه نصدر .

وكان اخذه عن ثلة من علماء ومحقق ذلك العصر ، فاخذ عن الشيخين المدرسين ابي عمرو عثمان الشامخ وابي العيش عمار بن سعيدان الاجرومية بشرح الشيخ خالد وعن الشيخ العلامة المحقق ابي عبد الله حسين بن حسين الالافية بشرحي ابن عقيل والاشموني وعن الشيخ العلامة النظار ابي الحسن الشاذلي ابن القاضي بعض كتب المنطق الابتدائية والمطول والمغني وعن الشيخ العلامة ابي العباس احمد ابن مراد بعض كتب الفقه وعن الشيخ العلامة ابي عبد الله محمد الطيب النيفر متن التلخيص للقزويني وعن الشيخ العلامة ابي الثناء محمود بيرم الدرة والالافية بشرح الاشموني والكنز وعن الشيخ العلامة ابي عبد الله محمد النجار وعن الشيخ العلامة ابي النجاة سالم ابي حاجب وعن الشيخ العلامة ابي حفص عمر بن الشيخ وعن الشيخ العلامة ابي النخبة مصطفى رضوان وحضر بعض دروس تفسير القاضي البيضاوي التي كان يلقيها بجامع الزيتونة العلامة المحقق الشيخ ابو العباس احمد بن الخوجة ، ولزم من بين هؤلاء الاساتيد الشيخ ابا عبد الله حسين بن حسين والشيخ ابا الحسن الشاذلي بن القاضي واستفاد من مجالسهما الخاصة في بيتيهما ومن محركاتهما التي كان يستنسخ بعضها مثل ما استفاد من دروسهما العامة بجامع الزيتونة .

كان طلبه للعلم طلب ذي همة عالية وفكر وقاد وصادف اثناء مدة طلبه ان احيى الوزير الطيب

الذكر خير الدين المكتبة العبدية ونقل اليها ما بقي من الكتب الموقوفة بالجوامع والمدارس والزوايا وما اشتراه من كتب العلامة شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد يريم الرابع فعني رحمه الله على ما سمعت منه بمطالعة اكثر هذه الكتب او كثير منها واستفاد منها ما زاد في تضلعه ورسوخه وعني بمطالعة كتب الادب . وفيه نفسية الشعر والكتابة فاجادهم على الطريقة المعروفة في ذلك العصر وما يعرف من شعرة قليل وآخر ما سمعنا منه قصيدته الرنانة في رثاء صديقه العلامة الشاعر الشيخ ابي محمد حمودة تاج ، وقد ذكرنا في صدر ترجمته بيتين منها .

ثم تقدم لامتحان التطويع سنة ١٢٩٧ وكانت مادته يومئذ درسا فحسب فظهر بمظهر جليل في التحقيق وحسن البيان واعجب به شيوخ النظارة اعجابا واخرج منه الامتحانات لجامع الزيتونة مدرسا ينفع الناس بعلمه الواسع وفهمه الثاقب وبيانه الرائع وتحقيقه البديع ، ودخل الشيخ من يومئذ في « طور الافادة »

شرح صاحب الترجمة رحمه الله بالتدريس في بعض مساجد الحاضرة ومنها المسجد المعروف بمسجد « قدار » فتناول بعض الكتب الابتدائية وغيرها في فنون مختلفة ومنها النحو وكان مما درسه فيه شرح الاشموني على الالفية ولم ينقطع عن الاستفادة من محاسن دروس شيوخه الاعلام حرصا في التوسع في العلم ورسوخ القدم فيه ولم يمض الا نحو من نصف حول حتى شغرت خطة مدرس من الرتبة الثانية الحنفية وكان الاختيار للتدريس يومئذ حقا للنظارة العلمية بجامع الزيتونة وليس من شرط ارتقاء المتطوع لهذه الرتبة الاقراء عامين ، وكنت سمعت منه رحمه الله في شان اختياره ان مجلس النظار اجمع واستحضر بعض شيوخه الجريدة التي بها اسماء المتطوعين لاختيار احدهم لخطة التدريس فقال المرحوم العلامة قاضي الجماعة يومئذ الشيخ محمد الطاهر النيفر لا حاجة بنا الى الجريدة لتعرف اسماء المتطوعين منها فالامر يتردد بين الشيخ محمد بن يوسف والشيخ اسماعيل الصفايحي وارى الاقراء بينهما فنقذ رايه رحمه الله وساعد القدر صاحب الترجمة فتمت ولايته ونقل الى جامع الزيتونة بعض دروسه التي كان يلقيها خارجه ومنها شرح الاشموني على الالفية .

ابتدأ التدريس بالجامع في سنة ثمان وتسعين ففزع الناس وافاد ورعى الطبقات المتابعة وتخرج من دروسه الحافلة اعلام محققون زانوا التدريس بجامع الزيتونة ومناصب القضاء والافتاء ودواوين الحكومة على اختلافها وتناول الكتب الابتدائية والمتوسطة والعالية في فنون مختلفة فقتل مسائلها تحقيقا وتحريراً وقد أوتي رحمه الله من طلاقة اللسان وحسن البيان ما يستهوي الاسماع والنفوس ويمتلك العقول والقلوب وكانت طريقته في التدريس تجمع بين تحقيق مسائل العلم وعبارات المؤلفين مبينة كيف يستفاد العلم من كلامهم . وكان معاني بتدريسه مختصر السعد وشرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ، ودرس قطعة من دلائل الاعجاز للشيخ عبدالقاهر وجملة صالحة من مشكل الآثار للطحاوي والكنز في

الفقه الحنفي بشرح الزيلعي والشفاء للقاضي عياض ثم اختص بعنايته التفسير والحديث فشرع في تدريس تفسير القاضي المضاوي وصحيح البخاري وعني بتتبع - واثني عبد الحكيم على تفسير القاضي وكتب عليها حواشي نفيسة افردها بالتدوين واطلعي رحمه الله على بعضها ، وكان يكبر مقام الشيخ عبد الحكيم علما وفهما ولا يسارع الى انتقاد كلامه وينكر جده الانكار على من يتساهل في نقده ومضي في تدريس التفسير الى ان ختم سورة البقرة في زهاء ثمانية عشر عاما تخللها انقطاع عن التدريس غير مرة لاعتلال صحته او مباشرة القضاء بالنيابة ، واما صحيح البخاري فقد درس طائفة منه ولم يتمه ، واشرب في قلبه التدريس فكان يسرع اليه الملل من النيابة في القضاء لانها تصرفه عنه ، وكانت المدة التي باشر فيها التدريس نحو من اربعة وخمسين عاما بث بها العلوم النافعة في صدور الرجال ، والله ولي جزائه .

وظائفه

وفي اوائل عهده بمباشرة التدريس تصدر للشهادة وتبرز في التوثيق ودخل ادارة الاوقاف فتدرج في رتبها من الشهادة فالكتابة برئاسة الكتابة فبالعضوية بمجلسها ثم رقي الى التدريس من الرتبة الاولى في سنة ١٣١١ وكان قد صدر قانون المناظرة ناسخا ما كان من تفويض الامر في الاختيار الى النظارة العلمية ، ولكن اقرانه من مدرسي الطبقة الثانية يومئذ تنازلوا عن حقهم القانوني في مناظرة فخلصت الحظوة له بدون مناظرة .

وفي شهر ربيع الاول من سنة ١٣٣١ ولي الفتوى فازدوج النفع به بين دار الشريعة وجامع الزيتونة ، وافاد بفتاواه المحرزة وقد دونها في ديوان خاص ، وفي سنة ١٣٥٠ ولي الامامة والخطابة بجامع حودة باشا المرادي وخطب به خطبا نفيسة من انشائه واقام به سبعة اختتام كانت مهبط تحقيق وافادة وعني بها الجنب العالي ايده الله فحضرها .

وفي المحرم من سنة ١٣٥١ ارتقى الى منصب مشيخة الاسلام الجليل ، ولم تصرفه الولاية عن مباشرة التدريس فدرس بعدها نحو من حول وكانت الايام تال من قوته وصحته ، ولكنها لا تنال من عزيمته ومهمته وغرامه بالعلم مطالعة ومذاكرة وافادة وكثيرا ما تعتل صحته ويلزم الفراش فنعوده ونشهد من اثر السقم في بناء جسمه ما نحترس معه من مجاذبته اطراف الحديث في المسائل العلمية ولكنه رحمه الله رحمة واسعة لا يملك نفسه ان يوغل في الحديث فيها ويطيل كأن المذاكرة في العلم دواء يعالج به سقمه .

وكان على مباشرة التدريس والفتوى يؤلف ويحرر . واذكر من مؤلفاته رسالة في الكشف عن ضلالات وبدع كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » - وكان عضوا او رئيسا للجنة التي شكلتها النظارة العلمية يومئذ للنظر في الكتاب يوم بروزة - وحواشيه على حواشي عبد الحكيم على تفسير القاضي ورسالة في كم . واختامه السبعة في الجامع الباشي . وشرع في رجز في الاحكام على المذهب الحنفي حاكي به التحفة لابن عاصم المالكي ولم يتمه .

ولم يرح فقيده وينفع الى ان ألم به مرض الموت في رجب سنة ١٣٥٨ واخذت صحته تتحط يوما فيوما وقاضت روحه في التاريخ السالف الذكر . وشهد الجنب العالي ايده الله موكب جنازته طبق الرسوم المألوفة ، وصلي عليه يوم الجمعة بطحاء القصة ودفن بالزلاج ، بعد ان انشد جملة من فحول الشعراء القصائد الرنانة في رثائه فرحمه الله رحمة واسعة ووفاه اجرة انه جواد كريم .

نبذة من حياة شيخ الاسلام

سيدي محمد بن يوسف برد الله ثراه

بقلم العلامة الاستاذ
الشيخ الصادق المحرزي

انتظمت في سلك تلامذة الجامع الاعظم جامع الزيتونة ادام الله عمرانه في شهر شوال المبارك سنة ١٢٩٩ وكان الشهر المذكور مفتتح السنة الدراسية في ذلك التاريخ فوجدت الشيخ رحمه الله يقري قبل الزوال متن الالفية بشرح المكوودي بدرس حافل يحضره اعيان تلامذة تلك الطبقة منهم الشيخ صالح الشريف والشيخ عمر بن عاشور وكلف الشيخ اذ ذاك مدرسا من الطبقة الثانية وسنه يقارب الثلاثين سنة فيما اظن ويحضر هو نفسه في المساء درسي المطول والمغني على شيخ الشيوخ العالم الجليل سيدي الشاذلي ابن القاضي مع اعيان من معاصريه كالشيخ اسماعيل الصفايجي والشيخ حمودة تاج وغيرهما كما يحضر قبل الزوال درس الشفاء على العلامة المقدس سيدي محمد النجاشي رحمه الله وكنا نحن تلامذة الطبقة الصغرى نجب من دروسه لما خصه الله تعالى به من فصاحة اللسان وحسن البيان وكثيرا ما نقف حذوها مستمعين ولجواهرها ملتقطين وعندما تاهلنا لقراءة الكتب المتوسطة حضرنا عليه في درس الملوى على السلم فاستفدنا منه تحريرات وتحقيقات لحواشي الصبان كانت وشاحا للنسخ التي قرانا بها عليه وحتمناه في مدة عامين فطلبنا منه اقراء مختصر السعد على التلخيص فاجابنا لذلك وكانت الطريقة في ذلك العصر ان التلامذة يطلبون من الاساتذة اقراء ما يحتاجون اليه من الكتب وتجييبهم المشائخ لمطالبهم اذا كان الكتاب من كتب الدراسة القانونية وفي التلامذة كفاءة واهلية والا فانهم يشيرون عليهم بكتاب اخر هو انفع لهم فابتداه رحمه الله من خطبة الشارح ولم يهمل فوائدها فحضر عليه اعيان من المتطوعين في ذلك العصر نخص منهم بالذكر الشيخ سيدي محمد بن القاضي المتوفى في خطبة القضاء قدس الله روحه والشيخ سيدي عمر بن عاشور والشيخ سيدي الصادق بن ضيف والشيخ سيدي محمود ابن موسى المفتي بالمنستير والعبد وغيرهم فقرانا عليه جانبنا من مختصر السعد قراءة تحقيق وتحجير بتتبع لحواشيه وحواشي المطول كالسيد وعبد الحكيم مدة اربع سنوات في يومين من الاسبوع وله عليها تحريرات وتحقيقات لم تزل محفوظة عندي الى الآن ولما وصلنا فيه لقول الخطيب القزويني فينبغي ان يقتصر من التركيب على قدر الحاجة طوى الكتاب وامتنع الشيخ من الزيادة بدعوى حصول المقصود من تربية الملكة والتعمرين على فهم الكتاب بما قرانا منه قائلا لنا ان شيخهم سيدي عمر بن الشيخ كان اقراهم الاشعوني قراءة تثقيف ولما بلغ لقول ابن مالك وليقصر ما لم يقل طوى الكتاب واذنهم باقراءه وانا لكم مثله

وكان التدريس في ذلك العصر بالنسبة للكتب الابتدائية وما يليها يقتصر فيه على بيان المتن والشرح وحفظ القواعد والمذون بحيث لا يقرأ التلميذ كتابا الا بعد ان يحفظ متنه وكان الكثير منا يحفظ الالفية على طرف ثمانية ومتن التلخيص والعاصمية وغالب متن الكنز واخليل والنسبة للكتب العالية طريقان طريقة تحصيل وعليها غالب المدرسين فيقتصر فيها على بيان الشروح والبعض من الحواشي وقد امكننا بها ختم الاشعوني في ثلاث سنوات واشهر على استاذنا سيدي حسين بن حسين وختم مختصر السعد في ثلاث سنوات على الشيخ سيدي مصطفى رضوان والطريقة الثانية طريقة تربية الملكة والثقافة وعليها جلة من الاساتذة كالشيخ سيدي سالم ابي حاجب وسيدي عمر بن الشيخ وسيدي

محمد النجار وشيخنا سيدي محمد بن يوسف وغيرهم وكان شيخنا المذكور كثيرا ما يشد في اثناء الدرس .

اذا لم يكن في مجلس التدريس نكتة وتحرير اشكال باوضح صورة فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد ولا تترك فالتترك اقبح حلة ولعمري ان لكل من الطريقتين مزاياها وخصائصها والتلهيذ يجمع بهما بين تحصيل العلم والمملكة وكان شيخنا سيدي محمد النجار قدس الله روحه اذا ابتدا كتابا من الكتب العالية يقول انا لا اقصد ختمه ولكن اقصد ان اقرئ منه جملة صالحة . رحم الله الجميع

وفي اثناء تلك المدة اضطر استاذنا المذكور في خدمة جمعية الاوقاف بصفة شاهد على اوقاف المدرسين ثم ترقى في وظائفها بما له من الفكر السديد والباع المديد الى خطة ناظر على عدول الاوقاف فكان محل الثقة والمدالة ثم الى خطة كاتب اول بها وهي وظيفة عالية يكون لصاحبها الرئاسة على جميع المتوظفين ثم ترقى منها الى وظيفة عضو لمجلس الاوقاف بانتخاب رئيسها الهام المفضل سيدي محمد البشير صفر نعمه الله فباشر العضوية سنينا عديدة ثم اصطفته الدولة لخطة الافتاء في المذهب الحنفي فزانا ورفع شانها وكلف في اثنائها بخطة القضاء مرارا بطريق النيابة وكان رحمه الله غير حريص على الترقى في الوظائف ويابى الله الا ان يتم نوره فترقى من الافتاء الى خطة مشيخة الاسلام ثم اجاب داعي ربه ذي الجلال والاکرام فقلت كلمة في منعه ولا حول ولا قوة الا بالله .

خطب الم بنادي العلم والعمل
اعظم به نبأ افضى بفاجعة
محمد ابن يوسف الذي فقدت
بحر من العلم غورا في التراب غدا
وطود عز ثوى بين القبور وقد
قضى وافتي وشاد المنصبين بما
تبكيه مشيخة الاسلام ءاسفة
ياراحلا عنا والابصار تسبقه
من للحديث وللتفسير بعدكم
كشاف اسرارها مفتاح مغلقتها
فصاحة تسحر الالباب لهجتها
سبعين حولا له في العلم قد سلفت
واليوم وافى لدار الفضل مرتجيا
فاجل نراه وحق فيك مأملة
واقبل دعاء صميم القلب ارحه

جربى به قلم الاقدار في الازل
اعظم علينا بها من حادث جلد
به نوادي العلوم ايما رجلا
ففاض منه غزير الدمع في المقل
كان الجلال له من اهبج الحلل
يرضى الالاة واحيي سنة الرسل
لفقد حافظها من طارق الحلل
اودعتك الله في حل ومرتحل
في معهد كنت فيه مورد المثل
وضح مشكلها في الموقف العضل
تقتر عن شنب احلى من العسل
يهدى به حيل لا قوم السبل
جود الكريم بلا علم ولا عمل
وكن له اليوم ياربلا خير ولي
نزله ضيفا جوار سيد الرسل

٩٢ . ١٨١ ٢١٠ ٣١٤ ٥٦١

سنة ١٣٠٨

حول حياة فقيه الاسلام والعلم

مولانا المقدس ابي عبد الله الشيخ سيدي محمد بن يوسف

شيخ الاسلام برد الله ثراه

يقلم العلامة المدرس الشيخ محمد الناصر الصدام

دخلت الجامع الاعظم ادام الله عمرانه منذ اربعين حجة فارطة عن التاريخ فوجدته يموج باعيان الاعلام والجهابذة النحارير من اهل العلم وفي طليعتهم صاحب الترجمة قدس الله روحه بتريته الممتازة وشخصيته البارزة وصدارته وتبريزه بالمواهب والشيخوخة على عامة اساطين الجامع مباشرة وبواسطة سوى معاصريه واهل طبقة

فكنت اراه كلما ازفت الساعة الثامنة صباحا طالعا من باب الشفاء احد ابواب الجامع المعمور طلوع الغزالة باحلى آفاقها في حسن سمته وهندامه العلي الجميل عليه مسحة من جلال العلم وروعه الى ان ينتهي الى مجلس درسه عند احدى الاساطين التي تكتنفها الابواب الساحية للجامع الاعظم بمقربة من الدكانة المنعوتة بدكانة سيدي منصور بن جردان رضي الله تعالى عنه

وبمجرد ما ترمقه عيون تلامذته المراقبين لطلعته يستديرون حول مجلسه حلقة قد أفرغها حسن الادب والنظام على افساح لمرة الكريم حتى اذا ما اجتازة عادت اطراف الحلقة للانتظام وعلتها السكينة والوقار

وعند ما يطمئن به الجلوس يحيمهم فيحيونه بأحسن تحية ثم يضع نظارته على عينيه ويسرد من المتن مقدار الدرس ثم يضع الكراس ويأخذ في شرح وتحليل المسئلة بمزيج من عبارة الشارح والكاتبين بانيا لها على سابقتها بناء الفرع على اصله او رابطا بينهما بغير التفريع من اوجه الارتباط ان جمعت بينهما الصلة والتناسق

وهكذا يأخذ يسمو بالمسئلة رويدا رويدا في شرحه وايضاحه سمو حجاب الماء حالا على حال حتى اذا تم له بسطها ارتقى باذهان تلاميذه الى ما عنده في القضية من تمعيب وتقد وتسويب عبارة او ذكر قيد لمطلق او مخصص لعام قائلان من دأب اهل العلم تعميم المخصص واطلاق القيد ايكالا الى ذكرهم المخصص او القيد في غير ذلك الموضع حتى لا يدعي عليهم الا من زاحمهم عليه بالركب ينقل ذلك عن المولى الرحمي في حواشيه على البحر الرائق

ومما لقننا به رحمه الله تعالى مما لم تطوئه الكتب كشحا ان المراد يدفع الابرار في الكتب

العالية) وان ما شاع من ان المراد لا يدفع الابرار فانه خاص بالكتب الابتدائية ولكل مقام مقال

وبالحكمة فله في تدريسه الطريقة الممتازة والاسلوب الجلاب الآخذ بمجامع القلوب ذلك انه في الوقت الواحد يعلم المسئلة وطريقة تفهمها واستنباطها ، من عبارة المؤلف فيستفيد بذلك تلامذته أموراً أولها تحصيل الفائدة العلمية وثانيها تعام معاناة وتفهم عبارات المؤلفين الامر الذي تتكون به الملكة العلمية وثالثها اخذ ذلك عن بصيرة وبرهان لا عن تقليد بلا اذعان

ولربما أثار ذلك بينه وبين من لم يبلغ مبالغه في الفهم اخذاً ورداً يكون باعثاً لهمة العلمية ونفسه الابية العظامية على التماس ادلة من نفس كلام المؤلف ما مستها يدان ولم يطعمها من قبله انس ولا جان فاذا هو بربوة من فهمه ذات قرار ومعين متلقياً لما رفع من راية محمد باليمين واذا ذاك يتحدث بما يتحدث من نعمة ربه الاعلى

وحذار ان تجادله في ذلك بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فانه يصول صولة الاسود وبورد مباحته موارد المكابر فلا يسعه قيام ولا قعود ثم سرعان ما يسكت عنه الغضب فتراه برد الله شراراً يتلطف بالمباحث ويعتذر اليه بضيق الصدر الذي كان يعرفه في اغلب اوقاته

والعذر له فان من البلية خطاب من لا يفهم

ومن ذكائه النادر معرفته بنفسية تلامذته فرداً فرداً فاذا راي من احدهم هما بالتكلم ابان تقريره أوماً اليه ينده ان امسك وربما استوقفه ببعض التراكيب الحلوة البليغة كقوله انت على المجرب وابلغي ريتي فقد أتعني طريقي او نحو ذلك حتى اذا أتم تقريره التفت الى ذلك التلميذ قائلاً هل بقيت حاجة في نفس يعقوب ، وقد سبق لي تصدير هذا العجز فقلت

يقول من بعد ايضاح لمشكلها فهل بقيت حاجة في نفس يعقوب

وقد كان رحمه الله تعالى يقول المدرس بحق من يحيط عقله بعقول تلامذته ويقتدر على ارجاع عقولهم الى عقله

واذكر ان يوماً من ايام دراسته للمقدمات من جمع الجوامع وشرحه للجلال المحلي وهي السلكة التي سلكتها على يديه من اول الكتاب الى آخره التي هي من منن الله سبحانه علينا لزبنا في قرن من بحث تشعبت مسالكة وحى وطيس الجدال فيه بينه وبين الكاتين بحيث تظافرت عامة الحواشي على طريقة واحدة في فهم كلام الجلال المحلي ارتأى الشيخ خلافها فكثر اللغط والانحياز الى ما عليه الكتاتون من بعض التلامذة فصال رحمه الله تعالى بالميدان صولته وجال به جولته وأخذ يفيض على الجميع من الادلة والبراهين ما اقطعت به من الخصم الحجة واستنارت به المحجة وتجاوز الدرس ميقاته فانقض الجمع ومن الغد القيت بين يديه قصيدة اعتذرت بها عن الباحثين في كلامه بانهم على حسن نية وانهم قد قصرت بهم مداركهم عن التبصر بمحاسن كلامه فارتاح اليها ايما ارتياح وبلغ من اعجابه بها ان أحاب عنها بقصيدة عصماء من بحر ها ورويا في صباح الغد واليكم ما اذكر من القصيدتين اللتين بعد العهد بهما فملطع قصيدي

هب الصبا بحديقة مطلولة فثنى بها نضب الاراك اللينه
قربت روابيها وانيع زهرها والماء يجري من عيون معينه
ومنها

خاض الفطاحل لجه فتراجعوا وعبرته قسرا بغير سفينه
وتنزلت آيات علمك بينهم فحوت لوصف الآي في تبينه
ومنها في الاعتذار

لم يتركوا تقديس رايك عزة لكننا وحياتكم من دونه
واذا المدارك ناولتك نتيجة فاسبر بها فلي عرض ثمينه
ونص ما يعلق بذهني من قصيدته الرنانة التي هي آية على علو كعبه في البلاغة والادب
جاءت مع الصبح المنير فخلتها شمسا بدت للصبح فوق جبينه
وسعت على قدم المبرة والرضا هيفاء جللها الحيا بشؤنه
نقشاة ذي ادب وصنعة جابر يجلو عليك التبر من تكوينه
لله درك من بليغ ماهر خبر القرى وزاد في تحسينه
فلانت (ناصره) وناظرة الذي يرعى به مستودعات فنونه
الشعر ما احكمت حلة نسجه والسحر ما أودعت في مكنونه
حيا قريضك كل شعر رائق شكرا وصافحك العلي يمينه

اما قلعه في العليات فله المنزلة السامية في تحريره وتجويره وله النظم الفقهى الذي حاكى به
النظم العاصمي فلم يقصر عنه في ابداعه وحسن سبكه وجمعه للكثير من المسائل في افصح عبارة
وأجزها اتى فيه على معظم من ابواب المعاملات ولم تساعد الاقدار على اتمامه

وله الفتاوى الغريبة النادرة في قسمة الاوقاف وتبيين اغراض الواقفين والحريان على طبق
الفاظهم ورعاية عوائدهم واعرافهم وغير ذلك من الرسائل والتحاير ، وبالجملة فموته ثلمة في
العلم والادب قد عظمت بهارزية الجامع بل القطر التونسي بل الشمال الافريقي فانا بفراقه
لمحزونون فإنا لله وانا اليه راجعون ثم الى الله الضراعة في اطالة حياة خلفه مولانا العلم الهمام
الحجة الامام الخطيب شيخ الاسلام الحنفي ابي عبد الله الاستاذ سيدي محمد الطيب سليل آل يسر
كرام المعادن الاعلام ومصابيح الظلام ومشائخ الاسلام سداة تواصوا في خطتهم المنيفة بالحق وتواصوا
بالصبر وخلد لهم التاريخ في ذلك اعظم فخر الى مساع في الصالحات مشكورة ومعرفة بمنازل واقدار
الناس مأثورة وادوات تامة موفورة احرزوا بها حميد الخلال وبرزوا بتوفيق الله تعالى الى غايات الكمال

محمد الناصر الصدام

بمسند الرئاسة المذهبية الحنيفة

في الدولتين المرادية والحسينية

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء ومستشار
الحكومة سيدي محمد بن الحوجة

نظرا لكون هذا العدد من المجلة الزيتونية هو اول عدد يصدر من المجلة بعد وفاة شيخ الشيوخ وطود الرسوخ العلامة الامام شيخ الاسلام والمسلمين مولانا الشيخ محمد بن يوسف طاب ثراه احببت ان تكون مشاركتي في هذا العدد من المجلة قاصرهم على ذكر اسلافه قدس الله ارواحهم بمسند رئاسة الفتوى الحنفية في الدولة المرادية ولا سيما في العصر الحسيني السعيد وذلك بدون مراعاة لالقايم المختلفة في رسوم الدولتين

مسند الفتوى الشرعية هو الركن الاصيلي للرئاسة المذهبية بدار الشريعة ففي بداية الامر كانت الفتوى فردية واول من تولاها الشيخ رمضان افندي بعد انتهاء مدته في منصب القضاء الشرعي وعزمه على الرجوع الى الاستانة فرغبه الامير يوسف داي في الاقامة بتونس وقدمه لمنصب الفتوى فكان هو اول مفت حنفي بتونس بعد دخولها في طاعة آل عثمان ثم بالتبعية للتطورات الزمانية ونزولا عند حكم النوايس الطبيعية القاضية بارتقاء كل حي نام امتاز المفتي في تونس بلقب المفتي الاكبر عند ازواج خطته باضافة مفت ثان له وذلك ابتداء من دولة مراد باي الثالث التي كان مفتتحا في عام ١١١٠ فكان الشيخ عبد الكبير درغوث (٦) مفتيا اكبر وجليسه المفتي الثاني ثان له واسترسل الامر كذلك في الدولة الحسينية حتى مع ارتفاع عدد المفتين لثلاث فكان الشيخ علي الصوفي هو المفتي

(١) تقدم من بينهم اربعة لمنصب الفتوى منهم الشيخ يوسف درغوث الاصغر السني كان من أول البيوت العلوية مصاهرة لليت الحسيني حيث عقد الامير المولى علي باي الثاني في حياة والده المولى حسين بن علي لابنه سليمان باي على ابنة هذا الشيخ وقفت على رسم صداقها فاذا هو مصدر بخطبة جليلة تم عقده في اوائل شعبان عام ١٠٥٠ واليك تفصيل ما جاء فيه من المهر - قال :

فروجه اياها على صداق تقده قبل البناء وارخاء الستر عليها الف ريال واحدة (بسكة ذلك الزمان فما بالك بمصارفتها من عملة هذا الزمان) ونصف رطل من الجوهر النفيس وثمانية قفطان مختلفات الالوان اثنان من المذهب ومثلهما من الموبر ومثلهما من الكمخة ومثلهما من الاملس وثمانية فرامل مع كل قفطان منها فرملة وثمانية احزمة حريرا مثقلة الاطراف بالفضة مختلفات الالوان وعلجية ورومية وست امام من جنس السودان واعدلهن في القيم والاسنان اه

الأكبر (١) في دولة المولى حسين بن علي طاب ثراه واخلافه على قياسه الى منتهى مدة الباى الرابع في السلك الحسيني النقيس فلما آلت الامارة للمقدس المولى حمودة باشا وهو خامسهم في الملك ظهر لقب الباشا مفتي بين الناس تبعاً لقاعدة النمو الناشئة عن استكمال الاحوال و-تقرار السلطان اقتسبوا ذلك فيما يلوح بالقياس عما حصل في هاتيك الايام من اشتهار الكاتب الاكبر الذي هو رئيس ديوان الانشاء بلقب باشا كاتب وهي القاب تفخيمية اقتضاها تطور الدولة وتدرجها في مراقبي اظهروا والاستقلال النوعي الذي ما برح يومئذ في ازدياد بحيث جعلوا على راس كل هيئة منتظمة رئيساً لهاها لقبوه بالباش منهم الباش كاتب والباش مفتي المشار اليهما ومنهم الباش حانبه والباش بواب والباش باغاه والباش شاطر والباش عشي والباش طنجي والباش بلهوان والباش قزق وهذا من النصارى (٢) الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر . فكان المفتي الاكبر الشيخ محمد البارودي هو اول من غلب عليه يومئذ لقب الباش مفتي في مدة صهره المولى حمودة باشا السالف الذكر وكان هذا الشيخ بحرا زائرا في علوم الشريعة واية في الصوت الرخيم كانه اوتي مزاراً من مزامير ال داود يقصده الناس من بعيد لسماع ترتيله ابي الذكر الحكيم في الصلاة . وارتسم بعده هذا اللقب في الازدهان باستقرار الرئاسة الشرعية في السلالة الطاهرة البيرمية من عقب الشيخ محمد بيرم الاول الذي سيأتي ذكره في سلسلة الشيوخ التي سنختمها هذه النذرة المباركة فكان ابنه كبير المفتين الشيخ محمد بيرم الثاني باشا مفتي الحنفية ومثله بعده ابنه الشيخ محمد بيرم الثالث فولده الشيخ محمد بيرم الرابع الى ان جلس على كرسي الملك الحسيني المشير احمد باي الاول ففي اواسط دولته اتفق له تلقب هذا الشيخ الرابع بشيخ الاسلام وهذا افخم الالقاب التي تداولتها الرئاسة الشرعية بتونس منذ المائة العاشرة فما دون ولكن هذا القب الحليل لم يتغلب يومذاك تعاماً على اللقب السابق بل بقي المذهب ينعتة الكثيرون مع لقب شيخ الاسلام بلقب الباش مفتي الذي ارتسم في الازدهان من قبل .

(١) يستفاد من رسالة المفتين للشيخ محمد بيرم الثاني ان المفتي الشيخ علي الصوفي كان الناس ينعتونه في زمنه بشيخ الاسلام مع ثلاثة اخرين من معاصريه وهم الشيخ يوسف درغوث الاكبر والشيخ مصطفى بن عبد الكريم من ائمة الحنفية والشيخ محمد فتاته من ائمة المالكية وهذا فيه دلالة كافية على ان لقب شيخ الاسلام انما هو في اصله من اوصاف التعظيم والتفخيم التي كانوا يحلون بها كل من ينتهي اليه العلم كما كانوا يلقبون به الشيخ احمد بن تيمية من ائمة الحنابلة في المائة السابعة وامثال ذلك كثيرة في كل زمان ومكان

(٢) هو المكلف بالمهمات في البلاط الملكي ويعرف ايضا بوكيل القرعة كانوا ينتخبونه من ابناء العصر الاروباوي الناشئين بالسراية الملكية ومنهم من بلغ في المجد لرتبة امير الامراء ولدرجة المستشار بالوزارة الخارجية كما حصل في عهد الدولة الصادقية

والحقيقة ان القاب الرئاسة الشرعية في الازمان الماضية لم تكن مقيدة بالضبط المدقق المحيط بهيكلها في الزمن الحاضر (١) ولم يكن لتلك الالقاب رواج بين اهل العلم قبل انتشار مبادي النظم العصرية بالديار التونسية لاعراضهم فيما يلوح عما كانوا يرونه من قبيل القشور واكتفائهم بلقب اللباب الذي هو الكتاب والسنة فان الشيخ ابراهيم الرياحي خلف كساء التقليد عند خروجه من حضرة الباي يوم ولايته رئاسة المذهب المالكي لانه كان محلى بالديباج ولقد وقفت على محركات كثيرة رسمية وغير رسمية لجملة من

(١) تاييدا لهذه النظرية نقول انه يسفاد من بعض المراسيم الدولية التي وقعت بيدي ان الشيخ ابراهيم الرياحي كانوا ياقبونه تارة بكبير اهل الشورى من المفتين المالكيين كما ورد في ظهير ولايته وطورا باش مفتي المالكية كما ورد في منشور عتي العبيد الصادر في عام ١٢٦٢ . اما ظهير ولاية الشيخ المشار اليه الذي هو عبارة عن وثيقة تاريخية مباركة فقد اثرت نقل عبارته هذا لانها غير معروفة بين علماء هذا الجيل لكونها لم يتقدم نشرها بمكان ولانها ايضا جاءت بغير اسلوب المراسيم الملكية المعروفة لهذا الزمان واليك هي نقلا عن كنش الشيخ الوالد ومع خط يده :

الحمد لله الذي جعل الشريعة قسطا وميزانا وجعل الاعمال الصالحة على الرضا عنوانا وخض بالسعادة من شاء من عبادة تفضلا وامتنا فاطلق بالخير منهم يدا وانطق بالحق منهم لسانا والصلاة والسلام على سيدنا محمد ارفع الانبياء شانا خاطب الامم فوسعهم تيبانا وشيد باحكامه في الخلق بنبانا ليرتاب الذين في قلوبهم مرض ويزداد الذين ايمانوا ايمانا وعلى آله الذين كانوا في معاهدته اخوانا ولايته في الهداية شهبانا بلغوا سيرة واحاديثه صحاحا حسنا اما بعد فهذا كتاب كريم وظهير عظيم يقابل بالاذعان والتسليم لنفقه العميم انتج الحق قياسه وبنى على الشرع اساسه صدر من مولانا الهمام نخبة الملوك العظام الجامع لما تفرق من محاسن الدهر كفو الخلافة الملبى لها بالمر من داب على حوطة المجد وجد وورث الملك من اب وجد مولانا حسين باشا باي امير القطر الافريقي اصلح الله حاله وبلغه من احياء السنة اماله الى كل من يقف عليه ويتدبر ما لديه من العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام المفتين والفضة والكواهي والاغوات والمشايخ والبرية وسائر اولي الولايات السياسية شرح للحق صدر الجميع ووفق الكل لصالح العمل وحسن الصنيع معلنا بانه قدم الخبر الحجة الثقة صدر الاجلة (كذا) وعلم الله الذي استمدت من نورة البدور والاهلة تاج العصر وامام هذا العصر الذي ملاء علمه النواحي مجنا الشيخ سي ابراهيم الرياحي وجعله كبير اهل الشورى من المفتين المالكيين بدار المملكة تونس حاطها الله زين جبين وجهه بتاج هذه الولاية وصرف له وجوه البر وعيون العناية بعد ان اجال قداح الاختيار مبلغ الغاية واقامه يقني المسترشدين بمذهب امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه وعن سائر الائمة الثابت لديه من اعلام مذهب الثقات الذين احيوا من ارض العلم الموات فليتول هذه الخطة عالما بمقدارها متصفا بما يحمد من اثارها مهيبا بالدين رءوفا بالمؤمنين قادحا بالمشورة زند التوفيق عادلا الى سعة الاقوال عن المضيق مثبتا حتى يظهر صبح التحقيق واوصاله في الابرام والنقض بتقوى من يعلم خفيات السماء والارض فان الله يراه والهدى الهدى الله وصية صدرت مصدر الذكرى التي تتفع ويعلي الله بها الدرجات ويرفع كما اوصى له بالاجلال وحفظ منصبه عن الاخلال فانه اقطعه جانب الانعام الحسيم وزاده في مراقي التنويه والتكريم اجلالا لخطة التي لا يلقاها الا ذو حظ عظيم وعلى الواقف على هذا المقال ان يبادر بالامثال ويعلم قدر هذا الاجلال والامر لمولانا الكبير المتعال وكتب خمس عشرة خلون من جمادى الاولى عام ١٢٤٨ ثمانية واربعين ومائتين والاف اه

الشيوخ منهم الشيخ ابراهيم والشيخ اسماعيل التميمي والشيخ الجدد والمشايخ البيارمة وغيرهم من اقطاب القرن الاخير واحرى اسلافهم علماء الاجيال السابقة فلم نر فيها من عقب منهم اسمه يذكر خطته تصريحاً او تليحاً خلافاً للقباعدة الجاري بها العمل في الازمان المتأخرة والحاضرة واول ما رايت ذكر الحظوة تلو اسم صاحبها كان تاريخه حوالي سنة ١٢٩٠ على عهد الشيخ محمد معاوية فقد وقفت له على مكتوب من خط يده محتشم بقوله : محمد معاوية شيخ الاسلام . ومعلوم ان خلفه في الرئاسة الشرعية هو الشيخ احمد ابن الحوجة الذي بلغت المشيخة الاسلامية في مدته لقمة مجدها الرسيخ بفضل توسعه في العلم ومشاركته مع غيره من شيوخ المذهبين في مشروع الاصلاح الذي انتهجه الوزير خير الدين بالبلاد التونسية من الوجهتين العلمية والاجتماعية فكان لقبه المشهور بين الخاصة والكافة هو شيخ الاسلام بالمملكة التونسية وبهذه التسمية جاءت مراسيم ولاية اخلافه بمسند المشيخة الى مفتتح عام ١٣٥١ وفيه وقع تقريرها لمشيختين مشيخة اسلام حنفية بالتخصيص ومشيخة اسلام مالكية بالتخصيص وهي الحالة التي عالت فيها رئاسة المحكمة الشرعية الحنفية لنوبة الشيخ محمد بن يوسف رحمه الله ولنختتم الآن هذه النبذة التاريخية بذكر اسماء كافة الشيوخ الماضين الذين توارثوا رئاسة المذهب الحنفي من البداية الى النهاية بقطع النظر عن القلهم التي قدمنا بيان تطوراتها حول السنين واليك ذلك :

في مئة المرات البراني	١ - الشيخ رمضان افندي تولى في حدود سنة ١٠٢٠	
	٢ - الشيخ احمد الشريف الحنفي	١٠٤٤
	٣ - الشيخ احمد الشريف الاندلسي	١٠٥١
	٤ - الشيخ محمد بن مصطفى الازهري تولى سنة ١٠٦١	
	٥ - الشيخ مصطفى بن عبد الكريم	١٠٦٧
	٦ - الشيخ يوسف درغوث الاكبر	١٠٧٥
	٧ - الشيخ عبد الكبير درغوث	١٠٧٦
	٨ - الشيخ علي الصوفي	١١٣٣
	٩ - الشيخ يوسف درغوث الاصغر	١١٤٣
	١٠ - الشيخ محمد ارناووط	١١٥٦
في العصر الحسيني	١١ - الشيخ حسين البارودي	١١٦٩
	١٢ - الشيخ محمد بيرم الاول	١١٨٦
	١٣ - الشيخ محمد البارودي	١٢١٤
	١٤ - الشيخ محمد بيرم الثاني	١٢١٥
	١٥ - الشيخ محمد بيرم الثالث	١٢٤٧
	١٦ - الشيخ محمد بيرم الرابع	١٢٥٩
	١٧ - الشيخ محمد بن الحوجة	١٢٧٨
	١٨ - الشيخ محمد معاوية	١٢٧٩
	١٩ - الشيخ احمد بن الحوجة	١٢٩٤
	٢٠ - الشيخ احمد كريم	١٣١٣
	٢١ - الشيخ محمد بن مصطفى بيرم	١٣١٥
	٢٢ - الشيخ محمود بن الحوجة	١٣١٨
	٢٣ - الشيخ احمد بيرم	١٣٢٩
	٢٤ - الشيخ محمد بن يوسف	١٣٥١

فجع الوري وتضعضع الاسلام

الاديب الكبير الشيخ العربي الكبادي

فجع الوري وتضعضع الاسلام	وعلا وجوه النيرين ققام
واهتز عرش العلم من اسف على	حبر تضن بمثله الايام
علامة الدنيا الذي قيد قصرت	عن أن تحيط بفضله الافهام
يا لهف تونس عن همام طالما	كان المنير اذا اتيح ظلام
تتابق العلماء نحو دروسه	ما صد راذهبهم هناك زحام
علما بانك في زمانك واحد	ولكل عصر سنة وامام
من للكتاب اذا تطاول مشكل	وتقاصرت عن دفعه الاعلام
الا الذي طوت المنون حياته	فخفا الظيا وطبق الاظلام
ولسنة المختار يشرح خافيا	من سرها ويعينه الالهام
لا تنكروا فضل ابن يوسف بينكم	ان كان فيكم همة وذمام
فهو الذي كشف الطريق لكل من	قيد جاوز الطبيين منه حزام
ويهديه نالوا المراد وطأطأت	لهم من المجد الاثيل الهام
ان حالت اليوم الصفائح دونه	وعرت خطوب لا تطاق جسام
فلطالما شهدت اعلام الهدي	وهم قعود حوله وقيام
يجنون من ازهار روضة علمه	زهرا تحطم دونه الاوهام
ما في ايلة تونس من عالم	الا بمجلسه له المسام
وهناك يظفر بالرشاد مريده	ويزول عن ذهن الضعيف سقام
واذا السحاب تحجبت بكثيفه	خوف الوصول لكنهبها الاجرام
وتعمقت في الاختفاء فذهنه	كالبرق في وسط السحاب يشام
يا من ترحل تاركا من فقده	بحشا الهدي والعالمين ضرام

هؤلاء الاشياخ الافذاذ مضوا كلهم وانقضوا فسبعة عشر قطبا منهم اجابوا داعي الله في العصر الحسيني وسبعة سبقوهم لدار النعيم في الدولة المرادية ولكن فضيلة العلم مسحت على وجوه جميعهم بيد الخلود فبقى ذكرهم حيا وسيكون كذلك الى ما شاء الله

محمد بن الحوجه

رثاء شيخ الشيوخ رحمه الله

للفاضل العالم المدرس الشيخ علي النيفر

حم القضاء فلا حمام ولا واق
غشى على افق الحضراء غيبه
بذ القوى نفت البلوى بكل حشى
أدمى القلوب أسى أذكى بها قسبا
بأليت شعري وللادواء مرهمها
مضى الردى بمكث النفع غيداق
مضى بعلامة الحضراء جهبذا
محمد علم الفتيا ابن يوسف من
شيخ الشيوخ الذي كانت مجالسه
كم أنبت من نحرير حداثتها السلاقي تروق لاسماع واحداق
لله من شجن للنفس طراق
امسى مطبق أقطار وآفاق
اغرى الحفون بدمع منه دفاق
أذابن بلدع أو باجراق
هل للهية من طب ودرياق
وكور الموت شمسا ذات إشراق
مضى بمن ذكره بين الورى باق
في حلبة العلم أسسى خير سباق
تجبو مجالسه فوزا بأعلاق
كم أنبت من نحرير حداثتها السلاقي تروق لاسماع واحداق

لما رابت الناس في دنياهم
لم يفهموا ما قد كتبت ولم يكن
وتمسكوا بالمنكرات فلم يعد
ودعت دنياك التي ما نالها
بل كنت تنظرها بمقلة عارف
فجعلت همك في اقتناء ترتضي
المحمد والحمد فيك سجية
لما سرى نبأ أرتجالك عمنا
وتسابق الفضلا الى توديعكم
ما اودعوا في الترب جسمك انما
هل ثم من خلف يخفف بعض ما
حتى تقر العين بعد بكائها
وقد هتدبت ببارق من فكركم
تركوا سبيل الصالحات وناموا
لهم على ما قلته استعلام
لهم على غير الحنا اقدام
منكم على اقبالها استعظام
ان الحياة متاع فحمام
يوم الجزا ويناله الاعظام
ما شأنها في موقف احجام
الم وبان على الوجوه سأم
كهل وشيخ عاجز وغلाम
علما تقدر كنهه الاقوام
زلت لهول مصابه الاقدام
ولو انه بعد الغزير رهام
ارخته برق هداه ختام

وأعدت مزنها للمستظل بها صوبي ذكاء وعلم أي إغداق
 كم قد وردت بها من منهل فبق عذب لدى ظل أورد وأوراق
 وكم قبست سنا من نور فكرته في كل معظلة كبرت باغساق
 وكم شهدت من التحقيق آيته الكبرى لديه بقول رائع راق
 به بلغت الذي أرجوه من أمل به تكامل إزهارى وإبراقى
 كم حاد للذكر من تفسيره حبرا مذهبات الحواشي غر أخلاق
 وصاغ من شرحه متن الصحيح حلى من عسجد القول محضا صوغ حذاق
 وقلد الجمل أعلاق البلاغة من دلائل الشيخ ما أزرى بأطواق
 وكم له قدم في غيرها رسخت مهما وصفت فلا أرمى باغراق
 يا للقريض لقد الوى بجدة وهر فلم يبق منه غير أرماق
 وللخطابة من بعد ابن يوسف قد جادت بدمع كسوب المزن مهراق
 وللف معهدنا العلمي حين غدا لما يئنه فيه رهن اشواق
 وللف معهدنا الشرعي أصبح مذ أصابه الشلل في حزن وإطراق
 قد كان فيه رئيسا لا يرد له قول يصول بارعاد وإبراق
 يمضي كما السيف لا تنبو مضاربه حتى طوته شعوب طي أوراق
 وكان في مذهب النعمان باقعة شأى سواه باجماع وإصفاق
 لله فخر لهذا القطر شادله ذكر يجول بأصقاع وآفاق
 جادت به كف هذا الدهر آونة ثم اغتدت وهي منه ذات إملاق
 قد عاش ما عاش في أسر الحياة وإن طابت فبشرارة أن منت باطلاق
 لا هم أمنه في يوم يطول به كرب ويكشف فيه الهول عن ساق
 واجمل شأبيب رحى منك واكفة على ضريح نوى منه بأعماق
 رمس إليه هوى نجم العلوم ومن لم يعر من أمه رجعى باخفاق
 قد قلت لما نوى فيه أورش يا لهفي على العلم يضحي خلف أطباق

١٢٥ ١١٠ ١٧١ ١٨١ ١٠ ١١٢

١١

سنة ١٣٥٨

علي النيفر

رثاء خاتمت المحققين

للعالم الاديب المدرس
الشيخ الطاهر القصار

هو الخطب فلتطرق عليه المجمع
هو العلم السامي على قمة العلا
وزلزل صرح العلم وانهار ركنه
ونال الردى منه الصميم فاصبحت
وادمى الاسى منا المحاجر والنهى
وذا معد العرفان فانظر قباه
وذي انه المحراب امسى دويها
تأثر عقد الدر من حلقاته
وقد سكنت انفاس اهليه دفعة
وباتوا كاشبال تردى هزبرها
وذا الرزء فلتبك النهى والمدامع
فمادت اقاليم وريعت مرابع
وكانت تناغيه النجوم السواطع
معالمه الغناء وهي بلاقع
وبلبل البابا لها العلم جامع
قد انهمرت منها الدموع الهوامع
له اثر في مسمع الصم قارع
ورجت الساطين به ومصانم
واصماهم سهم من الحزن صارع
فالقت عصاها حولهن الفجائع



أسيف الردى قد جئت شر مساءة
والحققت بالخضراء ضراً لوانه
صرعت امرء يزري على البحر عليه
دري بنظم القول درا وجوهرا
يكاد يضيء العقل مشكاة فكرة
له همة في العلم من دون امرها
محالسه الفيحاً حدائق حكمة
هنا وهنا ورد النبوغ مفتح
هو الحق وضاء اذا قال قوله
له الحلققات الغر موصولة العرى
تجود على الطلاب دأماء عليه
له الفكرة العصماء والنظرة السقي
وانثرت درعا ما له الدهر راقع
غدا فوق رضوى لاحتوته الاصابع
وتخشى حجاب النيرات اللوامع
بليغ تحاملا الفحول المصانع
وبصر رشد الرأي فيه المطالع
نظبات العوالي والسيوف القواطع
وساح سباق للنهى ومرائع
وزهر الفنون الغض بسام بانم
بهالته الزهراء والحجر واسع
بكل همم ما لهن تقاطع
بخير النبي ترجو المنى والمطامع
تراح بها في المشكلات البراقع

امام عديم الفد انسان عصره
وشمس نبوغ زينت افق تونس
طراز جلاله الدهر في الناس نفحة
اضاء على الخضراء تسعين حجة
تراه تحيل الجسم لكن لبه
كأن سعال الصدر وهو قرينه
لدى رأيه تحنو الجبال مهابة
قضى مرشدا سبعين حولاً سمعت بها
فكانت على التاريخ سطر مذهباً
تسم صرح العلم فاحتل رعنه
وشقت فتاويه الدجى مثل بارق
وسحت على الديوان انواء حكمه
وقلده الاسلام كبرى رئاسة
فاصبح للاسلام شيخاً وقادة
جباله هدى النعمان عزاً وسؤدا

ايا شيخ اسلام ايا ركن امة
اشيخ شيوخ العصر يا نير الحجا
مضيت فخلقت اللهى تنذب النهى
ووليت شطر القبر وحيا تلالا
وقوؤ من نادي الخطابة منبر

بنى تونس هذا ابن يوسف قد قضي
« وما المال والاهلون الا ودائع »
فهل فيكم كفؤ لهذا الطود وارث
كأنى اصغى لفظ لا حول موقفي
لنبيك اذا طود المعارف كلها
ونشر على ناووسه الشعر باكيا
وكم من يد اسدى الي ونعمة
فنسب يا امام القطر نومة ءامن
فان كان اقصاك الردى عن ربوعنا

مهمته والموت لا شك واقع
« ولا بد يوماً ان ترد الودائع »
ينود الاسى عن لبكم ويدافع
وذلك يغري بالاسى ويشايم
همى وابل او كلها ناح ساجع
فقد كان في مضماره لا يقارع
وهل في سوى ذا اليوم تجزى الصنائع
يحيط به عفو من الله واسع
فذكرك باق طيلة الدهر شائع

موت العالم نلمت

بقلم مدير المجلة

هو بدر العلوم اللامع من أوج الثريا إلى الثرى فجعلت المحافل العلمية وتصدعت أركانها وغشاها ظلام حالك وحزن عميق واضحت القلوب بلوعة الأسى مكومة ومن شدة الصدمة ترجف كيف لا والنفوس قد اصطدمت بمصاب عظيم ورزء جليل لما نعي إليها شيخ الإسلام وعالم القطر فعظم الخطب وحارت به الأبواب واضطربت من أجله الأفكار فلقد فقد من بيننا امام من إيمته المسلمين وبحر زاخر بعلوم الشريعة ذو فكر وقاد ومدارك سامية وعزيمة لا يلحقها فتور ولا ملل حتى بعد الشيخوخة وتقدم السن وقريحة صافية من كل قاتم تجلت أمامها الحكمة غير مشبوهة ولا ملتبسة برز في الفنون ونضجت مادته العلمية فكانت ثمرة طيبة استساغها منه طلابه وموردا عذبا تزامحت عليه رواده فانتسعت شهرته اتساعا قل فيه المشارك وعز فيه المراحم وطبق ذكره الآفاق وخطب وده فحول العلماء والكل يودون به التحاق وخف لمجلسه العلمي كل من رام الفوز في هذا السباق لما خصه الله به من ذوق علي نادر المثال ورجاحة عقل وبراعة بيان

أجل عرفتك استاذي وأنا في سن الحلم لما بين اسرتي ومقامك الكريم من الوصلة العلمية المستحكمة العرى المقامة على اساس متين هي صلة الروح بالروح واعظم بها من صلة تضعف دونها الصلات وتشوقت للالتحاق بمجالس درسك الحليل وأنا ازاول التعليم الثانوي فانظر الى تلك الطاعة المباركة في كل صباح وامني النفس لو يتاح لي عبور هذه المرتبة لاحظى بالانضمام الى درس عالم القطر وشيخ الشيوخ ثم يداخني القلق والاضطراب خيبة ان احرم من الارتشاف من ذلك المعين الصافي او يحول ستار الموت قبل ان ارجع بقبس من نور تلك المشكاة اللامع الذي اجلى عن صدور طبقات ما بها من ظلمة الجهل او الاضطراب وهداها الى الحكمة والقول الفصل وشاء الله ان لا احرم مما قصدت وكتب لي في سنة اربعين هجرية ان التحق بدرس شيخنا وامانا فاصبحت من اخص تلاميذه البررة مفتخرا بشدة اخلاصي اليه مغتبطا بما افوز به كل صباح من درر اللوامع وجواهره المصقولة المجلوة عن اصدافها في احسن سمت واروع هجة ، وازدوج الفع وعظمت الفائدة وكلما تقادم العهد ازداد بي ادراك المنزلة السامية التي يحظى بها كل من ساعده القدر ويسر له الاتصال بذلك الركن الركين البحر الزاخر السني لا ينفك يقذف باللاي ولو في اخص الاوقات وكملت عشر سنوات ونحن نرفل في حلل المعرفة ونخوض معارك يقودنا اليها بصائب راي وجودة قريحة فنقلب من حلبة الدرس بغنائم احلت لنا ولم تبس لاحد من قبله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

اي شيخنا الامام لقتنا الاخلاص للعلم فتمكنت من نفوسنا تلكم النصيحة السامية
اوصيتنا بحمى الحواصل من صغار الطلبة خيرا ومبرة وصدقا في التعليم واقطعا للدرس
فصدقنا النية واخلصنا ان شاء الله في القول والعمل
هذبت نفوسنا بنصائحك الاخلاقية فاهتدينا الى السبيل على ضوء تلكم الوصايا والنور اللامع الوضاء
بعثت في قلوبنا الطموح للعلمي وشجعنا على الولوج في فيايفه ومغاورة ورسمت لنا الخطط
والمناهج لنسلكها من غير هواده ولا اضطرب
حببت الينا القد وعبدت لنا مسالكه ولا ترضى منا مجرد لنقل المسائل العلية واخذها على كلاتها
فتسمو بقولنا وتحلق بها في سماء المعرفة وتفتح امام الانظار نوافذ تشرف على رياض ناعمه ثمارها
مقطوعة ولا ممنوعة

وفرت لنا في شخصك الزكي معرفة الفضيلة والكمال واخلاص الضمير في العمل
من قصصك اخذنا المواعظ البالغة ووفرة الكرامة وحسن السلوك وصدق المودة وطهارة العاطفة
ادنوت منك طلابك وانزليهم من نفسك اخص المنازل فتمت فيهم عواطف الاخلاص والمبزة
لمقام شيخوختكم زتسابقوا في ميدان المبرة وتلكم من احض التي امتزتم بها وروضتم بها نفوسهم
من مجالسك اقتبسنا طيب الحديث وانفع الذكر وابلغه
امام انظارنا وفي قرارة نفوسنا تجلت تلكم النفس المطمئنة المفعمة بالافكار السامية والمدارك
الراقية الطافحة بالتفكير الصحيح والقول السديد
في اواخر ايام حياتكم الدنيا واتم على سرير المرض تضميني الى صدرك الطاهر وتخضني باطيب
الدعوات المفعمة بالرضى الشامل والمبرة الموفورة وتنحدر دمعات الحنان فتزيد في لوعتي وحزني
حرارة وشدة

وفي اآخر ساعة يشفع لي اخلاصي الى مقام شيخوختكم فاحظي بوضع جسديكم الطاهر في
مرقدكم الاخير

فانا لفراقكم لمحزونون فانا لله وانا اليه راجعون . محمد الشاذلي ابن القاضي

اشرنا في طالعة كتابتنا الى بعض الوثائق التي اوردها محبنا الشيخ محمد طراد في اثبات نسب الاشراف العوانيين بالقيروان ، ويناسب ان نورد هنا ما يؤيد انتشار هذا النسب الكريم في المشرق - مصر والحجاز والشام - كاستهارة في الديار الاقريقية ، فقد ساق المؤرخ المصري ابن عباس الفقرة الآتية ضمن حوادث سنة ٨٩١ ، قال (٥) :

« وفي المحرم من السنة توفي السيد الشريف ابو عوانة - واسمه احمد بن ابي بكر - التونسي المملوكي رحمه الله ، وكان يعرف بالعواني ، وكان ديناً خيراً جميل الصورة حسن الشكل ، ويقال ان فيه أشياء من شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولده قبل الاربعين وثمانمائة »
فهذه فقرة اولى تفيدنا - على ما فيها من الايجاز - بتاريخ وفاة احد العوانيين من غير ان تبين لنا محل وفاته ولا كامل نسبه ، لكن هناك امام القرن التاسع العلامة شمس الدين السخاوي سيرشدنا الى كل ما ترقبه من واسع علمه واحاطته في الاطلاع باحوال اهل عصره . فانه ترجم لشرفنا هذا بما يشفي الغلب وعرف به لاسيما وانه كان ممن يحضر دروسه في الحديث ، قال السخاوي رحمه الله تعالى (٦) :

احمد بن ابي بكر بن احمد بن علي بن احمد بن علي بن يوسف بن عبد الملك بن عبد الله بن سلم بن عبد الملك بن عيسى بن احمد بن عوانة بن حمود بن زياد بن علي بن محمد بن جعفر بن علي التقي بن محمد التقي بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . أبو العباس بن ابي يحيى الحسيني القيرواني الاصل التونسي المملوكي نزلي . مصر ويعرف بان عوانة ، ولد يوم عاشوراء سنة تسع وعشرين وثمانمائة بتونس ونشأ بها وقدم القاهرة في اول دولة الاشراف اينال وحج منها في سنة ثمان وخمسين وكانت الوقفة الجمعة وصحب خطيب مكة فتوة به وعرفه بالاكابر من الامراء وغيرهم . وشاع بين العامة شبهه بالنبي . صلى الله عليه وسلم وكتابة علماء القيروان كان ابي زيد صاحب الرسالة فمن قبله باستفاضة نسب شخص من اسلافه . مات بالاسكندرية في مستهل المحرم سنة احدى وتسعين (وثمانمائة) بالاسكندرية وكان توجه اليها بالزام السلطان له مع صهره ابي عبد الله البرتشي (٧) كالامين ، وكان كثير المحاسن ، عالي الهمة مع من يقصده ، لا يهاب ملكاً ولا غيره ، كريماً شهماً متودداً متجعلاً في ملبسه ومركبه ممن تكرر الي مع من يقصده في الاجتماع بي من غرباء بلدة كقاضي الركب ، وربما سمع معهم علي ، ومقاصدة شريفة ، وخصاله مثيفة ، عوضه الله الجنة . »

(١) كتاب « بدائع الزهور . في وقائع الدهور » لابن عباس ط بولاق سنة ١٣١١ ج ٢ : ٢٣٣

(٦) « الضوء اللامع ، لاهل القرن التاسع » ط مصر ١٣٥٣ ج ١ : ٢٤٨

(٧) البرتشي نسبة الى حصن من غرب الاندلس (اصل)

صلة تونس بالدولة العثمانية

صفحة من تاريخ تونس

بعثت خير الدين للاستان

سني ٢٨١ - ٢٨٨

تعريب الفرمان السلطاني الشريف حسبما ال اليه

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

منذ احييت واودعت من جناب سلطنتنا السنية ادارة الايالة التونسية التي هي من ممالك الدولة العلية المحروسة المتوارثة الى عهدكم ذات اللياقة والاهلية كما وجهت الى عهد اسلافكم لم تنزل تظهر حسن السيرة والخدمة وتنتهي الى الطرف الملوكي الاشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار ذلك قرينا لعلمنا المضيء بالعالم فأمولنا السلطاني على مقتضى الشيم المرضية التي جيلتم عليها هو الدوام في هذا المسلك المرضي والجد والاجتهاد في كل ما ينمي عمران مملكتنا الشاهانية وسعادة اهلها بعبدة دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحتهم حتى تستديم بذلك استحقاق العناية الشاهانية والاعتماد السلطاني المبنيون في حقل اننا فثاناً وتعرف قدر تلك العنية والاعتماد وتشكرها ولما كان المقصود الاصلي والمراد القهامي لسلطنتنا السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة المهمة الراجعة لسلطنتنا الفخيمة ونمو عمرانها وتأسيس ابنية الامن والراحة لسكانها يوماً فيوماً وكان من البدييات ان السلطنة العزيزة لا يعزها ولا يؤدها صرف الهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتمام استحصاها هاته المطالب وورد الطلب المدرج في كتابك المخصص الموجه من طرفك اخيراً الى جانب الخلافة العلية . قررت وابقيت اباله تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة بهدتك بضم امتياز الوراثة وبالشرائط الاتية وحيث ان مرغوبنا السلطاني على ما تقدم بيانه انما هو تزايد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة اهلها وهي الآن في حالة مضايقة وتؤخر في الواردات لكل من الحكومة والايالة قد سمحت السلطنة السنية بعدم

فانت ترى من هذه الترجمة الحافلة ان الوثيقة التي شهد فيها الحبر ابن ابي زيد وغيره من اعلام القيروان بثبوت نسب العوانيين والتي نشر نصها صاحب طراد كانت معروفة من العلماء الباحثين وان صدها بلغ المشرق كما طوق المغرب . وهذا هو الشرف الذي لا يدانيه شرف !
نسب تحسب العلاء بحلاء قلده نجوهم الجوزاء

وربما عدنا في فرصة اخرى لاستقصاء خبر اشراف آخرين اتخذوا افرقية دارا رقرارا ،
وفوق كل ذي علم عليم
ح . ح . عبد الوهاب الصمادحي

أرسل ما كان يرسل باسم معلوم من الأيالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة المشروعة رحمة لاهالي تلك الأيالة ولما كانت الأيالة المشار إليها من الاجزاء المنتمية لما كنا الملوكية صدرت الارادة السنية بان يكون السوالي بتونس مرخصا له تولية المناصب الشرعية والعسكرية والمالكية والمالية وهذا السياسة لمن يكون متأهلا لها وفي العزل عنها بمقتضى قوانين العدل ومن اجراء المعاملات المعلومه مع الدول الاجنبية كما كانت فيما عدى المواد البوليتيكية العائدة الى حقوقنا المقدسة السلطانية ونعني بها ما كان كمقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجراؤه راجعا الى حقوق السلطنة السنية على شرط ان تستمر الخطبة باسمنا السلطاني وتزين به السكة التي تضرب هناك علامة علانية للارتباط القديم الشرعي لا يالة تونس لمقام الخلافة الجليل وان بقى السنجق على شكله ولونه ومهما وقع حرب لسلطاننا السنية مع اجنبي يرسل العسكر من تلك الأيالة الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة ومع دوام تلك المواد ان يكون امرا لولاية بطريق الوراثة مخصوصا بعائلتكم على ان تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية ومرعية كما كانت سابقا وان تجري الادارة الداخلية مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي تقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في النفس والعرض والمال وعند حلول القدر المحتوم في مقام الولاية وتقديم معروض الطلب من الوارث الأكبر من عائلته لطرف سلطاننا السنية يرسل له فرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشير به الهمايوني كما استمر العمل بذلك الى الآن فاعلانا لما ذكر اصدر هذا فرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايوني وارسل موشما اعلالا بخطنا الميموني السلطاني فخلاصة نياتنا الخيرية الشاهانية انما هي اصلاح حالة تلك الأيالة المهمة وءال يتمك وتقوية ذلك حالا ومثالا واستكمال اسباب اسعاده والرفاهية والامن له لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطاني وماملونا القطعي السلطاني يذل من جهتك الجهد في حصول ما ذكر ثم حيث كان تمام المحافظة على حقوق سلطاننا السنية المحققة بتونس من قديم الازمان وعلى امن الاهالي القاطنين بتلك الأيالة المودعة بعهد صدقتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائطا اساسية مقدرة لامتياز الوراثة فيقتضى ان تتأكد محافظتها على طرق الخلق دائما سرمدا وتباعد عن وقوع الحال والحركة على خلافها اذا علمت ذلك فلا بد ان تعرف انت ومن يقام في امر الولاية بالتوارث من اعضاء عائلتك قدر هاته النعمة وتشكرها فعلى ذلك تسعى لتحصيل رضائي السلطاني بالغيرة والاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة .

الخيال في الادب العربي



بقلم احمد المختار الوزير

الخيال الابتكاري

على اساس ما تقدم اريد ان اتم حديثي عن الخيال في الادب ، واذكر انني انتهيت بالبحث الى ذكر مثال لهذا الخيال الابتكاري الذي يستمد قوته من الحياة ، اذ انه يستوعب الحياة ويشمل كل ما فيها من الحركات الاجتماعية ، وتقلب النظريات العلمية ، والفلسفية والاخلاقية .

هذا الخيال الفياض الذي يستنزل الهامه ويجمع عناصر قوته وخلوده من اسرار الخلائق وما قد تحجب في اعماق النفوس وغيب القلوب ، من احط جوعات الغرائز ، ونزوات الشهوة ، الى ذلكم الطموح اللهيبي ، والامل النشيط .

هذا الخيال المبدع في تصويره لحقائق الكون والطبيعة ، وللهل العاليه للخير والجمال ، هذا الخيال الطليق الذي تترامى في التصور افاقه ، وتبعد في النظر طروح مسابحه حتى يقف من هذه الدنيا على سواحل السرمديه وعوالم الجمال الابدي . هذا الخيال الذي يجعل من الشاعر العبقري مثل الفيلسوف في شوقه الى اكتشاف كل شيء من طريق الاحساس والشعور ثم في تعبيره عن كل شيء تميرا صادقا جريلا مؤثرا نلح في فصول اقصيته ، وطوالم ابنته ، وفواصل تراكيبه وجمله ، عنوان نفسه الكبيرة التي كان يشعر بها ويحس ، وليس من شك ان هذا الخيال الفياض هو الذي ينتج ادب الحياة والخلود ، تطالعه فيفتح في نفسك المعلقة ابوابا جديدة للاحاسيس ، ويلهم قلبك وعقلك ما شئت من المعاني السامية والاغراض النبيلة ، ويملا عينيك بالنور ويضاعف فيك حب الحياة ونحن نسأل بعد هذا هل في ادبنا العربي القديم والحديث ما يصح ان يكون مثال لهذا النوع من الخيال ، وقل ان شئت هل بلغ الخيال العربي في شموله وفي بعد حدوده الى هذه الغاية ؟ هل عبر عن هذا الجمال المصور في كل مظاهر الطبيعة والحياة ؟ هل استوعب بنظراته العميقة المتأثرة هذا السحر الفاتن المتجلى في مناص الوجود ؟ ثم هل امتد الى ما قد تحجب في ضمير الانسانية من كوامن الاحاسيس ومختلف المنازع في الخير والشر ، والى هذا الشك الحائر الذي يجذب العقائد والافكار ، فتضطرب حيناً وتسكن حيناً آخر ، وتلقي سؤال حيرتها على كل شيء تستعلن سره وتستوضح غيبه ؟

فلكم ما سأتمدى لتحصيله بعد حين ، ومن الخير ان ناخذ في درس هذين البيتين لشاعر عربي

تحدث فيها عن زهرة من زهرات الربيع فوصفها بما استحضرة من اوصافها ونعوتها . وارة قد اقرن في تاليف هذه النعوت والاوصاف الى حد بعيد يقول ابن خفاجة .

ومائسة زهى وقد خاف الحيا عليها حلى حمرا واردة خضرا
يذوب لها ريق الغمام فضة ويمكن في اعطافها ذهباً نضرا

فالزهرة هنا ليست ذلكم النوع المادي المألوف في عالم النبات بخصائص اللون البديع والشكل الجميل . والفوح العطر . وانما هي كائن حي له ما للكائنات الحية من خصائص الحياة . كذلك يراها شاعرنا . وكذلك تقع في تصور حياله وعقريته . وليس يدعنا ان يرى ابن خفاجة زهرة الربيع فيملا عينيه من مدركاتها الحسية . يأخذ في تأويل تلكم المدركات والمعاني المستحضرة في مجازات خاطرة وخياله . فاذا الزهرة صية فاتنة الجمال فيها خفر واستحياء . وفيها تيه وخيلاء . واذا هي تعطف مترنحة وفي عطفها معاني الدلال والفرج . وتستقيم وفي استقامتها معاني الزهو والاعجاب . وتعابها نسمات المساء فتلين لهذا العتب وتطرب له اشد الطرب . وتبدي من زيتنها وقتة جمالها مالم تكن ابدته من قبل .

الم تعجب الزهرة بحلاوة حسنها . وسحر جمالها ؟ الم تظهر شعورها في اختيار ما خلع عليها الحياء من الوان الزينة وتبرج الاصباغ ؟ ثم الم تكن ثملة منتشية من رقة الندى وخمرة الغمام . اذ ترشفت من ذوب سلسلها العذب ما استحال فوق مرافقها الغضة نورا يلهم لموع الفضة والذهب ؟ هكذا تصور خيال ابن خفاجة زهرة الربيع وتحدث عنها . فاذا ما رءاها القاريء . من خلال هذا الوصف او من خلال نظرات الشاعر . جن من اعجابه بجمالها الحضري . واخذ يتروح بالاقبال عليها والنظر الى محاسنها . وكلها لاح له من حسنها شيء جديد عظم في نفسه الاعجاب والحب . وازداد شغفا . وكلف بما للزهرة من حسن وبهجة . وما ذلكم الا لان خيال الشاعر استطاع ان يريك في زهرة الربيع او في هذا الكائن الحي الذي تناوله بالوصف ما لم تكن رايته من قبل ولا تنبت يقظت حسك لجمالها من قبل .

ومهما قلنا في ابداع ابن خفاجة وقدرته على الابتكار في عرض الجمال والتعبير عنه فاننا لم نذهب في ذلكم مذهب المبالغة والغلو . فابن خفاجة لم يحتفل بشيء غير الجمال . فكان كل شعرة تعبيراً عن الجمال ليس غير .

ولكن هل تعمق ابن خفاجة في فهم الجمال ؟ وهل كانت له جولة فكرية في استقصاء معانيه وهل تطلعت نفس الى ما هو اروع ؟

ثم هل كان يقف امام مشاهد الجمال في خشعه العابد وامعان المفكر . ام انه كان يقف وقفة من يحمل بين اضلاعه روح الطفولة العابث ولهو الشباب الساخر مفتونا بما يرى ثم لا يريد ان يفسد على نفسه لذة الاستماع ونشوة السرور ؟

هذه اسئلة القيا على شعر ابن خفاجة وفي الحق انه من الجائز ان نتماهى في القاء هذه الاسئلة على شعراء الطبيعة في ادبنا العربي . اذ ان آثار انتاجهم التي احتقلت بها الدواوين وكتب الرواية . كلها جاءت على نمط واحد في الاحساس والشعور . وفي الفكر والخيال . فاذا قمصيتها بالنقد وتناولتها بالدرس . كنت كمن ينصت الامد الطويل ليسمع نغما واحداً من وتر واحد . وتلكم هي علامة التقليد ومبهمة الواضح في جملة اشعار اولئك الشعراء .

فكلهم يتلهون بالازهار . ويقبلون عليها مفتونين باللون والشكل وطيب النشر وفوح العبير وكان نعوت الازهار اقترنت في اذهانهم بنعوت المرأة . ومن ثم استقام لهم التشبيه . وحسنت الاستعارة

واستقرت الكنايات والمجازيات. ولست نذكر على شعرائنا انهم قرئوا خصائص النساء بخصائص الازهار او العكس. اذ ربما كانوا موقفين في ذلك. وربما كان الربط في تداعي المعاني بين الازهار والنساء. قويا مستحكما وثيقا. وكنا ولكن السدي ننكره ونبالغ في انكاره انما هو ضعف الابتكار في الاستحضار والعرض. وقصور الخيال في التنسيق والانسجام. وتخاذل الفكر في الاستقصاء والتعمق. فكل شعرائنا يجدون اللذة في الاستمتاع بجمال الزهور. ويشغلهم هذا الجمال الظاهر. او هذا الاستمتاع على الصحيح فتقف شاعرهم حيال ما يرون راضية مطمئنة. تصف مرة وتشبه مرة وتجمع بين الوصف والتشبيه مرات اخرى. وقد نجد في تعبير احدهم توفيقا واقتدارا. وحسنا واقتنا. ولكنه مهما وفق واجاد فانه لا يكاد يقضي حاجة النفس المترفة المنتظرة. ولا يكاد يصور حالاتها المطلعة الطامحة.

واحسب ان وقتهم حيال ما يرون من الجمال الظاهر. وتلهيهم بما يجدون من متعة السور ونشوات الفرح والحبور. جعلت خيالهم عاجزا محدود المنازع لا يتطلع الى ما يتطلع اليه خيال غيرهم ولا يحاول ما قد يحاوله خيال غيرهم من استجلاء الغامض واستعلان المكتوم. ولتقرير هذه المعاني في الازدهان انقل هذا الخطاب الذي تحدث به « تيسون » الى زهرة الربيع ايضا انه يقول :

(ايها الزهرة النابتة في ثغر الجدار لله حسنك وجمالك. والله اليد التي زرعتك وتهدتك باسباب النماء والزكاة اعانك باطراف انامي وقطعتك اقتلاعا. وتصيرين في قبضة يدي. وحذا لو تم لي بمثل هذه السهولة ان اعرف ما تكونين. وما تكون اصولك هذه النخيفة. واوراقك هذه الجميلة. اذ لو عرفت. ما انت وما اصلك وفصلك ؟ اذن لعرفت ما هو الانسان. وما هو الله سبحانه)

افليست هذه التحية الفاضلة تعبر في سهولة عن المعاني المكتظة في خاطر هذا الشاعر الصوفي الناسك. واحسب انها تعبر عن خطر كل نفس ضجعت بها سئامة الجهل. وحزبها البأس بالسوار من الحيرة. اذ ترى الظلام يحول بينها وبين ما تنزع الى ادراكه ومعرفة. وتقرأ هذه التحية واجمل ما يلقاك من بلاغتها الخالدة انك ترى في ظلال كلماتها ما يتخلج في النفس من خداع الظنون. ثم هذه الجودة في الثبوت ثم هذه الكثرة الملحة في الطلب. ثم هذه القوة المتسردة. التي لا تهدا ولا تبسكن وان قيدها خذلان الحيرة والجهل. فهي بالرغم من ذلك تريد ان تسف نسفا حجب الجلالة واسرار الغيوب وتقرأ هذه التحية مرة ومرة وفي كل مرة تعطيك من وفرة معانيها ما لم تكن ادركته من قبل وما اشك ان هذه التحية هي اصدق مثال للادب الجالد. يقول الكاتب الفرنسي الشهير « مانت يوف » (الادب هو الكاتب الذي يغني العقل الانساني ويزيد ثروته ويساعده على ان يخطو الى الامام. وهو الذي يكشف حقيقة اديبة ويزيل ما حولها من الشك والغموض. وهو الذي ينفذ الى اعماق قلب الانسان فيستخرج منه عاطفة ادبية في حين يظن الناس انه لم يعد هناك شيء. يكشف في هذه المنطقة وهو الذي يبرز الى الوجود افكاره وملاحظاته او ما وصل اليه من الحقائق في صورة دقيقة صحيحة جميلة. معقولة. وهو الذي يخاطب الناس بأسلوبه هو أسلوبه الخاص. ولكنه أسلوب جميع القراء في القديم والحديث معا. صالح لكل زمان ومكان) ولن يكون هذا الحد مطردا في افتلاء شعرائنا وقد اتناهم على مقتضى اوضاع فصوله. اذ قلما نجد بينهم من اتسع خياله وسما ابتكاره ثم سما حتى يبلغ هذه الغاية القصوى .

وليس موضوعي ان ازيد في توجيه الخطاب الى شعرائنا وان اتعادي في توضيح هذه الظواهر العائقة. التي جعلت شعراء العرب على كثرة جهم للقول والانشاد في امر ممقوت يهيمون في ظلال الحسية. ويتروحوون بالاقبال على الاستمتاع بالذائد الغريبة الدانية. ولا تنزع شاعرهم الى ما فوق هذا ... (يتبع) احمد المختار الوزير

فهرس عام للمجلد الثالث من المجلة الزيتونية

مرتب على حروف الهجاء

الموضوع	صاحبه	جزء
« أ »		
إيطاليا في طرابلس برقة	السيد احمد رازم الطرابلسي	٨٠
ابتلاء الرسول سنة الله في المرسلين	صاحب المجلة	١٠٥
الاحتفال بعيد الهجرة	صاحب المجلة	٩١
آيات الآلية عند الهجرة	الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر	١٣٢
الامة الاسلامية تنشذ الاصلاح	صاحب المجلة	٢٥٨
الاحتفال بانتهاء العام الدراسي بجامع الزيتونة	٣٠٦
الاقواق والنظار او الاحباس والمقدمون	المدرس الشيخ الناصر الصدام	٣٧٧
استقبال شهر رمضان (خطبة منبرية)	الشيخ الحيلاني حمزة	٣٩٧
استقبال شهر رمضان (قصيدة)	الاديب السيد بلحسن بن شعبان	٤٠١
« ب »		
بلاؤه وحلمه صلى الله عليه وسلم	١٠٤
بعثة خير الدين باشا الى الاستانة	الاستاذ محمد صالح مزالي	١٨٤ - ٢٤٨
		٢٨٧ - ٣٢٨
		٣٩٢ - ٤٣٨
بحوث تونسية	موظف فرنسي كبير	٢٠
بحر الانساب (كتاب)	المجلة	٣٦٢
« ت »		
تفسير آيات من سورة الفاتحة	صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور	٧ - ٤٩ - ١٦٠ - ٢١٣ ٢٦١ - ٣١٠ - ٣٦٤
تفسير آيات من سورة البقرة	عاشور شيخ الاسلام المالكي	
التشريع الاسلامي	
تزكية النفس	فضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط	٢٠
تهنئة بخطة الافناء (قصيدة)	المفتي المالكي	٣٧
التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين	الشيخ الحيلاني حمزة	٤٣
تهنئة صاحب التاج الحسيني بالعيد (قصيدة)	العالم المدرس الشيخ الطاهر القصار	٢٢ - ١٧٧ - ٢٢٣ ٣٧٢ - ٣٧٧
التاريخ بالهجرة الشريفة	سعادة العلامة الشيخ محمد الحجوي	٨٣
	شيخ الادباء السيد العربي الكبادي	
	سعادة امير الامراء سيدي محمد بن الحوجة	١٢٣

صفحة	صاحبه	الموضوع
١٤٢	المجلة	التاريخ المدرسي (كتاب)
١٤٣	شيخ الادباء السيد العربي الكبادي	تهلل بالبشري (قصيدة)
٢٤٠	المدرس الشيخ علي النيفر	تفصيل وبيان حول اجوبة عن اسئلة شرعية
٢٥١	الشيخ محمد المقداد الورتفاني	تهنئة الامير الحليل بعيد المولد الشريف (قصيدة)
٣٤٠	لايب كبير	تأئين الادب في رقي الامم
٤٠٢	صاحب المحلة	التكاليف الشرعية
٤٠٨	الاستاذ الشيخ سيدي محمد البشير النيفر	ترجمة فقيه العلم الشيخ سيدي محمد بن يوسف
		« ج »
٧٢	سعادة امير اللواء سيدي حسن عبدالوهاب	جامع الزيتونة يؤدي رسالة الدين الاسلامي
٢٩٣	صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	جواب عن بحث حول مقال لاعزاء بعد ثلاث
		« ح »
١١	المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي	(حديث اذا رأيتم الهلال فصوموا الخ)
	صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن يوسف	(حديث) انكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً (اليوم اكملت لكم دينكم)
٥٣٥	شيخ الام الحنفي	باب ما ينهى عن التجاسد والتدابير
١٦٤	المنعم العلامة الشيخ الشاذلي ابن القاضي	(حديث) اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي
٢١٨	صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن يوسف	(حديث) اتق الله حيثما كنت
٢٢٤	المنعم المبرور الشيخ الطاهر بن عاشور	(حديث) باب الاعتصام بالكتاب والسنة
٢٦٤	المنعم المبرور الشيخ صالح النيفر	(حديث) حق المسلم على المسلم ست
٣١٣	صاحب المجلة	جامع القضاء وكراهيته
٣٦٨	عاشور شيخ الاسلام المالكي	حكمة الصوم والحج
٢٣	العلامة الحليل الشيخ محمد الحجوي	حكم خلقية
٣٥	حول ولاية الشيخ المختار بن محمود الفتوى
٤١٤	حول حياة فقيه الاسلام
	المدرس الشيخ الناصر الصدام	حول البحوث التونسية
٢٠٤	مدرس كبير	حول مقال لاعزاء بعد ثلاث
٢٩٣	الشيخ ابن باشير الراجحي	

الموضوع	صاحبه	صفحة
« خ »		
خطاب بين يدي الحضرة العلية	الشيخ محمد المختار بن محمود	٢٩٥ - ١٨٩ - ٧٦
الخيال في الادب العربي	الاديب السيد احمد الوزير	٤٣٣ - ٢٤٦
الخطوط الكوفية وأدوارها بالقيروان	الشيخ محمد طراد	١٩٩
خطر اللادينية على الاسلام	العلامة الشيخ محمد الحجوي	٢٧٧
خطاب فضيلة شيخ الجامع بمناسبة	صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سيدي	
الاحتفال بانتهاء العام الدراسي بجامع	صالح المالقي	٣٠٦
الزيتونة		
خطاب في حفلة الشبان المسلمين بمولد	صاحب المجلة	٢١٠
الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم	صاحب المجلة	٤٠٥
ختم المجلد الثالث	صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سيدي	
خطاب فضيلة شيخ الجامع الاعظم	محمد العزيز جعيط	٤٠٦
« د »		
ديوان الورغي	الاديب الشيخ محمد الورغي	٣٠١
»	»	٣٦٣
« ذ »		
ذكرى الهجرة	صاحب الفضيلة الشيخ محمد المختار بن	
	محمود	٨٨
ذكرى الهجرة « قصيدة »	المدرس الشيخ علي النيفر	١٣٠
« ر »		
رفع اللبس عن خطبة تزكية النفس	الشيخ الحيلاني حمزة	٣١٩
رثاء شيخ الشيوخ	العالم المدرس الشيخ علي النيفر	٤٢٢
رثاء خاتمة المحققين	العالم المدرس الشيخ الطاهر القصار	٤٢٤
« ش »		
الشرف الحسيني والحسيني	الشيخ محمد طراد	٣٣
شهر الصيام « قصيدة »	شيخ الادباء السيد العربي الكبادي	٤٠٠
الشرف الحسيني والحسيني بافريقية	سعادة امير اللواء الاستاذ حسن حسني	
»	عبد الوهاب	٤٢٨
« ص »		
صفحة من الادب التونسي في القديم	نشرة المجلة	٢٩٨ - ٢٩٨
(قصيدتان)	الى	

صفحة	صاحبه	الموضوع
		« ع »
٣٩	صعصعة بن صوحان	عمر بن الخطاب
١٣٦	سعادة امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة	عمارة البيت الحرام
٣٩٦	الشيخ الطاهر القصار	
		« ف »
	الشيخ محمد المختار بن محمود	فاتحة المجاهد الثالث
٣٤	الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة	فتاوى
٤٢١	الشيخ العربي الكبادي	فجع الوري (قصيدة)
٤٣٦		الفهرس العام للمجلد الثالث
		« ق »
٢٧٩ - ٢٢٢ - ١٨٠ ٢٢٥	سعادة امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة	القضاء الشرعي
٣٨١ - ٣٥٣	الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر	القضاء الشرعيون في القديم
		القضايا التي القيت بمحطة الاذاعة
		اللاسلكية بتونس بمناسبة الاحتفال
		بختم السنة الدراسية بجامع الزيتونة
٣٥٠	شيخ الادباء السيد العربي الكبادي	قصيدة (١)
٣٥٢	الاديب الشيخ الطاهر القصار	قصيدة (٢)
٣٥٣	الاديب الشيخ بلحسن بن شعبان	قصيدة (٣)
		« ل »
٥٩	صاحب الفضيلة الشيخ الطاهر ابن عاشور	لا عزاء بعد ثلاث
	شيخ الاسلام المالكلي	
		« م »
٣٢	المجلة	منال العمود الذي على قبر الحسين
٣٤	المعروف
٨٥	المجلة	مؤتمر جمعية الحرمين الشريفين
٩٣	المجلة	المحاضرات الاسلامية (كتاب)
	صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن	المقصد العظيم من الهجرة
٩٤	عاشور شيخ الاسلام المالكلي	
١٤٥	صاحب المجلة	المدينة دار الهجرة
		« معارضات قصيدة عامر ابن هشام »
١٩٤	الاديب الكبير الشيخ الورغي	معارضة الشيخ الورغي
١٩٥	الشيخ احمد بن ضياف	معارضة الشيخ احمد بن ضياف
١٩٧	الشيخ الباجي المسعودي	معارضة الشيخ الباجي المسعودي

صفحة	صاحبه	انوضوع
٢٧٦-٢٣٦	العلامة الكبير الشيخ عبد الحلي الكتاني	الملاحى الخيرية فى الاسلام
٢٣٤	العالم المدرس الشيخ محمد الطاهر النيفر	محمد صلى الله عليه وسلم
٣٥٧	صاحب المجلة	مر اهل التشريع الاسلامى بين مكة والمدينة
٣٨٤	سعادة امير الامراء سيدى محمد بن الخوجه	مارستان العزافين والمستشفى الصادقى
٤١٧	سعادة امير الامراء سيدى محمد بن الخوجه	مسند الرئاسة المذهبية الحنفية
٤٢٦	صاحب المجلة ومديرها	موت العالم ثلثة
		« ن »
٤٥	المجلة	النهضة العربية فى العصر الحاضر
١٥٨	المجلة	النبوغ التونسى
٤١٢	العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزى	نبذة من حياة شيخ الاسلام
		« ه »
٩٨	العالم المدرس الشيخ ابراهيم النيفر	هجرة الصحابة الى الحبشة
١١٤	العالم المدرس الشيخ الناصر الصدام	هلال له يمن (قصيدة) فى عيد الهجرة
١١٨	العلامة الكبير الشيخ محمد الحجوى	الهجرة النبوية مبدأ التاريخ الاسلامى
١٥٦	الشيخ الجيلاني حمزة	الهجرة (خطبة منبرية)
		« و »
	سعادة امير الامراء سيدى محمد بن الخوجه	الوزراء التونسيون قبل الحماية وبعدها
٦٧	الامام محمد بن اسماعيل البخارى	وصف الهجرة النبوية
١١٠	المجلة	ولاية عهد المملكة التونسية
١٥٥	صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن يوسف	الوقف فى الاسلام
١٧٣	شيخ الاسلام الحنفى	

انتهى المجلد الثالث

المجلة الزيتونية

ان المجلة الزيتونية بهذا الجزء تختتم المجلد الثالث فخورة بما وقفت اليه من الخدمات العلمية الثقافية شاكرة سعي السادة الكتاب والمحربين الذين شاركوها في هذا الميدان ومقدرة ولاء السادة الفضلاء قرائها الكرام وتشجيعهم المتواصل

وهي تذكر السادة المشتركين الذين لم يسددوا ما تخذل بذمهم من معلوم الاشتراكات عن سنة او سنوات ان يتفضلوا بتقديم ما ترتب عليهم نحو هذا المشروع الذي لا يقوم الا على دعائم اهمها المال

وقد راينا بعض تقاعس او اهمال من بعض السادة المشتركين وتعديات متكررة من بعض الباعة ما تسبب في تعطيل سير المجلة عن صدورها في اوقاتها الشهرية بانتظام ولكن الحالة الآن ليست كما سبق ونفقات الطبع قد تضاعفت مرارا وللمجلة قبل جمهور عظيم من المشتركين والباعة اموال طائلة وان هم احجموا عن دفع ما عليهم يكونون قد ضربوا المشروع في الصميم والعهددة تكون عليهم فيسجلها لهم التاريخ والله يشهد اننا قمنا بهذا الواجب وبذلنا في سبيله مجهودات مادية وادبية

ويعز علينا ان يقبر وهو في شبابه لاشيء سوى عدم الاهتمام بالحقوق وعدم مراعاة الواجب وها نحن قد القينا المسؤولية عن سواعدنا فلننظر ما سيصنعه السادة الغيورون ولنا كامل الثقة

في اخلاصهم واجابة هذا النداء

(الادارة)

خلاصة التاريخ التونسي

بين الآونة والآخرى يظهر اهتمام اساتذة التعليم بتونس بالناشئة المتعلبة بما يقدمونه لهم من نفائس المؤلفات العلمية المناسبة لرتبتهم الثقافية على الاساليب الحديثة الكافلة بحصول النفع العميم ومن بين اولئك العاملين لخير الشباب المتعلم الشيخ عمر الركباني المعلم بمدرسة خير الدين فالشيخ قد وقف حياته على العلم فهو ما برح يخرج للناشئة كتبه الدراسية الصالحة وقد وفق خير توفيق وها هو يعيد طبع كتابه (خلاصة تاريخ تونس) بعد ان ادخل عليه تنقيحات مفيدة والاقبال على كتبه يزداد يوما فيوما ونحن نهي الشيخ الركباني بهذا التوفيق ونتمنى له النجاح المطرد